

عقيدة السنة

إسمعيل أحمد نليكوت

المليباري

الطبعة الثالثة

النشر : نليكوت بك هوس منجيري – ٦٧٦١٢١

ملابرم، كيرالا، الهند

تقريظ

الشيخ أبو بكر أحمد

الأمين العام لجمعية علماء أهل السنة بعموم الهند (مد ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى،
أما بعد،

فلقد وقع الاختلاف بين أبناء هـــذا الزمـــان مـــن الشيـــوخ إلى الصبيان في مسائل الدين الإيمان، الشـــرك، التشبيـــه، التجســـيم، التبرك، الزيارة، الطريقـــة، الولايـــة، مضمـــون النـــذور، والمواليـــد، مضمون التوسل والاستغاثة وغيرهـــا.

فعليك هـــذا الكتـــاب (عقيـــدة الســـنة) تـــأليف الأخ في الله الشيخ إسمعيل أحمد المليبـــاري، فإنـــه نـــبراس لحـــل تلـــك المشـــاكل وتحقيق لكل دلائل وتفصيل لكل مســـائل، وفقنـــا الله وإيـــاه لخدمـــة دينه والله الموفق.

الأخ في الله الأحد:

الشيخ أبو بكر أحمد

تعريف عن المؤلف

الشيخ إسماعيل أحمد نَلِيكُوتِيّ الملباري قاضي ضلع مَلَابُـرَم مـن جِيـلِ مُشَـلِيَارَكَتْ مِن نسل محمد الغزالي المخدومي والد مصنف فتح المعين وهذا الغـزالي مـن نسـل عبـد الله ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قيل إنه يصل إلى الصديـق بـالأربعين مـن الآبـاء وعبـد الله هذا شهد الطائف مع رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فرمـي بسـهم فمـات منـه في أول خلافة أبيه في شوال سنة إحدى عشرة وكان أسـلم قديمـا وأبـوه الصديـق يصـل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بـالأب السـابع وجـاء المخدومـون مـن اليمـن إلى المَعْـبَرِ ثم الكُنْچِنْ ثم المليبار في القرن السادس من الهجرة. والشيخ إسمعيـل خـادم العلـم بـالتدريس والمحاضرة والتصنيف ولد سنة ١٩٣٩ م بقرية نليكـوت قريـب ملابـرم كـيرالا، الهنـد لا زال مباشرا بخدماته العلميـة حاليـا شـيخ الحديـث في جامعـة مركـز الثقافـة السـنية كاليكوت، كيرالا منذ ١٩٨٤. وقد سبق أن يكـون نـائب العميـد في كليـة دار السـلام نَنْدِهِي لخمس سـنوات.

قبل ذلك تشرف بتدريسه في مساجد مختلفة مـن بـلاد "آلَتُّورْ بُدِيَـاد" كَـاوَنُور، بَلَّارَا، نليكوت، أَرِمْبْرَا، مباشرة بتخرجه من دار العلـوم شمـال الهنـد سـنة ١٩٦٤ قضـى بها سنتين طالبا في دورتي الحديث والفنون مُحظِـيَ بالاسـتفادة مـن الأفـاضل هنـاك علـى رأسهم العلامة إبراهيم البَلْيَاوِيُّ مصنف ضيـاء النجـوم وصـدر المدرسـين والسـيد فخـر أحمد شيخ الحديث بها وكان رحلته إلى دار العلوم بعد ما تتلمذ عنـد فضيلـة الشـيخ عبـد الرحمن القَضْفَرِي عميد كلية باقيات الصالحات، ويلـور والشـيخ عبـد الرحمـن المَنْجِـرِي والشيخ كُنْج حسن النليكوتي وغيرهم نـور الله مرقدهـم.

حاليا عضو جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهنـد وجميعـة العلمـاء بعمـوم كيرالا، له مؤلفات عديدة في اللغة المحلية والعربيـة منـها فقـه السـنة في أصـول الديـن، ودراسة شاملة عن التوحيد، ورحلة جادة لدراسـة الأديـان، وَالإسـلَامُ، وتقريـر المفـاتيح على مشكوة المصابيح في الحديث، وتحقيـق في الاقتصـاد الإسـلامي وتطبيقـه في المجتمـع، وزيارة الحج والعمرة، والحواشـي البيانيـة والبرهانيـة للرسـالة الماردينيـة والحسـابية، في الميقات والقبلة، وتقرير ملا حسن، وشرح تصريح المنطـق مـع جديـد المنطـق، ومجموعـة الفتاوى وغيرها وفقنا الله تعـالى وإيـاه لخدمـة دينيـه وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله رب العالمين.

الناشرون ....

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. أما بعد فيقول الحقير إسمعيل النلّيكوتي الملباري هذا كتاب عقائد أهل السنة والجماعة على نهج عقائد الصحابة والتابعين وبقية الأئمة المتبوعين مبرهنا بالدلائل العقلية والنقلية من الآيات والأحاديث وكتب المتقدمين من العلماء المعتبرين.

مُقَدِّمَةٌ فِي الضَّلَالَةِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ

إعلم أن من تربيته تعالى إرسال الرسل من البشر إلى البشر مبشرين ومنذرين ومبينين للناس ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين فإن منها ما[١] لا يستقل به العقل والحواس ومنها ما هي القضايا الممكنة التي لا طريق إلى الجزم بأحد جانبيها ومنها ما هي واجبات[٢] أو ممتنعات لا يظهر للعقل إلا بعد نظر دائم وبحث كامل بحيث لو اشتغل الإنسان به لتعطل أكثر مصالحه فكان من فضل الله تعالى ورحمته إرسال الرسل لبيان ذلك كما قال الله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (الأنبياء ١٠٧).

ولما ظهر الحق وثبت النبوة بالبرهان آمن الناس بالله وبرسوله وبجميع ما أمروا به ودخل الناس في دين الله أفواجا وشذت طائفة أقلية أنكروا

---

[١] فان مبدأ الحكم الفلسفية من أمور الدنيا الوحي للأنبياء كما يظهر من التاريخ مثلا افلاطون صاحب الحكمة من تلامذة تلميذ سليمان عليه السلام وكذا أمور الآخرة كالجنة والنار لا طريق إلى الجزم بها إلا بالوحي.

[٢] كصفات الباري تعالى الواجبة والممتنعة

النبوة بالكلية وطائفة بدلوا الشريعة بعد النبي ﷺ وبعد دخولهم في الإسلام وأدخلوا الضلالة في دين الله مبتدعين.

وكل من الأفكار والتبديل حسدا وبغضا وخوفا لفوات الأموال والرياسة وبقية الأمور الدنيوية كما هو مقتضى الطبيعة الإنسانية البشرية وسنة الله الجارية في العالمين لحكم ومصالح لا يحيط بها أفكار المتفكرين. ولعل من الحكم الحث على العض بالنواجذ في أمور الدنيا والدين لأن الشيء مع المضارة والمغالبة أشدوأقوى كما هو ظاهر للمتبصرين قال الله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ. وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (الحج ٥٢-٥٤).

حاصل الآية أن معارضة القوى الشيطانية لمطالب الأنبياء عادة قديمة وقصتك من هذه العادة. قال قطب الواصلين السيد عبد العزيز الدَّبَّاغ في تفسير هذه الآية هوان الله تعالى ما أرسل من رسول ولا بعث نبيا من الأنبياء إلى أمة من الأمم إلا وذلك الرسول يتمنى الإيمان لأمته ويحبه لهم ويرغب فيه ويحرص عليه غاية الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة ومن جملتهم في ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمعنى تمنى انه يتمنى الإيمان لأمته ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح فهذه أمنية كل رسول ونبي وإلقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه في قلوب أمة الدعوة من الوساوس الموجبة لكفر بعضهم ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة (الإبريز ٢٤٣).

فإلقاء الشيطان وإضلاله على خلاف ما لم يتكلموا وبما لم يجر على

لسانهم عادة جارية من أعـــداء الدين[٣].

وهذا آدم عليه السلام لما خلقـه الله تعـالى أمـر الملئكـة بالسـجود لـه

* وما يقال ان الشيطان تصور بصورته ﷺ او تكلـم ككلامـه ﷺ او خـاطر في قلبـه ﷺ أن يتكلـم بلهجتهم كي يسلموا فكل ذلك أبـاطيل. وروي مسـلم والـترمذي والدارمـي مـن أن النـبي ﷺ قال من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي – فإذا لم يتصـور الشيطـان بصورتـه بعـد موته فكيف يتخيل انه تصور بصورته في حياته وكـذا خواطـره معصومـة عـن شوائـب العصيـان قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (الحجر). قال الـرازي أمـا أهـل التحقيـق فقـد قالوا هذه الرواية (قصة الغرانيق) باطلة موضوعة واحتجوا عليـه بـالقرآن والسـنة والمعقـول أمـا القرآن فوجوه أحدها قوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقـاويل لأخذنـا منـه بـاليمين). وثانيـها (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي) وثالثـها قولـه (ومـا ينطـق عـن الهوى ان هو الا وحي يوحى) . . . . واما السنة فهو ما روى عن محمد بن اسـحق بـن خزيمـة انـه سئل عن هذه القصة فقال هذا وضع من الزنادقة وصنف فيـه كتابـا وقـال البيـهقي هـذه القصـة غير ثابتة من جهـة النقـل ثم اخـذ يتكلـم في ان رواة هـذه القصـة مطعـون فيـهم –الخ رازي (٥٠/٢٣).

فحاصل الآية كما قال الإبريز وان ثبت بعض الروايات في القصة فـالمراد إن الشيـاطين مـن كفـار قريش افتروا الكذب على النبي ﷺ انه قرأ تلك الغرانيق العلـي الخ. وهـذا معـنى إلقـاء الشيطـان على لسان النبي ﷺ او يقال قوله ﷺ تلك الغرانيق العلي أراد بها الملائكـة الكـرام والغرنـوق طـائر فناسب تسميتهم به لان الملائكة أولوا أجنحة فقال ﷺ انهـم كـالغرانيق وشفاعتـهم مرجـوة الا انـه سرى على المشركين انه يسمى آلهتهم بالغرنوق فقالوا رجع محمد عن سـب آلهتنـا ولهـذا سـجدوا مع النبي ﷺ وفي فتح الباري انه لما سافر صنـاديد الشـرك والطغيـان اسـلم أهـل مكـة أجمعـون. وعلى هذا يمكن ان يرجعوا عن الإسلام بعد رجوع صناديدهم. ويمكـن أن يكـون معـنى الآيـة ان الكتب الماضية كلها للأنبياء المتقدمين ألقى شياطين الإنس في متلوالهـم وأمنيـاتهم مـا يخـالف الحـق فينسخ الله بإرسال نبي أو رسول بعده ما ألقوه مـن التحريفـات والتغيـيرات وليـس كتـابك يـا محمد كذلك فلا يمكن لا حد تبديل وتغيير بل يبقى أبد الآبدين انـا نحـن نزلنـا الذكـر وإنـا لـه لحافظون.

فسجد الملئكة كلهم اجمعون إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقال لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ الخ (سورة الحجر ٣٣). فمن معظم ضلالة إبليس لعنة الله عليه تحقير من عظمه الله وجعله بشرا عاديا وإنكار التوسل به والاستبداد بالرأي في مقابلة النص استكبارا وحسدا.

وهذا نوح ﷺ قال فيه منكروه مَا هَـٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (المؤمنون ٢٤) وهكذا قول كفار صالح ﷺ مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. وقول كفار شعيب ﷺ وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (الشعراء ١٥٤، ١٨٦) وقول طائفة أبي جهل هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (الأنبياء ٣) وقول كفار الرسل جميعهم "كَانَت تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا (تغابن ٦) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا (يس ١٥) وقال تعالى في حق موسى وفرعون قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (طه ٥٧-٥٨) فإذا تأملت يظهر لك أنه لا فرق بين قولهم أبشر يهدوننا وبين قول إبليس لم اكسن لأسجد لبشر خلقته من صلصال (الحجر ٣٣) فمن معظم ضلالة هؤلاء تحقير أنبيائهم وإنكار خصوصيتهم الغيبية والدعوى بأنهم بشر مثلهم والاستبداد بالرأي في مقابلة النص حسدا وكبرا وخوفا لفوات رياستهم.

هكذا حال المنافقين مع النبي ﷺ ورسول رب العالمين وخاتم النبيين فَأَبْطَنَ الشرذمة الأقلية النفاق والإنكار بالنبي ﷺ مع ظهور نبوته لكل عاقل بالآيات والمعجزات الكثيرة ومع دخول الناس في دين الله أفواجا لخوف فوات رياستهم كما في صحيح البخاري: عن عروة ابن الزبير قال أخبرني

أسامة بن زيد أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ[٤] تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَهُوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ وَذَلِكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ حَتَّى مَرَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ وَفِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ثُمَّ قَالَ: لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولٍ: أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا أَحْسَنَ[٥] مِنْ هَذَا إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ اغْشَنَا فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَتَوَاثَبُوا فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ أَيْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ ؟ يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ اُعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ وَاصْفَحْ فَوَاللهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللهُ الَّذِي أَعْطَاكَ وَلَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ فَلَمَّا رَدَّ اللهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ[٦] بِذَلِكَ فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ (بخاري سندي (٩٠/٤، كتاب الإستيذان) باب إذا قال فلان يقرئك السلام. سهارنفوری: ٩٢٤/٢

فرئيس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول معظم ضلالته تحقير من عظمهم الله من النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم كما يدل عليه الحديث المذكور وكما يدل عليه قوله تعالى "هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ

---

[٤] (الإكاف) بكسر الهمزة مثل السرج للفرس. (القطيفة) الدثار (الفدكية) منسوبة الى فدك بلدة معروفة على مرحلتين من المدينة (عجاجة الدابة) ما ارتفع من غبار حوافرها. (خمر) أي غطى.

[٥] (لا احسن من هذا) أي ليس شيء أحسن من هذا.

[٦] شرق – حسد

عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفضُوا-إلى- يَقُولُونَ لَئِـنْ رَجَعْنَـا إِلَى الْمَدِينَـةِ لَيُخْرِجَـنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ (المنافقون ٨). يريدون بـالأذل النبي والمهاجرين ويدل عليه أيضا حديث الإفك على سيدة الصحابيات عائشة رضي الله عنها كما في قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَـاتِ الْغَـافِلَاتِ الْمُؤْمِنَـاتِ لُعِنُـوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (النـور ٢٣).

ومنها إنكار التوسل بالنبي ﷺ والشفاعة لـه في تغفير الذنوب واعتقاد انه بشر مثلهم كما يدل عليه قولـه تعـالى: وَلَـوْ أَنَّهُـمْ إِذ ظَلَمُـوا أَنْفُسَـهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْـتَغْفَرَ لَهُـمُ الرَّسُـولُ لَوَجَـدُوا اللهَ تَوَّابًـا رَحِيمًـا (النساء ٦٤). وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُـمْ رَسُـولُ اللهِ لَـوَّوْا رُؤُوسَـهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْـتَكْبِرُونَ (منـافقون ٥).

ومنها إنكار العصمة للنبي ﷺ كما يدل عليه قولـه تعـالى وَمَـا كَـانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَـةِ (آل عمـران ١٦١). نزلـت في قطيفة حمراء افتقدت من الغنائم فقال بعضهم لعـل رسـول الله ﷺ أخذهـا.

ومنها إنكار طريق الصحابـة وصراطِـهم وسـبُّهم واسـتبدادٌ بـالرأي في مقابلة النص كما يدل عليه قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُـوا كَمَـا آمَـنَ النَّـاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّـفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُـمْ هُـمُ السُّـفَهَاءُ وَلَكِـنْ لَا يَعْلَمُـونَ (البقرة ١٣).

ومنها التشتيت والتفريق بين المسلمين ونسـبة الإصـلاح إليـهم ونسـبة الفساد والخرافات والكفر إلى غيرهم كما يـدل عليـه قولـه تعـالى وَالَّذِيـنَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَـادًا لِمَـنْ حَـارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ (توبة ١٠٧). وقوله تعالى وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمْ لَا تُفْسِـدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُـمْ هُـمُ الْمُفْسِـدُونَ وَلَكِـنْ لَا يَشْعُرُونَ (البقـرة ١٢-١١). فمـع أمثـال هـذه الضـلالات لا ينفعهم التفوه بكلمة الإسلام كما قال تعـالى: إِذَا جَـاءَكَ الْمُنَافِقُـونَ

قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنٰفِقِينَ لَكٰذِبُونَ (المنافقون ١).

تَطَوُّرَاتُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ

ثم إن المنافقين ابتغوا فرصة وسبيلا لهدم الإسلام وتحريفه ولكن لم يجدوها في حياة النبي ﷺ ولما توفي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده حرفوا وبدلوا أحكام الشريعة واستبدوا في مقابلة النص برأيهم وعدلوا عن الصراط المستقيم وأولوا القرآن وفسروه بغير تأويل الصحابة وتفسيرهم ومنعوا الزكاة فقال أبو بكر الصديق ﷺ في حقهم وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا (بخاري كتاب الزكوة ١٨٨) فهذه الفرقة الأقلية خالفوا الصحابة وجماهير المسلمين وتأولوا بأن الزكاة خاصة بزمن النبي ﷺ لأن الله تعالى قال خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ.

فغيره صلى الله عليه وسلم لا يطهرهم بحسب زعمهم الفاسد ورد هذا التأويل أبو بكر ﷺ وسائر الصحابة وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة ولم يسلم الصحابة لهم لتحريف الشريعة حتى في شأن العقال وسائر الأمور الحقيرة.

اِبْتِدَاءُ الْخَوَارِجِ

لما توفي أبو بكر ﷺ واستخلف عمر ﷺ انتشر الإسلام في الأمصار والأقطار والبلاد وفتح عمر ﷺ الشام وفلسطين وعسقلان وبعلبك وحمص والموصل والجزيرة والقادسية ونهاوند واصفهان وهمدان وأذربيجان وفارس وغيرها ثم بعد وفاة عمر استخلف عثمان بن عفان ﷺ ودخل

الناس في دين الله أفواجا وفتح عثمان ﷺ كثيرا من البلاد مثل الإسكندرية وسابور وأفريقية ونيسابور وطبرستان وغيرها فتحير المنافقون في ذلك الزمان واليهود والنصارى وتفكروا وعزموا انهم لا قوام لهم إلا بالتفريق بين المسلمين والتشتيت بينهم فابتغوا لذلك سبيلا حتى قتل عثمان بن عفان ﷺ واستخلف علي بن أبي طالب بعده ووقع الإضطراب بسبب القتل المذكور بين الصحابة والتابعين فصاروا فرقتين فرقة علي وفرقة معاوية ففرح المنافقون وبقية اعداء الإسلام واغتنموا الفرصة وسعوا لهدم أساس الإسلام.

فسعي فرقة ثالثة من عظماء الصحابة منهم عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وأبو موسى الأشعري تشمروا واجتهدوا للإصلاح بين الفرقتين المذكورتين وتجديد الأخوة والحكم بينهم فرضي الفرقتان وتركا القتال وعادوا إلى الأخوة الإسلامية وصاروا فرقة واحدة فتحير المنافقون أيضا وتفكروا في إدامة التفرقة ووجدوا السبيل وهو تكفير بعض الصحابة والتابعين وإلزام قتالهم وإنكار الإصلاح والحكم بينهم وتأويل القرءان بحسب زعمهم الفاسد فقالوا إن مرتكب الكبيرة كافر وقد ارتكب بعض الصحابة الكبيرة فصراطهم ليس بمستقيم وان الإصلاح والحكم مختص بالله تعالى ولا حكم الا لله فزعموا بالحكم الإلهي والحكومة الإلهية وقالوا للمسلمين إذا نزلتم على حكم عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري فقد ضللتم وخرجتم من القرءان فارجعوا إلى الله والى القرءان.

وإذا تأملت يظهر لك انه لا فرق بين قولهم لا حكم إلا لله ولا نحكم الرجال وبين قولهم لا نقلد الأئمة ولا نقول إلا بالقرآن والسنة ولا ندعو إلا الله وحده وبين قول إبليس لا اسجد إلا لله كما في قوله تعالى لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (الحجر ٣٣).

وهذه الفرقة المنافقة هم الخوارج لأنهم خرجوا من جماعة المسلمين

منفردين فهم أول فرقة مبتدعة في الإسلام ومن رؤسائهم ذو الخويصرة التميمي وهو الذي بال في المسجد كما قال ابن حجر في التحفة ٦١/١ ومن رؤساهم أيضا عبد الله بن الكواء وعروة بن جرير ويزيد بن أبي عاصم المحاربي وغيرهم ومن معظم ضلالتهم تحقير النبي ﷺ روي البخاري في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِي وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ فَقَالَ وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ[7] لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَقَالَ دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ

---

[7] (ائذن لي فيه) وفي رواية قاله خالد فيحتمل ان يكون كل منهما سأل ذلك. (صلاته مع صلاتهم) فانهم يظهرون الورع والتحفظ عن إضاعة الصلوة وسائر العبادات وهذا هو حال المبتدع في العصر. (يقرؤن القرآن) المسلمون كلهم يقرؤن القرآن فقرائتهم أكثر على وجه مخصوص بحمله على غير محمله. (لا يجاوز) لانهم يحملونه على غير المراد. (يمرقون من الدين) ان كان المراد به الإسلام فهو حجة لمن يكفر الخوارج ويحتمل ان يكون المراد بالدين الطاعة فلا يكون فيه حجة وإليه جنح الخطابي قاله الحافظ (الرمية) فعيلة بمعنى مفعولة وهو الصيد المرمي شبه مروقهم من الدين بالسهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرامي لا يعلق من جسد الصيد شيء (في نصله) أي حديدة السهم (ورصافه) بكسر الراء اي عصبه الذي يكون فوق مدخل النصل (نضيه) بفتح النون وهو القدح اي عود السهم قبل ان يراش وينصل (القذذ) بضم القاف وهي ريش السهم (بضعة) اي قطعة لحم (تدردر) أي تضطرب (على حين فرقة) اي زمان فرقة وهو بضم الفاء افتراق. وفي رواية للبخاري فقال اتق الله يا محمد فقال من يطع الله اذا عصيت ايأمنني الله على أهل الارض ولا تأمنوني فسأله رجل قتله احسبه خالد بن الوليد فمنعه فلما ولي قال ان من ضئضئ هذا او في عقب هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون اهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان بخاري كتاب الأنبياء ذكر عاد اخرجه مسلم ١٠٦٤ كتاب الزكوة باب ذكر الخوارج (الضئضئ) الأصل والمعدن.

يَقْرَؤُونَ ٱلْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ – وَهُوَ قِدْحُهُ – فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ ٱلْفَرْثَ وَالدَّمَ آيَتُهُم رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ ٱلْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ ٱلْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا ٱلْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ (بخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة). قوله في آخر الحديث فأتى به أي بذي الخويصرة (فتح الباري ٦١٩/٦)[٨]. وفي نسخة: ٥٢٦/٨ [منع من القتل لئلا يقال يقتل بعضهم بعضا]

---

[٨] روى البخاري عن ابن عمر ﷺ انه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول. ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان.

وروى أيضا عن ابن عمر ﷺ قال: ذكر النبي ﷺ اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا يا رسول الله وفي نجدنا، قال اللهم بارك لنا في شامنا. اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا يا رسول الله وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان" (بخاري كتاب الفتن ٧٠٩٤ وأيضا في ١٠٣٧).

القرن ناحية الرأس التي يطلع منها القرن للدواب والمراد الرأس أي يطلع منها الرأس الشيطانية والدعاوى الباطلة والدماغ الخرابية. فانه لا فرق بين قول الشيطان لا سجود الا لله الذي هو حاصل قول لم أكن لا سجد لبشر. وبين قولهم لا حكم الا لله معترضين على التقليد ولا دعاء الا لله معترضين على التوسل والاستغاثة.

في فتح الباري: كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر. وأول الفتن كان من قبل المشرق. فكان ذلك سببا للفرقة بين المسلمين وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة اهـ.

ولا شك أن النجد قرية ابن عبد الوهاب من مشرق المدينة قيل: نسب ابن عبد الوهاب هكذا ١) عبد الوهاب ٢) سليمان ٣) علي ٤) محمد ٥) أحمد ٦) راشد ٧) بريد ٨) مشرف ٩)

أَلضَّلَالَةُ ٱلْمُشْتَرَكَةُ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْمُبْتَدِعَةِ ٱلْجَدِيدَةِ

ومن ضلالتهم تأويل القرآن على غير محمله والاستبداد بالرأي في مقابلة النص وحمل ما نزل من القرآن في الكافرين على المؤمنين روى البخاري في صحيحه كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللهِ وَقَالَ إِنَّهُمْ إِنْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي ٱلْكُفَّارِ وَجَعَلُوهَا عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (بخاري ٢/١٠٢٤، باب الخوارج).

ومنها تكفير الصحابة والمسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم مثل عثمان وعلي وابن عباس وطلحة وغيرهم من عظماء الصحابة ومن تابعوهم ومنها تكفير صاحب الكبائر قال النبي ﷺ ثَلَاثٌ مِنَ أَصْلِ ٱلْإِيمَانِ الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا تُكَفِّرْهُ بِذَنْبٍ وَلَا تُخْرِجْهُ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ (أبو داود–مشكوة ١٧).

ومنها زعمهم أن الله فوض جميع الأمور إلى العباد فليس لله في أعمال العباد مشيئة.

ومنها زعمهم انه لا يحرم سوى ما ورد في قوله تعالى قُلْ لَا أَجِدُ

عمر ١٠) معضاد ١١) ريس ١٢) زاخر ١٣) محمد ١٤) علي ١٥) وهيب ١٦)ذو الخويصرة. وفي تاريخ المملكة السعودية ولد ابن عبد الوهاب ١١١٥ (١٧٠٣ م) وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليما بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد من بني تميم (تاريخ المملكة السعودية ٣٤). وفي كتاب محمد بن عبد الوهاب تاليف أحمد عبد الغفور عطار نسبه الى وهيب فقط.

واما التاريخ الذي يدل عليه قولنا – قد طلع قرن الشيطان من نجد سنة ١١١١فقاله دحلان: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي قال: أتاكم أهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الإيمان يمان والحكمة يمانية. متفق عليه (مشكوة ٥٨٢). ولا شك ان أبا الحسن الأشعري يمان. فالطريقة الأشعرية مما مدحه صلى الله عليه وسلم والطريقة النجدية مما ذمه صلى الله عليه وسلم.

فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ (أنعام ١٤٥). وما سوى ذلك فكله حلال عندهم.

ومنها زعمهم بجواز تزويج المسلمات من مشركي قومهم من أصحاب الكبائر.

ومنها إنكارهم الشفاعة وعذاب القبر والرجم عن الزاني المحصن.

ومنها تجويز تأخير الصلاة عن وقتها والصوم والفطر قبل رؤية الهلال.

ومنها عدم تجويز الصلاة في الخفاف والمسح عليها.

ومنها زعم أن الصلاة المكتوبة ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي وغير ذلك. وتفرق هذه الفرقة الأقلية الخوارجُ خمس عشر فرقة لكل منهم مذهب مخالف لمذهب صاحبه في أصول الشريعة وفروعها ومع ذلك كله حفظ الله شريعة الإسلام كما وعد إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر ٩) وقابل الخوارج جماهير المسلمين وعارضهم جماعتهم الملازمون لصراط الصحابة حتى خذل الله تعالى الخوارج وانتشر الإسلام في آفاق الأراضي وأطرافها وتحقق قول الله عز وجل - وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا (النور ٥٥).

إِبْتِدَاءُ الشِّيعَةِ

ثم أراد عبد الله بن سبأ اليهودي ومن تبعه مزاحمة هذا الدين وتحريفه بالنفاق والتظاهر بالإسلام لأنه عرف هو وأتباعه أنه لا يمكن محاربة هذا الدين وَجْهًا لِوَجْهٍ والوقوف في سبيله

جيشا لجيش فان أسلافهم مثل بني قريظة والنضير لم يفوزوا بهذا الطريق فسعوا للحيلة فدخلوا في صف المسلمين وخطئوا صراط الصحابة وجعلوا عليا ترسا لهم يتظاهرون بحبه وبخلافته وإمامته وعلى بريء منهم فعظموا عليا فوق مرتبته وحقروا أبا بكر وعمر وعثمان ومن تابعهم وقالوا إن الخلافة بعد النبي ﷺ مستحق لعلي وأولاده وهذه الفرقة المتبدعة هم الشيعة لأنهم شايعوا عليا ﷺ وأولاده وقالوا بإمامتهم وخلافتهم وزعموا أن الإمامة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية منحصرة في علي وأولاده ومن رؤسائهم عبد الله بن سبا كان يهوديا ثم اظهر الإسلام ومختار بن أبي عبيد الثقفي كان خارجيا ثم صار شيعيا وبيان بن سمعان التميمي.

ومن معظم ضلالتهم تحقير النبي ﷺ حتى قال بعضهم إن عليا هو النبي وان جبريل غلط في نزول الوحي.

ومنها تشبيه الباري تعالى بالمخلوق حتى قال بعضهم إن الله على صورة إنسان وانه يهلك كله إلا وجهه.

ومنها تخطئة جماهير الصحابة والعدول عن صراطهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان واتباعهم رضي الله عنهم.

ومنها تأويل القرآن على غير تفسير الصحابة والاستبداد بالرأي مثلا قالوا في تفسير قوله تعالى: هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ (البقرة ٢١) أراد به عليا فهو الذي يأتي في الظلل وفي تفسير قوله تعالى: لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ (المائدة ٩٣) إن من وصل إلى مرتبة الإمام ارتفع عنه الحرج في جميع ما

يطعم ووصل إلى الكمـــال.

ومنها إهمال الطـــلاق الثـلاث فــلا يعدونـــه شيئـــا الا كـــالطلاق الواحد ومنها المقصود بــــالذات في الشريعـــة الخلافـــة والإمامـــة وبقيـــة أمور الدين كالصلاة والصوم كلها وســـيلة إليـــهما.

ومنها ميلهم إلى الاعـــتزال في بعــض الأصــول فصــار بعضـــهم في زمن الاعتزال معتزليا وتفرقت هذه الفرقـــة الأقليـــة اثـــني عشـــر فرقـــا منهم الرافضة والغالية والطيارة وغـــيرهم لكـــل منـــهم مذهـــب مخـــالف لمذهب صاحبه والسبب الباعث لهـــم علـــى الدخـــول في هـــذه البدعـــة الانسلال من الدين واستنباط تدبير يخفف عنـــهم مـــا نـــابهم مـــن تدبـــير الشريعة الإسلامية فاجتهدوا سبيلا لهـــم بـــأن ينتحلـــوا عقيـــدة بعـــض المسلمين أزكاهم عقلا وأتحفهم رأيـــا كعلـــي بـــن أبي طـــالب ﷺ مثـــلا فيتحصنوا بالإنتساب اليه ويتوددوا اليه بالحزن علـــى مـــا جـــرى بينـــه وبين بقية المسلمين من القتال وغـــيره ليمكنـــهم شتـــم القدمـــاء الذيـــن نقلوا اليهم الشريعة فاذا هان اولئك عنـــد المســـلمين لم يلتفتـــوا الى مـــا نقلوا فامكن استدراجهم عن الدين بمقتضي شـــهواتهم فـــان بقـــي منـــهم معتصم بظواهر القرآن والاخبار اوهموا ان تلـــك الظواهـــر لهـــا اســـرار وبواطن وان المتمسك بظواهرهما احمق وانما الفطنـــة في اعتقـــاد بواطنـــهما ثم يبثون اليهم عقائدهم ويزعمـــون انهـــا المـــراد بظواهرهـــا عندكـــم ثم يختارون رجلا ممن يساعد على المذهب ويقولـــون انـــه مـــن أهـــل البيـــت ويجب على كل الخلق متابعتـــه ويتعـــين عليـــهم طاعتـــه لكونـــه خليفـــة رسول الله ﷺ ومعصوما عن الخطأ والزلل من جهـــة الله وقصدهـــم بهـــذا الملكُ والإستيلاء على أموال الناس ومـــع ذلـــك كلـــه حفـــظ الله تعـــالى الإسلام في جميع انحاء العـــالم.

إِبْتِدَاءُ الْمُعْتَزِلَةِ

لما اجتمع الثقافات المختلفة في آخر ايام الصحابة خرج قوم يقدمون عقولهم الناقصة على الشريعة الإسلامية. فاولوا القرآن والأحاديث على غير تفسير الصحابة والتابعين بحسب شهواتهم الغالبة تحريفا وانسلالا من الدين ولما نقلت كتب الفلسفة اليونانية الى لغة العرب طالعها شيوخ هذه الطائفة في أيام الخليفة المامون فاولوا القرآن والأحاديث بحسب الفلسفة اليونانية وهذه الفرقة المبتدعة هم المعتزلة لأنهم اعتزلوا جماعات المسلمين ويسمون انفسهم اصحاب العدل والتوحيد لغلوهم في التوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية ومن رؤسائهم معبد الجهني وواصل بن عطاء وأبوا هذيل العلاف وإبراهيم بن سيار النظام وغيرهم. روى مسلم عن يحي بن يعمر كَانَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصَرةِ مَعْبَدُ الْجُهَنِي فَسَئَلَ ابْنَ عُمَرَ عَنْ هَـذَا الرَّجُلِ بَعْضُ أَهْلِ الْبَصَرَةِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ ﴿ إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُمْ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ (مسلم ١/٢٧ كتاب الإيمان).

أَلضَّلَالَةُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُبْتَدِعَةِ الْجَدِيدَةِ

من معظم ضلالتهم نفي الصفات القديمة عن الله تعالى وتنقيصه سبحان الله عما يصفون ونسبة المسلمين المتبعين لها الى الشرك حتى جعلوا جماهير المسلمين مشركين وقالوا ان الله عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة قائمة بذاته تعالى وقالوا ان كلامه محدث مخلوق في

المحل وأنكروا السمع والبصر والإرادة من صفات الله وقالوا لو شاركه الصفات في القدم لشاركته في الألوهية وقالوا قد كفرت النصارى بإثبات ثلاثة من القدماء فما بال أهل الثمانية؟ فأكثر جماهير المسلمين مشركون كالنصارى[٩].

ومنها انكار القدر من الله حتى كذبوا ابن مسعود ﷺ في رواية "السَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ" وانكروا رؤية الله حتى في الآخرة ومنها إيجاب أمور لله كالأصلح للعبد.

ومنها انكار الخلق عن الله في افعال العباد وقالوا ان العبد خالق لافعاله خيرها وشرها حتى كفروا من قال ان أعمال العباد مخلوقة لله تعالى وغلوا في التكفير حتى قال بعضهم المسلمون كافرون في قولهم لا اله إلا الله وقد سأل ذلك البعض إبراهيم بن السندي مرة عن أهل الأرض جميعا فكفرهم فاقبل عليه ابراهيم وقال الجنة التي عرضها السموات والأرض لا يدخلها الا أنت وثلاثة وافقوك فبهت.

ومنها تحقير النبي ﷺ وتكذيبه فيما يخالف عقولهم الواهية والاستبداد بالراي وتأويل القرآن والأحاديث على غير تفسير الصحابة وصراطهم حتى انكروا شفاعة النبي ﷺ وبقية الأنبياء والأولياء وكذبوا ابن مسعود ﷺ في روايته حديث انشقاق القمر وانكروا معراج النبي ﷺ في اليقظة بشخصه وجسمه منا سبا لدعوى الفلاسفة من ان الخرق والالتئام في الفلك محال. وذهبوا الى تحقير الانبياء عن مرتبة الملئكة وزعموا ان الجنة والنار غير مخلوقتين الآن وأولوا الآيات والأحاديث الدالة على انهما مخلوقتان بناء على دعوى الفلاسفة من ان العالم الجسماني معلاصق من

---

[٩] والظاهر انه لا يلزم من وجود صفات الكمالات المكثورة لاله واحد او لشخص واحد كثرة الالهة والاشخاص.

ثلاث عشر كرة اعلاها الفلك الاطلس وليس فوقها خلأ ولا ملأ ثم فلك الثوابت ثم السموات السبع ثم كرة النار ثم كرة الهواء ثم كرة الماء ثم كرة الأرض فالجنة والنار عرضهما كعرض السموات والارض ليستا فوق الفلك الاطلس وليس هناك خلأ ولا فراغ وليستا تحته لان كرات العالم متلاصقة بعضها ببعض وانكروا الجن وبقاء الجنة والنار حتى زعموا فنائهما. ومنهم من يزعم ان اهل النار لا يخلدون فيها عذابا بل يصيرون الى طبيعة النار. وانكروا الميزان والوزن والكتاب المثبت فيه طاعات العباد ومعاصيهم وانكروا الصراط واولوا الآيات والأحاديث الدالة عليها على غير صراط الصحابة.

ومنها تحقير الصحابة والتابعين حتى زعموا انه لا يجوز قبول شهادة علي وطلحة وزبير على شيء حقير ومال بعضهم إلى الشيعة حتى زعموا أن عمركتم نص النبي ﷺ في استخلاف علي وعابوا عثمان من رده حَكَمَ ابن أمية الى المدينة وهو طريد رسول الله ﷺ ونفيه ابا ذر الى الربذة وهو صديق رسول الله ﷺ وتقريره الوليد بن عقبة الكوفة وهو من افسد الناس.

ومنها تحقير الأولياء بإنكار الكرامات لهم وقالوا لو جاز ظهور خوارق العادات من الأولياء لاشتبه بالمعجزة ولم يتميز النبي من غير النبي. ومنها تحقير القرآن حتى قالوا اعجاز القرآن من حيث الاخبار عن الامور الماضية والآتية ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا حتى لو خلاّهم لكانوا قادرين علي أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظما.

ومنها انكار الإسلام والإيمان عن المسلمين حتى زعموا ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر واثبتوا المنزلة بين المنزلتين بناء على ان الاعمال عندهم جزأ حقيقي من حقيقة الإيمان ومنها انكار الإجماع والقياس حتى قالوا ان الإجماع ليس بحجة في الشرع وكذلك القياس في

الأحكام الشرعية لا يجوزان يكون حجة وإنما الحجة في قول الامام المعصوم. ومنها انكار تصدق الاحياء عن الأموات ودعائهم لهم حتى زعموا الهما لا ينفعان للاموات.

ومنها انكار عذاب القبر حتى قالوا ان الميت جماد لاحياة له ولا ادراك له فتعذيبه محال وافترقت المعتزلة عشرين فرقة لكل منهم مذهب مخالف لمذهب صاحبه منهم الواصلية والهذيلية والنظامية والجاحظية والجبائية وغيرهم.

فأصول الفرقة المبتدعة الخوارج والمعتزلة والشيعة ويتشعب عن كل فرقة اصناف فتصل الى ثنتين وسبعين فرقة يكفر بعضهم بعضا او يضلل او يفسق كما قال صلى الله عليه وسلم إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي (ترمذي ٨٩/٢ باب افتراق هذه الامة)[١٠]: بين العلماء اسماءهم وتواريخهم ودعاويهم المذكورة من قبل ونصوا بأنهم مبتدعة كما في الشرواني ٢٣٥/٢ كتاب الجماعة نقلا عن شرح بافضل لابن حجر الهيتمي رح

[١٠] وروي الترمذي أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة او اثنتين وسبعين فرقة والنصاري مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.

وقال الترمذي رح: في الباب عن سعد وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك. حديث ابي هريرة حديث حسن صحيح اهـ.

وأخرجه ابو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه، ونقل المنذري تصحيح الترمذي واقره.

واما الرواية التي في الكتاب فقال الترمذي عنه حديث حسن غريب وفي سنده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف، فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب.

وكما في الغنية للشيـــخ عبـــد القـــادر الجيـــلاني (٤٧٠ - ٥٦١) وكمـــا في شرح العقائد ١٤٦، في اواخـــره لســـعد الديـــن التفتـــازاني وكمـــا في الملـــل والنحل لشهرستاني(٤٦٧ - ٥٤٨)وكما في الفرق بين الفـــرق لعبـــد القـــادر البغدادي الاسفرايني المتوفى ســـنة ٤٢٩).

حَاصِلُ بِدْعَةِ كُلِّ فِرْقَةٍ

حاصل بدعة كـــل فرقـــة منـــهم يرجـــع الى تحقـــير مـــا عظمـــه الله والى الاستبداد بالرأي في مقابلة النص والعـــدول عـــن صـــراط الصحابـــة وتكفـــير جماهير المسلمين؛ ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ (البقرة ١١٨) فكل من اتبعهم في هذه الامور المحدثة مـــن أهـــل هـــذا الزمـــان ومن كل زمان مبتدعون ويكون بدعتهم داخلة في بدعـــة المتقدمـــين ومتفرعـــة عنها فلا يزيدون على ثنتين وســـبعين ولا يكـــون هـــؤلاء المبتدعـــة موافقـــين للصحابة وهم باجمعهم لا يقبلون ما روى عـــن الصحابـــة في أحكـــام الشريعـــة من اجل تحقيرهم هـــم ومـــن اجـــل تحقـــيرهم نقلـــة الاخبـــار والآثـــار ورواة التواريخ والسير وفقهاء الأمة الذين ضبطوا آثار الصحابـــة وقاســـوا فروعـــهم على فتاوى الصحابة ولم يكـــن بحمـــد الله في الخـــوارج ولا في الشيعـــة ولا في المعتزلة ولا في ســـائر أهـــل الأهـــواء إمـــام في الفقـــه ولا في الحديـــث ولا في الوعظ والتذكير ولا في التأويل والتفســـير ولا موثـــوق بـــه في نقـــل المغـــازي والسير والتواريخ وانما كانت أئمة هذه العلوم الخصوص والعمـــوم مـــن أهـــل السنة والجماعة وأهل الأهواء اذا ردوا الروايـــات الـــواردة عـــن الصحابـــة في أحكامهم وسيرهم لم يصح اقتداءهم بهم وان المقتديـــن بالصحابـــة مـــن يعمـــل بما قد صح بالرواية الصحيحة في أحكامهم وسيرهم وذلك ســـنة أهـــل الســـنة وتحقق به نجاتهم لحكم النبي ﷺ بنجاة المقتديـــن باصحابـــه.

ثم ان المبتدعة من المتقدمين والمتاخرين يكفر بعضـــهم بعضـــا او يضلـــل او

يفسق كما تقدم بخلاف أهل السنة والجماعة فليس بينهم فيما اختلفوا فيه من الفروعيات تكفير ولا تضليل ولا تفسيق. ويجمعهم تعظيم ما عظمه الله وتحقير ما حقره الله ولزوم الصراط المستقيم صراط الصحابة والتابعين وجماعة المسلمين وتوحيد الصانع وقبول قدمه وقدم صفاته الأزلية من غير تشبيه ولا تعطيل مع قبول القرآن وما صح من سنة رسول الله ﷺ وتفسيرهما على تفسير الصحابة والتابعين واعتقاد الحشر والنشر والميزان والكتاب والصراط والشفاعة والمعجزة والكرامة ودخل في هذه الجملة جماهير الأمة وسوادها الأعظم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي رضي الله عنهم.

ثم ان المبتدعة لم يزالوا يجتهدون غاية الجد والجهد لنشر بدعتهم وضلالتهم والسيطرة على أهل السنة والجماعة ولم يزالوا موقنين ان قوامهم لا يحصل بدون الأمراء والقادة والحكومة وتشمروا لذلك فنشروا بدعتهم بواسطة بعض السلاطين والحكومات والظلم على أئمة الحق وأهل السنة وأكثروا الفساد في البلاد وقتلوا النساء والأولاد كما هو دأب المبتدعين في كل زمان. ومع ذلك عارضهم السواد الأعظم أهل السنة وناظروهم في كل زمان حتى خذلهم الله تعالى كما جاء عن معاوية قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ (متفق عليه، مشكوة ٥٨٣/٢).

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ[1]

قال تعالى "إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ۝ (الفاتحة).

نص الآية يدل على أن الصراط المستقيم. الذي امرنا الله تعالى ان ندعو بها في كل ركعات الصلاة هو صراط المنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، اعني المرضى عنهم والمهتدين وهو صراط اهل السنة والجماعة. ونبين هذا بالآيات والأحاديث الصحيحة.

قد بين الله سبحانه وتعالى المنعم عليهم بقوله "وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (النساء ٦٩) فالمنعم عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وبين الله تعالى المرضى عنهم (غير المغضوب عليهم) بقوله وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (التوبة ١٠٠) وبين الله تعالى المهتدين (ولا الضالين) بقوله تعالى" وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (البقرة ١٩٨) فالمرضى عنهم هم المهتدون السابقون في الإسلام من الصحابة المهاجرين والأنصار ومن اتبعوهم من بقية التابعين والأئمة العظام فالصراط المستقيم هو صراط النبي وصراط الصحابة والتابعين الذين فهموه من النبي ﷺ كما بينه تعالى في قوله لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (البقرة ١٤٣) وصراط الأئمة المجتهدين من أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأشعري والماتريدي هو صراط النبي والصحابة والتابعين لأنهم فهموا أحكام الدين الإسلامي من

[1] وَكُلٌّ يَدَّعِي وَصْلاً بِلَيْلَى ۞ وَلَيْلَى لاَ تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَا

أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته ومــن الصحابــة الذيــن هــم شــهداء علــى الناس ومن التابعين كما يظهر ذلك لمطــالع كتبــهم فطريــق الأئمــة الســتة المذكورة هو طريق أهل السنة والجماعة وهـــم المــهتدون والمقتــدون فســروا القرآن والسنة وعملوا بهما كما فسر النبي ﷺ والصحابــة والتــابعون وعملــوا الذين هم الجماعة.

والإختلاف الاستنباطي بين تلك الأئمـــة هـــو الإختـــلاف الفرعـــي بـــين الصحابة[٢] واما مذاهب بقية المجتهدين والأئمــة فموافقــة وداخلــة في مذاهــب

---

[٢] فقد جعل الله الإختلاف في الكون سنة كونية تدل على عظمـــة الله في خلقــه. وتدعــو أصحــاب العقول إلى التفكر والتأمل. قال تعالى (إن في خلق الســماوات والأرض واختــلاف الليــل والنــهار لآيات لأولى الألباب) [آل عمــران ١٩٠]. وهــذ الإختــلاف يشمــل الليــل والنــهار والثمــار والأشجار، والجبال. والأنهار والبحار والدواب والأنعــام والحيوانــات، والنــاس وكــل الكائنــات. قال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرج به ثمرات مختلفــا ألوانهــا، ومــن الجبــال جــدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلــف ألوانــه كذلــك إنمــا يخشى الله من عباده العلماء) [فــاطر].

غير أن الإختلاف حكمته التنوع والتعــدد لأجــل التمــايز بــين الأشيــاء والتعــارفبــين البشــر. والتعاون بينالإنسانليكمل بعضهم بعضا في إعمــار الأرض واســتخلاف الكــون وفــق مــا أمــر الله تعالى قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثــى وجعلنــاكم شعوبــا وقبــائل لتعــارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم). [الحجرات ١٣]. وقــال (نحــن قســمنا بينــهم معيشتــهم في الحيــاة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضــهم بعضــا ســخريا – زخــرف ٣٢)

أن الإختلاف بهذا المعنى آية من آيات الله فقال (ومــن آياتــه خلــق الســموات والأرض واختــلاف ألسنتكم والوانكم) [الــروم ٢٢].

وإن هذا الإختلاف بين البشر سنة باقية ما شاء الله لها أن تبقى قال تعــالى (ولــو شــاء ربــك لجعــل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين) [هود ١١٨]. ولا يجــوز بحــال مــن الأحــوال أن يتحــول هذا الإختلاف إلى شقاق يؤدى إلى القطيعــة. أو تنــازع يوصــل إلى الــنزاع. فقــد نهــى الله عــن التنازع قال (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكــم) [الأنفــال ٤٦].

تلك الأئمة الستة أو تلك الأقوال المذكورة الخارجة من المذاهب الستة غير محررة عند قائلها او عند ناقلها وقد يكون غير منقولة عن أصل ثابت وقد يكون القائل راجعا عن ذلك القول ولم يستمر عليه فلم يكن سبيل المؤمنين فيجب علينا ان نحسن الظنّ بهم وان نتبعهم.

فمن سب الصحابة الذين هم شهداء على الناس والرسول شهيد عليهم وعدل عن صراطهم فليس صراطه صراطا مستقيما وليس من أهل السنة والجماعة كما بينه الإمام الرازي(٩٠٩ء)في تفسير قوله تعالى والسابقون الخ "واعلم أن الآية دلت على ان من اتبعهم انما يستحقون الرضوان والثواب بشرط كونهم متبعين لهم بإحسان وفسرنا هذا الإحسان باحسان القول فيهم والحكم المشروط بشرط ينتفي عند انتفاء ذلك الشرط فوجب ان من لم يحسن القول في المهاجرين والأنصار لا يكون مستحقا للرضوان من الله تعالى وأن لا يكون من أهل الثواب لهذا السبب فان أهل الدين يبالغون في تعظيم أصحاب رسول الله ﷺ ولا يطلقون السنتهم في اغتيابهم وذكرهم بما لا ينبغي (رازي ١٧٦/١٦) وكما بينه الإمام الرازي أيضا في تفسير قوله"إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم" يدلّ على امامة ابي بكر ؓ لانا ذكرنا ان تقدير الآية اهدنا صراط الذين انعمت عليهم والله تعالى قد بيّن في آية اخرى ان الذين انعم الله عليهم من هم فقال (فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية) ولا شك ان رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر الصديق

وبرأ نبيه صلى الله عليه وسلم من يفرق أمر الأمة ويحدث الشقاق بين صفوفها فقال (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) [الأنعام ١٥٩].

هذا وان بعضا من المسلمين – هداهم الله جعلوا من إختلاف الآراء نقمة. إذ إعتمدوا على ظاهر بعض الأقوال وجعلوها مذهبا لهم وتعصبوا لها. وأوصلهم تعصبهم إلى أن صاروا يكفرون من لا يرى رأيهم. ويرمونهم بالخروج من الدين.

ﷺ فكان معنى الآية ان الله امرنا ان نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر الصديق وسائر الصديقين ولو كان أبو بكر ظالما لما جاز الإقتداء به فثبت بما ذكرناه دلالة هذه الآية على امامة أبي بكر (رازي ٢٦٠/١) وقال ابن كثير(٧٧٤)نفسه في تفسير قوله تعالى (والسابقون الأولون الخ) فقد أخبر الله العظيم قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: فيا ويل من ابغضهم او سبهم او ابغض أو سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وافضلهم اعنى الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة ﷺ فان الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون افضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذا بالله من ذلك وهذا يدل على ان عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن اذ يسبون من رضي الله عنهم واما اهل السنة فانهم يترضون عمن رضي الله ويسبون من سبه الله ورسوله ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدؤن ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون (ابن كثير٢/٣٨٤).

وقال أبو السعود (٨٩٨ - ٩٨٢) في تفسير قوله تعالى (والسابقون الأولون) المراد بالسابقين جميع المهاجرين والأنصار (تفسير ابي السعود ٤٤١/٢) وقال الإمام السيوطي(ت: ٩١١)مبينا معنى (الذين انعمت عليهم) اخرج ابن جرير عن إبي زيد في قوله تعالى (صراط الذين) قال "النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه" (الدر المنثور١٠/٤١).

فكلما نقلنا من تفاسير الأئمة العظام يدل على ان الصراط المستقيم هو صراط النبي وصراط الصحابة والتابعين وهذا هو المفهوم من الأحاديث النبوية أيضا. عن عمران بن حصين ﷺ قال قال رسول الله ﷺ خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ (مسلم ٣٠٩ باب فضل الصحابة) وقال ﷺ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ

أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ (مسلم - بخاري ٢٩٢/٢ سندي) وقال ﷺ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلٰثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي (ترمذي ٨٩/٢، باب اختلاف هذه الامة).

وفي رواية أحمد وأبي داود عن معاوية ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ (ابو داود ٢٨٣/١، مشكوة ٣٠)[٣] وقال ﷺ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ (ابن ماجه ٢٨٧) قال ﷺ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَي اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ (ابو داود ٢٨٧/٧).

فكل هذه الأحاديث تأمرنا باتباع سنة النبي ﷺ واتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين وسنة بقية الصحابة من المهاجرين والأنصار – وأصل العطف للمغايرة فسنة الصحابة ما استنبطوه من سنة النبي ﷺ فهي ايضا سنة النبي من حيث الماهية والكلية وسنة الصحابة من حيث التشخص والجزئية كمداومة الصحابة على جماعة صلاة التراويح استنبطوها من سنة

---

[٣] وفي تنبيه الغافلين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افترقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على اثنين وسبعين فرقة احدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة قالوا يا رسول الله ما هذه الواحدة قال اهل السنة والجماعة. تنبيه الغافلين ٦١٢/٢ ففيه التصريح بتسمية أهل السنة والجماعة وهو المراد بما انا عليه واصحابي فالمراد بما انا عليه السنة والمراد باصحابي الجماعة. قال الله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه أي تبيض وجوه أهل السنة والجماعة كما في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن ٣٠٧/٢، در المنثور ٦٢/٢، جامع احكام القرآن ١٦٧/٤، تيسير العلي الكبير لابن كثير ٣٥٥/١، تفسير المنير ٣٧/٤، معالم التنزيل ١٧٩، فتح القدير ٤٥١، تفسير المظهري ١١٦/٢، رازي ١٥٨/٨. فالمراد بقول" فسموا أهل السنة والجماعة" أي اشتهروا بذلك الاسم والا فكان ذلك الاسم قبله.

النبي ﷺ فهي سنته من حيث الماهية وسنتهم من حيث التشخص وكمداومتهم على أذاني الجمعة استنبطوها من سنة النبي ﷺ ايضا فهو ايضا سنة النبي ﷺ من حيث الماهية قال السندي (قوله والأمور المحدثات) قيل أريد بها ما ليس له أصل في الدين واما الامور الموافقه لاصول الدين فغير داخله فيها وان أحدثت بعده صلى الله عليه وسلم قلت هو الموافق لقوله وسنة الخلفاء - فليتأمل - سندي.

وسنة الصحابة مأمور باتباعها وليست بدعة مهجورة بل سنة متبوعة حيث لم يكف ﷺ في بيان الملة الناجية "بما أنا عليه" بل ضم معه قوله" وأصحابي" ولم يكف ﷺ "بسنتي" بل ضم معه "وسنة الخلفاء الراشدين" فمن عدل عن سنة الصحابة وسبهم فليس صراطه صراطا مستقيما وليس من أهل الجماعة بل هو من أهل البدعة وينبغي الإجتناب عنهم وعن صراطهم قال ﷺ عن أبي ذر ﷺ مَنْ فَارَقَ اْلجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ اْلإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ (ابو داود ٣٠٧/٢ باب قتل الخوارج). ويقول سفيان "مَنْ زَعَمَ أَنْ عَلِيًّا كَانَ أَحَقَّ بِالْوِلَايَةِ مِنْهُمَا فَقَدْ خَطَّأَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَاْلمُهَاجِرِينَ وَاْلأَنْصَارَ وَمَا أُرَاهُ يَرْتَفِعُ لَهُ مَعَ هَذَا عَمَلٌ إِلَى السَّمَاءِ (ابو داود- كتاب السنة- باب في التفضيل ٢٨٨/٢).

قال الإمام مسلم في صحيحه عن ابن سيرين قال "لَمْ يَكُونُوا يَسْئَلُونَ عَنِ اْلإِسْنَادِ فَلَمَّا وَقَعَتِ اْلفِتْنَةُ قَالُوا سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ اْلبِدَعِ فَلَا يُأْخَذُ حَدِيثُهُمْ (مسلم ١١/١).

قال صلى الله عليه وسلم يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ اْلأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَائُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ (مسلم ١٠/١) قال محمد سمعت علي بن شقيق يقول سمعت عبدالله بن المبارك يقول

على رؤس الناس دَعُوا حَدِيثَ عَمْرِو بْنِ ثَـابِتٍ فَإِنَّـهُ كَـانَ يَسُـبُّ السَّلَفَ (مسلم ١/٨٩ باب بيان ان الاسـناد في الديـن).

فهذه الأحاديث تنادى بأن الفرقـة الناجيـة (الذيـن هـم أهـل السـنة والجماعة) هم متبعو سنة النبي ﷺ وسنة الصحابة وبأن الفرقـة المخطئـة لسـنة الصحابة هم المبتدعة والضالة وهو المفاد من كلام الأئمـة العظـام أيضـا قـال الشيخ محي الدين عبد القادر الجيـلاني (٥٦١) أَلسُّـنَّةُ مَـا سَـنَّهُ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْجَمَاعَةُ مَا اتَّفَقَ عَلَيْـهِ أَصْحَـابُ رَسُـولِ اللهِ فِي خِلَافَـةِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَـهْدِيِّينَ (غنيـة ١٠/٩٠).

وقال ابن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤) هو (أي المبتـدع) مـن خـالف في العقائد ما عليه أهل السنة مما كان عليـه النـبيﷺ وأصحابـه ومـن بعدهـم والمراد بهم في الأزمنة المتأخرة اماماها أبـو الحسـن الأشعـري وأبـو منصـور المـاتريدي واتباعـهما (تحفـة ١٠/٢٣٥) وقـال سـعد الديـن التفتـازاني (١٣١٢-١٣٨٩) انهم (المعتزلة) اول فرقة اسـسوا قواعـد الخـلاف لمـا ورد به ظاهر السنة وجرى عليـه جماعـة الصحابـة ﷺ في بـاب العقـائد (شـرح العقائد ٥).

وقال السعد أيضـا - فـاشتغلَ (الأشعـري) ومـن تبعـه بابطـال رأي المعتزلة واثبات ما ورد به السنة ومضى عليـه الجماعـة فسـموا أهـل السـنة والجماعة (شرح العقـائد ٦).

وقال القليوبي (١٦٥٩م) المبتدع من يخـالف مـا عليـه الإمامـان أبـو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي لأنهمـا علـى مـا كـان عليـه النـبي وأصحابه رضي الله عنهم (قليـوبي ٤/٣٢٢) قـال العيـني (٨٥٥) في شـرح البخاري روي عن الحسن البصري انـه قـال ادركـت سـبعين بدريـا مـن الصحابة كلهم يرى المسح على الخفين ولهـذا رآه أبـو حنيفـة مـن شرائـط أهل السنة والجماعة فقال نحن نفضل الشيخين ونحـب الختنـين ونـرى المسـح

على الخفين ولا نحرم نبيذ التمر وروي عنه انه قال ما قلت بالمسح حتى جاءني مثل ضوء النهار فكان الجحود ردا على كبار الصحابة ونسبة اياهم الى الخطأ فكان بدعة ولهذا قال الكرخي اخاف الكفر على من لا يرى المسح على الخفين والأمة لم تختلف ان رسول الله ﷺ مسح (عمدة القاري ٨٥٠ باب المسح على الخفين).

مَدَارُ ٱلبِدْعَةِ

فظهر مما نقلنا من كلام الأئمة العظام ان الفرقة المخطئة لصراط الصحابة هم المبتدعة الضالة المضلة ضد أهل السنة والجماعة وهو المفهوم من الآيات والأحاديث المتقدمة كما سبق منا تفصيله[٤] كتخطئة إجماع أبي بكر ومن معه من الصحابة العظام الكثيرة على امامة أبي بكر الصديق ﷺ وقد روي البخاري في صحيحه فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ (أي ابي بكر ﷺ) فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ (بخاري ٥١٨/١ كتاب المناقب).

وكتخطئة إجماع عمر ومن معه من الصحابة في عدد ركعة التراويح واعتقاد الهم زادوا وابتدعوا من الثمانية الى العشرين وروي البيهقي أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُومُونَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِعِشْرِينَ رَكْعَةً وصحح اسناده النووي في شرح المهذب ٣٢/٤)[٥].

---

[٤] فالحاصل هذه الطائفة الفلانية التي تدعى هكذا وهكذا مخطئة للصحابة وكل مخطئة للصحابة مبتدعة فهذه الطائفة مبتدعة وليسوا من أهل السنة والجماعة. فالمراد بهذه الجمل اثبات الصغرى وتقدم اثبات الكبرى.

[٥] وفي شرح الصدر قال ابو زرعة الرازي قبض رسول الله عن ماة ألف وأربعة عشر الفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه وقال الحافظ في الاصابة بعد ان ذكر من سعة الحفاظ "ومع ذلك فلم يحصل لنا جميعا من الوقوف على العشر من اسماء الصحابة بالنسبة الى ما جاء عن ابي زرعة الرازي فانه قال توفى النبي ومن رواه، وسمع منه زيادة على ماة ألف من رجل وامرأة كلهم قد روى عنه سماعا او رواية. وفي بعض حواشي المشكوة ان الذين قدموا المدينة عام

وكتخطئة إجماع عثمان ومن معه من الصحابة في أذاني الجمعة.واعتقاد انهم زادوا وابتدعوا في الجمعة اذانا وروي البخاري في صحيحه سنة عثمان في اذاني الجمعة (بخاري ١/١٢٤).

وكتخطئة سنة علي ومن معه في وضع اليد تحت الصدر في الصلاة واعتقاد انهم ابتدعوا هيئة جديدة في الصلاة روي ابو داود سنة علي في وضع اليد تحت الصدر (ابو داود ١١٠ باب وضع اليمنى على اليسرى) وقال تحفة الأحوذى نفسه ٢/٨٩ الحديث صحيح أو حسن)[٦].

ونسبة الصحابة الى الضلالة في الجهاد الإسلامية[٧] وغيرها. قال ﷺ لا تسبوا أصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه (بخاري ٢/٢٩٢ سندي). وكتخطئة الصحابة في المتسح على الخفين وقال الحسن البصري ادركت سبعين بدريا من الصحابة كلهم يرى

حجة الوداع لما اذن النبي ﷺ بالحج كانوا اكثر من الحصر ولم يتعين عددهم وقد بلغوا عنده غزوة تبوك التي هي آخر غزواته ماة ألف وحجة الوداع كانت بعد ذلك ولا بد ان يزدادوا فيها ويروي انهم ماة واربعة عشر ألفا وفي رواية واربعة وعشرون الفا - فعلى هذا لا يقل عدد الصحابة في زمان عمر عن ماة الف. والله أعلم.

[٦] عن جرير الضبي قال رأيت عليا يمسك شماله بيمينه على الرسغ فوق السرة (أبو داود، نسخة ابن العربي). قال القسطلاني السنة أن يجعلهما تحت صدره لحديث عند ابن خزيمة انه وضعهما تحت الصدر (قسطلاني ١/٧٥). وفي الاعانة للسيد البكري: روى ابن خزيمة عن وائل بن حجر انه قال صليت مع النبي ﷺ فوضع يده اليمنى على يده اليسرى تحت صدره (اعانة ١/١٣٥).

[٧] يزعم بعض الناس هكذا بسا اوقات صحابة رضي الله عنهم پرهى بشري كمزوريون كاغلبه هوجاتاها اوروه ايك دو سرى پر جوٹين كرجاتي ههى. تفهيمات جنورى ١٩٧٩ .للمودودى: وكذا في ترجمان القرآن ٤/١٢.

حضرت عثمان كى پاليسي كا يه پهلو بلا شبه غلط تها اور غلط كام جو هر حال غلط هى وه كسى كا هو (خلافت وملوكية ١١٦).للمودودى:

المسح على الخفين الخ (عمدة القاري ١/٨٥٠). وكتخطئة عمرو من معه من الصحابة في امضاء الطلاق الثلاث. ثلاثا روي مسلم في صحيحه ان عمر امضى الطلاق الثلاث ثلاثا روى مسلم في صحيحه ان عمر أمضى الطلاق الثلاث ثلاثا (ش/٤٧٧) وكرد الصحابة في الخطبة العربية في الجمعة مع كون المستمعين أعجميين قال ابن حجر الهيتمي المكي وغيره من المؤرخين والعلماء العظام ان اتباع السلف والخلف كون خطبة الجمعة بالعربية وان كان المستمعون اعجميين - شرح بافضل وروي البخاري في صحيحه قال ﷺ صَلوُّا كَمَا رَأَيْتُمُوْنِي أُصَلِّي (١/٨٨ باب الاذان للمسافر).

وكتخطئة الصحابة في التبرك بالنبي وآثاره مثل شعره وعرقه وجبته ووضوئه وقد روي عن اسماء أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ[٨] كِسْرَوَانِيَّةٍ[٩] لَهَا لِبْنَةُ[١٠] دِيبَاجٍ وَفَرْجَيْهَا[١١] مَكْفُوفَيْنِ بِالدِّيبَاجِ فَقَالَتْ هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا وَكَانَ النَّبِيُّ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا (مسلم ٢/١٩٠ كتاب اللباس والزينة) وقال النووي رح في شرحه:في هذا الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم -.شرح مسلم ٢/١٩١) وكتخطئة الصحابة الأنصار والمهاجرين في القراءة على القبر والصدقة على الميت وقد روي عن الشعبي انه قال كَانَتِ الْأَنْصَارُ إِذَا مَاتَ لَهُمُ الْمَيِّتُ إِخْتَلَفُوا إِلَى قَبْرِهِ يَقْرَؤُنَ عِنْدَهُ الْقُرْآنَ - قاله ابن القيم نفسه في كتاب الروح ١٨ وقد روى عن ابن عباس أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ﷺ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ

---

[٨] (جبة طيالسة) فهو بإضافة جبة إلى طيالسة والطيالسة جمع طيلسان بفتح اللام على المشهور.

[٩] [كسروانية] وهو نسبة الى كسرى صاحب العراق ملك الفرس.

[١٠] [لها لبنة] وهي رقعة في جيب القميص.

[١١] [وفرجيها مكفوفين] وهما منصوبان بفعل محذوف أي ورأيت فرجيها مكفوفين. ومعنى المكفوف: أنه جعل لها كفة بضم الكاف وهو ما يكف به جوانبها وعطف عليها ويكون ذلك في الذيل وفي الفرجين وفي الكمين

اللهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا أَيَنفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمِخْرَافَ[١٢] صَدَقَةٌ عَلَيْهَا (بخاري كتاب الوصايا ١٢٩ سندي) روي عن سعد بن عبادة انه قال يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قَالَ الْمَاءُ قَالَ فَحَفَرَ بِئْرًا وَقَالَ هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ (باب في فضل سقي الماء–ابو داود ٢٣٦/١).

قال طاؤوس إِنَّ الْمَوْتَى يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ سَبْعًا فَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُطْعِمُوا عَنْهُمْ تِلْكَ الْأَيَّامَ ...... قال السيوطي رجال الإسناد الأول رجال الصحيح وطاؤوس من كبار التابعين وروي أبو نعيم عنه انه قال ادركت خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ حاوي ٣٧١/٢).

وكتخطئة الصحابة في الرقي والتميمة وقد روي عن عائشة ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّذِي كَانَ يَنْفُثُ وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ باب مرض النبي ﷺ ووفاته – بخاري ٦٣٩/٢).

وروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الْفَزَعِ بِكَلِمَاتٍ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونَ وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ عَقَلَ مِنْ بَنِيهِ وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ كَتَبَهُ فَأَعْلَقَهُ عَلَيْهِ (أبو داود ٥٤٣/٢).

وكتخطئة الصحابة في التوسل والإستغاثة وقد روي عن انس أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﵁ كَانَ إِذَا قَحِطُوا إِسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ﷺ فَتُسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا

---

[١٢] [المخراف] المكان المثمر سمي بذلك لما يخرف منه اي يجنى من الثمرة تقول شجرة مخراف ومثمار. وفي رواية المخرف وهو اسم الحائط المذكور.

فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ (بخاري ١/١٣٧ باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء).

وروي ابن ابي شيبة باسناد صحيح من رواية ابي صالح السمان عن مالك الدار وكان خازن عمر قَالَ أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيّ فَقَالَ يَارَسُولَ اللهِ إِسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا فَأُتِيَ الرَّجُلُ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ إِئْتِ عُمَرَ الخ (فتح الباري ٢/٤٩٥ باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء) وفي الحديث قصة اقرار عمر على فعل هذا الرجل هذا هو الدليل كما في كتاب شفاء السقام.

وكتخطئة الصحابة في ترك جمعة النساء وجماعتهن وقد قال الشافعي رحمه الله وَقَدْ كَانَ ﷺ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نِسَاءٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنَاتِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَمَوْلَيَاتِهِ وَخَدَمِهِ وَخَدَمِ أَهْلِ بَيْتِهِ فَمَا عَلِمْتُ مِنْهُنَّ امْرَأَةً خَرَجَتْ إِلَى شُهُودِ جُمُعَةٍ وَالْجُمُعَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الرِّجَالِ بِأَكْثَرَ مِنْ وُجُوبِ الْجَمَاعَةِ فِي الصَّلَوَاتِ غَيْرِهَا وَلَا إِلَى جَمَاعَةٍ غَيْرِهَا فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ . . . . وَمَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنْ سَلَفِ الْمُسْلِمِينَ أَمَرَ أَحَدًا مِنْ نِسَائِهِ بِإِتْيَانِ جُمُعَةٍ وَلَا جَمَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ (اختلاف الحديث هامش الام ٧/١٧٠).

وكغمط النبي ﷺ واحتقاره بأنه غير معصوم ويذنب ذنوبا كثيرة قال ﷺ إِنِّي رَسُولُ اللهِ لَسْتُ أَعْصِيهِ (بخاري كتاب الشروط ٣٨٠) وكسب الصحابة مثل عمر وعثمان وابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن سلام وتميم الداري بأنهم أدخلوا في الإسلام الإسرائيليات وأساطير الأولين وكإنكار شفاعة النبي ﷺ والصالحين وقد قال الإمام الرازي ت: ٦٠٦ أجمعت الأمة على أن لمحمد ﷺ شفاعة في الآخرة وحمل على ذلك قوله تعالى" عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا "وقوله تعالى" وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى" تفسير الرازي ٣/٥٥) في تفسير قوله" وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا

تَجْزِي نَفْسٌ الخ ويدل على شفاعته في الدنيا أحاديث كثيرة منها ما روي أبو داود في الرد على الجهمية.

أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ جَهَدَتِ الْأَنْفُسُ وَجَاعَ الْعِيَالُ وَنَهِكَتِ[13] الْأَمْوَالُ وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ الخ (ابو داود ٣٠٢/٢ باب في الجهمية وقال النَّبِيُّ ﷺ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ بِأَشَدَّ مُنَا شَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيمَةِ لِإِخْوَانِهِمِ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا . . . . فَيَقُولُ اللهُ شَفَعَتِ الْمَلٰئِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا (مسلم ١٠٣/١ باب اثبات رؤية المؤمنين).وفى نسخة جديدة:٢٦/٢:

وكانكار زيارة قبور الصالحين وقد جاء في الحديث ان رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَزُورُ قُبُورَ الشُّهَدَاءِ فِي رَأْسِ كُلِّ حَوْلٍ فَيَقُولُ لَهُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان (تفسير ابن كثير ٥١١/٢ سورة الرعد) وعن رسول الله ﷺ اَنَّهُ كَانَ يَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ رَأْسَ كُلِّ حَوْلٍ فَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ والخلفاء الأربعة هكذا كانوا يفعلون (تفسير الكبير ٤٥/١٩ سورة الرعد).

قال الإمام النووي(٦٧٦ - ٦٣١)وأجمعوا على أن زيارتها (اي القبور) سنة (شرح مسلم ٣١٤/١ كتاب الجنائز) عن عائشة قالت لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَائَهُ وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ فَاضْطَجَعَ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَ مَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ فَأَخَذَ رِدَائَهُ رُوَيْدًا وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا وَفَتَحَ الْبَابَ

[13] نهكت : فنيت

رُوَيْدًا فَخَرَجَ ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَفَعَ[١٤] يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ . . . (مسلم ١/٣١٣ كتاب الجنائز).

قال ابن حجر رح(٧٧٣-٨٥٦)وهو (انكار شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية . . . . فانها من أفضل الأعمال وأجل القربات إلى ذي الجلال وان مشروعيتها محل اجماع بلا نزاع (فتح الباري ٣/٦٦ باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة) فالحاصل ان من اتبع الصحابة في أمثال هذه المسائل مع احسان القول فيهم فهم متبعوا المنعم عليهم فهم أهل السنة والجماعة ومن خطأ الصحابة في أمثالها فهم المغضوب عليهم والضالون فهم أهل البدعة والضلالة وأهل التشتيت بين المسلمين فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم فيا أرحم الراحمين إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ[١٥].

---

[١٤] يدل على رفع اليدين في الدعاء عند القبر حالة الزيارة.

[١٥] وسئل ابن حجر الهيتمي المكي(س ٩٧٤)بما لفظه لابن تيمية اعتراض على متأخرى الصوفية وله خوارق في الفقه والأصول فما محصل ذاك فأجاب بقوله ابن تيمية عبد خذله الله واضله واعماه واصمه واذله وبذلك صرح الائمة الذين بينوا فساد احواله وكذب اقواله ومن اراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الامام المجتهد المتفق على امامته وجلالته وبلوغه مرتبة الإجتهاد ابي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية ولم يقصر اعتراضه على متأخرى الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب كما يأتي والحاصل ان لا يقام لكلامه وزن بل يرمى في كل وعر وحزن ويعتقد فيه انه مبتدع ضال ومضل جاهل غال عامله الله بعدله واجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله آمين (فتاوى الحديثية ٩٩). وفي نسخة ١١٤:

(قوله ينـزل ربنا تبارك وتعالى) ومعنى ينـزل ربنا ينـزل امـره كما اوله به الخلف وبعض اكابر السلف ولا التفات الى ما شنع به على المؤولين بعض من عدم التوفيق ومن ثم قال ابن جماعة في ابن تيمية رأسهم انه عبد اضله الله وخذله نسأل الله دوام العافية من ذلك بمنه وكرمه (تحفة المحتاج ٢/٢٤٤).

قال ابن بطوطة فحضرته (اي ابن تيمية) يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال ان الله ينـزل الى سماء الدنيا كنـزولي هذا ونـزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وانكر ما تكلم به (رحلة ابن بطوطة ٩١).

قال صاحب فتوحات الإسلامية – مؤسس مذهب الوهابية محمد بن عبد الوهاب واصله من المشرق من بني تميم وكان من المعمرين فكان بعد من المنظرين لانه عاش قريب مائة سنة حتى انتشر عنه ضلالتهم وكانت ولادته سنة الف ومائة واحدى عشر وهلك الفا ومائتين وستة وارخه بعضهم بدى هلاك الخبيث ١٢٠٦ وكان ابتداء ظهور امره سنة الف ومائة وثلاث واربعين ١١٤٣ وابتداء انتشاره بعد خمسين ومائة والف وكان ابوه رجلا صالحا من اهل العلم وكذا اخوه الشيخ سليمان (فتوحات الإسلامية ٢/٢١١) وممن الف في الرد على ابن عبد الوهاب اكبر مشائخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح ابن حجر رح على متن بالفضل فمن جملة كلامه يا ابن عبد الوهاب اني انصحك الله ان تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تاثير ذلك المستغاث به من دون الله فعرفه الصواب وابن له الأدلة على انه لا تأثير لغير الله فان ابي فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الأعظم من المسلمين وانت شاذ عن السواد الأعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم اقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين (فتوحات الإسلامية ٢/٢١٥).

قال الشرواني اخذا من التحفة إنه يحرم تمليك ما فيه آثار الصحابة أو الأئمة الأربعة أو غيرهم من الفقهاء والصوفيين لمن يبغضهم من المبتدعين كالروافض والوهابيين بل أولى لأن اهانتهم أشد من اهانة الكفار (شرواني ٤/٢٣٠).

وقال الشيخ أحمد الصاوي (١١٧٥ – ١٢٤١) قوله افمن زين له سوء عمله فرأه حسنا) هذه الآية نـزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة ويستحلون بذلك دماء المسلمين

تَنْبِيهٌ

الاستدلال بالآيات والأحاديث في أمثال هذه المسائل ليس اجتهادا منا لأن الإجتهاد اخراج المسائل الجديدة الفقهية من الأدلة السمعية وما نفعل تطبيق الآيات والأحاديث على مسائل مقررة واظهار دلائلها او توجيه دلائلها وكم من فرق بينها وهذان الأخيران يدل على جوازهما ما قال التاج الدين السبكي (٧٧١) والإمام المحلي (٧٩١ - ٨٦٤) (و) علم من حرمة خرق الإجماع (انه يجوز احداث دليل) لحكم اي اظهاره (او تأويل) لدليل ليوافق غيره (شرح المحلي لجمع الجوامع ٢/١٩٨ الكتاب الثالث في الإجماع.

ويعلم من قوله احداث دليل انه يجوز إظهار دليل او توجيه لم يقل بهما أحد لمسألة مقررة وهذا بخلاف عمل أهل البدع فإنهم يقرؤن القرآن ثم ينتجون منه مسألة مخالفة للمسألة المقررة في الشرع لم يقل بها أحد ولم يدل اللفظ عليها فإن دل فهو منقوض بما بعده أو بما قبله أو بالإجماع فهذا الذي حمل عليه قوله ﷺ مَنْ فَسَّرَ ٱلْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ (ترمذي ٢/١١٩ في باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه).

ومن الناس من يظن أن الفاظ القرآن بأسرها مفتقرة إلى تفسير بنقل فلا يجوز أن يؤخذ معنى من شيئ منها إلا بالنقل وهذا غيرمستقيم لأن معنى التفسير التبيين فلا يكون الا في غير المبين كالمعنى المجازي واللغوى

وامواهم كما هو مشاهد الآن في نظائرهم وهم لفرقة بارض الحجاز يقال لهم الوهابية يحسبون انهم على شيئ الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون نسئل الله الكريم ان يقطع دابرهم (صاوي ٣/٣٠٨ سورة الفاطر).

عند احتمال الشرعي أو اللغوي كما قيل في كتب الأصول التأويل حمل اللفظ على معنى غير ظاهر وهذا التأويل هو التفسير فكان معنى حديث مَنْ فَسَّرَ ٱلْقُرْآنَ الخ من أتى لأي لفظ من القرآن بمعنى غير ظاهر بغير قرينة من عند نفسه فهو في النار كما في رواية أخرى من قال في القرآن برأيه الخ وليس ما أوردناه من هذا القبيل لأنه إما حقيقة شرعية أو معنى عرفي عند عدم المعنى الشرعي أو معنى لغوي عند عدم الشرعي أو العرفي مع كونها غير مخالفة للمسألة المقررة وأصل الإعتماد على الحقيقة حتى يوجد ما يصرف اللفظ عنها كما في حاشية البناني على جمع الجوامع ٢٥٤/١).

وقال الغزالي: (٥٠٥)وهو (أي قوله من فسر القرآن الخ) ان يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحمله عليه من غيرأن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية ولا ينبغي أن يفهم منه انه يجب أن لا يفسر القرآن بالإستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ونعلم أن جميعها غير مسموع من النبي ﷺ فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال ﷺ لابن عباس ـ أَللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ (إحياء علوم الدين ٣٧/١ باب بيان ما يدل من ألفاظ العلوم).

وقال أيضا لا مستند الا اتباع موجب الألفاظ (إحياء علوم الدين ١١٨/١ في بحث الإيمان والإسلام) وقال أيضا المجتهد فيه كل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي (المستصفى ١٠٣/٢) وقال الرازي(ت:٦٠٦)واعلم أن الوجوه المنقولة عن المفسرين غير منقولة عن رسول الله ﷺ نصا حتى لا يمكن الزيادة عليها بل انما

ذكروها لكون اللفظ محتملا لها فإذا كان احتمال اللفظ لما ذكرناه ليس دون احتماله للوجوه التي ذكروها لم يكن ما ذكروه أولى مما ذكرناه إلا انه لا بد ههنا من دقيقة وهو ان اللفظ محتمل للكل فان وجدنا بين هذه المعاني مفهوما واحدا مشتركا حملنا اللفظ على ذلك المشترك وحينئذ يندرج تحته جميع هذه الوجوه أما اذا لم يكن بين هذه المفهومات قدر مشترك تعذر حمل اللفظ على الكل لان اللفظ المشترك لا يجوز استعماله لإ فادة مفهوميه معا فحينئذ لا نقول مراد الله تعالى هذا بل نقول يحتمل أن يكون هذا هو المراد أما الجزم فلا سبيل إليه ههنا (رازي ٣٢/٣١) في تفسير قوله فَٱلْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (سورة النازعات) ثم لا بد ان يكون طريق اخذ المعنى تتنوع بحسب أنواع الدلالات إما على أسلوب المعانيين من كونها حقيقة أو مجازا أو كناية ويجب في كلها مراعات شرائطها وإما على أسلوب الميزانيين من كونها مطابقة أو تضمنا أو التزاما مع مراعاة شرائط تحققها وإما على أسلوب الأصوليين من كونها منطوقا أو مفهوما موافقة أو مخالفة أو إشارة أو إضمارا على شروط كل واحد منها.

ثم ان الحقيقة على أنواع شرعي وعرفي ولغوي ويقدم الشرعي على العرفي واللغوي ويقدم العرفي على اللغوي ولا يحمل لفظ على غير الحقيقة إلا بالقرينة فاذا علمت هذه الأصول يمكن لك أن ترد أكثر المسائل البدعية لأنها مأخوذة بلا مراعاة هذه الأصول اما أوهام وخيالات لا يلتفت إليها أو مجاز بلا قرينة أو حقيقة لغوية مع وجود الشرعية أو العرفية مع كونها مخالفة للمسائل المقررة كما أخذوا من قوله تعالى لَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا بالمعنى اللغوي اي النداء حين وجد العرفي أي العبادة وكما أخذوا من قوله تعالى"وَقُومُوا لِلهِ قَانِتِينَ" انه

بمعنى ساكتين فإنه لغوي مرجوح لان معنى القنـــوت في الشـــرع الدعـــاء في الاعتدال كما يعلم من البيضاوي وكما أخـــذوا مـــن حديـــث" نَحَـــرْتُ هَهُنَا وَمِنًى كُلُّهَا مَنْحَرٌ" منع الذبـــح في غـــير المـــنى وهـــو مـــن الأوهـــام والخيالات المردودة لأن مـــني لقب اي جامد فلا يفيـــــد المفـــهوم.

أَلسُّنَّةُ وَٱلبِدْعَةُ

السنة لها معنيان لغوي وشرعي ومعناها اللغوي الطريقة والعادة والسيرة قال الله تعالى ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النساء ٢٦). "وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ" (الكهف ٥٥) أي العادة التي لازمت أولئك الأقوام من أنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون إلا عند نزول العذاب.

فمنها باعتبار المعنى اللغوي حسنة وسيئة ويدل عليه الحديث الذي رواه مسلم قال ﷺ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"(مسلم ٣٤١/٢ باب من سن سنة حسنة ، مشكوة ٢٣/١) والحديث الذي رواه ابن ما جه قال ﷺ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا (ابن ماجه ١٨ باب من سن سنة حسنة).

والسنة الشرعية لا تكون إلا حسنة وهي قد تطلق في مقابلة الفرض على ما يرادف المستحب وقد تطلق في مقابلة القرآن على أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وقد تطلق في مقابلة البدعة على الطريقة التي دل عليها الدليل الشرعي. قال تاج الدين السبكي (ت ٧٧١) في جمع الجوامع وهي أقوال محمد صلى الله عليه وسلم وأفعاله ومنها تقريره لانه كف عن الانكار والكف فعل:جمع الجوامع مع شرح المحلي (٩٤/٢) الكتاب الثاني في السنة:وقال الحافظ ابن حجر رح:المراد بالكتاب القرآن



المعبد بتلاوته وبالسنة ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وما هم بفعله والسنة في أصل اللغة الطريقة وفي اصطلاح الأصوليين والمحدثين ما تقدم وفي اصطلاح بعض الفقهاء ما يرادف المستحب (فتح الباري ٢٤٥/١٣ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة). وقال أيضا جاء عن الشافعي (في معرفة البيهقي) المحدثات ضربان ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه بدعة الضلال.(فتح الباري ٢٥٣/١٣).
ويؤخذ منه تعريف السنة المقابلة للبدعة فهي الطريقة التي قام عليها الدليل الشرعي أو يقال الطريقة التي دل عليها قول النبي ﷺ أو فعله أو تقريره وهو المعلوم من قوله صل الله عليه وسلم" مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي". قال الشيخ الجيلاني السُّنَّةُ مَا سَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْجَمَاعَةُ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ (غنية ٨٠)[1].

وسنة الصحابة والصالحين كالمداومة على الجماعة الكبرى في التراويح والمداومة على أذاني الجمعة من السنة الشرعية ولا تكون إلاحسنة لأنه مما قام عليه الدليل الشرعي وهي الطريقة التي دل عليها أقوال النبي ﷺ حيث قال ﷺ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً الخ (مسلم) وقال ﷺ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ كما تقدم في الباب الأول وقال الله تعالى وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا

---

[1] قال ابن تيمية نفسه ان السنة هي ما قام الدليل الشرعي عليه بانه طاعة لله ورسوله سواء فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم او فعل على زمانه او لم يفعله ولم يفعل على زمانه لعدم المقتضي حينئذ لفعله او وجود المانع منه ثم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أهل السنن وصححه الترمذي وغيره عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة. فما سنه الخلفاء الراشدون ليس ببدعة شرعية ينهى عنها وان كان يسمى في اللغة بدعة كما قال عمر نعمت البدعة هذه الخ (مجموعة الفتاوى ٣١٧٠/٢١).

ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (سورة التوبة ١٠٠).

فكل ذلك مأمور الاتباع بالآيات والأحاديث النبوية كما تقدم في الباب الأول واتباع القرآن داخل في قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ﷺ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوْا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ (مشكوة ٣١ باب الاعتصام بالكتاب والسنة).

وقال ملا علي القاري نفسه قال عمر نِعْمَتِ ٱلْبِدْعَةُ هَـٰذِهِ اي الجماعة الكبرى لا الصلاة فانها سنة من أصلها قال الطيبي يريد صلاة التراويح فإنه في حيز المدح لأنه فعل من أفعال الخير وتحريض على الجماعة المندوب إليها وإن كانت لم تكن في عهد أبي بكر ﷺ فقد صلاها رسول الله ﷺ وانما قطعها اشفاقا من أن تفرض على أمته وكان عمر ممن نبه عليها وسنها على الدوام فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيمة (مرقاة ١٧٣/٢ باب قيام شهر رمضان) فقد قرر هذا الشارح إحداث الهيئة الجديدة في العبادة بدعة حسنة وداخلة في قوله ﷺ مَنْ سَنَّ فِي ٱلْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً الخ.

اَلْبِدْعَةُ الشَّرَعِيَّةُ

البدعة أيضا لها معنيان لغوي وشرعي ومعناها اللغوي ما أحدث على غير مثال سابق قال الله تعالىٰ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ (الحديد) قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ – الأحقاف اي ما أنا بأول رسل وقد بعث الله كثيرا من الرسل – وقد قال تعالىٰ بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ لَهُ وَلَدٌ – اي مبدعهما على غير مثال سبق.

فمنها باعتبار المعنى اللغوي حسنة وضلالة ويدل عليه حديث البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاري قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ فَقَالَ عُمَرُ إِنِّي أَرَى لَوْجَمَعْتُ هَـٰؤُلَاءِ

عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّوْنَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ قَالَ عُمَرُ نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ (بخاري ٢٦٩/١ باب فضل من قام رمضان ، مشكوة ١١٥/١).

وحديث الترمذي وابن ماجه قال ﷺ مَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةً ضَلَالَةً لَا يَرْضَاهَا اللهُ وَرَسُوْلُهُ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا (ترمذي – ابن ماجه – مشكوة ٣٠/١).

والبدعة الشرعية في مقابلة السنة الشرعية لا تكون إلا مذمومة لأن الأمور التي تسمي بدعة حسنة داخلة في السنة الشرعية على ما تقدم تعريفها فالبدعة الشرعية ما أحدث وليس له أصل في الشرع أو يقال الطريقة التي تخالف الدليل الشرعي وبعبارة أخرى تخالف قول النبي صلى الله عليه وسلم أو فعله أو تقريره فالجهاد بالآلة الجديدة وإن لم توجد في زمنه صلى الله عليه وسلم لا يكون بدعة لأنه داخل في عموم قوله تعالى وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ. وكذلك الجامعة والكلية والمستشفى لا تكون بدعة لأن الماهية من طلب العلم والشفاء مطلوبة اذا لم تدخل التشخصات تحت النهي[٢] قال ابن حجر العسقلاني المراد بها (أي المحدثة) ما احدث وليس له أصل في الشرع ويسمى في عرف الشرع بدعة وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة فان كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان

---

[٢] وفي نخبة الفكر البدعة اعتقاد ما احدث على خلاف المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم (نخبة ٥٦). وفي الحواشي المدنية للشيخ سلمان الكردي المبتدع من يعتقد ما اجمع أهل السنة على خلافه ٤/٢. فكما ان الإيمان والكفر والتوحيد والشرك بالاصالة في الاعتقاد كذلك السنة والبدعة بالاصالة في الاعتقاد وكما انه قد يطلق الإيمان والكفر والتوحيد والشرك على الأعمال باعتبار انها ناشئة من الاعتقاد فكذلك يطلق السنة والبدعة على الاعمال بذلك الاعتبار.

محمودا أو مذموما (فتح الباري ٢٥٣/١٣ باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ).

وقال أيضا جاء عن الشافعي ؓ (في معرفة البيهقي) المحدثات ضربان ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو اجماعا فهذه بدعة الضلال وما أحدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة (فتح الباري ٢٥٣/١٣). قال ابن حجر الهيتمي يدخل في المبتدعة كل من أحدث في الإسلام حدثا لم يشهد الشرع بحسنه الخ . . . . وفسر بعضهم البدعة بما يعم جميع ما قدمنا وغيره فقال هي مالم يقم دليل شرعي على انه واجب أو مستحب سواء افعل في عهده ﷺ او لم يفعل كاخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وقتال الترك لما كان مفعولا بامره لم يكن بدعة وان لم يفعل في عهده وكذا جمع القرآن في المصاحف والاجتماع على قيام شهر رمضان وأمثال ذلك مما ثبت وجوبه أو استحبابه بدليل شرعي وقول عمر ؓ في التراويح نعمت البدعة هي اراد البدعة اللغوية وهو ما فعل على غير مثال . . . فان البدعة الشرعية ضلالة كما قال ﷺ قال ومن قسمها من العلماء إلى حسن وغير حسن فانما قسم البدعة اللغوية ومن قال كل بدعة ضلالة فمعناه البدعة الشرعية (فتاوى الحديثية ٢٤٠) وعلى البدعة الشرعية يحمل قوله ﷺ شَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ (رواه مسلم – مشكوة ٢٧/١) وقوله مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ (بخاري ٣٧١/١). وفي قوله ﷺ "مَا لَيْسَ مِنْهُ" اشارة الى ان احداث مالا ينازع الكتاب والسنة ليس بمذموم (مرقاة ١٧٧/١ باب الاعتصام بالكتاب والسنة).

قال العز بن عبد السلام البدعة فعل ما لم يعهد في عهد النبي ﷺ وتنقسم إلى خمسة أحكام يعنى الوجوب والندب الخ وطريق معرفة ذلك ان تعرض البدعة على قواعد الشرع فأي حكم دخلت فيه فهي منه فمن

البدع الواجبة تعلم النحو الذي يفهم منه القرآن والسنة ومن البدع المحرمة مذهب نحو القدرية ومن البدع المندوبة احداث نحو المدارس والاجتماع لصلاة التراويح ومن البدع المباحة المصافحة بعد الصلاة ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد والمصاحف اي بغير الذهب والا فهي محرمة وفي الحديث"كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ" وهو محمول على المحرمة لا غير (فتاوى الحديثية ١٣٠)[٣]

---

[٣] ذكر المحدث الشيخ العلامة عبد الله الغماري تعريفا للبدعة الحسنة فقال: "البدعة الحسنة ما كانت على غير مثال سبق ولها أصل". وقال في موضع اخر: البدعة الحسنة هي التي توافق أصول الشرع وهي وإن كانت محدثة باعتبار شخصها فهي مشروعة باعتبار نوعها لدخولها في قاعدة شرعية أو عموم آية أو حديث. ولهذا سميت حسنة اهـ.

وثبت أن عمر رضي الله عنه جمع الناس في صلاة التراويح (رواه البخاري٢٠١٠).
وإذا نظرنا في عمل عمر فإننا نجد أنه إستند إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان يجمع أصحابه في صلاة قيام رمضان أحيانا لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعط الإستدامة على ذلك. أما عمر ﷺ فقد أعطي الإستدامة لقرينة شرعية ظهرت له. فلا يعد هذا صورة محدثة لأن من شروط المحدث المردود أن تخالف مع الأصل قلبا وقالبا، ظاهرا وباطنا.

وقد ذكر ابن تيمية في مجموعة الفتاوى (١٦٣/٢٠) كلا ما في البدعة فقال: وما خالف النصوص فهو بدعة باتفاق المسلمين. وما لم يعلم أنه خالفها فقد لا يسمى بدعة. قال الشافعي ﷺ "البدعة بدعتان. بدعة خالفت كتابا وسنة وإجماعا وأثرا عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه بدعة ضلالة. وبدعة لم تخالف شيئا من ذلك فهذه قد تكون حسنة. لقول عمر: نعمت البدعة هذه. هذا الكلام أو نحوه رواه البيهقي بإسناد صحيح".

جمع القرآن الكريم في عهدأبي بكر الصديق ﷺ. فقد قام عمر رضي الله عنه بعرض الفكرة على خليفة رسول الله ﷺ نتيجة مقتل عدد كبير من الحفاظ في حروب الردة. فقال أبو بكر لعمر. كيف نفعل أمرا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال

عمر: هو والله خير. والمدقق يـــرى أن عمـــر إســـتند في عـــرض فكـــرة جمـــع القـــرآن ألى أصلين: الأول: أمر الله سبحانه وتعالى بفعل الخــــير حيــث قـــال: (وافعلــوا الخــير) (الحـج ٧٧) ولذلك قال لأبيكر : هو والله خـــــير.

الثاني أن المصحف كان كتب كـــاملا في عـــهد النـــبي ﷺ بـــأمر منـــه. فجـــاء الجمـــع لحفـــظ المكتوب مرتبا في السطور كترتيبـــه في الصـــدور.

جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ: فقد قـــام عثمـــان ﷺ باســـتشارة أصحـــاب رســـول الله ﷺ في المسألة بعد أن بلغه إختلاف المسلمين في القـــرآن. وكـــان إجماعـــهم علـــى توحيـــد كتابـــة القرآن الكريم بحرف جامع لجميع الأحرف والقرآن المأذون بهـــا مـــن رســـول الله ﷺ. وهـــذا الحرف حرف قريش. وقد استند عثمان ﷺ في فعله علـــى أصلـــين.

الأول: قوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهـــب ريحكـــم).

الأصل الثاني إذن النبي ﷺ للصحابة بقراءة القرآن علـــى سبعة أحـــرف. بمعـــنى أن الحـــرف الذي إختاره عثمان بإجماع من الصحابة هو حرف توقيفي كان منتشرا شائعـــا بـــين النـــاس.

نقط المصحف في عهد علي ﷺ: فقد أمر علي رضـــي الله عنـــه أبـــا الأســـود الـــدؤلي بنقـــط القرآن نقط إعراب لتمييز الحرف المفتـــوح مـــن المكســـور والمضمـــوم صيانـــة للســـان عـــن اللحن والخطأ بالقرآن. وقد استند على إلى قوله سبحانه وتعـــالى. (إنـــا نحـــن نزلنـــا الذكـــر وإنا له لحافظون) [الحجـــر ٩].

وإنما يحفظ القرآن الكريم في صدور الرجـــال بحفـــظ الله. وفي كتابتـــهم في المـــطور بحفـــظ الله ايضا. تعرفه العرب لمـــا يتمتعـــون بـــه مـــن ســـلامة في الســـليقة. وقـــوة في البداهـــة. واستقامة في النطق. فلما زال ذلـــك إســـتوجب حفظـــه بنقـــط القـــرآن الكـــريم كتابـــة في السطور كما هو محفوظ في الصدور. فكان فعله عليه الســـلام إظـــهارا لأمـــر خفـــي وجـــب أن يظهر. كما استوجبت المصلحة ذلـــــك.

ومن المقرر في أصول الشرع أنه ما لا يتم الواجب إلا بـــه فـــهو واجـــب. وحينمـــا وجـــدت المصلحة المعتبرة شرعا فثم شـــــرع الله.

وبالجملة فان كل ما ورد من فعل الصحابة ﷺ في هذا البـــاب ليـــس إحداثـــا قائمـــا لصـــورة بل هو مستند إلى أصل صحيح أو مثال إختفى في زمـــن واســـتوجب ظـــهوره في زمـــن ومـــا من فعل من أفعالهم رضي الله عنهم إلا وهو مســـتند إلى أصـــل صحيـــح.

إن الله أمرنا عند التنازع والإختلاف بـــالرد إلى الله ولرســـوله.

تَشْخِيصُ الْمَاهِيَةِ

فعلم مما تقدم من الآيات والأحاديث وكلام الأئمة العظام ان البدعة الشرعية إحداث أمر مخالف للشرع وليس له أصل في الكتاب والسنة والإجماع وأثر الصحابة والصالحين وأما ما طلبه الشارع بالاطلاق والكلية ولم يعينه بوقت ولا عدد ولا قيد من القيود فاحداث هيئة مخصوصة وتشخص معين له بتشخيصه بوقت أو عدد أو هيئة عبادة كان أو غيرها لا يجعله بدعة ضلالة اذا أتى به من حيث انه داخل في الاطلاق كما سن خبيب الصلاة قبل الشهادة (رواه البخاري) ما لم يكن داخلا تحت مستقبح شرعي فلا بد ان يكون للمحدث ملكة في أدلة الشرع ليتحقق عدم الدخول تحت نهى. مثلا الذكر طلبه الشارع بقوله تعالى "وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ" ولم يعينه بوقت ولا عدد فاحداث هيئة مخصوصة له من حيث العدد أو الوقت لا يجعله بدعة مهجورة بل سنة متبوعة وداخل في قوله ﷺ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً الخ قال ابن حجر الهيتمي رح(ت: ٩٧٤) واما ما نقل عن ابن مسعود انه رأى قوما يهللون برفع الصوت في المسجد فقال ما اريكم إلا مبتدعين حتى أخرجهم من المسجد فلم يصح عنه بل لم يرد ومن ثم أخرج أحمد عن أبي وائل قال هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعَمُونَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ كَانَ يَنْهَى عَنِ الذِّكْرِ مَا جَالَسْتُ عَبْدَ اللهِ مَجْلِسًا قَطُّ إِلَّا ذَكَرَ اللهَ فِيهِ

فان الذي لا يأخذ بالبدعة الحسنة إنما يخالف أمر الله سبحانه بقوله (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) [النساء ٥٩].

فاقل ما يجب على كل احد أن يعذر كل منا أخاه دون ان يحكم عليه بالكفر أو الخروج عن الملة. وبالاقام النزاع الذي نهى الله عنه بقوله: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) [الأنفال ٤٤].

(فتاوى الكبرى ١٧٧ باب احكام المساجد)[٤] روى البخاري عن أنس ﷺ كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء وكان كل ما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله احد حتى يفرغ منها ثم

---

[٤] رواه الدارمي في سننه ولفظه اخبرنا الحكم بن المبارك أنا عمر بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن ابيه قال كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا إلى المسجد فجائنا أبوموسى الاشعري فقال أخرج اليكم ابو عبد الرحمن بعد ؟ قلنا لا ! فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا اليه جميعا فقال له ابوموسى يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيرا فقال فما هو ؟ فقال إن عشت فتراه قال رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي ايديهم حصا فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة فيقول هللوا مائة فيهللون مائة ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة قال فماذا قلت لهم ؟ قال ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك او انتظار أمرك قال افلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ قالوا يا أبا عبد الله ! حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح قال فعدوا سيئاتكم فانا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي اهدى من ملة محمد اومفتتحوا باب ضلالة قالوا والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال وكم من مريد للخير لن يصيبه إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم فقال عمر وبن سلمة رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج. (سنن الدارمي ٦٨/١ باب في كراهية أهل الرأي).

هذا الحديث لو فرض صحته فسبب نهي ابن مسعود ﷺ كون أهل هذا الذكر من الخوارج وكون مقصودهم بحلقة الذكر جميع الناس علي طريقتهم كما يدل عليه آخر الحديث وقول ابن مسعود فعدو اسيئاتكم الخ. لامن حيثية الذكر وتعيينه بعدد مخصوص كما يدل عليه قول أبي موسى الأشعري ولم أرو الحمد لله إلاخيرا.

يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى فَقَالَ مَا أَنَا بِتَارِكِهَا إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ فَقَالَ يَا فُلَانُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّهَا قَالَ حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ (بخاري ١٠٧/١ باب الجمع بين السورتين في ركعة) فقد علم من تقريره ﷺ ان إحداث أمثال هذه الهيئة المذكورة في الحديث التي هي داخلة في إطلاق أوامر الشرع ليست ببدعة مهجورة في الصلاة التي هي أفضل العبادات وكذلك الذكر المطلق إذا تعينت بوقت أو عدد وعن سائب بن يزيد أن الذي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة عثمان بن عفان (بخاري ١٢٤/١ كتاب الأذان) وكذا يجوز الزيادة على المورود في الأذكار والأدعية المقيدة أيضا بحسب مقتضى الحال كزيادة "وَارْزُقْنَا شَفَاعَتَهُ" في دعاء الأذان بعد "وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ" على تقدير عدم وروده بحسب مقتضى آخر الحديث (حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي - بخاري) وكذا الزيادة على المورود في الأدعية بعد الطعام وغيره بحسب مقتضى الحال.

وقد روي البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي قَالَ كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ مَنِ الْمُتَكَلِّمُ قَالَ أَنَا قَالَ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ (بخاري ١١٠/١ باب فضل اللهم ربنا الخ).

وروي مسلم عن أنس أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ فَقَالَ اللهُ أَكْبَرُ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ فَلَمَّا قَضَى

رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ قَالَ أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ فَأَرَمَّ الْقَوْمُ فَقَالَ أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ فَأَرَمَّ الْقَوْمُ فَقَالَ أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسًا فَقَالَ رَجُلٌ جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ فَقُلْتُهَا فَقَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا (مسلم - مشكوة ٧٨/١ باب ما يقرأ بعد التكبير).

روى البخاري عن مورق قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ أَتُصَلِّي الضُّحَى قَالَ لَا قُلْتُ فَعُمَرُ قَالَ لَا قُلْتُ فَأَبُو بَكْرٍ قَالَ لَا قُلْتُ فَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ لَا إِخَالُهُ (بخاري ١٥٧/١ باب صلاة الضحى في السفر) روى ابن ابي شيبة باسناد صحيح عن الحكم بن الأعرج عن الأعرج قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ عَنْ صَلَاةِ الضُّحَى فَقَالَ بِدْعَةٌ وَنِعْمَتِ الْبِدْعَةُ وروي عبد الرزاق باسناد صحيح عن سالم عن أبيه قال لَقَدْ قُتِلَ عُثْمَانُ وَمَا أَحَدٌ يُسَبِّحُهَا وَمَا أَحْدَثَ النَّاسُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهَا (فتح الباري ٥٢/٣ باب صلاة الضحى في السفر).

وروي سعيد بن مَنْصُورٍ باسناد صحيح عن مجاهد عن ابن عمرانه قال إِنَّهَا مُحْدَثَةٌ وَإِنَّهَا لَمِنْ أَحْسَنِ مَا أَحْدَثُوا (فتح الباري ٥٢/٣) فتقرير متبع السنة ابن عمر ﷺ على صلاة الضحى مع كونه نافيا لها عن النبي ﷺ دليل واضح على أن إحداث صلاة نافلة مطلقة مع تشخيصه بوقت معين لا يجعله بدعة مهجورة.

وقال الزرقاني ١١٢٢ روي ابن أبي شيبة عن ابن عباس كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي رَمَضَانَ فِي غَيْرِ جَمَاعَةٍ بِعِشْرِينَ رَكْعَةً وَالْوِتْرَ لكن ضعفه ابن عبد البر والبيهقي برواية ابي شيبة جد ابن ابي شيبة.

قال الباجي وكان الأمر على ذلك إلى يوم الحرة فثقل عليهم القيام فنقصوا من القراءة وزادوا الركعات فجعلت ستا وثلاثين غير الشفع والوتر . . . وروي محمد بن نصر عن داود بن قيس قَالَ أَدْرَكْتُ النَّاسَ فِي إِمَارَةِ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَعْنِي بِالْمَدِينَةِ يَقُومُونَ بِسِتٍّ وَثَلَاثِينَ رَكْعَةً وَيُوتِرُونَ بِثَلَاثٍ وَقَالَ مَالِكٌ هُوَ الْأَمْرُ الْقَدِيمُ عِنْدَنَا (شرح

الزرقاني على موطأ مالك ١/٣٥٥ باب ما جاء في قيام رمضان).

وظاهران زيادة الركعات ليست من حيث التراويح بل من حيث السنة المطلقة المأخوذة من اطلاق حديث "مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" وكذا إحداث هيئة جديدة بجمع أمور مطلوبة شرعا لا يجعله بدعة مهجورة فعد الائمة بعض الأمور بدعة قبيحة من حيث انه داخل في المستقبح الشرعي بما قام عندهم لا من حيث لم يفعله ﷺ اذ ليس للأئمة تحريم الحلال إلا بالدليل وكذلك ليس مدار البدعة على مداومة الأمر المطلوب بالإطلاق والماهية لأنه قال ﷺ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ (متفق عليه مشكوة ١/١١٠ باب القصد في العمل)(٥).

* تلل في الأدلة التي توضح سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يحدث. ان هناك أحاديث جمة جلها في الصحيح اومن الصحيح تثبت ان عددامن الصحابة أحدثوا أعمالا وأذكارا وأدعية ونحو ذلك لم يسبق للرسول صلى الله عليه وسلم فعلها أوالأمر بها ولكنهم فعلوها استنباطا واعتقادا أنهامن الخير الذي جاء به الاسلام ورسول الاسلام صلى الله عليه وسلم وحث على مثله عموما تحت مظلة قوله تعالى (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون). وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجرمن عمل بها بعدهمن غير أن ينقص من أجورهم شيء) كما سبق. وهذا الحديث وان ورد في الصدقة فان القاعدة الأصولية المجمع عليها (ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب). ليس معنى ذلك ان لكل أحد أن يشرع فان الإسلام محدود القواعد والضوابط فلا بد ان يكونما يسنه محفوظا بقواعده وضوابطه وشواهده. من هذه فعل كثيرمن الصحابة باجتهادهم أمورا فكانت سنة الرسول وطريقته قبولها كان من العبادة والخير ويتفقمع المشروع ولا يخالفه وردما كان مخالفا لذلك. فهذه سنته وطريقته التي سار عليها خلفاؤه وصحابته واقتبسمنها العلماء رضوان الله عليهم قولهم انما يحدث يجب أن يعرض على قواعد الشريعة ونصوصها فما شهدت له الشريعة بالحسن فهو حسنمقبولوما شهدت له الشريعة بالمخالفة والقبح فهو المردود وهو البدعة المذمومةوقد يسمون الأول (بدعة حسنة)من حيث اللغة. الشواهد التي اشرنا اليهامن عمل الصحابة وتصرف الرسول صلى الله عليه وسلم احاديث.

١ – الحديث الأول ما رواه البخاري ومسلم والامام احمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام. فإني سمعت دف نعليك في الجنة، قال ما عملت عملا ارجي عندي اني لم اتطهر طهورا في ساعة من ليل او نهار الا صليت بذلك الطهور ما كتب لي. وفي حديث الترمذي وقال حسن صحيح قاله لبلال بم سبقتني الى الجنة ؟ قال ما أذنت قط الا صليت ركعتين، وما اصابني حدث قط الا توضأت ورأيت ان لله علي ركعتين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم بها نلت – أي تلك المنزلة.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح. يستفاد منه جواز الاجتهاد في توقيت العبادة لأن بلالا توصل إلى ما ذكره بالاستنباط فصوبه الرسول صلى الله عليه وسلم (فتح الباري ص: ٢٧٦ ج: ٣، ص: ٣١٣ ج: ٨) ومثل هذا حديث خبيب في البخاري وفيه وهو أول من سن الصلاة لكل مقتول صبرا ركعتين (بخاري ص: ٣١٣ ج: ٨). فهذه الأحاديث صريحة في ان بلالا وخبيبا اجتهدا في توقيت العبادة ولم يسبق من الرسول صلى الله عليه وسلم أمرا ولا فعلا الا الطلب العام.

٢) الحديث الثاني رواه البخاري ومسلم وغيرهما في كتاب الصلاة في باب ربنا لك الحمد. عن رفاعة بن رافع قال كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه: فلما انصرف قال من المتكلم قال انا قال رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها. قال الحافظ في الفتح يستدل به على جواز احداث ذكر في الصلاة غير ماثور اذا كان غير مخالف للمأثور وعلى جواز رفع الصوت بالذكر ما لم يشوش. أنظر هذا مع قول بعض المتجذلقين ان القنوت في صلاة الفجر بدعة مع ان أصله ماثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان شعبوا في حديث انس وماثور عن بعض الصحابة. وروي عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء قال قلت له القنوت في ركعتي الجمعة قال لم اسمع بالقنوت في المكتوبة الا في الصبح.

والمقصود ان الرسول صلى الله عليه وسلم اقر الصحابيين على احداث أذكار في الصلاة لم تكن مأثورة عنه وهذا موضع الاستدلال كما سبق وانه كان اجتهادا واستنباطا منهما.

٣- الحديث الثالث :ما رواه البخاري في باب الجمع بين السورتين في الركعة. من كتاب الصلاة عن انس ﷺ قال كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قباء كلما قرأ افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله احد حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة اخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة الى آخر ما تقدم.

قال الحافظ في الفتح: قوله ما يمنعك وما يحملك سأله عن أمرين فاجابه بقوله إني احبها وهو جواب عن السؤال الثاني مستلزم للاول بانضمام شيئ اخر اليه وهو إقامة السنة المعهودة في الصلاة. فالمانع مركب في المحبة والأمر المعهود والحامل له على الفعل المحبة وحدها فدل تبشيره بالجنة على الرضاء بفعله قال ناصر الدين ابن المنير في هذا الحديث. "ان المقاصد تغير احكام الفعل لأن الرجل لو قال: "ان الحامل له على اعادتها انه لم يحفظ غيرها مثلا لأمكن ان يأمره بحفظ غيرها لكنه اعتل بحبها فظهر صحة قصده فصوبه". قال: وفيه دليل على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس اليه والاستكثار منه ولا يعد ذلك هجرا لغيره. ومع هذا التقرير من الرسول ﷺ وتبشير الرسول ﷺ له بالجنة لم نجد من العلماء ولا من الصحابة قبلهم من يقول بان فعله هذا سنة ثابتة ذلك لأنها ما واظب عليه الرسول ﷺ هو الذي تنبغي المحافظة عليه ولكنه يعطينا الدليل على ان مثل هذا وان كان في صورته مخالفة لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم في الجملة فان الأمر واسع لا كما يظن المتفيقهون ما دام الفعل في آطار المشروع والمطلوب.

٤- الحديث الرابع: روى البخاري من كتاب التوحيد عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وانا احب ان أقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبروه ان الله يحبه. ومثله في مسلم فالحديث متفق عليه. قال الحافظ في الفتح: "قال ابن دقيق العيد هذا يدل على انه كان يقرأ بغيرها في كل ركعة وهذا هو الظاهر. ويحتمل ان يكون المراد انه يختم بها آخر قراءته فيختص بالركعة الاخيرة اهـ. اي وكلا الأمرين لم يعهد فعله من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك اقره بأعلا درجات الاقرار وهو التبشير بمحبة الله له. ومع كل هذا فلم يعلم ان احدا من العلماء قال باستحباب ذلك افتتاحا كالحديث

السابق ولا اختتاماكما هنا لأنما واظب عليه الرسول ﷺ هو الافضل ولكن اقراره لمثل هذا يوضح سنته صلى الله عليه وآله وسلم في قبولها كان مثل ذلك من اوجه الطاعات والعبادات و لا يعتبر مثله حدثا ما دام موما كما يتسابق المتشددون الى التبديع والتضليل في افعاله. هذا وظاهر من سياق الحديثين (هذا والذي قبله) انهما قضيتان فحديث انس الاول فيه ان الفاعل لتخصيص هذه السورة امام قومه في مسجد قباء وفي حديث عائشة كان أمير سرية، وان هذا كان يختتم بقل هو الله احد وذاك كان يفتتح بها، وهذا بشره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحب الله له وذاك بشره بالجنة فالتعدد فيهما واضح لا يحتمل الجمع ولا التأويل . . والاحاديث التي مرت كلها في الصلاة كما ترى وهي اهم اعمال العبادات البدنية وفيها قول الرسول صلى الله عليه وسلم "صلوا كما رأيتموني أصلي" ومع ذلك قَبِلَ هذه الاجتهادات لانها لا تخرج عن الهيئة التي حددها الشارع فكل حد لا بد من الالتزام به وما عدى ذلك فالأمر متسع ما دام داخلا في الاصل المطلوب. هذه هي سنة الرسول وطريقته وهذا في غاية الوضوح ويؤخذ منهاما اصله العلماء ان كل عمل يشهد له الشرع من الطلب ولم يصادم نصا ولا تترتب عليه مفسده فليس داخلا في حدود البدعة بل هو من السنة. ولا يعاب ولا يبدع من استروح شيئا منها ما دام الاصل عبادة. والآن نأتي على شيء من الاجتهادات التي اقرها الرسول صلى الله عليه وسلم في غير الصلاة لترى كيف أقرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو ؟

٥- الحديث الخامس: حديث الرقية. وقد رواه البخاري في اكثر من موضع من صحيحه وهذا نصه في باب النفث في الرقية (عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رهطا من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من احياء العرب فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذي نزل بكم لعله ان يكون عند بعضهم شيء فاتوهم فقالوا يا أيها الرهط ان سيدنا لدغ فسعينا له بكل شيء. فهل عند احدمنكم شيء ؟ فقال بعضهم نعم والله إني لراق ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما انا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق فجعل تيفل ويقرأ الحمد لله رب العالمين حتى لكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي ما به قلبة فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا، وقال

الذي رقي لا تفعلوا حتى تأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنذكر له الذي كان فننتظر ما يأمرنا به فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له فقال: وما يدريك انها رقية اصبتم اقسموا وأضربوا لي معكم بسهم. قال الحافظ في الفتح في كتاب الاجارة. قوله وما يدريك الخ هي كلمة تقال عند التعجب من الشيء وتستعمل في تعظيم الشيء ايضا وهو رائق هنا. زاد شعبة في روايته ولم يذكر نهيا ايمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزاد سليمان بن قند في روايته بعد قوله وما يدريك انها رقية ؟ فقلت يا رسول الله بشيء القي في روعي اهـ. وهذا صريح في ان الصحابي لم يكن عنده علم متقدم بمشروعية الرقي بالفاتحة ولكنه شيء فعله باجتهاده ولما لم يكن فيه مخالفة للمشروع اقره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأن هذه سنته وطريقته في اقراره ما كان من الخير ولا تترتب عليه مفسدة وان لم يكن من عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نصا - وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد اصبتم اقسموا واضربوا لي معكم بسهم كأنه اراد المبالغة في تأنيسهم كما قال الحافظ.

٦- الحديث السادس : وقد وقعت للصحابة قصة اخرى في رجل مصاب في عقله فقرأ عليه بعضهم فاتحة الكتاب فبرأ اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي من طريق خارجة ابن الصلت عن عمه انه مر بقوم وعندهم رجل مجنون موثق في الحديد فقالوا انك جئت من عند هذا الرجل بخير فارق لنا هذا الرجل فرقاه بها ذكر ذلك الحافظ في الفتح.

٧- الحديث السابع : عن ابن مسعود ﷺ انه قرأ على مبتلي في اذنه فافاق فقال له الرسول ﷺ ما قرأت قال : افحسبتم انما خلقناكم عبثا الى آخر السورة فقال الرسول ﷺ لو ان رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد رواه ابو يعلي وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن مثله في المطالب العالية للحافظ ابن حجر (انظر ص: ٣٤٩ جـ ٢ من المطالب). وفي الحديث تقرير النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود في قراءته الآيات من آخر سورة المؤمنون على المبتلي ولم يكن قد سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانما هو شيء استنبطه باجتهاده ولما كان من الخير الذي لا يعارض المشروع أقره كصاحب الرقية بالفاتحة عند البخاري والتي عند اصحاب السنن وهما قضيتان احداهما لأبي سعيد والثانية لعمه خارجة بن عبد الصلت وهذه الثالثة لابن مسعود وهناك رابعة عند ابن حبان لعلاقة ابن حجار وهي الحديث الثامن.

٨- الحديث الثامن : اخرج ابن حبان في صحيحه عن علاقة بن حجار السليطي التميمي انه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم اقبل راجعا من عنده فمر على قوم عندهم رجل موثق بالحديد فقال أهله انه قد حدثنا ان صاحبكم قد جاء بخير فهل عندك شيء ترقيه ؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ فاعطوني مائة شاة فاتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال خذها فلعمري لمن اكل برقيه باطل فقد اكلته برقيه حق اهـ من موارد الظمآن من زوائد ابن حبان للهيثمي (انظره ص: ٢٨٦.

٩- الحديث التاسع: في البخاري في فضائل قل هو الله احد عن أبي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرأ بقل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر له ذلك وكان الرجل يتقالها فقال صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن.

قال الحافظ في الفتح هو قتادة بن النعمان اخرجه احمد بن طريف ابن الهيثم عن أبي سعيد قال بات قتادة بن النعمان يقرأ من الليل كله قل هو الله احد لا يزيد عليها والذي سمعه لعله اخوه لأمه ابو سعيد وكانا متجاورين وبذلك جزم ابن عبد البر. وقد اخرج الدار قطني من طريق اسحاق بن الطباع عن مالك في هذا الحديث بلفظ ان لي جارا يقوم بالليل فما يقرأ الا بقل هو الله احد اهـ (انظر فتح الباري ص: ٤٣٥ جـ ١٠).

وفي الحديث اقرار الرسول صلى الله عليه وسلم له على هذا التخصيص والاقتصار على هذه السورة في قيام الليل مع ما فيه من التخصيص الذي لم يكن من عمله "صلى الله عليه وآله وسلم". وفيهما في سابقيه برقم ٣ و ٤ من الدلالة على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس اليه والاستكثار منه ولا يعد ذلك هجرانا لغيره مع كل هذا فلم نجد من العلماء من قال بافضلية قيام الليل بها وحدها لأنها كان عليه عمل الرسول من القراءة بالقرآن كله افضل من ذلك ولكن عمله وما يشبهه داخل في نطاق السنة وليس فيهما يذم بل هو محمود على كل حال وفيه رد على المبتدعين كالاحاديث السابقة والتي ستأتي

الحديث العاشر : روى اصحاب السنن واحمد وابن حبان في صحيحه عن أبي بريدة عن أبيه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد فاذا رجل يصلي يدعو: اللهم إني اسالك بأني أشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب اهـ. وهذا دعاء

انشأه الصحابيفيما يظهر ولما كانمطابقا للمطلوب اقره صلى الله عليه وآله وسلم باعلا درجات الاقرار والرضاء ولم يعلم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علمه اياه فنصوص الشريعة فيها العام المخصوص، والعام الذي أريد به المخصوص وفيها الحقيقة والمجاز وما يجب أن يصار إليه عند التعارض ألى غير ذلكمن القواعد الأصولية حتى قالوا: (مامن عام الا وخصص)أو يمنع وجود (كل)من التخصيص كما سنراه في آيات الكتاب الكريم

هذه القواعد لو عرفها المتبدعون لما اطلقوا السنتهم بالتبديع على أيمن انواع الخير ولما اطلقوا لأقلامهم العنان في اتهام الأئمة الاعلام

أنظر كيف يقولون عن الأئمة: (انهم بتقسيم البدعة فتحوا للبدع والمحدثات الأبواب علىمصاريعها) وحاشاهم لأنهم افهم بكلام الله ورسولهمن غيرهم واخشى لله واطوع لهومع هذا الاتهام الخطير فالمنقول عن الإمام الشافعي انه قال (البدعة بدعتان محمودةومذمومة فما وافق السنة فهو محمودوما خالفها فهومذموم) فهل الشافعيمعنى بهذه التهمة الشنيعة و عمر بن الخطاب الخليفة الثانرضي الله عنه بقوله (نعمت البدعة) ويؤثرمثل ذلك عن ابن عمر فهل هماشاقان لله ورسوله لأنه يلزممن قولهما ان في البدعة محمودا ومذموما وهناك جمهور من العلماء قرروا هذا التقسيممنهم النووي وابن عبد السلام والقرافي وابن العزو خاتمة الحفاظ ابن حجر فهل هؤلاء كلهم لا يفهمون كلام الله وكلام الرسول ؟.

لما ذا كل هذا لأن الرسول صلى اله عليه وآله وسلم قال (وكل بدعة ضلالة) وهذه الكلية تقتضي عندهم شمول الضلالة لكل محدث والمؤلف لا يعرف قواعد الاصول، وان في كلام الله، وكلام رسوله كثيرمن الكليات والعمومات من العام المخصوص او العام الذي اريد به المخصوص.و مع كل هذا فان لهم تقسيما آخر: البدعة المكفرة. والبدعة المحرمة والبدعة المكروهة تحريما والبدعة المكروهة تنزيها لم يدخل الحكم الخامس وهو البدعة المباحة لأنهم يرون ان البدع مخصوصة بالعبادة فهم يقسمونها الى دينية ودنيوية وكأن المباح ليسمن احكام الدين وكأن البدع التي تكون في غير العبادات لا يشملها الحديث. وهذا ايضا تخصيصمنهم لهذه الكلية التي يرفضون ان يقبل فيها تخصيص - والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول(من أحدث فيأمرنا ليسمنه فهو رد) وفي رواية في ديننا. وشرع الله ودينهشامل لكل تصرفات المسلم عباداته ومعاملاته واحكامه وأقضيته وانكحته

فوارثه وكل اعماله وكلها تدخلها البدع المحرمة ومن اخطر هذه البدع العقائد التي خرجت بها طوائف من الدين. واخطرها الخروج عن شريعة الله وهذه البدعة التي يزول الى الكفر. قد شملت معظم البلاد الاسلامية التي عمل لها اعداء الإسلام من المستشرقين واذنابهم حتى اخرجوا المسلمين عن شريعتهم وعقيدتهم. والعجيب والغريب ان الذين يعملون على آثارة الخلافات في المسائل الفرعية ويبدعون فيها من يخالفهم لا نجد لهم صوتا ولا حرفا في المسائل الكبرى التي وقع فيها المسلمون في كل بلد مع ان العمل فيها فرض عين في هذه الأزمان. ذلك لأن اثارة المسائل الخلافية في الفروع وفي هذا الزمن بالذات وهي المسائل التي وسعت المسلمين وأصحاب المذاهب منذ القدم فان اثارتها في هذا الوقت يفرق ولا يجمع مما يساعد على التناحر والتنافر والتراشق بالتهم والتبديع والتضليل ولامصلحة للمسلمين في ذلك. والعمومات في الكتاب والسنة كثيرة وكلها دخلها التخصيص او كانت من العام الذي أريد به الخصوص كقوله تعالى "تدمر كل شيء باذن ربها" وبالتأكيد فهي لم تدمر الارض كلها ولا الكواكب. وكقوله تعالى (وان ليس للانسان الاما سعى) مع ان هناك من الادلة ما يبلغ التواتر في ان المسلم ينتفع بعمل غيره من اخوانه المسلمين ودعاء الملائكة كما قرر ذلك ابن تيمية وذكر اكثر من عشرين موضعا بدلائلها اولها صلاة الجنازة والصدقة عن الميت ثم دعاء المؤمنين وفي العموم الذي اريد به الخصوص قوله صلى الله عليه وآله وسلم (في الحبة السوداء شفاء من كل داء الا السام) والحديث في البخاري. وقد اجمع الشراح انه ليس على عمومه مع أن فيه الكلية (كل).

فمن ذلك حديث مسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "لن يلج النار احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها" وهو من صيغ العموم قطعا ليس على عمومه فان من صلى هاتين الصلاتين الفجر والعصر وتركما عداهما من الصلوات والواجبات ليس مرادا قطعا فهو من العام الذي اريد به الخصوص او من العام المخصوص بالنصوص. (قال الطيبي كما نقله عنه الحافظ ابن حجر واقره: ان الاحاديث اذا ثبتت وجب ضم بعضها الى بعض فانها في حكم الحديث الواحد فيحمل مطلقها على مقيدها ليحصل العمل بجميع ما في مضمونها).

قال النووي (راجع حاشية السيوطي على سنن النسائي ص: ٢٣٤ جـ ٢) على قوله صلى الله عليه وسلم "وكل بدعة ضلالة" هذا عام مخصوص المراد به المحدثات التي ليس

في الشريعةما يشهد لها بالصحة فهي المراد بالبدع. وقال الحافظ ابو بكر بن العربي في شرحه على سنن الترمذي: (السابعة قوله : واياكم ومحدثات الامور. اعلموا علمكم الله ان اغدث على قسمين: محدث ليس له اصل الا الشهوة والعمل بمقتضى الارادة فهذا باطل قطعا (اي وهو البدعة الضلالة) ومحدث يحمل النظير على النظير فهذه سنة الخلفاء والائمة الفضلاء. قال وليس المحدث والبدعةمذمومين للنظر لمعناهما فقد قال الله تعالى:(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) وقال عمر (نعمت البدعة) وانما يذم من البدعةما خالف السنة ويذم من المحدثمادعا الى ضلالة. وهذا هو عين ما سبق اليه الامام الشافعي رحمه الله وقرره في تقسيم المحدث الى محمود ومذموم وهكذا نجد الأئمة الذين جاؤوا بعد الشافعيمثل سلطان العلماء العز ابن عبد السلام من الشافعية والامام النووي وابن الأثيرمن الشافعية وابن العربي والقرافي من المالكية وغيرهم كثير آخرهم الحافظ ابن حجر العسقلانيكلهم اقروا تقسيم المحدث الى محمود ومذموم وانه قد تعتريه الاحكام الخمسة بحسب الاصل الذي يبنى عليه والشواهد التي تشهد له او عليه او لما يترتب عليهمن المصالح او المفاسد والشواهد التي تشهد له او عليه او لما يترتب عليهمن المصالح او المفاسد اومصادمة الشرع اوموافقته وهذا لا يخيص من القول به لمن عرف السنة وقواعدهامن الاصول والفقة وهذا لا يتم الا لمن كان له الباع الطولي والفقه الصحيح والفهم العميق للشريعةومقاصدها. وليس ذلك لكل مدع متطاول لا يعرف الا طرفامن العلم اذا وجد نصا تمسك به ضاربا عرض الحائط بكل ما عداه من نصوص وقواعدومفاهيم وتقريرات أولي العلمويما اثر عن الصحابة ومن بعدهم اما جهلا او تجاهلا ظانا ان ذلك هو الصواب وكلما عداه خطأ.

ومعلوم ان الفقه في الدين يسوق الى النظر الفاحص وتتبع النصوص وحمل بعضها على بعض واعمال كلام الله وكلام رسولهماأمكن وحمل اعمال علماء المسلمين واقوالهم على الخيرما وجد لذلك محملا اذا هومن باب حسن الظن بالمسلمين المأموربه بل هو من اوثق عرى الايمان كما في الحديث ثممع تتبع الادلة عليه ان يتعرف كلام العلماء الراسخين وهم الاكثرون علما والذين هم اعظم فهما وورعا وتعليقهم على هذه الادلة وما لهم فيهامن جمع او تأويل ثمما جاء عن الصحابة الكرام قولا او عملا بما يفسر مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم اعرف بمراده وقصده ممن جاء بعدهم هكذا كان علماء الدين رضي الله عنهم اجمعين ولهذا لن تجد فيما قرروه او استحبوه استنباطا ما يخالف نصا الا

لمعارض ولا ظاهر الا بتأويل ؟ مقبول ولا تجد بينهم من يبدع مخالفيه او يضلله لعلمه بان لمتمسكا ومستدلا بما يصلح له ترجيحه وان عارض ترجيح غيره ولهذا لا تجد عندهم اطلاق التبديع الاعلى الفرق المنحرفة في العقائد.

وأما التبديع والتضليل للفرق المنحرفة في العقائد (كالباطنية والقدرية والخوارج) فهم الذين اجمع اهل السنة على تبديعهم وتضليلهم لتوافر النصوص وتظاهرها عليهم فالخوارج اول الفرق التي ظهرت بدعتها وتشددوا في مسلكهم حتى كفروا أمير المؤمنين عليا والصحابة الذين معه اخذا بالظواهر والعمومات التي نزلت في المشركين واشاعوا القول بالتكفير للمخالفين لهم في العقيدة واستباحوا دماءهم وأموالهم . . اخرج ابن مردويه عن مصعب ابن سعد قال نظر رجل من الخوارج الى سعد يعني ابن أبي وقاص رضي الله عنه فقال هذا من ائمة الكفر فقال سعد كذبت انا قاتلت ائمة الكفر فقال آخر منهم هذا من الأخسرين اعمالا فقال سعد كذبت اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه الآية. ذكره الحافظ في الفتح (راجع ص: ٤٠ جـ ١٠ فتح الباري). وروي الطبراني في الكبير الاوسط قال غزا عمارة بن قرض غزاة فمكث فيها ما شاء الله ثم رجع حتى اذا كان قريبا من الاهواز سمع صوت أذان فقال والله ما لي عهد بصلاة بجماعة من المسلمين منذ ثلاث وقصد نحو الأذان يريد الصلاة فاذا هو بالازارقة (قوم من الخوارج). فقالوا ما جاء بك يا عدو الله فقال: ما أنتم اخواني؟ قالوا انت اخو الشيطان لنقتلنك قال أما ترضون مني بما رضي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا اي شيء رضي بهمنك قال أتيته وانا كافر فشهدت ان لا اله الا الله وانه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فخلى عني قال فاخذوه فقتلوه. قال في مجمع الزوائد رجال اسناده رجال الصحيح.

هذه البدعة الضلالة وهذاما وقع ويقع من اتباعهم في كل عصر وهم انما اوتوا من حيث اغترارهم بانفسهم واخذهم بظواهر الآيات والأحاديث فهم لا يرون الحق الامعهم وكل من خالفهم فهو ضال مبتدع او كافر مشرك بل لا يستمعون الا من كان منهم وعلى شاكلتهم وينظرون الى جمهور الامة بالمنظار الاسود فا ما مبتدعة اومشركون خارجون عن الاسلام والمقصود ان واجب المسلم ان يحسن الظن بالمسلمين فضلا عن علماء الامة لأن اثارة المسائل الفرعية التي اختلف العلماء فيها بطريقة تسيء الظن بهؤلاء المجتهدين او تسيء بشيء من ذلك فيه هدم للدين وتفرقة للأمة التي وسعها اختلاف الائمة في الفروع منذ عصورها الاولى دون ان يفرق بينهم في العقيدة والاحترام والتضامن والتعاطف

وكلهممتدينون غيورون على الدين لاكما يظن المغيقــــهون في هــذا العصــر الذيــن يدعــون الاجتهاد فيمسائل الدين وهم اجهل الناس به وليس لديــــهممــن ادوات الاجتــهاد شــيء الا مجرد الدعوى بل هممقلدون لأنــــاسمشبوهــين طلعــوا علــى الامة بــآراء ينقــدون فيــها اجتهادات الأئمة الذين شهدت لهم الامة بــالعلم والفقــه والــورع في الديــن وكــان لهــم في الامة كما يقول ابن تيمية. لسان صدق انظــــر كلامــه في كتابــه (جــواب إهــل العلــم) في معرض الرد عى بعض المبتدعة في بعض الاقـــوال الـــتي ينتحلـــها قـــال (والمقصـــود ان هذيـــن القولين لا يقدر احد ان ينقل واحدامنها عن احدمن السلف اعـــني الصحابة والتـــابعين لهـــم باحسـان وسائر أئمة المسلمين المشهورين بالعلم والورع في الدين الـــذي لهـــم في الامـــة لســـان صدق فيزمن أحمد بن حنبل ولازمن الشافعي ولازمنأبي حنيفـــة ولا قبلـــهم اهــــ (أنظـــر ص: ٢٣ في كتاب جواب أهل العلـــم).

والمقصود تحذير الشاب المسلممن القول على الله ورســـوله بمـا لا يبلــغ فيــه درجــة الفــهم التام والإحاطة حتى لا يسلكمسالك الخوارج الذين ضللوا خيــــار الامـــة بآرائـــهم وأهوائـــهم وَ تَمَادِيهِمْ على عمومات الكتاب ولم يكن عندهممن العلم غيز هـــذه الظواهــر الــتي كثــيرامـا يقع صاحبها في الخطأ فان كان ولا بـــد فلنفســـه. فــلا يجــوز ان يطلــق لســانه بــالتبديع والتضليل لعلماء الامة ولا لاتباعهمما لم تكن المسالةمتفقـــا عليـــها بــين العلمــاء لأنمســالك العلماء في فهم البدعة مختلفة. وليعتبر بالخوارج واضرابهـــم فقــد ضلــوا بنــص الاحــاديث الصحيحة لاعتقادهم الحق فيما يعتقدونه ولم يكتفوا بذلـــك بـــل ضللـــوامـــن خالفـــهممـــن الصحابة ومن بعدهم ممن لا يرى رأيهم ولهذاذمـــهم الرســـول صلـــى الله عليـــه وآلـــه وســـلم وحكم بانهممارقونمن الدينمع انهم اكثر الناس تمســـكا بـــالدين ظـاهرا وتشـــددا في العبـــادة ولكنهم اوتوامن حيــــث غرورهــم بانفســـهم ورميـــهم مخالفيـــهم بـــالضلال. روى الإمـــام البخاري والمسلم عنأبي سعيد الخدري ﷺ ان رســـول الله ﷺ قـــال: "ان بعـــديمـــنأمـــتي قومـــا يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يقتلون اهل الاسلام ويدعـــون اهـــل الاوثـــان يمرقـــونمـــن الدين كما يمرق السهممن الرمية لئن ادركتهم لاقتلنهم قتـــل عـــاد". وقـــال البخـــاري كـــان ابن عمر يراهم شوارخلق الله وقال انهم انطلقوا الى آيات نزلـــت في الكفـــار فجعلوهـــا علـــى المؤمنين. علقه البخاري وقال الحافظ في الفتـــح وصلــه الطــبري في تهذيــب الآثــار باســناد صحيح اهـــ. واخرج ابو يعلي عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ ممـــا اخافـــه عليكـــم رجـــل قرأ القرآن حتى اذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤهالا سلام انفســـخمنـــه ونبـــذه وراء ظـــهره

وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك قال قلت يا نبي الله ايهما اولى بالشرك المرمي او الرامي) قال: الرامي قال ابن كثير اسناده جيد. واخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله (من قال لاخيه يا كفار فقد باء بها احدهما فان كان كما قال والا رجعت عليه). واخرجا عن أبي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من دعى رجلا بالكفر او قال عدو الله وليس كذلك الا حار عليه- اي رجع عليه" (هذه الاحاديث منقولة من كتاب مخطوط للعلامة المحدث الاصولي علي بن محمد بن يحيا علوي الحضوي.

والسبب الاعم في جميع ما سبق في الخوارج ومن نحا نحوهم في التبديع والتضليل هو الغلو في الدين وعدم الفقه والتفقه في مقاصد الشريعة مع الاعجاب بالنفس ودعوى الاحاطة بالشريعة حتى لا ترى الحق الا فيما تعتقده هي ولا تعتد باراء العلماء وافهامهم ولا تعبأ بمخالفتهم وهذه هي الروح الخارجية المقلونة التي ركز الشارع عليها ذم هم وهي اعجابهم بانفسهم واحتقارهم من عداهم حتى أداهم ذلك الى اطلاق التكفير والتضليل ثم استحلال دمائهم المعصومة فهي لا تحاول مطلقا فرض المخارج الحسنة الممكنة التي هي من روح الاسلام والتي ربى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليها صحابته الكرام في تحمل الخلاف في الرأي دون ان يفرق كلمتهم او يسيء بعضهم الى بعض رضي الله عنهم واخذ العلماء عنهم هذا الخلق الحسن فكانوا يحتوون الفهم في الكتاب والسنة وان خالف أفهامهم فيحكونه امانة.

فنسأل الله العلي القدير ان يجنب شبابنا وطلاب العلم منهم بالخصوص هذه الروح الخبيثة ويهديهم سواء السبيل حتى يعرفوا دينهم ويعتزوا برجالهم وعلماء الامة الذي نقلوا الينا هذا الدين واجهدوا انفسهم واعمارهم ليصل الينا ثروة عظيمة تعتز بها الامة الاسلامية وتراثا ضخما لا يوجد في الدنيا لمثيل فقها ونقلا ونقدا وتمحيصا وتقعيدا و حسبنا الله ونعم الوكيل. وقد كان حسن البناء رئيس الاخوانية والمودودية نفسه يحذر اتباعه من الانشغال بمحاربة أمثال هذه لأن في محاربة البدع الحقيقية شغلا ويريد بالبدع الحقيقية ما خالف الدين من المنكرات التي لا خلاف بين العلماء في احدمنها وضررها على الدين مما اكثرها واخطرها بين المسلمين ومراده بغيرها ما اندرج تحت اصل عام في الطلب ولكن صورته غيرمأثورة كسائر المسائل المستنبطة والمختلف فيها بين الفقهاء وهذا منه ادراك

خطورة البدع الحقيقية وخطورة السكوت عنها والانشغال بغيرهـــا. أمـــا الخلافـــات المذهبيـــة فهيأمر ضروري والاجماع علىأمر فرعـــيمتعـــذر.

فاذا عرفت السنة عرفت البدعة المضـــادة لهـــا تثبـــت ان ســـنة الرســـول هـــي طريقتـــه وان طريقته الواضحة بالنصوص المتكاثرة هي قبول كلمـــا كـــانمـــن الخـــير الـــذي جـــاء بـــه ولم يصادم نصا ولم يخالف هذى الرسول صلى الله عليه وسلم فـــهومـــن الســـنة وان لم يســـبق ان الرسول فعله بذاته أوأمر به وان البدعة هيما صادم نصـــا او خـــالف هـــدى الرســـول صلـــى الله عليه وآله وسلم او ترتبت عليهمفسده وهذا هومعـــنى قـــول علمائنـــا ان البدعـــة المضلـــة الواردة في الحديث الشريف هي المنافية لأمر الشرع والـــتي ليســـت هـــي مما طلبـــه.الشـــرع بدليل خاص او عام وكلما كان من الشرع وشـــــهد لـــه بـــالطلب دليـــل خا ص او عـــام فليس هو بالبدعة الشرعية المرادة في الحديـــث وان سمـــي بدعـــة باعتبـــاره اللغـــوي الشاملـــة للحسن والقبيح. واذا تتبعتما كتبه المخالفون عن البدعة. فـــاذا علمـــهم كلـــه محصـــور في حديث واحد وهو قوله صلى الله عليه وسلم "كل محدثة بدعـــة وكـــل بدعـــة ضلالـــة" ورمـــي كل أحاديث الرسول غيرها صلوات الله عليه – الدالة على حيـــازة كـــل خـــير.

ان النبي ﷺ يؤيد فيما يحدثما يوافق شريعته وينكرما ليسموافقا لهـــا فـــهذا عمـــر يقـــترح ان يتخذمقام ابراهيممصلي وان يحجبامهات المؤمنين قائلا: انـــه يدخـــل عليـــك الـــبر والفـــاجر فانزل الله فيموافقته القرآن لأنه اقترحما هو اعظم المصالح الدينيـــة. انظـــر هـــذا فقـــد اقـــره لما فيهمن الخير. ولكنمعاذ لما جاءمن الشام سجد للنـــبي صلـــى الله عليـــه وســـلم ظانـــا ان ذلكمن الـخيراقتداء بما رآه في الشاممن تعظيم اهل الكتـــاب لرهبـــانهم وتقـــد يســـهم فـــان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعظم لكن النـــبي ﷺ نهـــى ان يســـجد لاحـــد غـــير الله. وذلك لأن السجود غيرموافق لشريعته الحنيفية.فالهامباينة لغلـــو أهـــل الكتـــاب في تقديســـهم لأحبارهم ورهبانهم بالسجود لهم وجعل قبورهممســـاجد فحـــرم رســـول الله صلـــى الله عليـــه وآله وسلم سلوك طريقتهم. . . وأجاز اقتراح عمر لمـــا فيـــهمـــن المصلحـــة وعـــدم الفســـاد وانظر الأذان فانه الفاظمعدودة لا تزيد ولا تنقصوهـــع ذلـــك لمـــا جـــاءت الحاجـــة بســـبب المطر الى النداء فيهأمر رســـول الله صلـــى الله عليـــه وآلـــه وســـلم بـــالنداء (الا صلـــوا في رحالكم) وهذا يدل على ان الحكم يدورمع المصلحـــة والحاجـــة. واحكـــام الشريعـــة تـــارة تنقلمع العلة وتارةمع علتها وقد يعرف العلة الصحا بيمنـــها في بســـاط الكـــلامـــع الرســـول صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا عمر حكم في سواد العراق بعـــدم قســـمته وابقـــاه لجميـــع

المسلمين اولهم وآخرهم فان قيل هذا في غير العبادات. قلنا قد خصصتم عموم هذا الحديث اعنى (كل محدثة بدعةوكل بدعة ضلالة) وهؤلاء الانصار الذين تبوؤا الدار والإيمان كانوا يجتمعون لقراءة القرآن ولم يعهد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجمع الناس لقراءة القرآن. ولكن اخذوا ذلكمن عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم(ما اجتمع قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة) الحديث وهو في صحيحمسلم.

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو اربعين قال وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن : اخف الحدود ثمانين فأمربه عمر(مسلم ١٧٠٦) وافقه البخاري (٦٧٧٣) والترمذي (١٤٤٣) وفي رواية لمسلم فلما كان عمر ودنا الناسمن الريف والقرى قالما ترون في جلد الخمر فقال عبد الرحمن بن عوف: أرى ان تجعلها كاخف الحدود. قال: فجلد عمر ثمانين.

وعن حصين بن المنذر: قال شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان: أحدهما حمْران أنه شرب الخمر وشهد آخر. أنه رآه يَتقيّأ فقال عثمان. إنه لم يتقيأ حتى شربها. فقال: يا علي قم فاجلده فقال علي قم يا حسن ! فاجلده فقال الحسن وَلِّ حارهامن تَوَلِّي قارَّها (فكانه وجد عليه) فقال يا عبد الله بن جعفر. قم فاجلده فجلده وعلي يعد حتي بلغ اربعين فقال أمسك. ثم قال جلد النبي صلى الله أربعين وجلد أبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنة وهذا أحب إلي(مسلم ١٧٠٧). وأخرجه ابنماجه (٢٥٧١) وأبو داود ٤(٤/٤٤٨٠).

قال النووي قوله(من الريف والقرى) الريف: المواضع التي فيها المياه. او هي قريبةمنها، معناه: لما كانزمن عمر بن الخطاب ﷺ وفتحت الشام والعراق وسكن الناس في الريف مواضع الخصب وسعة العيش وكثرة الأعناب والثمار أكثروامن شرب الخمر، فزاد عمر في حد الخمر تغليظا عليهم وزجرا لهم عنها: وقال أيضا قوله (وكل سنة)معناه أن فعل النبي ﷺ وأبي بكر سنة يعمل بها وكذا فعل عمر ولكن فعل النبي ﷺ وأبي بكر أحب إلي واختلف العلماء في حد الخمر فقال الشافعي ﷺ وأبو ثور وداود وأهل الظاهر وآخرون: حده أربعون، قال الشافعي ﷺ للإمام أن يبلغ به ثمانين، وتكون الزيادة على الأربعين تعزيرات علي سببه في إزالة عقله وفي تعرضه للقذف والقتل وأنواع الإيذاء وترك الصلاة وغير ذلك ونقل القاضي عن الجمهورمن السلف والفقهاءمنهممالك وأبو حنيفة

وقال ابن حجر الهيتمي ٩٧٤ قال الشافعي رح ما أحدث وخالف كتابا أو سنة أو إجماعا أو أثرا فهو البدعة الضالة وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك فهي البدعة المحمودة والحاصل ان البدعة الحسنة متفق على ندبها وهي ما وافق شيئا مما مر . . . .

قال الإمام أبو شامة شيخ المصنف (أي النووي) ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبته ﷺ وتعظيمه وجلالته في قلب فاعل ذلك (فتح المبين لابن حجر الهيتمي على أربعين الحديث للنووي ١٠٨) ويظهر من هذا أن الأمور الكثيرة المطلوبة من حيث الإطلاق اذا اجتمعت على وجه مخصوص لا تكون بدعة مذمومة من حيث الاجتماع.

قال ابن حجر رح وقول السائل وهل الاجتماع للبدع المباحة جائز – جوابه نعم وهو جائز (فتاوى الحديثية ١٣٠).

وكذا اذا حول أمر مطلوب بالشرع بالاطلاق عن محله ووقته المورود في الحديث لا يجعله بدعة مهجورة قال ابن حجر رح ت: ٩٧٤

والأوزاعي والثوري وأحمد واسحاق رحمهم الله تعالى أنهم قالوا حده ثمانون واحتجوا بأنه الذي استقر عليه اجماع الصحابة، وأن فعل النبي ﷺ لم يكن للتحديد ولهذا قال في الرواية الأولى: نحو أربعين وحجة الشافعي وموافقيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما جلد أربعين كما صرح به في الرواية الثانية وأما زيادة عمر تعزيرات، والتعزير إلى رأي الإمام إن شاء فعله وإنشاء تركه بحسب المصلحة في فعله وتركه فرآه عمر ففعله ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا علي فتركوه وهكذا يقول الشافعي ﷺ أن الزيادة إلى رأى الإمام أما الأربعون فهي الحد المقدر الذي لا بدمنه ولو كانت الزيادة حدا لم يتركها النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه.

ولم يتركها علي رضي الله عنه بعد فعل عمر ولهذا قال علي وكل سنتمعناه الإقتصار على الأربعين وبلوغ الثمانين فهذا الذي قاله الشافعي ﷺ (شرح مسلم ٦/٢٣٤).

في مبحث المرقى بما نصه كلامهم هذا وغيره صريح في ان اتخاذ مرق للخطيب يقرأ الآية والخبر المشهورين بدعة وهو كذلك لانه حدث بعد الصدر الأول قيل لكنها حسنة لحث الآية على ما يندب لكل أحد من إكثار الصلاة والسلام عليه ﷺ لا سيما في هذا اليوم ولحث الخبر على تأكد الإنصات المفوت تركه لفضل الجمعة بل موقع في الإثم عند كثيرين من العلماء وأقول يستدل لذلك أيضا بأنه ﷺ أمر من يستنصت له الناس عند ارادة خطبة منى في حجة الوداع فقياسه انه يندب للخطيب امر غيره بأن يستنصت له الناس،وهذا هو شأن المرقى فلم يدخل ذكره للخبر في حيز البدعة أصلا – الى ان قال ففيه تأييد لما مر من ندب المرقى والدعاء قبل الجلوس (تحفة ٢/٦٢-٤٦١).

ويؤخذ من هذه العبارة ان الأمر المطلوب من حيث الإطلاق والكلية اذا أتى به كذلك لا يكون بدعة بل سنة بل البدعة الحسنية من حيث التشخص باعتبار الوقت أو المكان ولهذا صرح ابن حجر رح بان اتخاذ المرقى مندوب اي بالخبر السابق.

أَمْثِلَةُ الْبِدْعَةِ

وامثال هذه العبارات كثيرة في كلام الأئمة والآيات والأحاديث المتقدمة تشهدهم. فمن اعتقد أمثال هذه بدعة فهو المبتدع الضال المضل مثل المبتدعة في هذا العهد[٦] ومن البدعة ايضا تكفير المسلمين واستباحة

---

[٦] قال ملا علي القاري في المرقاة: فعليكم بسنتي أي بطريقة ثابتة عني واجبا اومندوبا وسنة الخلفاء الراشدين فانهم لم يعملوا إلا بسنتي فالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها.

وقال صاحب سبل السلام :أما حديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ اخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وصححه الحاكم وقال علي شرط الشيخين،ومثله حديث إقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر

أخرجه الترمذي وقال حسن وأخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان وله طرق فيها مقال إلا أنه يقوي بعضها بعضا فانه ليس المراد بسنة الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافقة لطريقته صلى الله عليه وسلم من جهاد الأعداء وتقوية شعائر الدين ونحوها. فإن الحديث عام لكل خليفة راشد لا يخص الشيخين ومعلوم من قواعد الشرع أنه ليس لخليفة راشد أن يشرع طريقة غير ما كان عليها النبي ﷺ على أن الصحابة رضي الله عنهم خالفوا الشيخين في مواضع ومسائل ثم قال إن التحقيق أن الاقتداء ليس هو التقليد

وقد علم من كلام القاري أنه يدخل في سنة الخلفاء ما استنبطوه من قواعد الشرع فهو سنته ﷺ من حيث الماهية وتكون موافقة لطريقته صلى الله عليه وسلم من هذه الحيثية فلا يوجد تشريع من الخليفة وكونها سنة الخلفاء من حيث التشخص فإن أراد الصاحب بالموافقة الموافقة من حيث الماهية والتشخص فلا يوجد معنى للإضافة والعطف الذي يقتضي المغايرة ويكون عثمان رضي الله عنه ومن معه جاهلين بالمعنى الذي قاله الصاحب ومبتدعين معاذ الله.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة خبيب قالت بنت الحارث والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وكانت تقول إنه لرزق رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت ثم قال اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين أقتل مسلما   على أي جنب كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ   يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله وكان خبيب هو الذي سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة (صحيح البخاري ٥٦٩/٢).

فهما وقع من إحلال الصحابة غير إحلال الشيخين على أن الصحابة لم يقتصروا في أذان الجمعة. فما قال الصاحب من أن الاقتداء هو التقليد مردود أيضا لأن الاقتداء ليس هو الجمود على التقليد.

قال الترمذي: حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن نافع عن ابن عمر أنه أهل فانطلق يهل يقول لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال

دمائهم تراهم يسارعون الى الحكم على المسلم بالكفر بمجرد مخالفتهم حتى لم يبق في المسلمين الا القليل وقد انعقد الإجماع على منع تكفير احد من أهل القبلة الا بانكار المعلوم من الدين ضرورة كنفي الصانع القادر جل وعلا او نفي التوحيد والنبوات وختم الرسالة بمحمد ﷺ والبعث في اليوم الأخر والحساب والجزاء والجنة والنار يكفر جاحد امثال هذه ولا يعذر احد من المسلمين بالجهل فيها الا من كان حديث عهد في الإسلام وكذا الشرك الجلي الذي لا يحتمل التأويل وقد قال ﷺ ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ الخ (ابو داود مشكوة ١٧)

وقال ﷺ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا (بخاري ٩٠١/٢) قال ابن عابدين في حاشية رد المحتار على الدر المختار في بيان البغاة بعد ما قال عن الخوارج ما نصه كما وقع في زماننا في اتباع ابن عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة لكنهم اعتقدوا انهم هم المسلمون وان من خالف اعتقادهم مشركون واستباحوا بذلك قتل اهل السنة وقتل علمائهم حتى كثر الله تعالى شوكتهم (حاشية رد المحتار على الدر المختار ٤٢٨/٣).

ومن البدعة ايضا اعتقاد التجسيم لله تعالى كما صرح ابن تيمية بالتجسيم في خطبته كما تقدم في نقل ابن بطوطة وكذا صرح ابن عبد الوهاب في كتاب التوحيد له بجسم الله تعالى وقد قال الله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (الشورى ١١) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

وكان عبد الله بن عمر يقول هذه تلبية رسول الله ﷺ لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك لبيك والرغبى إليك والعمل (الوهابي ١٦٩/١)

قال المباركفوري نفسه في بيان حديث عبد الصائم في الصلاة ثم الحديث دليل على جواز احداث ذكر في الصلاة غير مأثور فاته الحافظ (تحفة الاحوذي ٢٣٧/٢)

(الإخلاص) هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ (الحديد ٣) وتجسمه تعالى وان كان لا كالأجسام ينافي الأولية والقدمية والاخرية والسرمدية كما ينافيها ان يكون مركبا من الروح والجسد والدم والبول وغيره وان كان لا كالأشياء عن ابي هريرة ﷺ ان رسول الله ﷺ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى الخ رواه البخاري ومسلم. قال النووي رح في هذا الحديث وشبهه من أحاديث الصفات واياها مذهبان مشهوران احدهما تأويله على ما يليق بصفات الله سبحانه وتعالى وتنزيهه من الإنتقال وسائر صفات المحدث وهذا هو الأشهر عن المتكلمين.

والثاني الإمساك عن تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله سبحانه عن صفات الحدث لقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهذا مذهب السلف وجماعة من المتكلمين وحاصله ان يقال لا نعلم المراد بهذا ولكن نؤمن به مع اعتقادنا ان ظاهره غير مراد وله معنى يليق بالله تعالى الله اعلم (شرح المهذب ٤٨/٤) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٤) استدل به (أي بحديث ينزل ربنا) من اثبت الجهة وقال هي جهة العلو وانكر ذلك الجمهور لان القول بذلك يفضى الى التحيز تعالى الله عن ذلك (فتح الباري ٣٠/٣).

قال البناني اعلم ان المجسم فريقان فريق يعتقد ان الله تعالى جسم كسائر الأجسام وهذا لاخلاف في كفره وفريق يعتقد انه تعالى جسم لكن لا كسائر الأجسام بل جسم يليق به وهذا مختلف في كفره والمجسم في كلام الشارح من القبيل الثاني (حاشية البناني على شرح جمع الجوامع ١٤٧/٢).

ومن البدعة أيضا انكار عصمة الأنبياء واعتقاد انهم بشر مثلنا قال الله تعالى إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ الخ (الحجر ٤٢) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ (آل عمران ١٦١) فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ

عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (يونس ١٦) وقد قـــال ﷺ إِنِّي رَسُـولُ اللهِ وَلَسْـتُ أَعْصِيهِ (بخاري، كتاب الشـــروط).

ومن البدعة أيضا اهانة السلف الصالحين من الصحابـــة والأئمـــة كمـــا تقدم عن ابن حجر والشرواني ومن البدعة أيضـــا تبديـــل الشريعـــة الإســـلامية في مسائل كثيرة بحسب الأماكن والأوقـــات.

فليحذر وليخش عاقبة امر من يميل الى هـــذه الفرقـــة الضالـــة المبتدعـــة كيف لا وقد روي ابن ماجه عن حذيفة ؓ قال قـــال رســـول الله لَا يَقْبَـــلُ اللهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ صَوْمًا وَلَا صَلَاةً وَلَا صَدَقَـــةً وَلَا حَجًّـــا وَلَا عُمْـــرَةً وَلَا جِـــهَادًا وَلَا صَرْفًا وَلَا عَدْلًا يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا تَخْرُجُ الشَّعْـــرَةُ مِـــنَ الْعَجِـــينِ (ابـــن ماجه ٦ باب اجتناب البدع والجـــدل).

وقال ﷺ أَبَي اللهُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَـــتَّى يَـــدَعَ بِدْعَتَـــهُ (ابـــن ماجه) قال النبي ﷺ كُلُّهَا فِي النَّـــارِ إِلَّا وَاحِـــدَةً وَهِـــيَ الْجَمَاعَـــةُ (ابـــن ماجـــة ٢٨٧) وقال الدواني (قوله كلها في النار) من حيث الاعتقـــاد فـــلا يـــرد انـــه ان اريد الخلود فيها فهو خلاف الاجماع فـــان المؤمنـــين لا يخلـــدون فيـــها وان اريد مجرد الدخول فهو مشترك بين الفـــرق اذ مـــا مـــن فرقـــة الا وبعضـــهم عصاة (الدواني على العقائد ٥) وقال عبـــد الحكيـــم الســـيالكوتي في حاشتـــه على الدواني (قوله مـــن حيـــث الاعتقـــاد) لا قرينـــة علـــى هـــذا التقييـــد في الحديث الا تصحيح المعنى على طريقة اهل الســـنة والا ظـــهران يقـــال كلـــهم في النار لا جل الإفتراق المذكـــور الا واحـــدة فـــان افتراقـــهم ليـــس موجبـــا لدخول النار لكونهم ثابتين على ما عليه الرسول والصحابـــة وليـــس افتراقـــهم الى بدعة توجب الفسق او الكفـــر ولا يدخلـــون لأجـــل الإفـــتراق في النـــار وهذا لا ينافي دخولهم فيها للتقصير في العمـــل (حاشيـــة عبـــد الحكيـــم علـــى الدواني ٥).

وفي الحديث (إِنَّ بَنِي إِسْـــرَائِيلَ تَفَرَّقَـــتْ عَلَـــى ثِنْتَـــيْنِ وَسَـــبْعِينَ فِرْقَـــةً

وَتَفرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِي النَّـــارِ إِلَّافِرْقَـةً وَاحِـدَةً) قَـالُوا مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ (مَنْ هُمْ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَـــابِي) يعـنى مـا انـا عليه واصحابي من الإعتقاد والفعل والقــول فــهو حــق وطريــق موصـــل إلى الجنة والفوز والفلاح وما عداه بـــاطل وطريـــق الى النـــار ان كـــانوا ابـــاحيين فهم خلود والا فلا (روح البيـــان ١٣/١).



التَّحْذِيرُ عَنِ الْمُبْتَدِعَةِ

قال الله تعالى لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (المجادلة ٢٢).

قال الرازي: المعنى انه لا يجتمع الإيمان مع وداد أعداء الله وذلك لأن من أحب أحدا امتنع أن يحب مع ذلك عدوه (تفسير الكبير ٢٧٦/٢٩).

قال مدارك التنزيل في تفسير هذه الآية قال سهل رضي الله عنه من صحح إيمانه وأخلص توحيده فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر من نفسه العداوة ومن داهن[1] مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن أجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا أو غناها أذله الله بذلك العز وأفقره بذلك الغني ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب (مدارك التنزيل لعبد الله بن أحمد ابي البركات النسفي الحنفي

---

[1] قيل الفرق بين المداهنة والمداراة فان المداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا والمداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا او الدين اوهما جميعا فهي مباحة بخلاف الاولى. عن عائشة استاذن رجل رسول الله ﷺ وانا عنده فقال بئس ابن العشيرة ثم اذن له فالان له القول فلما خرج قلت له يا رسول الله قلت له ما قلت ثم النت له القول قال يا عائشة ان من شر الناس من تركه الناس او ودعه الناس اتقاء فحشه رواه الشيخان قال النووي اسم هذا الرجل عيينة بن حصن ولم يكن اسلم حينئذ وان كان قد اظهر الاسلام فاراد النبي ﷺ ان يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف بحاله وكان منه في حياته وبعده ما دل على ضعف إيمانه فقوله ﷺ من اعلام النبوة لانه ارتد بعده ﷺ وجيئ به اسيرا الى الصديق.

المتوفى ٧١٠: ٢٣٧/٤). وكذا ايضا في تفسير روح البيان للشيخ اسمعيل حقي البروسوي : ٤٢٦/٩ وفيه سهل بن عبد الله التستري. وفي كشف الظنون ٤١٦/٥ هو الصوفي الزاهد ولد سنة ٢٠٠ ت ٦٨٣.

وفي روح البيان ما نصه: اما المعاملة للمبايعة العادية او للمجاورة او للمرافقة بحيث لا تضر بالدين فليس بمحرمة (روح البيان ٤١٢/٩).

وفي الجامع: استدل مالك رحمه الله من هذه الآية على معادات القدرية وترك مجالستهم قال اشهب عن مالك لا تجالس القدرية وعادهم في الله لقوله تعالى "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ" قلت : وفي معنى أهل القدر جميع أهل الظلم والعدوان (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٠٨/١٧).

وقال الله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (الأنعام : ١٥٩).

وفي الطبرى في تفسير هذه الآية عن أبي هريرة ﷺ انه قال قال رسول الله ﷺ في هذه الآية "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ" وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال ان الله اخبر نبيه ﷺ انه بريء ممن فارق دينه الحق وفرقه وكانوا فرقا فيه وأحزابا شيعا وانه ليس منهم ولا هم منه لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام دين إبراهيم الحنيفية كما قال له ربه وامره ان يقول قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فكان من فارق دينه الذي بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ووثني ويهودي ونصراني ومتحنف مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضل به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة إبراهيم المسلم فهو بريء من محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد منه

برئ وهو داخل في عموم قوله"إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ (طبري ٧٨/٨).

وفي القرطبي: هذه الآية عامة في جميع الكفار وكل من ابتدع وجاء بما لم يؤمر الله عز وجل به فقد فرق دينه (القرطبي ١٤٩/٧).

وقال تعالى أيضا: وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (الأنعام ١٥٣).

وفي القرطبي : هذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء قاله ابن عطية وهو الصحيح . . . وقال مجاهد في قوله "ولا تتبعوا السبل قال : البدع : (قرطبي ١٣٨/٧ وفيه أيضا : ومضى في "النساء" وهذه السورة النهيُ عن مجالسة أهل البدع والأهواء وان من جالسهم حكمه حكمهمّ فقال: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا "الآية ثم بيّن في سورة النساء وهي مدنية عقوبة من فعل ذلك وخالف ما امر الله به فقال "وقد نزل عليكم في الكتاب " الآية فالحق من جالسهم بهم وقد ذهب الى هذا جماعة من أئمة هذه الأمة وحكم بموجب هذه الآيات في مجالس أهل البدع على المعاشرة والمخالطة منهم أحمد بن حنبل والأوزاعي وابن المبارك فإنهم قالوا في رجل شأنه مجالسة أهل البدع قالوا: ينهى عن مجالستهم فان انتهى والا الحق هم يعنون في الحكم (قرطبي ١٤٢/٧).

قال الله تعالى : وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (هود ١١٣).

وفي القرطبي : الى الذين ظلموا قيل أهل الشرك قيل عامة فيهم وفي العصاة على نحو قوله تعالى وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا (الآية) وهذا هو الصحيح في معنى الآية وانها دالة على هجران الكفر والمعاصي

من أهل البدع وغيرهم فإن صحبتهم كفـــرا ومعصيـــة اذ الصحبـــة لا تكـــون الا عن مودة وقد قال حكيـــم:

عَنِ ٱلْمَرْءِ لَا تَسْئَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَـــارِنِ يَقْتَـــدِي

(قرطبي ١٠٨/٩)

وقال تعالى: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَـــأَعْرِضْ عَنْـــهُمْ حَـــتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُـــدْ بَعْـــدَ الذِّكْـــرَىٰ مَـــعَ ٱلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (الأنعام ٦٨) قال القرطبي في هذه الآية رد مـــن كتـــاب الله عـــز وجل على من زعم أن الأئمة الذين هـــم حجـــج واتباعـــهم لهـــم ان يخـــالطوا الفاسقين ويصوّبوا آرائهم تقية (قرطـــبي ١٢/٧). وفيـــه أيضـــا : وقـــد قـــال بعض أهل البدع لأبي عمران النخعي: اسمع منّي كلمـــة فـــأعرض عنـــه وقـــال ولا نصف كلمة. ومثله عن أيوب السختياني وقال الفضيل بـــن عيـــاض مـــن أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نـــور الإســـلام مـــن قلبـــه ومـــن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ومـــن جلـــس مـــع صـــاحب بدعـــة لم يعط الحكمة واذا علم الله عز وجل من رجـــل انـــه مبغـــض لصـــاحب بدعـــة رجوت ان يغفر الله له وروي ابو عبـــد الله الحـــاكم عـــن عائشـــة رضـــي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَـــدْ أَعَـــانَ عَلَـــى هَـــدْمِ ٱلْإِسْلَامِ فبطل بهذا كله قـــول مـــن زعـــم ان مجالســـتهم جـــائزة اذا صـــانوا اسماعهم (قرطـــبي ١٣/٧).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَـــانِ دَجَّـــالُونَ كَـــذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ ٱلْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَـــاؤُكُمْ فَإِيَّـــاكُمْ وَإِيَّـــاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُـــمْ (مســـلم ١٠/١ بـــاب النـــهي عـــن الروايـــة عـــن الضعفاء).

روي مسلم في صحيحه عن يحي بـــن يعمـــر في حديـــث طويـــل عـــن القدرية قَالَ ابْنُ عُمَرَ فَإِذَا لَقِيتَ أُولَٰئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْـــهُمْ وَأَنَّهُـــمْ بُـــرَآءُ

مِنِّي وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ (مسلم ٢٧/١ كتاب الإيمان).

وفيه أيضا: ان نجدة كتب إلى ابن عباس يسئله عن خمس خلال فقال ابن عباس لَوْلَا أَنْ أَكْتُمَ عِلْمًا مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ الخ (مسلم ١١٦/٢ باب النساء الغازيات يرضخ لهن. قال النووي رح: معناه ان ابن عباس يكره نجدة لبدعته وهي كونه من الخوارج (شرح مسلم للنووي ١١٦/٢). قال صلى الله عليه وسلم : مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ (بيهقي، مشكاة ٣١/١).

عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ إِنَّ مَجُوسَ[٢] هٰذِهِ الْأُمَّةِ الْمُكَذِّبُونَ بِأَقْدَارِ اللهِ إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ وَإِنْ لَقِيتُمُوهُمْ فَلَا تُسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ (ابن ماجه ١٠) وزاد ابن حبان: وَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ وَلَا تُصَلُّوا مَعَهُمْ. وفي أبي داود عن ابن عمر إِذَا مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوٰى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (الصواعق المحرقة ٢٥٠).

روى البخاري في حديث كعب بن مالك قال كعب: فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي (بخاري سندي ٨٨/٣ باب حديث كعب بن مالك ومسلم ٣٦٣/٢).

---

[٢] فان المجوس ينسبون بعض الأمور الى الله وبعضها إلى الشيطان اعني بعضها الى اهر من وبعضها إلى يزدان فكذا المكذبون بقدر الله ينسبون بعض الامور إلى الله وبعضها إلى العبد وكذا الهندوكيون ينسبون الخير إلى وشن والشر الى شون.

قال النووي في فوائد هذه الحديث: الحادية عشرة استحباب هجران أهل البدع والمعاصي الظاهرة وترك السلام عليهم ومقاطعتهم تحقيرا لهم وزجرا شرح مسلم ٣٦٣/٢) وقال النووي أيضا وأما المبتدع ومن اقترف ذنبا عظيما ولم يتب منه فينبغي أن لا يسلم عليهم ولا يرد عليهم السلام كذا قاله البخاري وغيره من العلماء واحتج الإمام أبو عبد الله البخاري بما رويناه في صحيح البخاري ومسلم في قصة كعب بن مالك (الأذكار ٢٢٨) وفتح الباري نقلا عن النووي ١٤/١١) وقال الطبري: قصة كعب بن مالك أصل في هجران أهل المعاصي وقد استشكل كون هجران الفاسق أو المبتدع مشروعا ولا يشرع هجران الكافر وهو أشد جرما منهما لكونهما من أهل التوحيد في الجملة . . . . وأجاب غير ابن بطال بأن الهجران على مرتبتين: الهجران بالقلب والهجران باللسان فهجران الكافر بالقلب وبترك التودد والتعاون والتناصر لا سيما اذا كان حربيا وانما لم يشرع هجرانه بالكلام لعدم ارتداعه بذلك عن كفره بخلاف العاصي المسلم فانه ينزجر بذلك غالبا (فتح الباري ٤٩٧/١٠ باب ما يجوز من الهجران لمن عصى).

قال ابن حجر نقلا عن النووي: السنة اذا مر بمجلس فيه مسلم وكافرأن يسلم بلفظ التعميم يقصد به المسلم قال ابن العربي ومثله اذا مر بمجلس جمع أهل السنة والبدعة (فتح الباري ٣٩/١١).

وقال أيضا وقد ذهب الجمهور إلى أنه لا يسلم على الفاسق والمبتدع (فتح الباري ٤٠/١١) وقد عد النووي رح الأسباب التي تجوز بها الغيبة بل قد تجب وقال : ومنها اذا رأيت متفقها يتردد إلى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علما وخِفْتَ عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدا نصيحته. ومنها ان يكون مجاهرا لفسقه أو بدعته (شرح مسلم ٣٢٢/٢، فتح

الباري ٣٨٧/١٠ بـــاب مـــا يجـــوز مـــن اغتيـــاب أهـــل الفســـاد والريب).

قال النووي في الحديث هجـــران أهـــل البـــدع والفســـوق ومنـــابذي السنة مع العلم وانه يجوز هجرانه دائما والنهي عن الهجران فـــوق ثلاثـــة أيـــام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعـــايش الدنيـــا وأمـــا أهـــل البـــدع ونحوهـــم فهجرانهم دائما (شرح مســـلم ١٥٢/٢). (وفي التحفـــة : اذا ظـــهر أمـــارات نشوزها وعظها بـــلا هجرفـــان تحقـــق نشـــوز ولم يتكـــرر وعـــظ وهجـــر في المضجع) لا في الكلام لحرمته لكل أحـــــد فيمـــا زاد علـــى ثلاثـــة أيـــام إلا ان قصد به ردها عن المعصية واصلاح دينها لجواز الهجر بل ندبـــــه لعـــذر شرعـــي ككون المهجور نحـــو فاســـق أو مبتـــدع (تحفـــة ٤٥٥/٧ وكـــذا في النهايـــة ٣٩٠/٦ كتب عليه علي الشبراملسي اي وان كـــان هجـــره لا يفيـــد تركـــه الفسق والبدعة: هامش النهايـــــة ٣٩٠/٦).

قال ابن حجر رح: وابتداء الســـلام ســـنة إلا علـــى فاســـق ومبتـــدع (تحفة ٢٢٧/٩). (قوله ومبتدع)ان لم يفســـق ببدعتـــه اهـــــ ع ش : (شـــرواني ٢٢٧/٩).

وقال الطيبي: المختار ان المبتدع لا يبدأ بالسلام ولـــو ســـلم علـــى مـــن لا يعرفه فظهر ذميا أو مبتدعا يقول اســـترجعت ســـلامي تحقـــيرا لـــه (شـــرح مسلم للشيخ محمد ذهني ٥/٢). قال النـــووي رح: قـــال أصحابنـــا الصـــلاة وراء الفاسق صحيحة ليســـت محرمـــة لكنـــها مكروهـــة وكـــذا تكـــره وراء المبتدع الذي لا يكفر ببدعتـــه وتصـــح ونـــص الشـــافعي في المختصـــر علـــى كراهة الصلاة خلف الفاسق والمبتدع فـــان فعلـــها صحـــت (شـــرح المـــهذب ٢٥٣/٤).

وقال سعد الديـــن التفتـــازاني: لا كـــلام في كراهـــة الصـــلاة خلـــف الفاسق والمبتدع وهذا إذا لم يؤد إلى حد الكفـــر (شـــرح العقـــائد ١٤٣).

(وفي التحفة: وما كثر جمعه أفضل إلا لبدعة امامه) التي لا تقتضي تكفيره كرافضي او فسقه ولو بمجرد التهمة اي التي فيها نوع قسوة كما هو واضح فالأقل جماعة بل الإنفراد أفضل ولو تعذرت إلا خلف من يكره الاقتداء به لم تنتف الكراهة كما شمله كلامهم ولا نظر لأدامة تعطلها لسقوط فرضها حينئذ (تحفة ٢٥٤/٣) قوله بل الإنفراد أفضل – جزم به الروض أيضا: سم.

قال ابن حجر في التحفة أيضا والجماعة خلف مبتدع لم يكفر ببدعته أشد (اي كراهة) لأن اعتقاده لا يفارقه (تحفة ٢٩٤/٢) وكذا في المغني أيضا ٢٤٢/١).

قال سعد الدين التفتازاني : وهذا (الكراهة) اذا لم يؤد الفسق او البدعة الى حد الكفر وأما إذا أدى فلا كلام في علم جواز الصلاة (شرح العقائد ١٤٦).

قال ابن حجر: وبحث الاذرعي حرمة الاقتداء بالمبتدع على عالم شهير لأنه سبب لأغواء العوام ببدعته (شرح بافضل ٤٠/٢) قوله وبحث الأذرعي أقره في الفتح والا مداد وهو ظاهر (كردي على شرح بافضل ٤٠/٢).

قال الشرواني: وفي البجيرمي عن البرماوي ما نصه: ويحرم على أهل الصلاح والخير الصلاة خلف الفاسق والمبتدع لأنه يحمل الناس على تحسين الظن بهم (شرواني حاشية التحفة ٢٩٤/٢).

وفي التحفة: قال الماوردي ويحرم على إمام نصب الفاسق إماما للصلوات لأنه مأمور بمراعاة المصالح وليس منها ان يوقع الناس في صلاة مكروهة اهـ ويأخذ منه حرمة نصب كل من كره الإقتداء به وناظر المسجد ونائب الإمام كهوفي تحريم ذلك كما هو ظاهر (تحفة ٢٩٥/٢) وكذا في النهاية ١٨٠/٢).

وبين ابن حجر رح عدم صحة توليته فقال: والراتب من ولاه

الناظر ولاية صحيحة بأن لم يكره الإقتداء به ٢/٢٩٧) وعبارة ع ش أي ولا تصح توليته كما قاله ابن حجر ومعلوم انه حيث لم يصح توليته لا يستحق ما رتب للإمام اهـ (شرواني ٢/٢٩٥).

قال ابن حجر رح الاستسقاء سنة عند الحاجة وان كان المحتاج لذلك طائفة مسلمين قليلة فيسن لغيرهم الإستسقاء لهم نعم ان كانوا فسقة أو مبتدعة لم يفعل لهم على ما بحث لئلا تظن العامة حسن طريقتهم (تحفة ٣/٦٦ وعبارة النهاية ٢/٤١٤ والمغني ١/٣٢١) زجرا له وتأديبا ولأن العامة تظن بالاستسقاء لهم حسن طريقتهم والرضابها وفيها مفاسد اهـ.

وكتب عليه علي الشبراملسي: أي وان لم يكفر بها بل وان لم يفسق بها وبقي ما لو احتاجت طائفة من أهل الذمة وسئلوا المسلمين في ذلك فهل ينبغي إجابتهم أم لا فيه نظر والاقرب الاول وفاء بذمتهم ولا يتوهم مع ذلك ان فعلنا ذلك لحسن حالهم لأن كفرهم محقق معلوم وتحمل اجابتنا لهم على الرحمة بهم من حيث كونهم من ذوي الروح بخلاف الفسقة والمبتدعة ع ش هامش النهاية ٢/٤١٤ شرواني ٤/٦٦).

قال الخطيب الشربيني: يسن عيادة المريض ان كان مسلما فان كان ذميا له قرابة او جوار او نحوهما استحب ثم قال قال الأذرعي وفي استحباب عيادة أهل البدع المنكرة إذا لم تكن قرابة ولا جوار ولا رجاء توبة نظر لأنا مامورون بمهاجرتهم اهـ وهو ظاهر مغني ١/٣٣٠ وكذا نهاية ٢/٤٣٥) قال ع ش وقضية التعليل عدم سن عيادتهم بل كراهتها سيما اذا كان في ذلك زجر: ع ش هامش النهاية ٢/٤٣٥).

قال ابن حجر رح: ولو اجتمعا اي اثنان في درجة وكل أهل للامامة فالأسن العدل اولى وخرج بقولنا وكل أهل للامامة غير الأهل نحو الفاسق والمبتدع (تحفة ٣/١٥٥).

وعبارة المغني ٣٤٧/١ أما غير العدل من فاسق ومبتدع فلا مدخل له في الإمامة اهـ وكذا في كنز الراغبين شرح المنهاج للمحلي ٣٣٦/١ فيعلم من هذا النقل اذا كان أقرب الميت مبتدعا فلا يتساهل للصلاة على ذلك الميت بل يصلي الأ بعد.

قال ابن حجر رح في التحفة: فان رأى خيرا (اي عند غسل الميت) ذكره أو غيره حرم ذكره إلا لمصلحة فيهما فيسر الخير في نحو متجاهر بفسق أو بدعة لئلا يغتربه ويظهر الشرفيه لينزجر عن طريقته غيره بل بحث وجوب الكتم في الأول وهو متجه ان ترتب عليه ضرر (تحفة ١٨٥/٣) (قوله بحث الخ اعتمده النهاية والمغني في المبتدع : شرواني ١٧٥/٣).

قال في البجيرمي عن البرماوي ما نصه وتكره (اي التعزية) لنحو تارك صلاة ومبتدع (شرواني ١٧٩/٣) قال ابن حجر رح وأن لا يكون بمحل حضوره منكر (عند اجابة الدعوة) اي محرم ولو صغيرة ... وكداعية لبدعة (تحفة ٤٣٠/٧).

ومنع العلماء المبتدع عن الامامة الكبرى ايضا فقال النووي في شرح مسلم ١٢٥/٢ قال القاضي عياض أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لوطرا عليه الكفر انعزل قال وكذلك عند جمهورهم البدعة قال وقال بعض البصريين تنعقد له وتستدام له لأنه متأول قال القاضي فلو طرا عليه كفر أو تغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب امام عادل إن أمكنهم ذلك (ونقله الشرواني ٧٥/٩).

قال السيوطي في تنوير الحوالك: وما زالت الصحابة والتابعون فمن بعدهم يهجرون من خالف السنة أو من دخل عليهم

من كلامه مفسدة وقد ألفت في ذلك كتابا سميته "الزجر بالهجر" (تنوير الحوالك ٣/٩٩).

قال ملا علي القاري: فان هجرة أهل الأهواء والبدع واجبة على مر الأوقات ما لم يظهر منه التوبة والرجوع إلى الحق فإنه صلى الله عليه وسلم لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوما (مرقاة على المشكوة ٤/٧١٦).

قال ابن حجر في قوله ﷺ: "وَمَنْ سَلَّمَ عَلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ أَوْ لَقِيَهُ بِالْبِشْرِ أَوِ اسْتَقْبَلَهُ بِمَا يَسُرُّهُ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ تعالى" والمراد بأصحاب البدع فيه من كان على خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة (فتاوى الحديثية ٢٨٠). وقال ابن حجر رح نقلا: لَا يُكَاثِرِ أَهْلَ الْبِدَعِ وَلَا يُجَالِسهُمْ وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ قَالَ مَنْ سَلَّمَ عَلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَحَبَّهُ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ "أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ" وَلَا يُجَالِسُهُمْ وَلَا يُصَلِّي عَلَيْهِمْ إِذَا مَاتُوا وَلَا يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا بَلْ يُبَايِنُهُمْ فِي اللهِ (الصواعق المحرقة ٢٥٠).

قال عبد القاهر بن طاهر الشافعي في كتابه - الفرق بين الفرق وان كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أو الخوارج أو الرافضة الإمامية أو الزيدية فهو من الأمة في بعض الأحكام وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين وفي ان لا يمنع حظه من الفيء والغنيمة ان غزا مع المسلمين وفي ان لا يمنع من الصلاة في المساجد وليس من الأمة في أحكام سواها وذلك أن لا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية ولا يحل للسني ان يتزوج المرأة منهم اذا كانت على اعتقادهم (الفرق بين الفرق ١٤).

قال ابن حجر رح : ويسن بل قيل يجب والمنتصر له وللمنازع في طلبها حال معقل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لكل أحد (الحقة

١٤٤) قوله : والمنازع وهو ابن تيمية ومن تبعه من الفرقة الضالة المشهورة في زمننا بالوهابية خذلهم الله تعالى (شرواني ٤/١٤٤).

قال الشيخ قطب الاقطاب الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني:واتفق أهل السنة على وجوب الكف عما شجر بينهم (أي الصحابة) والإمساك عن مساويهم واظهار فضائلهم ومحاسنهم وتسليم أمرهم إلى الله عز وجل على ما كان وجرى من اختلاف علي وطلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم على ما قدمنا بيانه واعطائه كل ذي فضل فضله كما قال الله عز وجل "وَالَّذِينَ جَاؤُا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ" وقال صلى الله عليه وسلم "إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا" وفي لفظ "وَإِيَّاكُمْ وَمَا شَجَرَ بَيْنَ أَصْحَابِي فَلَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ" وقال صلى الله عليه وسلم "لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي وَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ" وقال صلى الله عليه وسم في رواية أنس ﷺ "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابِي فَجَعَلَهُمْ أَنْصَارِي وَجَعَلَهُمْ أَصْهَارِي وَإِنَّهُ سَيَجِيءُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَنْقُصُونَهُمْ أَلَا فَلَا تُوَاكِلُوهُمْ أَلَا فَلَا تُشَارِبُوهُمْ أَلَا فَلَا تُنَاكِحُوهُمْ أَلَا فَلَا تُصَلُّوا مَعَهُمْ أَلَا فَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ حَلَّتِ اللَّعْنَةُ (الغنية ١/٧٩) مطبوع بمبئ.

وقال الشيخ أيضا: فعلي المؤمن اتباع السنة والجماعة فالسنة ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجماعة ما اتفق عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين المهديين رحمة الله عليهم أجمعين وأن لا يكاثر أهل البدع ولا يداينهم ولا يسلم عليهم لأن امامنا احمد بن حنبل رح قال: من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه لقول النبي ﷺ "افشوا السلام بينكم تحابوا" ولا يجالسهم ولا يقرب منهم ولا يهنيهم في الاعياد وأوقات السرور ولا يصلي اذا ماتوا ولا يترحم عليهم

اذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم في الله عز وجل معتقدا بطـــلان مذهـــب أهـــل بدعة محتسبا بذلك الثواب الجزيل والأجر الكثـــير (الغنيـــة ١/٨٠).

فعلم مما نقلنا من الآيـــات والأحـــاديث وكـــلام المفســـرين والمحدثـــين والفقهاء والمؤرخين والصوفيين التحذير عـــن كـــل اجتمـــاع واختـــلاط مـــع المبتدعة بحيث يؤدي إلى رواج بدعاتهم وضلالاتهم وذلـــك ظـــاهر لكـــل عـــاقل والله أعلم هـــ.



إِيمَانٌ بِاللهِ تَعَالَى

أول ما يستضاء به على معرفته تعالى ما ارشد إليه القرآن الكريم فليس بعد بيانه بيان قال الله تعالى إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (البقرة ١٦٤). وقال تعالى: أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ[1] طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (نوح ١٨-١٥).

فليس يخفى على من معه أدنى عقل إذا تأمل بأدنى فكر مضمون أمثال هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسماوات وبدائع فطرة الحيوانات والنباتات ان هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره فالبعرة تدل على البعير وأثر الأقدام تدل على المسير فأرض ذات فجاج وبحور

---

[1] قال صلى الله عليه وسلم من أخذ شبرا من الأرض ظلما فانه يطوقه يوم القيمة من سبع ارضين (متفق عليه). قال النووي في شرح الحديث هذا تصريح بان الأرض سبع طبقات وهو موافق لقوله تعالى سبع سموات ومن الأرض مثلهن وقول من قال المراد بالسبع الاقاليم خلاف الظاهر اذ لم يطوق من غصب شبرا من الارض شبرا من كل اقليم بخلاف طبقات الارض فانها تابعة لهذا الشبر في الملك اهـ. فيحتمل ان يكون المراد من سبع سموات المسافة المعينة وما فيها من الكوكب فوق الارض من حولها. فالمسافة المعينة وما فيها من الكواكب الى حد معين السماء الاولى وكذا المسافات المعينة المطبقة مع ما فيها من الكرات سماء ثانية وثالثة ورابعة وهكذا وكما ان السبب لعد الارض سبع طبقات الامور الطبعية مثلا يكون ظهرها منجمدا بخلاف ما تحتها وبعضها يكون احمر وبعضها كلون الرماد وكذا السبب لعدما فوق الارض سبعا الامور الطبعية وظاهر ان كل ما علاك فهو سماء وهو على طبائع مختلفة.

ذات أمواج وسماء ذات أبراج أفلا تدل على اللطيف الخبير. بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره وتدبيره وتلتجئ عقول الإنسان إلى صانعه كما يلتجئ العطشان إلى الماء والجائع إلى الطعام ولذلك قال الله تعالى أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ (ابراهيم ١٠) ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أمروا أن يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وعنفوان شبابهم ولذلك قال الله تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ (الروم ٣٠). فاذا في فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة البرهان.

أَدِلَّةُ وُجُودِهِ

ولكنا على سبيل الإستظهار نقول ان العالم حادث وكل حادث لا بد له من سبب ومحدث والمحدث هو الله تعالى وهو قديم بالذات لا يتصور له سبب ومحدث لأن احداث القديم تحصيل الحاصل وهو محال بالبداهة[٢] وانما قلنا لا بد له من سبب فان احدى كفتي الميزان لا تكون راجحة ولا مرجوحة بلا سبب من الأسباب بالضرورة.

وأما قولنا ان العالم حادث فلأنه متغير من الوجود إلى العدم ومن العدم إلى الوجود بالمشاهدة ألا ترى موجودا يفقد ومعدوما يوجد وآهلا يخرب وديارا هالكة والماء ينقلب هواء بأسباب طبيعية وبحيل اكسيرية وبالعكس والتراب ينقلب ماء وبالعكس والنار ينقلب هواء وبالعكس

---

[٢] قال رسول الله على الله عليه وسلم لا يزال الناس يتساؤلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فليقولوا الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد. ثم ليتفل عن يساره ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم رواه ابو داود – مشكوة باب الوسوسة. يعني ان هذا السؤال سفاهة ووسوسة شيطانية فالذي يليق به إيمان العجائز.

والمادة ينقلب قوة[٣] وبالعكس والمتحرك ساكنا وبالعكس فكل واحد من أجزاء العالم يقبل العدم وزوال الوجود فليس وجوده واجبا ممتنع الزوال فلا يكون وجوده لذاته ولا قديما لا أول له وإلا لكان ممتنع العدم فالعالم ممكن وموجود عن موجد ومحدث ولوجوده بداية فالعالم حادث.

وانما قلنا ان القديم ممتنع العدم لأنه لو انعدم لكان لا يخلو إما ان ينعدم بنفسه أو بسبب معدم يضاده وينا فيه،الأول محال لأنه ترجيح بلا مرجح والثاني أيضا باطل لأن القديم لا يكون إلا واجبا والواجب يمتنع عدمه ولان ذلك السبب المنافي لو كان قديما لما تصور وجود القديم الآخر معه ولو كان حادثا لكان محالا اذ ليس الحادث في منافاته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في منافاته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث بل هذا الحادث لا يتصور وجوده مع وجود منافاته القديم لان من شرط الوجود عدم المنافي[٤].

---

[٣] مثلا الحديد ينقلب معنا طيسا والمعناطيس ينقلب كهرباء والكهرباء يقبل العدم.

[٤] قال السعد في شرح العقائد العالم بجميع اجزاءه محدث اذ العالم اعيان واعراض فالاعيان ما له قيام بذاته (معنى قيام العالم بذاته عند المتكلمين ان يتحيز بنفسه غير تابع تحيزه لتحيز شيى آخر بخلاف العرض فان تحيزه تابع لتحيز الجوهر) وهو اما مركب وهو الجسم او غير مركب كالجوهر وهو الجزء الذي لا يتجزأ والعرض ما لا يقوم بذاته ويحدث في الاجسام والجواهر فالكل حادث اما الاعراض فبعضها بالمشاهدة كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة والسواد بعد البياض وبعضها بالدليل وهو طريان العدم كما في اضداد ذلك فان القديم ينافي العدم لان القديم ان كان واجبا لذاته فظاهر والا لزم استناده اليه بطريق الا يجاب اذ الصادر عن الشيى بالقصد والاختيار يكون حادثا بالضرورة والمستند الى الموجب القديم قديم ضرورة امتناع تخلف المعلول عن العلة (ان قلت يجوزان يستند بشروط متعاقبة لا الى نهاية فلا يلزم قدمه قلت يبطله برهان التطبيق) واما الاعيان فلانها لا تخلو عن الحوادث وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث اهـ. مختصرا وظاهر ان الواجب القديم لا يتصف بكونه في الحيز لان الحيز حادث. فلا يتصف بالحركة والسكون.

وللك أن تقول في إثبـات حـدوث العـالم ان أجسـامه لا تخلـو عـن الحركة والسكون وهمـا حادثـان فالجسـم الـذي لا يخلـو عـن الحركـة والسكون أيضا حادث لأن مالا يخلو عن الحـادث فـهو حـادث ففـي هـذا ثلاث دعاوى الأولى قولنا ان الاجسام لا تخلو عن الحركـة والسـكون وهـذه معلومة بالإضطرار فان من عقل جسـما لا سـاكنا ولا متحركـا كـان لمـتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا الثانية قولنـا انهمـا حادثـان ويـدل علـى ذلك تعاقبهما ووجود البعض منـهما بعـد عـدم البعـض وذلـك في جميـع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقـل قـاض بجـواز حركته وما من متحرك الا والعقـل قـاض بجـواز سـكونه فالطـارئ منـهما حادث لطريانه والسابق أيضا حادث للحوق العدم له بعـد وجـوده لانـه لـو ثبت قدمه لاستحال عدمه كما مرّ الثالثة قولنا ما لا يخلو عـن الحـوادث فـهو حادث فلان ما لا يخلو عن الحوادث لو ثبت في الأزل لـزم ثبـوت الحـوادث في الأزل وهو محال[٥] ولا يتصور قدم المطلق مع حـدوث كـل واحـد واحـد من الجزئيات.

وللك أن تقول في معرفة الله تعـالى في الاسـتدلال لـه اولا ان لم يكـن في الوجود موجود واجب لذاته يلـزم منـه المحـال لان الموجـودات بأسـرها وبأجمعها حينئذ تكون جملة مركبة من آحاد. كـل واحـد واحـد منـها ممكـن لذاته فتكون تلك الجملة أيضا ممكنة لاحتياجـها إلى كـل واحـد واحـد مـن اجزائها الممكنة والمحتاج إلى الممكن أولى لأن يكـون ممكنـا فتحتـاج الجملـة إلى علة موجدة خارجة عن تلك الجملة والعلـم بـه بديـهي فطـري القيـاس والموجد الخارج عن جميع الممكنـات واجـب لذاتـه فيلـزم وجـود واجـب

* قال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب ان حكـم الجواهـر والإعـراض كلـها الحـدوث فـاذا العالم كله حادث وعلى هذا اجماع المسلمين بل كل الملل ومن خالف في ذلـك فـهو كـافر لمخالفـة الاجماع القطعي.

الوجود على تقدير عدمه وهو محال فوجـــوده واجـــب.

ولا يجوز ان يكون الطبيعة علة للجملة لانها امـــا موجـــودة او معدومـــة والثاني باطل لان المعدوم لا يكون علة وعلى الاول امـــا ان تكـــون واجبـــة او ممكنة على الاول يثبت المطلوب وعلى الثـــاني تكـــون مـــن جملـــة الممكنـــات الأولى فتكون محتاجة للجعل والوجود ولا يتسلســـل شعـــر:

لَمَّا جَهِلْتَ مِنَ الْحَـوَادِثِ أَمْرَهَا   أَقَمْتَ نَفْسَكَ فِي مَقَـامِ مُعَلِّـلِ
حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى الطَّبِيعَـةِ عِلَّةً   عَـجَزْتَ عَنْهُ فَكَـانَ أَكْـبَرَ أَشْكَـلِ
إِنَّ الطَّبِيعَـــةَ مُمْـكِنٌ لَا وَاجِبٌ   مُحْتَاجَـــةٌ لِلْجَـــعْلِ لَا يَتَسَلْسَـــلِ

تتميم قال صاحب الاتحـــاف (١٧٣٢ - ١٧٩٠) شـــرح إحيـــاء علـــوم الدين للغزالي.

الموجودات أربعة اقسام موجود لا أول له ولا آخر وهـــو مولانـــا جـــل وعز وموجود له أول وآخر وهو ما سواه من عـــالم الدنيـــا وموجـــود لـــه أول وليس له آخر وهو عالم الآخرة وموجود له أخر وليـــس لـــه أول وهـــو عـــدم العالم المنقطع بوجوده (اتحـــاف ٢/ ٩٤).

قوله وموجود له آخر المراد به العدم ووجـــوده ليـــس بمعـــنى المتعـــارف كما لا يخفى.

واعلم ان الواجب ما لا يتصـــور في العقـــل عدمـــه والمســـتحيل مـــالا يتصور في العقل وجوده والجائز ما يصح في العقل وجـــوده وعدمـــه ولـــك ان تقول ان سلسلة الحوادث من السبب والمسبب والعلـــة والمعلـــول لا يجـــوز ان تكون غير متناهية فلا بـــد ان يكـــون لهـــا أول فيكـــون لهـــا محـــدث موجـــد ضرورة. وانما قلنا لا يجوز لبراهين كثيرة منـــها برهـــان التطبيـــق والتضـــايف والتضعيف أما الأول فأن يفـــرض الأمـــور الغـــير المتناهيـــة الموجـــودة بـــالفعل المترتبة ترتيبا طبعيا او وضعيـــا او غـــير ذلـــك بحيـــث يتعـــين الأول والثـــاني والثالث وهكذا فلنسم المبدأ من تلـــك السلســـلة (أ) و الجـــانب الآخـــر (ب)

ثم نفرز منها (ج) فج ب جزء من أب وأب كله ضرورة دخول أج وج ب فيه فاذا أطبقنا أعلى ج بمعنى ايقاع المرتبة بإزاء المرتبة لا بالحركة ولا بايقاع المحاذات بل بأن يحكم العقل حكما صحيحا واقعيا بان في السلسلة الأولى اعنى سلسلة الكل مبدأ أعنى أكما في سلسلة الجزء مبدأ أعنى ج وان في السلسلة الأولى ثانيا كذلك في الثانية ثان وهكذا يحكم العقل بوجود تعيين المراتب بسبب الترتيب في الثالث والرابع فاما ان يحكم بالحكم الصحيح بان بازاء كل مرتبة من الأولى مرتبة من الثانية فيلزم مساواة الكل للجزء ويلزم حينئذ اجتماع النقيضين في الواقع فان في الكل مرتبة لم يكن بحذائها في الجزء والا لم يكن الكل كلا ولا الجزء جزء فلو فرضنا مساواتهما بمعنى ان كل مرتبة من الأولى بازائه مرتبة من الثانية يلزم صدق السالبة الجزئية والموجبة الكلية[٦] مع بقاء شرائط التناقض فان بعد الانطباق بالمعنى المذكور لم يختلف حقيقة الكل والجزء بالضرورة فكما في أول الأمر بينهما تفاوت كذلك بعد الإنطباق واما ان لا يحكم العقل بوقوع كل مرتبة من الأولى بازاء الثانية فالاول زائد عليه بمرتبة متناهية والزيادة بعد انصرام جميع آحاد المزيد عليه فالثاني متناه والأول انما يزيد بقدر متناه فهو أيضا متناه فيظهر الخلف.

والبرهان الثاني تقريره ان المتضايفين[٧] اذا ذهبا لا إلى نهاية فيما يخرج من القوة إلى الفعل يلزم وجود أحد المتضايفين بدون الآخر والتالي باطل فان وجود الملزوم بدون اللازم محال اذا المتضايفان متلازمان.

بيان الملازمة ان المتضايفين كالعلية والمعلولية إذا ذهبا لا إلى النهاية في الماضي أو تحققا لا إلى النهاية في الحال فالمعلولية في المبدأ كالحادث اليومي متحقق بلا علية فانا فرضنا انقطاع هذه السلسلة عن

---

[٦] وهما كل كل أعظم من الجزأ وبعض الكل ليس بأعظم.

[٧] كالابوة والنبوة مثلا مما لا يتصور وجود أحدهما ولا تعقله بدون الآخر

الآتي وكلاهما يتحققان فيما سبق فعدد هذين المتضايفين أعني مفهومهما في ما سبق متكافيان لان كل واحد فيما سبق علة ومعلول والمعلولية الأخيرة تبقى بلا علية فيلزم ان يكون في الجانب الاخر علية فقط لتحقق التساوي بينهما فيلزم الخلف وبهذا يظهر فساد ما قيل ان اللازم ان يكون بازاء كل معلول علة وهو متحقق ههنا واما تساوى المفهومات فغير لازم. ووجه الفساد بما قررنا ظاهر على اللبيب[٨].

وأما الثالثفأن يقال ان عدد التضعيف أزيد من العدد الأصل الذي ضعفناه وكل عددين أحدهما أزيد من الآخر فزيادة الزائد بعد انصرام جميع آحاد المزيد عليه فالعدد الذي حصل بعد التضعيف لا يتصور زيادته على المضعف إلا بعد انصرام جميع آحاده والا فاما أن تكون في جانب قبل المبتدأ أو بعده على الأول لم يكن المبدأ مبدأ وعلى الثاني يلزم كون العدد وسطابين الواحد والاثنين والأوساط كلها منتظمة متوالية فلا يتصور الزيادة فيها لاختلال النظم فحينئذ لو كان المزيد عليه غير متناه لزم الزيادة في جانب عدم التناهي وهو باطل وتناهي العدد يستلزم تناهي المعدود وهذا البرهان اعني التضعيف تصويره موقوف على عدة مقدمات الأولى ان كل عدد قابل للتضعيف فإن كل مرتبة منه انتزاعي وكل ما يصح انتزاعه يقبل التضعيف بالضرورة وإلا بطل اللاتقفية[٩] فقد ثبت في مقامه.وعدد التضعيف زائد على المضعف والثانية ان العدد الزائد لا يتصور زيادته على المزيد عليه إلا بعد انصرام جميع آحاد المزيد عليه وبيانه مرآنفا والثالثة ان كل ما هو خارج من القوة إلى الفعل معروض للعدد بالضرورة سواء كان متناهيا أو غير متناه مرتبا أو غير مرتب فاذا تمهد هذا

---

[٨] وهو انه لا بد من تكافؤ عدد احاد احد المتضايفين لعدد الآخر وهو غير متحقق ههنا فان ما قبل المعلول الأخير علة ومعلول والأخير معلول محض فازداد عدد المعلولات على عدد العلل.

[٩] أي كون الاعداد لا تقف عند حد.

فنقول يلزم بالنظر إلى المقدمتين الأوليين ان كل عدد غير متناه قابل للتضعيف وعدد التضعيف زائد ولا يتصور الزيادة الا بعد انصرام جميع آحاد المزيد عليه والانصرام يقتضي التناهي واذا ثبت تناهي جميع الاعداد يلزم تناهي جميع المعدودات بحكم المقدمة الثالثة فان الزيادة والنقصان والتناهي واللاتناهي من خواص الكم بالذات والمتكمم بالعرض.

ومن العجائب ما نقل عن بعض الكملة ان الحق ان الامور الغير المتناهية لا تتصف بالزيادة والنقصان بالقياس الى نظائرها لانهما من عوارض الكم من حيث التناهي وبعد تعين المحدود نعم يمكن الحكم عليها بالتساوى مطلقا من حيث عدم انقطاع التطابق بين آحادها وبداهة قولهم الكل أعظم من الجزء في المتناهي مسلم لا في الغير المتناهي فلا يتم أكثر البراهين كالتطبيق والتضعيف وغيرهما ووجه العجب ظاهر لمن له أدنى حدس ومزاولة في الفن فان قولنا الكل أعظم من الجزء بديهي مطلقا سواء كان في المتناهي او غير المتناهي اذا الكل عبارة عن الجزء والشيء الآخر ففي الكل مرتبة لا يكون بحذائها مرتبة في الجزء وهذا معنى الزيادة وبه يتم التطبيق والتضايف والتضعيف المذكور ههنا ايضا[10]

ومنها ان تقول مثلا لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعا أو وترا أو شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان تكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما اثبات

---

[10] ثم هذه الدلائل انما تجرى في الامور الموجودة بالفعل فقط واما غير الموجودة بالفعل كالتي لا تتوقف عند حد كالاعداد ونعيم الجنة فلا تجرى فيها هذه الدلائل لان كل ما وجد في كل وقت متناه فلا يوجد غير المتناهي في حال من الاحوال. واما علوم البارى تعالى فلا تكثر فيه بل صفة واحدة – الحاصل لا بد لابطال غير المتناهي من ثلثة شروط. الأول الوجود والثاني كونه بالفعل والثالث كونه مترتبا.

الآخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد وكيف يجوز مالا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذا الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يجوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها.

صِفَاتُ اللهِ تَعَالَى

فثبت مما مرأن العالم له موجد ولا يمكن ان يكون طبعية منتشرة في آفاق الأرض والسماوات أو قوة روحانية حالة في بواطنهما كحلول الزبد في اللبن خلافا للدهرية وأصحاب وحدة الوجود من الهنود[11] والا لكان حادثا قابلا للعدم لأن كل شيء ينقلب قوة بالحيل الا كسيرية وكل قوة قابلة للعدم لما ثبت في الحكمة بل[12] هو الحي القيوم العليم الحكيم المبدئ المعيد ذوي العرش المجيد فعال لما يريد ومدبر العالم ورب العالمين الرحمن الرحيم قال الله تعالى (اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) [إبراهيم ٣٢] (ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [انعام ١٥٢] (الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [فاتحة] (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [يونس ٣٠] (وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [آل عمران ١٥٠] (اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) [البقرة ٢٥٧] (وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) [احزاب ٤] (يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) [مائدة ١٦] (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [طلاق ٣] (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ

---

[11] واما وحدة الوجود بمعنى ان الوجود في الحقيقة لله تعالى ولغيره عارض بخلقه فهو حق.

[12] ثبت من الادلة المتقدمة وجود واجب بالذات والقرآن يبين اوصافه فيصور باوصافه المذكورة فيه وهذه الاوصاف هي حاصل ما ذكره المتكلمون في كتبهم بحسب مقتضى الحال بالنسبة الى اعداء الاسلام في زمانهم.

الدَّاعِ) [البقرة ١٨٦] فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [زلزلة] وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ، أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) [نساء ١٢٤] (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف ٤٩] غَافِرِ الذَّنْبِ قَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) [غافر ٣] (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) [فاطر ٣٠] (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة ٢٢٢] (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [توبة ٤] (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [مائدة ٩٣]

فان الله تعالى خالق العالم من كل ما سواه من حيز العدم إلى بقعة الوجود فلا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها واعد لها لأن كل ما سواه ممكن لا بد من وجود موجد وخالق له حقيقة في نفس الأمر لا اعتبارا و فرضا اختراعيا فالوجود صفة ثابتة له تعالى حقيقة خلافا للدهرية وأصحاب البخت[١٣] والاتفاق حيث جوز واخلاف البديهة والضرورة من تجويز ترجيح أحد المتساويين بلا مرجح ثم موجد العالم لا اول له ولم يسبق له عدم ولا آخر له لان ما ثبت قدمه استحال عدمه كما تقدم فلا يلحق به عدم خلافا للدهرية[١٤] قال تعالى هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ[١٥] (الحديد ٣) فهو قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدي لا نهاية له قيوم لا انتهاء له دائم لا انفصال له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت

---

١٣ وهم الذين يقولون بحدوث العالم من غير محدث والبخت بمعنى الاتفاق والحصول من غير سبب.

١٤ فعندهم وجوده بتقدير الانسان وفرضه فوجوده بوجوده وعدمه بعدمه.

١٥ الظاهر من حيث الدليل والباطن من حيث الكنه.

يقضي عليه بالإنقضاء والإنفصال بتصرم الآباد وانقراض الزمان.

وكذلك موجد العالم لا يحل في العالم ولا في أجزائه من الجبال والأشجار والحيوان والإنسان خلافا لليهنود والنصاري فالله تعالى غني صمد لا يفتقر إلى الموجد والمؤثر والى المحل وسائر المخلوقات اذ لو كان محتاجا لكان حادثا قال الله تعالى أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ (فاطر ١٥) فان ربي غني كريم الله الصمد لم يلد ولم يولد فالله تعالى قائم بنفسه وهو الصمد بمعنى انه يفتقر اليه كل ما سواه ولا يفتقر الى احد فهو متفضل بالخلق والإختراع ومتفضل بالإنعام والإ صلاح إظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من إرادته فله الفضل والإحسان والنعمة والإمتنان.

وكذلك موجد العالم مخالف للحوادث اذ لو كان موافقا للحوادث لكان حادثا فليس بجسم مصور ولا محدود مقدر ولا يماثل الانسان وسائر الأجسام خلافا للمجسمة والمشبهة وسائر الهنود والمبتدعة اذ لو كان جسما لكان مركبا من الجوهر التي هي أجزاء الجسم او من الوجه[١٦] واليد والرجل والألية والساق وكل مركب محتاج إلى الأجزاء[١٧] فلو كان له اجزاء خارجية فتكون تلك الأجزاء عللا له تعالى ضرورة كون وجودات الأجزاء عللا لو جود الكل وحينئذ يكون الكل معلولا متأخرا عن علله فهذا التأخر إما تأخر ذاتي فقط او مع زماني على الأول يثبت الحدوث الذاتي وعلى الثاني يثبت الحدوث الزماني وكلا نوعي الحدوث مختصان بالحادث والممكن لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (الأنعام ١٠٣) فلا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا يحيط به

---

[١٦] ذلك الوجه واليد يكون كل واحد واجبا بالذات ولا يمكن التركيب من الواجب والممكن فيلزم منه الشرك.

[١٧] لأن المركب لا يوجد بدون الاجزاء وهذا هو معنى الاحتياج.

الجهات ولا يحتويه أفكار المتفكرين ولا تكتنفه الأرضون والسموات والعرش وهو منزه عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول على العرش والانتقال منه إلى السماء لأن الاحتياج الى ذلك من سمات الحدوث ولأنه لو كان فوق العالم او فوق العرش اما ان يكون مثله أو أكبر او أصغر وكل ذلك تقدير محوج إلى مقدر ومرجح فيكون معلولا عن المرجح.

وأما رفع الأيدى إلى السماء عند السؤال فلانها قبلة الدعاء وفيه أيضا إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستعلاء لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته مقهورون في قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيئ فوقية تدبيرية لا تزيده قربا الى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الأرض وهو رفيع الدرجات مدبر الأمور كتدبير المستوى على عرش السلطان وهو مع ذلك قريب من كل موجود واقرب إلى العبد وهو على كل شيء شهيد لا يماثل قربه قرب الأجسام وبعده بعدها بل كان قبل خلق الزمان والمكان ومنشئهما وهو الآن على ما عليه كان.

فليس من شأنه تعالى الجهات والأمكنة والأزمنة كالدار ليس من شأنه البصر ولا يقال له الأعمى ولا البصير بل الجهات كلها سواء بالنسبة إلى الله تعالى اذ لا معنى لكون بعضها تحتا أو فوقا ويمينا وشما لا بالنسبة إلى الله تعالى بخلاف الإنسان فما في جهة رأسه بالطبع فوق وما في جهة رجله تحت ولها أحكام مختلفة وما في جهة شديد القوة يمين وما في جهة ضعيفه شمال وهكذا فاندفع ما يقال ان كل موجود لا بد أن يكون اما ههنا واما ههنا والا فهو معدوم فلا بد له من فوق أو تحت أو مكان وكذا ما يقال ان كل موجود لا بد أن يكون في اليوم أو قبله أو بعده والا فهو معدوم

فالسلب المذكور انه تعالى ليس من شأنه خصوصية بزمان دون زمان ولا دون مكان.

وكذلك موجد العالم واحد لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله لأنه لو كان اثنين واراد أحدهما أمرا فالثاني ان كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا حادثا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا قال تعالى قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ. فهو واحد لا شريك له فرد لا ند له صمد لا احتياج له مستقل لا معين له خلافا لسائر المشركين حيث ادعوا الاستقلال في غير الله وسائر المخلوقين من الملئكة وخواص العباد بل هم محتاجون في ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم إلى اذن الله وإرادته.

وهذه الصفات الست من الوجود والقدم[18] والبقاء ومخالفة الحوادث والقيام بالنفس والوحدانية فالأولى منها اعنى الوجود صفة نفسية بمعنى أن الوجود هو نفس الذات وعين الذات كما هو مذهب الأشعري خلافا للإمام الرازي والخلاف لفظي يمكن الجمع بين القولين بأن يحمل مذهب الأشعري على ما في الخارج لأنه لا معنى للوجود في الخارج الا الذات الموجود فالوجود عبارة عن الذات في الخارج ويحمل ما قاله الرازي على ما في الذهن وعلى المعنى فإن معنى الوجود والذات متغايران في الذهن لأن العقل

---

[18] صانع العالم واجب الوجود وكل واجب الوجوب موجود من ذاته وكل ما هو موجود من ذاته فعدمه محال وكل ما عدمه محال لم يمكن عدمه وكل ما لا يمكن عدمه قط فهو قديم فصانع العالم قديم. وبالجملة فالقدم من اللوازم البينة لذات الواجب وثبوت مستلزم المستلزم مستلزم لثبوت اللازم ثم ان القديم اخص من الازلى لان القديم موجود لا ابتداء لوجوده والازلى مالا ابتداء لوجوده وجوديا كان او عدميا.

يتصور الوجود ولا يتصور من يتصف به فيتفق القولان.

والصفات الخمس بعدها سلبية اي كل واحد منها سلبت أمرا لا يليق به تعالى فالقدم نفي العدم السابق والبقاء نفي العدم اللاحق والمخالفة نفي المماثلة والقيام بالنفس نفي الإحتياج والوحدانية سلب الشريك.

ثم إن موجد العالم عالم بجميع الجائزات والواجبات والمستحيلات محيط بما يجرى بالأرضين إلى أعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء فيطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفا به في أزل الآزال خلافا لبعض حكماء اليونانيين حيث نفوا العلم بالأصل عن موجد العالم قال تعالى: وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (البقرة ٢٨٢) وَهُوَ اللهُ فِي السَّمٰوٰتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (الأنعام ٣) وقال أيضا وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (أحزاب ٥١).

وكذلك موجد العالم حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعرضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر الرحمن على العرش استوى والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ولا تحصى مقدوراته قال تعالى إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (البقرة ٢٠) قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ الخ (آل عمران ٢٦) لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته.ومن رأى ثوبا حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له

او عن انسان لا قدرة له ولا علم له كان منخلعا عن العقل أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

ومن ثبت علمه وقدرته يثبت بالضرورة حياته اذلو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا لجازان يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في الجهالات والضلالات. اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (البقرة ٢٥٥).

وكذلك موجد العالم مريد فلا يجرى في الملك والملكوت قليل او كثير خير او شرنفع او ضر إيمان او كفر طاعة او عصيان الا بمشيئته وارادته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلو اجتمع الإنس والجن على ان يحركوا في العالم ذرة دون ارادته لعجزوا عن ذلك فهو تعالى مريد في الازل لوجود الاشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراده في ازله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الأمور لا بترتب أفكار ولا تربص زمان وكيف لا يكون تعالى مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله او بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى أحد المقدورين ولو اغنى العلم عن الإرادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز ان يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده منه قال تعالى إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (يس) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ.

فلا يخرج فعل العبد وان كان كسبا له عن كونه مرادا لله سبحانه وتعالى فلا يجرى في ملكه إلا ما شاء ولو شاء الله أن يجعل الإنسان كالملك أو الجبل لم يكن منهم قط عاص بل جعل الإنسان على حسب طبيعته المخصوصة بإرادته ومشيئته كما قال تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ويدل عليه من جهة العقل ان المعاصي ان كان الله لا يريدها وانما هي جارية على وفق إرادة إبليس مع انه عدو لله والجارى على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري على وفق إرادته تعالى فكيف يجترء الإنسان أن يرد ملك الجبار إلى رتبة لوردت إليها رياسة زعيم القرية لاستنكف من زعامته وتبرء عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المعتزلة على خلاف إرادة الحق تعالى.

فأفعال العباد بخلقه تعالى وارادته كما قال تعالى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وشرط الخلق العلم كما هو ظاهر وحركات افعال العروق والا عصاب لا تكون معلومة للعبد فكيف تكون خلقا له ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الألباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الحركات.

ثم ان خلق الله سبحانه وتعالى وارادته حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة ومستطاعة للعباد على سبيل الإكتساب والإختيار لها فان القدرة وصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له واما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا

يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب.

الحاصل ان الله خالق القدرة والمقدور جميعا وخالق الاختيار والمختار جميعا والعبد هو الكاسب فقط فإنه لا يعلم تفاصيل حركات الإختيار فالقدرة والاختيار مخلوقتان من الله مشتركتان بين المطيع والعاصي والتعيين والكسب من العبد فهو مختار في أفعاله ضرورة الفرق بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورة كالنار مثلا فانه مخلوق لله مشترك بين طبخ الطعام واحراق البيت وله صلاحية لهما وصرفه إلى أحدهما من العبد وكسبه.

وكذلك موجد العالم سميع بصير يرى ويسمع لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته او كيف تستقيم حجة إبراهيم عليه السلام على أبيه اذ كان يعبد الأصنام غيا وجهلا فقال لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لا ضحت حجته داحضة ولم يصدق قوله تعالى: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ. ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة ولا أجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا أذن ولا فرق بينهما.

وكذا موجد العالم متكلم بكلام هو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة الكلام النفسي وانما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (نساء ٥٨) وكيف التبس على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم:

إِنَّ ٱلْكَلَامَ لَفِي ٱلْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى ٱلْفُؤَادِ دَلِيلًا

ومن لم يعقله عقله عن ان يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شيئ وان السين بعد الباء في قولك بسم الله فلا يكون قديما فنزه عن الالتفات إليه قلبك فلله سبحانه وتعالى سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكرأن يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية.

فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه من العبارات وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وان كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان تحل ذات السموات والأرض والجنة والنار في الحدقة والقلب والورقة فليعقل كون الكلام مقروء بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها إذلو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق ولو حلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق لاحترقت.

ثم ان الكلام قديم وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له يعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل - اخْلَعْ نَعْلَيْكَ - بذات الله ومسير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده اذا خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم.

فموجد العالم عالم بعلم[١٩] حي بحيوة قادر بقدرة ومريد بإرادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر فله هذه الأوصاف من الصفات القديمة خلافا للمعتزلة فقولهم عالم بلا علم كقول الشخص غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل لا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الأوصاف.

فهذه الصفات السبع أعنى القدرة والإرادة المتعلقين بجميع الممكنات والعلم المتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات والحيوة

---

[١٩] الموجودات بالنسبة الى المحل والمخصص اقسام اربعة قسم غني عن المحل والمخصص وهو ذاته تعالى غني عن المحل لكونه ذاتا وعن المخصص لكونه قديما باقيا وقسم غني عن المخصص وموجود في المحل وهو صفاته تعالى غنية عن المخصص لكونها قديمة باقية وموجودة في المحل لان الصفة لا تقوم بنفسها وقسم غني عن المحل مفتقر الى المخصص وهي ذوات الاجرام غنية عن المحل لكونها ذاتا والذات لا تحتاج الى محل ومفتقرة الى المخصص لكونها حادثة والحادث لا بد له من محدث وقسم مفتقر الى المحل والمخصص وهي الاعراض كذا في الاتحاف.

التي لا تتعلق بشيء والسمع والبصر المتعلقين بجميع الموجودات والكلام الذي ليس بحرف ولا صوت ويتعلق بما يتعلق به العلم تسمى صفات المعاني وهي الصفات التي هي موجودة في نفسها أي لا كالصفات السلبية والاضافية مثل صفات الافعال وعد هذه الصفات للرد على المعتزلة وامثالهم فاذا ثبت هذه الأوصاف القديمة لله تعالى فهناك ذات وصفة وقيام الصفة بتلك الذات مثلا اذا كان زيد عالما فهناك ذات زيد وصفة علم وقيام صفة العلم بذات زيد يعبر عن هذا القيام بكونه عالما. فكذلك كونه تعالى قادرا مريدا حيا سميعا بصيرا متكلما صفات له تعالى وهي الصفات المعنوية وانما سميت معنوية لان تعقلها فرع تعقل المعاني فهي صفات منسوبة الى صفات المعاني وهذه الصفات المعنوية ليست بموجودة في الخارج كالعلم والقدرة بل هي موجودة في نفس الأمر مع قطع النظر عن اعتبار المعتبر بخلاف صفات المعاني فانهما موجودة في الخارج وعد الصفات المعنوية للرد على أفلاطون وأمثاله حيث زعم أن علوم الباري تعالى صورة قائمة بأنفسها لا في ذاته تعالى ولرد زعم المعتزلة حيث زعموا ان كلام الباري تعالى مخلوق قائم بالشجر ومثله فالذي يجب معرفته من الصفات عشرون واحدها الصفة النفسية اعنى الوجود والخمسة السلبية والسبع المعاني والسبع المعنوية.

ولك ان تقول صفات الله على نوعين ثبوتية وسلبية واطلاق الصفات على السلبية مجاز اذ ليس فيها القيام بل هي عبارة عن نفي النقص والثبوتية على أنحاء ثلاثة اما حقيقية محضة لا تعتبر في مفهومها الإضافة ولا تعرض لها في التحقق كالوجود والحيوة واما حقيقية ذات اضافة لا يعتبر في مفهومها الإضافة لكنها تعرض في التحقق كالعلم والقدرة واما اضافة محضة يعتبر في مفهومها الاضافة كالمعية والقبلية فالوجود من العشرين نفس الذات فهو أمر انتزاعي منشاه الذات.

وكذا الصفات المعنوية السبعة فهي الأمور الإنتزاعية النفس الأمرية والاضافية والصفات السلبية عبارة عن عدم النقص وليست صفة في الحقيقة وصفات المعاني هي الموجودة في الخارج.

وانما لم يعد ادراكه تعالى الطعوم والروائح ونحوهما من الصفات لعدم ورود الشرع به واختلفوا هل الادراك المذكور راجع الى العلم أو امر زائد عليه ثم ان صفاته تعالى لا تنحصر في هذه العشرين اذ كمالاته لا نهاية لها أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ.

قال الغزالي في صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله ﷺ إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ماليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي أو الغبي لم يفهمها الا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذي يدكه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل (احياء ١٠٦).

ثم ان صفاته تعالى ليست عين الذات خلافا للمعتزلة كما تقدم ولا غير الذات أعنى لا تحل تلك الصفات في الملكة أو الانسان أو الحيوان أو الشجر ولا في غيرها من أجزاء العالم خلافا لأهل الهنود وغيرهم لأنه اذا حل صفة من صفات الله في مخلوقه اما تنعدم تلك الصفة من الله فيكون ناقصا وهو محال واما أن لا تنعدم فيكون ما في المحل حادثا فيكون ناقصا ولا يكون إلها.

وقال الغزالي قد يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر

فيه وهذا القول كقول القائل قال الجدار للوتدبم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي ومن هذا قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . . . . ومن هذا قوله تعالى وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وفي هذا المقام اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ وقوله تعالى وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وكذلك المخاطبات التي تجري بين منكر ونكير وفي الميزان والصراط والحساب . . . وغلا آخرون في حسم الباب . . . . ومال إلى حسم الباب ارباب الظواهر وذهبت طائفة الى الإقتصاد وتركوا ما يتعلق بالآخرة ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتمالها على الماكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس يحرق الجلود ويذيب اللحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة وردوه الى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفس الخ (احياء ١/١١٠-١٠٩-١٠٨).

بَقِيَّةُ أُمُورِ الإِيمَانِ

ثم من الأمور التي تجب الإيمان بالملئكة بأنهم عباد الله المقربون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ولا يأكلون ولا يشربون يدبرون حسبما أُمرهم الله وليسوا محلا للواجب ولا لصفاته وليسوا آلهة أو بنات الله وأولاده كما ظنه الجهلة من الهنود

وسائر المشركين وليسوا مستقلين في تدبيرهم وسائر أفعالهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى قال تعالى: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوٰاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (النجم) وقال تعالى وَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (النازعات) وقال تعالى فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلٰئِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ (التحريم) وقال تعالى قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (السجدة) وقال تعالى: إِنَّ اللهَ وَمَلٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (احزاب).

ويجب الإيمان بكتب الله وصحفه بأنها منزلة على الأنبياء الكرام عليهم السلام أنزلها لبيان شريعته ودينه وحلاله وحرامه وانه لم يثبت منها على نسختها ووضعها سوى القرآن ضيعها أهلها وبدلوها وغيروها وحرفوا معانيها وحروفها لم يرد الله حفظها وابقائها ولم يرد تأبيد شريعتهم وادامتها ولم يكونوا من قبل مستعدين لها حفظ الله منها القرآن على أصله ووضعه وبقي بلا تبديل في حروفه وحركاته قال الله تعال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر).

ويجب الإيمان برسل الله بأنهم عباد الله المعصومون مرسلون إلى الخلق صادقون في أخبارهم مبشرين للمطيعين بالجنة منذرين للكافرين بالنار وان الأنبياء كلهم من الرجال قال تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ أرسلهم الله تعالى بالآيات والمعجزات للهداية إلى ما عجزت عنه عقول الناس لكن تبليغهم وتاريخهم صار اليوم نسيا منسيا فلم يكن دينهم اليوم صراطا سويا لم يرد الله تأبيد شريعتهم وإدامتها ولم يكن أممهم من قبل مستعدين لها غير محمد صلى الله عليه وسلم فجميع شرائعه وتواريخه باقية إلى الآن كأنه شهيد حي في هذا الزمان فدينه باق إلى يوم القيمة فلا حاجة إلى نبي بعده فهو خاتم النبيين وقال

النَّبِيُّ ﷺ مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ قَصْرٍ أُحْسِنَ بُنْيَانُهُ تُرِكَ مِنْهُ مَوْضِعُ لَبِنَةٍ فَطَافَ بِهِ النُّظَّارُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ حُسْنِ بُنْيَانِهِ إِلاَّ مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ فَكُنْتُ أَنَا سَدَدْتُ مَوْضِعَ اللَّبِنَةِ خُتِمَ بِي الْبُنْيَانُ وَخُتِمَ بِي الرُّسُلُ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ (متفق عليه).

ويجب الإيمان باليوم الآخر بأنه واقع لا محالة وان ما ذكر من علاماته ومقدماته في الكتاب والسنة كلها حق فيميت الله الخلائق كلهم ثم يبعثهم ويحييهم واما المطيعون ففي الجنة مرجعهم واما الكافرون فبالنار يعذبهم. وشفاعة الأنبياء والأولياء والصالحين حق وان رؤية الله تعالى في الجنة حق وكل ما أخبر به النبي ﷺ من أمور الآخرة من الحساب والميزان والصراط وغيرها فكل واحد منها ممكنة في العقل أخبر به الصادق المصدوق فيجب الإيمان به وأما التناسخ بمعنى ان الإنسان مثلا صار انسانا بسبب الأعمال الصالحة في الحيوة الأولى المجهولة وكذا الكلاب والبقر والشجر وغيرها فهي أثر الأعمال القبيحة في الحيوة الأولى منها فمن موهومات الهنود لان الإنسان الاول وكذا الكلب الأول ليسا من أثر عمل فكذا الإنسان الثاني والثالث لا يوجد ان من أثر عمل والإنسان والكلب وسائر الحيوانات لا تعلم الحيوة الأولى والأعمال الصالحة والقبيحة فيها وان هذه الحيوة أثر الحيوة الاولى فلا فائدة بالتعذيب أو اعطاء الأجر بمثل هذا كمالا يخفى.

وأما انكار الحيوة الأخروية من الدهرية لعدم وجد انهم لها فليس عندهم دليل عقلي على نفيها وعدم الوجدان ليس دليلا على النفي بل لعدم العلم به مثلا عدم وجدان تَلِيٍ وِشَنْ في ماضي الأزمان دليل لعدم العلم به من قبل وليس دليلا على نفي وجوده في مستقبل الأزمان كما لا يخفى قال الله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ

ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي ٱلْقُبُورِ (الحج ٥-٦-٧).

ويجب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى اعني بأن كل أمر من أمور الخير والشر حاصل بتقدير الله وإرادته ومشيئته خلافا للمجوس والهنود فان الخير من يَزْدَانَ والشر من أَهْرِمَنْ عند المجوس والخير من وِشْنْ والشر من شِوَنْ عند الهنود.

ولا ينافي الاختيار كون جميع الكائنات بقضائه وقدره وعلمه الأزلية لان العلم الأزلي والتقدير بحسبه تابع للمعلوم والمقدور بلا عكس فليس العلم والتقدير مؤثرين في المعلوم والمقدور مثلا علم الطبيب وتقديره بموت المريض تابع للمعلوم والمقدر وكذا علم السلطان بالعاصين والتقدير بحسبه القاضيَ والسجنَ تابع لمعلومه ومقدره بلا عكس ولكن علمه ظني بخلاف علمه تعالى.

قال النووي (رح) اعلم ان مذهب أهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى انه ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى. وأنكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يقدم علمه سبحانه بها وانها مستأنفة العلم أي انما يعلمها سبحانه بعد وقوعها.

وقال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله سبحانه العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمون وانما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها (شرح مسلم ١/٢٧).

في هذا العصر اجتهد حكماء العالم لصيانة الانسان عن الآفات السماوية والارضية والمصيبات الطبعية والأمراض الجديدة وتشمروا لها بكل جهدهم وطاقتهم واخترعوا لها آلات جديدة ليعرفوا الزلازل والرياح والأمطار قبل وقوعها بواسطة تلك الآلات والعلامات والأمارات ومع ذلك كله يقع الانسان في الآفات المذكورة والأمراض المعضلة ولا يقدر الحكماء على دفعها واذا سئلوا عنه يرفعون أيديهم على التحسر وتسليم العجز ويقولون "الإنسان عبد الطبيعة ولقدرتنا حد محدود لا نقدر على دفع أمثالها" !!! فيقول الحكيم الإنسان عبد الطبيعة ويقول المسلم بدله الإنسان عبد القضاء والقدر – فالحكيم أيضا يسلم بالقضاء والقدر باعتبار باعتبار.



التَّشْبِيهُ وَالتَّجْسِيمُ

وقد تقدم ان التشبيه والتجسيم مخـــالف للتوحيـــد ولا يجــوزأن يطلــق على الله تعالى ما يوهم النقص كما قال تعالى"سَبِّحِ اسْـــمَ رَبِّـكَ الْأَعْلَـى" قـــال الشيخ الجيلاني المشبهة[1] ثلث فـــرق الهشاميـــة والمقاتليـــة والواسميـــة واتفقـــت

---

[1] وفي الاتحاف أما الحشوية فهي طائفة رذيلة جهال ينتســبون إلى أحمــد وأحمــد مــبرا منــه وسبب نسبتهم اليه انه قام في دفع المعتزلة وثبت في المحنة رضي الله علـــه ونقلـــت عنـــه كلمـــات مـــا فهمهـــا هؤلاء الجهال فاعتقدوا هذا الاعتقاد السيئ وصــــار المتــــأخر منــــهم يتبــــع المتقــــدم الا مــــن عصمه الله تعالى وما زالوا من حين نبغوا مستذلين ليــــس لهــــم رأس ولا مــــن ينــــاظر وانمــــا في كــــل وقت لهم ثورات ويتعلقون ببعض اتباع الـــدول يكفـــي الله تعـــالى شرهـــم ومـــا تعلقـــوا بـــاحد الا وكانت عاقبته الى سوء وافسدوا اعتقاد جماعة شذوذ من الشافعيـــة وغـــيرهم ولا ســـيما مـــن بعـــض المحدثين الذين نقصت عقولهم او غلب عليها من اضلهم فـــاعتقدوا انهـــم يقولـــون بـــالحديث ولقـــد كان افضل المحدثين بزمانه بدمشق ابن عساكر يمتنع مـــن تحديثـــهم ولا يمكنـــهم يحضـــرون بمجلســـه وكان ذلك أيام نور الدين الشهيد وكانوا مستذلين غايـــة الذلـــة ثم جـــاء في اواخـــر المائـــة الســـابعة رجل لم يجد شيخا يهديه وهو على مذهبهم وهو جسور متجرد لتقريـــر مذهبـــه ويجـــد امـــورا بعيـــدة فبجسارته يلتزمها فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعـــالى وانـــه ســـبحانه وتعـــالى مـــا زال فاعلا وان التسلسل ليس بمحال فيما مضى كما هو فيمـــا يـــأتي. وشـــق العصـــا وشـــوّش عقـــائد المسلمين واغرى بينهم ولم يقتصر على العقائد في علم الكلام حتى تعـــدي وقـــال ان الســـفر لزيـــارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم معصية وقال ان الطـــلاق الثـــلاث لا يقـــع وان مـــن حلـــف بطلاقـــه امرأته وحنث لا يقع عليه طلاق واتفق العلماء علـــى حبســـه الحبـــس الطويـــل فحبســـه الســـلطان ومنعه من الكتابة في الحبس وان لا يدخل عليه بدواة ومات في الحبس ثم حـــدث مـــن اصحابـــه مـــن يشيع عقائده ويعلم مسائله ويلقى ذلك الى الناس سرا ويكتمـــه جـــهرا فعـــم الضـــرر بذلـــك حـــتى وقفت في هذا الزمان على قصيدة نحو ستة آلاف بيت يذكر فيـــها عقـــائده وعقـــائد غـــيره ويزعـــم بجهـــله ان عقائده عقائد اهل الحديث فوجدت هذه القصيدة تصنيفـــا في علـــم الكـــلام الـــذي نهـــى العلماء من النظر فيه ولو كان حقا وفي تقرير العقائد الباطلة فيـــه وبـــرع بهـــا وزيـــادة علـــى ذلـــك وهي حمل العوام على تكفير كل من سواه وسوى طائفته فهذه ثلاثة أمـــور هـــي مجـــامع مـــا تضمنتـــه

الفرق ان الله جسم والذي غلب عليهم التشبيه فرق الروافض والكرامية وألف كتبهم هشام بن الحكيم زعم ان الله جسم طويل عريض عميق نور ساطع وحكي عنه انه قال أحسن الأقد ارأن يكون سبعة أشبار قيل له ربك أعظم ام احد فقال ربي أعظم والمقاتلية منسوبة الى مقاتل بن سليمان حكي عنه انه قال ان الله جسم وانه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وله جوارح وأعضاء من رأس ولسان وعنق وانه في جميع ذلك لا يشبه الأشياء ولا تشبهه (غنية ٩٣). وتقدم قول البناني ان المجسم فريقان فريق يعتقد ان الله تعالى جسم كسائر الأجسام وهذا لا خلاف في كفره وفريق يعتقد انه جسم لكن لا كسائر الأجسام بل جسم يليق به وهذا مختلف في كفره (بناني ١٤٧/٢).

١) إن قيل لك ما الله فقل ان سألت عن اسمه فالله الرحمن الرحيم أَيًّامَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وان سألت عن صفته فحياته أزلية وعلمه محيط بكل شيئ وقدرته تامة وحكمته باهرة وسمعه وبصره نافذ في كل شيئ وان سألت عن فعله فخلق المخلوقات ووضع كل شيئ موضعه وان سألت عن ذاته فليس بجسم ولا عرض وليس مركبا وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك بل ذاته موجود ووجوده واجب لم يلد ولم يكن له

هذه القصيدة والأول من الثلاثة حرام لان النهي عن علم الكلام ان كان نهي تنزيه فيما تدعو الحاجة الى الرد على المبتدعة فيه فهو نهي تحريم فيما لاتدعو الحاجة اليه فكيف فيما هو باطل. والثاني من العلماء مختلفون في التكفير به ولم ينته الى هذا الحد.

أما مع هذه المبالغة ففي بقاء الخلاف فيه نظر واما الثالث فنحن نعلم بالقطع ان هؤلاء الطوائف الثلاثة الشافعية والمالكية والحنفية وموافقيهم من الحنابلة مسلمون وليسوا بكافرين فالقول بان جميعهم كفار وحمل الناس على ذلك كيف لا يكون كفرا وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قال المسلم لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما والضرورة أوجبت بان بعض من كفرهم مسلم والحديث اقتضى أنه يبوء بها أحدهما فيكون القائل هو الذي باء بها (اتحاف السادة المتقين ١٢/٢-١١).

كفوا أحد ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير فمن قال أعبد الله المتصف بالصفات المذكورة فهو المؤمن الناجي. فإن قيل ما هو الفرق بين الذات والجسم فقل الذات ما به الشيئ هو هو والجسم مركب من الأجزاء قابل للأبعاد الثلثة فالذات يوجد لكل شيئ فالفكر مثلا شيئ له ذات وليس بجسم والحرارة شيئ وليس بجسم والروح شيئ له ذات وليس بجسم عند بعض والإ نسان شيئ له ذات مع ذلك هو جسم قابل للأبعاد.الحيوان والنبات والأرض والسماء جسم قابل للأبعاء وله ذات.

٢) إن قيل أين الله سائلا عن مكانه فقل الله مع كل أحد بعلمه لا بذاته وفوق كل أحد بقدرته وظاهر بكل شيئ بآثار صفاته وباطن بحقيقة ذاته أي لا يمكن تصوره في الذهن منزه عن الجهة والجسمية فلا يقال،له يمين ولا شمال ولا خلف ولا أمام ولا فوق العرش ولا تحته ولا جوف الكعبة ولا خارجها ولا عن يمينها ولا عن شمالها ولا داخل في العالم ولا خارج عنه كما لا يقال عن الدار انه عالم أو جاهل والله تعالى ليس متحيزا في الأرض ولا في السماء كان قبل المكان والزمان وهو الآن كما كان لا يمكن تصويره في القلب لأنه لا شبيه له في الموجودات في الارض والسماوات سلطانه وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه ولا يقال لا يعلم مكانه الا هو أو لا أعرف الله في السماء أم في الأرض لأنه جعل له مكانا او جعل احدهما له مكانا.

٣) فان قيل جاء في الحديث ان النبي ﷺ سال أمة من الإماء بهذا السؤال (أين الله) فقالت في السماء فأقرها النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل أن تريد ان الله عالي القدر جدا قال النابغة الجعدى ۞ بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاؤُنَا ۞ وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَٰلِكَ مَظْهَرًا ۞ كما في تاج العروس ولسان العرب في مادة ظ ه ر. وكما قال الشاعر وَيَصْعَدُ حَتَّىٰ يَظُنَّ الْجَهُولُ ۞ بِأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ * ويحتمل أن تريد بسؤال النبي ﷺ

السؤال عن رفعته وهل هي من المشركين الذين ما قدروا والله حق قدره ولا بد تعلم أن النبي ﷺ من الذين قدروا الله حق قدره فقالت في السماء وفي العلو لا في الارض كالأصنام. ويحتمل أن تريد معبوديته وقدرته في السماء أي في الكرات العالية وانما اقتصرت عليها لأن المذكور فيه أشد ويحتمل أن تريد بسؤال النبي ﷺ أين الله هل هو موجود فقالت في السماء قدرته وفي رواية الحديث في بعض الطرق انها أشارت إلى السماء. وبالجملة اذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال فان الله ليس من شأنه خصوصية بمكان دون مكان يعرفه العوام والخواص حتى ان العوام من الحجاج يعرفون ان الكعبة ليست حقيقة بيت الله تعالى فيؤول أمثال هذا الحديث بمقتضى الحال والمقام كما يؤول في قوله تعالى وَهُوَ اللهُ فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وفي قوله وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلٰـهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلٰـهٌ.

فأمثال هذا الحديث من الأحاديث التي تدل على أنه في المكان أو متصف بصفات الحوادث ففيها مذهبان إما أن يؤول بحسب مقتضى الحال مع التنزيه عن التشبيه أو يقال:الله أعلم بمراده فان الآيات والأحاديث التي تدل على أنه تعالى في الأرض أكثر من التي تدل على أنه في السماء فلا بد من الجمع بينها وكذا التي تدل على التشبيه والتي تدل على التنزيه لا بد من الجمع بينها (١) مثلا قوله تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ (٢) فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ (٣) إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤) إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٥) مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ (٦) وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ (٧) أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ (٨) وقوله صلى الله عليه وسلم أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ (مسلم، باب استحباب خفض الصوت) (٩) مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ

أَبْصَارُهُمْ (بخاري) (١٠) فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى (مسلم) (١١) أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ (مسلم) (١٢) إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ؛فصرح الله تعالى ان الكعبة التي في الأرض بيته ومن رفع رأسه إلى السماء معتقدا ان الله فيه فقد ذهب بصيرته فمن أخذ حديث الجارية ومنع التأويل يقال له ما ذا تفعل بهذه الآيات والأحاديث فان أول هذه دون ذاك فهو تحكم.

٤) فان قلت ما هو المراد بقوله تعالى أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أقول المراد الملئكة التي في السماء كما قال العراقي في حديث ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ (ترمذي) فروي باسناد إلى عبد الله بن عمرو بن العاصى عن النبي ﷺ انه قال الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحِيمُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ قال واستدل بهذه الرواية اي أهل السماء على أن المراد بقوله من في السماء الملئكة اهـ. لان خير ما يفسر الوارد بالوارد كما نص على ذلك في الألفية قال ۞ فَخَيْرُ مَا فَسَّرْتَهُ بِالْوَارِدِ ۞ كَالدُّخِ بِالدُّخَانِ لِابْنِ صَائِدِ ۞ فهذه الرواية لهذا الحديث تبين المراد بقوله تعالى"مَنْ فِي السَّمَاءِ"فمن في الآية واقعة على الملئكة لان الملئكة قادرون على أن يخسفوا بأولئك المشركين الأرض فلو أمروا لفعلوا وقادرون على ما ذكر في الآية التالية لها وهو إرسال الحاصب اي الريح الشديدة بأمر الله تعالى وكذلك يقال في حديث مسلم"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُوا امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطٌ عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا"فيحمل أيضا على مثل الملئكة كما تقدم بدليل الرواية الثانية الصحيحة التي رواها ابن حبان وغيره والتي هي أشهر من هذه "لَعَنَتْهَا الْمَلٰئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ"[٢].

---

[٢] سئل الرملي عن شخص قال إن الله بجهة العلو وإنه استوى على العرش استواء يليق بجلاله بلا كيف واستدل على ذلك بقوله تعالى يا عيسى اني متوفيك ورافعك إلى وبقوله تعرج

الملئكة والروح إليه وبقول صاحب الرسالة وإنه فوق عرشه المجيد بذاته وبقول ابن عبد البر في شرح الموطأ حيث ذكر حديث"ينزل ربنا"وبما ذكر ابو حنيفة في الفقه الأكبر وهو بعد أوله بنحو ورقتين وبما نقل عن ابن رشد الحفيد في كتابه المسمى بالكشف عن مناهج الأدلة حيث قال القول بالجهة وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة يثبتونها حتى نفتها المعتزلة ومتاخرو الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله إلى أن قال فقد ظهر أن إثبات الجهة واجب شرعا وعقلا إلى آخر كلامه وبقول عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على بشر المريسي بما هو معلوم في موضعه وبما قاله الأشعري في كتابه"الإ بانة"وبما قاله الشيخ عبد القادر في كتابه الحلية من قوله وهو بجهة العلو إلى آخر كلامه فما هو مذهب الأئمة الأربعة مالك والشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل في هذا القول هل هو صحيح أم لا وهل في كلامهم نص في إثبات هذا المعنى أو نفيه . . . والمقصود من هذا الجواب عن هذا السؤال بما هو نص هؤلاء الأئمة ونظرائهم لا بما قاله بعض مقلدي هؤلاء الأئمة فقد يكون غير ما قاله إمامه فقد وجدنا المحلي نقل في شرح جمع الجوامع على القول بالتأويل ومعنى استولي وقد قال ابن رشد في أول كراس من المقدمات ومن قال ان الاستواء بمعنى الاستيلاء فقد أخطأ فلو كان ما قاله المحلي نقلا للشافعي لما قال ابن رشد هذه العبارة والمقصود إمعان النظر في هذه المسئلة والجواب بما يجب المصير اليه في ذلك وقد ذكر القرطبي في تفسيره انه ذكر في هذه المسئلة أربعة عشر قولا أودعها كتابه الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى بينوا لنا بيانا شافيا.

فأجاب الرملي مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم ماعدا من سيأتي أن هذا القول وهو أن الله تعالى بجهة العلو غير صحيح كما هو مقرر في كتب الكلام مبسوطاتها ومختصراتها وقد ردوه بأدلة كثيرة لا يحتملها هذا الجواب قال الإمام العالم العلامة عز الدين بن عبد السلام بن احمد بن غانم المقدسي في كتابه حل الرموز ومفاتيح الكنوز سأل يحي بن معاذ الرازي فقيل له أخبرنا عن الله تعالى فقال اله واحد فقيل له كيف هو فقال اله قادر قيل أين هو قال بالمرصاد فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق فأما صفته تعالى فالذي أخبرت عنه وسأل بعض العارفين عن قوله الرحمن على العرش استوى فقال الحق سبحانه وتعالى عرفنا بهذا القول من هو ما عرفنا ما هو لأنه لا يعرف ما هو الا هو وقيل لصوفي أين الله فقال قبحك الله هل تطلب مع العين أين قال تعالى وهو معكم أينما كنتم وسأل الشبلي عن قوله

الرحمن على العرش استوى فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث فالعرش بالرحمن استوى وسأل ذو النون في قوله الرحمن على العرش استوى فقال أثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والأشياء كلها موجودة بحكمه كما شاء وسأل الإمام أحمد عن الاستواء فقال استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر وسئل الإمام الشافعي عن الاستواء فقال آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك وامسكت عن الخوض فيه كل الامساك وقال الأمام أبو حنيفة من قال لا أعرف الله في السماء هو أم في الأرض فقد كفر لأن هذا القول يوهم أن للحق تعالى مكانا فهو مشبه وسأل الإمام مالك عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة روى أنه قال للسائل بعد ذلك فلا أراك إلا خارجيا أخرجوه عني وهذا الذي ذهب إليه الأئمة الأربعة فلا خلاف بينهم في ذلك ومن توهم أن بين أحد من الأئمة اختلافا في صحة الإعتقاد فقد أعظم الفرية على أئمة الأمة وساء ظنه بأئمة المسلمين وقد سأل مصباح التوحيد وصباح التفريد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بما عرفني به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس قريب في بعده بعيد في قربه فوق كل شيئ ولا يقال تحته شيئ وأمام كل شيئ ولا يقال أمامه شيئ وهو في كل شيئ لاكشيئ في شيئ فسبحان من هو كذا وليس هكذا غيره اهـ. وما ورد في الكتاب والسنة مما ظاهره القول بالجهة مصروف عن ظاهره للأدلة العقلية القاطعة بخلافه كما سيأتي وأما قول صاحب الرسالة وأنه فوق عرشه المجيد بذاته فقد قال الفاكهاني في شرحها انه قد اخذ على المصنف في هذه العبارة وهي قوله بذاته وسمعت شيخنا أبا علي الجبائي يقول ان هذه اللفظة دست على المصنف فان صح هذا فلا إشكال في سقوط الاعتراض ثم أطال الكلام على ذلك الى ان قال والضمير في بذاته يجوز أن يعود على العرش على ان تكون الباء بمعنى في فكأنه قيل العرش المجيد في ذاته في الشرف والعظم والكرم واما فوقية معنوية بمعنى الشرف والجمال والكمال والمكانة لا فوقية أحياز وأمكنة فانه تعالى يستحيل عليه المكان والجهات ومشابهة المخلوقات وهي اما بمعنى الحكم والملك فيرجع الى معنى القهر او بمعنى عدم المماثلة والمخالفة فيرجع إلى معنى التنزيه وان أعيدت الضمير في بذاته على الله تعالى فيكون المعنى ان هذه الفوقية المعنوية له تعالى بالذات لا بالغير وبيان ذلك أن يكون المجيد بضم الدال لا بخفضها فيكون المعنى انه تعالى مجيد بذاته لا بكثرة أموال وضخامة اجناد وغير ذلك فيكون المجيد خبر

مبتدأ محذوف أي هو المجيد وبذاته متعلق بالمجيد او بمحذوف حـالا منـه اهـ.

وأما قول ابن رشد الحفيد فمردود اذ هو كذب حمله عليـه اعتقـاده الفاسـد وقـد قـال الإمام أبو علي عمر بن محمد بن خليل الاشعري وليحترز من كلام ابـن رشـد الحفيـد لان كلامـه في المعتقد فاسد اهـ وأما كلام ابن عبد البر وأبي حنيفة كـالأشعري وعثمـان بـن سـعيد الدارمـي فلم أقف عليه والجواب عنه ان كان فيه ما ظاهره اثبات الجهة انه محمول علـى غـير ظـاهره للعلـم بانه لم يذهب إلى ذلك القول وإن لم يمكن تأويله فهو كـذب عليـه ثم رأيـت بالنسـب مـا نسـب للأشعري في الإبانة وحاصله مع التأمل اثبات الاستوء على العرش وعـدم تأويلـه بالاسـتيلاء كمـا هو مذهب السلف وأما قول عبد القاهر في كتابه الحلية فهو ماش على ذلـك القـول المـردود وأمـا تخطئة ابن رشد تأويل الاستواء بالاستيلاء فهو لما فيه من الايـهام كمـا يؤخـذ مـن تعليلـه . . . . والمأولون لا يسلمون تعليله. وعبارة الطوالع الله تعالى ليس بجسـم خلافـا للمجسـمة ولا في جهـة خلافا للكرامية والمشبهة،لنا انه تعالى لو كان في جهة وحيز فإمـا أن ينقسـم فيكـون جسـما وكـل جسم مركب ومحدث لما سبق فيكون الواجب مركبا ومحدثا هـذا خلـف أولا ينقسـم فيكـون جـزأ لا يتجزأ وهو محال بالإتفاق وأيضا فإنه تعالى لو كان في حـيز وجهـة لكـان متنـاهي القـدر كمـا سبق فكان محتاجا في تقديره إلى مخصص ومرجح وهو محـال اهـ.

وقال الإمام النسفي في شرح عمدته صانع العالم ليـس في جهـة خلافـا لبعـض الكراميـة فإنهم يعينون له جهة العلو من غير استقرار علـى العـرش وليـس بتمكـن بمكـان وعنـد المشبهـة والمجسمة والكرامية متمكن على العرش وقال الكمال بـن الهمـام في المسـايرة الـتي اختصـر فيـها الرسالة القدسية للغزالي الأصل السابع انه تعالى ليس مختصا بجهـة لأن الجـهات الـتي هـي الفـوق والتحت واليمين إلى آخرها حادثة فإن الماشي على رجلين فمعنى الفوق مـا يحـاذى رأسـه والمـاشي على أربع أو بطنه فما يحاذى ظهره . . . . وقد كان الله في الأزل ولم يكـن شيـئ مـن الموجـودات فقد كان لا في جهة ولأن معنى الاختصاص بالجهة اختصاصه بحيز هـو كـذا وقـد بطـل اختصاصـه بالحيز لبطلان الجوهرية والجسمية فإن أريد بالجهة غير هذا مما ليـس فيـه حلـول حـيز ولا جسـمية فليبين حتى ينظر أيرجع الى التتريه فنخطئه في مجرد التعبير او الى غـيره فيبـين فسـاده . . . . وقـال إمام الحرمين في كتابه لمع الأدلـة في قوا عـد عقـائد أهـل السـنة الـرب سـبحانه تقـدس عـن الاختصاص بالجهات والاتصاف بالمحاذاة لا تحده الأفكـار ولا تحويـه الأقطـار ولا تكشفـه الأقـدار

ويجل عن قبول الحد والمقدار والدليل علي ذلك أن كل مختص بجهة شاغل لها وكل متحيز قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها وكل ما يقبل الاجتماع والافتراق حادث كالجواهر وأطال الشيخ التلمساني شرحها الكلام علي ذلك إلي أن قال والجواب الجملي عن الجميع أي جميع الأدلة النقلية التي استند إليها مثبتو الجهة أن الشرع انما يثبت بالعقل فلا يتصور وروده بما يكذب العقل فإنه شاهده فلو أتى بذلك لبطل الشرع والعقل معا إذا تقرر هذا فنقول كل لفظ يرد في الشرع في الذات والأسماء والصفات بما يوهم خلاف العقل فلا تخلو إما أن يكون آحادا أو متواترا فان كان آحادا وهو نص لا يحتمل التأويل قطعنا بتكذيب ناقله أو سهوه وغلطه وإن كان ظاهرا فالظاهر منه غير مراد وإن كان متواترا فلا يتصور أن يكون نصا لا يحتمل التأويل فلا بد أن يكون ظاهرا أو يحتمل فحينئذ فنقول الاحتمال الذي دل العقل علي خلافه ليس بمراد منه فإن بقي بعد إزالته احتمال واحد تعين انه المراد بحكم الحال فإن بقي احتمالات أكثر فلا يخلو اما ان يدل قاطع على تعيين واحد أولا فإن دل حمل عليه وإن لم يدل قاطع على التعيين توقف خشية الإلحاد في الأسماء والصفات كما نقل عن بعض السلف.

ويعزى إلى مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان واجب والسؤال عنه بدعة يعني ان محامل الاستواء في اللغة معلومة بعد نفي الاستقرار من القهر او الغلبة والقصد الى خلق شيء هو العرش كما قال ثم استوى الى السماء وهي دخان أي قصد الى خلقها او التناهي في صفات الكمال كقوله تعالى ولما بلغ أشده واستوى يعنى ان كل هذه المحامل معلومة في اللسان قوله والكيف مجهول لنا قوله والإيمان به واجب يعنى ان التصديق بأن له معنى يصح في وصفه تعالى واجب قوله والسؤال عنه بدعة يعني ان تعيينه بطريق الظنون بدعة فإنه لم يعهد من الصحابة التصرف في أسماء الله تعالى وصفاته بالظنون انما عملوا بها في تفاصيل الأحكام الشرعية لا في المعتقدات الإيمانية ومنهم من جوز التعيين بالإجتهاد دفعا للخبط في الإعتقاد وهو مذهب صاحب الكتاب ثم جلي التأويلات الى ان قال فإن قالوا جميع ما ذكرتموه تأويل والتأويل ممنوع منه قلنا قد أولتم قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم وأمثاله فإن صح منكم تأويل ذلك لمخالفة العقل فيجب تأويل ما تمسكتم به كذلك فإن قالوا أولنا ذلك لأنه خلاف ضرورة العقل وما صرتم إليه يحتاج إلى نظر العقل وهو حرام أو بدعة قلنا لا بد من الاعتراف بصدق نظر العقل وإلا لم يثبت لكم شرع تستندون إليه شيء من المعارف والأحكام فإن قالوا يجب الوقف

على قوله الا الله وتكون الواو للاستيناف وليست عاطفة وحــظ الراســخين في العلــم الإيمــان بــه قلنا الإيمان به واجب على عموم المؤمنين فلا يبقــى لــو صفــهم بالرســوخ في العلــم وانهــم اولــو الالباب فائدة بل الراسخ في العلم ذو اللب يعلم الوجه الذي يشابه البــاطل فينفيــه والوجــه الــذي يشابه الحق فيثبته كقوله تعالى فنفخت فيه من روحي متردد بين البعضيــة وهــو بــاطل فينفيــه وبــين اضافة التشريف والتعظيم وهو حق فيعينه اهــ. وقال الســعد في شــرح المقــاصد وأمــا القــائلون بحقيقة الجسمية والجهة فقد بنوا مذهبهم على قضايا وهمية كاذبــة تســتلزمها وعلــى ظواهــر آيــات وأحاديث تشعر بها ثم ذكرهــا وجــواب تلــك القضايــا الى ان قــال والجــواب اي عــن الآيــات والأحاديث انها ظنيات سمعية في معارضة قطعيــات عقليــة فيقطــع بانهــا ليســت علــى ظواهرهــا ونفوض العلم بمعانيها إلى الله تعالى مع اعتقاد حقيتها جريا علــى الطريــق الأســلم الموافــق للوقــف على الله أو نأول بتأويلات مناسبة موافقة لما دلت عليه الأدلــة العقليــة علــى مــا ذكــر في كتــب التفسير وشروح الحديث سلوكا للطريــق الأحكــم الموافــق للعطــف في قولــه الا الله والراســخون فإن قيل فإذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة فمــا بــال الكتــب الســماوية والأحــاديث النبويــة مشعرة في مواضع بثبوت ذلك من غير ان يقع في موضع منها تصريــح بنفــي ذلــك كمــا كــررت الدلالة على وجود الصانع ووحدته وعلمه وقدرتــه والمعــاد وحشــر الأجســاد في عــدة مواضــع وأكدت غاية التأكيد لما تقرر في فطرة العقلاء مع اختــلاف الأديــان مــن التوجــه الى العلــو عنــد الدعاء ورفع الأيدي الى السماء أجيب بانه لما كان التنزيه عن الجهة ممــا يقصــر عنــه عقــول العامــة حتى تكاد تجزم بنفي ما ليس في الجهة كان الأنسب في خطاباتهم والأليــق بــدعوتهــم الى الحــق مــا يكون ظاهرا في التشبيه وكون الصانع في أشرف الجهات مــع تشبيــهات دقيقــة في التنزيــه المطلــق عما هو من سمات الحدوث وتوجه العقلاء الى السماء ليس من جهة اعتقــادهم انــه في الســماء بــل من جهة ان السماء قبلة الدعاء ومنها تتوقــع الخــيرات والبركــات وهبــوط الأنــوار ونــزول الأمطار اهــ.

وقال بعضهم ليس في ذلك دليل على كونــه في الجهــة وهــذا لانهــم أمــروا بالتوجــه في الصلاة إلى الكعبة وليس هو في جهة الكعبة وأمروا برمــي أبصــارهم إلى موضــع ســجودهم حالــة القيام في الصلاة وليس هو في الأرض وكذا حــال الســجود أمــروا بوضــع الوجــوه علــى الأرض وليس تحت الأرض فكذا هنا بل تعبد محض. وعبارة المواقــف المقصــد الأول انــه تعــالى ليــس في

جهة وخالف فيه المشبهة وخصصوه بجهة الفوق ثم اختلفوا فذهب محمد بن كرام إلى ان كونه في الجهة لكون الأجسام فيها قال وهو ما بين الصفحة العليا من العرش وتجوز عليه الحركة والانتقال وتبدل الجهات وعليه اليهود حتى قالوا العرش يئط من تحته أطيط الرحل الجديد تحت الراكب ومنهم من قال ليس ككون الأجسام في الجهة لنا وجوه الأول لو كان في مكان لزم قدم المكان وقد بر هنا ان لا قديم سوى الله وعليه الإتفاق الثاني الممكن يحتاج الى مكان والمكان مستغن فيلزم امكات الواجب ووجوب المكان وكلاهما باطل الثالث فاما ان يكون في بعض الأحياز أو جميعها وكلاهما باطل أما الأول فلتساوى الأحياز في أنفسها ونسبته إليها فيكون اختصاصه ببعضها ترجيحا بلا مرجح أو يلزم الاحتياج إلى الغير وأما الثاني فلأنه يلزم تداخل المتحيزين فإنه محال بالضرورة الرابع لو كان متحيزا لكان جوهرا فاما أن لا ينقسم أو ينقسم وكلاهما باطل اما الأول فلأنه جزا لا يتجزا وهو أخس وأما الثاني فلأنه يكون جسما وكل جسم مركب وقد مرانه ينافي الوجوب وأيضا فقد بينا ان كل جسم محدث فيلزم حدوث الواجب وأطال الكلام على ذلك إلى أن قال فالجواب أي عن الظواهر الموهمة للتجسيم من الآيات والأحاديث أنها ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات كيف ومهما تعارض دليلان وجب العمل بهما ما أمكن فنأول الظواهر إما اجمالا ونفوض تفصيله الى الله كما هو رأى من يقف على إلا الله وعليه أكثر السلف كما روى عن أحمد الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والبحث عنها بدعة وإما تفصيلا كما هو رأى طائفة فنقول الاستواء الاستيلاء نحو قد استوى عمرو على العراق والعندية بمعنى الاصطفاء والإكرام كما يقال فلان قريب من الملك وجاء ربك أي أمره وإليه يصعد الكلم أي يرتضيه فإن الكلم عرض يمتنع عليه الانتقال ومن في السماء أي حكمه وسلطانه أو ملك من الملائكة ماكل بالعذاب وعليه فقس سائر الآيات والأحاديث.

وقال السيد في شرحها فالعروج إليه العروج إلى موضع يتقرب إليه بالطاعة فيه واتيانه في ظلل اتيان عذابه والدنو هو قرب الرسول إليه بالطاعة والتقدير بقاب قوسين تصوير المعقول بالمحسوس والنزول محمول على اللطف والرحمة

على سبيل التمثيل وخص الليل لأنه مظنة الخلوات وأنواع الخضوع والعبادات اهـ. ومعنى رافعك إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي.

وقال الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد انه تعالى ليس في جهة مخصوصة من الجهات

فالحاصل ليس تعالى من شأنه خصوصية بمكان دون مكان بسماء دون أرض بأرض دون سماء كما هو واضح من الآيات والأحاديث المذكورة. فان السماء والأرض وسائر ما سوى الله حادث مخلوق والله قديم خالق

الست ومن عرف معنى لفظ الجهة ومعنى لفظ الاختصاص فهم قطعا استحالة الجهة على غير الجواهر والاعراض اذ الحيز معقول وهو الذي يختص الجوهر به ولكن الحيز انما يصير جهة اذا اضيف الى شيئ آخر متحيز فإن قيل نفي الجهة مؤد الى محال وهو اثبات موجود تخلو عنه الجهات الست ويكون لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه وذلك محال. قلنا مسلم ان كل موجود يقبل الاختصاص بجهة فوجوده مع خلو الجهات الست عنه محال فأما موجود لا يقبل الاتصال والاختصاص بالجهة فخلوه عن الطرفين غير محال وهو كقول القائل يستحيل موجود لا يكون عاجزا ولا قادرا ولا عالما ولا جاهلا فإن المتضادين لا يخلو الشيئ عنهما فيقال له إن كان ذلك الشيئ قابلا للمتضادين فيستحيل خلوه عنهما أما الجدار الذي لا يقبل واحدا منهما لأنه فقد شرطهما وهو الحياة فخلوه عنهما ليس بمحال. فكذلك شرط الاتصال والإختصاص بالجهات التحيز والقيام بالمتحيز فإذا فقد هذا لم يستحل الخلو عن مضادته اهـ . . . ولي هذا القدر كفاية في اعتقاد الحق لمن وفقه الله تعالى له وقد علم ان ما قاله القائل المذكور من ان الله تعالى بجهة العلو غير صحيح فإن ولق ورجع الى الاعتقاد الحق فذاك والا فإن رفع الى الحاكم وثبت عليه ما نسب إليه من القول المذكور عزره الحاكم التعزير اللائق بحاله الرادع له ولا مثاله عن ارتكاب مثل قبيح اقواله خصوصا اذا خيف منه انتشار بدعته والله أعلم (فتاوى الرملي بها مش فتاوى الكبرى ٤/٢٨٤-٢٦٣ مختصرا).

الحاصل كون الواجب تعالى متمكنا أو متحيزا بحيث يلزم منه الحدوث محال وبحيث لا يلزم منه الحدوث غير معقول وكذا كون الواجب مركبا من الاعضاء والجوارح بحيث يلزم منه الحدوث محال وبحيث لا يلزم الحدوث غير معقول وأيضا ان كان تلك الأعضاء من اليد والساق والوجه والعين وغيره ممكنات فيلزم تركب الواجب من الممكنات وهذا باطل بديهة او كانت واجبات فيلزم تكثر الواجبات فيكون شركا على انه لا يعقل التركيب في الواجبات وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون. فقال ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه.

فكما أنه موجود قبل كل شئ غير متمكن في مكـــان كذلـــك موجـــود بعـــد تلك الأشياء غير متمكن في مكان غير حـــال في محـــل.

٥) فإن قلت لم لا يجوز أن يكون المكان قديما بـــالنوع أقـــول قـــال الله تعالى هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ. ظاهران معنـــاه هـــو الأول فقـــط ولا شيـــئ معـــه في القدم وكذا قوله صلـــى الله عليـــه وســـلم كَـانَ اللهُ وَلَمْ يَكُـــنْ شَيْـــئٌ غَـــيْرُهُ (بخاري) وفي رواية أبي الزبير كَانَ اللهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْـــئٍ وفي روايـــة كَـــانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْئٌ فالله تعالى قديم بـــالذات وبالزمـــان والســـماء والأرض والعـــالم حادث بالذات وبالزمان فقول ابن تيمية بقـــدم الحـــوادث بـــالنوع وبحدوثـــها باعتبار الأفراد لا حجة له لأنه لا وجود للنـــوع الا في ضمـــن أفـــراده فادعـــاء قدم النوع مع الاعتراف بحدوث الأفراد يكون ظـــاهر البطـــلان. فـــالله تعـــالى قديم خالق لما سواه والسماء والأرض وجميع ما سواه حـــادث مخلـــوق فكيفمـــا كان قبل وجود السماء وسائر العالم فكذلك الآن بعد وجـــود الســـماء وظـــهر أنه لا يكون له مكان وجهة قبل وجود الأشيـــاء فكذلـــك الآن بعـــد وجودهـــا لا يكون له مكان وجهة. وكذلك لا يكون لـــه تخصيـــص بزمـــان دون زمـــان فلا يوجد في الله تعالى الأحوال المختلفة مـــن تخصـــص المخلـــوق بمكـــان دون مكان وزمان دون زمان. قـــال أبـــو جعفـــر الطحـــاوى في كتابـــه المســـمى "العقيدة الطحاوية" (الذي ذكر فيه انه بيان عقيـــدة أهـــل الســـنة والجماعـــة) "لا تحويه الجهات" فتبين أن نفي تحـــيز الله في جهـــة هـــو عقيـــدة الســـلف لان الطحاوى من السلف وقد بين أن هذا معتقد أبي حنيفـــة وصاحبيـــه رضـــي الله عنهم الذين توفوا في القرن الثاني خاصة ومعتقد أهل الســـنة عامـــة.

٦) فان قلـــت مـــا الدليـــل لنفـــي تخصصـــه بمكـــان أقـــول الآيـــات والأحادث المتقدمة ومع ذلك بين الرازي دلائل عقليـــة ونقليـــة كثـــيرة لنفـــي المكان. عن الله تعالى منها (١) لو امتنـــع وجـــود البـــارى الا بحيـــث يكـــون مختصا بالحيز والجهة لكـــان ذات البـــاري مفتقـــرة في تحققـــها ووجودهـــا إلى

الحيز وكل ما كان كذلك فهو ممكن لذاته ينتج انه لـو امتنـع وجـود البـاري الا في الجهة والحيز لزم كونه ممكنا لذاته ولما كـان هـذا محـالا كـان القـول بوجوب حصوله في الحيز محـالا.

بيان المقام الأول هـو انـه لمـا امتنـع حصـول ذات الله الا اذا كـان مختصا بالجهة والحيز فنقول ان الحـيز والجهـة أمـر مغـاير لـذات الله تعـالى فحينئذ تكون ذات الله مفتقرة في تحققها إلى أمر يغايرهـا وكـل مـا افتقـر في تحققه إلى ما يغايره كان ممكنا لذاته والدليـل عليـه ان الواجـب لذاتـه هـو الذي لا يلزم من عدم غيره عدمه والمفتقر إلى الغير هو الذي يلـزم مـن عـدم غيره عدمه فلو كان الواجب لذاته مفتقـرا إلى الغـير لـزم ان يصـدق عليـه النقيضان وهو محال فثبت أنه تعالى لو وجب حصولـه في الحـيز لكـان ممكنـا لذاته لا واجبا لذاته وذلك محـال.

والوجه الثاني في تقرير هـذه الحجـة هـو أن الممكـن يحتـاج إلى الحيز والجهة اما عند من يثبت الخلأ فلا شـك ان الحـيز والجهـة تتقـرر مع عدم التمكن واما عند من ينفي الخلأ فـلا لأنـه وان كـان معتقـدا انه لا بد من متمكن يحصل في الجهة الا انه لا يقـول بانـه لا بـد لتلـك الجهة من متمكن معين بل اي شيئ كـان فقـد كفـى في كونـه شـاغلا لذلك الحيز اذا ثبت هذا فلو كان ذات الله مختصة بجهـة وحـيز لكـانت ذاته مفتقرة إلى ذلك الحيز وكان ذلك الحيز غنيـا تحققـه عـن ذات الله وحينئذ يلزم ان يقال الحيز واجب لذاتـه غـني عـن غـيره وان يقـال ذات الله مفتقرة في ذاتها واجبة بغيرها وذلـك يقـدح في قولنـا الإ لـه واجب الوجود لذاته فان قيل الحيز والجهة ليـس بـأمر موجـود حـتى يقال ذات الله مفتقرة اليه ومحتاجة اليه فنقول هـذا بـاطل قطعـا لانـا بتقدير ان يقال أن ذات الله مختصة بجهة فوق فانمـا نميز بحسـب الحـس بين تلك الجهة وبين سائر الجهات وما به الامتياز بحسـب الحـس كيـف

يعقل انه عدم محض ونفي صرف ولو جاز ذلك لجاز مثله في كل المحسوسات وذلك يوجب حصول الشك في وجود كل المحسوسات وذلك لا يقوله عاقل.

(ب) ومنها الحيز والجهة لا معنى له الا الفراغ المحض والخلاء الصرف وصريح العقل يشهدأن هذا المفهوم مفهوم واحد لا اختلاف فيه البتة واذا كان الأمر كذلك كانت الأحياز بأسرها متساوية في تمام الماهية واذا ثبت هذا فنقول لو كان الا له تعالى مختصا بحيز لكان محدثا وهذا محال فذلك محال وبيان الملازمة أن الأحياز لما ثبت انها بأسرها متساوية فلو اختص ذات الله بحيز معين وكان اختصاصه به لأجل ان مخصصا خصصه بذلك الحيز وكل ما كان فعلا لفاعل مختار فهو محدث فوجب أن يكون اختصاص ذات الله بالحيز المعين محدثا فاذا كانت ممتعنة الخلو عن الحصول في الحيز وثبت ان الحصول في الحيز محدث وبديهة العقل شاهدة بأن ما لا يخلو عن الحدث فهو محدث لزم القطع بأنه لو كان حاصلا في الحيز لكان محدثا ولما كان هذا محالا كان ذلك أيضا محالا فان قالوا الأحياز مختلفة بحسب ان بعضها علو وبعضها سفل فلم لا يجوز أن يقال ذات الله مختصة بجهة علو فنقول هذا باطل لأن كون بعض تلك الجهات علوا وبعضها سفلا أحوال لا تحصل الا بالنسبة إلى وجود هذا العالم فلما كان هذا العالم محدثا كان قبل حدوثه لا علو ولا سفل ولا يمين ولا يسار بل ليس الا الخلأ المحض واذا كان الأمر كذلك فحينئذ يعود الا لزام المذكور بتمامه.

(ج) ومنها يقول الله تعالى "وَاللهُ الْغَنِيُّ" حكم بكونه غنيا على الإطلاق وذلك يوجب كونه تعالى غنيا عن المكان والجهة ومنها.

(د) ان فرعون لما طلب حقيقة الا له من موسى عليه السلام لم يزد على ذكر صفة الخلاقية ثلاث مرات فانه لما قال "وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ" ففي المرة الأولى قال "رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ" وفي

الثانية "رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" وفي المرة الثالثة "قال رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ". وذلك إشارة إلى الخلاقية واما فرعون فانه قال "يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ" فطلب الإله في السماء فعلمنا ان وصف الا له بالخلاقية وعدم وصفه بالمكان والجهة دين موسى وسائر جميع الأنبياء. ووصفه تعالى بكونه في السماء دين فرعون واخوانه من الكفرة اهـ. رازي باختصار ١٠٣/١٤ وقد فصل الرازي المسئلة في سورة الأعراف ويونس والرعد وطه والفرقان والسجدة والحديد.

(٧) فإن قلت الحاصل ان الله تعالى ليس في السماء ولا في الأرض ولا في العلو ولا في السفل ولا متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه بالمعنى المعروف.

فعلى هذا يكون معدوما ويجتمع النقيضان أقول دل قوله تعالى "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" على التنزيه وأن الله لا يشبه شيأ من خلقه بوجه من الوجوه التي هي من صفات الحوادث كالاتصال بالمكان والانفصال عنه والاجتماع والافتراق لأن كل هذه الصفات من معاني الخلق فلا يصح أن يتصف الله بها وقد صرح ابن الجوزي في كتابه دفع شبه التشبيه بأن الله لا يجوز عليه الاتصال بالعالم والا نفصال عنه ونص عبارته بعد كلام "فان قيل نفي الجهات يحيل وجوده قلنا ان كان الموجود يقبل الإتصال والإنفصال فقد صدقت فأما إذا لم يقبله فليس خلوه من طرفي النقيض بمحال اهـ. وقال ابن حجر الهيتمي بعد كلام ما نصه ومعنى الإتصال والإنفصال يرجع إلى قول من قال.الباري تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ومن ثم قال الغزالي معناه ان صالح الاتصال والانفصال الجسمية والتحيز وهو محال فانفك عن الضدين كما أن الجماد لا هو عالم ولا هو جاهل لأن مصحح العلم الحياة فاذا انتفت الحياة إنتفى الضدان.

قال النووي في روضة الطالبين ٦٤/١٠ نقلا عن المتولي من أثبت

ما هو منفي عنه تعالى بالإجماع كالألوان أو أثبت له الاتصال والانفصال كان كافرا اهـ والمتولي من أصحاب الوجوه من الشافعية. وقال محمد بن أحمد ميارة المالكي في كتابه"الدر الثمين والمورد المعين"ما نصه سئل الامام العالم أبو عبد الله سيدي محمد بن جلال هل يقال المولى تبارك وتعالى لا داخل العالم ولاخارج العالم فسئله السائل هكذا نسمعه من بعض شيوخنا واعترضه بعضهم بأن هذا رفع للنقيضين وقال بعض فقهائنا هو الكل اي الذي قام به كل شيء وزعم أنه للإمام الغزالي وأجاب بعضهم بأن هذا السؤال معضل ولا يجوز السؤال عنه وزعم ان ابن مقلاش هكذا أجاب عنه في شرحه على الرسالة وأجاب بأنا نقول ذلك ونجزم به ونعتقد أنه لا داخل العالم ولا خارج العالم العجز عن الإدراك إدراك. لقيام الدلائل الواضحة على ذلك عقلا ونقلا أما النقل فالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقوله تعالى" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ": فلو كان في العالم أو خارجا عنه لكان مما ثلا للعالم وبيان الملازمة واضح أما في الاول فلأنه ان كان فيه صار من جنسه فيجب له ما وجب له وأما في الثاني فلأنه إن كان خارجا لزم إما اتصاله وإما انفصاله وانفصاله إما بمسافة متناهية أو غير متناهية وذلك كله يؤدى لا فتقاره إلى مخصص.

وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم"كَانَ اللهُ وَلاَ شَيْءَ مَعَهُ"وأما الاجماع فأجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له فلا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف وأما العقل فقد اتضح لك الحق مما مر في بيان الملازمة في قوله تعالى "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" والاعتراض بأنه رفع للنقيضين ساقط لأن المتناقض انما يعتبر حيث يتصق المحل بأحد النقيضين ويتوارد ان عليه وأما حيث لا يصح تواردهما على المحل ولا يمكن الاتصاف بأحدهما فلا تناقض كما يقال مثلا الحائط لا هو أعمى ولا بصير فلا تناقض لصدق النقيضين فيه لعدم قبوله لهما على البدلية وكما

يقال في الباري أيضا لا فوق ولا تحت وقس على ذلك وقول من قال انه الكل زاعما انه للغزالي فقضية تنحو منحي الفلسفة اخذ بها بعض المتصوفة وذلك بعيد من اللفظ وما أجاب به بعضهم بأنه معضل لا يجوز السؤال عنه ليس كما زعم لوضوح الدليل على ذلك وان صح ذلك عن ابن مقلاش فلا يلتفت إليه في هذا لعدم اتقانه طريق المتكلمين اهـ

وذكر أبو المعين النسفى والقونوى وغيرهما من مشاهير الحنفية ان الله تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه. فاندفع شبهة المجسمة لا يفهم وجوده تعالى بلا مكان ولا كمية ولا اتصال ولا انفصال عن العالم ويمكن ان يقال من المخلوق ما يجب الإيمان بوجوده ولا يتوهم بالتصور اي لا يتصوره العقل مع أن العقل يثبته وهو النور والظلام فانهما حادثان أوَ جَدَهُما الله بعد أن لم يكونا موجودين قال الله تعال "وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ" فيجب علينا اعتقاد انهما لم يكونا في بعض ما مضى من الزمن لم يكن هذا ولا هذا فلا يتصور عقل الإنسان وجود وقت لم يكن فيه نور ولا ظلام الا كما تقدم فاذا صح هذا فصحة ذلك أولى لأن هذا في المخلوق وذلك في الخالق.

(٨) فان قلت أنتم تلزموننا أن نُقِرّ بما لا يدخل تحت الفهم أقول إن أردت بالفهم التخيل والتصور فان الخالق لا يدخل تحت ذلك اذ ليس يحس ولا يدخل تحت ذلك إلا جسم له لون وقدر فان الخيال قد آنس بالمبصرات فهو لا يتوهم إلا على وفق ما رآه لأن الوهم من نتائج الحس وان أردت أنه لا يعلم بالعقل فقد دللنا انه ثابت بالعقل لأن العقل مضطر إلى التصديق بموجب الدليل وانك لما لم تجد الا جسما أو عرضا وعلمت تنزيه الخالق عن ذلك بدليل العقل الذي صرفك عن ذلك فينبغي أن يصرفك عن كونه متحيزا وساكنا في مكان مخصوص.

(٩) فان قلت قال ابن تيمية في كتابه الموافقة ٢٩/٢ وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين ان الله في السماء وحدوه بذلك الا المريسي الضال وأصحابه حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوا ذلك واذا أَحْزَنَ الصبيَ شيء يرفع يده إلى ربه ويدعوه في السماء دون ما سواها وكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية.أقول إن ما ادعاه ابن تيمية من الاتفاق ليس بصواب ويرده الآيات والأحاديث المتقدمة والأدلة العقلية ومن نظر إلى السماء في الدعاء أو غيره فهو باعتبار ان الله خالق هذا السماء ومدبره ومن حيث انه قبلة الدعاء لا من حيث انه يسكن فيه.

(١٠) فإن قلت قال ابن تيمية في كتاب الموافقة عن ابي سعيد الدارمي ما نصه ٢٩/٢ والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره ولا يجوز لأحدٍ أن يتوهم لحده غاية في نفسه ولكن يؤمن بالحد ويكل علم ذلك إلى الله ولمكانه أيضا حد وهو على عرشه فوق سمواته فهذا حدان اثنان اهـ ووافقه على ذلك. فعلم من ذلك ان من السلف من يوافقه أقول لم يبين ابن تيمية لذلك اسنادا فلا يلتفت إليه خصوصا في أحاديث الصفات وقد تقدم النقل عن العقيدة الطحاوية التي هي من كتب السلف وسماه الطحاوي ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي.وأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني صاحبيه اي وغيرهم عن الله تعالى بقوله "تَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ".

ولو صح ما نقل عن الدارمي فليس فيه حجة فيمكن أن يكون المراد الحدود التعريفية الرسمية بالصفات والمكانة والرفعة والملك والتدبير فوق سمواته لا الحدود الغائية. وأما استدلال ابن تيمية بما ورد ان رسول الله ﷺ قال لوالد عمران بن حصين يا حصين كم تعبد اليوم إلها قال سبعة ستة في الأرض وواحدا في السماء قال فأيهم تَعُدُّ لرغبتك ورهبتك

قال الذي في السماء فهو أيضا لم يورده باسناد يثبت به الأحاديث في الصفات فلا حجة في ذلك ولو صح يمكن أن يكون المرادُ المَلَكَ او الكوكبَ كما هو العادة الجاهلية.

(١١) فان قلت استدل ابن تيمية برفع الأيدي إلى السماء في الدعاء أقول لا يدل رفع الأيدي في الدعاء على أنه ساكن في السماء كما أن التوجه إلى القبلة في الصلاة أو النظر فيها إلى موضع السجود لا يدل على كون الله فيهما وقد ثبت في حديث مسلم ان النبي ﷺ لما استسقى وَجَّهَ يديه إلى أسفل لا يدل على أن الله في جهة تحت فلا حجة في هذا ولا ذاك ولفظ الحديث في صحيح مسلم عن انس بن مالك ان النَّبِيَّ ﷺ اسْتَسْقَى فَأَشَارَ بِظَهْرِ كَفَّيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وروى نور الدين الهيثمي في موارد الظمآن ان رسول الله ﷺ اسْتَسْقَى عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ قَرِيبًا مِنَ الزَّوْرَاءِ قَائِمًا يَدْعُو يَسْتَسْقِي رَافِعًا يَدَيْهِ لاَ يُجَاوِزُ بِهِمَا رَأْسَهُ مُقْبِلاً بِبَاطِنِ كَفَّيْهِ إِلَى وَجْهِهِ.

(١٢) فان قلت صرح في الإبانة بسكونه فوق العرش أقول ما في نسخ الابانة الموجودة اليوم مع نسبتها إلى أبي الحسن الأشعري فهذه هي بحروفها "ومن دعاء أهل الاسلام جميعا اذا هم رغبوا إلى الله بالأمر النازل بهم يقولون يا ساكن العرش ومِنْ حَلْفِهم جميعا قولُهم لا والذي احتجب بسبع سموات". فهذه العبارة كذب ظاهر تعمد مُفْتَرِيهِ على الأشعري نسبةَ ذلك إليه لأن الواقع يكذب ذلك فان هاتين العبارتين لم ينقلا عن امام ولا من عالم أنه قال ذلك في دعائه أو في حلفه بل ولا عن عوام المسلمين. فهذا الكتاب لا يجوز الاعتماد عليه لأن هذا وما أشبهه فهي مد سوسة على الامام أبي الحسن والإمام أبو الحسن من أشهر مَنْ عُلِم بنفي التحيز عن الله وقد صرح بمنع قول ان الله بمكان كذا وانه بمكان واحد او في جميع الأ مكنة.

ونص الفقهاء الحنفية في الفتاوى الهندية بتكفير مثبت المكان لله تعالى قالوا يكفر باثبات المكان لله تعالى فلو قال لا محل خال من الله يكفر ولو قال "الله تعالى في السماء" فان قصد به حكاية ما جاء فيه ظاهر الأخبار لا يكفر وان أرادبه المكان يكفر وان لم تكن له نية يكفر عند الأكثر وهو الأصح وعليه الفتوى ويكفر بقوله "الله تعالى جلس للانصاف" الفتاوى الهندية ٢/٢٥٩.

(١٣) فان قلت قال الكوثري في تعليقه على السيف الصقيل ما نصه قال ابن تيمية في التأسيس في رد أساس التأسيس المحفوظ في ظاهرية دمشق في ضمن المجلد رقم ٢٥ من الكواكب الدراري (وهذا الكتاب مُخَبَّأُ ووكر لكتبهم في التجسيم) "فمن المعلوم ان الكتاب والسنة والاجماع لم ينطق بأن الأجسام كلها محدثة وان الله ليس بجسم ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين فليس في تركي هذا القول خروج عن الفطرة ولا عن الشريعة" وقال في موضع آخر منه "قلتم ليس هو بجسم ولا جوهر ولا متحيز ولا في جهة ولا يشار إليه بحس ولا يتميز منه شيئ من شيئ و عَبَّرْتمُ عن ذلك بأنه تعالى ليس بمنقسم ولا مركب وانه لاحد له ولا غايةَ مُا تُريدون بذلك انه يمتنع عليه أن يكون له حد وقدر أو يكون له قدر لا يتناهي . . . فكيف ساغ لكم هذا النفي بلا كتاب ولا سنة اهـ.

أقول من المعلوم انه لم يجئ في كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قال إمام من أئمة المسلمين ان بعض الجسم قديم وانه يطلق على الله تعالى انه جسم أو جوهر أو متحيز أو في جهة كذا أو يشار إليه بحس أو منقسم أو مركب أو ان له حدا وغاية فان العلماء يريدون بنفي ذلك انه ليس من جنس المذكورات ولا من شأنه المذكورات كما يقال الحائط ليس من جنس الجاهل ولا من شأنه الجهل فان الجهل عدم العلم عما من شأنه ان يكون عالما. وكما يقال الدار ليس من جنس الأعمى وليس من شأنه

العمى فان العمى عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا. قال الله تعالى (١) إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ – لقمان (٢) وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ – فاطر (٣) وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ –الحج (٤) وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ – محمد (٥) سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ –يونس (٦) وَكَانَ اللهُ غَنِيًّا حَمِيدًا – نساء (٧) وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ – تغابن (٨) فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ – زمر (٩) إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ – عنكبوت (١٠) فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (١١) فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ – إبراهيم (١٢) فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ – آل عمران (١٣) وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ – البقرة (١٤) وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ – البقرة (١٥) إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ – حديد.

فثبت بأمثال هذه الآيات وكذا الأحاديث الكثيرة ان الله هو الغني المطلق فقط وسائر ما سواه ليس بغنى بل محتاج إلى الغير والله تعالى ليس محتاجا إلى الغير فلو كان الله مركبا من أجزاء أو مركبا من الهيولي والصورة أو منقسما إليها أو محتاجا إلى مكان وحيز وجهة لا يكون غنيا مطلقا بل محتاجا إلى الغير فيكون مخالفا لهذه الآيات والأحاديث واجماع الأئمة ولا يخفى لأحد أن المركب محتاج إلى الأجزاء ولا يوجد بدونها ولولاها لَا مْتَنَعَ فالأجزاء مقدم بالذات أو بالزمان أو بهما والمركب مؤخر بالذات أو بالزمان أو بهما والمؤخر كذلك لا يكون واجبا ولا يكون قديما ولا يكون غنيا وهذا المعنى داخل في معنى الأحد أيضا بل هو الأهم في معنى الأحدية وكذا معنى الصمدية وكذا المراد بقوله "وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" وكذا المعني بقوله "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" فان المراد والأهم بكل منها ان الله واجب بالذات غني بالذات وسائر ما سواه ممكن محتاج إلى الغير فهو أحد في الوجوب الذاتي والغِنَى الذاتي لاثاني له فيه فهو الصمد الذي لايحتاج إلى الغير ويحتاج جميع ما سواه إليه وهذا هو معنى الصمدية فلم يكن له في الوجوب الذاتى والغني الذاتي كفوا أحد. فليس كمثله شيئ في

الوجوب الذاتي والغني الذاتي والا فكل واحد من أفراد العالم أحد ولم يكن له كفوا أحد وليس كمثله شيئ لا يكون زيد مثل عمرو ولا يكون كفوا له من كل وجه ولا يشبهه شيئ من كل وجه فان الإِثْنينيّةَ لا بد لها من تغاير والتعيناتُ والتشخصاتُ مختلفة لكل فرد.

وقد تقدم النقل عن أبي حنيفة وغيره في العقيدة الطحاوية في نفي الحد عن الله وكذا ثبت النقل عن الامام زين العابدين على بن الحسين في رسالته المشهورة بالصحيفة السجادية نفي الحد عن الله تعالى فقد ذكر المحدث الحافظ محمد مرتضى الزبيدى شارح القاموس في شرح احياء علوم الدين هذه الصحيفة باسناد متصل منه إلى زين العابدين قوله "أَنْتَ اللهُ الَّذِي لاَ تُحَدُّ فَتَكُونَ مَحْدُودًا (اي فكيف تكون محدودا) وقوله، وَلاَ يُحِيطُ بِهِ مَكَانٌ" فقوله فتكون بالنصب مرتبط بالنفى السابق ولا يجوز ان يقرأ بضم النون لانه يلزم منه تناقض وهذا كقوله تعالى "وَلاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا" فقول علي ﷺ "أنت الله الذي لا تُحَدُّ صريح في أن الله لا يجوز عليه ان يكون محدودا فأين ما ادعى ابن تيمية من اتفاق كلمة المسلمين على اثبات الحد لله تعالى وبقية أئمة السلف على ما كانوا عليه من نفي الحد عن الله تعالى بدليل قول الطحاوي السابق فانه أورد ذلك على أنه مذهب السلف.

وانما خص أبا حنيفة وصاحبيه بالذكر لشهرتهم ولانه سبك عبارة العقيدة على أسلوبهم وهو مذهب كل السلف كما أشعر بذلك قول الطحاوي "ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة" فهذا دأب ابن تيمية الرأي الذي يعجبه في الاعتقاد ينسبه إلى السلف وان مذهبه مذهب السلف - هيهات وهيهات.

قال الرازي لو كان الباري تعالى حاصلا في الحيز والجهة لكان مشارا اليه بحسب الحس وكل ما كان كذلك فاما أن لا يقبل القسمة

بوجه من الوجوه واما أن يقبل القسمة فان قلنا انه تعالى يمكن أن يشار إليه بحسب الحس مع أنه لا يقبل القسمة المقدارية البتة كان ذلك نقطة لا تنقسم وجوهرا فردا لا ينقسم فكان ذلك في غاية الصغر والحقارة وهذا باطل باجماع جميع العقلاء وذلك لان الذين ينكرون كونه تعالى في الجهة ينكرون كونه تعالى كذلك والذين يثبتون كونه تعالى في الجهة ينكرون كونه تعالى في الصغر والحقارة مثل الجزأ الذي لا يتجزى فثبت ان هذا باجماع العقلاء باطل وايضا فلو جاز ذلك فلم لا يعقل ان يقال إلٰهُ العالَمِ جزأ من ألف جزء من رأس إبرة أو ذرة ملتصقة بذنب قملة او نملة وظاهر ان كل قول يفضى الى مثل هذه الأشياء فان صريح العقل يوجب تنزيه الله تعالى عنه وأما القسم الثاني وهو انه يقبل القسمة فنقول كل ما كان كذلك فذاته مركبة وكل مركب فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو مفقر إلى الموجِد والمؤثِر وذلك على الا له الواجب لذاته محال.

وقال الرازي أيضا كل ذات قائمةٍ بنفسها مشارا إليها بحسب الحس فهو منقسم وكل منقسم ممكن فكل ذات قائمة بنفسها مشارإليها بحسب الحس فهو ممكن فما لا يكون ممكنا لذاته بل كان واجبا لذاته امتنع كونه مشارا اليه بحسب الحس أما المقدمة الاولى فلان كل ذات قائمة بالنفس مشارا إليها بحسب الحس فلا بد وأن يكون جانب يمينه مغايرا لجانب يساره وكل ما هو كذلك فهو منقسم وأما المقدمة الثانية وهي ان كل منقسم ممكن لفانه يفتقر إلى كل واحد من أجزائه وكل واحد من أجزائه غيرُه وكل منقسم فهو مفتقر إلى غيره وكل مفتقر إلى غيره فهو ممكن لذاته (رازي ١٤/١٠٥).

(١٤) فان قلت فما معنى قوله تعالى الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ أقول قال القَفَّال – العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس المُلكِ يقال ثَلَّ عرشه اي انتقض مُلكُه

وفسد واذا استقام له ملكه واطرد أمره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه اهـ. وقال الرازي ان الذي قاله حق وصدق وصواب ونظيره قولهم للرجل الطويل فلان طويل النجاد وللرجل الذي يكثر الضيافة كثير الرماد وللرجل الشيخ فلان اشتعل رأسه شيبا وليس المراد في شيئ من هذه الألفاظ اجرائها على ظواهرها انما المراد منها تعريف المقصود على سبيل الكناية فكذا ههنا يذكر الاستواء على العرش والمراد نفاذ القدرة وجريان المشيئة.

ثم قال القفال رح والله تعالى لما دل على ذاته وعلى صفاته وكيفية تدبيره العالَم على الوجه الذي أَلِفوه من ملوكهم ورؤسائهم استقر في قلوبهم عظمة الله وكمال جلاله الا أن كل ذلك مشروط بنفي التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه لا يخفى عليه تعالى شيئ ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل ذلك العلم بفكرة ولا روية ولا باستعمال حاسة واذا قال قادر علموا منه أنه متمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات ثم علموا بعقولهم انه غني في ذلك الإيجاد والتكوين عن الآلات والأدوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وهكذا القول في كل صفاته.

واذا أخبر ان له بيتا يجب على عباده حجه فهموا منه انه نصب له موضعا يقصدونه لمسألة ربهم وطلب حوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه وانه لم يجعل ذلك البيت مَسْكنا لنفسه ولم ينتفع به في دفع الحر والبرد بعينه عن نفسه فاذا أمرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه أنه أمرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا بعقولهم انه لا يفرح بذلك التحميد والتعظيم ولا يغتم بتركه والإعراض عنه.

اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه تعالى أخبر في هذه الآية إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ

يُغْشِي اللَّيْلَ النهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنجومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. انه خلق السموات والأرض كما أراد وشاء من غير منازع ولا مدافع ثم أخبر بعده انه استوى على العرش اي حصل له تدبير المخلوقات على ما شاء وأراد فكان قوله "ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" اي بعد أن خلقها استوى على عرش المُلك والجلال ثم قال القفال والدليل على أن هذا هو المراد قوله في سورة يونس "إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ" فقوله "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ" جرى مجرى التفسير لقوله "اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" وقال في الآية المتقدمة "ثم استوى على العرش يُغشي الليلَ النهارَ يطلبه حثيثا والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخراتٍ بأمره الا له الخلق والامر" وهذا يدل على ان قوله ثم استوى على العرش إشارة إلى ما ذكرناه (رازي باختصار).

(١٥) فان قلت اذا حملتم قوله "ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" على أن المراد استوى على الملك وجب أن يقال إن الله لم يكن مستويا قبل خلق السموات والأرض قلنا انه تعالى انما كان قبل خلق العوالم قادرا على تخليقها وتكوينها وما كان مكوِنا ولا موجِدا لها بأعيانها بالفعل لأن إحياء زيد وإماتة عمرو وإطعام هذا وإرْواءَ ذلك لا يحصل إلا عند هذه الأحوال فاذا فسرنا العرش بالملك بهذه الأحوال صح ان يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق السموات والأرض بمعنى أنه إنما ظهر تصرفه في هذه الأشياء وتدبيره لها وهذا جواب حق صحيح في هذا الموضع ثم انه تعالى ذكر قبل قوله "ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" شيا وبعده شيا آخر أما الذي ذكره قبل هذه الكلمة فهو قوله "إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" فهو يدل على وجود الصانع وقدرته وحكمته من وجوه كثيرة وأما الذي ذكره بعد هذه الكلمة فأشياء أولها قوله "يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ

بطنه حثيثا" وذلك أحد الدلائل الدالة على وجود الله وعلى قدرته.

وثانيها قوله "والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخراتٍ بأمره" وهو أيضا من الدلائل الدالة على الوجود والقدرة والعلم وثالثها قوله "ألا له الخلق والأمر" وهو أيضا إشارة إلى كمال قدرته.

اذا ثبت هذا فنقول أول الآية إشارة إلى ذكر ما يدل على الوجود والقدرة والعلم وآخرها يدل أيضا على هذا المطلوب واذا كان الأمر كذلك فقوله"ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" وجب أن يكون أيضا دليلا على كمال القدرة والعلم لأنه لو لم يدل عليه بل كان المراد كونه مستقرا على العرش لا يمكن جعله دليلا على كما له في القدرة والحكمة وليس أيضا من صفات المدح والثناء لأنه تعالى قادر على أن يجلس جميع اعداد البق والبعوض فثبت أن كونه جالسا على العرش ليس من دلائل اثبات الصفات والذات ولا من صفات المدح والثناء.

فلو كان المراد من قوله"ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" كونه جالسا على العرش لكان ذلك كلاما أجنبيا عما قبله وعما بعده وهذا يوجب غاية الركاكة فثبت أن المراد منه ليس ذلك بل المراد منه كمال قدرته في تدابير الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها وما بعدها اهـ. (رازي باختصار وتغيير).

(١٦) فان قلت ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ - بخاري، كتاب الصلاة باب الدعاء والصلاة من آخر الليلة؛ مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والاجابة فيه. أقول معناه النزول من صفات الجلال إلى صفات اللطف. قال النووي هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران

للعلماء أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وان ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الإنتقال والحركات وسائر سمات الخلق. والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي انها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما تأويل مالك بن انس وغيره معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال فعل السلطان كذا اذا فعله أتباعه بأمره والثاني انه على الإستعارة ومعناه الإ قبال على الداعين بالإجابة واللطف.

أقول صرح في رواية أبي هريرة وابن سعيد ان الله يأمر ملكا بأن ينزل فينادي الخ. وبعض رواة البخارى ضبطوا كلمة "يُنْزِلُ" بضم الياء وكسر الزاء فيكون المعنى يُنْزِلُ اللهُ الملئكةَ كما في رواية أبي هريرة وأبى سعيد وكما في قوله تعالى "لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ". ومعلوم ان معنى قرأناه فاذا قرأه جبريل بأمرنا وليس المعنى ان الله يقرأ القرآن على رسول الله كما يقرأ المعلم على التلميذ فكذا معنى ينزل ربنا على أنه لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله وتنقلات كثيرة لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيأ فشيأ فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلا ونهارا من قوم إلى قوم وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم ونزوله فيها إلى سماء الدنيا ولا يقول ذلك ذو لب. وأيضا لو نزل الله تعالى إلى سماء الدنيا حين ما يكون الليل تحت الأرض ينبغي أن يجعل الداعي من فوق الأرض يديه إلى أسفلها على مذهبهم من أنه يرفع يديه لكونه في السماء وأيضا ان القائل بأنه فوق السماء وانه مِلْأَهُ كيف تَسَعُهُ سماء الدنيا وهي بالنسبة إلى العرش على

مذهبهم من أنه جسم موجود فوق السموات بحيث يسعها كحَلْقَةٍ في فَلاةٍ فيلزم عليه أحد أمرين اما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه أو تَضاؤُلُ الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه.

١٧) فان قلت هل يجوز تفسير إستوى باِسْتَوْلى وهل يكون تحريفا للقرآن أقول يجوز تفسيره به ولا يكون تحريفا فسر به الرازي وغيره وقال الرازي الوجه الثاني أن يقال استوى بمعنى استولى "وبين هذا التفسير في سورة طه أيضا مفصلا". والوجه الثالث أن تفسر العرشُ بالمُلك وتُفَسَّر بمعنى علا واسْتَعْلَىَ على الملك فيكون المعنى انه تعالى استعلى على الملك بمعنى أن قدرته نفذت في ترتيب الملك والملكوت (رازي ١١٧/١٤).

فحاصل معناه القهر والغلبة والاستيلاء وتفسير الاستواء بالاستعلاء لا يقتضى المغالبة لأن المراد به القهر وقد وصف الله نفسه بأنه القاهر فوق عباده حيث قال "وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ" وقال الشاعر قَدِ اسْتَوٰى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ ۞ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقٍ ۞ فالمؤول بهذا التأويل لم يرتكب محذورا ولا وَصَفَ اللهَ بما لا يجوز عليه وكذلك فسرها القُشَيْرِى أبو نصر اتحاف السادة ١٠٩/٢. وقال ولو أَشْعَرَ ما قلنا تَوَهُّمَ غلبته لَأَشْعَرَ قولُه "وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ" بذلك أيضا حتى يقال كان مقهورا قبل خلق العباد. هيهات اذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم بل لو كان الأمر على ما توهمه الجهلة من أنه استواء بالذات لَأَشْعَرَ ذلك بتغيرٍ واعوجاج سابق على وقت الاستواء فان الباري تعالى كان موجودا قبل العرش ومن أَنْصَفَ عَلِمَ أن قولَ من يقول العرشُ بالرب استوى أَمْثَلُ مِنْ قول من يقول الرب بالعرش استوى اهـ. قال الرازي ان السماء عبارة عن كل ما ارتفع وسما وعلا والدليل عليه انه تعالى سمي السحاب سماء حيث قال "وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ" واذا كان الأمر كذلك فكل ما له ارتفاع وعلوٌ وسمو كان سماء فلو كان إله العالم

موجودا فوق العرش لكان ذات الإلا له سماء لما تحته والله تعالى حكم بكونه خالقا لكل السموات في آيات كثيرة فيكون خالقا لنفسه وهو محال رازي ١١٥/١٤.

(١٨) فان قلت هل قال ابن تيمية بجلوس الله تعالى فوق العرش أقول قال ابن تيمية في فتاويه ٣٧٤/٤ فقد حدث العلماء المرضيون وأولياءه المقربون ان محمدا رسول الله ﷺ يُجْلِسُهُ رَبُّه على العرش معه اهـ. وقد نقل عن ابن تيمية هذه العقيدةَ أبو حيان الأندلسي النحوى المفسر في تفسيره المسمى بالنهر قال وقرأت في كتابٍ لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرنا وهو بخطه سَمّاهُ كتابَ العرش "ان الله يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكانا يقعد معه فيه رسول الله ﷺ".

أنظر النهر الماد تفسير آية الكرسي قال الحبشي ونقل أبو حيان هذا كان قد حُذِفَ من النسخة المطبوعة القديمة ولكن النسخةَ الخَطِّيَّةَ تُثْبِتهُ وسبب حذفه من النسخة المطبوعة ما قاله الزاهد الكوثري في تعليقه على السيف الصقيل ٨٥. قال وقد أخبرني مصحح طبعه بمطبعة السعادة انه استَفْظَعَهَا جِدا فحذفَها عند الطبع لئلا يستغلها أعداء الدين ورجائي أن أسجل ذلك هنا استدراكا لما كان منه ونصيحة للمسلمين اهـ. وفي كلام علي بن الحسين زين العابدين "سُبْحَانَكَ لا تُحَسُّ وَلا تُمَسُّ وَلا تُجَسُّ" (الاتحاف ٣٨٠/٤)[٣].

---

[٣] (الزاهد الكوثرى هو محمد زاهد بن الحسن الكوثرى (١٢٩٦ - ١٣٧١ هـ ١٨٧٩ - ١٩٥٢ م) فقيه حنفي تفقه في جامع الفاتح بالاستانة ودرس فيه ثم جاء الى الاسكندرية عام ١٩٢٢م ثم استقر في القاهرة موظفا في دار المحفوظات له تأليفات كثيرة منها الاستبصار في التحدث عن الجبر والاختيار. وله نحو مأة مقالة جمعت في كتاب مقالات الكوثري).

(١٩) فان قلت هل قال ابن عبد الوهاب بكونه تعالى فوق السماء أقول نعم كما تقدم فَالِّإِ لَهُ عليِّ ماقالوا كآلهة الهنود أو أشبه بالمخلوق والحادث وحمله على أمثال هذه القولُ بظواهرِ الأحاديث وعدمُ التأويل والجمودُ في معناها والجمود في اللغة العربية مع أنه لا يقول بالظاهر وعدمِ التأويل في أمثال قوله صلى الله عليه وسلم الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي أَرْضِهِ. وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ. وأمثالِ قوله تعالى" وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ" وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ" وقد اتفق أهل العلم بحملها على الاحاطة والعلم وعلى القدرة وعلى التشريف والاكرام كما قاله الغزالي في الإحياء ١٠٨/١ فكأنَّ المعنى من قَبَّلَ الحجر الأسود فكأنه قبّل يمينَ الله لأن الحجر في الكعبة وبيت الله فمن يأتِ بيت الْمَلِكِ من البعيد يُقبل أولا يد صاحب البيت فتقبيل الحجر كأنه تقبيل يد الله تعالى.

(٢٠) فان قلت هل قال ابن تيمية بقيام الحوادث في الله تعالى أقول نعم قال في منهاج السنة النبوية ٢٤/١ ما نصه فان قلتم لنا فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب قلنا لكم نعم وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل اهـ. فقال بقيام النزول والتمكن في العرش والغضب والضحك والكلام والصوت وأمثالها في الله تعالى قال ابن تيمية أيضا في المنهاج (٢٢٤/١) ومنهم من يقول بمشيئته وقدرته اي فعل الله بمشيئته وقدرته شيأ فشيأ لكنه لم يزل متصفا بصفاته فهو حادث الآحاد قديم النوع كما يقول ذلك من يقوله من أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد وسائر الطوائف - اهـ.

وقال أيضا انه تعالى متكلم بصوت نوعه قديم اي يحدث في ذات الله شيأ بعد شيئ قال في كتابه رسالة في صفة الكلام ٥١ ما نصه وحينئذ فكلامه قديم مع أنه يتكلم بمشيئته وقدرته وأنه ينادى ويتكلم بصوت ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين. واذا كان قد تكلم بالتوراة والقرآن

والإنجيل بمشيئة وقدرته لم يمتنع أن يتكلم بالباء قبل السين وان كان نوع الباء والسين قديما لم يستلزم أن يكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق بين النوع والعين اهـ. وقال في موضع آخر منه ٥٤ وقال الشيخ الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه الفصول في الأصول عن أبي حامد الاسفرايني قال مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل مسموعا من الله والنبي ﷺ سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ وهو الذي نتلوه نحن مقروء بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا ومقروءا وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعنة الله اهـ. وقال ابن تيمية في المنهاج ٢٢١/١ وسابعها قول من يقول انه لم يزل متكلما اذا شاء بكلام يقوم به وهو متكلم بصوت يسمع وان نوع الكلام قديم وان لم يجعل نفس الصوت المعين قديما وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة وبالجملة أهل السنة والجماعة أهل الحديث اهـ.

قال الحبشي فلا يغترّ مطالع بنسبة هذا الرأى الفاسد إلى أئمة أهل السنة وذلك دأبه أن ينسب رأيه الذي يراه ويهواه إلى أئمة أهل السنة وَلْيعلم الناظرْ في مؤلفاته انه تلبيس وتمويه محض يريد أن يروجه على ضعفاء العقول الذين لا يوفقون بين العقل والنقل وقد قال الموفقون من أهل الحديث وغيرهم ان ما يحيله العقل فلا يصح أن يكون هو شرع الله كما قال ذلك الحافظ أبو بكر البغدادي. وقال ان الشرع لا يأتي الا بمجوزات العقول وأيدوا ذلك بأن العقل شاهد الشرع فكيف يرد الشرع بما يكذبه شاهده اهـ. تقدم عن الغزالي ان كلام الله تعالى وصف قائم بذاته تعالى ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلام غيره كما لايشبه

وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة الكلام النفسي وانما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما تدل عليه تارة بالحركات والاشارات. وكيف التبس على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم.

إنَّ ٱلكَلَامَ لَفِي ٱلفُؤَادِ وَإِنَّمَا ❁ جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى ٱلفُؤَادِ دَلِيلاً.

ومن لم يعقله عقله عن أن يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيئ وان السين بعد الباء في قولك بسم الله فلا يكون قديما فنَزِهْ عن الإلتفات إليه قلبك فلله سبحانه وتعالى سر في إبعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاماليس بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه من العبارات وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وان كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غيرأن تحل ذات السموات والأرض والجنة والنار في الحدقة والقلب والورقة.

فليعقل كون الكلام مقروأ بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت ذات الكلام في الورق لحل ذات الله بكتابة اسمه في الورق وحلت ذاتُ النار بكتابة اسمها في الورق لاحترقت. ثم ان الكلام قديم وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى إذا خلق ولده

وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل "اخْلَعْ نَعْلَيْكَ" بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده اذا خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم. قال الحبشي مما يبطل قول ابن تيمية بقيام كلام حادث الأفراد أزلي النوع ما قاله أبو الفضل التميمي في كتابه اعتقاد الإمام أحمد. قال متعلقا بقوله تعالى فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وقوله "وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ" "والغضب والرضا صفتان له من صفات نفسه لم يزل الله غاضبا على ما سبق في علمه أنه يكون مما يغضبه ولم يزل راضيا على ما سبق في العلم انه يكون مما يرضيه . . . ويسمى ما كان عن الصفة باسم الصفة مجازا في بعض الأشياء ويسمى عذاب الله وعقابه غضبا وسخطا لأنهما عن الغضب وقد أجمع المسلمون لا يتناكرون أنهم إذا رأوا الزلازل والأمطار العظيمة انهم يقولون هذه قدرة الله والمعنى انها عن قدرة كانت وقد يقول الإنسان في دعائه اللهم اغفر لنا علمك فينا وانما يريد معلومك الذي علمته فسموا المعلوم باسم العلم وكذلك سموا المرتضى باسم الرضى وسموا المغضوب باسم الغضب" اهـ.

ففي هذه العبارة رد لما يحتج به أتباع ابن تيمية المسمون أنفسهم بالحنابلة لحدوث صفات الله بحديث الشفاعة المشهور ان آدم وغيره يقول إنَّ اللهَ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ[4] فهم ينتسبون إلى مذهب أحمد وهم على خلافه في الحقيقة. قال الحافظ في الفتح ١٣/٤٥٨ قال البيهقي اختلف الحفاظ في الاحتجاج بروايات ابن عقيل لسوء حفظه ولم يثبت لفظ الصوت في حديث صحيح عن النبي ﷺ

---

[4] وظاهر ان المراد آثار للغضب كما ان المراد بالضحك كمال الرضى عن العبد وارادة الخير.

غير حديثه فان كان ثابتا فانه يرجع إلى غيره في حديث ابن مسعود وفي حديث أبي هريرة إِنَّ ٱلْمَلَٰئِكَةَ يَسْمَعُونَ عِنْدَ حُصُولِ ٱلْوَحْيِ صَوْتًا فيحتمل أن يكون الصوت للسماء أو للملك الآتى للوحي أو لأجنحة الملئكة واذا احتمل ذلك لم يكن نصا في المسألة وأشار يعنى البيهقي في موضع آخر إلى ان الراوي أراد فينادى نداء فعبر عنه بصوت اهـ قال الكوثري في مقالاته ٣٢ ما نصه ولم يصح في نسبة الصوت إلى الله حديث اهـ وكذا قال البيهقي في الأسماء والصفات فليس فيها ما يصح الاحتجاج به لاثبات الصفات قال الحافظ في الفتح في كتاب التوحيد بعد صحة الأحاديث يتعين القول باثبات الصوت لله ويؤول على أنه صوت لا يستلزم المخارج ثم قال الحافظ وقد أفاض الحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ المنذري في رسالة خاصة في تبيين بطلان الروايات في ذلك زيادة على ما يوجبه الدليل العقلى القاضى بتنزيه الله عن حلول الحوادث فيه سبحانه وان أجاز ذلك الشيخ الحراني (يعنى ابن تيمية نسبة الى حران) تبعا لابن ملكان اليهودي الفيلسوف المتمسلم حتى اجترأ على أن يزعم ان اللفظ حادث شخصا قديم نوعا يعنى ان اللفظ صادر منه تعالى بالحرف والصوت فيكون حادثا حتما لكن ما من لفظ إلا وقبله لفظ صدر منه إلى ما لا أول له فيكون قديما بالنوع ويكون قدمه بهذا الاعتبار في نظر هذا المخرق تعالى الله عن إفك الأفاكين.

ولم يدر ذلك القائل ببطلان القول بحلول الحوادث في الله جل شأنه ان القول بحوادث لا أول لها هذيان لأن الحركة انتقال من حالة إلى حالة فهي تقتضى بحسب ما هيتها كونها مسبوقة بالغير والأزل ينافي كونه مسبوقا بالغير فوجب أن يكون الجمع بينهما محالا ولأنه لا وجود للنوع الا في ضمن أفراده فادعاء قدم النوع مع الاعتراف بحدوث الأفراد يكون ظاهرا البطلان وقد أجاد الرد عليه العلامة قاسم في كلامه على المسايرة

اهـ. وقال الكوثري في تعليقه على السيف الصقيل ٥٢ ما نصه وحديث جابر المعلق في صحيح البخاري مع ضعفه في سياق ما بعده من حديث أبي سعيد ما يدل على أن المنادى غير الله حيث يقول "فَيُنَادِى بِصَوْتٍ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ" فيكون الاسناد مجازيا على أن الناظم يعنى ابن زفيل[٥] وهو ابن قيم الجوزية ساق في "حادى الأرواح" بطريق الدار قطنى حديثا فيه "يَبْعَثُ اللهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مُنَادِيًا بِصَوْتٍ" وهذا نص من النبي ﷺ على أن الاسناد في الحديث السابق مجازى فخرب ابن القيم نفسه بيته ونظمه وللحافظ أبي الحسن المقدسي جزءاً في تبيين وجوه الضعف في أحاديث الصوت فليراجع ثمه اهـ. فاذا قال قائل ان بعض اللغويين قال النداء الصوت قلنا ليس مراد من قال ذلك ان النداء لا يكون في لغة العرب في جميع الموارد الا بالصوت وانما المراد انه في غالب الاستعمال يكون بالصوت وقد قال آخرون من اللغويين النداء طلب الا قبال. قال

---

٥ وفي الاتحاف واما التفصيل في المسائل المختلف فيها بين الفريقين فانها بلغت خمسين مسئلة وسأذكرها في فصل مختص به وهذه القصيدة على وزان قصيدة لابن زفيل رجل من الحنابلة وهي ستة آلاف بيت رد فيها على الأشعري وغيره من أئمة السنة وجعلهم جهمية تارة وكفارا أخرى وقد رد عليها شيخ الإسلام التقي السبكي في كتاب سماه السيف الصقيل ونحن نورد منه ما ذكر في مقدمته في الجمل النافعة المفيدة وما اظن ولده التاج اراد في قصيدته المذكورة.

كذب ابن فاعلة يقول بجهله ❁ الله جسم ليس كالجسمان

الا الاشارة الى هذا الرجل وان لم يصرح به وهذا اول قصيدة ابن زفيل.

ان كنت كاذبة الذي حدثتني ❁ فعليك اثم الكاذب الفتان

جهم بن صفوان وشيعته الاولى ❁ جحدوا صفات الخالق الديان

بل عطلوا منه السموات العلى ❁ والعرش اخلوه من الرحمان

والعبد عندهم فليس بفاعل ❁ بل فعله كتحرك الرجفان

(اتحاف السادة المتقين ٢/١٠)

الحافظ قال الكرماني صفات الله تعالى سلبية ووجودية وإضافية فالأولى هي التنزيهات والثانية هي القديمة والثالثة الخلق والرزق وهي حادثة ولا يلزم من حدوثها تغير في ذات الله ولا في صفاته الوجودية كما أن تعلق العلم وتعلق القدرة بالمعلومات والمقدورات حادث وكذا جميع الصفات الفعلية فاذا تقرر ذلك فالانزال حادث والمنزل قديم وتعلق القدرة حادث ونفس القدرة قديمة (فتح الباري ١٧/٤٣٤).

ثم لا يخفى ان الله ورسوله خاطب الخلق في تعريف ذاته تعالى وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم من ذلك انه جعل له العرش والكرسي وجعل الكعبة بيتاله يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت عظمائهم وذكر في الحجر الأسود انه يمين لله في أرضه ثم جعله موضعا للتقبيل كما يقبل الناس أيدى رؤسائهم وكذلك ترى أمثال هذه التمثيلات في أمور القيمة من حضور الملك كأنه شرطة "وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا" وحضور المجرمين وحضور السجن وحضور الشفعاء

قال الغزالي في صفات الله عز وجل
من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله ﷺ إلا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمهما الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيئ لم يفهموه بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبي أو الغبي لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل (احياء ١٠٦).

وقال الغزالي قد يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فقاصر الفهم

يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا القول كقول القائل قال الجدار للوتد بم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي ومن هذا قوله تعالى ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . . ومن هذا قوله تعالى" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ "وفي هذا المقام إسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها . . . وغلط آخرون في حسم الباب ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر وذهبت طائفة إلى الاقتصاد . . . وهم الأشعرية (احياء ١٠٨/١).

وبالجملة التغيرات والتطورات والإنقلابات الحقيقية التي تدل على أن المتغير والمتطور والمنقلب حادث لا يوجد في الله تعالى "سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ" "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ" فلا بد من التأويل للنصوص الموهمة لذلك التغير بلا تشبيه ولا تعطيل أو يقال الله أعلم بمراده ولا يقال بعض الظاهر معلوم وبعضه مجهول لان العالَم احتاج للمُوجِد والمحدِثِ لكونه قابلا للتغير المذكور واذا كان هذا هو بعينه حال موجد العالم أيضا فلا بد من أن يكون لموجده موجد وهلم جرا ولا يخفى ان قيام حادث معين يكون بعد عدم مخالفه فلا يكون هذا المعدوم واجبا لذاته فلا بد أن يكون حادثا وهلم جرا وما لا يخلو عن الحادث يكون حادثا أيضا. وكذا اذا كان أفراد الحوادث الغير المتناهية حادثة ونوعها قديما فلم لا يجوز ان يكون هذا النوع موجدا للأفراد فلا حاجة إلى اثبات موجد خارج العالم مع ان حدوث الأفراد وقدم النوع ظاهر البطلان لأن النوع لا يوجد إلا في ضِمْن الأفراد. وأما التغيرات التي لا تقتضي الحدوث مثل صفات الأفعال فليس التغير فيها حقيقيا بل اعتباري

والتغير في الحقيقة هناك في المتعلق فالله جل شانه ليس من جنس الموصوف بالأوصاف المقتضي للحدوث كالدار ليس من جنس الجاهل سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ.

٢١) فان قلت هل يقول ابن تيمية بأزلية نوع العالم وحدوث أفراده أقول نعم قال ابن تيمية بأزلية نوع العالم وحدوث أفراده كما هي دعوى الفلاسفة وله رد على ابن حزم في نقد مراتب الاجماع ١٦٨ لنقله الاجماع على أن الله لم يزل وحده ولا شيء غيره معه وأن المخالف بذلك كافر باتفاق المسلمين. فقال ابن تيمية بعد كلام ما نصه وأعجب من ذلك حكايته الاجماع على كفر من نازع انه سبحانه لم يزل وحده ولا شيء غيره معه اهـ فهذه العبارة صريحة منه انه يعتقد ان جنس العالم أزلي لم يتقدمه الله بالوجود. اما عبارة ابن تيمية في شرح حديث عمران بن حصين فهي "وان قدران نوعها اي الحوادث لم يزل معه فهذه المعية لم ينفها شرع ولا عقل بل هي من كما له قال تعالى أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وقال الخلق لا يزالون معه إلى أن قال لكن يشتبه على كثير من الناس النوع بالعين اهـ. وقال ابن تيمية في شرح حديث النزول في الرد على من قال ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ما نصه إذ لم يفرقوا بين نوع الحوادث وبين الحادث المعين. يريد ان القول بقيام حوادث لا أول لها بذات الله لا يقتضى حدوثه وهذه الدعوى يردها العقل والنقل وأما العقل فلبداهة ان النوع لا يوجد الا في ضمن الأفراد وأما النقل فلقوله ﷺ كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَعَهُ رواه البخاري في بدأ الخلق وفي رواية كَانَ اللهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وفي رواية كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ وأما رواية البخاري في أو اخر الجامع كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ فلا يخالف الروايات المتقدمة وأما ترجيح هذه الرواية مع إبطال الروايات المتقدمة فلا يلتفت إليه كما أومأ

إلى ذلك الإبْطالِ ابن تيمية لأن ظاهر رواية كانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ يوافق ما يزعمه كما أشار لذلك الحافظ ابن حجر في شرح البخاري عند ذكر حديث كانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ فقال فيما حاول ابن تيمية من ترجيح هذه الرواية على تلك الرواية توصلا إلى عقيدته من اثبات حوادث لا أول لها ما نصه "وهذه من أشنع المسائل المنسوبة له" يعنى ابن تيمية. وعلى هذا المذهب كيف يكون الله خالقا لما سواه بالاختيار والمشيئة وأما زعم الفلاسفة من ان وجود العالم لوجود الله بالإضطرار كوجود النهار لطلوع الشمس ففيه نسبة النقص إلى الله تعالى - كما لا يخفى.

قال الحبشي وقال العلامة البياضي الحنفي في كتابه إشارات المرام ١٩٧ بعد ذكر الأدلة على حدوث العالم ما نصه "فبطل ما ظنه ابن تيمية من قدم العرش كما في شرح العضدية اهـ وعبارة الدواني في شرح العضدية "وقد رأيت في تأليف لأبي العباس أحمد بن تيمية القول بقدم الجنس في العرش اهـ قال الحبشي وقد نقل المحدث الأصولي بدر الدين الزركشي في تشنيف المسامع (٣٤٢ مخطوط) اتفاق المسلمين على كفر من يقول بأزلية نوع العالم فقال بعد أن ذكر ان الفلاسفة قالوا ان العالم قديم بمادته وصورته وبعضهم قال قديم المادة محدث الصورة ما نصه وضللهم المسلمون في ذلك وكفروهم اهـ. ومثل ذلك الحافظ ابن دقيق العيد والقاضي عياض والحافظ ابن حجر في شرح البخاري.

٢٢) فإن قلت ما معنى الكرسي في قوله تعالى وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضَ أقول معناه كمعنى العرش قال الرازي القول الثاني المراد بالكرسي السلطان والقدرة والملك . . . وتارة يسمى الملك بالكرسي لأن الملك يجلس على الكرسي فيسمى الملك باسم مكان الملك . . . القول الرابع ما اختاره القفال ان المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه وتقريره انه تعالى خاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته

بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم من ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الأسود انه يمين الله في أرضه ثم جعله موضعا للتقبيل كما يقبل الناس أيدي ملوكهم وكذلك ما ذكر في محاسبة العباد يوم القيمة من حضور الملئكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين فعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشا فقال الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ثم وصف عرشه فقال وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ثم قال وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وقال "وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ" وقال "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ" ثم أثبت لنفسه كرسيا فقال وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. إذا عرفت هذا فنقول كل ما جاء من الألفاظ الموهمة للتشبيه في العرش والكرسي ورد مثلها بل اقوى منها في الكعبة والطواف وتقبيل الحجر ولما توافقنا ههنا على ان المقصود تعريف عظمة الله وكبريائه مع القطع بأنه منزه عن الكعبة فكذا الكلام في العرش والكرسي اهـ (رازي ١٢/٧). وما في تشريح الأفلاك من أن الكرسي السماء الثامنة والعرش السماء التاسعة فمبني على أصول الفلاسفة ولا يلتفت إليه ومن العلماء من رجح كونهما جسما.

٢٣) فان قلت ما معنى المحكم والمتشابه كما دل عليهما قوله تعالى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ.

أقول المحكم ما عرف بوضوح المعنى المراد منه كقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وقوله "وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ". وقوله "هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا" والمتشابه ما لم يتضح المراد منه الا للراسخين في العلم مثل الكلام التشبيهي

والمجازي وغيرهما. قال رسول الله ﷺ الحَلَالُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ وفي رواية مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أي فقليل من الناس يعلمهن وهم المجتهدون كما قال العلماء قال الرازي قال الربيع لما حاج وفد نجران رسول الله ﷺ قالوا في المسيح أليس هو كلمة الله وروح منه فقال صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا حسبنا فأنزل الله هذه الآية ثم أنزل انَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ (رازي ١٧٣/٧). قال الرازي اعلم أن القرآن دل على أنه بكليته محكم ودل على أنه بكليته متشابه ودل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه أما الاول فقوله تعالى"آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ"والمراد من المحكم هنا كونه حقا فصيح الكلام صحيح المعاني . . . والعرب تقول في البناء الوثيق والعقد الوثيق الذي لا يمكن حله محكم فهذا معنى وصف جميعه بأنه محكم وأما الثاني فقوله تعالى كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ. والمعنى انه يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا الخ (رازي ١٦٧/٧).

وأما قوله تعالى"وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ"يحتمل أن يكون ابتداء ويحتمل ان يكون معطوفا على لفظ الجلالة فعلي الأول المراد بالمتشابه ما استأثر الله بعلمه كوقت القيمة وأمثاله وعلى الثاني المراد منه ما تقدم كقوله"الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ"ويمكن أن يقال لا يعلم تمام مراد الآية المذكورة إلا الله وأما التأويل الاجمالي فيعلمه الراسخون في العلم أيضا فيجتمع الاحتمالان ويؤيد الاحتمال الثاني قوله"وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ومما رواه مجاهد عن ابن عباس انه قال انا ممن يعلم تأويله كما في الدر المنثور ١٥٢/٢ وغيره قال القشيري في التذكرة الشرقية وأما قول الله عز وجل"وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ"انما يريد به وقت قيام الساعة فان المشركين سألوا النبي ﷺ عن الساعة أيان مرساها ومتى وقوعها فالمتشابه إشارة إلى علم الغيب فليس يعلم عواقب الأمور إلا الله عز وجل ولهذا قال هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ

يَأْتِيَ تَأْوِيلُهُ اي هل ينظرون الا قيام الساعة وكيف يسوغ لقائل ان يقول في كتاب الله تعالى ما لا سبيل لمخلوق الى معرفته ولا يعلم تأويله الا الله اليس هذا من أعظم القدح في النبوات ان النبي ﷺ ما عرف تأويل ما ورد في صفات الله ودعا الخلق إلى علم ما لا يعلم أليس الله يقول بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. فإذا على زعمهم يجب أن يقولوا كذب حيث قال بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. اذ لم يكن معلوما عندهم والا فأين هذا البيان واذا كان بلغة العرب فكيف يدعى أنه مما لا تعلمه العرب لما كان ذلك الشيئ عربيا. ثم كان النبي ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله فلو كان في كلامه وفيما يلقيه إلى أمته شيء لا يعلم تأويله إلا الله لكان للقوم أن يقولوا بين لنا أولا من تدعونا إليه وما الذي تقول فان الإيمان بما لا يعلم أصله غير متأت ونسبة النبي ﷺ إلى أنه دعا إلى رب موصوف بصفات يؤدى إلى الجهل بالموصوف فيه نقص فلا بد من العلم به ولو بالجملة.

٢٤) فان قلت فما معنى قوله تعالى الم، ويس، وطه وأمثالها أقول معناها هذا الكتاب مؤلف من أمثال هذه الحروف اي لا من لغة أخرى فأتوا بسورة من مثله وبين البيضاوى الحكمة في اختلاف الحروف في العدد وغيره ولعل هذا هو مراد القائلين الم انا الله اعلم او الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد وكهيعص الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق.

٢٥) فان قلت فما هو الفرق بين مذهب السلف والخلف في الآيات والأحاديث المتشابهة أقول السلف لم يشتغلوا بتأويلها بتعيين معنى خاص وتحقيق جميع المراد منها على وجه تفصيلي بخلاف الخلف فانهم يأولونها على وجه إجمالي بحيث يكون إشارة وتمثيلا للمراد[٦] ففي زمن

---

[٦] فلا خلاف بين السلف والخلف في الحقيقة بل الخلاف لفظي فقط فالخلف لا يدعون حصر المراد فيما قالوا بل هو تمثيل للمراد.

السلف لم يظهر المجسمة وأمثالهم فلا حاجة إلى خصوص التأويل بل يكتفون بالعلم الاجمالي مع التنزيه ولهذا لم يسألوا رسول الله ﷺ عنها وأما في زمن الخلف فظهرت المجسمة والمشبهة فاحتاجوا إلى التنزيه صريحا والتأويل على وجه[٧] والا فكيف يجوز مخالفة الخلف للسلف ويدل على أن السلف كانوا يعلمون معانيها على الاجمال قوله تعالى "يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ" ولا يتصور الايمان إلا بعد العلم على وجه ما أماما لا يعلم فالإيمان به غير متأت ولهذا قال ابن عباس أنا من الراسخين في العلم.

٢٦) فان قلت اذا كان "وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" مبتدأ يمتنع التأويل كما يدل عليه قوله "فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ" أقول المراد بالمتشابه على فرض كونها مبتدأ وقت القيامة وأمثاله لا آيات الصفات وأحاديثها وأيضا المانع من التأويل محجوج بقوله ﷺ لابن عباس "اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ وَتَأْوِيلَ الْكِتَابِ" وشدد الحافظ ابن الجوزي الفقيه الحنبلي وهو حرب على المجسمة وما أكثرهم في كتابه "المجالس" وما أشد النكير والتشنيع على من يمنع التأويل ووسع القول في ذلك فمما ورد في ذلك الكتاب "وكيف يمكن أن يقال ان السلف ما استعملوا التأويل وقد ورد في الصحيح عن سيد الكونين أنه قدم له ابن عباس وضوئه فقال من فعل هذا فقال قلت أنا يا رسول الله فقال" اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ" فلا يخلوا ما أن يكون الرسول أراد أن يدعو له أو عليه فلا بد أن نقول أراد الدعاء له لا دعاء عليه ولو كان التأويل محظورا لكان هذا دعاء عليه لا له ولا يخلو إما

---

[٧] وفي الاتحاف : قول من قال طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أحكم نقله الحافظ ابن حجر عن بعضهم انه ليس بمستقيم لانه ظن ان طريقة السلف مجرد الإيمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه في ذلك وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بانواع المجازات فجمع هذا القائل بين الجهل بطريقة السلف والدعوى في طريقة الخلف وليس الأمر كما ظن بل السلف في غاية المعرفة بما يليق بالله تعالى وفي غاية التعظيم له والخضوع لامره والتسليم لمراده (اتحاف السادة المتقين ١١٢/٢).

أن تقول ان دعاء الرسول ليس مستجابا فليس بصحيح وان قلت انه مستجاب فقد تركت مذهبك وبطل قولك انهم ما كانوا يقولون بالتأويل اهـ. وليت شعرى هذا الذي ينكر التأويل يطرد هذا الانكار في كل شيئ وفي كل آية أم يقنع بترك التأويل في صفات الله فقط على الأول فقد أبطل الشريعة والعلوم اذ ما من آية وخبر إلا ويحتاج الى تأويل وتصرف في الكلام وعلى الثاني فهو تحكم ويكون حاصله ان ما يتعلق بغير الله يجب ان يعلم وما يتعلق بالصانع وصفاته يجب التقاصي عنه.

٢٧) فان قلت هل ثبت التأويل التفصيلي عن السلف أقول نعم قال الحبشى التأويل التفصيلي وان كان عادة الخلف فقد ثبت أيضا عن غير واحد من أئمة السلف وأكابرهم كابن عباس من الصحابة ومجاهد تلميذ ابن عباس من التابعين والامام أحمد ممن جاء بعدهم وكذا البخارى وغيره. أما ابن عباس فقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٤٢٤/١٣ وأما الساق فجاء عن ابن عباس في قوله تعالى يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ قال عن شدة من الأمر والعرب تقول قامت الحرب على ساق اذا اشتدت ومنه.

قَدْ سَنَّ أَصْحَابُكَ ضَرْبُ الْأَعْنَاقِ ✿ وَقَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ

وجاء عن أبي موسى الأشعري في تفسيرها عن نور عظيم وقال ابن فورك معناه ما يتجدد للمؤمنين من الفوائد والألطاف وقال المهلب كشف الساق للمؤمنين رحمة ولغيرهم نقمة وقال الخطابي في "الأسماء والصفات ٣٤٥" تهيب كثير من الشيوخ الخوض في معنى الساق ومعنى قول ابن عباس ان الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة وأسند البيهقي في الأسماء والصفات الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن وزاد واذا خفي عليكم شيئ من القرآن فابتغوه من الشعر وذكر الرجز المشار اليه وأسند الخطابي في اطلاق الساق على الأمر الشديد في سَنَةٍ قَدْ

كَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا. وأما مجاهد فقد قال البيهقي في الأسماء والصفات "وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر القاضي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الحسن بن علي بن عفان ثنا أبو أسامة عن النضر عن مجاهد في قوله عز وجل" فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ" قال قبلة الله فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن إلا إليها اهـ وأما الامام أحمد فقد روي البيهقي في مناقب أحمد عن الحاكم عن أبي عمر وبن السماك عن حنبل ان أحمد بن حنبل تأول قول الله "وَجَاءَ رَبُّكَ" انه جاء ثوابه ثم قال البيهقي وهذا إسناد لا غبار عليه نقل ذلك ابن كثير في تاريخه "البداية والنهاية" وفي رواية أخرجها البيهقي في كتاب مناقب أحمد تأويل وَجَاءَ رَبُّكَ بمعنى قدرته قال البيهقي في مناقب أحمد كما في تعليق الزاهد الكوثري على السيف الصقيل للامام السبكي ١٢٠ أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمر وبن السماك قال حدثنا حنبل بن اسحاق قال سمعت عمي أبا عبد الله يعني أحمد يقول احتجوا عليَّ يومئذ يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين فقالوا تجيء سورةُ البقرةِ يوم القيمة وتجيء سورة تبارك فقلت لهم انما هو الثواب قال الله تعالى "وَجَاءَ رَبُّكَ" انما يأتي قدرته وانما القرآن أمثال ومواعظ. قال البيهقي فيه دلالة على انه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته فانهم لما زعموا أن القرآن لو كان كلام الله وصفة من صفاته لم يجز عليه المجيء والاتيان فأجابهم أبو عبد الله بانه انما يجيء ثواب قرائته التي يريد اظهارها يومئذ فعبر عن اظهاره إياها بمجيئه اهـ. وهذا دليل على أن أحمد ما كان يحمل آيات الصفات وأحاديثها التي توهم ان الله متحيز في مكان أو ان له حركة وسكونا وانتقالا من علو إلى سفل على ظواهرها ولو كان أحمد يعتقد في الله الحركة والسكون والانتقال لترك الآية على ظاهرها وحملها

على المجيء بمعنى التنقل من علو إلى سفل كمجيء الملئكة وما فاه بهذا التأويل.

وقد روى البيهقي في الأسماء والصفات ٢٣٥ عن ابن الحسن المقرأ قال أنا أبو عمرو الصفار ثنا أبو عوانة ثنا أبو الحسن الميموني قال خرج إلي يوما أبو عبد الله أحمد بن حنبل فقال ادخل فدخلت منزله فقلت أخبرني عما كنت فيه مع القوم وبأي شيء كانوا يحتجون عليك قال بأشياء من القرآن يتأولونها ويفسرونها وهم احتجوا بقوله "مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ" قال فقلت قد يحتمل أن تنزيله إلينا هو المحدث لا الذكر نفسه قال البيهقي والذي يدل على صحة تأويل أحمد بن حنبل ما حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك أنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا شعبة عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله هو ابن مسعود قال أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ فَأَخَذَنِي ما قدم وما حدث فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَدَثَ فِيَّ شَيْءٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحْدِثُ لِنَبِيِّهِ مِنْ أَمْرِهِ مَا شَاءَ وَانَّ مِمَّا أَحْدَثَ أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ اهـ.

وورد أيضا التأويل عن مالك فقد نقل الزُرْقاني عن أبي بكر بن العربي انه قال في حديث "يَنْزِلُ رَبُّنَا" النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه فالنزول حسي صفةُ المَلَكِ المبعوثِ بذلك أو معنوي بمعنى لم يفعل ثم فعل فسمي ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحة اهـ. شرح الزرقاني على الموطأ ٣٥/٢. قال الحافظ في فتح الباري ٣٠/٣ وقال ابن العربي حكى عن المبتدعة رد هذه الأحاديث وعن السلف إمرارها وعن قوم تأويلها وبه أقول . . . والحاصل انه تأوله بوجهين إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والاجابة لهم ونحوه. وكذا

حكي عن مالك انه أَوَّلَهُ بنــزول رحمته وأمره أو ملائكتــه كمـا يقـال فعـل الملك كذا اي أتباعه بأمره اهـــ.

وروي أيضا كما في الأسماء والصفات عن أبي عبد الرحمـــن محمـد بـــن الحسين السلمي قال أنا أبو الحسن محمد بن محمـد المـروزي الفقيـه ثنـا أبـو عبد الله محمد بن على الحافظ ثنا أبو موسى محمد بن المثنى حدثـــني سـعيد بـــن نوح ثنا على بن الحسن بن شقيق ثنا عبد الله بن موســـى الضـبي ثنـا معـدان العابد قال سفيان الثوري عن قول الله عز وجـل "وَهُـوَ مَعَكُـمْ قـال علمـه ص: ٤٣٠." وفي صحيح البخاري في قوله تعالى كُـلُّ شَيْـءٍ هـالِكٌ إِلَّا وَجْهَـهُ قال البخاري إلا ملكه ويقال الا مـا أُريـد بـه وجـه الله اهـــ. وفي فتـح الباري تحت حديث "ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَـةَ اَوْ عَجِـبَ مِـنْ فِعْلِكُـما". بخـاري كتاب المناقب باب قول الله عز وجل وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِـهِمْ وَلَـوْ كـانَ بِهِـمْ خَصَاصَةٌ.ونسـبة الضحـك والعجـب إلى الله مجازيـة والمـراد بهمـا الرضـا بصنيعهما اهـ (فتح ٦/ ٤٠). وأول البخـاري الضحـك الـوارد في الحديـث بالرحمة نقل ذلك عنه الخطابي. الأسمـاء والصفـات ص: ٤٧٠ قـال الحـافظ وقد تأول البخاري الضحك في موضع آخر علـى معـنى الرحمـة وهـو قريـب وتأويله على معنى الرضا أقرب فتح البـاري ٧/ ١٢٠ اهـــ الحـاصل تـأول بعض السلف كالخلف ولم يقولـوا ولم يَدَّعُـوا أن التـأويل تحريـف للقـرآن والحديث وتغيير لهما أولا يجوز تأويلـهما.

٢٨) فان قلت ان القـائلين بأنـه تعـالى جسـم وان لـه نـزولا وانتقالا واستواء مرادهـم انـه جسـم لا كسـائر الأجسـام ولهُ استـواء لا كسائر الاستواءونزول وانتقال لا كسـائر النـزول والانتقـال ليجتمـع مع قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فكمـا ان علمـه تعـالى وقدرتـه ليـس كسائر العلم والقدرة كذلـك استـوائه ليـس كسـائر الاسـتواء ففيـه القول بظواهر الآيات والأحاديث كما نقـول في العلـم والقـدرة أقـول

فلم لا يقولون ان لله بيتا لا كسائر البيوت كما يدل عليه قوله تعالى "أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ" ففي قولهم تدليس التشبيه قال البناني إن المجسم فريقان فريق يعتقد أنه تعالى جسم كسائر الأجسام وهذا لا خلاف في كفره وفريق يعتقد أنه جسم لكن لا كسائر الأجسام بل جسم يليق به وهذا مختلف في كفره والمجسم في كلام الشارح من القبيل الثاني. بناني على شرح جمع الجوامع ١٤٧/٢ تحت قول الشارح اما من (اي المبتدع). يُجَوِّز الكذب فلا يقبل كُفِّر ببدعته أم لا وكذا من يحرمه وكفر ببدعته كالمجسم عند الأكثر لعظم بدعته اهـ فالقائل بأنه جسم لكن لا كسائر الأجسام مبتدع عظيم بدعته والخلاف عن كفره وكذا النزول والإستواء والإنتقال[٨]. لأن في هذا القول إثبات الجسمية

---

[٨] وقال القشيري وسر الأمر أن هؤلاء الذين يمتنعون من التأويل معتقدون حقيقة التشبيه غير أنهم يدلسون ويقولونله يد لا كالايدي وقدم لا كالاقدام واستواء بالذات لا كما نعقل فيما بيننا فليقل المحقق هذا كلام لا بد من استبيان قولكم نجرى الأمر على الظاهر ولا يعقل معناه تناقض ان اجريت على الظاهر فظاهر الساق في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخ. فان اخذت بهذا الظاهر والتزمت بالإقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر. وان لم يمكنك الأخذبها فأين الأخذ بالظاهر أَلَسْتَ قد تركت الظاهر وعلمت تقدس الرب تعالى عما يوهم الظاهر فكيف يكون اخذا بالظاهر وان قال الخصم هذه الظواهر لا معنى لها اصلا فهو حكم بأنها ملغاة وما كان في ابلاغها الينا فائدة وهي هدر وهذا محال. وفي لغة العرب ما شئت من التجوز والتوسع في الخطاب وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد فمن تجافى عن التأويل فذلك لقلة فهمه بالعربية ومن أحاط بطرق من العربية هان عليه مدرك الحقائق وقد قيل وما يعلم تاويلة إلا الله والراسخون في العلم فكأنه قال والراسخون في العم أيضا يعلمونه ويقولون آمنا به فان الإيمان بالشيئ انما يتصور بعد العلم واما مالا يعلم فالإيمان به غير متأت ولهذا قال ابن عباس انا من الراسخين من العلم اهـ. قلت وهذا الذي ذهب اليه هو مختار شيخ جده ابن فورك واليه ذهب العز بن عبد السلام في رسائله منها رسالته التي ارسلها جوابا للملك الأشرف موسى وهي بطولها في طبقات ابن السبكي (اتحاف السادة المتقين ١١١/٢-١١٠).

والاستقرارية بوجه وهو يستلزم النقص ويشير إلى الحدوث باعتبار وفيه أيضا تدليس التشبيه.

ألا ترى أن للمَلَكِ جسما لا كسائر الأجسام وأن للجن نزولا لا كسائر النزول وأن للملك استقرارا لا كسائر الاستقرار وأن للفيل أنفا لا كسائر الانف وأن للسرطان يدا لا كسائر اليد وأن للطائرة أجنحة لا كسائر الأجنحة فلا يفيد هذا النفي التنزيه ولا ينفي التشبيه ويخالف قوله تعالى" سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" كما لا يخفى وأما اذا قيل ان له علما أو أنه قادر أو ان له علما لا كسائر العلوم فلا يوهم التشبيه فالفرق ظاهر.

فان قيل هكذا نقول بالظاهر ولا نعقل معناه ففيه تناقض بين مثلا ان أجريت على الظاهر فظاهر الساق في قوله تعالى يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والمخ فان أخذت بهذا الظاهر والتزمت بالاقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر وان لم يمكنك الأخذ بها فاين الأخذ بالظاهر ألست قد تركت الظاهر وعلمت تقدس الرب تعالى عما يوهم الظاهر وان قال الخصم هذه الظواهر لا معنى له أصلا فهو حكم بأنها ملغاة وما كان في إبلاغها إلينا فائدة وفي لغة العرب التجوز والتوسع في الخطاب وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد فمن حرم التأويل فذلك لقلة فهمه بالعربية ومن أحاط بطرق العربية هان عليه مدرك الحقائق والراسخون في العلم يقولون آمنا به والإيمان بالشيئ انما يتصور بعد العلم أما مالا يعلم فالإيمان به غير متأت ولهذا قال ابن عباس انا من الراسخين في العلم وان قال الخصم ان الساق عضو لكن لا كسائر الأعضاء أقول فهو مركب ففيه تشبيه ففيه تدليس التشبيه وكذا في الاستواء وغيره قال الحافظ قال الكرماني تحت حديث "إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً" لما قامت البراهن على استحالة هذه الأشياء في حق

الله وجب أن يكون المعنى من تقرب إلى بطاعة قليلـــة جازيتـــه بثـــواب كثـير وكلما زاد في الطاعة أزيـــد في الثـــواب وان كـــانت كيفيـــة اتيانـــه بالطاعـــة بطريق التأني يكون كيفيـــة اتيـــاني بـــالثواب بطريـــق الإســـراع والحـــاصل ان الثواب راجح على العمل بطريق الكيف والكم ولفظ القـــرب والهرولـــة مجـــاز على سبيل المشاكلة أو الاستعارة أو إرادة لو ازمـــها فتـــح:١٧/٤٦٠ وظـــاهر انه لا معنى لقولنا هرولة لا كســـائر الهرولـــة التقـــرب الذراعـــي لا كســـائر التقرب جريا على الظـــاهر.

٢٩) فان قلت الاستواء معلوم والكيف مجـــهول فـــلا يلـــزم التشبيـــه أقول هذا كقولنا استواء لا كسائر الاستواء ففيـــه اثبـــات الاســـتقرارية بوجـــه وتسليم التخصص بالمكان باعتبار وقد تقدم عـــن الحلـــي والبنـــاني انـــه بدعـــة عظيمة مختلفة التكفير وان فيه تدليس التشبيه وما يروي عن مـــالك انـــه قـــال حين سئل عن الاستواء "الاستواء معلوم والكيفيـــة مجهولـــة فلـــم يصـــح عنـــه وانما الصحيـــح الـــذي رواه البيـــهقي "كمـــا في فتـــح البـــاري ٦/٤٠)". في الأسماء والصفات (٥١٥) من طريق عبد الله بن وهب ويحـــيى بـــن يحـيى قـــال أخبرنا ابن أخي رشدين بن سعد قال سمعت عبد الله بـــن وهـــب يقـــول كنـــا عند مالك بن انس فدخل رجل فقال يا أبـــا عبـــد الله الرحمـــن علـــى العـــرش استوى كيف استوائه قال فأطرق مـــالك وأخذتـــه الرحضـــاء ثم رفـــع رأســـه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفســـه ولا يقـــال كيـــف وكيـــف عنه مرفوع وأنت رجل صاحب بدعة أخرجوه قـــال فـــاخرج الرجـــل أخبرنـــا أبو بكر أحمد بن محمد بن الحارث الفقيه الاصفهاني أنـــا أبـــو محمـــد عبـــد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ ثنـــا أبـــو جعفـــر بـــن زيـــرك البزي قال سمعت محمد بن عمرو ابن النضر النيســـابوري يقـــول سمعـــت يحـــيى بن يحيى يقول كنا عند مالك بن أنس فجـــاء رجـــل فقـــال يـــا أبـــا عبـــد الله الرحمن على العرش استوى فكيف استوى قـــال فـــأطرق مـــالك رأســـه حـــتى

علاه الرحضاء ثم قال الإستواء غير مجهول والكيف غير معقـول والإيمـان بـه واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الا مبتدعا. فأمر بـه أن يخرج.

وروى في ذلك أيضا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن استاذ مالك بن انس رضي الله تعالى عنهما أي فالاستواء في كلام العرب غير مجهول كما يقال قَدِ اسْتَوٰى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ. ولا يعقل أن يكون له كيف والسؤال عنه لطلب إثبات التشبيه أولإثبات الكيف بدعة واما تلك الرواية التي نسبتها المشبهة لمالك فليس لها إسناد البتة وانما يلهجون بها لانها يوهم موافقة هواهم الذي هو التشبيه لان اعتقادهم ان استوائه كيف لكن لا نعلمه فهذا اثبات للكيف لا تنزيه لله عن الكيف ثم انه يقال ايضا استواء الملك معلوم والكيف ممجهول.استواء الجن معلوم والكيف مجهول ونعيم الجنة معلوم والكيف مجهول ما خطر على قلب بشر والنار معلوم والكيف مجهول وأكثر الأمور بالنسبة لبعض الأفراد معلوم والكيف مجهول وكل شيئ معلوم باعتبار ومجهول باعتبار فلا يثبت بهذا التنزيه ولا ينفى التشبيه. وأخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحددون ولا يشبهون ويرورن هذه الأحاديث ولا يقولون كيف، قال أبو داود وهو قولنا. فتح الباري ٢٩٦/١٧ وأسند البيهقي من طريق أبي بكر الضبعي قال مذهب أهل السنة في قوله "الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى" قال بلا كيف والآثار فيه عن السلف كثيرة وهذه طريقة الشافعي واحمد (فتح ٢٩٧/١٧). وقال الترمذي في باب فضل الصدقة قد ثبت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك انهم أَمَرُّوْهَا بلا كيف وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة وأما الجهمية فانكروها وقالوا هذا تثبيه وكذا قال الترمذي في حديث النزول.

وقال ابن عبد البر أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكيفوا شيأ منها وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا من أقرها فهو مشبه فسمّاهم من أقرها مُعَطِّلَةً. (فتح الباري ٢٩٧/١٧). الحاصل بعضهم أنكر أحاديث الصفات كلها وقالوا كلها كذب على النبي ﷺ فمن أقرها فهو مشبه وبعضهم أجروها على ظواهرها مع نوع من التشبيه ومع كيف مجهول فيكون الله تعالى عندهم كالملك والجن تقريبا سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ قال ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه (رازي ٢٢٤/١٨). وأهل السنة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

٣٠) فان قلت هل صرح ابن تيمية بالكيف في أحاديث الصفات أقول قال ابن بطوطة في رحلته فحضرته (أي ابن تيمية) يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به. رحلة ٩١ ويمكن أن يريد ابن تيمية وان كان النزول كنز ولى هذا باعتبار لكنه ليس كسائر نزول الخلائق باعتبار آخر فالكيف مجهول باعتبار ومعلوم باعتبار فيلزم التشبيه باعتبار وعدم التشبيه باعتبار ويصدق مع ذلك قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لوجود المغايرة بوجه لكن يوجد المغايرة هكذا في جميع أفراد العالم لكونها لازمة للاثنينية كما لا يخفى ولكن ابن تيمية لا يقول ذلك في قوله ﷺ الحَجَرُ الأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ "وفي قوله تعالى" أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ. فالفرق تحكم وتدليس التشبيه.

٣١) فان قلت ما هو الفرق بين مذهب السلف وبين آراء القائلين بأنه تعالى جسم لا كسائر الأجسام أو الاستواء معلوم والكيف مجهول أقول قال النووي في هذا الحديث (ينزل ربنا) وشبهه من أحاديث

الصفات وآياتها مذهبان مشهوران أحدهما تأويله على ما يليق بصفات الله سبحانه وتعالى وتنزيهه من الانتقال وسائر صفات المحدث وهذا هو الأشهر عند المتكلمين والثاني الإمساك عن تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله سبحانه عن صفات المحدث لقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهذا مذهب السلف وجماعة من المتكلمين وحاصله أن يقال لا نعلم المراد بهذا ولكن نؤمن به مع اعتقادنا ان ظاهره غير مراد وله معنى يليق بالله تعالى شرح المهذب ٤/٤٨. وكذا في شرح مسلم لكنه قال الاول مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين والثاني مذهب اكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا (حديث النزول) من مالك والأوزاعي انها تتأول على ما يليق بها (شرح مسلم ٦/٣٦). فحاصل مذهب جمهور السلف ان يقال لا نعلم المراد بهذا مع اعتقادنا أن ظاهره غير مراد وله معنى يليق بالله. وحاصل رأى القائلين بأنه جسم لاكالأجسام أو الاستواء معلوم والكيف مجهول ان يقال ان ظاهره مراد وانه جسم وان له استواء ونزولا وان له يدا وساقا ووجها وعينا لكن ليس كسائر اليد والساق والوجه والعين فبعض ظاهره مراد وبعض ظاهره غير مراد وبعض ظاهره معلوم وبعض ظاهره مجهول كالمَلَكِ بعضه ظاهر وبعضه غير ظاهر ففي رأي القائلين بالمذكور تدليس التشبيه بالمخلوقات من وجه وإلا لم لا يقولون في قوله "اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" استهزاء لا كسائر الاستهزاء او الاستهزاء معلوم والكيف مجهول.

وليس كذلك مذهب السلف فحاصله الله أعلم بمراده فليس فيه التشبيه بوجه من الوجوه فالفرق ظاهر وان قيل لم لا يقولون بالفخذ والألية والصدر والثدي والرأس وقد قال رسول الله ﷺ إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. وان فرض ان الضمير الى آدم فكيف يوجد الوجه والعين بدون الرأس وكيف يوجد الساق والوجه واليد بدون الصدر فيلزم من ثبوت

الوجه والعين واليد والساق ثبوت بقية الجوارح يجيبون بأن الرأس والفخذ لم يأت في الآية والحديث فلذا لم نقل به أقول لاجاجة إلى الورود بخصوصه لأنه يلزم من إثبات الوجه إثبات الرأس والعين ومن إثبات الساق إثبات الفخذ والأخذ باللوازم عرف معروف معتبر في الآيات والأحاديث ويكون الرأس والفخذ لا كسائر الرأس والفخذ فهما معلومان والكيف مجهول لقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. ثم لا بد أن يكون يده وان كان لا كسائر الأيدى وان كان الكيف مجهولا اما مصورا بأن يكون مساويا لأيدينا أو أصغر أو أكبر وكذلك ما بين الفخذين إما مصورا بالذكر أو الانثي وان كان لا كسائر الذكور والا ناث ولا يخفى بعده سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ.

٣٢) فان قلت اليد صفة ذاتية لا يعقل معناها والقدم صفة ذاتية لا يعقل معناها والاستواء صفة ذاتية لا يعقل معناها لئلا يلزم التعطيل. أقول هذا مثل قولك أيضا لاكالأجسام فيه تدليس التشبيه والتكييف ودعاء إلى الجهل وكيف يكون اليد والقدم صفة وهل يقال يدزيد أو قدمه صفة له بل يكون عضوا منه ولا يلزم من التأويل التعطيل بل يرجع إلى صفات فعلية أو ذاتية وليس فيه بعد كون اليد أو القدم صفة وفي مذاهب العرب سعة يقولون أمر بين كالشمس وجواد كالريح وحق كالنهار والأرض في يدزيد والضفدع في يد الحية إني أراك تقدم رجلا وتؤخرأ خرى والمراد التقريب على الأفهام فقد علم من عقل ان الماء أبعد الأشياء شبها بالصخر والله يقول "فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ" فأراد العظم والعلو لا الشبه في الحقيقة والعرب تشبه الصورة بالشمس والقمر واللفظ بالسحر والمواعيد الكاذبة بالرياح ولا تعد شيأ من ذلك كذبا ولا توجب حقيقة ولا التأويل ممنوعا.

وقال النووي تحت حديث أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قَالَ خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَ مَه قَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ فَقَالَ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَى يَا رَبِّ الخ. قال النووي الرحم انما هو معنى من المعاني لا يتأتى منه الكلام فالمراد تعظيم شأنها وبيان فضيلة من وصلها واثم من قطعها فورد الكلام على عادة العرب في استعمال الاستعارات اهـ اي كان الرحم قال ذلك وأجاب وأمثال هذه التأويلات يسلمه الخصم أيضا في مواضع كثيرة فلم لا يقول في قوله تعالى "وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً" ان الصبغ صفة ذاتية لا يعقل معناها لئلا يلزم التعطيل فالفرق تحكم وتدليس للتشبيه.

٣٣) فان قلت نحن نثبت لله تعالى ما أثبت الله ورسوله كما تثبتون العلم والقدرة. أقول فلم لا تثبتون الاستهزاء والمكر لله وقد أثبتهما الله تعالى قال الله تعالى "اللهُ يَسْتَهْزِأُ بِهِمْ" "وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"فمرادكم تدليس التشبيه. فالاستواء الذي أثبته القرآن مثلا ليس الاستواء الذي أنتم تريدونه بل الله أراد بالاستواء معنى لائقابه لأن كلمة استوى ليست مرادفة لجلس بل استوى له معان في لغة العرب بعض معانيها من صفات المخلوقين كالجلوس والاستقرار ومنها ما هو لائق بالله تعالى كالتدبير والاستيلاء والقهر فمن اللغويين من فسر الاستواء المذكور في الآية بالاستيلاء منهم صاحب القاموس في كتابه بصائر ذوي التميز والامام الفقيه الحافظ اللغوي تقي الدين السبكي والمحدث الحافظ الفقيه خاتمة اللغويين مرتضى الزبيدى وغيرهم وقد وصف السبكي بأنه لغوي تلميذه صلاح الدين الصفدي في تأليفه"أعيان العصر".

وقد اختلف العلماء في أن الاستواء وأمثاله هل هو صفة لله

تعالى أم لا. [٩]"قال الحافظ في الفتح قسم بعضهم أقوال الناس في هذا الباب إلى ستة أقوال قولان لمن يجريها على ظاهرها أحدهما من يعتقد أنها من جنس صفات المخلوقين وهم المشبهة ويتفرع من قولهم عدة آراء والثاني من ينفي عنها شبه صفة المخلوقين لأن ذات الله لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات فان صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته. "أقول يدخل فيهم مدلس التشبيه" وقولان لمن يثبت كونها صفة ولكن لا يجريها على ظاهرها أحدهما يقول لا نؤول شيأ منها بل نقول الله أعلم بمراده والآخر يؤول فيقول مثلا معنى الاستواء الاستيلاء واليد القدرة ونحوذ لك وقولان لمن لا يجزم بأنها صفة أحدهما يقول يجوز أن تكون صفة وظاهرها غير مراد ويجوزأن لا تكون صفة والآخر يقول لا يخاض في شيء من هذا بل يجب الإيمان به لأنه من المتشابه الذي لا يدرك معناه (فتح ٢٩٨/١٧).

ولو فرض مناظرة بين المشبه وعابد الشمس فقال المشبه أو مدلس التشبيه لعابد الشمس دينك باطل لأنك تعبد غير الله فقال عابد الشمس معبودي شيئ محسوس تعترف بوجوده ويعترف كل الناس بوجوده وتعترف بعظم نفعه للأبدان وللنبات وللشجر والأرض وللهواء وللماء أما معبودك الذي أنت تقول هو اللهفليس بمرئى لى ولا لك انما أنت تتوهم أن شيأ موجودا فوق العرش أو فوق السماء فان قال المشبه قال تعالى لي قرآنه "أَفِي اللهِ شَكٌّ" قال عابد الشمس

---

[٩] وفي الاتحاف وقال البكي في شرح الحاجبية اختلف أهل السنة في اتصاف الباري تعالى بهذه الصفات التي ظاهرها محال على ثلاثة أقوال الأول قول السلف انها هي صفات زائدة على السبع الله اعلم بحقائقها وهي احد قولى الأشعري وهو قول مالك وإليه يشير الإمام أحمد بقوله الآيات المتشابهات خزائن مقفلة حلها تلاوتها الثاني كلها مجازات يدل بها على تلك الصفات الثمانية عقلا وسمعا وهذا قول الحذاق من الاشاعرة الثالث الوقف وهو اختيار صاحب المواقف والمقترح (اتحاف السادة المتقين ١١١/٢).

انا لا أومن بكتابك أعطني دليلا حسيا أو دليلا عقليا فينقطع المشبه.
ولا يمكن أن يستدل بحدوث العالم على وجود محدث له خارج عنه لإمكان ان يكون نوع العالم قديما والفرد حادثا عنده فيمكن ان يكون نوع العالم مثلا نوع الشمس محدثا لفردها فيكون هذا النوع هو المعبود ولا يمكن له أن يستدل على حدوث العالم بتغيراته وتطوراته لان مثل ذلك موجود في خالقه على زعمه ولو فرض هذه المناظرة بين المنزه والعابد لأجاب المنزه بقوله ان الشمس وجميع ما في العالم لها كمية وحد فتحتاج إلى من جعله على هذا الحد والكمية ولا يمكن أن يكون النوع علة لامتناع وجود النوع بدون الفرد وايضا الشمس متغيرة ومتصفة بصفات الحوادث ومالا يخلو عن الحادث فهو حادث فلا بد له من محدث وراءه ومعبودي ليس كذلك فهو قديم لا يحتاج إلى علة ولا مخصص بل يمتنع ان يكون له علة ومخصص فهو الخالق للشمس ومنافعه فلا معبود الا هو - فيغلب المنزه على العابد.

٣٤) فان قلت كما يجوز أن يقال استواء يليق به هل يجوز ان يقال لله تعالى يدلائق به أو كف لائق به أو وجه لائق به أوساق أو قدم لائق به أقول[١٠] لا يجوز لأنه يوهم النقص والتركيب وقال تعالى "سَبِّح

---

[١٠] وفي الاتحاف وقد قال المصنف (الغزالي) في الجام العوام ان عوام الخلق يجب عليهم في معتقدهم سبعة امور احدها التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الكف ثم الإمساك ثم التسليم لأهل المعرفة اما التقديس فاعني به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها اما التصديق فهو الإيمان بما قاله صلى الله عليه وسلم وان ما ذكره حق وهو فيما قاله صادق وانه حق على الوجه الذي قاله واراده واما الاعتراف بالعجز فهو أن يقر بأن معرفة مراده ليس على قدر طاقته وان ذلك ليس من شأنه واما السكوت فانه لا يسئل عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم ان سؤاله عنه بدعة وانه في خوضه فيه مخاطر بدينه وانه يوشك ان يكفر ان خاض فيه من حيث لا يشعر واما الإمساك فهو ان لا يتصرف في تلك الالفاظ الواردة بالتصريف والتبديل بلغة اخرى والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا

اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" بل يطلق الآيات والأحاديث كما ورد ولا يوهم النقص فانه يفهم مقصود الشارع بقرينة السياق أو السباق بخلاف ما استنبطت منه فقلت له يدلائق كما تستنبط من قوله تعالى وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ. له مكر لائق به ومن قوله اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ له استهزاء لائق به ومن قوله وَهُوَ خَادِعُهُمْ له خداع لائق به ولا شك انه يوهم النقص ويخالف قوله سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَأَيًّامَا تَدْعُو فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى. وهذا بخلاف قولنا استواء يليق به فان الاستواء مشترك ومشهور في معنييه فاذا قيل استواء يليق به فالمتبادر التدبير والاستعلاء فلا يوهم النقص والتشبيه والتركيب ولوقيل يدلائق به فالمتبادر منه انه أطول من كل طويل.

٣٥) فان قلت الشارع لم يبين معنى خاصا لآيات الصفات وأحاديثها وكذلك لم يجئ من الشارع المعاني التأويلية التي تقولونها فينبغي حملها على الظاهر لعدم تعيين المراد من الشارع أقول كذلك لم يبين الشارع معنى خاصا لأمثال قوله تعالى "وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ" وقوله "صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً" وقوله "وَهُوَ خَادِعُهُمْ" وقوله "اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" وقوله "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ". وقوله "انَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى" وقوله مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وقوله صلى الله عليه وسلم فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى وقوله ﷺ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي أَرْضِهِ وقوله صلى الله عليه وسلم إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كل ذلك لم يجيء من

بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الإيراد والإعراب والتصرف فيه. واما التسليم لأهله فان يعتقد ان ذلك وإن خفي عليه لعجزه فقد لا يخفى على الرسول صلى الله عليه وسلم او على الأنبياء أو على الصديقين والأولياء فهذه سبعة وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام لا ينبغي ان يظن بالسلف الخلاف في شيء منها (٢/٧-٤٦).

الشارع تعيين معنى خاص له فهل يقول قائل ينبغي حملها على الظاهر لعدم التعيين بل نقول[11] لم يعين الشارع معنى خاصا لها

---

[11] قال الإمام الرازي: "استدلت المجسمة بهذه الآية على ان الله تعالى جسم من وجهين. الأول : قالوا الآية صريحة في اثبات الوجه وذلك يقتضي الجسمية. والثاني: قوله (وإليه ترجعون) وكلمة الى لانتهاء الغاية وذلك لا يعقل الا في الأجسام. والجواب : لو صح هذا الكلام يلزم ان يفنى جميع اعضائه وانه لا يبقى منه الا الوجه وقد التزم ذلك بعض المشبهة من الرافضة وهو بيان ابن سمعان وذلك لا يقول به عاقل (تفسير الرازي : سورة القصص ٨٨).

"المسألة الرابعة: احتج من اثبت الأعضاء والجوارح لله تعالى بقوله تعالى (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) في اثبات يدين لله تعالى، بأن قالوا ظاهر الآية يدل عليه فوجب المصير إليه والآيات الكثيرة واردة على وفق هذه الآية، فوجب القطع به.

واعلم ان الدلائل الدالة على نفي كونه تعالى جسما مركبا من الأجزاء والأعضاء قد سبقت الا انا نذكر ههنا نكتا جارية مجرى الا لزامات فالأول ان من قال انه مركب من الأعضاء والأجزاء فاما ان يثبت الأعضاء التي وردت ذكرها في القرآن لا يزيد عليها، واما ان يزيد عليها، فان كان الأول لزمه اثبات صورة لايمكن ان يزاد عليها في القبح، لأنه يلزمه اثبات وجه بحيث لا يوجد منه الا رقعة الوجه لقوله كل شيء هالك الا وجهه ويلزمه ان يثبت في تلك الرقعة عيونا كثيرة لقوله (تجرى باعيننا) وان يثبت جنبا واحدا لقوله تعالى (يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله) وإن يثبت على ذلك الجنب ايدي كثيرة لقوله تعالى (مما عملت أيدينا) وبتقدير أن يكون له يدان فانه يجب ان يكون كلها في جنب واحد

وان يثبت له ساقا واحدا لقوله تعالى (يوم يكشف عن ساق فيكون الحاصل من هذه الصورة مجرد رقعة الوجه ويكون عليها عيون كثيرة وجنب واحد ويكون عليه ايد كثيرة وساق واحد، ومعلوم ان هذه الصورة من اقبح الصور. ولو كان هذا عبدا لم يرغب احد في شرائه، فكيف يقول العاقل ان رب العالمين موصوف بهذه الصورة. . . .

لكونها مفهومة لجميع الناس أو للراسخين في العلم ولذلك لم يطلب الصحابة من النبي ﷺ بيانها. وعند الحاجة بين النبي ﷺ. المعاني المرادة كما بين لمن حمل الخيط الأبيض والأسود على الظاهر فبين النبي ﷺ ان المراد الفجر لا الحمل على الظاهر. روى البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم قال لما نزلت كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ قَالَ لَهُ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِي عِقَالَيْنِ عِقَالاً أَبْيَضَ وَعِقَالاً أَسْوَدَ أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ (مسلم ٤/٤١٤، بخاري ٤/١٩١٦، ابو داود ٢/٢٣٤٩، ترمذي ٥/١٠٩١. فكما لا يجوز حمل هذه على الظاهر لعدم التعيين فكذلك لا يجوز حمل تلك على الظاهر وانما

الحجة الثانية في ابطال قولهم انهم اذا اثبتوا له عضو الرجل فهو رجل وان اثبتوا له عضو النساء فهو أنثى، وان نفوهما فهو خنثى أو عِنِّين، وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. (تفسير، سورة-ص: ٧٥).

فان خطر بباله ان الله جسم مركب من اعضاء فهو عابد صنم فاذكل جسم فهو مخلوق وعبادة المخلوق كفر وعبادة الصنم كانت كفرا لأنه مخلوق وكان مخلوقا لأنه جسم فمن عبد جسما فهو كافر باجماع الأئمة السلف منهم والخلف سواء كان ذلك الجسم كثيفا كالجبال والصنم الصلاب او لطيفا كالهواء والماء وسواء كان مظلما كالأرض او مشرقا كالشمس والقمر والكواكب أولالون لـه كالهواء (ص: ٥٥).

وفي الفقه الأكبر لابي حنيفة وهو شيء لا كالأشياء ومعنى الشيء اثباته بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا حد له ولا ضد له ولاند له ولا مثل له (متن الفقه الأكبر - ١٦٨).

(ولكن التغير) أي الإنتقال (واختلاف الأحوال) أي من القيام والقعود وامثالها لهما من الأفعال (يحدث في المخلوقين) مع تنزيه الملك المتعال عن قبول الانفعال وحصول التغير والإنتقال (الفقه الأكبر مع الشرح - ٤١).

لم يبين النبي ﷺ مرادها لعدم الحاجة في ذلك الزمن لظهور المراد منها لكل الناس او للراسخين في العلم كما قال ابن عباس أنا من الراسخين وهكذا في خير القرون ثم لما ظهرت المجسمة والمشبهة احتاج العلماء إلى بيانها فبين بعضها جميع العلماء وبعضها الراسخون في العلم فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.



إِيمَانٌ[1] بِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يستدل على معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأوجه أحدها ما تواتر من أحواله قبل النبوّة وحال الدعوة وبعد تمامها وأخلاقه العظيمة وأحكامه الحكمية الفطرية وإقدامه حيث تحجم الأبطال ووثوقه لعصمة الله في جميع الأحوال وثباته على حاله لدى الأهوال بحيث لم تجد أعداءه مع شدة عداوقم وحرصهم على الطعن فيه مطعنا ولا إلى القدح فيه سبيلا فان العاقل يجزم بامتناع اجتماع هذه الأمور في غير الأنبياء وامتناع ان

---

[1] قال الإمام الرازي: "اتفق لي حين كنت بخوارزم، أخبرت انه جاء نصراني يدعي التحقيق والتعمق في مذهبهم، فذهبت إليه وشرعنا في الحديث وقال لي: مّا الدليل على نبوة محمد ﷺ فقلت له كما نقل إلينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، نقل إلينا ظهور الخوارق على يد محمد ﷺ فان رددنا التواتر أو قبلناه لكن قلنا: إن المعجزة لا تدل على الصدق، فحينئذ بطلت نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام، وان اعترفنا بصحة التواتر واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق ثم انهما حاصلان في حق محمد وجب الاعتراف قطعا بنبوة محمد عليه السلام، ضرورة ان عند الاستواء في الدليل لا بد من الاستواء في حصول المدلول، فقال النصراني إنا لا أقول في عيسى عليه السلام انه كان نبيا بل اقول انه كان إلها، فقلت له الكلام في النبوة لا بد وان يكون مسبوقا بمعرفة الإله وهذا الذي تقوله باطل، ويدل عليه ان الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، يجب أن لا يكون جسما ولا متحيزا و لا عرضا وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وجد بعد أن كان معدوما وقتل بعد ان كان حيا على قولكم وكان طفلا أولا، ثم صار شابا وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ، وقد تقرر في بداهة العقول ان المحدث لا يكون قديما والمحتاج لا يكون غنيا والممكن لا يكون واجبا والمتغير لا يكون دائما.(تفسير الرازي٧٨/٨).

يجمع الله تعالى هذه الكمالات في حق من يعلـــم انـــه يفـــترى عليـــه ثم يمهلـــه ثلاثا وعشرين سنة ثم يظهر دينه على سائر الأديــــان وينصــــره علـــى أعدائـــه ويحيى آثاره بعد موته إلى يوم القيمــــة.

وثانيها أنه ادعى النبوة بين أظهر قوم لا كتاب لهــــم ولا حكمـــة معـــهم وبيّن لهــــم الكتــــاب والحكمـــة وعلمـــهم الأحكــــام والشرائــــع وأتم مكــــارم الأخلاق وأكمل كثيرا من الناس في الفضائل العلميــــة والعمليـــة ونـــور العـــالم بالإيمان والعمل الصالح وأظهر الله دينه علـــى الديـــن كلـــه كمـــا وعـــده ولا معنى للنبوة والرسالة سوى ذلك واذا ثبت نبوته فقـــد دلّ كلامـــه وكـــلام الله المنـــزّل عليه على أنه خاتم النبيّين وان نبوته إلى كافـــة الخلـــق وأنـــه معصـــوم من الذنوب وأنه أمين في تبليغ الرســــالة.

وثالثها انه ادعى النبوة وأظهر المعجزة أما دعــــوى النبـــوة فقـــد علـــم بالتواتر وأما اظهار المعجزة فقد علم بالتواتر أيضا القــــدر المشـــترك منـــها وان كانت تفاصيل بعضها آحادا كشجاعة علـــيّ وجـــود حـــاتم فمنـــها انشقـــاق القمر وتكثير الطعام القليل والماء القليل واخبــــاره بالمغيبـــات وتحقـــق صدقـــه فيها وابراء المرضى لا بأسباب دوائية بل بالدعـــاء والتبركـــات الغـــير العاديـــة كما تفجر من بين أصابعه من الماء وتسبيح الحصـــى وانطـــاق العجمـــاء وغـــير ذلك مما ذكر في القرآن والحديث وكتـــب الســـير.

ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مـــع كافـــة العـــرب القـــرآن الكـــريم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة عجزوا عن معارضتـــه بـــأقصر ســـورة منـــه مع تهالكهم على ذلك حـــتى خـــاطروا بانفســـهم وأعرضـــوا عـــن المعارضـــة بالحروف إلى المقارعة بالسيوف اذ لم يكن في قدرة البشـــر الجمـــع بـــين جزالـــة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الأولين مع كونـــه أمّيـــا غـــير ممـــا رس للكتب ومع ما فيه من الانباء عـــن الغيـــب في أمـــور تحقـــق صدقـــه فيـــها في الاستقبال كقوله تعالىٰ لَتَدْخُلُـــنَّ ٱلْمَسْـجِدَ ٱلْحَـرَامَ إِنْ شَـاءَ ٱللَّهُ آمِنِـينَ مُحَلِّقِـينَ

رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ (الفتح ٢٧) وكقوله آلٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (الروم).

ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر العادي لم يكن إلا من الله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدى النبي ينزّل منزلة قوله "صدقت" وذلك مثل القائل بين يدي الملك المدعى على رعيته انه رسول الملك اليهم فإنه مهما قال لذلك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك منزل منزلة قوله صدقت.

وأما ما يرى من الأمر الخارق على يدي الساحر وغيره من المُمَوِّهَاتِ فهو من أسباب عادية خفية. كل من باشر تلك الأسباب يوجد منه الأمر الخارق المذكور ولذلك لا يسلم مدعى السحر مثلا عن المعارضة بأمثاله بخلاف المعجزة والكرامة فانه لا يمكن معارضتهما لأنهما ليستا من أسباب عادية خفية بل خلقه الله تعالى على خلاف العادة فتدل على صدق مدعى الرسالة.

وقال القرطبي: السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب غير انها لدقتها لا يتوصل اليها إلا آحاد الناس ومادته الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته وأكثرها تخييلات بغير حقيقة وايهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال الله عن سحرة فرعون وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ مع ان حبالهم وعصيّهم لم تخرج عن كونها حبالا وعصيّا (فتح الباري ١٠/٢٢٣ باب السحر).

وأما مراتب وحيه صلّى الله عليه وسلّم فمنها الرؤيا الصادقة فكان

لا يرى رؤيا إلاجائت مثل فلق الصبح ومنها مــا يلقيــه الملــك في قلبــه مــن غيرأن يراه ويخلق الله فيه علما ضروريا يعلم بــه أنــه وحــي لا إلهــام ومنــها خطاب الملك حين كان يتمثل له رجلا فيخاطبه حــتى يَعِي عنــه مــا يقــول ومنها ما كان الملك يأتيه مخاطبا لــه بصــوت مثــل صلصلــة الجــرس وهــذا أشدها ومنها رؤية جبريل في صورته التي خلقه الله عليها فيوحــى إليــه ومنــها ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات من فــرض الصلــوات وغيرهــا بســماع الكلام الأزلي الذي ليس بحرف ولا صوت مع رؤيــة الــذات المقدســة ومنــها ما أوحاه الله بلا واسطة ايضا بل بسماعه الكلام الأزلي بــلا رؤيــة الــذات.

وما يتوهم من أن مراتب الوحي المذكــورة نوبــاتٌ صَرْعِيَّــة فخــلاف البداهة لأن المصروع تعتريه النوبة فجأة فيقطع كلامه ويســقط مــن يــده مــا قد يكون قابضا عليه وتثبت حدقة عينه ويصفر وجهــه وقــدْ يصيــح صيحــة عالية ويقع مغشيا عليه وكثيرا ما يصاب بجروح وقد يعــض المصــروع لســانه ويمتزج لعابه بالدم ويسيل من فمه واذا تُرِك وشأنهُ نــام ســاعات فــاذا أفــاق شكا صداعا وارتباكاً في العقــل.

هذه هي أعراض الصرع الطبيــة فكيــف يتوهــم أن مرتبــة الوحــي كذلك ولم يُرْوَ لنا انه سقط مغشيا عليه أو أصيــب بجــروح في رأســه أوعــض لسانه أو شفتيه وسال الدم منه أوصاح صيحة وكان صلــى الله عليــه وســلم يملى القرآن بعد الوحي بوضوح وحضور ذهن ويقــرر الأطبــاء ان المصــروع لا يمكن أن يكون حاضر الذهن بعد النوبة ومحال أن يعيــش صحيــح الجســم قويا طول حياته كذلك ومــع ذلــك لا يمكــن أن يكــون المصــروع نبيــا أو مُشَرِعا.

وأما كثرة أزواجه ﷺ فانه أراد بذلك أن يوجــد بينــه وبــين أصحابه وكبار قومه صلة قوية بواســطة المصــاهرة لأن ذلــك ممــا يساعده نشر الدعوة إلى الإسلام. اما انــه لم يكــن شــهوانيا فــأمر

لا ينكر وظاهر من حياته وأطواره لأنه صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وهو في عنفوان شبابه في سن الخامسة والعشرين ولم يتزوج بغيرها إلى أن توفيت وكان عمره اذ ذاك خمسين سنة فاذا لم يكن إلى هذه العمر شهوانيا بل قانعا بزوجة واحدة فهل من العدل ان نقول انه كان شهوانيا بعد ذلك العمر لم يكن رسول الله ﷺ يعرف الفراغ بل كان في جهاد مستمر فلم يذق للراحة طعما من مبدأ الرسالة إلى ان توفي فكان يقضي أوقاته في نشر الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن المسلمين وجمع شملهم وتعليم دينهم ومكافحة الأعداء باللسان والسيف وكان مع ذلك يتعبد آناء الليل وأطراف النهار ولم تشغله كثرة نسائه عن عبادة ربه وعن القيام بواجبات الرسالة.

وأما انه ﷺ كان يقصد من تعدد الزوجات ايجاد روابط المصاهرة لنشر الدعوة فان زوجته عائشة هي بنت أبي بكر ؓ الخليفة الأولى لرسول الله ﷺ وزوجته حفصة بنت عمر ؓ الخليفة الثانية له صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ؓ وقد كان من أكبر أعداء النبي ﷺ ومن أشراف قريش وعدا ذلك كانت أسلمت قديما وهاجرت إلى الحبشة وعدمت زوجها هناك ومع ذلك استقرت في الإسلام وزوجته ميمونة هي خالة خالد بن الوليد الذي هو من أعظم أبطال الجند وكان ذلك التزويج من سبب اسلامه ومن حكمة زواج زينب إبطال تحريم الزواج بامرأة المتبني[٢]. وزوجته صفية هي بنت ملك من ملوك اليهود فلا

---

[٢] وأما قصة المحبة عند الرؤية فجاة فواهية يمجها العقل السليم لانها تربت في تربيته ﷺ من صغر سنها وزوجها صلى الله عليه وسلم لزيد بعد نوع من انكارمنها وطبعي قد يكون كذلك لأنها قرشية عالية النسب وبخاصة بقرابتها به ﷺ ولكن لامندوحة لها الا بالخضوع للنبي ﷺ ثم ان النفرة الكامنة تطلع من ضميرها لكون زيد غير قرشي ويجد

تصح إلا له صلى الله عليه وسلم وقد تنافس المسلمون فيها.

ومع ذلك كله ما ابعد ما كان بين النبي ﷺ وبين الملاذ أَيَّةً كانتْ لقد كان زاهدا في مسكنه وماكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار وقد قالت عائشة ﵂ مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ وكانت أزواجه ﵅ كلهن يُحِبِّنَّهُ كل المحبة فلا وجه للإعتراض من غيرهن.

بَقِيَّةُ الْعَقَائِدِ

ومن عقائد أهل السنة ما بينه الإمام نجم الدين عمر النسفى في عقائد النسفية ومنها ما تقدم وغيره من ان عذاب القبر[٣] للكافرين ولبعض

نفرقها زيد كثيرامن الأحيان فيرفع الشكوى اليه ﷺ فيقول أمسكي عليك زوجك واخيرا حيث لم يجد مخلصامن هذا الذي بين الزوجتين وعلم انها لا ترضى الا اياه صلى الله عليه وسلم أمر بالفراق وتزوجها.

[٣] قال الغزالي لأنه ممكن اذ ليس يستدعى الا إعادة الحياة إلى جزءمن الأجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهدمن سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنهمن الآلام واللذات ما يحس بتاثيره عند التنبه وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهدهومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيءمن علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه اهـ. فان قلت ان اللذة والألم والتكلم كل منها فرع الحياة والعلم والقدرة ولا حياة بلا بِنْيَةٍ اذ هي قد فسدت وبطل المزاج وان الميت نراه ساكنا لا يسمع سؤالنا اذا سألناهومنهممن يحرق فيصير رمادا وتذروه الرياح فلا تعقل حياته وسؤاله فالجواب ان هذا مجرد استبعاد خلاف المعتاد وهو لا ينفى الإمكان فان ذلك ممكن اذ لا يشترط في الحياة السمة ولو سلم جاز ان يحفظ الله تعالىمن الأجزاءما ياتى به الإ دراك ولا يمتنع ان لا يشاهد الناظرمنهما يدل على ذلك (فان النائم ساكن بظاهره و) هومع ذلك (يدرك بباطنهمن الآلام) واللذاتما يحس بتاثيره عند التنبه كالم ضرب رآه بعد استيقاظهمنمناهعوخروجمنيمن جماع رآه فيمنامه (وقد

عصاة المؤمنين وتنعيم أهل الطاعة في القبر بما يعلمه الله تعالى ويريده وسؤال منكر ونكير ثابت بالدلائل السمعية والبعث حق والوزن حق[٤]

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده و) الحال ان(من حوله)من الصحابة اومن هومزاحمه فيمكانه كعائشة رضي الله تعالى عنها اذ كانتمعه بفراش واحد (لا يسمعونه ولا يرونه) وقد اخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ يو ما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ترىمالا أرى قال العراقي وهذا الأغلب والافقد رأى جبريل جماعةمن الصاحابةمنهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم انتهى وهذا الذي ذكرهمن سماع السؤال ورد الجواب لم يشاهد وانما قلنا به لان الادراك والا سماع بخلق الله تعالى وقد قال الله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء (فاذا لم يخلق لهم) اي لبعض الناس (السمع والرؤية لم يدركوه) كما دل عليه قوله تعالى السابق ذكره اهـ. اتحاف.

[٤] قال الغزالي الميزان هو حق قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقال تعالى فمن ثقلتموازينه فاولئك هم المفلحونومن خفتموازينه الآية ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله تعالى فتصير مقادير اعمال العبادمعلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب اهـ.

قال الزجاج اجمع اهل السنة على الإيمان بالميزان وان اعمال العباد توزن يوم القيامة وان الميزان له لسان وكفتان وتميل بالاعمال وانكر المعتزلة الميزان وقالوا هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة لان الله تعالى اخبر ان يضع الموازين القسط لوزن الأعمال لترى العباد اعمالهم ممثلة ليكونوا على انفسهم شاهدين وقال ابن فورك انكرت المعتزلة الميزان بناءمنهم على ان الاعراض يستحيل وزنها اذ لا يقوم بانفسها قال وقد روي بعض المتكلمين عن ابن عباس ان الله تعالى يقلب الاعراض أجسا ما فيزنها اهـ. وقد ذهب بعض السلف ان الميزان بمعنى العدل والقضاء فاسند الطبرىمن طريق ابنأبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى "ونضع الموازين القسط" قال إنما هومثل كما يجرر الوزن كذلك يجرر الحقومن طريق ليث بنأبي سليم عن مجاهد قال الموازين العدل

والكتاب حق والسؤال حق والحوض حق والصراط[٥] حق والجنة حق

والراجح ما ذهب اليه الجمهور وقال الطيبي انما توزن الصحف وأما الاعمال فانها اعراض فلا توصف بثقل ولا خفة الحق عند اهل السنة ان الاعمال حينئذ تجسد او تجعل في اجسام فتصير اعمال الطائعين في صورة حسنة واعمال المسيئين في صورة قبيحة ثم توزن ورجح القرطبي ان الذي يوزن الصحائف التي يكتب فيها الاعمال ونقل عن ابن عمر توزن صحاف الاعمال قال فاذا ثبت هذا فالصحف اجسام فيرتفع الاشكال ويقويه حديث البطاقة الذي اخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وفيه فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة اهـ. والصحيح ان الاعمال هي التي توزن وقد اخرج ابو داود والترمذي وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال ما يوضع في الميزان يوم القيامة اثقل من خلق حسن وفي حديث جابر رفعه توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار قيل فمن استوت حسناته وسيئاته قال أولئك أصحاب الاعراف اخرجه خيثمة في فوائده وعند ابن المبارك في الزهد عن ابن مسعود نحوه وقد ذهب المصنف في العقيدة الصغري وهنا الى ان الموزون صحائف الأعمال وتبعه ابن الهمام في المسايرة اهـ اتحاف.

* قال الغزالي وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير في الهواء قادر على ان يسير الانسان على الصراط انتهى.

وقد أنكرت المعتزلة الصراط وقالوا عبور الخلائق على ما هذه صفته غير ممكن وحملوا الصراط على الصراط المستقيم صراط الله تعالى وهذا التاويل يأباه ما (قال الله تعالى) في كتابه العزيز مخاطبا للملائكة احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله (فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون) وقد اجمع المفسرون على تفسيره بما ذكرناه وجاء وصفه في الحديث وعلى جنبه خطاطيف وكلاليب وسالت عائشة رضي الله تعالى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اذا طويت السماء وبدلت الأرض غير الارض فاين الخلق يومئذ فقال على جسر جهنم قال

والنار حق وهما مخلوقتان موجودتان باقيتان لا تفنيان ولا يفنى أهلهما والكبيرة لا تخرج العبد المؤمن من الإيمان ولا تدخله في الكفر والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من الصغائر والكبائر ويجوز

القاضي في الهداية قال سلف الامة الصراط صراطان صراط الدين والثاني جسر على متن جهنم وهو قول ائمة الحديث والفقهاء وحكي عن ابن الهذيل وابن المعتمر انهما قال بجواز ذلك ولكن لا يقطعان به سمعا واختلف القول من الجبائي وابنه فاثبتاه تارة ونفياه اخرى وقالا على القول باثباته وايجاب اثابة المؤمنين ان المؤمنين يعدل بهم عنه الى الجنة ويجوزان يلحق المؤمنين من العبور عليه شيء من الألم من اوجب تأويله قال ما ورد بخلاف الممكن يجب تأويله وأجاب إمام الحرمين بانه لامانع منه عقلا وانما ذلك خلاف المعتاد وقد أشار المصنف الى ذلك فقال (وهذا ممكن) اي وضع الصراط على الصفة المذكورة وورود الخلائق اياه أمر ممكن وارد على وجه الصحة ورده ضلالة (فيجب التصديق به) ثم اشار بالرد على المعتزلة.

في قولهم كيف يمكن المرور على ما هذه صفته بقوله (فان القادر على ان يطير الطير في الهواء قادر على ان يسير الانسان على الصراط) بل هو سبحانه قادر ان يخلق للانسان قدرة المشي في الهواء ولا يخلق في ذاته هويا الى اسفل ولا في الهواء إنخراقا وليس المشي على الصراط باعجب من هذا ان رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال اليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة وفي الصحيحين فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكا جاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم. (تنبيه) وورود الصراط هو ورود النار لكل احد المذكور في قوله تعالى وان منكم الا واردها وبذلك فسر ابن مسعود والحسن وقتادة ثم قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فلا يسقطون فيها ونذر الظالمين فيها جثيا اي يسقطون وفسر بعضهم الورود بالدخول واسندوه الى جابر رفعه اخرجه احمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابو يعلى والنسائي في الكنى والبيهقي أهـ. الحاصل كما ان الوصول الى الهداية في الدنيا على جسر في متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر وهو مشاهد محسوس لكل فكذلك الوصول الى الجنة على جسر مماثل له فعالم الآخرة مماثل لعالم الدنيا باعتبار والله أعلم.

العقاب على الصغيرة والعفو عن الكبيرة اذا لم تكن عن استحلال والإستحلال كفر الشفاعة ثابتة للرسل والأخيار في حق الكبائر وأهل الكبائر من المؤمنين لا يخلدون في النار والإيمان هو التصديق بما جاء به النبي ﷺ من عند الله تعالى والاقرار به[٦]فاما الأعمال فهي تتزايد في نفسها والإيمان لا يزيد ولا ينقص[٧]والإيمان والإسلام واحد وإذا وجد من العبد

---

[٦] قال السعد ذهب جمهور المحققين الى انه التصديق بالقلب وانما الإقرار شرط لإجراء الأحكام في الدنيا فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهومؤمن عند الله وان لم يكن في احكام الدنيامؤمنا (شرح العقائد).

[٧] قال بعض المحققين لا نسلم أن حقيقة التصديق لا تقبل الزيادة والنقصان بل تتفاوت قوة وضعفا للقطع بأن تصديق آحاد الأمة ليس كتصديق النبي عليه السلام ولهذا قال إبراهيم عليه السلام "ولكن ليطمئن قلبي" اهـ قاله السعد (شرح العقائد ١٢٩).

ويمكن أن يستدل للأول بما يستدل به المشاؤن لعدم التشكيك في الماهيات - وحاصله أن يقال إن الأشد والأزيدإما أن يشتملا على شيئ لم يكن في الأضعف والأنقص أولا على القائم يكن بينهما فرق وعلى الأول ذلك الشيئ الذي اشتمل عليه الأشد والأزيدإما داخل في حقيقة الأشد والأزيد أولا على الأول يكون الأشد والأزيدماهية مباينة للأضعف والأنقص فلا يكون إذن تشكيك فإن المقول بالتشكيكماهية واحدة فإن السواد والبياض لا يكون بينهما تشكيكمع حصول الإختلاف بينهما وعلى الثاني يكون التشكيك في الأمر الخارج لا فيماهية الأشد والأضعف فيلزم الخلف إذا المفروض التشكيك في الماهية ولزوم التشكيك في الأمر الخارج.

ثم إن الأعمال تتزايد في نفسها ولا يمكن لي يختلف فيه العقلاء كذلك يزيد التصديق أيضا بالأعمال. ثم عند جمهور المتكلمين والمحدثين والفقهاء الأعمال جزءمن الإيمان بمعنى أنها جزءمن الإيمان الكامل كاغصان الشجر فإنها جزءمن الشجر الكامل وقال أبو حنيفة وبعض المتكلمين إن الأعمال ليست ركنامن حقيقة الإيمان بحيث إن تاركها لا يكونمؤمنا فالخلاف بين أهل السنة لفظي فالمثبت يجعل جزء للإيمان الكامل والمنكر ينكر كونها جزء لأصل الإيمان خلافا للمعتزلة والخوارج فإنهم يجعلونها جزء لأصل الإيمان حتى ان تارك الأعمال لا يكونمؤمنا عندهم.

التصديق والإقرار صح له أن يقول أنا مؤمن حقـــا ولا ينبغـــي أن يقـــول انـــا

قال السعد: بقي ههنا بحث آخر وهو أن بعض القدرية ذهـــب إلى أن الإيمـــان هـــو المعرفـــة وأطبق علماؤنا على فساده لأن أهل الكتاب كانوا يعرفـــون نبـــوة محمـــد صلـــى الله عليـــه وسلم كما يعرفون أبناءهم‌مع القطع بكفرهم لعدم التصديـــق ولأن‌مـــن الكفـــارمـــن كـــان يعرف الحق يقينا وإنما كـــان ينكـــر عنـــادا واســـتكبارا قـــال الله تعـــالى "وجحـــدوا بهـــا واستيقنتها أنفسهم" فلا بدمن بيان الفرق بين‌معرفة الأحكـــام واســـتيقانها وبـــين التصديـــق بها واعتقادها ليصح كون الثاني‌إيمانـــا دون الأول. والمذكـــور في كـــلام بعـــض المشـــايخ أن التصديق عبارة عن ربط القلب على‌ما علم‌مـــن أخبـــار المخـــبر وهـــوأمـــر كســـبي يثبـــت باختيار المصدق ولذا يثاب عليه ويجعل رأس العبادات بخـــلاف المعرفـــة فإنهـــا ربمـــا تحصـــل بلا كســـب كمن وقع بصره على جسم فحصل لمعرفـــة أنـــه جـــدار أو حجـــر، وهـــذامـــا ذكره بعض المحققين‌من أن التصديق هو أن تنسب باختيـــارك الصـــدق إلى المخـــبر حـــتى لـــو وقع ذلك في القلب‌من غير اختيار لم يكـــن تصديقـــا وإن كـــان‌معرفـــة وهـــذامشكـــل لأن التصديق‌من أقسام العلم وهو‌من الكيفيات النفســـانية دون الأفعـــال الإختياريـــة لأنـــا إذا تصورنا النسبة بين الشيئين وشككنا في أنهـــا بالإثبـــات أو النفـــي ثم أقيـــم البرهـــان علـــى ثبوتها فالذي يحصل لنا هو الإذعان والقبول لتلك النســـبة وهـــوممعـــنى التصديـــق والحكـــم والإثبات والإيقاع. نعم تحصيـــل تلـــك الكيفيـــة يكـــون بالإختيـــار في‌مبـــاشرة الأســـباب وصرف النظر ورفع الموانع ونحو ذلك وبهذا الإعتبار يقع التكليـــــف بالإيمـــان وكـــان هـــذا هو المراد بكونه كسبيا اختياريا ولا تكفي المعرفة في حصـــول التصديـــق لأنهـــا قـــد تكـــون بدون ذلك نعم يلزم أن تكون المعرفـــة اليقينيـــة المكتســـبة بالإختيـــار تصديقـــا ولا بـــأس بذلك لأنه حينئذ يحصل المعنى الـــذي يعـــبر عنـــه بالفارســـية بِگَرْوِيـــدَنْ وليـــس الإيمـــان والتصديق سوى ذلـــك وحصولـــه للكفـــار المعـــاندين المســـتكبرين محـــال وعلـــى تقديـــر الحصول فتكفيرهم يكون بانكارهم باللسان وإصرارهم على العنـــاد والاســـتكبار‌ومـــا هـــو من علامات التكذيب والإنكار اهـ (شـــرح العقـــائد ١٢٩).

مؤمن إنشاء الله والسعيد[٨]قد يشقى والشقي قد يسعد وفي ارسال الرسل حكمة وقد أرسل الله رسلا من البشر إلى البشر مبشرين ومنذرين ومبينين للناس ما يحتاجون اليه من أمور الدنيا والدين وأيدهم بالمعجزات الناقضات للعادات وأول الأنبياء آدم عليه السلام[٩]وآخرهم محمد ﷺ وقد روي بيان عددهم في بعض الأحاديث والأولى أن لا يقتصر على عدد في التسمية فقد قال الله تعالى "مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ولا يؤمن في ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم أو يخرج من هو فيهم وكلهم كانوا مخبرين مبلغين عن الله تعالى وأفضل الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم والملئكة عباد الله تعالى عاملون بأمره ولا يوصفون بذكورة

---

٨ رد لما يقال ان السعادة والشقاوة بالخاتمة حتى ان السعيدمن مات على الإيمان فالسعيد لا يشقى. فالإيمان في الحال ايمان والكفر في الحال كفر لكن العبرة بالخاتمة فالخلاف لفظي.

٩ قال السعدأما نبوة آدم فبالكتاب الدال على انه قدأمر ونهي مع القطع بانه لم يكن في زمنه نبي آخر فهو بالوحي لا غير وكذا بالسنة والا جماع فانكار نبوته على ما نقل عن البعض تكون كفرا اهـ.

لما الكتاب أسكن أنت وزوجك الجنة. ولا تقربا هذه الشجرة. وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا. اي بالرسالة. بيضاوي عن ابن عباس يعني اختارمن الناس لرسالته (در المنثور) عنأبي ذر قال قلت يا رسول الله اي الانبياء كان اول قال آدم قلت يا رسول الله ونبي كان قال نعم نبيمكلم قلت يا رسول الله كم المرسلون قال ثلثماة وتسعة عشر جما غفيرا (رواه أحمد فيمسنده). ١٧٨/٥ اخرج ابن حبان ايضا وفيه للثماة وثلثة عشر وفيه قلت رسول اللهمن كان اولهم قال آدم (ابن كثير قصص) واخرج ابن حبان ايضا ان رجلا قال يا رسول الله ان نبيا كان آدم قال نعممكلم. قال ابن حبان هذا على شرطمسلم ولم يخرجه-ابن حبان ٢٤/٨. وفي الطبراني ان افضل النبيين آدم. قصص الأنبياء لابن كثير ٧٤.

ولا أنولة والمعراج لرسول الله في اليقظة بشخصه[10] إلى السماء ثم إلى ما شاء الله من العلي حق وكرامات الأولياء حق فتظهر الكرامة على نقض العادة للولي من قطع المسافة البعيدة وظهور الطعام والشراب واللباس والمشي على الماء والطيران في الهواء وكلام الجماد والعجماء وانتفاع المتوجه من البلاء وكفاية المهم عن الأعداء وغير ذلك من الأشياء ويكون ذلك معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته لأنه يظهر بها أنه ولي ولن يكون وليا الاوان يكون محقا في ديانته وديانته الإقرار برسالة رسوله.

وأفضل البشر بعد نبينا محمد ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ ثم عمر الفاروق ﷺ ثم عثمان ذو النورين ﷺ ثم علي المرتضى ﷺ وخلافتهم على هذا الترتيب والخلافة ثلاثون سنة ثم بعدها ملك وامارة والمسلمون لا بد لهم من امام[11] يقوم بتنفيذ أحكامهم واقامة حدودهم وسد ثغورهم وتجهيز جيوشهم وأخذ صدقاتهم وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق واقامة الجمع والاعياد وقطع المنازعات الواقعة بين العباد وقبول الشهادات القائمة على الحقوق وتزويج الصغار والصغائر الذين لا أولياء لهم وقسمة الغنائم ثم ينبغي ان يكون الامام ظاهرا لا مختفيا ولا منتظرا ولا يشترط ان يكون معصوما ولا ان يكون افضل أهل زمانه ويشترط أن يكون من أهل

---

[10] ولا يخفى ان المعراج في المنام او بالروح ليس مما ينكر كل الانكار والكفرة انكروا أمر المعراج غاية الانكار فلا بد ان يكون دعوى المؤمنين ان المعراج والاسراء بالجسد كما يدل عليه قوله تعالى اسرى بعبده ليلا.

[11] يستدل له ان نصب الامام مما يتوقف عليه كثيرمن الواجبات الشرعية وما يتوقف عليه الواجب الشرعي واجب وظاهر أن هذا الوجوب اذاأمكن النصب والا فقد يكون حراما حينما يكون للمسلمين فللقمع كثرة غيرهم ففي نصب الإمام خوف ضرر يفضى الى هلاك الجميع قال العصام انما تلزم المعصية لو تركوا نصب الإمام عن قدرة واختيار اهـ. ويدل عليها اقامة النبي ﷺ والصحابة ﷺ بمكة قبل الهجرة.

الولاية المطلقة الكاملة سائسا قادرا على تنفيذ الأحكام وحفظ حدود دار الإسلام وانصاف المظلوم من الظالم ولا ينعزل الامام بالفسق والجور ويجوز الصلاة خلف بروفاجر[١٢] ويصلي على كل بروفاجر ويكف عن ذكر الصحابة إلا بخير ونشهد بالجنة للعشرة المبشرة الذين بشرهم النبي عليه الصلاة والسلام ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر ولا يبلغ الولي درجة الأنبياء ولا يصل العبد الى حيث يسقط منه الأمر والنهي والنصوص على ظواهرها فالعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد ورد النصوص كفر واستحلال المعصية كفر والاستهانة بها كفر والاستهزاء على الشريعة كفر.

واليأس من الله تعالى كفر والأمن من الله تعالى كفر وتصديق الكاهن بما يخبره عن الغيب كفر في دعاء الأحياء للأموات وتصدقهم عنهم نفع لهم والله يجيب الدعوات ويقضي الحاجات وما أخبر به النبي ﷺ من أشراط الساعة من خروج الدجال[١٣] ودابة الأرض[١٤] ويأجوج

---

[١٢] قال السعد لا كلام في كراهة الصلاة خلف الفاسق والمبتدع وهذا اذا لم يؤد الفسق او البدعة الى حد الكفر وأما اذا أدى فلا كلام في عدم جواز الصلاة. وقد تقدم عن البجاوى انه يحرم على اهل الصلاح والخير الصلاة خلف الفاسق والمبتدع لانه يحمل الناس على تحسين الظن بهم كما في الشرقاوي.

[١٣] فعال من الدجل وهو التغطية وسمى الكذاب دجالا لانه يغطي الحق بباطله عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا كلهم يزعم انه رسول الله. رواه ابو داود وفي رواية آخرهم الاعور الدجال وفي رواية كلهم يكذب على الله ورسوله.

[١٤] يمكن ان تكون رجلا اوامرأة من الدجالين ويسمى الانسان دابة كما في قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها.

وماجوج[١٥] وطلوع الشمس من مغربها فهو حق ورسل البشر أفضل من

---

[١٥] قال الحافظ يأجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وذكر ابن هشام في التيجان ان أمة منهم آمنوا بالله فتركهم ذو القرنين لما بني السد بأرمينية فسمو الترك لذلك. وقد أشار النووي ان حكاية من زعم ان آدم نام فاحتلم اختلط منيه بتراب فتولد منه ولد يأجوج ومأجوج من نسله وهو قول منكر جداً لا أصل له (فتح ١٦٤/٨).
ثم ان البلاد الواقعة في الشمال الشرقي كمنغوليا وتركستان كان مهداً لشعوب قد يمة لا تحصى وتضافرت الشواهد التاريخية على انهم قبائل همجية بدوية، تدفقت موجات سيولها متعاقبة قبل العصر التاريخي الى القرن التاسع الميلادي. وقد عرف تاريخيا من موجة لهم نحو آسيا الوسطى موجة نحو آسيا الغربية وأخرى نحوها نازلين من جبال "قوقاز" التي أوقفها بالسد "قورشي" سنة – ٦٠٠ ق.م. - وموجة نحو الصين إقتضت من إمبراطورية الصين "شين هوانغ تي" أن يبني جدار الصين العظيم وموجة نحو أوربا بقيادة "داتيلا" أخضعها الإمبراطورية الرومانية وموجة نحو الشرق العربي بقيادة "جنكزخان" كان من آثارها تدمير اكثر بلادا لإسلام، ومنها بغداد.

قال القرطبي في التذكرة: فخرج منهم أمم لا يحصيهم الا الله ولا يرد هم عن المسلمين الا الله حتى كانهم يأجوج وماجوج، فخرج منهم في جمادى الاولى سنة سبع عشرة وستمأة جيش من الترك يقال له الططر عظم في قتله الخطب الخطر. وقضى له في قتل النفوس المؤمنة الوطر فقتلوا ما وراء النهر وما دونه من جميع بلاد خراسان ومحوا رسوم ملك بني سلمان وخربوا مدينة نشاور واطلقوا فيها النيران وحاد عنهم من اهل خوا رزم كل انسان ولم يبق منهم الامن اختبا في المغارات والكهفان حتى وصلوا اليها وقتلوا وسبوا وخربوا البنيان واطلقوا الماء على المدينة من نهر جيحان فغرق منها مبان الدار والاركان، ثم وصلوا الى بلاد آذر بيجان وغير ذلك واستأصلوا ساقة من هذه البلاد من العلماء والاعيان واستباحوا قتل النساء وذبح الولدان ثم وصلوا الى العراق واعظم مدنه مدينة اصبهان ودور سورها اربعون الف ذراع في غاية الارتفاع والاتقان واهلها مشتغلون بعلم الحديث فحفظهم الله بهذا الشان وانزل عليهم مواد التأييد والاحسان فتلقوهم بصدور هي في الحقيقة صدور الشجعان وحققوا الخبر بانها بلد الفرسان واجتمع فيها مأة الف انسان وابرز الططر القتل في مضاجعهم

وساقهم القدر المحتوم الى مصارعهم فمرقوا عن اصبهان مروق السهم من الرمي ففروا منهم فرارا الشيطان في يوم بدر وله حصاص ورأوا انهم ان وقفوا لم يكن لهم من الهلاك خلاص وواصلوا السير بالسير الى ان صعد واجبل اربد فقتلوا جميع من فيه من صلحاء المسلمين وخربواما فيه من الجنات والبساتين وكانت استطالتهم على ثلثي بلاد المشرق الاعلى وقتلوا من الخلائق ما لا يحصى وقتلوا في العراق عدة يبعد ان يحصى وربطوا خيولهم الى سوارى المساجد والجوامع كما جاء في الحديث المنذر بخروجهم الى ان قال: وقطعوا السبيل واخافوها وجاسوا خلال الديار وطافوها وملأوا قلوب المسلمين رعبا وسحبوا ذيل الغلبة على تلك البلاد سحبا ولا شك انهم هم المنذر بهم في الحديث وان لهم ثلاث خرجات يصطلمون في الاخيرة منها. قال القرطبي فقد كملت بحمد الله خرجاتهم ولم يبق قتلهم وقتالهم فخرجوا عن العراق الثاني والاول كما ذكرنا وخرجوا من هذا الوقت على العراق الثالث بغداد وما اتصل بها من البلاد وقتلوا جميع من فيها من الملوك والعلماء والفضلاء والعباد واستباحوا جميع من فيها من المسلمين وعبروا الفلاة الى حلب وقتلوا جميع من فيها وخربوا الى ان تركوها خالية ثم او غلوا الى ان ملكوا جميع الشام في مدة يسيرة من الايام ودخل رعبهم الديار المصرية فخرج إليهم من مصر الملك المظفر الملقب بظفر ☙ بجميع من معه من العساكر وقد بلغت القلوب الحناجر الى ان التقى بهم بعين جالوت فكان له عليهم من النصر والظفر كما كان لطالوت فقتل منهم جمع كثير وعدد غزير وارتحلوا عن الشام من ساعتهم ورجع جيعه كما كان للإسلام وعدوا الفرات منهزمين وراحوا خائبين وخاسئين مدحورين اذلاء صاغرين انتهى كلام القرطبي باختصار وقال الامام ابن الأثير في الكامل حادثة التتار من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى التي عقمت الدهور عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل ان العالم منذ خلقه الله تعالى الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها اهـــــ.

قال النووي في فتاويه ١٨٠ : لم يثبت في قدر أعمار يأجوج ومأجوج شيئ وذكر المفسرون وأهل التاريخ. في ذلك اشياء لا تثبت انتهى. وكذلك ما شاع في اوصافهم في القصر والطول وفي صفات آذانهم لم يثبت وقد ثبت كثرتهم وشدة فسادهم.

رسل الملئكة ورسل الملئكة افضل من عامة البشر وعامة البشر افضل من عامة الملئكة.

عن بريدة قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان امتي يسوقها قوم عراض الوجه صغار العين كأن وجوههم الحجف ثلاث مرار حتى يلحقونهم بجزيرة العرب أما السابقة الاولى فينجو من هرب منهم واما الثانية فيهلك بعض وينجو بعض وأما الثالثة فيصطلون كلهم من بقي منهم قالوا يا نبي الله من هم قال هم الترك قال أما والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم الى سواري مساجد المسلمين. قال وكان بريدة لا يفارقه بعيران او ثلاثة ومتاع السفر والاسقية بعد ذلك للحرب لما سمع من النبي ﷺ من البلاء من أمراء الترك رواه احمد في مسنده. قال القرطبي اسناده صحيح.

عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قوما وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون الشعر.

عن ابن حوملة انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو عاصب رأسه من لدغة عقرب وقال انكم تقولون لا عدو وانكم لن تزالوا تقاتلون حتى يأتي ياجوج وماجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف ومن كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة (رواه احمد) انتهى.

وكلمة الاتراك تطلق على من وراء جبال تركستان فلعله لا يراد بالاتراك ما هو المشهور فقط.

عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ

قال تاج الدين السبكي رح : الأنبياء عليهم الصلوة والسلام معصومون لا يصدر منهم ذنب ولو صغيرة سهوا (جمع الجوامع ٩٥/٢).

قال محمد بن عمرو السنوسي رح: وانما يقع منهم فعل ما أمرهم الله تعالى به وترك ما نهاهم عنه، أمرنا الله تعالى باتباعهم وما ذلك إلا من عصمتهم من المحرمات والمكروهات، ولا يقع منهم إلا ما هو واجب أو سنة أو مباح اهـ (شرح السنوسي).

قال ابن حجر الهيتمي المكي رح : في شرح المنهاج، والرسول من البشر ذكر حر أكمل معاصريه غير الأنبياء عقلا وفطنة وقوة رأى وخلقا معصوم ولو من صغيرة سهوا قبل النبوة (تحفة ٢٥/١).

ويدل على العصمة آيات كثيرة :

١) قال تعالى : أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ (أنعام ٩٠)

٢) قال تعالى :وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ ذَٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۞ (سورة الأنعام ٨٤-٨٨).

٣) قال تعالى: فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ (يونس ١٤).

٤) قال تعالى: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ (سورة النجم)

٥) قال تعالى: إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ (سورة آل عمران ٣٣).

٦) قال تعالى: اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۞

٧) قال تعالى: وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۞

٨) قال تعالى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ۞

٩) قال تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۞

١٠) قال تعالى: وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار۞ وانهم عندنا لمن لمن المصطفين الأخيار۞.

١١) قال تعالى: وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۞

١٢) قال تعالى: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۞

قال الإمام الرازي رح: الآية تدل على عصمة الأنبياء من وجهين: الأول: أنه قد ثبت ان المراد من هذا العهد الإمامة، ولا شك ان كل نبي إمام، فإن الإمام هو الذي يؤتم به، والنبي أولى الناس، واذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقا تدل على أن الرسول لا يجوز أن يكون فاسقا فاعلا للذنب، والمعصية أولى، الثانيقال " لا ينال عهدي الظالمين". فهذا العهد إن كان هو النبوة وجب أن تكون لا ينالها أحد من الظالمين وان كان هو الإمامة فكذلك لأن كل نبي لا بد وأن يكون إماما يؤتم به وكل فاسق ظالم لنفسه، فوجب أن لا تحصل النبوة لأحد من الفاسقين والله أعلم (التفسير الكبير ٤٣/٤).

ويدل على العصمة الأحاديث الكثيرة: منها: قوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه انه معصوم بقولهإِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ (صحيح البخاري ٣٨٠/١).

ومنها: قول أبي بكر الصديق ﷺ إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَلَيْسَ يَعْصِيهِ (بخاري ٣٨٠/١).

ومنها: ما روى: أَنَّ خُزَيْمَةَ بْـنَ ثَـابِتٍ شَـهِدَ لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ عَلـى وَفْقِ دَعْوَاهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلعم كَيْفَ شَـهِدتَّ لِي ؟ فَقَـالَ يَـا رَسُـولَ اللهِ إِنِّي أُصَدِّقُكَ عَلَى الْوَحْيِ النَّازِلِ عَلَيْكَ مِـنْ فَـوْقِ سَـبْعِ سَمٰوَاتٍ أَفَـلَا أُصَدِّقُكَ فِي هٰذَا الْقَدْرِ ؟ فَصَدَّقَهُ رَسُولُ اللهِ صلـى الله عليـه وسـلم وَسَمَّـاهُ بِذِي الشَّهَادَتَيْنِ، وَلَوْ كَانَ الْكَذِبُ جَائِزًا عَلَى النَّـبِيِّ ﷺ لَمَـا جَـازَتْ تِلْـكَ الشَّهَادَةُ.

ومنها: ما روى عن عبد الله بن مسعود ﷺ قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّـى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِـنَ الْجِـنِّ وَقَرِينُـهُ مِـنَ الْمَلٰئِكَةِ قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ وَإِيَّايَ وَلٰكِـنَّ اللهَ تَعَـالىٰ أَعَـانَنِي عَلَيْـهِ فَأَسْلَمُ زاد غيره عن منصور فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ، وعـن عائشـة بمعنـاه، روى فأسلم بضم الميم أي فأسلم أنـا عنـه، وصحـح بعضـهم هـذه الروايـة ورجحها، وروى فأسلمَ يعنى القرينُ انتقل مـن حـال كفـره إلى الإسـلام، فصار لا يأمر الا بخير كالملك وهو ظـاهر الحديـث.

ومنها: ما روى البخاري: لَمَّا بُنِيَتِ الْكَعْبَةُ ذَهَـبَ النَّـبِيُّ ﷺ وَعَبَّـاسٌ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ اِجْعَلْ إِزَارَكَ عَلىٰ رَقَبَتِـكَ يَقِيـكَ مِـنَ الْحِجَارَةِ فَخَـرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَطَمَحَـتْ عَيْنَـاهُ إِلَى السَّـمَاءِ ثُمَّ أَفَـاقَ فَقَـالَ إِزَارِي إِزَارِي فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ (بخـاري ٥٤٠/١). ومنـها قـول خديجـة كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِـلُ الرَّحِـمَ وَتَحْمِـلُ الْكَـلَّ وَتَكْسِـبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِـينُ عَلـى نَوَائِـبِ الْحَـقِّ (صحيـح البخـاري ٣/١).

ومنها: احاديث شق صدره صلـى الله عليـه وسـلم: وقـد وجـد مرارا كان أول ما شق صدره في السنة الثالثة مـن عمـره، وشـق صـدره أيضا ليلة الإسراء رواه البخـاري.

قال الحافظ ابن حجر رح: ولكـل مـن الشـك حكمـة، فـالأولى

كانت في زمن الطفولية لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ثم عند البعث زيادة في أكرامه ليتلقى ما يلقى إليه بقلب قوى في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجات اهـ.

ويدل على العصمة الأدلة العقلية: الأول: اذا قلنا انه يقع من الأنبياء خطأ واحد فيحتمل أن يقع الخطأ في سائر أفعالهم وأقوالهم وتقريراتهم فلا يحصل الوثوق بهم:

والثاني ان الأنبياء اذا كانوا مخطئين فيؤدي إلى أن الله تعالى أذن لعباده في الخطأ والعصيان لأنه تعالى أمرنا باتباعهم فقال "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا" وهذا محال في حقه تعالى ألبتة: وقد زكي الله الأنبياء في كلامه القديم فقال "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ"

والثالث: ان العاقل يكره بطبعه المعصية والحرمة فكيف يكون هذا من خلص عباده الذين هم أعقل العقلاء وأفضل الفضلاء.

والرابع: ان الرسل كلفوا بالتبليغ فإذا كانوا مخطئين فكيف يوثق بما يبلغون عن الله تعالى.

والخامس: ان الأنبياء خلص عباد الله وأصفيائه فإذا وقع منهم ذنب فهو يخالف لهذه المرتبة العلية لأن الذنب من أفعال الأخبثين في جميع الأديان، وليس في العالم دين يحب الذنب ويمدحه بل كل دين يكرهه.

والسادس: ان العاقل يكره إتباع العصاة لأنهم منكرون منفرون عند الناس في كل دين وحين، فعلم من هذا أن الأنبياء يكونون مطهرين محفوظين معصومين عن الكبائر والصغائر قبل النبوة أيضا، لأنه معلوم اذا عاش واحد في الغيّ والضلال زمانا طويلا ثم عين في منصب

جميل فلا يقبله الناس بل يكرهونه قطعـــا.

والسابع: ان النبوة لا تحصل الا لمن له معرفـــة بـــالله تعـــالى والمعرفـــة التامة لا تحصل للمذنب والخاطئ فان العلـ ـم نـــور الله ونـــور الله لا يعطـــى لعاص.

أَلْجَوَابُ عَمَّا يُوهِمُ فِي النَّبِيِّ ﷺ

وأما قوله تعالى: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ" فمعناه وجـــدك ضـــالا عـــن النبوة وأحكام الشريعة فهداك إليها: كمـــا قـــال الـــرازي وغـــيره: وقولـــه تعالى "وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ" فالوزر بمعنى الثقل المـــراد منـــه تخفيـــف أعبـــاء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بحقها وحفـــظ موجباتهـــا والمحافظـــة علـــى حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط عنـــه ثقلـــها بـــأن ييســـرها عليـــه حتى تيسرت له، ومنها ما كان يلحقه من أذى والشتم حـــتى كـــاد ينقـــض ظهره وتأخذه الرعدة ثم قواه الله تعالى حيث صـــار بحيـــث كـــانوا يذمـــون وجهه وهو يقول اَللّٰهُمَّ اهْـــدِ قَوْمِـــي (زاري ٤/٨٢).

وأما قوله تعالى: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَـــهُ أَسْـــرَىٰ حَـــتَّىٰ يُثْخِـــنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّٰهُ يُرِيـــدُ الْآخِـــرَةَ وَاللّٰهُ عَزِيـــزٌ حَكِيـــمٌ ۞ لَوْلَا كِتَـــابٌ مِـــنَ اللّٰهِ سَبَقَ لَمَسَّـــكُمْ فِيمَـــا أَخَـــذْتُمْ عَـــذَابٌ عَظِيـــمٌ ۞ (الأنفال ٦٧).

فقال الإمام الرازي رح: ان قولـــه تعـــالى "مَـــا كَـــانَ لِنَـــبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ" يـــدل علـــى أنـــه كـــان الأســـر مشروعا ولكن بشرط سبق الإثخان في الأرض، والمـــراد بالاثخـــان هـــو القتل والتخويف الشديد، ولا شك ان الصحابة قتلوا يـــوم بـــدر خلقـــا عظيما، وليس من شرط الاثخان في الأرض قتـــل جميـــع النـــاس، ثم انهـــم بعد القتل الكثير أسروا جماعة، والآية تدل على ان بعـــد الإثخـــان يجـــوز الأسر فصارت هذه الآية دالة دلالة بينـــة علـــى أن ذلـــك الأســـر كـــان

جائزا بحكم هذه الآية، فكيف يمكن التمسك بهذه الآية في أن ذلك الأسر كان ذنبا ومعصية ؟ ويتأكد هذا الكلام بقوله تعالى "حَتَّىٰٓ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً.

فان قالوا: فعلي ما شرحتموه دلت الآية على أن ذلك الأسر كان جائزا، والإتيان بالجائز المشروع لا يليق ترتيب العقاب عليه فلم ذكر الله بعده ما يدل على العقاب ؟ فنقول: الوجه فيه ان الاثخان في الأرض ليس مضبوطا بضابط معلوم معين، بل المقصود منه إكثار القتل بحيث يوجب وقوع الرعب في قلوب الكافرين، وان لا يجترؤا على محاربة المؤمنين، وبلوغ القتل إلى هذا الحد المعين لا شك ان يكون مفوضا إلى الإجتهاد، فلعله غلب على ظن الرسول عليه الصلاة والسلام ان ذلك القدر من القتل الذي تقدم كفي في حصول هذا المقصود، مع انه ما كان الأمر كذلك فكان هذا خطأ واقعا في الإجتهاد في صورة ليس فيها نص، والذي لم يثبت فيه نص لا يكون ذنبا، كما أثبتنا قبل مفصلا.

والجواب عن الوجه الذي ذكروه ثانيا ان نقول: ان ظاهر قوله تعالى "فَاضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ" ان هذا الخطاب انما كان مع الصحابة لاجماع المسلمين على أنه عليه الصلوة والسلام ما كان مأمورا ان يباشر قتل الكفار بنفسه واذا كان هذا الخطاب مختصا بالصحباة فهم لما تركوا القتل وأقدموا على الأسر كان الذنب صادرا منهم لا من الرسول صلى الله عليه وسلم.

ونقل ان الصحابة لما هزموا الكفار وقتلوا منهم جمعا عظيما والكفار فروا ذهب الصحابة خلفهم وتباعدوا عن الرسول وأسروا أولئك الأقوام، ولم يعلم الرسول بإقدامهم على الأسر إلا بعد رجوع الصحابة إلى حضرته وهو عليه السلام ما أسر وما أمر بالأسر فزال هذا

السؤال.

فان قالوا: هب ان الأمر كذلـــك لكنـــهم لمـا حملـوا الأســاري إلى حضرته فلم لم يأمر بقتلهم إمتثالا لقوله تعالى "فَـاضْرِبُوا فَـوْقَ ٱلْأَعْنَـٰاقِ".

قلنا: ان قوله: فَاضْرِبُوا: تكليف مختص بحالة الحـــرب عنـــد اشتغـال الكفار بالحرب، فأما بعد انقضاء الحرب فهذا التكليـــف مــا كــان متنــاولا له والدليل القاطع عليه انه عليه الصـــلاة والســلام اســتشار الصحابــة في انه بما ذا يعاملهم ؟ ولو كان ذلك النص متناولا لتلك الحالـــة لكــان مــع قيام النص القاطع تاركا لحكمـــه وطالبـا لذلـــك الحكـم مــن مشـاورة الصحابة وذلك محــال.

وأيضا: فقوله: فَاضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَـٰاقِ: أمــر، والأمـر لا يفيـد الا المرة الواحدة، وثبت بالإجماع ان هذا المعنى كـــان واجبـا حــال المحاربـة، فوجب أن يبقى عديم الدلالة على ما وراء وقـت المحاربـة، وهـذا الجـواب شاف.

والجواب عما ذكروه ثالثا: وهو قولهم انه عليـــه الصــلاة والســلام حكم بأخذ الفداء، وأخذ الفداء محرم: فنقـــول، لا نســلم أن أخــذ الفــداء محرم.

وأما قوله: تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ ٱلْآخِـرَةَ: فنقــول هــذا لا يدل على قولكم، وبيانه من وجهين. الأول: ان المـــراد مــن هــذه الآيــة حصول العتاب على الأسر لغرض أخذ الفـــداء، وذلـــك لا يــدل علـــى أن أخذ الفداء محرم مطلقـــا.

الثاني ان أبا بكر ﷺ قال، الأولى أن نأخذ الفـــداء لتقــوى العســـكر به على الجهاد، وذلك يدل على أنهم انما طلبوا ذلـــك الفــداء للتقــوى بــه على الدين، وهذه الآية تدل على ذم مـــن طلـــب الفـــداء. لمحـض عــرض الدنيا، ولا تعلق لأحد البابين بالثاني وهذان الجوابان بعينـــهما هـمـا الجوابــان

عن تمسكهم بقوله تعالى "لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ". والجواب عما ذكروه رابعا: ان بكاء الرسول عليه الصلاة والسلام يحتمل أن يكون لأجل ان بعض الصحابة كما خالف أمر الله في القتل واشتغل بالأسر استوجب العذاب فبكي الرسول عليه الصلاة والسلام خوفا من نزول العذاب عليهم.

والجواب عما ذكروه خامسا: ان ذلك العذاب انما نزل بسبب ان أولئك الأقوام خالفوا (أي بالاجتهاد البين خطؤه) أمر الله بالقتل وأقدموا على الأسر حال ما وجب عليهم الإشتغال بالقتل: فهذا تمام الكلام في هذه المسئلة (التفسير الكبير ١٥/٢٠٦-٢٠٧).

وأما قوله تعالى: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا ۝ (الأحزاب ٣٨).

فيمكن أن يعلم النبي ﷺ أن زينب لا ترضى إلا إياه، وان المصلحة في تزوجه إياها أو ان يعلم بالغيب الها تكون زوجته فيخفي في نفسه تلك المصلحة وقد أبداها الله، أو يخفى في نفسه لوم المنافقين والكفار، وفي الرازي: وتخشى الناس من أن يقولوا أخذ زوجة الغير والابن (٢٥/٢١٢). فخشي رسول الله أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه.

قال القرطبي: قال علمائنا، وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين، والعلماء الراسخين (١٤١/١٩١).

وأما قوله "أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ" فهو لكون الإصلاح بين

الزوجين وسع الطاقة أفضل لكن قد بلغ الشقاق بين زيد وزينب مراحل، وليس هنا سبيل لإثبات العلاقة الزوجية.

وأما ما قيل ان بصره صلى الله عليه وسلم وقع عليها فمعناه أنه صلى الله عليه وسلم رآها فجأة من غير قصد.مصداق قوله صلى الله عليه وسلم "النَّظْرَةُ الْأُولَىٰ لَكَ وَالثَّانِيَةُ عَلَيْكَ" فلم تكن هذه الرؤية الإرتجالية سبباً للشوق لأنها كانت معلومة له صلى الله عليه وسلم وكانت من أول المسلمات الصالحات، فلهذا زوجها النبي ﷺ لزيد مولاه، وهو السفير في نكاحها لزيد لكن لم ترض إلا النبي ﷺ ولهذا كان الشقاق بينها وبين زيد، وكانت مستحقة لأن يتزوجها النبي ﷺ ويصلح أمرها فرأى النبي ﷺ أن يتزوجها.

وأما كثرة أزواجه ﷺ فانه أراد بذلك كما تقدم أن يوجد بينه وبين أصحابه وكبار قومه صلة قوية بواسطة المصاهرة، لأن ذلك مما يساعده لنشر الدعوة إلى الإسلام.

وأما انه لم يكن شهوانيا فأمر لا ينكر، وظاهر من حيوته وأطواره لأنه صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وهو في عنفوان شبابه في سن الخامس والعشرين ولم يتزوج بغيرها إلى أن توفيت، وكان عمره اذ ذاك خمسين سنة، فإذا لم يكن إلى هذا العمر شهوانيا بل قانعا بزوجة واحدة فهل من العدل ان نقول انه كان شهوانيا بعد ذلك العمر.

لم يكن رسول الله ﷺ يعرف الفراغ، بل كان في جهاد مستمر فلم يذق للراحة طعما من مبدأ الرسالة إلى ان توفي فكان يقضي أوقاته في نشر الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن المسلمين وجمع شملهم وتعليم دينهم ومكافحة الأعداء باللسان والسيف، وكان مع ذلك يتعبد آناء الليل وأطراف النهار، ولم تشغله كثرة نسائه عن عبادة ربه وعن القيام بواجبات الرسالة.

وأما أنه كان يقصد من تعدد الزوجات إيجاد روابط المصاهرة لنشر الدعوة فان زوجته عائشة ﷺ هي بنت أبي بكر ﷺ، وزوجته حفصة بنت عمر ﷺ، وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، وقد كان من أكبر أعداء النبي ﷺ ومن أشراف قريش وعدا ذلك كانت أسلمت قديما وهاجرت إلى الحبشة وعدمت زوجها هناك، ومع ذلك استقرت في الإسلام، وزوجته ميمونة هي خالة خالد بن الوليد الذي هو من أعظم أبطال الجند، وكان ذلك التزويج من سبب إسلامه، ومن حكمة زواج زينب إبطال تحريم الزواج بامرأة المتبني، وزوجته صفية هي بنت ملك من ملوك اليهود فلا تصح إلا له ﷺ وقد تنافس المسلمون فيها.

ومع ذلك كله ما أبعد ما كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الملاذ أية كانت لقد كان زاهدا في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار، وقد قالت عائشة ﷺ ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم يومين متتابعين، وكانت أزواجه صلى الله عليه وسلم يُحِبْنَهُ كل المحبة فلا وجه للإعتراض من غيرهن.

أما قوله تعالى: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ. فقال القاضي عياض رح: وأما قوله عفا الله عنك الخ. فأمر لم يتقدم للنبي ﷺ فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية، بل لم يعده أهل العلم معاتبة، وغَلَّطُوا من ذهب إلى ذلك، قَالَ نِفْطَوَيْهِ: وقد حاشاه الله تعالى من ذلك، بل كان مخيرا في أمرين، قالوا وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي، فكيف وقد قال الله تعالى "فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ" فلما اذن لهم أعلمه الله بما لم يطلعه عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل.

وليس "عفا" ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبي ﷺ عَفَا اللهُ لَكُمْ

عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم ذلك، ونحوه للقشيري: قال: وانما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب، من لم يعرف كلام العرب، قال ومعنى عَفَا اللهُ عَنْكَ أي لم يلزمك ذنب، قال الداودي: روى الها كانت تكرمة: قال مكي: هو استفتاح كلام، مثل أصلحك الله وأعزك: وحكي السمرقندي ان معناه عافاك الله (كتاب الشفا ١٥٨/٢).

وقال النيسابوري رح: وقوله عَفَا اللهُ عَنْكَ: إنما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير، فيقدمون أمثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ما صنعت في أمري ؟ رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي اهـ (غرائب القرآن ٧٤/١٦).

وقوله تعالى: لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ (التوبة ١١٧).

قال في بحر المحيط : قال ابن عطية: التوبة من الله رجوعه لعبده من حالة إلى حالة أرفع منه، وقد يكون في الأكثر رجوعا عن حالة المعصية إلى حالة الطاعة، وقد يكون رجوعا من حالة الطاعة إلى أكمل منها وهذه توبته في هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه رجع به من حالة قبل تحصيل الغزوة وتحمل مشاقها إلى حالة بعد ذلك أكمل منها اهـ (البحر المحيط ١٠٨/٥).

وأما قوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۞ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۞: لما كان النبي ﷺ يخاطب ويتكلم لرؤساء القريش مثل عتبة وشيبة وأبي جهل وعباس وأمية بن خلف يبلغهم رسالات ربه ويدعوهم إلى الإسلام في هذا الوقت فإذا جاء عبد الله بن أم مكتوم الصحابي ﷺ قائلا علمني مما علمك الله، لكن لشغل رسول الله ﷺ في هذا الأمر المهم لم يستطع أن يهتم بأمره اهتماما تاما: لم يقل أحد ممن تَعلّمَ تواريخ الإسلام ان هذا

ذنب ومعصية، لأن عظماء القريش كانوا متحدين تحديا كبيرا للإسلام حينئذ، فاستعمل هذه الفرصة التي حصلت للنبي ﷺ لتعليم التوحيد وأحكام الا سلام ودعوتهم إليها، ففهم الرسول ﷺ ان هذه النوبة لا تضيع لعبد الله بن أم مكتوم هو موحد صحابي تعلم عن الإسلام ما ينبغي التعلم في هذا الوقت.

ودعوة الكفار إلى الإسلام خير من تعليم الموحد، ولهذا مضى صلى الله عليه وسلم في تخاطبهم من غير التفات إلى ابن أم مكتوم، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم حرص شديد على إسلامهم. قال تعالى "حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ" قد رآي في إسلامهم سهولة التبليغ وظهور الإسلام.

ويفهم هذا من كلام الإمام الرازي، ويقول: ان الأهم مقدم على المهم، وهو كان قد أسلم وتعلم ما كان يحتاج إليه من أمر الدين، أما أولئك الكفار فما كانوا قد أسلموا، وكان إسلامهم سببا لإسلام جمع عظيم، فالقاء ابن أم مكتوم ذلك الكلام في البين كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل، وذلك محرم (التفسير الكبير ٣١/٥٤).

وحاصل ما قال الإمام الرازي أن إعراضه صلى الله عليه وسلم لم يستحق اللوم والعقاب والعتاب، بل الله تعالى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر، أجاب الإمام الرازي لسؤال ما حمل النبي ﷺ على عبوسه وإعراضه بأن النبي ﷺ أرسل لاتمام مكارم الأخلاق والآداب وأنه صلى الله عليه وسلم أعرض عنه ممتثلا لأمر الله تعالى.

فهذه الواقعة لا تلوث معاتبة للنبي ﷺ، لم يعرض عنه رغبة في الدنيا، بل لأجل أشد الرجاء في إسلام صناديد القريش، وامتثالا لما أمر به صلى الله عليه وسلم من التبليغ ودعوتهم إلى الحق، قال تعالى "لَعَلَّكَ

بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَـٰارِهِمْ.

قال البيضاوي رح:"وَمَـا عَلَيْـكَ أَلَّا يَزَّكَّـى" وفيـه إيمـاء إلى أن إعراضه كان لتزكية غيره (تفسـير البيضـاوي ١٧٣/٥).

وكان للنبي ﷺ تيقن بأن عظمـاء القريـش إذا دخلـوا في الإسـلام توجد خيرات كثيرة دينية، وكذا لم تحصل للنـبي صلـى الله عليـه وسـلم فرصة لائقة لتخاطبهم مثل هـذه الفرصـة فاجتـهد فيـها أن يدعوهـم إلى الإسلام: وعبد الله بن أم مكتوم يتمكن له التعلم والتزكيـة مـن النـبي ﷺ في سائر الأوقات فقدم النبي ﷺ هذا الأمـر المـهم.

ومع ذلك مجيئ من لم يرضه المخاطبون عنـد التكلـم معـهم بحيـث يقطع الكلام ليس بلائق، هذا هو الذي وقع هناك، لكـن لم يعلـم عبـد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم يخـاطب مـع صنـاديد القريش لكونه أعمى فليـس بمخطـئ في فعلـه، ولأن لا يكـون الخلـل في التكلم لم يلتفت إليه رسول الله صلـى الله عليـه وسـلم فليـس بمخطـئ أيضا، بل فعله صلى الله عليه وسلم لائق بذلك المكان، ومـع ذلـك ليـس مثل هذا خطأ في العادة والعرف أيضـا.

وقال القاضي عياض: وأما قوله "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ" الآيـات: فليـس فيـه إثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم بل إعـلام الله ان ذلـك المتصـدي لـه ممن لا يتزكي، وأن الصواب والأولى كان لو كشـف لـك حـال الرجلـين الإقبال على الأعمى، وفعل النبي ﷺ لما فعل وتصديه لذلـك الكـافر كـان طاعة لله وتبليغا عنه، واستئلافا له كما شرعه ﷻ له، لا معصيـة ومخالفـة لـه، وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحـال الرجلـين وتوهـين أمـر الكـافر عنده، والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله "وَمَـا عَلَيْـكَ أَلَّا يَزَّكَّـى" وقيـل: أراد "بعَبَسَ وَتَوَلَّىٰ" الكافر الذي كان مع النبي ﷺ، قاله أبـو تمـام (كتـاب الشفا ١٦١/٢).

وأما قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ (سورة التحريم ١). فالمراد التحريم اللغوي بمعنى المنع فالمعنى لم تمنع أيها النبي ما أحل الله لك، فليس في هذه الآية ما يعيبه صلى الله عليه وسلم، ولا مالا يليق بمنصبه العظيم، بل هذه الآية دالة على قدره وشرفه وعظمته ومنصبه صلى الله عليه وسلم كما فسرها المفسرون.

قال في بحر المحيط: يا أيها النبي نداء إقبال وتشريف، وتنبيه بالصفة على عصمته مما يقع فيه من ليس بمعصوم،"لِمَ تُحَرِّمُ"سؤال تلطف ولذلك قدم قبله "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ" كما جاء في قوله تعالى "عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ" ومعنى تُحَرِّمُ تمنع وليس التحريم المشروع بوحي من الله ، وانما هو امتناع لتطييب خاطر بعض من يحسن معه العشرة (البحر المحيط ٢٨٩/٨). وأما ما في حديث البخاري من أن النبي صلى الله عليه وسلم غدا عند فترة الوحي إلى شاهق الجبل لكي يلقي منه نفسه كما في كتاب التعبير فليس في هذا الحديث انه يريد قتل نفسه بل يحتمل أن يكون الصعود إلى شاهق الجبل والنزول منه للاسترواح حتى يحصل له الخلوة والفكر على أنه لا يلزم من الإلقاء الإهلاك عند غلبة القوة الروحانية وأيضا هذا قبل نزول النهي عنه فلا إشكال كما في القسطلاني.

وأما قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۞ (سورة الحج ٥٢-٥٤).

قال قطب الواصلين السيد عبد العزيز الدباغ في تفسير هذه

الآية: كما تقدم هوأن الله تعالى ما أرسل من رسـول ولا بعـث نبيـا مـن الأنبياء إلى أمة من أمم إلا وذلك الرسول يتمنى الإيمـان لأمتـه ويحبـه لهـم ويرغب فيه ويحرص عليه غاية الحرص ويعالجهم عليـه أشـد المعالجـة،ومـن جملتهم في ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فمعنى "تَمَـنّٰي" انـه يتمـنى الإيمان لأمته ويحب لهم الخير والرشـد والصـلاح والنجـاح، فـهذه أمنيـة كل رسول ونبي وإلقاء الشيطان فيـها يكـون بمـا يلقيـه في قلـوب أمـة الدعوة من الوساوس الموجبة لكفر بعضـهم، ويرحـم الله المؤمنـين فينسـخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيـات الدالـة علـى الوحدانيـة والرسـالة (الإبريز ١٤٤). فإلقاء الشيطان واضلالـه علـى خـلاف أمنيـة الأنبيـاء وآمالهم وأديانهم وشرائعهم وافتراء الكذب عليـهم بمـا لم يتكلمـوا وبمـا لم يجر على لسانهم عادة جارية من أعـداء الديـن.

وما وقع في بعض التفاسير من قصـة الغرانيـق ليـس بصحيـح وان سلم فالمراد بما قال المفسـرون ان الشيـاطين مـن كفـار قريـش افـتروا الكذب على النبي صلى الله عليه وسـلم أنـه قـال عنـد قـراءة سـورة "والنجم" تِلْكَ ٱلْغَرَانِيقُ ٱلْعُلٰي وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَـتُرْتَجٰي، وهـذا معـنى إلقـاء الشيطان على لسان النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ لمـا قـرأ سـورة "والنجـم" في المحضـر الـذي اجتمـع فيـه المسـلمون والمشركـون سـجد النـبي ﷺ والمسلمون فسجد معه الكفـار والمشركـون لكونهـم مسـتغرقين في معـنى قراءة النبي ﷺ، وفشي بين المشركين أن من اجتمع مـع النـبي ﷺ في ذلـك المحضر قد أسلموا ودخلوا في دين محمد صلى الله عليـه وسـلم ولمـا سمـع رؤسائهم ذلك اعـترضوا علـى المشركـين السـاجدين، فاحتـالوا لدفـع الإعتراض وقالوا افتراء على النبي ﷺ أنه قال تلـك الغرانيـق العلـي وانـه مدح أصنامنا وآلهتنا فلهذا سجدنا لا لإلـه محمـد.

ويمكن أن يكون معنى الآيـة ان الكتـب الماضيـة كلـها للأنبيـاء

المتقدمين ألقى شياطين الإنس في متلواتهم وأمنياتهم مـــا يخـــالف الحـــق فينســـخ الله بإرسال نبي أو رسول بعده ما ألقوه من التحريفـــات والتغيـــيرات وليـــس كتابك يا محمد كذلك فلا يمكن لأحـــد تبديلـــه وتغيـــيره بـــل يبقـــى آبـــد الآبدين. إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَــهُ لَحَــافِظُونَ.

أَبُوهُ وَأُمُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال الإمام الحافظ السيوطي في مسالك الحنفاي والدي المصطفى صلى الله عليه وسلم ما نصه:انهما ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا وقد أطبقت أئمتناالأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا وأنه لا يقاتل حتى يُدعى إلى الإسلام وأنه اذا قتل يُضمن بالدية والكفارة نص عليه الإمام الشافعي ﷺ وسائر الأصحاب انتهى فلا تكليف إلا بالشرع خلافا للمعتزلة وأهلُ الفترة لا شرع لهم فلا يعذبون إلا من ورد التخصيص بعذابهم فهم من أهل النجاة على أي حال كانوا لأنهم غير مكلفين قال الشهاب الهيتمي في أفضل القرى ما نصه (والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أنه لا يجب توحيد ولا غيره إلا بعد إرسال الرسل إليهم ومن المقررأن العرب لم يُرسَل إليهم رسول بعد اسمعيل صلى الله عليه وسلم وأن اسمعيل انتهت رسالته بموته عليه الصلاة والسلام فلا فرق بين من غيّر وبدل وغيره ما عدا من صح تعذيبه فيقتصر ذلك عليه لأنه لا قياس في ذلك) ومال إليه شيخ الإسلام الحافظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني في بعض كتبه كما بسطه الحافظ السيوطي في كتابه المذكور وفيه أيضا ما نصه (انهما لم يثبت عنهما شرك بل كانا على الحنيفية دين جدهما ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام كما كان على ذلك طائفة من العرب) انتهى وإلى هذا ذهب جمع من الأئمة منهم مجدد القرن السادس إمام أهل السنة والجماعة القائم بالرد على الفرق المبتدعة الإمام فخر الدين الرازي فقال في كتابه أسرار

التنزيل ما نصه (ومما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام لَمْ أَزَلْ أُنْقَلُ مِنْ أَصْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَىٰ أَرْحَامِ الطَّاهِرَاتِ، وقال تعالى" إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ " فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا) انتهى ونقله الحافظ السيوطي في رسالته المؤلفة في خصوص هذه المسئلة كمسالك الحنفا وغيره وفي أفضل القرى لقراء أم القرى ما نصه ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم غير الأنبياء وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال في حقه انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في آية إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) ثم قال (فهذا صريح في ان أبوى النبي صلى الله عليه وسلم آمنة وعبد الله من أهل الجنة لأنهما أقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق) انتهى ثم ان إحياء والدي رسول الله وإيمانهما به ليس كما ورد في الحديث، لكونهما ماتا على الكفر بل ليحصل لهما كما لات ومراتب غير حاصلة لأهل الفترة كما صرح به الأئمة ففي أفضل القرى ما نصه، فان قلت إذا قرر تم أنهما من أهل الفترة وأنهم لا يعذبون فما فائدة الإحياء؟ قلت، فائدته إتحافهما بكمال لم يحصل لأهل الفترة لان غاية أمرهم أنهم ألحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العتاب وأما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فأتحفا بمزية الإيمان زيادة في شرف كما لهما لحصول تلك المراتب لهما) اهـ.

وفي المواهب اللدنية وغيره أنه روى أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ عَلَىٰ سِفَاحٍ قَطُّ لَمْ يَزَلِ اللهُ يَنْقُلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًّى مُهَذَّبًا لَا تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا.

وروي الترمذي أنه جاء العباس إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فكأنه سمع شيأ فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال مَنْ أَنَا قَالُوا أَنْتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا (وخيرهم بيتا) خَيْرُهُمْ نَفْسًا" وقال الترمذي هذا حديث حسن ٢٠١/٢ وانظر المشكوة ٥١٣ ومرقاة ٣٦٦/٥ والحاوي للسيوطي ٤٤٤/٢ وروى بمعناه البخاري ومسلم أنظر جواهر البحار ٥٢٣/٢ والمعتمد في آزَرَ أنه عم إبراهيم عليه السلام لا أبوه كما قاله السيوطي في مسالك الحنفا وبسط فيه دلائله وقوله صلى الله عليه وسلم "إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ" كما رواه مسلم منسوخ ولو سلم فلا يدل على الخلود وعلى كونه كافرا أو مشركا وأما الفترة فلا يجب أن يكون من جميع الوجوه وكذا الجواب عن حديث عدم الإذن في الإستغفار لأمه كان في صدر الإسلام ممنوعا من الصلاة على من عليه دَين وهو مسّلم لمصلحة وكذا توجد المصلحة في عدم الإستغفار لمن مات قبل الإسلام وما في عبارات بعض العلماء أنهما ماتا كافرين فالمراد قبل إحيائهما ماتا بلا إيمان ويدل على هذا المراد التعليل بموتهما قبل البعثة ولا يلزم منه الخلود في النار أو الشرك أو الكفر الموجب للخلود في النار فغاية ما يلزم من الحديث أنه غير معصوم ولا يخالفه النجاة في الآخرة.

آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامْ

وأما قوله تعالى: فَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى "فليس معناه المعصية الشرعية لأنه تعالى قال فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا". والنسيان ليس بمعصية،

وما ترتب عليه من الإخراج من ترتب المسبب على السبب وهذا كقولهم أشرت عليه في أمر ولده فنسي وعصاني فأمرته بشرب الدواء.

فقوله فَتَابَ عَلَيْهِ، وَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، كلها بالمعاني اللغوية، من الغفران عن بعض آثار النسيان من ترتب المسبب على السبب، كترتب الإسهال على شرب السنامكي ولو سهوا، وإمكان أن يكون مجموع القصة تشبيها وتخييلا عن أحوال مطلق الذكر والأنثى فيه بعد.

وأما قوله تعالى: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞. فالمراد بهما ليس آدم وحواء عليهما السلام: قال الإمام الرازي: الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم آل قصي، والمراد من قوله "هو الذي خلقكم من نفس" قصي: وجعل من" جنس "هازوجها" عربية قرشية ليسكن إليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف، وعبد العزي وعبد قصي، وعبد اللات، وجعل الضمير في "يشركون"لهما ولأعقابهما الذي اقتدوا بهما في الشرك (التفسير الكبير ٨٧/١٥). ويمكن أن يكون المراد مطلق الذكر والأنثى.

نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

وأما قوله تعالى: وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۞ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ (سورة هود ٤٥-٤٦-٤٧).

فهذا الدعاء قبل إعلامه بأن ابنه كافر، ليس من أهله، فقوله "وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي" ليس بالمعنى المعروف، من المغفرة والغفران للمعصية، بل عن ترتب الأثار وترتب التهمة في المستقبل حتى لا يقال في المتأخرين سلام على نوح في العالمين.

قال الشيخ أبو منصور رح: كان عند نوح عليه السلام أن ابنه كان علي دينه لانه كان ينافق، وإلا لا يحتمل أن يقول "ابْنِي مِنْ أَهْلِي" ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله "وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ" وكان يسأله علي الظاهر الذي عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لنبينا صلى الله عليه وسلم ويضمرون الخلاف له، قوله "لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ" أي من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر (المدارك ٢/٦٠).

لا يقال هذا معصية في ضوء قول ابنه "سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ" كما قال الإمام الرازي: وذلك لا يدل على كفره لجواز أن يكون قد ظن أن الصعود علي الجبل يجري مجرى الركوب في السفينة في أنه يصونه عن الغرق (التفسير الكبير ١٨/٥).

إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

وأما قوله تعالى: وَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۞ فابراهيم ﷺ لم يقل "هذا ربي" على سبيل الإخبار بل الغرض منه انه كان يناظر عبدة الكواكب وكان مذهبهم ان الكوكب ربهم وآلهتهم، وذكر ابراهيم ﷺ ذلك القول الذي قالوه بلفظهم وعبارتهم حتى يرجع إليه فيبطله (رازي ١٣/٤٩).

قال النسفي: والصحيح أن هذا قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لانه أدعي إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكرر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة

(النسفي ١/٤٨٢).

وأما استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه فقال الإمام الرازي رح: فان إبراهيم عليه السلام إستغفر لأبيه بتوقع الإيمان منه فلما تعين له أن أباه لا يؤمن بالله برئ منه، ويصدق هذا قوله تعالى في سورة التوبة "فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ" ويؤيد هذا أيضا قوله تعال "وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ" (خازن ٣/٢٢٢).

قال النيسابوري رح: في غرائب القرآن: ان أباه كان وعد إبراهيم أن يؤمن فكان يستغفر له بناء على ذلك الوعد، فلما تبين لإبراهيم أنه عدو لله، إما باصراره علي الكفر أو بموته علي ذلك أو بطريق الوحي تبرأ منه وترك الإستغفار (غرائب القرآن ١١/٣٠).

مع أنه يجوز أن يستغفر للكافر مع الشروط كما قال في الشهاب: أن استغفاره صلى الله عليه وسلم ان كان قبل النهي فلا اشكال وان كان بعده فالنهي والمنع منه ليس مطلقا بل يجوز أن يستغفر له بشرط إيمانه لأنه كان في حيوته، إذ لا منع من أن يقال اللهم اغفر لهذالكافران آمن (بيضاوي مع الشهاب ٦/١٦٣).

قال الخازن: وليس المراد [بقول إبراهيم عليه السلام] سلام عليك الدعاء بالسلام بل المراد قول باللطف عند الفراق فقط، أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه، وذلك لأنه لم يؤمر بقتاله علي كفره، وقيل: هذا سلام هجران ومفارقة، وقيل هو سلام برو لطف وهو جواب الحليم للسفيه (خازن ٣/٢٢٢).

قال الإمام الرازي: وما روى ما كذب إبراهيم إلا ثلث كذبات قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وقوله لسارة انها أختي فهو محمول علي المعاريض على ما قال عليه السلام "ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب اهـ (رازي ٢٢/١٨٦). فان قلبه سقيم لكون قومه في

الاعتقادات الفاسدة وسارة أخته في الإسلام، وحذف حرف الإستفهام شائع أي بل هل فعله كبيرهم هذا ؟ فهو من التعريضات الشبيهة بالكذب في الظاهر على أنه يجوز الكذب في أمثال تلك المواضع.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم "نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي: فقال ابن حجر رح: معناه اذا لم نشك نحن فإبراهيم أولى أن لا يشك أي لو كان الشك متطرقا إلى الأنبياءلكنت أنا أحق به منهم وقد علمتمأني لم أشك فاعلموا انه لم يشك (فتح الباري ٦/٤١٢).

فسؤاله لحصول الترقي من علم اليقين إلى عين اليقين، مثلا اذا رأينا دخانا من جبل يحصل لنا ظن اليقين بأن هناك نارا لكن يحتمل أن شخصا جمع الدخان في وعاء ثم أرسله من ذلك الجبل مثلا فاذا صعدنا ذلك الجبل ورأينا النار ببصرنا يحصل لنا علم اليقين بأن هناك نارا لكن يحتمل احتمالا بعيدا. أن يخطئ العين فانه قد يرى شيأ شيئين فاذا وضعنا اليد على ذلك النار فيحرق ويحصل حق اليقين.

يوسف ولوط عليهما السلام :

وأما قوله تعالى في حق لوط عليه السلام "فَهَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿ (سورة الحجر ٧١). فمعناه ان لوطا عليه السلام قال أزوجهن لكم بشروطه، ومن الشرط الإيمان.

وأما قوله تعالى في حق يوسف عليه السلام "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ (سورة يوسف ٢٤). فمعناه أي هم يوسف عليه السلام بضربها ودفعها لولا أن رأى برهان ربه من الدلائل الشرعية لضربها على أن هَمّ يجيئ بمعنى الخطور في البال وَمَا أُبَرِّأُ نَفْسِي عن ذلك الهم من حيث هي هي ومن حيث طبيعتها إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ من حيث هي هي

لولا توفيق الله تعالى.

وأما حبس يوسف بنيامين فأجاب الـــرازي وقـــال أخـــذ وحبـــس عنده بأمر الله بذلك بوحي منه للزيادة في امتحـــان أبيـــه.

أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامْ :

وأما قوله تعالى في حق أيـــوب عليـــه الســـلام أَنِّي مَسَّـــنِيَ الشَّيْطَـــانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" (سورة ص ٤١). وكذا قوله تعالى "مَسَّـــنِيَ الضُّـــرُّ" فـــهو ضر المرض أعطاه الله ذلـــك لاثباتـــه في الصـــبر ولرفـــع مرتبتـــه وفـــاز في الإمتحان، وهذا المرض ليس بمرض ينفر الناس بعد النبـــوة. وقـــال صلـــى الله عليه وسلم إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَوْلِيَـــاءُ فَـــالْأَمْثَلُ فَـــالْأَمْثَلُ.

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامْ :

وأما قوله تعالى: في حق موسى عليه السلام "فَوَكَزَهُ مُوسَـــى فَقَضَـــى عَلَيْـــهِ" "هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ"إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي: فَعَلْتُـــهَا إِذًا وَأَنَـــا مِـــنَ الظَّـــالِّينْ. فقتله الكافر الظالم ليس بمعصيـــة: وقولـــه "هـــذا مـــن عمـــل الشيطـــان" فالإشارة إلى المقتول أو إلى عمله. وأما الظلم فمن حيث مـــا يـــترتب علـــى قتله قبل الْمُلْك والقـــدرة.

دَاوُدْ عَلَيْهِ السَّلَامْ :

وأما قوله تعـــالى في حـــق داود عليه السلام وَهَـــلْ أَتَـــاكَ نَبَـــؤُ الْخَصْـــمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۞ (الآية: فقال الإمام الرازي رح: ان هـــذه القصـــة علـــى وجه لا يلزم إلحاق الكبيرة والصغـــيرة بـــداود عليه السلام، بـــل يوجـــب إلحـــاق أعظم أنواع المـــدح والثنـــاء بـــه، وهـــو ان نقـــول، روى ان جماعـــة مـــن الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبي الله داود عليه السلام، وكان لـــه يـــوم يخلـــو فيـــه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه، فانتـــهزوا الفرصـــة في ذلـــك اليـــوم وتـــسوروا المحراب، فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقوامـــا يمنعونـــه منـــهم، فخـــافوا،

فوضعوا كذبا فقالوا خصمان بغي بعضنا على بعض، إلى آخر القصة.

وليس في لفظ القرآن ما يمكن ان يحتج به في إلحاق الذنب بداود، إلا ألفاظ أربعة: أحدها: قوله "وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ"، وثانيها، قوله تعالى "فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ" وثالثها قوله "وَأَنَابَ" ورابعها قوله "فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ" ثم نقول، وهذه الألفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكروه.

وتقريره من وجه: الأول: أنهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق، وعلم داود عليه السلام ذلك دعاه الغضب إلى أن يشتغل بالإنتقام منهم، إلا انه مال إلى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لمرضات الله، قال: وكانت هذه الواقعة هي الفتنة لأنها جارية مجرى الإبتلاءوالإمتحان، ثم انه استغفر ربه مما هم به من الإنتقام منهم، وتاب عن ذلك الهم وأناب، فغفر له ذلك القدر من الهم والعزم.

والثاني أنه وان غلب علي ظنه أنهم دخلوا عليه ليقتلوه إلا أنه ندم على ذلك الظن، وقال لما لم تقم دلالة ولا أمارة علي أن الأمر كذلك فبئسما عملت بهم حيث ظننت بهم هذا الظن الردئ، فكان هذا هو المراد من قوله "وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ"، منه فغفر الله له ذلك.

الثالث: ان دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه السلام، إلا أنه عليه السلام استغفر لذلك الداخل العازم علي قتله، كما قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم "وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" فداود عليه السلام استغفر لهم وأناب، أي رجع إلى الله تعالى في طلب مغفرة ذلك الداخل القاصد للقتل، وقوله "فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ" الذنب لأجل احترام دود ولتعظيمه كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى "لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ" ان معناه ان الله تعالى يغفر لك ولأجلك ما تقدم من ذنب أمتك.

الرابع: هب، انه تاب داود عليه السلام عن زلة صدرت منه لكن لا نسلم ان تلك الزلة وقعت بسبب المرأة، فلم لا يجوز أن يقال ان تلك الزلة انما حصلت لأنه قضي لأحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الخصم الثانيا قال "لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ" فحكم عليه بكونه ظالما بمجرد دعوى الخصم بغير بينة لكون هذا الحكم مخالفا للصواب، فعند هذا اشتغل بالإستغفار والتوبة، إلا أن هذا من باب ترك الأفضل والأولى.

فثبت بهذه البيانات أنا اذا حملنا هذه الآيات علي هذا الوجه لا يلزم إسناد شيئ من الذنوب إلى داود ﷺ، بل ذلك يوجب إسناد أعظم الطاعات إليه (التفسير الكبير ٢٦/١٩٣-١٩٤).

قال اسمعيل الحقي البروسوي رح: وأصل هذه القصة أن داود ﷺ رأى امرأة رجل يقال له أوريا بن حنانا، ويقال لها بنشاوع او بنشاويع بنت شايع فمال قلبه إليها وابتلي بعشقها وحبها من غير اختيار منه . . . فسأله داود أن يطلقها فاستحي أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان عليه السلام، وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين أمته غير مخل بالمروءة، حيث كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل عن امرته فيتزوجها اذا أعجبته.

خلا أنه عليه السلام لعظم منزلتا وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل علي أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطي ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه (روح البيان ٨/١٨).

سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامْ :

وأما قوله تعالى في حق سليمان ﷺ: إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ

بِالْحِجَابِ﴾ الآية: فعلي سبيل السهو عند شدائد الحرب والنسيان عن ذكر الرب والتفكر في الحرب ليس بمعصية.

يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

وأما قوله تعالى في حق يونس عليه السلام "وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (أنبياء ٨٧).

فليس في الآية دليل على أنه ذهب مغاضبا لله، ولكنه ذهب مغاضبا لقومه لحزنه علي ما يفعله قومه من السيئات والقبيحات، والذهاب علي هذا الوجه يدل علي أحسن خلقه وأجلّ مرتبته، كيف لا يغاضب العاقل على القوم الذين يفعلون المحظورات والمنهيات ولا يفعلون الحسنات قط واجب أن يكون هذا الخلق في الإنسان الكامل سيما في الأنبياء.

وأما قوله تعال "وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ" أي في مكابدة الأعداء والصبر عليهم، فالصبر أفضل باعتبار، فاراد الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم أفضل المنازل.

ومن المفسرين من فسر الآية انه غضب لأجل الله: وفي البحر المحيط: مغاضبا لربه أي لأجل ربه ودينه، واللام لام العلة لا اللام الموصلة للمفعول به ٦/٣٣٥).

وأما قوله تعالى:"فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ"فقال الرازي: أي لم نضيق عليه، وذلك ان يونس ﷺ ظن انه مخيران شاء أقام وان شاء خرج وأنه لا يضيق عليه في اختياره، وان الأمر في خروجه موسع يجوز أن يقدم ويؤخرا هـ.

التَّوْحِيدُ وَالشِّرْكُ

التوحيد اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصها قال عبد الحكيم السيالكوتي التوحيد اعتقاد عدم الشريك في وجوب الوجود على ما قال الشارح (سعد الدين التفتازاني) في شرح المقاصد ان التوحيد عبارة عن اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصها وأراد بالألوهية وجوب الوجود وبخواصها الأمور المتفرعة عليه من كونه خالقا للأجسام مدبرا للعالم مستحقا للعبادة (عبد الحكيم حاشية الخيالي - شرح العقائد ٦٦).

وقال أيضا المراد وحدته في صفات الوجوب وما يتفرع عليه من إستحقاق العبادة وخلق العالم وتدبيره[1] ردا على الكفار الذين اعتقدوا اشتراك معبوداتهم له تعالى في الأمور المذكورة (عبد الحكيم ٦٦).

قال الله تعالى قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (اخلاص) وقال العلامة أبو السعود في تفسيره.والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده أي هو السيد المصمود إليه في الحوائج المستغني بذاته وكل ماعداه محتاج إليه في جميع جهاته وتكرير الإسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الألوهية وتعرية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى بيّن أولا ألوهيته عزّ وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه والفتقار جميع المخلوقات إليه (أبو السعود٩١٣/٩).

وقال الصاوي اعلم ان هذه الآية (سورة الإخلاص) يؤخذ منها

---

[1] يعني المراد بقل هو الله أحد اثبات الوحدة في الصفات المذكورة والرد على الكفار الذين اعتقدوا ذلك.

عقائد التوحيد وذلك لانّ الله تعالى علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد ومن كان وجوده واجبا لزم اتصافه بسائر الكمالات كالقدرة والإرادة والعلم والحيوة وقوله أحد يدلّ على الصفات السلبية وهي القدم والبقاء والغني المطلق والتنزه عن الشبيه والنظير والمثيل في الذات والصفات والأفعال (صاوي ٣٦٧/٤).

فبالجملة التوحيد اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصها ويرجع عند التحقيق والتدقيق إلى اعتقاد عدم الشريك في وجوب الوجود والاستقلال والاستبداد والغني الذاتي فالشرك إعتقاد الشريك في الألوهية وخواصّها قال سعد الدين التفتازاني الإِشْرَاكُ هو إثبات الشريك في الألوهية بمعنى وجوب الوجود كما للمجوس أو بمعنى استحقاق العبادة كما لعبدة الأصنام (شرح العقائد ٥٦).

مَا هِيَ خَوَاصُّ الْأُلُوهِيَّةِ

قال الله تعالى وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (البقرة ١٤٣) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (الشوري ٢٨) أفادتها تان الآيتان ان لله صفة الرحمة والرأفة والنصرة وقال تعالى لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (التوبة ١٢٨) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ (المائدة ٥٥).

قال الرازي وكل من أنصف وترك التعصب وتأمل في مقدمة الآية وفي مؤخرها قطع بأن الولي في قوله إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ ليس إلا بمعنى الناصر والمحب (رازي ٢٨/١٢).

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (الفتح ٢٩) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ (التوبة ١٧) إِنْ تَتُوبَا إِلَى

اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلٰئِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ (التحريم).

أفادت هذه الآيات ان لرسول الله ﷺ رحمة ورأفة ونصرة وكذلك المؤمنون والملئكة رحماء ناصرون ومن رحمتهم ونصرتهم الشفاعة في الآخرة (روى البخاري) يُخْرَجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ (بخاري ٢/٩٧١).

وقال ﷺ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً[٢] فِي الْحَقِّ[٣] قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ[٤] الْمُؤْمِنِينَ لِلّٰهِ[٥] يَوْمَ الْقِيٰمَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا . . . . فَيَقُولُ اللهُ شَفَعَتِ الْمَلٰئِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ . . . . (متفق عليه مشكوة (مسلم ١/١٠٣).

ومن رحمتهم ونصرتهم الشفاعة في الدنيا أيضا قال ﷺ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ (بخاري ١/٣٩٤/ مسلم، مشكوة، كتاب القصاص) عن أنس ﷺ قَالَ أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ[٦] عَلٰى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَامَ أَعْرَابِيٌّ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَ الْمَالُ[٧] وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرٰى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً[٨] فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا[٩] حَتّٰى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنِ

---

[٢] اي مطالبة

[٣] صفة الحق لانه في المعنى نكرة

[٤] متعلق باشد

[٥] متعلق بمناشدة

[٦] اي قحط

[٧] مثل الماشية

[٨] قطعة من السحاب

[٩] الضمير راجع الى اليد الواحدة للمبالغة في سرعة الاجابة كانه قال ما وضع يدا واحدة

مِنْبَرِهِ حَتّٰى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ[١٠] عَلٰى لِحْيَتِهِ فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذٰلِكَ وَمِنَ الْغَدِ وَمِنْ بَعْدِ الْغَدِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الْأُخْرٰى وَقَامَ ذٰلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ وَغَرَقَ الْمَالُ فَادْعُ اللهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللّٰهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا[١١] فَمَا يُشِيرُ إِلٰى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ[١٢] وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةً[١٣] شَهْرًا وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ[١٤] وفي رواية قَالَ اللّٰهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللّٰهُمَّ عَلَى الْآكَامِ[١٥] وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ قَالَ فَأَقْلَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ (بخاري مسلم مشكوة ٥٣٦).

أورد هذا الحديث البخاري في باب اذا استشفعوا إلى الإمام ليستسقي لهم لم يردّهم (بخاري ١٣٦).

ومن رحمتهم ونصرهم ما كان بطريق المعجزة والكرامة أعنى ما

---

[١٠] ينزل

[١١] اي انزل المطر مواضع النبات لا على الا بنية

[١٢] بفتح الجيم وسكون الواو الفرجة في السحاب

[١٣] بالنصب حال اي مثل سلان قناة وقيل قناة علم ارض ذات مزارع في جانب احد فهو بالضم على البدل

[١٤] المطر الكثير

[١٥] جمع اكمة وهي ما ارتفع من الارض والظراب واحدها ظرب الجبال الصغار اقلعت اي انكشفت. فثبت بالحديثين المتقدمين ان الاغاثة الدنيوية والآخروية ثابتة للأنبياء والأولياء ويثبت بالحديث الآتي (حديث سلمة بن الاكوع). ان الاغاثة بطريق غير عادي ثابتة لهم. فمن اعتقد ان الملئكة ينصرون بالطريق الغير العادي او ان عيسى يبرأ الاكمه بغير الاسباب الكونية او ان محمد ﷺ يبرأ بالطريق الغيبي فلا يقال في حقه انه جعلهم الهة او انه اعتقد انهم الهة لان الاله ليس معناه المغيث بالطريق الغيبي وكذا اذا اعتقد ان روح النبي او الولي ينصر ويغيث بالطريق الغير العادي اي بمعجزته او كرامته باذن الله تعالى فلا يقال في حقه انه جعله الها لان حاصله ان روح النبي او الولي سبب في حصول النصرة.

كان بغير أسباب عادية عن يزيد بن أبي عبيد قال رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ فَقُلْتُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ مَا هٰذِهِ الضَّرْبَةُ قَالَ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ فَقَالَ النَّاسُ أُصِيبَ سَلَمَةُ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلٰثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ (بخاري، مشكوة ٥٣٣ باب في المعجزات) الاّ انّ رحمة الله تعالى ونصرته مع رحمة غيره ونصرته مختلفة معنى واتصاف الله تعالى بهما بالذات والاستقلال واتصاف المخلوقات بهما بإذنه تعالى وإرادته ومشيئته وإقداره فمن اعتقد أن شيئا منهما يملكه مخلوق ولو وليا أو ملكا أو نبيا بغير إذنه تعالى وإرادته ومعونته فقد أشرك في صفته تعالى المختصة بالألوهية التي هي الغني الذاتي والوجوب الذاتي.

وكذلك ذاته تعالى مع ذات غيره ووجوده مع وجود غيره وقدمه مع قدم غيره (كعدم العالم المنقطع بوجوده كما تقدم) وبقاءه مع بقاء غيره مما ثبت له البقاء (كالجنة والنار وأهلهما) ومخالفته لغيره من الحوادث مع مخالفة غيره (والاّ اتحد كل شيء) وقدرته مع قدرة غيره وحياته مع حياة غيره وعلمه مع علم غيره وإرادته مع إرادة غيره وسمعه مع سمع غيره وبصره مع بصر غيره وكلامه مع كلام غيره كل منها مختلف معنى فالأوّل بحسب الاستقلال والغني الذاتي بخلاف الثاني وهذا هو حاصل سورة الاخلاص المسمّى بسورة التوحيد أيضا وتقدم تفسيره عن أبي السعود والصاوي وقال البيضاوي في تفسيره وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية (بيضاوي ١٩٩/٥).

ففسّر الله تعالى وبيّن معنى انّ الله أحد في ذاته وصفاته وأفعاله (بان الله صمد) يعنى واجب لذاته مستغن لذاته مستقل بذاته بخلاف المخلوقات فانهم محتاجون في جميع أمورهم إلى إرادة الله تعال ومشيئته قال السعد التفتازاني في شرح العقائد ولا يشبهه (الله) شيء أي لا يماثله أما اذا أريد بالمماثلة الاتحاد في الحقيقة فظاهر وأما اذا أريد بها كون الشيئين بحيث يسد

أحدهما مسد الآخر أي يصلح كل واحد منهما لما يصلح له الآخر فلان شيئا من الموجودات لا يسده تعالى في شيئ من الأوصاف فان أوصافه من العلم والقدرة وغير ذلك أجل وأعلى مما في المخلوقات بحيث لا مناسبة بينهما قال في البداية ان العلم منا موجود وعرض وعلم محدث وجائز الوجود فلو أثبتنا العلم صفة لله تعالى لكان موجودا وصفة قديمة وواجب الوجود ودائما من الأزل إلى الأبد فلا يماثل علم الخلق بوجه من الوجوه هذا كلامه فقد صرح بأن المماثلة عندنا انما يثبت بالإشتراك في جميع الأوصاف (شرح العقائد ٣٤-٣٥).

وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ الخ وانما قال وليكم الله ولم يقل أولياءكم للتنبيه على ان الولاية لله سبحانه وتعالى على الاصالة ولرسوله ﷺ وللمؤمنين على التبع (بيضاوي ١٥٦/٢).

وكذلك من الصفات المشتركة بين الخالق والمخلوق الاحياء وشفاء الأمراض المعضلة وعلم الغيب قال الله تعالى مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ (يس) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (الشعراء) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (الرعد ٩) مع قوله تعالى في حق عيسى عليه السلام أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (آل عمران ٤٩).

فنسب الله تعالى إبراء الأمراض المعضلة واحياء الموتى واخبارا بالغيب على طريق المعجزة الذي هو طريق غير عادى إلى عيسى عليه السلام.

وكذلك من الصفات المشتركة هبة الأولاد قال تعالى يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (الشورى ٤٩) مع قوله تعالى إِنَّمَا أَنَا

رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (مريم ١٩) فنسب في هذه الآية هبة الأولاد إلى جبريل ﷺ وكذلك التوفي قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ (النساء ٩٧) مع قوله تعالى اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا[١٦] (الزمر ٤٢) وكذلك نفخ الروح قال ﷺ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسِلُ الْمَلَكَ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ (مسلم ٣٣٢/٢) مع قوله تعالى فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي (الح ٢٩) ولا يخفى ان توفي الملئكة ونفخهم بطريق غيبي بالنسبة إلى الانسان ومنها الرؤية بطريق غيبي ورؤية البعيد بطريق غير عادي قال تعالى إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ (اعراف ٢٧). فان هذه الرؤية بطريق غيبي بالنسبة إلى الإنسان وقال النبي ﷺ هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَهُنَا فَوَاللهِ لَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ وَلَا رُكُوعُكُمْ إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي (بخاري ١٠٢/١) قال النبي ﷺ لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ (بخاري ٦٨٤/٢).

وقد قال الصحابة يا رسول الله رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ (بخاري ١٤٤/١ كتاب الكسوف) قال ابن حجر العسقلاني نقلا عن الغزالي ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بأنواع من الخواص منها انه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته وملئكته والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره بل عنده من كثرة المعلومات وزيادة اليقين

---

[١٦] هذه الآية دليل على ان التوفي يستعمل في غير الموت خلافا للقاديانية.

والتحقيق ما ليس عند غيره وله صفة[١٧] تتمّ له بها الأفعال الخارقة للعادات كالصفة التي بها تتمّ لغيره الحركات الاختيارية وله صفة يبصر بها الملئكة ويشاهد بها الملكوت كالصفة التي يفارق بها البصير الأعمى وله صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب ويطالع بها ما في اللوح المحفوظ كالصفة التي يفارق بها الذكي البليد فهذه صفات كمالات ثابتة للنبيّ (فتح الباري ٣٦٧/١٢ كتاب التعبير).

ونقل ابن حجر رح عادّا خصوصيّة الأنبياء فقال أمورا ثمانية ثم قال ﷺ تاسعها ذكاء بصره حتى يكاد يبصر الشيئ من أقصى الأرض عاشرها ذكاء سمعه حتى يسمع من أقصى الأرض مالا يسمعه غيره حادى عشرها ذكاء شمه كما وقع ليعقوب في قميص يوسف ثاني عشرها تقوية جسده حتى سار في ليلة مسيرة ثلاثين ليلة ثالث عشرها عروجه الى السّموات رابع عشرها مجيء الوحي له في مثل صلصلة الجرس (فتح الباري ٣٦٦/١٢).

قال ابن حجر رح في الحديث المتقدم انه رؤية عين فمنهم من حمله على انّ الحجب كشفت له دونها[١٨] فرأها على حقيقتها وطويت المسافة بينهما حتى أمكنه ان يتناول منها (فتح الباري ٥٤١/٢).

[١٧] دليل واضح على ان الانبياء لهم استطاعة وقدرة اختيارية للأمور الغير العادية من المعجزات والعلم بالغيب. خلافا لمن وهم لان الصفة المذكورة هي الاستطاعة بمعنى سلامة الآلات والاسباب. ويدل على ان لهم هذه الاستطاعة الاحاديث المذكورة وسيأتي دلائله مفصلة روى البخاري ومسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ترى مالا أريٰه. قال الغزالي في الاحياء وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيئ من علمه الا بما شاء قال العراقي وهذا هو الا غلب والا فقد رأى جبريل جماعة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم كما في الاتحاف ٢١٧/٢.

[١٨] أي الجنة

قال القرطبي لا احالة في ابقاء هذه الأمور على ظواهرها لا سيما على مذهب أهل السنة في ان الجنة والنار قد خلقتا ووجدتا فيرجع إلى أن الله تعالى خلق لنبيّه ﷺ إدراكا خاصّا به أدرك به الجنة والنار على حقيقتهما (فتح الباري ٢/٥٤١).

ومنها الهداية قال تعالى وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (الشوري ٥٢) يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (غافر ٣٨) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (الاعراف ١٨١) إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (اسراء ٩) مع قوله تعالى مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي (اعراف ١٧٨).

وكذلك التزكية قال تعالى هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (الجمعة ٢) مع قوله تعالى بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ (النساء ٤٩) وكذلك المغفرة والعفو قال تعالى وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (الشوري ٤٣) وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (الشوري ٣٧) مع قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (الاحزاب ٧١) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ (الشورى ٤٠) وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ (النور ٢٢) مع قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (الحج ٦٠).

وكذلك الاغاثة والاعانة والنصرة قال تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (انفال ٩) إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ (محمد ٧) مع قوله تعالى فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ (القصص ١٥) وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (المائدة ٢) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ (الانفال ٧٢) وكذلك التدبير قال تعالى ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (يونس ١٣) مع قوله تعالى فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (النازعات).

وكذلك الكفاية والحسب قال تعالى أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ (الزمر ٦) حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (آل عمران ١٧٣) مع قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (الانفال ٦٤).

قوله ومن اتبعك عطف على قوله الله كما قال به كثير من المفسرين لأن اعادة الجار في المعطوف على الضمير المجرور لازمة عند كثير من النحاة سواء كان الجار حرفا كما في قوله تعالى فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا (فصلت ١١). او اسما كما في قوله تعالى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ (البقرة ١٤٣) ومع قوله تعالى حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (المجادلة ٨) وقال ﷺ مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسْبُ الآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ (ابن ماجه ٢٤٠).

فهل يقول عاقل بجواز اسناد الحسب الى جهنم وللأكلات وعدم جواز اسناده للمؤمنين مع قوله تعالى إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا.

وبالجملة الصفة المختصة لله تعالى وخواص الألوهية هو الوجوب الذاتي والاستقلال والاستبداد والغني الذاتي والتدبير الذاتي واستحقاق العبادة التي هي أقصى غاية الخضوع باعتبار الغني الذاتي فاذا اعتبر في اسم او صفة من الأسماء أو الأوصاف الغني الذاتي فلا يصدق على غير الله تعالى كالله والرحمن فالصفات المشتركة بينه تعالى وبين غيره تنسب إلى الله باعتبار الغني الذاتي كالنافع والضار تنسب إلى الله تعالى بالغني الذاتي والى غيره بالتبع فالله تعالى نافع بالإستقلال وغيره نافع بمشيئة الله تعالى واذنه لا على وجه الاستقلال والاستبداد.

أَلْجَمْعُ بَيْنَ التَّعْرِيفَاتِ لِلتَّوْحِيدِ

قال السيد المرتضى في الإتحاف وقعت لهم عبارات في تفسير التوحيد ففي شرح الكبرى للسنوسي نقلا عن ابن التلمساني التوحيد اعتقاد الوحدة لله تعالى والاقرارُ بها (إتحاف شرح إحياء ١٢٧/٢).

قوله والاقرار بها هذا شرط لإجراء أحكام الموحدين عليه لا لصحة التوحيد قال ابن حجر الهيتمي رح حكاية عن حافظ الدين النسفي كون النطق شرطا لإجراء الأحكام لا لصحة الإيمان بين العبد وربه وهو أصح الروايتين عن الأشعري وعليه الماتريدي (تحفة ٩٢/٩).

وقال الكردي والحاصل ان من جعله شطرا أراد أنه شطر مجازي ومن جعله شرطا أراد أنه شرط للإجراء لا للحصول (كردي).

وقال السيد المرتضى أيضا وفي شرح الوسطي حقيقة التوحيد اعتقاد عدم الشركة في الألوهية وخواصها وفي بعض حواشي شرح العقائد النسفية مثل ذلك وزاد وأراد بالألوهية وجوب الوجود والقدم الذي أوتي بمعنى عدم المسبوقية بالغير وبخواصها مثل تدبير العالم وخلق الأجسام واستحقاق العبادة والقدم الزماني والقيام بنفسه (اتحاف ١٢٧/٢).

قوله والقدم أراد به الوجود مع القدم فانه مختص بالواجب ولا يوجد في غيره فهو ملازم للوجود الذاتي أما عدم العالم وان كان قديما فهو عدم محضٌ وليس بموجود كوجود الكائنات وقوله تدبير العالم أي بالقدرة الذاتية والغني الذاتي وهو المختص به تعالى وأما التدبير في الظاهر فيوجد في غيره كما في قوله تعالى وَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا فالتدبير بهذا المعنى ملازم للوجوب الذاتي وكذا الخلق بمعنى الإيجاد الاستقلالي وكذا استحقاق العبادة ملازم للوجوب الذاتي لأن العباة عبارة عن أقصى غاية الخضوع ولا يتصور إلا إذا اعتبر الغني الذاتي من المخضوع له وكذا القيام بالنفس بحيث لا يحتاج

لأحد ملازم للوجوب الذاتي ولذا قال عبد الحكيم التوحيد هو اعتقاد عدم الشريك في وجوب الوجود على ما قال الشارح في شرح المقاصد ان التوحيد عدم اعتقاد الشركة في الألوهية وخواصها الخ. ولهذا قال حسن الجلبي في حاشيته على شرح سيد الشريف للمواقف ان التوحيد يطلق بالاشتراك على معان من جملتها اعتقاد الوحدانية أي عدم مشاركة الغير له في الألوهية وهذا هو المقصود ههنا والمشاركة فيها تستلزم الاشتراك في الوجوب الذي هو معدن كل كمال ومَبْعَدُ كلِ نقصان (حاشية شرح المواقف).

ولهذا قال الجلال الدواني اعلم أن التوحيد إما بحصر وجوب الوجود أو بحصر الخالقية أو بحصر المعبودية (اتحاف ٢/١٢٦).

يعنى ان كلا منها متلازمة وهذا هو بعينه حاصل ما قال ذُو النُونِ حقيقةُ التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج[١٩] وصنعه بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه (إتحاف ٢/١٢٧).

فيكون الله تعالى مفردا عن الحادث والمخلوق من كل وجه فانه تعالى غني بالذات بخلاف الحوادث قال الله تعالى وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ"ومن ثم قال الجنيد في ما حكاه أبو القاسم القشيري التوحيد إفراد القديم من المحدَث" (فتح الباري ١٣/٣٤٤) وهذا هو بعينه حاصل ما قاله ابن حجر العسقلاني أما أهل السنة ففسروا التوحيد بنفي التشبيهِ والتعطيلِ (فتح الباري ١٣/٣٤٤).

وما قاله بعض المحققين حقيقته (اي التوحيد) إثبات ذات غير مشبَّهةٍ للذوات ولا معطلة عن الصفات[٢٠] فليس كذاته ذات ولا كصفته

---

[١٩] وهذا هو الخلق بخلاف الكسب

[٢٠] فاذا كان ذاته مشبهة للذوات تكون مركبة من الاجزاء وتكون تلك الاجزاء واجبة فيتعدد الواجب فهو مخالف للتوحيد وكذلك اذا كان الذات غير متصف بالصفات فيكون الخلق وإلاَّ

صفة (إتحـاف ١٢٦/٢).

والمراد بنفي التعطيل رد المعتزلة الذين ينكرون صفاته تعالى المعنوية

يجاد لغيرها فيكون ذلك الغير إلها فيكون شركا. وكذلك اذا كان للواجب مكان أو زمان يكون ذلك قديما فيتعدد القدماء واما صفات الإله تعالى فليست عين الذات ولا غيرها فلا يلزم قدم الغير فلا محذور لأن المحذور تعدد القدماء المتغايرة لا مطلق التعدد. قال السعد:النصارى وان لم يصرحوا بالقدماء المتغايرة لكن لزمهم ذلك لانهم أثبتوا الأقانيم الثلثة التي هي الوجود والعلم والحياة وسموها الأب والابن وروح القدس وزعموا أن أقنوم العلم انتقل إلى بدن عيسى فجوزوا الإنفكاك والإنتقال فكانت الأقانيم ذواتٍ متغايرةً. فالأولى ان يقال المستحيل تعدد ذوات قديمة لا ذات وصفات وأن لا يجترأ على القول بكون الصفات واجبةَ الوجود لذاتها بل يقال هي واجبة لا لغيرها بل لما ليس عينها ولا غيرها وهو عين ذات الله تعالى وتقدس وتكون هذا مراد من قال الواجب الوجود لذاته هو الله تعالى وصفاته يعنى أنهما واجبة لذات الواجب تعالى وأما في نفسها فهي ممكنة ولا استحالة في قدم الممكن إذا كان قائما بذات القديم واجبا له غير منفصل عنه فليس كل قديم إلها حتى يلزم من وجود القدماء وجود الآلهة لكن ينبغي أن يقال الله تعالى قديم بصفاته ولا يطلق القول بالقدماء لئلا يذهب الوهم الى أن كلا منها قائم بذاته موصوف بصفات الألوهية ولصعوبة هذا المقام ذهبت المعتزلة والفلاسفة الى نفي الصفات والكرامية الى نفي قدمها والا شاعرة الى نفي غيريتها وعينيتهااهـ. (شرح العقائد ٧٢).

(قوله لكن لزمهم ذلك) قيل عليه اللزوم غير الإلتزام ولا كفر إلا بالإلتزام وجوابه أن لزوم الكفر المعلوم كفر ايضا ولذا قال في المواقف من يلزمه الكفر ولا يعلم به فليس بكافر ولا شك أن لزوم الذاتية للانتقال من أجلي البديهيات على أن قوله تعالى "وما من إله إلا إله واحد" بعد قوله تعالى "لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة" شاهد صدق على أنهم كانوا يقولون بآلهة وذوات ثلاثة وأيضا ترتيب الحكم على المشتق يدل على علية المأخذ فإن إنحصر العلة في الالتزام تعين ذلك منهم

ومن غاية جهلهم جعلوا الذات الواحدة نفس ثلاث صفات وقالوا إنه تعالى جوهر واحد له ثلاثة أقانيم وأرادوا بالجوهر القائم بنفسه وبالأقنوم الصفة وقد يُوَجَّه بانه ميل منهم إلى أن الصفات نفس الذات لكن لا يلائمه قولهم بالقدماء الثلاثة اذ لوقطع النظر عن الاتحاد فاربعة والا فواحداهـ.

فاذا كان الله تعالى غنيا بالذات عن كل شيء فهو غني عن الأجزاء وعن التركيب والزمان والمكان وغير ذلك ولهذا قال أبو القاسم التميمي في كتاب الحجة التوحيد مصدر وَحَّدَ - يُوَحِّدُ ومعنى وحدت الله اعتقدته منفردا بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه وقيل معنى وحدته علمته واحدا وقيل سلبت عنه الكيف والكمية فهو واحد في ذاته لا انقسام له وفي صفاته لا شبيه له في إلهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره (فتح الباري ٣٤٤/١٣).

ومعنى وحدته تعالى ذاتا ان ذاته ليست مركبة من أجزاء مفتقرة بعضها إلى بعض كالجنس والفصل وكالرأس واليد والرجل وغير ذلك فان المركب محتاج إلى الأجزاء والإحتياج ينافي الغني الذاتي وانه ليس في الوجود ولا في الإمكان ذات تشبه ذاته تعالى بوجه من الوجوه ومعنى الوحدة في الصفات انه ليس لغيره صفة تشبه صفاته ومعنى وحدته في الأفعال انه ليس للمخلوقين خلق وتأثير بحسب الإيجاد الإستقلالي والتأثير الذاتي من غير احتياج الى شيء آخر ولهذا قال الامام الرازي أعنى بالتوحيد المطلق أن يعلم أن مدبر العالم واحد وأن يعلم أيضا ان العبد غير مستقل بأفعال نفسه (رازي ٦٥/١) واما اعتقاد انه تعالى مركب من أجزاء كالرأس واليد مثلا فهو انكار للوجوب والقدم والقيام بنفسه الذاتية فهو شرك لأن الأجزاء للواجب لا بد تكون واجبة فيتعدد الواجب وان كان الواجب جزأ واحدا فقط فيكون باطلا كيف يتركب الواجب من الممكن والواجب.

الشِّرْكُ بِمَعْنَى الْكُفْرِ

قد يطلق الشرك ويراد به الكفر وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في تفسير قوله تعالى إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ - المراد بالشرك في هذه الآية الكفر لأن من جحد نبوة محمد ﷺ

مثلا كان كافرا ولو لم يجعل مع الله إلها آخر والمغفرة منتفية عنـــه بـــلا خـــلاف وقد يرد الشرك ويراد به ما هو أخص مـــن الكفـــر كمـــا في قولـــه تعـــالى [لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ (فتـــح البـــاري ٨٥/١)].

وقال الخيالي أيضا في تفسير هـــذه الآيـــة (لا يغفـــرأن يشـــرك بـــه) أي يكفر به:خيـــالي ١٢٤).

شِرْكُ التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى"وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ"هم الذين يُشَبِّهون الله بخلقـــه (رازي ٢٢٤/١٨).

وقال القاضي "لا يتصور له تعالى أجـــزاء حديـــة يتـــألف منـــها قوامـــه لأنها إما واجبات فهي منفصلة الهوية مستغن بعضها عـــن بعـــض علـــى أنهـــا[٢١] بسائط أو ممكنات هالكة الذات باطلة الحقيقة فكيف يتقوم بهـــا الحـــق المحـــض" (قاضي مبارك ٥). وقال ملا حسن "ان الواجب تعالى وتقدس لـــو كـــان لـــه أجزاء خارجية فتكون تلك الأجزاء عللا لـــه تعـــالى ضـــرورة كـــون وجـــود ذات الأجزاء عللا لو جود الكل وحينئذ يكون الكـــل معلـــولا متـــأخرا عـــن علله فهذا التأخر إما التأخر الذاتي فقـــط أو مـــع الزمـــاني علـــى الأول يثبـــت الحدوث الذاتي وعلى الثاني الحدوث الزماني وكـــلا نحـــوي الحـــدوث مختصـــان بالممكن" (ملا حســـن ٤).

وقال ابن عبد الوهاب النجدى في تفسير قوله صلـــى الله عليـــه وســـلم هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الخ. الخامســـة: التصريـــح بذكـــر اليدين وان الســـموات في اليـــد اليمـــنى والأرضـــين في الأخـــرى السادســـة التصريح بتسميتها الشمال السابعةُ ذكـــر الجبـــارين والمتكـــبرين عنـــد ذلـــك الثامنة قوله كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ التاســـعةُ عظـــم الكرســـي بالنســـبة إلى

[٢١] اي هذا الكلام على انها بسائط ولـــو كـــانت مركبـــة تكلمنـــا عليـــها مـــن اي شيئ تركبـــت وهكذا.

السماء العاشرةُ عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي الحادية عشرة ان العرش غير الكرسي والماءِ الثانية عشرة كم بين كل سماء إلى سماء الثالثة عشرة كم بين السماء السابعة والكرسيِ الرابعة عشرة كم بين الكرسي والماء الخامسة عشرة ان العرش فوق الماء السادسة عشرة ان الله فوق العرش السابعة عشرة كم بين السماء والأرض الثامنة عشرة كِثْفُ كلِ سماء مائة سنةٍ التاسعة عشرة ان البحر الذي فوق السموات بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة (كتاب التوحيد ١٣٠-١٣١).

فواجب الوجود على هذا مركب من أجزاء وجوارح من رجل ويد وأذن ورأس ووجه وغيرها وان كان لا كسائر الجوارح ويكون كل واحد منها واجبا وإلا فكيف يكون المركب من الممكنات واجبا فيجب تعدد الواجبات وهذا هو الشرك فمع ذلك هو جالس في كرسي فوق العرش والعرش فوق الماء وفي يده اليمنى السموات وفي يده اليسرى الأرض. وأما القدرة والسمع مثلا واجبات لذاته تعالى لا لذاتها فلا يلزم تعدد الواجبات كما حققه السعد في شرح العقائد.

فأمثال هذه الاجتهادات من ظواهر الآيات والأحاديث زَلَّةٌ في أمور الدين والدنيا أما اجتهاده في حقي السموات والأرض وغير ذلك فلا يخفى ضلالته على أهل هذا الزمان وان حمله على أمثال هذه الإجتهادات القول بظواهر الآيات والأحاديث مع عدم نقل تفسيره وتأويله عن النبي والصحابة لزمه حمل أمثال قوله تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ (الحديد ٤) وقوله ﷺ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ وقوله ﷺ الحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي أَرْضِهِ على ظواهرها وقد اتفق أهل العلم بحمل الآية المذكورة على الإحاطة والعلم كما قاله الإمام الغزالي في الإحياء (١٠٨/١) ويحمل الحديث الأول على القدرة والحديث الثاني على التشريف والإكرام فكان المعنى من قبَّل الحجرَ الأسود كان كمن قبَّل يمين

الله.

فكما اضطر على حمل أمثال هذه اضطر أهل الحق على أمثال تلك والا فلا بد أن يكون يده مثلا وان كان لا كالأيدي مصوَّرا بأن يكون مساويا لأيدينا أو أصغرأ وأكبر وكذا لا بد إن كان له رجل وساق وحقو، وان كان لا كسائر الجوارح أن يكون له بقية الجوارح كالفخذين وما بينهما إما مصورا بالذكر أو بالأنثى (معاذ الله) وان كان لا كسائر الذكر والأنثى ولا يخفى بعده سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ.

وهذا المذهب (أي حمل الآيات والأحاديث على الظواهر) خلاف مذهبِ السلف المتقدم من الإمساك عن تأويل أمثال هذه فان حاصله كما قال النووي رح أن يقال لا نعلم المراد بهذا ولكن نؤمن به مع اعتقادنا أن ظاهره غير مراد وله معنى يليق بالله تعالى (شرح المهذب ٨٤٩/٤ على ما أشار اليه قوله تعالى هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ (آل عمران).

وعلى هذا سكت الصحابة رضي الله عنهم عن السؤال عن معنى شيء مما وَصَفَ الرب سبحانه وتعالى نفسه في القرآن وعلى لسانِ نبيه أو فهموا معانيها المرادةَ ومن أمعن النظر إلى الشرك في الأديان الماضية يفهم أن شركهم ناشئ من أمثال هذا التشبيه فان بعضهم صوروا آلهتهم مصورة بأيدٍ أربعةٍ ورؤس أربعة وأنف طويل كأنف الفيل كما نشاهده في هنود الهند حملا لأحاديث حكمائهم المتقدمين على ظواهرها فوقعوا في الشرك والضلالة والحال ان حكمائهم عبروا عن قدرة الله تعالى التامة وعلمه التام بالأيدي

والرؤوس باعتبار ظهور المعاني فظن الجهال المتأخرون أنها حقيقة أعاذنا الله من هذه. وقال البناني: اعلم أن المجسم فريقان فريق يعتقد أن الله تعالى جسم كسائر الأجسام وهذا لاخلاف في كفره وفريق يعتقد أنه تعالى جسم لكن لا كسائر الأجسام بل جسم يليق به وهذا مختلف في كفره (حاشية البناني على جمع الجوامع ١٤٧/٢).

اَلْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى التَّعْرِيفِ

وبالجملة التوحيد اعتقاد أن الله واحد. والشرك اعتقاد أن مع الله إلها آخر ولذا قال ابن حجر الهيتمي رح وكسان قول لا اله الا الله كلمة توحيد (تحفة ٨) وقال العلامة التفتازاني في أحوال المسند إليه في المختصر ما نصه:وقد أجمعوا على أن قولنا لا اله إلا الله كلمة التوحيد (مختصر ٧١) فانه لو لم يكف في التوحيد اعتقاد أن ليس مع الله إله آخر لم يكن تلك الكلمة كلمة التوحيد ويشهد له قوله تعالى قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (الأنعام ١٩) بين هذه الآية ان التوحيد اعتقاد اله واحد وان الشرك اعتقاد شريك معه وقوله تعالى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (المؤمنون ١١٦) وقوله تعالى مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (الأعراف ٦٥) وقوله تعالى وَإِلٰهُنَا وَإِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ (العنكبوت ٤٦) وقوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ (فاطر ٢) وقوله تعالى أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (الأنعام ١٩) وقوله تعالى أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (الطور ٤٣) وقوله تعالى وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (الفرقان ٢) وقوله تعالى أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ (الأنبياء ٢٤) وقوله تعالى أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا

سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (ص٧،٥ وقوله تعالى ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (الزمر ٢٩).

يبين هذه الآيات وأمثالها ان التوحيد الإعتقاد والشهادة بأن الله واحد وأن ليس معه إله آخر والشرك الإعتقاد والشهادة أن مع الله آلهة أخرى متشاركين متشاكسين في التدبير والنفع والضر الذاتية والاستقلالية.

لَا بُدَّ أَنْ يُأْخَذَ مِنَ الشَّارِعِ

ثم ان التوحيد لا يكون صحيحا ولا معتدا به الا اذا أخذ من الشارع بواسطة الأنبياء عليهم السلام فقد روي ابن عباس عن النبي ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ بِأَرْبَعٍ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ الخ رواه الشيخان فجعل ﷺ اعتقاد انه رسول الله من الإيمان بالله وحده الذي هو التوحيد إشارة إلى أن الإيمان بالله وحده لا يصح ولا يعتد به شرعا إلا اذا كان مقارنا باعتقاد رسالته وموافقا لبيانه فاذا وجد الإيمان بالله وحده مقارنا باعتقاد أن محمدا بشر مثلنا فلا يصح توحيده ولا يعتد به كما دل عليه الحديث المذكور ولهذا ترى العقلاء الماهرين في سائر العلوم الدنيوية كالحكمة والفلسفة والطب والحساب والهندسة وغير ذلك مستمرين على الشرك لعدم إيمانهم برسالة نبينا محمد ﷺ.

كَوْنُ الْعَمَلِ شِرْكًا

أما عد بعض الأعمال شركا وكفرا في بعض الأحاديث فلأنه دال وعلامة على اعتقاده إلها آخر مع الله قال سعد الدين التفتازاني في شرح العقائد ليست حقيقة التصديق ان تقع في القلب نسبة الصدق إلى الخبر أو المخبر من غير إذ عان وقبول بل هو إذ عان وقبول ذلك بحيث يقع عليه

اسم التسليم على ما صرح به الإمام الغزالي وبالجملة المعنى الـــذي يعــبر عنــه بالفارسية بِكَرْوِيدَنْ هو معنى التصديق المقابل للتصور حيـــث يقــال في أوائــل علم الميزان العلم إما تصور وإما تصديق صــرح بذلــك رئيســهم ابــن ســينا فلو حصل هذا المعنى لبعض الكفار كان إطلاق اسم الكــافر عليــه مــن جهــة أن عليه شيئا من أمارات التكذيب والإنكار كمـــا فرضنــا أن أحــدا صــدق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام وسلمه وأقر به وعمـــل ومــع ذلــك شــد الزُنّارَ بالإختيار أو سجد للصنم بالاختيار نجعله كافرا لمـــا ان النــبي ﷺ جعــل ذلك علامة التكذيب والإنكار وتحقيق هذا المقــام علــى مــا ذكــرتُ يســهل لك الطريق إلى حل كثير من الاشكالات المــوردة في مسـئلة الإيمــان (شــرح العقائد ٩٠).

وقال أيضا لا نزاع في أن من المعــاصي مــا جعلــه الشــارع أمــارة للتكذيب وعلم كونه كذلك من الأدلة الشرعيـــة كســجود الصنــم والقــاء المصحف في القا ذُوْرَاتِ والتلفظ بكلمـــات الكفــر ونحــو ذلــك ممــا يثبــت بالأدلة أنه كفر (شرح العقـــائد ٨٣).

قال ابن حجر الهيتمي رح نقلا عن المواقـــف وشرحــه للسـيد:ان نحــو السجود لنحو الشمس من مصدق بما جاء به النــبي ﷺ كفــر إجماعــا ثم وجــه كونه كفرا بأنه يدل على عدم التصديق ظاهرا ونحـــن نحكــم بالظــاهر ولــذا حكمنا بعدم إيمانه لا لأن عدم الســـجود لغــير الله داخــل في حقيقــة الإيمــان حتى لو عُلِم انه لم يسجد لها على سبيل التعظيم واعتقاد الألوهيـــة بــل ســجد لها وقلبه مطمئن بالإيمان لم يحكم بكفره فيما بينه وبـــين الله تعــالى وان أُجــرى عليه حكم الكفر في الظاهر (تحفـــة ٩٢/٩).

أَلتَّوْحِيدُ عِنْدَ ٱلْمُخَالِفِ وَٱلْمُنَاقَشَةُ عَلَيْهِ

وأما ما زعمه محمد عبده ان الشرك اعتقاد أن لغير الله أثـــرا فـوق مـا وهبه الله من الأسباب الظاهرة وأن لشيئ سلطانا علـــى مـا خـرج بـه مـن قدرة المخلوقين وهو اعتقاد من يعظم ســوى الله مسـتعينا بـه فيمـا لا يقـدر عليه العبد كالإستنصار في الحـــرب بغـير قـوة الجيـوش والإسـتشفاء مـن الأمراض بغير الأدوية التي هدانا الله إليهاوالاستعانة علـــى السـعادة الأخرويـة بغير الطرق والسنن التي شرع الله لنا هذا هـــو الشـرك الـذي كـان عليـه الوثنيون ومن مثلهم فجاءت الشريعة الاسلامية بمحوه ورد الأمـــر فيمـا فـوق القدرة البشرية والأسباب الكونية إلى الله وحده اهـــ فبـاطل مـردود علـى مبدعه من وجوه.

أما أولا فانه دعوى بلا دليل من الكتاب والســنة وكـلام الأئمـة بـل الدلائل العقلية والنقلية على خلافه كما سبق منـــا بعضـــها.

وأما ثانيا فلأن قوله من الأسباب الظـــاهرة يقتضـــى أن مـا وهبـه الله تعالى لخلقه منحصر في الأسباب الظاهرة وليس كذلـــك فَـإِنَّ اللهَ يَـرْزُقُ مَـن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ وقد وهب الله تعـالى ملئكتـه الكـرام مـالا يقـدر عليـه الإنسان عادة قال تعالى ذِي قُـوَّةٍ عِنْـدَ ذِى ٱلْعَـرْشِ مَكِـينٍ مُطَـاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (التكوير ٢١).

وقال النبي ﷺ فَرَفَعْتُ بَصَـرِي إِلَى السَّـمَاءِ فَـإِذَا ٱلْمَلَـكُ الَّـذِي قَـدْ جَاءَنِي بِحِرَاءَ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِـيٍّ بَـيْنَ السَّـمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أخرجـه البخـاري في بدء الوحي وقال تعالى [وَٱلْمَلَئِكَةُ بَعْـدَ ذَٰلِـكَ ظَـهِيرٌ] (التحـريم ٤) وقـال ﷺ اَللّٰهُمَّ أَيِّدْهُ (حسان) بِـرُوحِ ٱلْقُـدُسِ أخرجـه البخـاري في بـاب الشعـر في المسجد ١/٢٥ ومسلم في باب فضل حســان بـن ثـابت ٢/٣٠٠ وقـال ﷺ في قصة رجوعه من الطائف فَرَفَعْتُ رَأْسِـي فَـإِذَا أَنَـا بِسَـحَابَةٍ قَـدْ أَظَلَّتْـنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَا دَانِي فَقَالَ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَـوْلَ قَوْمِـكَ وَمَـا رَدُّوا

عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ[٢٢] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا – أخرجه البخاري في بدء الخلق ٤٥٨/١ ومسلم في الجهاد ١٠٩/٢).

فان قيل هو أسباب ظاهرة للملكة قلنا فلا يكون شيء غير ظاهرة فان الله تعالى إذا أقدر نبيا أو وليا على أمر خارق للعادة يكون سببه أيضا ظاهرا لهم فلا معنى لتقييده بالأسباب الظاهرة على انه تعالى أقدر لإبليس وللجن على ما خرج من عادة البشر فيقدر لإ حضار البعيد في لحظة قال تعالى: قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي (النمل ٤٠).

وعلى انه أقدر للأنبياء على ما خرج من عادة البشر كرؤية البعيد كالقريب لما رواه البخاري في صحيحه عن أبي سلمة لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ (بخاري ٦٨٤/٢ كتاب التفاسير).

وكإحضار الأشجار من أمكنتها لما روي مسلم عن جابر ﷺ قال

---

[٢٢] فثبت بهذه الادلة ان للملكة قدرة غيبية للاغاثة الغير العادية بالنسبة للانسان فمن اعتقد ان الملكة ظهير ومغيث وناصر وولي بالمعنى المذكور فلا يقال في حقه انه جعلهم آلهة فلا بد من اعتبار معنى آخر في معنى الإله وهذا بخلاف من يعتقد ان الملكة بنات الله فان للبنات استقلالا وقدرة بدون إرادة الأب ويمكن منها أن تعارض الأب وقد تغلبه فهذا الإعتقاد إعتقاد في الالهة سواء دعاها او لم يدع بخلاف الاعتقاد الاول سواء سال منهم النصرة او لم يسال كما سيأتي سؤال سليمان عليه السلام وكما في حديث أبي قتادة الآتي وغيره.

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ[٢٣] فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ وَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا وَقَالَ انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ[٢٤] الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الأُخْرَى فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا قَالَ الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُقْبِلاً وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ (مسلم ٤١٧/٢).

وكتكثير الماء القليل أخرج البخاري ومسلم حديثا طويلا ففيه فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ قَالَ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا (بخاري – مسلم – مشكوة ٥٣٢/٢ كتاب الفتن).

وعن أبي قتادة ﷺ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ فَقَالَ إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ وَتَأْتُونَ الْمَاءَ إِنْ شَاءَ اللهُ غَدًا فَانْطَلَقَ النَّاسُ لاَ يَلْوِي[٢٥] أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ قَالَ أَبُو قَتَادَةَ فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ فَمَالَ

---

[٢٣] واسعا

[٢٤] المخشوش الذي يجعل في انفه خشاش بكسر الخاء ما يجعل في انف البعير اذا كان صعبا ويشد فيه حبل يصانع اي يرافق والمنصف بفتح الميم والصاد نصف المسافة وللفتة النظرة الى جانب.

[٢٥] لا يلوى لا يلتفت اليه بل يهتم في طلب الماء.وابهار:تراكمت ظلمته نبا اي معجزة وفي الحديث سؤال الاغاثة الغير العادية والدعاء لها حيث قالوا يا رسول الله هلكنا وعطشنا فان قيل المراد طلب الدعاء منه اقول ليس في الحديث ما يدل عليه فهو وهم محض لان الصحابة رأوا من النبي صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة باختياره وان سلم فمقصود الاستغاثة حصول الاغاثة للمستغيث سواء كان بالدعاء أم لا.

عَنِ الطَّرِيقِ فَوَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ إِحْفَظُوا عَلَيْنَا صَلوتَنَا فَكَانَ أَوَّلُ مَنِ اسْتَيْقَظَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالشَّمْسُ فِي ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ: إِرْكَبُوا فَرَكِبْنَا فَسِرْنَا حَتَّىٰ إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ نَزَلَ ثُمَّ دَعَا بِمِيضَأَةٍ كَانَتْ مَعِي فِيهَا شَيْئٌ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وُضُوءً دُونَ وُضُوءٍ قَالَ وَبَقِيَ فِيهَا شَيْئٌ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ: إِحْفَظْ عَلَيْنَا مِيضَأَتَكَ فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى الْغَدَاةَ وَرَكِبَ وَرَكِبْنَا مَعَهُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّاسِ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ وَحَمِيَ كُلُّ شَيْئٍ وَهُمْ يَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكْنَا وَعَطِشْنَا فَقَالَ لَا هُلْكَ عَلَيْكُمْ وَدَعَا بِالْمِيضَأَةِ فَجَعَلَ يَصُبُّ وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ: إلى آخر الحديث (مسلم – مشكوة ٥٣٨/٢).

وأما ثالثا فلأن قوله خرج به عن قدرة المخلوقين ففيه انه قد يكسب العبد بإقداره تعالى أمورا خوارق العادات كما يشهد به الكتاب والسنة كما تقدم[٢٦] وأما رابعا فلأن قوله كالإستنصار في الحرب الخ مخالف للكتاب والسنة قال الله تعالى: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ (البقرة ٢٤٨) فقد كان بنو اسرائيل اذا خرجوا لقتال الكفار يقدمون ذلك التابوت الذي فيه بقية آل موسى وآل هرون بين أيديهم متبركين مستنصرين بها قال أبو السعود في تفسيره: كانوا يستفتحون به على عدوهم (أبو السعود ٢٨٠/١). ثم لما سلط الله عليهم العمالقة أخذوا ذلك التابوت وفات من بني اسرائيل ثم أعطي ذلك التابوت

---

[٢٦] قال الرازي في تفسير قوله تعالى"وما رميت اذا رميت"اثبت كونه راميا ونفي كونه راميا فوجب حمله على انه رماه كسبا وما رماه خلقا (رازي ١٣٩/١٥).

قال الحافظ في قصة جريج التي رواها البخاري فيه اثبات كرامات الاولياءووقوع الكرامات لهم باختيارهم وطلبهم فتح الباري ٣٧٤/٦ وسيأتي التفصيل في المعجزة والكرامة.

لبني اسرائيل آيةً وعلامةً لرياسة طالوت حملته الملئكة فوضعوه بين أيديهم كما بينه المفسرون قال روح البيان في شأن هذا التابوت وسبب النصرة به انها معجزة لأنبيائهم وكرامة لملوكهم (روح البيان ١/٣٨٤).

فلو كان هذا التابوت والإستنصار به شركا كيف يعطيه الله تعالى بني اسرائيل بواسطة الملئكة[٢٧] وكذا إستنصار خالد ﷺ بشعره ﷺ قال القاضي عياض(ت: ٥٤٤)في الشفا وكانت شعرات من شعره (النبي ﷺ) في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا إلا رُزِقَ النصر (كتاب الشفا ١/٣٣١).

وأما خامسا فلأن قوله والاستشفاء من الأمراض الخ مخالف لتقرير النبي ﷺ وإجماع الصحابة عن عثمان بن عبد الله قَالَ أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ بِقَدَحٍ[٢٨] مِنْ مَاءٍ وَقَبَضَ إِسْرَائِيلُ ثَلَٰثَ أَصَابِعَ مِنْ قُصَّةٍ فِيهِ شَعْرٌ مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ عَيْنٌ أَوْ شَيْءٌ[٢٩] بَعَثَ إِلَيْهَا مِخْضَبَةً فَاطَّلَعْتُ فِي الْجُلْجُلِ فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ حُمْرًا (بخارى ٢/٨٧٥ باب ما يذكر في الشيب) عن السائب بن يزيد يَقُولُ ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ

---

[٢٧] فالاستنصار في الحرب بواسطة التبركات الغير العادية كالتابوت الذي فيه بقية آل موسى وآل هرون ليس بشرك.

[٢٨] القدح والقصة والخضب والجلجل كل واحد منها اسم للاناء المخصوص الظاهر أن مِنْ في من قصة سببية اي ارسلوني بقدح من ماء بسبب قصة فيها شعر واسرائيل اسم الراوي عن عثمان والمراد بقبض اسرائيل ثلث اصابع الاشارة الى عدد ارسال عثمان او الاشارة الى صغر القدح. قال القسطلاني الحاصل انه كان عند ام سلمة شعرات من شعر النبي ﷺ في شيء يشبه الجلجل وكان الناس يستشفون بها من المرض فتارة يجعلونها في قدح من ماء ويشربونه وتارة في إجانة من الماء

[٢٩] قال الحافظ او شيء اَيْ مِن أيِّ مَرَضٍ كان وهو موصول من قول عثمان (فتح ١٣/٣٥٦).

فَقَالَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَقِعٌ فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ (بخاري ٣١/١ كتاب الوضوء).

عن جابر ﷺ قَالَ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ فَعَقَلْتُ (بخاري ٣٢/١ كتاب الوضوء) قال البخاري عن ابن شهاب الزهري قال أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ قَالَ وَهُوَ الَّذِي مَجَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَهُوَ غُلَامٌ مِنْ بِئْرِهِمْ وَقَالَ عُرْوَةُ عَنِ الْمِسْوَرِ وَغَيْرِهِ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوءِهِ (بخاري ٣١/١ كتاب الوضوء).

وأما سادسا فلأن قوله والاستعانة على السعادة الأخروية الخ مخالف لتقرير النبي ﷺ فقد ثبت عن رَبيعةَ بن كَعْبٍ أنه قال كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي سَلْ فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ(٣) قَالَ أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ قُلْتُ هُوَ ذَاكَ قَالَ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ (مسلم مشكوة ٨٤/١ باب السجود).

وقال الله تعالى وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا.

عن العتبي ﷺ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ وَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ الخ وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا لِذَنْبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ثُمَّ أَنْشَأَ يقول:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ فَغَلَبَتْنِي عَيْنِي فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ فَقَالَ يَا عُتْبِي إِلْحَقِ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَ غَفَرَ لَهُ (ابن كثير ٥٢٠/١، شرح المهذب ٢٧٤/٨) وظاهر انه لو كان شركا لما نقله الإمام النووي وابن كثير[٣١] في كتابهما.

شِرْكُ الْوَثَنِيِّينَ

وأما سابعا فلأن قوله هذا هو الشرك الذي كان عليه الوثنيون مردود ودعوى بلا دليل بل ثبت بالدليل أنهم كانوا يعتقدون الألهة والأرباب من دون الله ويعبدونها وما كانوا مؤمنين بالله الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ وبينه كما يدل قوله تعالى وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (الفرقان ٣) وقوله تعالى أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ[٣٢] إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (ص ٥-٧).

قال ابن اسحق واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره واذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله قال فلما بعث الله محمدا ﷺ

---

[٣١] وليس الاستدلال بالعتبي ولا بالاعرابي ولا بالرؤيا بل بنقل أمثال النووي تلك القصة ثم لم يعترضوا عليه بل أقروه وسكتوا عليه فثبت ان امثال العمل ليس بشرك عندهم بل صرح النووي في شرح المهذب في بيان صورة زيارة قبر النبي ﷺ باستحباب التوسل به والاستشفاع به كما سيأتي في باب التوسل.

[٣٢] فيه رد على من يقول إن مشركي العرب كانوا يدعون ويقولون ان الإله واحد ومع ذلك كانوا يستغيثون من غيره ولهذه الاستغاثة يقال في حقهم انهم اتخذوا آلهة لانهم يصرحون كما في هذه الآية بتعدد الالهة ويتعجبون من توحيدها ويدعون بكثرتها.

بالتوحيد قالت قريش ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (البداية والنهاية لابن كثير ١٩١/٢).

وقوله تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام ١٦٤). وقوله تعالى ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ (آل عمران ٨٠). فالمشركون كانوا يبغون الأرباب من دون الله ويجعلون الملئكة وغيرهم أربابا وقول النبي ﷺ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ يُقَالُ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللهُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ (متفق عليه مشكوة ٢٤/١). وأما الكافر فذكر ﷺ موته قال وَيُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهُ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي (أحمد – أبو داود – مشكوة ٢٦). فالكافر لم يعلم وحدة الرب ولم يعتقده وقال هاه هاه لا أدري. وقول زيد بن عمرو بن نفيل:

أَرَبًّا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبٍّ … أَدِينُ إِذَا تَقَسَّمَتِ الْأُمُورُ

تَرَكْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ جَمِيعًا … كَذَٰلِكَ يَفْعَلُ الرَّجُلُ الْبَصِيرُ[٣٣]

(بيضاوي ٤٣/١)

وأما قول المشركين"﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾" وقولهم ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ﴾ وقولهم ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ فما كانوا صادقين في أمثال هذه كما يدل عليه قوله تعالى ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (المؤمنون ٨٨) فصرح الله تعالى انهم كاذبون وايضا لو كانوا صادقين في ذلك لكان الله أجلَّ عندهم من آلهتهم وأربابهم وقد نهى الله تعالى المسلمين من سب آلهتهم بقوله تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ

---

٣٣ في الادلة المذكورة رد لمن يقول ان المشركين كانوا يقولون بوحدة الرب ومع ذلك كانوا يستغيثون من غير الله فلم يوجد منهم وحدة الألوهية.

رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأنعام ١٠٨) روى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عن قتادة ﷺ انه قال كان المسلمون يسبون أصنام الكافر فيسب الكفار الله عز وجل فأنزل الله تعالى وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ الخ.

فهذا سبب نزول هذه الآية فهي اذًا تَنْهى المؤمنين ان يعولوا كلمة نقص في آلهتهم التي يعبدها مشركوا العرب لأن قول تلك الكلمة يتسبب عنه غضب أولئك المشركين الذين يعتقدون من صميم قلوبهم أن معبودهم آلهة واذا غضبوا قابلوا المسلمين بالمثل فيسبون الله الذي يعبده المسلمون ويرمونه بالنقائص وهو المنزه عن كل نقص ولو كانوا صادقين بأن عبادتهم لآلهتهم تقربهم إلى الله زلفى ما اجترأوا أن يسبوه انتقاما ممن يسبون آلهتهم فان ذلك واضح جدا في ان الله تعالى في نفوسهم أقل من آلهتهم.

وكذلك قولهم في وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ "ما كانوا صادقين فيه فانه لو كان حقا لكان احترامه تعالى فوق احترامهم بتلك الآلهة وهل يتفق هذا مع شتمهم له عز وجل غيرةً على آلهتهم وانتقاما لها منه تعالى ان البداهة تحكم انه لا يتفق أبدا ويدل على أن الله عندهم أقل من آلهتهم أيضا قوله تعالى" وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ "فلو لا ان الله تعالى أقل في نفوسهم من تلك الآلهة ما رجحوها عليه هذا الترجيح الذي تحكيه هذه الآية واستحقوا عليه حكم الله عليهم بقوله" سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ "ويدل عليه أيضا قوله تعالى قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ

عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" فلو كانوا مؤمنين بالله الذي جاء به النبي ﷺ وداعين[٣٤] وعابدين له لا يجوز أن يقال لهم لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولو سلمنا أنهم كانوا صادقين فيه[٣٥] وان قائل هذا غير ذلك فاقرارهم بالله الذي هو الإله الأكبر على حسب زعمهم وربُ الأرباب ورئيسُ الآلهة على حسب مُعتقَدهم مع تقريرهم الآلهة من دونه وعبادتهم لها وجعل تلك الآلهة شركاء له تعالى في الإستقلال والإستبداد والتدبير والعبادة لا ينفي الشرك عنهم فقداً خرج ابن جرير من طريق جرير عن ابن عباس ﷺ [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى] أُنْزِلَتْ فِي ثَلَاثِ أَحْيَاءَ عَامِرٍ وَكِنَانَةَ وَبَنِي سَلَمَةَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَيَقُولُونَ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُهُ فَقَالُوا إِنَّمَا نَعْبُدُهُمْ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى (الدر المنثور ٧/٦١١) قَالُوا إِنَّ اللهَ خَطَبَ إِلَى سَادَاتِ الْجِنِّ وَزَوَّجُوهُ مِنْ سَرَوَاتِ بَنَاتِهِمْ قَالَ مُجَاهِدٌ قَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ وَأُمَّهَاتُهُمْ بَنَاتُ سَرَوَاتِ الْجِنِّ (بخاري[٣٦] ٤٦٥/١ باب ذكر الجن).

قال ابن كثير: ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به (ابن

---

[٣٤] فانهم كانوا يدعون الله في الفلك مخلصين له الدين كما ثبت في الآية وقال النبي ﷺ الدعاء هو العبادة وعلى هذا كانوا يعبدون الله فكيف التوجيه لِلاَ أَعْبُدُ ما تعبدون الخ. الا ان يجاب ان الله الذي يدعوه المشركون فالملئكة بناته عندهم فالله الذي يدعوه النبي ﷺ غير الله الذي يدعوه المشركون.

[٣٥] اي في جوابهم في الآية المتقدمة (ولئن سألتهم من خلق السموات الخ). وان قائل"ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى" غير المذكورين في"لا أعبد ما تعبدون"وفي"فيسبوا الله عدوا."

[٣٦] فيه دلالة على ان مرادهم بالبنات الحقيقة

كثير ٤/٤٥).

وقال الرازي وحاصل الكلام لعُبَّادِ الأصنام أن قالوا إن الإ لـهَ الأعظمَ أجلُّ من أن يعبده البشر لكن اللائق بالبشر أن يشتغلوا بعبادة الأكابر من عباد الله مثل الكواكب ومثل الأرواح السماوية ثم انها تشتغل بعبادة الإ له الأكبرِ فهذا هو المراد من قولهم مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ[٣٧] زُلْفَى (رازي ٢٦/٢٤١).

فالقائلون بانما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى هم القائلون بأن الملئكة بنات الله كما يدل عليه أيضا الآية المتصلة به وهي لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (الزمر ٤). وهم القائلون بأن الا له الأعظم لا يليق ان يعبده البشر ومع ذلك ينكرون الآخرة فلم يؤمنوا بالله الذي جاء به النبي ﷺ بل كانوا مؤمنين في مجلس الآلهة وجماعتهم وفيهم الإ لهُ الأكبرُ والنسبة بينه وبين بقية الآلهة كالنسبة بين الأب وأولاده أو كالنسبة بين المِلِكِ ووزيره لكل منهم قوة مستقلة قد يغلب بعضهم بعضا ولكل واحد منهم شفاعة قهرية[٣٨] فيما أَبَاهُ الآخرُ قال ابن كثير وأخبران الملئكة التي في السموات من الملئكة المقربين وغيرهم كلهم عبيدٌ خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا باذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأَبَوْهُ (ابن كثير ٤/٤٥).

قال الرازي وتلك الصفات التي تخيلوها في أصنامهم انها تضر وتنفع وتشفع عند الله بغير إذنه[٣٩] (رازي ١٧/٨٤) ولهذا قال الله

---

[٣٧] يفهم من كلام الرازي ان القائلين ليقربونا الى الله زلفى هم الذين يقولون ان الله هو الا له الاعظم فتحته آلهة أخرى.

[٣٨] اي الشفاعة بغير اذن الله كالشفاعة للوزير بغير اذن الملك

[٣٩] فيه دلالة على انهم كانوا يعتقدون في آلهتهم الاستقلال في النفع.

تعالى قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا[٤٠] (الاسراء ٤٢) وكذلك قولهم هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قال النسفي كانوا يقولون ان الملئكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله (تفسير النسفى ٤٣٥/٣) قال الرازي قالوا ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله تعالى بل نحن نشتغل بعبادة هذه الأصنام وانها تكون شفعاء لنا عند الله (رازي ٦٠/١٧) قال أبو السعود وتثبيتون له شريكا في الربوبية (ابو السعود ٧٤١/٥) قال شيخ زاده:إن مشركي العرب كانوا يعتقدون تعدد الأرباب والآلهة ويقولون باشتراك الجميع في استحقاق العبادة [شيخ زاده، حاشية البيضاوي تحت قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم] وقال أيضا وهو عندهم رب الأرباب وان آلهتهم شفعاء عند الله (شيخ زاده ١٧٩/١).

قال الرازي إن عَبَدَةَ الأوثان كانوا يقولون إن إلـهَ العالَمِ أجل وأعظم من أن يعبده الواحد منا بل نعبد الكواكب أو نعبد هذه الأصنام ثم ان الكواكب والأصنام عبيد الإله الأكبر الأعظم والدليل عليه العرف فان أصاغر الناس يخدمون أكابر حضرة الملِك وأولئك الأكابر يخدمون الملِكَ وكذا هنا (رازي ٢٠/٢٨).

ومن هذا القبيل قول أبي سفيان وأهلِه لما غلبوا في يوم أُحُدٍ اُعْلُ هُبَلُ وَلَنَا الْعُزَّىٰ وَلَا عُزَّىٰ لَكُمْ (روى البخاري) أَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ فَقَالَ لَا تُجِيبُوهُ فَقَالَ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ قَالَ لَا تُجِيبُوهُ فَقَالَ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قُتِلُوا فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ

---

[٤٠] وكذلك قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا – فانه اذا لم يوجد الاستقلال في التأثير لم يوجد الفساد.

اللهِ أَبْقَي اللهُ لَكَ مَا يُخْزِيكَ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ أُعْلُ هُبَلُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَجِيبُوهُ قَالُوا مَانَقُولُ قُولُوا اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَجِيبُوهُ قَالَ قُولُوا اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ (بخاري كتاب المغازى ٥٧٩/٧) ومن هذا القبيل قولهم فى طوافهم بالبيت الذى فيه أصنا مهم لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّاشَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ (مسلم ٣٧٦/١) وقال الرازى أيضا كانوا يقولون بأن الله تعالى فوض أمر الأرض والأرضيات إلى الكواكب التي الأصنامُ على صورها وطوالعها (رازى ١٢/٣٠٦)

فالحاصل أن بعض مشركى العرب الذين يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله"وهولاء شفعائنا عند الله وخلقهن العزيز كانوا معتقدين فى مجلس الآلهة وجماعتهم وفيهم الإ له الأكبر الأعظم.النسبةُ بينه وبين بقية الآ لهة كالنسبة بين الوالد وأولاده لكل منهم وجوب الوجود[٤١]والقوة المستقلة باعتبارٍ أو كالنسبة بين الملك ووزرائه لكل منهم قوة مستقلة وقد يمكن أن يغلب بعضهم على بعض عند مخاصمتهم كما أن الوالد وأولاده لكل منهم قوة مستقلة يمكن ان يغلب بعضهم على بعض وان كان الوالد هو المُوجِدَ والسببَ لأولاده وما تحتهم من الديار وسائر الأموال وان كان هذا الوالد هو المدبر وله الملكوت فى كل شيئ الأولادِ وما تحتهم فكذلك معبودات المشركين كل واحد منهم آلهة وأرباب لهم قوة مستقلة يضر وينفع ويشفع بغيرإذن الإله الأكبر كما أن الو لد يضر وينفع بغير إذن الوالد وكذلك الملك والوزراء لكل منهم قوة مستقلة يمكن أن يغلب

[٤١] لان الولد لا بد ان يكون فيه جزأ من الوالد ولا بد ان يكون هذا الجزأ واجبا ففي الولد جزأ من وجوب الوجود فثبت الفرق في العبارة والمعبر بين اعتقاد المسلمين في الملئكة والانبياء والاولياء وبين اعتقاد المشركين في آلهتهم كالفرق بين السماء والارض.

بعضهم على بعض وان كان للملك ملكوت كل شيئ فى الوزراء وغيرهم ومع ذلك يضر الوزير وينفع بغيراذن الملك ويشفع فيما يرضاه الملك ويأباه وهذا هو شرك بعض مشركى العرب المقرين بألسنتهم فى الظاهر بالله الذي هو رب الأرباب عندهم ولهذا قال الله تعالى مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ (المؤمنون /٩١). قال صاحب زبدة التفاسير نفسه: يدل على نفي الولد لأن الولد ينازع أباه في ملكه (زبدة التفاسير ٤٥٦).

وليس للمسلمين اعتقاد أمثال هذا بل يعتقدون بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء فى حياتهم وبعد وفاتهم وهذه المعجزات والكرامات وسائر الأفعال كلها تكون بإذنه تعالى وإرادته وليس للأنبيآء والأولياء وسائر العباد قدرة مستقلة لفعل من الأ فعال عاديا كان أو غير عادى وهذا هو عين التوحيد وليس فيه شيئ من الشرك فالتوحيد اعتقاد عدم الشريك فى وجوب الوجود كما قال عبد الحكيم السيا لكوتى وهو المراد بقول سعد الدين التفتازانى: التوحيد اعتقاد عدم الشريك فى الأ لوهية وخواصها. اهـ

أَلرَّبُّ وَالإِلٰهُ وَالْعِبادَةُ

الرب من يُبلِّغ الشيئَ إلى كما له شيئا فشيئا والإلـــهُ المعبـودُ والعبـادةُ أقصى غاية الخضوع قال صاحب المفردات،الـــرب فى الأصـل التربيـة وهـو انشاء الشئ حالا فحالا إلى حد التمــام (المفـردات ١٨٤).

قال البيضاوى الرب فى الأصل بمعنى التربيـة وهـي تبليـغ الشـيء إلى كما له شيئـا فشيئـا ثم وُصِـفَ (الله) بـه للمبالغـة (بيضـاوى ٦/١) قـال صاحب النهاية،الرب يطلق فى اللغـة علـى المـالك والسـيد والمدبـر (نهايـة ١٨٠) وظاهر ان كل واحد منهم يُبلغ ما تحته مـن المملـوك والعبـد والمدبَّـر إلى كما له شيئا فشيئا فهو ربهم باعتبار السبب قال الـــرازى "والله تعـالى إلـه العالمين من حيث إنه هو الذي أخرجـــها مـن العـدم إلى الوجـود وهـو رب العالمين من حيث إنه هــو الـذى يُبقيـــها حـالَ دوامـــها واســتقرارها (رازى ٢٢٩/١)

وقال ايضا ان تربيته تعالى مخالِفة لتربية غيره وبيانــــه مــن وجـوه.الأول ما ذكرناه انه تعالى يربى عبيده لا لغرضٍ نفسِيه بــل لغرضــهم وغــيره يربــون لغرض أنفسهم لا لغرض غيرهم الثانى ان غــيره اذا ربى فبقــدر تلــك التربيــة يظهر النقصان فى خزائنه وفى ماله وهو تعالى متعـــال عــن النقصـــان والضـــرر كما قال تعالى (وَإِن مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَــــزِّلُهُ إِلاَّ بِقَــدَرٍ مَعْلُــومٍ) الثالث ان غيره من المحسنين اذا أَلَحَّ الفقيرُ عليه أبغضه وحرمــــه ومنعـــه والحــق تعالى بخلاف ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام إِنَّ اللهَ تَعَـــالىٰ يُحِـــبُّ الْمُلِحِّـينَ فِى الدُّعَاءِ الرابع ان غيره من المحسنين ما لم يطلب منـــه الاحســـان لم يعــط أمــا الحق تعالى فانه يعطى قبل السؤال ألا ترى أنه رباك حال مـــا كنــت جنينــا فى رحم الأم وحال ماكنت جاهلا غير عـــاقل لا تُحسِــن أن تســال منـــه ووقـــاك وأحسن إليك مع أنك ما سألته وما كان لـــك عقــل ولا هدايــة الخـامس ان

غيره من المحسنين ينقطع إحسانه إما بسبب الفقر أو الغيبة أو الموت والحق تعالى لا ينقطع إحسانه ألبتة السادس إن غيره من المحسنين يختص إحسانه بقوم دون قوم ولا يمكنه التعميم أما الحق تعالى فقد وصل تربيته وإحسانه إلى الكل قال (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) فثبت انه تعالى رب العالمين ومحسن إلى الخلائق أجمعين فلهذا قال تعالى في حق نفسه اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ (رازى ١/٢٣٠) وقال في موضع آخر إن المُحْسِنَ في الظاهر إما اللهُ أوغيْرُه فان كان غيْرَه فذلك الغيرلا يحُسن إلا إذا خلق الله في قلبه داعيةَ الإحسانِ فالحق سبحانه وتعالى هو المحسن في الحقيقة (رازى ١/١٦١) وظاهر ان كل مرب ليس ربا على الإطلاق في عرف العرب ولا في عرف الكتاب والسنة بل لابد أن يكون على وجه مخصوص بحيث يكون أقصى الغايات كما سيأتي.

اَلْإِلٰـهُ

قال الإمام الرازي ان الإلٰه هو المعبود سواء عُبِد بحق أو بباطل ثم غَلَبَ في عرف الشرع على المعبود بالحق (رازي ١/١٥٨) وقال ابن حجر رح وهو (إله) اسمُ جنسٍ لكل معبود (تحفة ١/٧).

قال الرازى،من الناس من طعن في قول من يقول الإلٰه هو المعبود من وجوه منها أنه تعالى إله الجمادات والبهائم مع ان صدور العبادة منها محال ومنها أن الله تعالى إله المجَانِينَ والأطفالِ مع انه لا تصدر العبادة منهم ومنها انه تعالى ما كان الها في الأزل ومن الناس من قال الا له ليس عبارة عن المعبود بل الا لسه هو الذي يستحق ان يكون معبودا وهذا القول أيضا يرد عليه أن لا يكون إلها للجمادات والبهائم والأطفال والمجانين وأن لا يكون إلها في الأزل ومنهم من قال انه القادر على أفعال لو فَعَلَها لَاسْتحقَ العبادةَ ممن يصحّ صدور العبادة عنه (رازي باختصار ١/١٥٩) قال صاحب القاموس أَلِهَ

إِلَهَةً وأُلوهة والوهية عبد عبادة وكل ما اتُّخِذ معبودا إلٰهٌ عند متخذِه (قاموس ٤/٢٨٠).

وقال الرازي،التفسير الثاني الإ له مشتق من أَلِهْتُ إلى فلان اي سكنت اليه الخ. التفسير الثالث انه مشتق من الوَلَهِ وهو ذهاب العقل الخ التفسير الرابع انه مشتق من لاَهَ اذا ارتفع والحق سبحانه تعالى هو المرتفع عن مشابهة الممكنات الخ. التفسير الخامس من أَلَهَ في الشيء اذا تحيّر فيه ولم يهتد إليه فالعبد اذا تفكّر فيه تحيّر الخ. التفسير السادس من لاَهَ يَلُوهُ اذااحْتَجَبَ الخ. التفسير السابع اشتقاقه من أَلِهَ الفصيلُ اذا أُولِع بأمه والمعنى ان العباد موِلهون مُولَعون بالتضرع اليه في كل الأحوال ويدل عليه أمور. الاول ان الانسان اذا وقع في بلاء عظيم وآفة قوية فهنالك ينسى كل شيء الاّ الله تعالى فيقول بقلبه ولسانه يا رب يارب فاذا تخلص عن ذلك البلاء وعاد إلى منازل الآلاء والنعماء أخذ يضيف ذلك الخلاص إلى الأسباب الضعيفة والأحوال الخسيسة وهذا فعل متناقض لأنه ان كان المُخلِصُ عن الآفات والموْصِل إلى الخيرات غير الله وجب الرجوع في وقت نزول البلاء إلى غير الله وان كان مصلح المهمات هو الله تعالى في وقت البلاء وجب أن يكون الحال كذلك في سائر الأوقات وأما الفزع إليه عند الضرورات والإعراض عنه عند الراحات فلا يليق بأرباب الهدايات.

والثاني ان الخير والراحة مطلوب من الله تعالى والثالث ان المحسن في الظاهر إما الله أو غيره فاذا كان غيره فذلك الغير لا يحْسن إلا اذا خلق الله في قلبه داعية الاحسان فالحق سبحانه وتعالى هو المحسن في الحقيقة[1]

[1] فالتربية الحقيقية هي المختصة بالله تعالى فالرب على الاطلاق هو المربي الحقيقي وهو المربي بالاستقلال بدون اذن أحد فمن اعتقد في شيء انه نافع بالذات على الوجه المخصوص يقال في حقه انه اتخذه ربا واما قوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون. فقال الرازي فيها تفسيرين

والمحسن مرجوع اليه في كل الأوقـــات والخلـــق مشغوفـــون بـــالرجوع إليـــه التفسير الثامن ان اشتقاق لفظ الإ له من أَلِهَ الرجل يألَـــه اذا فـــزع مـــن أمـــر نزل به فَأَلَهَهُ أي أجَارَه والمجير لكل الخلائق من كـــل المضـارّ هـــو الله ســـبحانه وتعالى لقوله تعالى وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ولأنه هو المنعـــم لقولـــه تعـــالى وَمَـــا بِكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ولأنه هو المطعم لقولـــه تعـــالى وَهُـــوَ يُطْعِـــمُ وَلَا يُطْعَـــمُ ولانه هو الموجد لقوله تعالى قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللهِ فـــهو ســـبحانه وتعـــالى قـــهار للعدم بالوجود والتحصيل جبـــار لهـــا بـــالقوة والفعـــل والتكميـــل فكـــان في الحقيقة هو الله ولا شيء ســـواه (رازي باختصـــار ١/١٥٩، ١٦٢).

أحدهما ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهـــة العـــالم بـــل المـــراد انهـــم أطـــاعوهم في أوامرهم ونواهيهم. نقل ان عدى بن حاتم كان نصرانيـــا فانتـــهى الى رســـول الله صلـــى الله عليـــه وسلم وهو يقرأ سورة برآئة فوصل الى هذه الآية قال فقلت لسنا نعبدهم فقـــال أليـــس يحرمـــون مـــا أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلـــى قـــال فتلـــك عبـــادتهم وقـــال الربيـــع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل فقـــال انهـــم رُبَمَـــا وجـــدوا في كتـــاب الله ما يخالف اقوال الاحبار والرهبان فكانوا يأخذون بـــأقوالهم ومـــا كـــانوا يقبلـــون حكـــم كتـــاب الله والتفسير الثاني في هذه الربوبية انه الجُهّالُ والحشوية اذا بالغوا عن تعظيـــم شيخـــهم وقدوتهـــم فقـــد يميل طبعهم الى القول بالحلول والإتحاد (رازي ١٦/٣٧). فيمكـــن ان يعتقـــدوا فيـــهم أنهـــم يحـــل فيهم صفة من أوصاف آلهتهم الثلثة في الحالة المخصوصة فما يحكمونـــه في تلـــك الحالـــة ليـــس مـــن عند أنفسهم بل من تلك الآلهة فهذا الحكـــم مُســـلَّم عنـــد جميعـــهم فـــهم يعتقـــدون في الاحبـــار والرهبان انهم نافعون بالاستقلال بنوع اعتبارٍ فهم مســـتحقون لحكـــم عندهـــم وهـــذا كمـــا يعتقـــد بعض الهنود في رؤسائهم فيما يقول هذه الرؤساء في الحالة المجذوبة مـــن أعيـادهم ليـــس مـــن عنـــد أنفسهم بل من آلهتهم ولا يلزم هذا على الوحي الا اذا كانت الملئكة أربابـــا ويمكـــن ان يقـــال انهـــم اتخذواهم أربابا حيث اعتقدوا فيهم استحقاقا لإ نشاء الحكـــم مـــن عنـــد أنفســـهم ونفعـــا وتربيـــة بالذات بهذا الاعتبار ولا يلزم هذا علـــى المقلديـــن في أئمتـــهم لأنهـــم يبينـــون أحكـــام الله تعـــالى لا ينشئون الأحكام من عند أنفسهم وسيأتي في حديث حجة الوداع انـــه صلـــى الله عليـــه وســـلم قـــال ان الشيطان قد أَيِسَ أن يُعْبَدَ في بلدكم هذا أبدا ولكن ســـتكون لـــه طاعـــة (ترمـــذي وأبوماجـــه). ففيه الرد على من يقول ان كل طاعة عبادة ولا تنافي بين تفسيري الـــرازي بـــل يجمـــع بينـــهما.

وعبر البيضاوي عن كل من هذه التفاسير غير الأول بقيل وظاهر أنه لا يقال في عرف العرب جعل الشيء إلها بكل من يسكن اليه وبكل مرتفع وبكل ما تحير العقل فيه وبكل محتجب وبكل متضرع اليه وبكل مجير بل لا بد أن يوجد المذكور على وجه مخصوص بحيث ان يكون في أقصى الغاية وليس الفرق باعتبار العادي وغير العادي كما هو ظاهر من كلام الرازي فيما سبق حيث قال ان المحسن في الظاهر إما الله أو غيره فان كان غيره فذلك الغير لا يحسن إلا إذا خلق الله في قلبه داعية الاحسان فالحق سبحانه وتعالى هو المحسن في الحقيقة الخ فالمعتبر فيمن يسكن اليه والمتضرع اليه والمجير ان يكون محسنا في الحقيقة فالاعتبار بالاحسان بالاستقلال بلا اذن أحدٍ وحيث قال الرازي ولأنه هو المطعم لقوله تعالى وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ بل الفرق باعتبار كونه أقصى الغاية وعدم كونه كذلك فيقال جعل الشيء إلها اذا سكن اليه وتضرع اليه وجعله مجيرا في أقصى الغاية وذلك لا يتصور الا اذا اعتبر النفع بالاستقلال بوجهٍ ما فالإله في الحقيقة بمعنى المعبود ولما ثبت ان معنى الا له المعبود وجب علينا بيان معنى العبادة.

أَلْعِبَادَةُ

فالعبادة في اللغة كل فعل يؤتى به بأقصى غاية التذلل ويدخل فيه جميع أعمال القلوب والجوارح وفي عرف الشرع كل فعل يأتي به العبد لمجرّد الله تعالى[٢] ويدخل فيه أيضا جميع أعمال القلوب وأعمال الجوارح

[٢] في رد المحتار لابن عابدين من ائمة السادة الحنفية ما نصه قال شيخ الإسلام ان الطاعة فعل ما يثاب عليه توقف على نية او لا عرف من يفعله لاجله اولا والقربة فعل ما يثاب عليه بعد معرفة من يتقرب اليه به وان لم يتوقف على نية والعبادة فعل ما يثاب على فعله ويتوقف على نية فالصلاة الخمس والصوم والزكاة والحج ونحوها من كل ما يتوقف على النية قربة وطاعة

ويدل عليه نص العلماء قال البيضاوي. والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق مُعَبَّدٌ أي مذلّل وثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصَفَاقَةِ ولذلك لا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى ٨/١) وكتب عليه العلامة عبد الحكيم قوله أقصى غاية الخضوع والتذلل أي العبادة في أصل اللغة بمعنى الخضوع البالغ للنهاية فان للخضوع حدودا ونهاياتٍ ولفظ الغاية شامل لها لكونه اسم جنس مضافا انتهى. وقال أبو السعود. العبادة أقصى غاية التذلل والخضوع ١٣/١. وقال النسفى وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل ٣٨/١ وقال الرازي العبادة عبارة عن الاتيان بأكمل وجوه التعظيم ٤٧٦/٧. وقال الخازن. عبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتي به العبد لمجرّد الله تعالى ويدخل فيه جميع أعمال القلوب وأعمال الجوارح (خازن تحت قوله وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) ونقل صاحب الجمل ولكنّها (العبادة) في الشرع صارت اسما لكل طاعة أدّيت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم (أبو السعود جمل ٥٦١/٤). وفي المجموع اختلف العلماء في حدّ العبادة فقال الأكثرون العبادة الطاعة لله تعالى وذكر المصنف (الشيخ أبو اسحق الشيرازي) خلافا في العبادة وقال العبادة والتعبّد والنسك بمعنى وهوالخضوع والتذلل فحق العبادة ما تعبّدنا به على وجه القربة والطاعة وقال إمام الحرمين العبادة فعل يكلفه الله عباده مخالفا لما يميل إليه الطبع على سبيل الإبتلاء وقال الماوردي العبادة ما ورد التعبّد به قربة لله تعالى (شرح المهذب).

وظاهر أنه لا خلاف في المعنى بل هو اختلاف لفظي حاصل كلّ واحد من العبارات واحدٌ وكل فعل يأتي به العبد لِلهِ تعالى عبادة شرعية وأقصى غاية الخضوع هو المعنى اللغوي العرفي العامّي وهذا المعنى هو المراد

وعبادة وقراءة القرآن والوقف والعتق والصدقة ونحوها مما لا يتوقف على نية قربة وطاعة لا عبادة والنظر المؤدى الى معرفة الله تعالى طاعة لا قربة ولا عبادة (ترشيح المستفيدين ١٠٢).

في أمثال قوله تعالى إِيَّاكَ نَعْبُدُ الخ وَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ الخ ويعبدون من دون الله وظاهر أن الخضوع والتذلل منه ما هو عادى وليس بعبادة ومنه ما يبلغ مرتبة أقصى الغاية وهي العبادة ولا يجوز فعلها إلا لله تعالى فوجب علينا بيان ما هو حد أقصى الغاية وما هو مداره وما هو مرجعه.

أَلْخُضُوعُ الْعَادِيُّ وَغَيْرُ الْعَادِيِّ

واعلم أن تواضع الوالدين باعتبار تربيتهما ورحمتهما للولد مأمور في الشرع قال الله تعالى وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (اسراء) فخفض جناح الذل والتواضع لهما باعتبار تربيتهما ورحمتهما ليس بعبادة لهما وان كان هذا التواضع غاية الخضوع ما لم يكن أقصاه روى البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر عن النبي قَالَ بَيْنَمَا ثَلٰثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَمَالُوا إِلَىٰ غَارٍ فِي الْجَبَلِ فَانْحَطَّتْ عَلىٰ فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أُنْظُرُوا أَعْمَالاً عَمِلْتُمُوهَا لِلّٰهِ صَالِحَةً فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا فَقَالَ أَحَدُهُمْ أَللّٰهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعىٰ عَلَيْهِمْ فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي وَانَّهُ قَدْ نَأىٰ بِي الشَّجَرُ فَمَا أَتَيْتُ حَتّٰى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلِبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ دَأْبِي وَدَأْبُهُمْ حَتّٰى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرىٰ مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَّجَ اللهُ لَهُمْ حَتّٰى يَرَوْنَ السَّمَاءَ الحديث متفق عليه (مشكوة ٢/٤٢٠ في باب البر والصلة).

فيؤخذ من هذا الحديث أن تواضع الولد لوالديه وان كان غايته

كما في صاحبِ هٰذَا الحديثِ لا يكون عبادة لهما[٣] وإلا لا يستجاب له بالتوسل بهذه العبادة وكذا التواضع للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه باعتبار رحمته الدنيوية والأخروية منه لا يكون عبادة له فانه مأمور بالآيات والأحاديث ويدل على رحمته قوله تعالى بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (التوبة) ورحمته بالمعجزات الصادرة منه من حيث كونه سببا كثيرة شهيرة روي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قَالَ إِنَّكُمْ تَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَاللهُ الْمَوْعِدُ وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغُلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغُلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا أَلْزَمَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هٰذِهِ ثُمَّ يَجْمَعَهُ إِلَى صَدْرِهِ فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي شَيْئًا أَبَدًا فَبَسَطْتُ نَمِرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرُهَا حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ ﷺ مَقَالَتَهُ ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ ذٰلِكَ إِلَى يَوْمِي هٰذَا[٤] (متفق عليه مشكوة ٥٣٥ باب في المعجزات).

وعن أنس قال كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوسًا بِزَيْنَبَ فَعَمِدَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى تَمْرٍ وَسَمْنٍ وَأَقِطٍ فَصَنَعَتْ حَيْسًا فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ (إناء كالقدح) فَقَالَتْ يَا أَنَسُ إِذْهَبْ بِهٰذَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْ بَعَثَتْ بِهٰذَا إِلَيْكَ أُمِّي وَهِيَ تُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَتَقُولُ إِنَّ هٰذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللهِ فَذَهَبْتُ فَقُلْتُ فَقَالَ ضَعْهُ ثُمَّ قَالَ إِذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا رِجَالًا سَمَّاهُمْ وَادْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ فَدَعَوْتُ مَنْ سَمَّى وَمَنْ لَقِيتُ فَرَجَعْتُ فَإِذَا الْبَيْتُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ (ممتلئ) قِيلَ

---

[٣] لا يقال لم يكن عبادة لان الله أمر بهذا لانا نقول امره تعالى بذلك يدل على انه ليس بعبادة لقوله تعالى وقضي ربك ان لا تعبدوا الا اياه.

[٤] فيه اغاثة النبي ﷺ لأبي هريرة بالطريق الغيبي.

لِأَنَسٍ عَدَدُكُمْ كَمْ كَانُوا قَالَ زُهَاءَ ثَلْثِمِائَةٍ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَضَعَ يَدَهُ عَلىٰ تِلْكَ الْحَيْسَةِ وَتَكَلَّمَ بِمَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشْرَةً عَشْرَةً يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَقُولُ لَهُمْ اذْكُرُوا اسْمَ اللهِ وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ قَالَ، فَأَكَلُوا حَتّىٰ شَبِعُوا فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ حَتّىٰ أَكَلُوا كُلُّهُمْ[٥] قَالَ لِي يَا أَنَسُ إِرْفَعْ فَرَفَعْتُ فَمَا أَدْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رَفَعْتُ متفق عليه (مشكوة ٥٣٨).

وعن جابر ﷺ قَالَ عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ قَالُوا لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَنَشْرَبُ إِلاَّ مَا فِي رَكْوَتِكَ فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ[٦] قَالَ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قِيلَ لِجَابِرٍ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً (متفق عليه، مشكوة ٥٣٢).

وعن جابر ﷺ قَالَ غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا عَلىٰ نَاضِجٍ قَدْأَعْيٰ فَلَا يَكَادُ يَسِيرُ فَتَلَاحَقَ بِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ مَا لِبَعِيرِكَ قُلْتُ قَدْعَيِيَ فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَزَجَرَهُ فَدَعَا لَهُ فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِبِلِ قُدَّامَهَا يَسِيرُ فَقَالَ لِي كَيْفَ تَرٰى بَعِيرَكَ قُلْتُ بِخَيْرٍ قَدْ

---

[٥] ففيه اطعام النبي ﷺ الصحابة بالطريق الغير العادي وان كان المطعم في الحقيقة هو الله كما تقدم في عبارة الرازي فليس الفرق بين رحمة الله تعالى ورحمة النبي ﷺ بالعادى وغير العادى بل الفرق بالحقيقة والظاهر فالنبي ﷺ رحيم في الظاهر وبالحقيقة هو الله تعالى وكذا في الأحاديث الآتية وظاهران هذه المعجزات ليست من الاتفاقيات بل بالعقد والاختيار وسيأتي البحث عن ذلك في باب المعجزة والكرامة.

[٦] وظاهر انا اذا رأينا من شخص أمثال هذه الغيبيات الغير العادية نعظمه غاية التعظيم ولكن لا يكون هذا التعظيم عبادة لانا لا نعتقد فيه الاستقلال بدون اذن الله تعالى.

أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ[٧] (متفق عليه، مشكوة ٥٣٩).

وعن سلمة بن الأكوع قَالَ غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا فَوَلَّى صَحَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا غَشُوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُم فَقَالَ شَاهَتِ الْوُجُوهُ فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلاَّ مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ فَهَزَمَهُمُ اللهُ وَقَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ (رواه مسلم، مشكوة ٥٣٤).

وعن البراء بن عازب قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِأَةً يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَالْحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهَا فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا ثم صَبَّهُ فِيهَا ثُمَّ قَالَ دَعُوهَا سَاعَةً فَأَرْوَوْا أَنْفُسَهُمْ وَرِكَابَهُمْ حَتَّى ارْتَحَلُوا (رواه البخاري، مشكوة ٥٣٢).

وعن عوف عن أبي رجاء عن عمران بن حصين قَالَ كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَاشْتَكَى[٨] إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ فَنَزَلَ فَدَعَا فُلاَنًا كَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو رَجَاءٍ وَنَسِيَهُ عَوْفٌ وَدَعَا عَلِيًّا فَقَالَ إِذْهَبَا فَابْتَغِيَا الْمَاءَ فَانْطَلَقَا فَتَلَقَّيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَوْسَطِيحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ فَفَرَغَ فِيهِ مِنْ

---

[٧] دليل واضح على ان ليس المراد بالبركة الاستروواح واظهار السرور العادى بل هي حاصلة بالطريق الغيبي.

[٨] دليل لجواز الاستغاثة والشكاية الى الصالحين لما نزل من الضرر ولا تكون هذه الشكاية دعاء وعبادة فان قلت المراد بالشكاية طلب الدعاء من النبي ﷺ اقول لا يلزم ان يكون المراد طلبا الدعاء لانهم رأوا من النبي ﷺ معجزات كثيرة بالقصد والاختيار ولو سلم فالمراد بالاستغاثة حصول المعونة سواء كان بالدعاء او غيره.

أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ[٩] وَنُودِيَ فِي النَّاسِ اِسْقُوا فَاسْتَقَوْا قَالَ فَشَرِبْنَا عِطَاشًا أَرْبَعِينَ رَجُلاً حَتَّى رَوِينَا فَمَلَأْنَا كُلَّ قِرْبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةً وَايْمُ اللهِ لَقَدْ أُقْلِعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلْئَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَئَ (متفق عليه، مشكوة ٥٣٣).

وعن أنس ﷺ إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَزِعُوا مَرَّةً فَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ بَطِيئًا وَكَانَ يَقْطِفُ[١٠] فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ وَجَدْنَا فَرَسَكُمْ هٰذَا بَحْرًا فَكَانَ بَعْدَ ذٰلِكَ لَا يُجَارِي وفي رواية فَمَا سُبِقَ بَعْدَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ (رواه البخاري، مشكوة ٥٣٦).

وعن جابر قال تُوُفِّيَ أَبِي وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَعَرَضْتُ عَلَى غُرَمَائِهِ أَنْ يَأْخُذُوا التَّمْرَ بِمَا عَلَيْهِ[١١] فَأَبَوْا فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي اُسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ دَيْنًا كَثِيرًا وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ فَقَالَ لِي اذْهَبْ فَبَيْدِرْ[١٢] كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَةٍ فَفَعَلْتُ ثُمَّ دَعَوتُهُ فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ كَأَنَّهُمْ أُغْرُوا[١٣] بِي تِلْكَ السَّاعَةَ فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ طَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَرًا ثَلٰثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ اُدْعُ لِي أَصْحَابَكَ فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللهُ عَنْ وَالِدِي أَمَانَتَهُ وَأَنَا أَرْضَى أَنْ يُؤَدِّيَ اللهُ أَمَانَةَ وَالِدِي وَلَا أَرْجِعَ إِلَى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ فَسَلَّمَ[١٤] اللهُ الْبَيَادِرَ كُلَّهَا وَحَتَّى أَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدَرِ الَّذِي

---

[٩] مزادتين اناثين من الماء وهي في الاصل اسم لما وضع فيه الزاد السطيحة نوع من المزادة. القلع عنها اي كف عنها.

[١٠] تتقارب خطاه

[١١] اي بمقابلة ما عليه من الدين ان يأخذوا التمر في البستان

[١٢] اي اجمع كل نوع صبرة على حدة امر من بيدر الطعام اذا داس في البيدر وهو الموضع الذي يُداسُ فيه الطعام.

[١٣] بصيغة المجهول اي ألحوا في مطالبتي ظنا منهم انه ﷺ يامرهم بحط بعض الدين.

[١٤] يمكن ان ينقلب الهواء مثلا تمرة كما يجوزان ينقلب ماء فيما تقدم. فان قلت ليس للنبي صلى الله عليه وسلم في امثال هذه المعجزات قدرة فوق القدرة العادية فهذه المعجزات بمجرد

كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّهَا لَمْ تَنْقُصْ تَمْرَةٌ وَاحِدَةٌ (رواه البخاري، مشكوة ٥٣٧).

وعن أنس قال قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ

خلق الله وليس لكسب النبي ﷺ دخل فيه لقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم ولأن تعريف المعجزة أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة فالظهور بخلق الله لا بكسب النبي فهي أمر يَظْهَرُ لأَمْرٌ يُظْهِرُهُ النبي ﷺ. أقول المعجزة والكرامة قد توجد بالقصدِ والا ختيار وقد توجد بلا قصد واختيار كما سيأتي في بابهما ولتعميم النوعين قيل امر يظهر بخلاف العادة ولا يلزم من الاية المثلية في كل شيئ كما يدل عليه تقديم الآية بقل فان كل احد من الانسان لـا يَصْلُح ان يَنّزِل عليه الوحيُ بقُلْ وكما يدل عليه قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ولا يلزم من هذه الآية ان يكون الإنسان مثل الجاموس في كل شيئ ولأن النبي ﷺ يرى ما لا يراه الناظرون ويسمع ما لا يسمعه السامعون كما في حالة الوحي وكما تقدم في قول عائشة رض في كشف الجنة والنار في حديث الكسوف وفي كشف بيت المقدس ولان النبي ﷺ أسرى وعرج بجسده مسافة بعيدة بزمن قليل ولو كان جسده كسائرِ الجسد لا حترق بمصادمة الهواء وروى البخاري عن انس قال كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال قلت لانس أوَ كان يُطيقه قال كنا نتحدث انه أُعطي قوة ثلاثين (بخاري ٢٦٨). قال الحافظ في رواية من رجال أهل الجنة وفي رواية قوة اربعين وفي رواية ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة مأة قال الحافظ فعلي هذا يكون حساب قوة نبينا ﷺ اربعة آلاف (فتح الباري ٣٥/٢). وتقدم في عبارة الغزالي ونقله الحافظ وسكت عليه ان النبي ﷺ له قوة لعلم الغيب وغيره واما الظهور بخلق الله فهو ثابت في العادي وغيره كما سيأتي في قدرة الإنسان وإستطاعته واما نفي الكسب والقدرة بمعنى سلامة الأسباب والآلات فيعارضه الأدلة المتقدمة واما قولنا في التعريف على يد مدعي النبوة فالمراد باليد القدرة وكونه سببا لان معدوم اليد فيوجد منه المعجزة والكرامة. ولا يلزم من ثبوت الخصائص للنبي ﷺ كونه إلها والا كانت الملئكة آلهة لان لهم قوة غيبية وغير عادية بالنسبة الى الانسان ولو سلم فكونه ﷺ سببا للمعجزة التي هي امر غير عادي لا ينكره أحد ولا بد يوجد التعظيم بهذا الاعتبار ايضا ولا

فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا[١٥] لَهَا فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلَاثَتْنِي بِبَعْضِهِ ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ بِطَعَامٍ قُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ قُومُوا فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ فَقَالَتْ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ قَالَ ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثُمَّ قَالَ ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ ثُمَّ لِعَشَرَةٍ فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا (متفق عليه).

وفي رواية لمسلم أَنَّهُ قَالَ ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ فَدَخَلُوا فَقَالَ كُلُوا وَسَمُّوا اللهَ فَأَكَلُوا حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِثَمَانِينَ رَجُلًا ثُمَّ أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَهْلُ الْبَيْتِ وَتَرَكَ سُؤْرًا وفي رواية للبخاري قَالَ أَدْخِلْ عَلَيَّ عَشَرَةً حَتَّى عَدَّ أَرْبَعِينَ ثُمَّ أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ هَلْ نَقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ وفي رواية لمسلم ثُمَّ أَخَذَ مَا بَقِيَ فَجَمَعَهُ ثُمَّ دَعَا فِيهِ بِالْبَرَكَةِ فَعَادَ كَمَا كَانَ فَقَالَ دُونَكُمْ هَذَا (مشكوة ٥٣٧).

وعن أنس قال أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ

---

[١٥] الخمار ما تستر به المرأة رأسها وقوله ثم دسته اي أخفته تحت إبطي والدس الإخفاء وقوله ولا ثتني من اللوث وهو عصب العمامة اي عممتني اي غطت ببعض الخمار رأسي يعني لففت بعضه على رأس وبعضه على ابطي.

فَجَعَلَ ٱلْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ ٱلْقَوْمُ قَالَ قَتَادَةُ قُلْتُ لِأَنَسٍ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ ثَلَٰثِمِائَةٍ أَوْ زُهَاءَ ثَلَٰثِمِائَةٍ (متفق عليه، مشكوة ٥٣٧).

وعن عبد الله بن مسعود قَالَ كُنَّا نَعُدُّ ٱلآيَاتِ بَرَكَةً[١٦] وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَقَلَّ ٱلْمَاءُ فَقَالَ أُطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ فَجَاؤُا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي ٱلإِنَاءِ ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى ٱلطَّهُورِ ٱلْمُبَارَكِ وَٱلْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ وَلَقَدْ رَأَيْتُ ٱلْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ ٱلطَّعَامِ وَهُوَ يُوكَلُ (رواه البخاري مشكوة ٥٣٨).

وعن أبي هريرة قال لَمَّا كَانَ يَوْمُ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ الله لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ فَقَالَ نَعَمْ فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبُسِطَ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ وَيَجِيءُ ٱلآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ وَيَجِيءُ ٱلآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ شَيْءٌ يَسِيرٌ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي ٱلْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَأُوهُ قَالَ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضُلَتْ فَضْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ[١٧] لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ ٱلْجَنَّةِ (رواه مسلم مشكوة ٥٣٨).

ويدل على رحمة النبي ﷺ في الآخرة أحاديث الشفاعة الكبرى التي رواها البخاري ومسلم وغيرهما ولم ينكرها أحد من المسلمين وحديث البخاري يُخْرَجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ (بخاري ٢/٩٧٢) وأما

---

١٦ قيل اراد ابن مسعود بذلك ان عامة الناس لا ينفع فيهم الا الآيات التي نزلت بالعذاب والتخويف وخاصتهم يعنى الصحابة كان ينفع فيهم الآيات المقتضية للبركة. حاصله ان طريق الخواص مبنى على غلبة المحبة والرجاء وسبيل العوام مبني على كثرة الخوف والعناد.

١٧ فيه ايماء الى ان الإعتقاد بخصوصية النبي ﷺ سبب لزيادة الإيمان ولا يكون سببا للشرك اصلا ووجود الدعاء في بعض المواضع لا يوجب وجوده في جميع المواضع ولا يكون دليلا على ان كل معجزة استجابة دعاء.

تعظيمه صلى الله عليه وسلم فمأمور بقوله تعالى يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولٰٓئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوٰى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتّٰى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (الحجرات).

ويدل على أن الصحابة ﷺ كانوا يعظمون النبي غاية التعظيم قول سهيل لكفار قريش في صلح الحديبية وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلٰى قَيْصَرَ وَكِسْرٰى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا (بخاري ٢٧٩/١ كتاب الشروط).

وكذا قول سهيل وَمَا يُحِدُّونَ (الصحابة) النَّظَرَ إِلَيْهِ (محمد ﷺ) تَعْظِيمًا لَهُ (بخاري ٢٧٩/١).

أَقْصٰى غَايَةِ الْخُضُوعِ

فأمثال هذا التعظيم للأنبياء والأولياء باعتبار المعجزات والكرامات الصادرة منهم بطريق غيبي غير عادي لا يكون عبادة لهم ولا يكون أقصى غاية الخضوع لهم وكذا تعظيم الملئكة لآدم عليه السلام بالسجود له بالمعنى الذي قاله المفسرون لا يكون عبادة لآدم بل هو تعظيم مأمور به وكونه مأمورا به أظهر دليل على أنه ليس بعبادة وعلى أنه ليس بشرك لأنه لو كان عبادة لآدم لما كان مأمورا به لقوله تعالى "وَقَضٰى رَبُّكَ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ" فمدار أقصى غاية الخضوع ومرجعه وحده الخضوع[١٨] لشيء باعتقاد

---

[١٨] قال محمد حبيب الله "العبادة غاية الخضوع والتذلل لمن يعتقد الخاضع له أوصاف الربوبية". وعليه فمن خضع لمخلوق حيا كان أو ميتا دون اعتقاد أوصاف الربوبية فيه لا يكون عابدا له وان كان الخضوع قد يكون محرما في بعض صوره كما اذا كان لغني على غناه لكنه لا يكون عبادة فجعل كل خضوع عبادة وان كان محرما قصور واضح وجهل فاضح لأن

أن المخضوع له ينفع ويضر بالحقيقة وبالإستقلال والإستبداد فالقيام لله تعالى في الصلاة باعتقاد أنه نافع بالذات أقصى غاية الخضوع والقيام

الخضوع قد يكون واجبا كما اذا كان للنبي ﷺ لان الله أمرنا بتعظيمه وغض الصوت عنده وجعل ذلك من امتحان القلوب للتقوى (زاد مسلم ٣١/٢).

وتقدم عن ابن حجر انه لو علم انه لم يسجد لها على سبيل التعظيم واعتقاد الالوهية بل سجد لها (الشمس) وقلبه مطمئن بالإيمان لم يحكم بكفره (تحفة ٩٢/٩). وهذه العبارة ايضا تدل على ان العبرة باعتقاد الألوهية قال الشرواني.

قال في الروضة ما يفعله كثيرون من الجهلة الضالين من السجود بين يدي المشايخ حرام قطعا بكل حال سواء كان الى القبلة او غيرها وسواء قصد السجود لله تعالى او غفل عنه (الشرواني ٩١/٩).

قال ابن حجر: أما مقبرة الانبياء فلا تكره الصلاة فيها لأنهم أحياء في قبورهم يصلون فلا نجاسة. والنهي عن اتخاذ قبورهم مساجد فتحرم الصلاة اليها لا ينافي ذلك خلافا لمن زعمه لأنه يعتبر هنا قصد استقبالها لتبرك ونحوه على ان استقبال قبر غيرهم مكروه (تحفة ١٦٧/٢).

وفي المغني ويكره استقبال القبر في الصلاة نعم يحرم استقبال قبره صلى الله عليه وسلم كما جزم به في التحقيق ويقاس به سائر قبور الأنبياء عليهم افضل الصلاة والسلام انتهى (الشرواني ١٦٧/٢).

قال ابن حجر : واستشكل بقول المعتزلة ان العبد يخلق فعل نفسه ويجاب بأن ذا الكوكب يعتقد فيه نوعا من التأثير الذي يعتقده للإله ولا كذلك المعتزلة غايته أنه يجعل فعل العبد واسطة ينسب اليها المفعول تنزيها له تعالى عن نسبة القبيح اليه (تحفة ٨٧/٩).

قال الشرواني : قد يجاب بأن خلق الفعل عند المعتزلة بقدرة خلقها الله حتى لو اعتقد للكوكب مثل ذلك اعنى ان الله تعالى خلق فيه منشأ التأثير ينبغي ان لا يكفر اهـ سم.

عبارة المغني بان صاحب الكواكب اعتقد فيها ما يعتقد في الا له من انها مؤثرة في جميع الكائنات كلها بخلاف المعتزلة فانهم قالوا العبد يخلق افعال نفسه فقط (الشرواني ٨٧/٩).

وكذا في شرح مسلم للنووي في شرح حديث مطرنا بنوء كذا.قال ملا علي القاري قال قاضيخان ان سجد للسلطان ان كان قصده التعظيم والتحية دون العبادة لا يكون ذلك كفرا.

(مرقاة ٤٦٧/٣).

للوالدين تعظيما لهما باعتبار أنهما نافعان بالواسطة لا يكون أقصى غاية الخضوع وكذا القيام للأنبياء والأولياء باعتبار المعجزات والكرامات الصادرة منهم بطريق غيبي بإذن الله لا يكون أقصى غاية الخضوع لهم فلا يكون عبادة لهم.

قال الإمام الرازي انه تعالى هو المستحق للعبادة وذلك لأنه تعالى هو المنعم بجميع النعم أصولها وفروعها وذلك لأن الموجود إما واجب وإما ممكن والواجب واحد وهو الله تعالى وما سواه ممكن والممكن لا يوجد إلا بالمرجح فكل الممكنات انما وجدت بإيجاده وتكوينه إما ابتداء واما بواسطة فجميع ما حصل للعبد من أقسام النعم لم يحصل إلا من الله فثبت أن غاية الإنعام صادرة من الله والعبادة غاية التعظيم فاذا ثبت هذا فنقول ان غاية التعظيم لا يليق إلا لمن صدرت عنه غاية الإنعام فثبت ان المستحق للعبودية ليس الا الله تعالى (رازي ١٥٨/١).

فالعبادة أقصى غاية الخضوع باعتبار أقصى غاية الإنعام فالمنعم باذنه تعالى لا يكون إنعامه أقصى غاية الإنعام فلا يكون تعظيمه أقصى غاية التعظيم.

عِبَادَةُ مُشْرِكِي ٱلْعَرَبِ وَاعْتِقَادُ الْإِسْتِقْلَالِ

يدل على أن مشركي العرب كان خضوعهم لآلهتهم مع اعتقاد أنها تنفع وتضر بالإستقلال والإستبداد كاستقلال الولد بغير إذن الوالد وكاستقلال الوزير بغير إذن الملك قوله تعالى لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا (سورة الأنبياء ٢٢).

وقوله مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (سورة المؤمنون٩١). قال صاحب روح البيان ولو كان معه آلهة لا نفرد كل اله بما خلقه. واستبد به دون الا له الآخر وامتاز ملكه عن ملك

الآخر في تفسير الآية المذكورة (روح البيان ٦/ ١٠٢). وقال صاحب زبدة التفاسير نفسه يدل على نفي الولد لأن الولد ينازع أباه في ملكه (زبدة التفسير ٤٥٤).

وقوله تعالى قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (سورة الإسراء ٤٢). فانه لو كان زعم مشركي العرب أن آلهتهم تضر وتنفع بإذن الله لا يجوز أن يقال لهم (لَفَسَدَتَا) وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ و"كَمَا يَقُولُونَ"إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا"فكان خضوعهم لآلهتهم مع اعتقاد أنها تنفع بالذات. وبا لإستقلال فلهذا كان خضوعهم أقصى غاية الخضوع والتذلل ولهذا كان عبادة لهم وكذا يدل عليه قوله تعالى تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (سورة الشعراء ٩٧).

وقوله تعالى وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (سورة النجم ٢٦) وقوله لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (سورة السبأ ٢٢).

وقوله تعالى فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (الاسراء ٥٦). قال الرازي وتلك الصفات التي تخيلوها في أصنامهم أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله بغير إذنه (رازي ١٧/ ٨٤). تحت قوله تعالى فَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (يونس ٢٩): قال البيضاوي لا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه ورضاه ولا يستقل بها (تفسير البيضاوي ٢/ ١٧٤). ويدل أيضا على أن الكفر والشرك اعتقاد التأثير بالذات وبالإستقلال. قول أبي السعود فكان نمروذ يعتقد لنفسه ملك الإحياء والإماتة بغير اذنه.تفسير أبي السعود:ويدل أيضا على أن الكفر والشرك اعتقاد التأثير بالذات وبالأستقلال قول صاحب فتاوى الكردى

حيث قال،ويعتقد تأثيرهم في شيء دون الله فهو كفر فتاوى الكردي ٢٦٠. وهذه العبارة بعينه في البغية ٢٩٨.

وكذلك قول الصاوي حيث قال إعتقاد أنهم يؤثرون بذواتهم في نفع أو ضر (صاوي ٣٢/٤). قال الحافظ ابن حجر العسقلاني متعلقا بقول عمر للحجر الأسود إِنَّكَ حَجَرٌ لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ (بخاري في كتاب الحج في باب ما ذكر في الحجر الأسود) أي إلا بإذن الله قال الطبرى إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عَهْدٍ بعبادة الأصنام فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية فأراد عمر أن يُعلِّم الناس أن استلامه إتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان (فتح الباري ٤٦٢/٣ في باب ما ذكر في الحجر الأسود) وكذا قال صاحب تحفة الأحوذي نفسه ٣٢/٤ ومعنى بذاته أنها تنفع وتضر بغير إذن الله تعالى كما يدل عليه عبارة الحافظ وعبارة الرازي وعبارة القسطلاني وهذا هو اعتقاد المسلمين في كل سبب عادي لأن السبب العادي لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله كما يدل عليه قوله تعالى وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ (أي السحر) مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ (البقرة ١٠٢) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ (سورة الأعراف ٥٨).

وكذلك المعجزة كما قال تعالى وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ (سورة إبراهيم ١١) فالحاصل أن المراد بأقصى غاية الخضوع هو الخضوع على وجه مخصوص ومن خاصيته اعتقاد أن المخضوع له يضر وينفع بالإستقلال وهذا هو العبادة.

اَلْعِبَادَةُ عِنْدَ الْخَصْمِ وَالْمُنَاقَشَةُ عَلَيْهِ

قال الرشيد الرضا ما نصه ما هي العبادة ؟ يقولون هي الطاعة مع غاية الخضوع وما كل عبارة تمثل المعنى تمام التمثيل وتجليه للأفهام واضحا

لا يقبل التأويل فكثيرا ما يفسرون الشيئ ببعض لَــوا زِمِــهِ ويُعرِفــون الحقيقــة برسومها بل يكتفون أحيانا بالتعريف اللفظى ويبينون الكلمة بمـــا يقــرب مــن معناها ومن هذه العبارةُ التي شرحوا بهـــا معـــنى العبـــادة فـــان فيـــها إجمـــالا وتساهلا فانا اذا تتبعنا ايَ القرآنِ وأساليب اللغـــة واســـتعمال العـــرب لِعَبَـــدَ وما يماثلها ويقاربها في المعنى كخضع وخشع وذل وأطـــاع نجـــد أنـــه لا شيـــئ من هذه الألفاظ يضاهي عَبَدَ ويحل محلـــها ويقـــع موقعـــها ولذلـــك قـــالوا ان لفظ العباد مأخوذ من العبادة فتكثر إضافته إلى الله تعالى ولفـــظ العبيـــد تكـــثر إضافته إلى غير الله لأنه مأخوذ من العبودية بمعنى الـــرق وفـــرق بـــين العبـــادة والعبودية بذلك المعنى ومن هذا قـــال بعـــض العلمـــاء إن العبـــادة في اللغـــة لا يستعمل الا لله تعالى ولكن استعمال القرآن يخالفـــه يَغْلـــو العـــاشقُ في تعظيـــم معشوقه والخضوع له غلوا كبيرا حتى يفنى هواه في هـــواه وتـــذوب إرادتـــه في إرادته ومع ذلك لا يسمى خضوعا ولا عبـــادة بالحقيقـــة ويبـــالغ كثـــير مـــن الناس في تعظيم الرؤساء والملوك والأمراء فترى من خضوعـــهم لهـــم وتحريـــهم مرضاتهم مالا يراه من المتحنفين القانطين دع سائر العـــابدين ولم يكـــن العـــرب يسمون شيئا من هـــذه الخضـــوع عبـــادة فمـــا هـــي العبـــادة إذن ؟ تـــدل الأساليب الصحيحة واستعمال العرب الصراح على أن العبـــادة ضـــربٌ مـــن الخضوع بالغ حد النهاية ناشئ عـــن اســـتشعار القلـــب عظمـــة للمعبـــود لا يعرف منشأها واعتقاده بسلطنة له لا يدرك كنهها ومـــا هيتـــها وقُصُـــارَي مـــا يعرفه انها محيطة به ولكنها فوق إدراكه فمن ينتـــهى إلى أقصـــى الـــذل للملـــك من الملوك لا يقال انه عبده وان قَبَّلَ موطئَ أقدامِـــه مـــا دام الـــذل والخضـــوع معروفا وهو الخوف من ظُلمِه المعهود أو الرجاءُ من كرمـــه المحـــدود اللـــهم إلا بالنسبة إلى الذين يعتقدون أن للملِك قوةَ غيبيـــةَ سماويـــة أفيضـــت إلى الملـــوك من الملإ الأعلى واختارهم للإستقلال على ســـائر أهـــل الدنيـــا لأنهـــم أَطْيَـــبُ الناس عنصرا وأكرمهم جوهرا وهؤلاء الذين انتـــهى بهـــم هـــذا الاعتقـــاد إلى

الكفر والإلحادِ واتخذوا الملوك آلهة وأربابا وعبدَ وهم عبادة حقيقة (تفسير المنار ١/٥٦).

وكذا قول بعضهم العبادةُ استعبادُ الروح وإخضاعُها لسلطانٍ غَيْبِي لا تحيط به علما ولا تحيط به كنها فأمثال هذه التعريفات مردودٌ على زاعميها لأن مدار العبادة على زعم هؤلاء معاملة الشيء مع رجاء جلب النفع أو دفع الضرر على طريق غيبي لا يُعرف كنهُه أيْ بطريقٍ وسَبَبٍ غيرِ عاديٍ سواء كان معجزةً لنبي أو كرامةً لولي أو غيرِهما وسواء كان على الإستقلال والإستبداد بلا إذن الله تعالى أو لا وانما قلنا ان هذا التعريف مردود أما أولا فلأن هذا التعريف غير منقول من أحد من السلف ولم يوجد في عبارة واحد منهم صريحا ولا ضمنا ولم يوجد هذا المعنى في كتب لغة العرب ولم يوجد في الكتاب والسنة صريحا ولا ضمنا بل هو ابتداع من هذا المخترع وقال صلى الله عليه وسلم مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" وأما ثانيا فلأنه مخالف للكتاب والسنة وكلام الأئمة العظام المتمسكين بهما كما تقدم بعض ذلك وقال الله تعالى إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (سورة يوسف ٩٤-٩٣). بين الرازي أن هذا القميص قميص إبراهيم فكسا إبراهيم عليه السلام ذلك القميص إسحق وكساه إسحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصبة من فضة وعلقها في عنقه فألقى في الجب والقميص في عنقه وذلك قوله (إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا) والتحقيق أن يقال انه تعالى أوصل تلك الرائحة إليه على سبيل إظهار المعجزات (تفسير الرازي ١٨/٢٠٨).

قال روح البيان هذا من سنة المشايخ قدس الله أسرارهم فانهم لَبِسُوا الخِرْقة وألبسوها تبركا وتيمنا وهم قد فعلوا ذلك بإلهام من الله تعالى وإشارة فليس أن يدعى انه من الزيادات والبدع القبيحات (روح البيان

(٣١٥/٤).

وقال الكازروني والحق ان يقال ان هذا اي ارتداد بصر يعقوب كان معجزة (كازروني ١٤٢/٣ هامش بيضاوي) فمعاملة يعقوب ﷺ وتبركه وتيمنه بقميص إبراهيم عليه السلام وارسال يوسف ذلك القميص مع رجاء جلب النفع ودفع الضرر من طريق غيبي لا يكون شركا وعبادة لغير الله وقال تعالى وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هٰرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلٰئِكَةُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (البقرة ٢٤٨). قال روح البيان وهي [التابوت التي فيها بقية موسى وهرون] معجزة لأنبيائهم وكرامة لملوكهم (تفسير روح البيان ٣٨٦/١).

قال أبو السعود ويستفتحون (بنو اسرائيل) به (بالتابوت المذكور) على عدوهم (تفسير أبو السعود ٢٨٠/١ تحت الآية المذكورة). ففيه رجاء النفع بطريق غيبي ببقية موسى وهرون بعد وفاهما بمدة طويلة فلو كان عبادة لها (البقية) وشركا لما أرسل الله تعالى ذلك التابوت تحمله الملئكة علامة.

وعن يزيد بن أبي عبيد قَالَ رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ ابْنِ الْأَكْوَعِ فَقُلْتُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ مَا هٰذِهِ الضَّرْبَةُ قَالَ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ فَقَالَ النَّاسُ أُصِيبَ سَلَمَةُ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلٰثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ (رواه البخاري مشكوة ٥٣٣) ففي هذا الحديث رجاء سلمة ﷺ الشفاء من النبي ﷺ بطريق المعجزة التي هي طريق غيبي ولو كان شركا لبينه النبي ﷺ وعن السائب بنِ يزيدَ يقول ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي

إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَقِعٌ[١٩] فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوءِهِ (بخاري ٣١/١ في كتاب الوضوء).

بَعَثَ رسولُ الله إلى أَبِي رَافِعِ اليهودِ رجالاً من الأنصار وأَمَّرَ عليهم عبدَ الله بن عَتِيكٍ فَانْكَسَرَتْ سَاقُهُ فِي تِلْكَ الوَقْعَةِ فقال إِنْتَهَيْتُ إلى النبي ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فقال ابْسُطْ رِجْلَكَ فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ (من البخاري ٥٧٧/٢، كتاب المغازي باب قتل ابي رافع).

ففيه رجاء شفاء بطريق المعجزة التي هي طريق غيبي من النبي صلى الله عليه وسلم.

عن جَرِير ﷺ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ فَقُلْتُ بَلَى فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ أَحْمَسَ[٢٠] وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ وَكُنْتُ لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا قَالَ فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسِي بَعْدُ (بخاري ٦٢٤/٢ باب غزوة ذي الخلصة).

ففيه أيضا رجاء الشفاء من السقوط من الخيل بطريق معجزة النبي ﷺ وعن أبي قتادة ﷺ قال خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ وَتَأْتُونَ الْمَاءَ إِنْ شَاءَ اللهُ غَدًا فَانْطَلَقَ النَّاسُ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ قَالَ أَبُو قَتَادَةَ فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَّ[٢١] اللَّيْلُ فَمَالَ عَنِ الطَّرِيقِ فَوَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ احْفَظُوا عَلَيْنَا

---

[١٩] بلفظ الماضي بمعنى وقع في الأرض وفي بعضها بكسر القاف وبالتنوين بمعنى وجع ففي ذهابها به رجاء الشفاء بطريق غبي وكذا في المسح وشرب الوضوء فان قلت هذا خاص بالنبي ﷺ اقول يكون حاصله.الشرك جائز بالنبي ﷺ خاصة ولا قائل به.

[٢٠] قبيلة

[٢١] تراكمت ظلمته وقوله نبأ اي معجزة وقوله الملأ بفتحتين اي الخلق وقوله جامين مستريحين من الجمام فان قلت الاستغاثة في هذا في حياته ﷺ وفي حضرته فلا يكون معونته غيبية لاحتمال أن يكون المراد من طلب الصحابة الدعاء منه أقول لا يلزم لأن يكون المعونة غيبية موت

صَلَاتَنَا فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالشَّمْسُ فِي ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ ارْكَبُوا فَرَكِبْنَا فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ نَزَلَ ثُمَّ دَعَا بِمِيضَأَةٍ كَانَتْ مَعِي فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وُضُوءً دُونَ وُضُوءٍ قَالَ وَبَقِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ احْفَظْ عَلَيْنَا مِيضَأَتَكَ فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى الْغَدَاةَ وَرَكِبَ وَرَكِبْنَا مَعَهُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّاسِ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ وَحَمِيَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُمْ يَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكْنَا وَعَطِشْنَا فَقَالَ لَا هُلْكَ عَلَيْكُمْ وَدَعَا بِالْمِيضَأَةِ فَجَعَلَ يَصُبُّ وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ فَلَمْ يَعْدُ أَنْ رَأَى النَّاسُ مَاءً فِي الْمِيضَأَةِ تَكَابُّوا عَلَيْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسِنُوا الْمَلَأَ كُلُّكُمْ سَيَرْوَى قَالَ فَفَعَلُوا فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ صَبَّ فَقَالَ لِي اشْرَبْ فَقُلْتُ لَا أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ قَالَ فَشَرِبْتُ وَشَرِبَ قَالَ فَأَتَى النَّاسُ بِالْمَاءِ جَامِّينَ (مسلم مشكوة ٥٣٨ باب في المعجزات). ففيه استغاثة من الصحابة لمعونة غيبية لقولهم يا رسول الله هلكنا وعطشنا عن أبي جحيفة قال خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ فَأُتِيَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ وَقَالَ أَبُو مُوسَى دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ فِيهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمَا اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا (بخاري ٣١/١ كتاب الوضوء). ابو موسى وبلال

عن ابن الشهاب الزهرى قال أخبرني محمود بن الربيع وَهُوَ الَّذِي مَجَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَهُوَ غُلَامٌ مِنْ بِئْرِهِمْ وَقَالَ عُرْوَةُ عَنِ

المستغاث منه ولا البعد منه لأن العبادة لمن يعتقد ألوهيته توجد · في الحياة وفي القرب وليس في هذا الحديث ذكر طلب الدعاء ولا الدعاء لتكثير الماء.

الْمِسْوَرِ وَغَيْرِهِ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوءِهِ (بخاري ١/ ٣١ كتاب الوضوء).

عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابرا يقول جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوءِهِ فَعَقَلْتُ (بخاري ١/ ٣٢ كتاب الوضوء).

عن أم سليم رضي الله عنها عن النبي ﷺ كَانَ يَأْتِيهَا فَيَقِيلُ عِنْدَهَا فَتَبْسُطُ نِطَعًا فَيَقِيلُ عَلَيْهِ وَكَانَ كَثِيرَ الْعَرَقِ فَكَانَتْ تَجْمَعُ عَرَقَهُ فَتَجْعَلُهُ فِي الطِّيبِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هٰذَا قَالَتْ عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ وَفِي رِوَايَةٍ يَا رَسُولَ اللهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا قَالَ أَصَبْتِ (بخاري، مسلم، مشكوة ٥١٧ باب أسماء النبي ﷺ وصفاته). ففيه أيضا رجاء النفع بطريق غيبي وعن عثمان بن عبد الله بن موهب قال أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ عَيْنٌ أَوْ شَيْءٌ بَعَثَ إِلَيْهَا مِخْضَبَهُ[٢٢] فَأَخْرَجَتْ مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ تُمْسِكُهُ فِي جُلْجُلٍ مِنْ فِضَّةٍ فَخَضْخَضَتْهُ لَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ قَالَ فَاطَّلَعْتُ فِي الْجُلْجُلِ فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ حُمْرًا (بخاري، مشكوة ٣٩٠ كتاب الطب والرقي). ففيه رجاء النفع بطريق غيبي بعد وفاة النبي ﷺ.

وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى مِنًى فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ نُسُكَهُ ثُمَّ دَعَا بِالْحَلَّاقِ وَنَاوَلَ الْحَالِقَ شِقَّهُ الْأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ثُمَّ نَاوَلَ شِقَّهُ الْأَيْسَرَ فَقَالَ احْلِقْ فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ فَقَالَ اقْسِمْهُ[٢٣] بَيْنَ النَّاسِ (بخاري، مسلم - مشكوة ٢٣٢ باب الحلق).

---

[٢٢] بكسر الميم اناء كَالْمِرْكَنِ والجلجل اناء كالجرس الصغير فخضخضته اي حركته في الماء.

[٢٣] امر ﷺ بتقسيم شعره بين الناس ليتبرك به كما فعله الصحابة في الحديث المتقدم وكما فعلوه بجبته.

عن عاصم عن ابن سيرين قَالَ قُلْتُ لِعَبِيدَةَ عِنْدَنَا مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ أَنَسٍ فَقَالَ لَأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعْرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا (بخاري ٢٩/١ كتاب الوضوء) وعن أسماء بنت أبي بكر أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ[٢٤] كِسْرَوَانِيَّةٍ لَهَا لِبْنَةُ دِيبَاجٍ وَفَرْجَيْهَا مَكْفُوفَيْنِ بِالدِّيبَاجِ وَقَالَتْ هٰذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى نَسْتَشْفِي بِهَا (مسلم مشكوة ٣٧٤ كتاب اللباس: ففيه رجاء النفع بطريق غيبي من آثار النبي ﷺ بعد وفاته لا تحيط به علما ولا تحيط به كنهها فالحاصل ان رجاء النفع ودفع الضرر بطريق المعجزة والكرامة لا يكون عبادة لنبي أو ولي كما هو ظاهر[٢٥].

---

[٢٤] جمع طيلسان والكسروانية نسبة الى كسرى واللبنة رقعة في جيب القميص وفرجيها منصوب بفعل محذوف اي رأيت والمكفوف الذي جعل له كفة بضم الكاف والكفة ما يكف به جوانبها.

[٢٥] ويدل على هذا المطلب ايضا الأدلة الآتية في باب التبرك والإستغاثة فان قلت الكلام في الدعاء من البعد او بعد الموت اقول الكلام في معنى العبادة وفي التبركِ الطلبُ والرجاءُ لحصول النفع بطريق غيبي سواء كان في الحياة او بعد الموت او من البعد او القرب ولا يجوزان يقال في رجاءِ الشفاء من شعرِ النبي ﷺ او جُبّتِه مثلا بعد وفاته او من عرقه ﷺ المرادُ من ذلكَ الرجاء طلبُ الدعاءِ من الحيِ. فان قلت هذه كلها معجزات لا ننكرها ولا كلام فيها اقول في هذه رجاء النفع بطريق غيبي ولا يكون هذا الرجاء عبادة والكلام فيها فان قلت ليس للنبي ﷺ قدرة لا نشاء المعجزات الـقول النبي ﷺ سبب هذه المعجزات ويكفى للطلب والرجاءِ هذه السببيةُ وهي المطلوبة في التبرك والإستغاثةِ واعتبارُ المشركين مخالف هذا لما تقدم من الآيات والأحاديث وكلام الائمة.

الإِطَاعَةُ وَالعُبُودِيَّةُ

وزعم البعض انه لا بد من اعتبار ثلاثة أمور في معنى العبادة كل واحد منها مختص لله تعالى وشامله لمن سوى الله شرك الأول رجاء النفع ودفع الضرر على طريق خفي فمن رجى النفع من الأنبياء والأولياء بطريق المعجزة والكرامة مع كون غاية خضوعه خالصا لله تعالى يكون مشركا على زعمهم الثاني الإطاعة فمن أطاع لغير الله مستقلا نبي أو ولي أو حكومة ظاهرية مع كون غاية الخضوع ورجاء النفع خالصا من الله وحده يكون أيضا مشركا على زعمهم الثالث المعروفة فمن صرف وكان عبدا مع كون غاية الخضوع ورجاء النفع والإطاعة خالصا لله يكون أيضا مشركا على زعمهم. واستدلوا عليه بقوله تعالى: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (سورة يس).

قالوا العبادة هنا الإنقياد والإطاعة لا بقصد غاية الخضوع إذ لا يطيع أحد الشيطانَ إلا ويلعنه. ونقول بحضور الرازي حيث قال لا تعبدوا الشيطان معناه لا تطيعوه بدليل أن المنهي عنه ليس هو السجود له فَحَسْبُ بل الانقياد لأمره والطاعة له فالطاعة عبادة لا يقال فنكون نحن مأمورين بعبادة الأمراء حيث أُمِرْنا بطاعتهم لأنا نقول طاعتهم اذا كانت بامر الله لا تكون الا عبادة لله وطاعة له وكيف لا ونفس السجود والركوع لغيره اذا كان بأمر الله لا يكون إلا عبادة لله ألا ترى ان الملئكة سجدوا لآدم. ولم يكن ذلك إلا عبادة لله وانما عبادة الأمراء هو طاعتهم فيما لم يأذن الله فيه (رازي ٩٦/٢٦).

واستدلوا عليه أيضا بقوله تعالى: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ

لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (إبراهيم ٢٢).

وبقوله تعالى: أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (الفرقان ٤٣) وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (الأنعام ١٢١).

زعموا أن الشرك بإبليس واتخاذ الهوى إلهاً ومعبوداً هو بطاعة أولياء الشياطين في تحليل الميتة وغيرها يكون بالإطاعة فقط ولا يكون مع غاية الخضوع. وزعموا أن العبادة مشتق من العبودية فلا بد من اعتبار العبودية[1] في العبادة وغرضهم من هذا الزعم الحكم بالشرك على متبعي الحكومة المخالفة لأهوائهم سواء وافقت القوانين الإسلامية أم لا مدعين أن لا حكم إلا لله وأنه لا يمكن إجراء حكم الله حتى يأتي الحكومة التي يريدونها بمقتضى هواهم فيسمون تلك الحكومة بالحكومة الإلهية وهذا الزعم مردود.

أما أولاً: فقد تقدم الرد على اعتبار وجه الشبه بطريق تفصيلي

---

[1] الفرق بين العبودية والعبادة هو أن العبودية إظهار التذلل والعبادة أبلغ منه [illegible] ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله سبحانه وتعالى [illegible]

وأما ثانيا: فان الإطاعة لغير الله تعالى مأمور بقوله تعالى أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ (النساء ٥٩). فلو كان الإطاعة لغير الله عبادة له لما أمر الله به كما قال: وَقَضَى رَبُّكَ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (الإسراء ٢٣). قال الله تعالى: أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (نوح ٣). ظاهران عبادة الله وإطاعة الرسول متباينان ولا يُقيَّدُ بقيدٍ من القيود في إطاعة الرسول لقوله تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ (الاحزاب ٣٦). فالإطاعة مطلقا لا بقيد لا تكون عبادة.

قال الرازي: العبادة هي التذلل ومنه طريق مُعبَّد أي مذلل ومن زعم أنها الطاعة فقد أخطأ[٢] لأن جماعة عَبَدَتِ الملئكةَ والأصنامَ وما أطاعوهم ولكن في الشرع كانت اسما لكل طاعة لله أُدِيت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم (رازي ٤٢/٨). قال صاحب الجمل: من زعم أنها الطاعة فقد أخطأ لأن جماعة عبدوا الملئكة والمسيح والأصنام وما أطاعوهم (أبو السعود – جمل ٥٧٠/٤).

رأما ثالثا: فقد فرق الحديث بين العبادة والإطاعة وقال النبي ﷺ في حجة الوداع أيُّ يَوْمٍ هٰذَا قَالُوا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ عَلَى نَفْسِهِ أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ عَلَى وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ[٣] قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا أَبَدًا لٰكِنْ سَتَكُونُ لَهُ

---

[٢] فيه رد على من يقول ان كل عبادة طاعة واما الرد على من يقول ان كل طاعة من غير قيد عبادة فيأتي في حديث الترمذي في الرد الثالث.

[٣] ظاهرانّ إطاعة القوى الشيطانية فيما توسوس به لا تكون من حيث إنّ الله أمر بها. فتكون إطاعة من غير قيد ولا تكون عبادة وعلى هذا قوله تعالى إتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا لا بد ان يكون باعتبار الألوهية فلا تنافي بين تفسيري الرازي بل نجمع بينهما.

طَاعَةٌ فِيمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَسَيَرْضَى بِهِ (رواه ابن ماجه والترمذي وصححه: مشكوة ٢٣٤ كتاب المناسك). وقال صلى الله عليه وسلم نِعِمَّا لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يَتَوَفَّاهُ اللهُ بِحُسْنِ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَطَاعَةِ سَيِّدِهِ (بخاري مسلم- مشكوة ٢/٢٩٠ كتاب النكاح).

وقال صلى لله عليه وسلم إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ لَنَا ذٰلِكَ قَالَ تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ (متفق عليه - رياض الصالحين ٣٠٣). وقال صلى الله عليه وسلم (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ (رياض الصالحين ٣٠٣).

وهذا دليل واضح لإطاعة الحكومة وان كان فيها نوع تقصير إذا أدى نقضها إلى مفاسد كثيرة أو اضطر إلى الإطاعة فان القتال قد يجب في وقت ويحرم في وقت اذا أدي إلى التهلكة على مقتضى قوله تعالى: لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (البقرة ١٩٥). وكذلك مسئلة نصب الامام يجب في وقت ويحرم في وقت وقوله صلى الله عليه وسلم:"لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ" محمول على غير هذه الصورة على انه لا يكون شركا كما هو دعوى البعض بل يكون معصية وليس كل معصية شركا كما هو ظاهر.

وأما رابعا: فقد جمع الله بين العبودية والإيمان. قال الله تعالى وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَن لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (النساء ٩٢). دليل واضح على أن العبودية والإيمان لا منافاة بينهما وقال

النبي ﷺ اَيُّمَا عَبْدٍ أَدّٰى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ فَلَهُ أَجْرَانِ (بخاري ٣٤٦/١ كتاب العتق). وقال صلى الله عليه وسلم إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ سَيِّدَهُ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ[4] (بخاري، مسلم - مشكوة ٢١٠/٢ كتاب النكاح).

واما خامسا: فان العبادة ليست مشتقة من العَبْدِ لأن المصدر لا يشتق من الغير بل يشتق الغير من المصدر واما المشابهة بين الحروف فلا يؤخذ منها الموافقة في المعنى كما ترى في ألفاظ جَمَل وجَمَال وحَمّر وحِمَار وبَلَد وبَلَادَة وحُر وحَرَارة وأمثالها كثيرة في لغة العرب وغيرها.

وأما سادسا: فما زعموا ان إطاعة الشيطان لا يكون مع غاية الخضوع مردود لأن من بني آدم مثل المجوس من يعبد الشيطان (يزدان). كما قال الرازي في تفسير قوله تعالى إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ: المعنى انه جَحَدَ ما كان يعتقده أولئك الأتباع من كون إبليس شريكا لله تعالى في تدبير هذا العالم وكفر به (رازي ١١٥/١٩) وكذا معنى قوله تعالى "إِتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ" إتخذ إلهه ما يشاء بحسب هواه وبني عليه أمر دينه مُعرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النيّر بالكلية.

وكذا المراد بالإطاعة هو الطاعة مع اعتقاد الألوهية كما هو شاهد في الهنود وهو المراد بقوله تعالى: إِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ. قال الرازي في تفسير هذه الآية: ان الجهال والحشوية إذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم إلى القول بالحلول والاتحاد (رازي ٣٧/١٦).

وإن سلم فالمراد بالعبادة والإله في الآيات المتقدمة العبادة المجازية التشبيهية والإله المجاز التشبيهي. قال أبو السعود: والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم يزينه لهم عبر عنها

---

[4] دليل لاطلاق المرتين على الا لنتين كما آية الطلاق

بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوْ قوْعِها في مقابلة عبادته عز وجل (ابو السعود ٤/٣٩٣).

وقال الرازي في تفسير مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ: تركوا متابعة الهدى وأقبلوا على متابعة الهوى فكانوا يعبدون الهوى كما يعبد الرجل إلهه (رازي ٢٦٨/٢٧).

وأما سابعا: فالمراد بتفسير الرازي في قوله تعالى: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ الخ بالعبادة العبادة المجازية التشبيهية إلا ذِعائيَّة ويدل عليه قوله بعده: عبادة الشيطان على تفاوت وذلك لأن الأعمال منها ما يقع والعامل موافِقٌ فيه جنانُه ولسانُه وأركانُه ومنها ما يقع والجنان واللسان مخالِف للجوارح أو للأركان فمن الناس من يرتكب جريمة كارِهًا بقلبه لما يقترف من ذنبه مستغفرا لربه يعترف بسوء ما يقترف فهو عبادة الشيطان بالأعضاء الظاهرة ومنهم من يرتكبها وقلبه طيب ولسانه رطب كما أنك تجد كثيرا من الناس يفرح بكونه مترددا إلى أبوابِ الظلمةِ للسعاية ويعد من المحاسن كونه ساريا مع الملوك ويفتخر به بلسانه وتجدهم يفرحون بكونهم آمرين الملك بالظلم والملِكُ ينقاد لهم أو يفرحون بكونه يأمرهم بالظلم. فيظلمون فرحين بما ورد عليهم من الأمر إذا عرفت هذا فالطاعة التي بالأعضاء الظاهرة والبواطنُ طاهرةٌ مكفَّرةٌ بالأسقام والآلام كما ورد في الأخبار ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ" وقوله صلى الله عليه وسلم "الشَّيْبُ مَحَّاءُ الذُّنُوبِ أي لمثل هذه الذنوب ويدل عليه ما قال صلى الله عليه وسلم في الحدود "إنَّهَا كَفَّارَاتٌ" وما يكون بالقلوب فلا خلاص عنه إلا بالتوبة والندم وإقبال القلب على الرب (رازي ٢٦/٩٧).

وقال الرازي أيضا في تفسير قوله تعالى اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ الخ. فإن

قيل انه تعالى لما كفرهم بسبب أنهم أطاعوا الأحبار والرهبـــان فالفاســق يطيــع الشيطان فوجب الحكم بكفره كما هو قــول الخــوارج والجــواب ان الفاســق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا أنه لا يعظمـــه لكـــن يلعنــه ويســتخف بــه (رازي ١٦/٣٧).

فالحاصل ان رجاءَ النفع والإطاعةَ والعبوديـــةَ لا تكــون مـــن العبــادة الا اذا كانت مع غاية الخضـــوع.

أَلرُّبُوبِيَّةُ وَالْأُلُوهِيَّةُ

وقد تبين مما تقدم : ان النفع والضرر بـــالذات وبالإســتقلال معتــبر في معنى العبادة وفي معنى الرب والإله فالإلـــه الحــق هــو الــرب الحــق والإلــه الباطل هو الرب البــاطل ولا يســتحق العبــادة والتألــه إلا مــن كـــان ربـــا فالتوحيد الألوهية هو التوحيد الربوبيـــة.

وفرقت طائفة بينهما وقسموا مطلق التوحيـــد إليـــهما وقـــالوا توحيـــد الألوهية إفراد الله تعالى بالعبادة وتوحيد الربوبية هو إفــــراد الله تعـــالى بـــالخلق واعتقاد ان الله هو الخالق الرازق المدبر وزعموا أن مشركـــي العـــرب وســـائر المشركين في كل عصر من كل أمـــة كـــانوا مؤمنـــين بـــالتوحيد الربوبيـــة ولم يخالفوا الأنبيآء فيه بدليل قوله تعالى "وَلَئِـــنْ سَـــأَلْتَهُمْ مَـــنْ خَلَـــقَ السَّـمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله" مـــع كونهـــم مشركـــين في التوحيـــد الألوهيـــة لكـــون عبادتهم لغـــير الله. ومقصودهـــم بهـــذا التقســـيم تكفـــير جماهـــير المســـلمين وتسويتهم بالمشركين وهذا الزعم مـــردود.

أما أولا : فلأن هـــــذا التقســـيم لم يوجـــد في كتـــاب الله ولا في ســـنة رسوله صلى الله عليه وســـلم.

وأما ثانيا : فلم يوجد هذا التقسيم في آثار الصحابـــة والتـــابعين.

وأما ثالثا: فلم يوجد هذا التقسيم في كلام الأئمة المتبوعـــين قبـــل ابـــن التيمية صاحب القرن الســـابع.

وأما رابعا: فلأن كل نافع وضار بالذات رب بمعنى مـــن يبلـــغ الشـــيء إلى كما له شيئا فشيئا سواء كان خلقـــا أو غـــيره.

وأما خامسا: فقد بين القرآن أن اليهود والنصـــارى اتخـــذوا مـــن دون الله أربابا كما قال الله تعالى " وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَـــا بَعْضًـــا أَرْبَابًـــا مِـــن دُونِ اللهِ (آل عمران ٦٤). وعلى زعم تلك الطائفـــة يقـــال آلهـــة مـــن

دون الله وقد بين القرآن أيضا إعتقاد مشركي العرب بتعدد الأرباب كما قال تعالى: قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ (الأنعام ١٦٤). ظاهر في أنهم اتخذوا أربابا ويخالفون النبي فيه أي كيف أطلب غير الله ربا كما تفعلونه وقال الله تعالى في شأن المهاجرين، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ (الحج ٤٠). فلو كان اعتقاد مشركي العرب أيضا ان الله هو الرب فقط فلم يخرجوا الصحابة من المكة.

وقد أنذر النبي ﷺ من يعبد الملئكة والنبيين كما في قوله تعالى: وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلٰئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا (آل عمران ٨٠). ظاهر في أن الملئكة والنبيين المعبودين أرباب عندهم كما أنهم آلهة كما قال تعالى: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ (التوبة ٣١). ويقال على زعمهم آلهة من دون الله وكذا قوم يوسف عليه السلام اتَّخَذُوا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ كما قال تعالى حكاية عنه أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (يوسف ٣٩).

وأما سادسا: فقد قال النبي ﷺ في سؤال صاحب القبر تفسيرًا لقول الله تعال: يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ: يقال له (لصاحب القبر) مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللهُ (متفق عليه، مشكوة ١/٢٤). وأما الكافر يقال له مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي (أحمد، أبو داود، مشكوة ١/٢٦). وعلى زعمهم ينبغي أن يقال له من إلهك قال الرازي اتخذوا (مشركو العرب) ربا غير الله (رازي ١٤/١٢٠). وقال أبو السعود وتثبتون له شريكا في الربوبية (أبو السعود ٤/٦٢). قال صاحب روح البيان: وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية (روح البيان ٦/١٠٠). وقال زيد بن عمرو بن نفيل (موحد الجاهلية) مشنعا عبادة الأصنام في قومه.

أَرَبًّا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبٍّ ... أَدِينُ إِذَا تَقَسَّمَتِ الأُمُورُ
تَرَكْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى جَمِيعًا ... كَذَلِكَ يَفْعَلُ الرَّجُلُ الْبَصِيرُ

(بيضاوي ١٤٣/١) كما تقدم

وذكر الطنطاوي سبب تأسيس عمرو بن لؤي عبادة الأصنام في مشركي العرب عند رؤيتها في سفره وسأل عنها كما قال : فرأى قوما يعبدون الأصنام وسألهم عنها فقالوا هذه أرباب (طنطاوي ٤١).

وأما سابعا فتمسكهم بقوله تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ. وبقوله تعالى: قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (المؤمنون ٨٦-٩١). فغير مفيد ولا ينفي اعتقاد تعدد الأرباب[1] عن مشركي العرب لان اعتقاد الأولاد لله تعالى واتخاذ النافع والضار بالذات وبالاستقلال بحيث يذهب كل بما خلق ويعلو بعضهم على بعض كما يدل عليه آخر الآية اتخاذ أرباب فالله عندهم رب الأرباب كما قال شيخ زاده: ١٧٩/١ فمجلس الأرباب عندهم كمجلس الملك والوزراء.

قال الشيخ زاده في حاشية البيضاوي في تفسير قوله تعالى: يا

---

[1] وتقدم انه اخرج ابن جرير عن ابن عباس والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى نزلت في ثلثة احياء عامر وكنانة وبني سلمة كانوا يعبدون الاوثان ويقولون الملئكة بناته فقالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى (الدر المنثور ٢١١/٧ وانظر رازي ٢٤/٢٦).

أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّـذِي خَلَقَكُـمْ: ان مشركي العرب كانوا يعتقدون تعدد الأرباب والآلهة ويقولون باشتراك الجميع في استحقاق العبادة شيخ زاده ١٧ هذا بخلاف سائر المسلمين. فالنفع والضرر بالإستقلال عندهم مختص بالله فليس لهم أرباب ولا آلهة من دون الله تعالى.



زِيٰارَةُ ٱلْقُبُورِ

زيارة القبور سنة بإجماع المسلمين قال النووي رح "أجمعوا على أن زيارتها سنة لهم" (شرح مسلم ٣١٤/١). وقال ابن حجر رح "وتندب زيارة القبور التي للمسلمين للرجال إجماعا" (تحفة ١٩٩/٣).

قال الله تعالى "وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُم مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ" (التوبة ٨٤).

نهى الله في هذه الآية عن الصلاة على المنافق وعن زيارة قبره اي فكما تقوم على قبور المسلمين لا تقم على قبره — قال الرازي في تفسير هذه الآية: قال الزجاج: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دُفِنَ ٱلْمَيِّتُ وَقَفَ عَلَىٰ قَبْرِهِ وَدَعَا لَهُ" (رازي ١٥٣/١٦ وكذا في روح البيان ٤٧٨/٣ وكذا في محمد رسول الله ٣٤٣).

وقال صلى الله عليه وسلم "كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ ٱلْقُبُورِ فَزُورُوهَا" (مسلم ٣١٤/١ كتاب الجنائز).

وعن عائشة رض انها قالت كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ ٱللَّيْلِ إِلَى ٱلْبَقِيعِ فَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ (مسلم ٣١٣/١). وفي مسلم ٣١٣/١ انه صلى الله عليه وسلم أمر أن يستغفر لهم فاذا كانت الزيارة سنة فلا يمكن أن يكون السفر لها شركا.

شَدُّ الرِّحَالِ :

قال تعالى: "وَٱلْمَلٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ" (الرعد ٢٤-٢٣).

قال الرازي في تفسير هذه الآية عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي

قُبُورَ الشُّهَدَاءِ رَأْسَ كُلِّ حَوْلٍ فَيَقُولُ "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ" وَالْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ هٰكَذَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (رازي ٤٥/١٩). وهكذا في ابن كثير ٥١١/٢ ولفظه" وكان أبو بكر وعثمان وعمر يفعلون ذلك.

ورَوي عبد الرزاق عن النبي ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ رَأْسِ الْحَوْلِ فَيَقُولُ اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ قَالَ كَانَ أَبُوْ بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ يَفْعَلُونَ ذٰلِكَ (مصنف عبد الرزاق ٥٧٤/٣ باب في زيارة القبور).

وعن عقبة بن عامر قال "صَلّٰى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلٰى قَتْلٰى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ" الى آخره (بخاري ٥٧٨/٢ باب غزوة أحد) قوله:"صَلّٰى" بمعنى دعا عليهم.

قال ابن حجر العسقلاني رح: "وأما توديع الأموات فيحتمل أن يكون الصحابي أراد بذلك انقطاع زيارته الأموات بجسده لأنه بعد موته وان كان حيا فهي حيوة أخروية لا تشبه الحيوة الدنيا" (فتح الباري ٣٤٩/٧).

وقال الله تعالى "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ" (الإسراء). قوله باركنا حوله قيل بمن دفن حوله من الأنبياء والصالحين وبهذا جعله مقدسا (قرطبي ٢١٢/٩).

وقال صلى الله عليه وسلم مَرَرْتُ عَلٰى مُوسٰى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ (مسلم ٢٦٨/٢). وكان قبر موسى عليه السلام عند بيت المقدس (بخاري ١٧٨/١).

وعن أبي هريرة ﷺ : قَالَ زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكٰى وَأَبْكٰى مَنْ

حَوْلَهُ[١] (مسلم ٣١٤/١). وكان قبر أمه بالأبواء بين مكة والمدينة (محمد رسول الله ٢٦).

وقال النبي ﷺ: مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي وفي رواية حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي: رواه الدار قطني وكثير من أئمة الحديث. وفي رواية لأبي يعلى والطبراني والبيهقي وابن عساكر: مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي وفي رواية فَزَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي[٢]

[١] روي مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي (مسلم ٥٢/٤).

[٢] وقال صلى الله عليه وسلم من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيمة (بيهقي).

زِيَارَةُ النَّبِيِّ ﷺ

من زارني متعمدا أي لا يقصد غير زيارتي بأن يكون النبي ﷺ مقصودا بالذات ولا يكون مقصودا بالتبع. وأما المسجد النبوي فشرفه بشرفه فيكون مقصودا بالتبع. عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : من جاءني زائرا لا يعلم له حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيمة: رواه الطبراني في الأوسط والكبير (كان كمن زارني في حيوتي) لأن الأنبياء أحياء في قبورهم.

فثبت بالحديثين المذكورين استحباب زيارة قبر النبي ﷺ، ولا حاجة إلى أن يكون قصد الزائر المسجد النبوي، وللحديثين شواهد:

وفي رواية "من حج فزار قبري في مماتي كان كمن زارني في حيوتي" رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه حفص بن أبي داود القارئ، وثقه أحمد، وضعفه جماعة من الأئمة.

عن ابن عمر ، قال: قال رسول الله ﷺ: "من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حيوتي" قال الهيثمي رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه عائشة بنت يونس، ولم أجد من ترجمتها : كذا في مجمع الزوائد (٤/٢)

قال ابن حجر الهتمي في شرح الإيضاح: روى البزار والدار قطني بإسنادهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "من زار قبري وجبت له شفاعتي" ورواه أيضا ابن خزيمة في صحيحه وصححه جماعة كعبد الحق والتقي السبكي، ولا ينافي ذلك قول الذهبي: "طرقها كلها لينة يقوي بعضها بعضا"، ورواه الدار قطني أيضا والطبراني وابن السبكي

وصححه بلفظ "من جاءني زائرا لا تحمله حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيمة".

وأخرج أبو داود بسند صحيح"ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي، حتى أرد عليه السلام"، وقد تقدم أن معنى رد الروح رد الالتفات.

والحاصل أن أحاديث الزيارة لها طرق كثيرة يقوي بعضها بعضا، كما نقله المناوي عن الحافظ الذهبي في فيض القدير ٢/١٤٠ وان العلماء صححها أو نقل تصحيحها كالسبكي وابن السكن والعراقي والقاضي عياض في الشفا، والملا علي القاري شارحه والخفاجي كذلك في نسيم الرياض ٣/٥١١ وكلهم من حفاظ الحديث وأئمته المعتمدين.

ويكفي أن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم وغيرهم من فحول العلماء وأركان الدين قالوا بمشروعية زيارة النبي ﷺ كما نقله عنهم أصحابهم في كتب فقههم المعتمدة، وهذا كاف منهم في تصحيح أحاديث الزيارة وقبولها.

دَلَائِلُ الزِّيَارَةِ

ثبت زيارة النبي ﷺ بالآيات وسائر الأحاديث الصحيحة:

قال تعالى: "حتى زرتم المقابر" يدخل في عمومه قبر النبي ﷺ.

قال الله تعالى: {ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون} (التوبة ٨٤) أي كما تقوم على سائر قبور المسلمين ويدخل في عمومه قبر النبي ﷺ .

قال النبي ﷺ: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها" (رواه مسلم في صحيحه) ويدخل في عمومه قبر النبي ﷺ.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى "ألهاكم التكاثر": "لم يأت في التنزيل ذكر المقابر إلا في هذه السورة وزيارتها من أعظم الدواء للقلب القاسي، لأنها تذكر الموت والآخرة، وذلك يحمل على قصر الأمل والزهد في الدنيا، وترك الرغبة فيها، قال النبي ﷺ : "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة" رواه ابن مسعود، أخرجه ابن ماجه)

أَقْوَالُ الْأَئِمَّةِ فِي الزِّيَارَةِ

وأما أقوال أئمة المذاهب الأربعة في زيارة النبي ﷺ فمشحونة في كتبهم، ومنهم مالك، وقد نص على أنه يقف عند القبر، ويقف كما يقف الحاج عند البيت للوداع ويدعو، وفيه المبالغة في

طول الوقوف والدعاء، وقد ذكره ابـــن المـــواز في الموازيـــة فأفـــاد ذلـــك أن إتيـــان قـــبر النـــبي ﷺ والوقوف عنده والدعاء عنده من الأمور المعلومة عند مالك، وأن عمـــل النـــاس علـــى ذلـــك قبلـــه وفي زمنه، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لأنكره فضلا عن أن يفتي بـــه أو يقـــر عليـــه.

وقال مالك في رواية ابن وهب: "إذا سلم على النـــبي ﷺ ودعـــا يقـــف ووجهـــه إلى القـــبر لا إلى القبلة ويدعو ويسلم ولا يمس القبر بيـــده".

وقال أبو عبد الله محمد عبد الله السامري في كتاب "المســـتوعب" في بـــاب زيـــارة قـــبر النـــبي ﷺ ما نصه" "وإذا قدم مدينة رسول الله ﷺ استحب له أن يغتســـل لدخولـــه، ثم يـــأتي مســـجد رســـول الله ﷺ يقدم رجله اليمنى في الدخول، ثم يأتي حـــائط القـــبر فيقـــف ناحيتـــه ويجعـــل القـــبر تلقـــاء وجهه، والقبلة خلف ظهره، والمنبر من يساره، ثم ذكر كيفية الســـلام والدعـــاء وأطـــال.

ومنه "اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك عليه الصلوة والســـلام{ولـــو أنهـــم إذ ظلمـــوا أنفســـهم جاءوك ....الخ} (سورة النساء٦٤) وإني قد أتيتك مســـتغفرا فأســـألك أن توجـــب لي المغفـــرة كمـــا أوجبتها لمن أتاه في حال حياته، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك" وذكـــر دعـــاء طويـــلا، ثم قـــال: "وإذا أراد الخروج عاد إلى القبر فودع". اهـــ. وهذا أبو عبد الله مـــن أئمـــة الحنابلـــة.

وكذلك ذكر أبو منصور الكرماني، من الحنفية أنه يدعويطيل الدعـــاء عنـــد القـــبر المكـــرم، وفي مناسك الإمام أبي زكريا النووي ما نصه "فصل في زيارة النبي ﷺ" وذكـــر كلامـــا مطـــولا، ثم قـــال: "فإذا صلى تحية المسجد أتى القبر فاستقبله واستدبر القبلة على نحـــو أربعـــة أذرع مـــن جـــدار القـــبر وسلم مقتصدا لا يرفع صوتـــه.

وقال الحصني وذكره – أي السفر لزيارة قبر الرسول الإمـــام أبـــو بكـــر أحمـــد بـــن النبيـــل، في مناسك لطيفة جردها من الأسانيد، والتزم فيها الثبوت، ولفظه وكان عمر بـــن عبـــد العزيـــز يبعـــث بالرسول قاصدا من الشام إلى المدينة ليقرئ النبي ﷺ السلام ثم يرجع، وهذا الإمـــام أبـــو بكـــر قـــديم توفي في سنة سبع وثمانين ومـــائتين.

وذكر السير إليه – أي إلى قبر النبي ﷺ كثير مـــن أصحـــاب الشـــافعي، مـــن جملتـــهم الســـيد الجليل أبو زكريا يحيى النووي قدس الله روحه، قـــال في كتابـــه المناســـك وغيرهـــا: فصـــل في زيـــارة قبر النبي ﷺ سواء كان ذلك على طريقه أم لا، فإن زيارته ﷺ مـــن أهـــم القربـــات وأربـــح المســـاعي وأفضل الطلبات اهـــــ

ثم قال: قالت الحنفية: إن زيارة قبر النبي ﷺ من أفضـــل المندوبـــات والمســـتحبات، وممـــن صـــرح بذلك الإمام أبو منصور محمد الكرماني في مناسكه، والإمام عبد الله بـــن محمـــود في شـــرح المختـــار،

وقال الإمام أبو العباس السروجي: وإذا انصرف الحاج من مكة شرفها الله تعالى فليتوجه إلى طيبة مدينة رسول الله ﷺ لزيارة قبره فإنها من أنجح المساعي، وكلامهم في ذلك يطول.

وقال ابن الخطاب محفوظ الكلوذي الحنبلي من أئمة الحنابلة في كتابه الهداية في آخر باب صفة الحج: "استحب له زيارة قبره ﷺ وصاحبيه اهـ".

وقال الإمام أحمد بن حمدان في "الرعاية الكبرى": "ويستحب لمن فرغ من نسكه زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه، وذلك بعد فراغ الحج، وإن شاء قبله". وذكر نحو ذلك غيرهم، ومنهم الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه "مثير الغرام" وعقد له بابا في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام.

ومن ذلك ما في كتاب "تهذيب الطالب" لعبد الحق الصقلي عن أبي عمران المالكي "أن زيارة قبر النبي ﷺ واجبة". وقال عبد الحق في هذا الكتاب: "رأيت في بعض المسائل التي سئل عنها أبو محمد بن أبي زيد، قيل له في رجل استأجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منه من ذلك فقال يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة،وهي مسئلة حسنة".

وقال العبدي المالكي في شرح الرسالة: "إن المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من المشي إلى الكعبة وبيت المقدس، وصدق وأجاد ﷺ".

وفي بعض النقول: "الاجماع على طلب الزيارة بعدت المسافة أو قصرت، وعمل الناس على ذلك في جميع الأعصار من جميع الأقطار، فكيف يحل لأحد أن يبدعهم بالقول الزور ويضلل أئمة أمة المختار، بل من المصائب العظيمة أن يوقع وفد الله تعالى في جريمة عظيمة وهي عصيانهم بشد رحالهم لزيارة قبره ﷺ عقب ما رجوه من المغفرة.

ثم قال: وقول ابن تيمية: إن ما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بل هي موضوعة، لم يرو واحد من أهل السنن المعتمدة شيئا منها. أعوذ بالله من مكر الله عز وجل، وانظر أدام الله لك الهداية وحماك من الغواية إلى هذا، كيف جعل الأحاديث المروية في زيارة قبر خير البرية كلها ضعيفة،ثم أردف ذلك بقوله باتفاق أهل العلم بالحديث، ولم يجعل الأئمة الذين أذكرهم من أهل الحديث، والعجب أنه روى عنهم في مواضع عديدة من كتبه.

ثم إنه أردف ذلك بأن الأحاديث المروية في زيارة القبر المكرم موضوعة، وهذا شيء لم يسر أحد من علماء المسلمين ولا مِن عوامهم فَاهَ به ولا رَمَزَ إليه لأمَنٍّ في عصره ولا مَنْ قبله، ولقد

أسرف هذه القضية بتجرئه على الإفــك علــى العلمــاء وعلــى انــه لا يعتقــد حرمــة الكــذب والفجور، ولا يبالي بما يقول وإن كان فيه عظــائم الأمــور.

وإذا عرفت هذا فينبغي أيها المؤمن الخالي من البدعة والهــوى أن لا تقلــد فيمــا ينقلــه ولا فيمــا يقوله، بل تفحص عن ذلك واسأل غير أتباعه ممن له رتبة في العلوم، وإلا هلكــت كمــا هلــك هــو وأتباعه وقد خرج هذا الحديث أبو اليمن في كتابه إتحاف الزائر وأطــراف المغنــم للســائر، وخرجــه الحافظ ابن عساكر في تاريخه في زيارة قــبره عليــه الصلــوة والســلام بعــد وفاتــه انتــهى كــلام الحصني.

قال الشيخ أبو محمد موفق الدين عبد الله ابن قدامة: "ويســتحب زيــارة قــبر النــبي ﷺ لمــا روى الدار قطني باسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله: "من حــج فــزار قــبري بعــد وفــاتي فكأنمــا زارني في حياتي".

قال الشيخ أبو الفرج ابن قدامة إمام الحنابلــة وصــاحب الشــرح الكبــير: في كتابــه "الشــرح الكبير": مسألة: فإذا فرغ من الحج استحب زيــارة قــبر النــبي ﷺ وفيــها يقــول: الله إنــك قلــت وقولك الحق:ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاســتغفروا الله واســتغفر لهــم الرســول لوجــدوا الله توابا رحيما" وقد أتيتك مستغفرا من ذنوبي مستشفعا بــك إلى ربي فأسـألك يــا رب أن توجــب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته اللــــهم اجعلــه أول الشــافعين وأنجــح الســالكين وأكــرم الأولين والآخرين برحمتك يا أرحم الراحمــين".

قال الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه "كشــاف القنــاع عــن مــتن الإقنــاع": "فصــل، وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي ﷺوقبري صاحبيــه أبي بكــر وعمــر رضــي الله عنــهما لحديث الدار قطني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ" من حج فــزار قــبري بعــد وفــاتي فكأنمــا زارني في حياتي".

قال الشيخ الفتوحي الحنبلي: "وسن زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيــه رضــي الله عنــهما فيســلم عليه مستقبلا له ثم يستقبل القبلة، يجعل الحجرة يساره، ويدعو، ويحــرمالطــواف بهــا".

قال الشيخ مرعي بن يوسف في كتابــه "دليــل الطــالب": "وســن زيــارة قــبر النــبيﷺ وقــبر صاحبيه رضوان الله عليــهما".

وممن صرح باستحبابها، وكونها سنة، مــن الشافعيــة الرافعــي في أواخــر بــاب أعمــال الحــج، والغزالي في الإحياء، والبغوي في التهذيب، والشيخ عز الدين بــن عبــد الســلام في مناسكه، وأبــو عمرو بن الصلاح، وأبو زكريا النووي رحمــهم الله تعــالى.

قال القاضي عياض: "كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة إما مهاجرا مستوطنا وإما متشوقا إلى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتعلما منه ومتقربا ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك ولا خذ سيرة العدل منهم والاقتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم ثم من بعدهم

ومن الحنابلة الشيخ موفق الدين، والإمام أبو الفرج البغدادي وغيرهما.

ومن الحنفية صاحب الإختيار في شرح المختار له عقد لها فصلا وعدها من أفضل المندوبات المستحبات.

وأما المالكية فقد حكى القاضي عياض منهم الاجماع على ذلك، وفي كتاب "تهذيب المطالب" لعبد الحق الصقلي عن الشيخ أبي عمران المالكي أن زيارة قبر النبي ﷺ واجبة قال عبد الحق يعني من السنن الواجبة

قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر في كتابه "الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم" بعد أن تكلم في شأن ابن تيمية بكلام كثير: ولقد تصدى شيخ الإسلام وعالم الأنام، المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وأمانته، التقي السبكي قدس الله روحه للرد عليه في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد وأصاب، وأوضح بباهر حججه طريق الصواب، فشكر الله مسعاه، وأدام عليه شآبيب رحمته ورضاه انتهى.

قال الهرري.ذكر السيوطي في مناهل الصفاء: "إن حديث "من زار قبري وجبت له شفاعتي" قال الذهبي فيه أنه يتقوى بتعدد الطرق، فكيف تجرأ ابن تيمية على قوله إن أحاديث الزيارة كلها كذب لم يستحِ من الله ولا من رسوله ولا من علماء الحديث ألم يعلم بأن من حفاظ الحديث الذين سبقوه من ألف كتابا سماه السنن والصحاح وهو الحافظ سعيد بن سكن أودع كتابه حديثا في الزيارة، وهذا الحافظ ابن حجر الذي جاء بعد ابن تيمية استحسن كلام الحافظ تقي الدين السبكي حيث أورد أحاديث الزيارة لم ينتقده فيما فعله من تصحيح بعض أحاديثها.

وحديث "ليسلكن عيسى بن مريم حاجا أو معتمرا و ليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه" صححه الحافظ أبو عبد الله الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي.

وقد ثبت عن عبد الله بن عمر أنه كان يقف بعد السلام على الرسول وصاحبيه ودعائه لهما ويدعو،صحح ذلك الحافظ ابن حجر في أماليه.

من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لاخذ السنن المنتشرة بها عنهم فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها ثم بعد ذلك في كل وقت إلى زماننا لزيارة قبر النبي ﷺ والتبرك بمشاهده وآثار أصحابه الكرام فلا يأتيها إلا مؤمن" (شرح مسلم ٨٤/١).

قال ابن حجر العسقلاني: وهو [اي منع شد الرحال إلى قبر النبيﷺ] من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية فانها [زيارة قبر النبي ﷺ] من أفضل الأعمال وأجل القربات الموصلة إلى ذي الجلال وإن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع" (فتح الباري ٥٤/٣).

وقال الشيخ ابن الهمام رح: إن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم مستحبة وقريب من الواجب فان آلاف الألوف من السلف كانوا يشدون رحالهم لزيارة النبي ﷺ ويزعمونها من أعظم القربات وتجريدُ نياتهم انها كانت للمسجد دون الروضة المباركة باطل بل كانوا ينوون زيارة قبر النبي ﷺ قطعا" (فيض الباري ٤٣٣/٢).

قال الخطيب الشربيني: "أما زيارته صلى الله عليه وسلم فمن أعظم القربات للرجال والنساء وألحق الدمنهوري به قبور بقية الأنبياء والأولياء والصالحين والشهداء وهو ظاهر" (مغني ٣٦٥/١).

قال الصاوي في تفسير قوله تعالى "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ الخ" (الجاثية ٢٣). وأما زيارة الصالحين والأنبياء فليس من قبيل عبادة لهم بل هي من باب التسبب في نفع الغير . . . فَآلَ الأمر إلى أن زيارة الصالحين والتوسل بهم من جملة طاعة الله وصاحبُها محبوب لله لأن أحبَ عباد الله إلى الله أنفعُهم لعباده وصدق عليهم أنهم يَصِلون ما أمر الله به أن يوصل فليست معصية فضلا عن كونها شركا كما اعتقده ذو الجهل المركب والعقيدة الزائغة (صاوي ٧١/٤).

وقال أيضا: ومن الضلال البين والخسران الظاهر تكفير المسلمين

بزيارة أولياء الله زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله كلا بل هـي مـن جملـة المحبة في الله التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسـلم : أَلَا لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا مَحَبَّةَ لَهُ (صـاوي ٢٨٢/١).

وقال أيضا : واما إن كان على سبيل أنهم عباد اختـاروا خدمـة ربهـم وعبادته فاختارهم وأحبهم فهذا الاعتقاد منج مـن المـهالك ومـورث للفـوز بصحبتهم ومرافقتهم في دار السلام لما ورد"اَلْمَـرْءُ مَـعَ مَـنْ أَحَـبَّ"(صـاوي ٣٥/٣).

أما قوله صلى الله عليه وسلم" لَا تُشَـدُّ الرِّحَـالُ إِلَّا إِلىٰ ثَلَاثَـةِ مَسَاجِدَ" فمعناه لا تشد الرحال للصلاة إلا إلى ثلثة مساجد. ويدل عليـه قولـه صلـى الله عليه وسلم" لَا يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّيْ أَنْ يَشُدَّ رِحَالَـهُ يَبْتَغِـي فِيـهِ الصَّـلَاةَ غَـيْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الخ (أحمد). لان جميع المساجد غير الثلاثـة متسـاوية في شـأن الصلاة. وقال ابن حجر العسقلاني في معنى هـذا الحديـث لا تشـد الرحـال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة فيبطـل بذلـك قـول مـن منـع شـد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره مـن قبـور الصـالحين (فتـح البـاري ٦٦/٣). فليس في الحديث نهي عـن السـفر للحـج أو للزيـارة كمـا هـو ظاهر وان كان السفر شركا فكيف يجوز في المواضـع الثلاثـة.

قال صاحب فيض الباري: وأحسن الأجوبة عنـدي (عـن منـع شـد الرحال) ان الحديث لم يَرِدْ في مسألة القبـور لمـا في المسـند لأحمـد لَا تُشَـدُّ الرِّحَالُ إِلىٰ مَسْجِدٍ لِيُصَلِّيَ فِيهِ إِلَّا إِلىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ"فـدل علـى أن نهـى شـد الرحال يقتصر على المساجد فقط ولا تعلق له بمسـألة زيـارة القبـور فجَـرُّه إلى المقابر مع كونه في المساجد ليس بسَدِيـدٍ (فيـض البـاري ٤٣٣/٢).

اَلزِّيَارَةُ مَعَ الْمَفَاسِدِ

سئل ابن حجر رح عن زيارة قبور الأولياء في زمن معـين مـع الرحلـة إليها هل يجوز مع أنه يجتمع عند القبـور مفاسـد كثـيرة كـاختلاط النسـاء

بالرجال واسراج السرج الكثيرة وغير ذلك (فأجاب) زيارة قبور الأولياء قربة مستحبة وكذا الرحلة إليها وأما الأولياء فانهم متفاوتون في القرب من الله تعالى ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم فكان للرحلة إليهم فائدة أيّ فائدة . . . وما أشار إليه السائل من تلك البدع أو المحرمات فالقربات لا تُترك لمثل ذلك بل على الانسان فعلها وانكار البدع بل وازالتها إن أمكنه وقد ذكر الفقهاء في الطواف المندوب فضلا عن الواجب أنه يُفعل ولو مع وجود النساء وكذا الرمل لكن أمروه بالبعد عنهن فكذا الزيارة يفعلها لكن يبعد عنهن وينهى عما يراه محرما بل ويزيله إن قدر ومن أطلق المنع من الزيارة خوف ذلك الاختلاطِ يلزمه اطلاق منع نحو الطواف والرمل بل والوقوف بعرفة أو مزدلفة والرمي اذا فشي الاختلاط او نحوه فلما لم يمنع الأئمة شيئا من ذلك مع أن فيه اختلاطا أيَّ اختلاط وانما منعوا نفس الاختلاط لا غير ذلك فكذلك هنا ولا تَغْتَرَّ بخلاف من أنكر الزيارةَ خشيةَ الاختلاط وزعمَ أن زيارة الأولياء بدعة لم تكن في زمن السلف ممنوع (فتاوى الكبرى ٢/٢٤).

وقال الإمام النووي رح في ترجمة شعيب ﷺ قال السمعاني في الأنساب قبر شعيب ﷺ في حطيب وهي قرية ساحل الشام وهذا الذي قاله السمعاني مشهور معروف عند أهل بلادنا وعلى قبره بناء وعليه وقف ويَقصِده الناس من المواضع البعيدة للزيارة والتبرك،تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٤٦).

قِرٰاءَةُ الْقُرْآنِ ، الدُّعٰاءُ، التَّبَرُّكُ، التَّوَسُّلُ

ليس المراد من الزيارة ذكر الموت فقط بل قد يكون قراءة القرآن والدعاء والتبرك وجعل محبة الأنبياء والأولياء متوسلا به مطلوبا كما تقدم في قوله تعالى: وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ.

روى البخاري عن عمرو بن ميمون الأودى قال رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ

اْلخَطَّابِ قَالَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ اذْهَبْ إِلىٰ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ فَقُلْ يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ اْلخَطَّابِ عَلَيْكِ السَّلَامَ ثُمَّ سَلْهَا أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ قَالَتْ كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلَأُوثِرَنَّهُ عَلىٰ نَفْسِي الخ. (بخاري ١/١٨٦ كتاب الجنائز). قال ابن حجر رح: فيه الحِرصُ على مجاورة الصالحين في القبور طمعا في إصابة الرحمة إذا نزلت عليهم وفي دعاء من يزورهم من أهل الخير" (فتح الباري ٣/٢٥٨).

روى البخاري ايضا: عن أبي هريرة إِنَّ مُوسىٰ ﷺ سَأَلَ اللهَ تَعَالىٰ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ اْلأَرْضِ اْلمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلىٰ جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ اْلكَثِيبِ اْلأَحْمَرِ (بخاري ١/١٧٨ باب من أحب الدفن في الارض المقدسة أو نحوها).

قال ابن حجر رح: المراد بقوله أو نحوها بقية ما تُشد إليه الرحال من الحرمين وكذلك ما يمكن من مدافن الأنبياء وقبور الشهداء والأولياء تَيمُّناً بالجوار وتعرضا للرحمة النازلة عليهم اقتداء بموسى عليه السلام (فتح الباري ٣/٢٠٧).

وقال النبي ﷺ: إِقْرَؤُا عَلىٰ مَوْتَاكُمْ يٰس (رواه أبو داود وابن ماجه وصححه ابن حبان: محلي ١/٣٢١). فالحديث يدل عى أن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده (عمدة القاري ٤/٢٠٦). وكذا في حاشية جامع الصغير ١/٢٥).

وعن الشعبي قال كَانَتِ اْلأَنْصَارُ إِذَا مَاتَ لَهُمُ اْلمَيِّتُ اخْتَلَفُوا إِلىٰ قَبْرِهِ يَقْرَءُونَ عِنْدَهُ اْلقُرْآنَ (كتاب الروح ١٤). وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يُقرأ عند قبورهم وقت الدفن قال عبد الحق يُروى أن عبد الله بن عمر أمرأن يُقرأ عند قبره سورة البقرة وممن رأى ذلك المعلى بن عبد الرحمن وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أوّلاً حيث لم يبلغه أثر ثم رجع عن ذلك (كتاب الروح ١٣).

قال النووي رح في شرح المهذب: يستحب أن يُقْرأَ عنده شيئ من القرآن وان ختموا القرآن كان أفضل (شرح المهذب ٢٩/٥).

قال جلال الدين السيوطي بعد بحث طويل عن وصول ثواب القراءة للميت "فمجموعُها [المذكورات] يدل على أن لذلك أصلا وبان المسلمين ما زالوا في كل عَصْرٍ يجتمعون ويقرؤن من غير نكير فكان ذلك إجْمَاعًا ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين بن الواحد المقدس (شرح الصدور ٣١/١).

وأما التوسل به صلى الله عليه وسلم عند زيارة قبره فسيأتي بحثه في باب التوسل وقال اسمعيل البروسوي: وجُرِّبَ استجابةُ الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة (روح البيان ٢٩٩/١).

قال الخطيب البغدادي: أخبرنا القاضي . . . . قال سمعت الشافعي يقول إني لأتبرّكُ بأبي حنيفة وأجيئ إلى قبره في كل يوم – يعني زائرا – فاذا عَرَضَتْ لي حاجةٌ صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت إليه تعالى الحاجة عنده فما تَبْعُدُ عني حتى تُقضى (تاريخ بغداد ١٢٣/١).

وقال أيضا في بيان موضع باب البردان : فيه قبر يعرف بقبر النذور ويقال ان المدفون فيه رجل من ولد علي بن أبي طالب ﷺ يتبرك الناس بزيارته ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته (تاريخ بغداد ١٢٣/١).

ذكر النووي في ترجمة حمزة بن عبد المطلب ﷺ ودُفن عند أُحدٍ في موضعه وقبره مشهور يزار ويتبرك به،تهذيب الأسماء واللغات ١٦٩/١ وقال في ترجمة أحمد بن حنبل دفن ببغداد وقبره مشهور معروف يتبرك به رح (تهذيب الأسماء واللغات ١١٢/١). روي البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَلَا تَحْبِسُوهُ وَأَسْرِعُوا بِهِ إِلىٰ قَبْرِهِ وَلْيُقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِهِ فَاتِحَةُ الْبَقَرَةِ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ بِخَاتِمَةِ الْبَقَرَةِ (مشكوة ١٤٩/١ باب دفن الميت).

عن أبي مدرك الأشجعي أن عمر اذا سوى على الميت قبره قال اللهم أُسْلِمُهُ إليك والأهلَ والمالَ والعشيرةَ وذنبه عظيمٌ فاغفر له (مصنف عبد الرزاق ٣/٥٠٩).

وروي عبد الرزاق أيضا قال بلغني أن ابن عباس حين فرغ من دفن ميمونة وقف على القبر فدعا ساعة ثم انصرف (مصنف عبد الرزاق ٣/٥١٠).

قال ابن حجر رح،وقول بعضهم تكرير الذهاب بعد الدفن للقراءة على القبر ليس بسنة ممنوع اذ يُسن كما نُصَّ عليه قراءةُ ما تيسر على القبر والدعاء له (تحفة ٣/١٩٩). وقال أيضا: ويقرأ ما تيسر ويدعو له عقب القراءة بعد توجهه للقبلة لانه عقبها أرجى للاجابة ويكون الميت كحاضر تُرجى له الرحمة والبركة بل تصل له القراءة هنا (تحفة ٣/٢٠٢). وقال أيضا : ويصح الاستئجار لقراءة القرآن عند القبر (تحفة ٦/١٥٧).

وقال ابن شهاب الدين الرملي: ويقرأ ويدعو عقب قراءته والدعاء ينفع الميتَ وهو عقب القراءة أقرب إلى الاجابة (نهاية ٣/٣٧).

وقال الخطيب الشربيني: ويقرأ عنده من القرآن ما تيسر وهو سنة في المقابر فان الثواب للحاضرين والميتُ كحاضر يرجى له الرحمة (مغني المحتاج ١/٣٦٥).

قال الشوكاني نفسه في النيل:الْحَقُّ أنه يخصص عموم الاية [وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ] بالصدقة وبقراءة يَس من الولد وغيره لحديث اقْرَؤُا عَلَىٰ مَوْتَاكُمْ يَس وبالدعاء من الولد وغيره لحديث أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ولحديث اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ (تحفة الأحوذي ٣/٣٤١).

قال ابن القيم نفسه: كان رجل يجيئ الى قبر أمه يوم الجمعة فيقرأ سورة يس فجاء في بعض أيامه فقرأ سورة يس ثم قال: اللهم ان كنت قسمت لهذه السورة ثوابا فاجعله في أهل هذه المقابر (كتاب الروح ١٤).

قال أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي: ولا بأس بالقراءة عند القبر وقد روي عن أحمد انه قال: إِذَا دَخَلْتُمُ الْمَقَابِرَ اقْرَؤُوا آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَثَلَاثَ مَرَّاتٍ [قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ] ثم قل: اللهم إن فضله لأهل المقابر . . . وقد روي عن النبي ﷺ انه قال: مَنْ دَخَلَ الْمَقَابِرَ فَقَرَأَ سُورَةَ يس خُفِّفَ عَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ وَكَانَ لَهُ بِعَدَدِ مَنْ فِيهَا حَسَنَاتٌ (مغني لابن قدامة ٢/٥٦٧).

قال ابن عساكر الدمشقي (ت: ٥٧١) في تاريخ نصر بن ابراهيم المقدسي توفي الفقيه أبو الفتح في يوم الثلاثاء التاسع من المحرم سنة تسعين وأربعمائة بدمشق وخرجنا بجنازته بعد صلوة الظهر فلم يُمكنّا دفنه إلى قريب المغرب لان الناس حسالوا بيننا وبينه وكان الخلق متوفرا ذكر الدمشقيون أنهم لم يروا جنازة مثلها وأقمنا على قبره سبع ليال نقرأ كل ليلة عشرين ختمة رحمه الله (تبيين كذب المفترى ٢٨٧).

وذكر أيضا في ترجمة أبي بكر البغدادي صاحب تاريخ بغداد "حضر جميع الفقهاء وأهل العلم ونقيب النقباء وتَبِع الجنازة خلقٌ عظيم إلى باب حرب وختم على القبر ختمات" (تبيين كذب المفترى ٢٧٠).

قال الإمام النووي في ترجمة نصر المقدسي "ذكر الدمشقيون أنهم لم يروا جنازة مثلها قال وأقمنا على قبره سبع ليال نقرأ كل ليلة عشرين ختمة" (تهذيب الأسماء واللغات ٢/١٢٦).

قال ابن كثير في ترجمة أبي جعفر الحنبلي "دفن إلى جانب الإمام أحمد فاتخذت العامة قبره سوقا كل ليلة أربعاء يترددون إليه ويقرؤن الختمات عنده حتى جاء الشتاء وكان جملة ما قرئ عليه وأُهدِي له عشرة آلاف ختمة" (البداية والنهاية ١٢/١١٩).

قال الإمام النووي "قال الشافعي والأصحاب يستحب أن يقرؤوا عنده شيئا من القرآن قالوا فان ختموا القرآن كله كان حسنا ورُوينا في سنن البيهقي باسناد حسن أن ابن عمر استحب أن يُقْرأ على القبر بعد الدفن أولُ سورة البقرة وخاتمتها" (أذكار النووي ١٤٧).

قال ابن حجر رح : "يُسَن وضعُ جريدة خضراء على القبر للاتباع وسنده صحيح ولأنه يخفف عنه ببركة تسبيحها إذهو أكمل من تسبيح اليابسة لما في تلك من نوع حيوة وقيس بها ما اعْتِيدَ من طرح الريحان ونحوه (تحفة ١٩٧/٣).

قال الخطيب "يسن أيضا وضع الجريد الأخضر على القبر وكذا الريحان ونحوه من الشيء الرطب" (مغنى ٣٦٤/١). وقال ابن حجر رح أيضا: ويصح الاستئجار لقراءة القرآن عند القبر (تحفة ١٥٧/٦).

قال الشرواني: الاجارة للقراءة على القبر مدةً معلومةً أو قدرا معلوما جائزةٌ للانتفاع بنزول الرحمة حيث يُقْرأ القرآنُ ويكون الميت كالحي الحاضر سواء أَعْقَبَ القراءةَ بالدعاء له أو جعل أجر قراءته له أم لا فتعود منفعة القراءة إلى الميت في ذلك ولأن الدعاء يلحقه وهو بعدها أقرب إجابة وأُكثر بَرَكَةً (شرواني ١٥٧/٦).

وقال الشرواني بعد ذكره عن المغنى كراهةَ المِظَلَّةِ "وقد يقال ينبغي أن يكون محل ذلك اذا لم يكن ثَمَّ غرض صحيح في التظليل والا فلا كراهة كان يكون لِوقايةِ مَنْ يجتمعون لنحو القراءة على الميت من الحر والبرد (شرواني ١٩٧/٣).

اَلزِّيَارَةُ لِلنِّسَاءِ

وأما زيارة قبر النبي ﷺ للنساء فقال ابن حجر رح: تسن لهن زيارته صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وكذا سائر الأنبياء

والعلماء والأولياء . . . إن القصدَ إظهار تعظيم نحـو العلمـاء بإحيـاء مشاهدهم وأيضا فزوّارهم يعود عليهم منهم مَـدَدٌ أُخْـرَوِي لا ينكـره إلا المحْرُومُونَ (تحفـة ٣/٢٠١).

قال ابن شهاب الدين الرملي: أما هـي [زيـارة قـبر النـبي ﷺ] فلا يكره بل تكون من أعظم القربـات للذكـور والانـاث وينبغـي ان تكون قبورُ سائرِ الأنبياء والأوليـاءكذلـك كمـا قالـه ابـن الرفعـة والقمولي وهو المعتمد (نهايـة ٣/٣٧).

روي أحمد عن عائشة قـالَتْ كُنْـتُ أَدْخُـلُ بَيْـتِيَ الَّـذِي فِيـهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَإِنِّي وَاضِعٌ ثَوْبِي وَأَقُـولُ إِنَّمَـا هُـوَ زَوْجِـي وَأَبِي[٣] فَلَمَّـا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَ اللهِ مَا دَخَلْتُهُ إِلَّاوَأَنَا مَشْـدُودَةٌ عَلَـيَّ ثِيَـابِي حَيَـاءً مِنْ عُمَرَ (رواه أحمد، مشكـوة ١/١٥٧).

روي عبد الرزاق : كَانَتْ فَاطِمَـةُ بِنْـتُ رَسُـولِ اللهِ ﷺ تَـزُورُ قَبْرَ حَمْزَةَ كُلَّ جُمُعَةٍ (مصنـف عبـد الـرزاق ٣/٥٧٢). وروي أيضـا عن ابن أبي مليكة: وَرَأَيْتُ عَائِشَةَ تَزُورُ قَبْرَ أَخِيـهَا عَبْـدِ الرَّحْمٰـنِ بْـنِ أَبِي بَكْـرٍ وَمَـاتَ بِـالْحُبْشِي وَقُـبِرَ بِمَكَّـةَ (مصنـف عبـد الـرزاق ٣/٦٧٠٩) [الحبشي: بضـم المهملـة في آخـره يـاء جبـل بأسفل مكة على ستة أميال هـامش المصنـف].

وعن ابن أبي مليكة قال لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْـدُ الرَّحْمٰـنِ بْـنُ أَبِي بَكْـرٍ بِـالْحُبْشِي وَهُوَ مَوْضِعٌ فَحُمِلَ إِلَى مَكَّةَ فَدُفِنَ بِهَا فَلَمَّـا قَدِمَـتْ عَائِشَـةُ أَتَـتْ قَـبْرَ عَبْـدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَقَـالَتْ:

وَكُنَّا كَـنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَـةً
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَـا
فَلَمَّا تَفَـرَّقْنَا كَأَنِّـي وَمَالِكَـا

---

[٣] فيه زيارة المرأة لقبر النبي والـولي.

لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبُتْ لَيْلَةً مَعــًا

(مشكوة ١/١٤٩) فهذه الأحاديث مُخَصِّصَـــةٌ لحديــثِ نَهْيِـهِنَّ زيـارةَ القبور.

تَعْظِيمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَٱلْقُبُورِ

وأما تعظيم الجنازة والقبور فروى عن ابن ســـعيد قـــال قـــال رسول الله ﷺ إِذَا رَأَيْتُمُ ٱلْجَنَازَةَ فَقُومُـــوا (متفـــق عليـــه – مشكـــوة ١/١٤٤ باب المشـــي بالجنـــازة). وروي مســـلم عـــن أبي مرثـــد الغنوي قال قال رسول الله ﷺ لَا تَجْلِسُـــوا عَلَـــى ٱلْقُبُـــورِ وَلَا تُصَلُّـــوا إِلَيْهَا (مســـلم ١/٣١٢).

قال الرازي: ان الناس يزورون قبـــور الشـــهداء ويُعَظِّمُونَهَـــا وذلك يدل من بعض الوجـــوه علـــى مـــا ذكرنـــاه مـــن أنهـــم (أي الشهداء) في الوقـــت أحيـــاء (رازي ٤/١٤٧).

قال ابن حجر رح: ويقرب ندبـــا زائِـــرُه مـــن قـــبره كقربـــه منـــه اذا زارحيًا إِحْتِرَامًا له (تحفـــة ٣/١٧٥).

قال اللمعات: وينبغي احترام الميت عند زيارته مـــهما أمكـــن لا ســـيما الصالحون بأن يكون في غاية الحياء والتأدب بظـــاهره وباطنـــه فـــان للصـــالحينَ مددًا ظاهرًا بالغًا لزُوَّارِهم بحسب أدبهم ونهتـــهم وقبولهـــم (لمعـــات، مشكـــوة ١٥٤).

قال ابن حجر العسقلاني رح: روي الواقدي أيضـــا عـــن ابراهيـــم بـــن أبي ربيعة قال كُسِيَ ٱلْبَيْـــتُ فِي ٱلْجَاهِلِيَّـــةِ ٱلْأَنْطَـــاعَ ثُمَّ كَسَـــاهُ رَسُـــولُ ٱللهِ ﷺ ٱلثِّيَابَ ٱلْيَمَانِيَّةَ[٤] ثُمَّ كَسَاهُ عُمَرُ وَعُثْمَانُ ٱلْقِبَـــاطِيَّ ثُمَّ كَسَـــاهُ ٱلْحَجَّـــاجُ ٱلدِّيبَـــاجَ وروي الفاكهي باسناد حسن عن سعيد بن المسيب قال لمـــا كـــان عـــام الفتـــح أتت امرأة تُجَمِّرُ الكعبةَ فاحترقتْ ثِيابُها وكـــانت كســـوةَ المشركـــين فكســـاها

---

[٤] فكساء قبور الاولياء من باب التعظيـــم

المسلمون بعد ذلك (فتح الباري ٤٥٨/٣ باب كسوة الكعبة، بخاري ٢١٧/١).

قال اسمعيل الحقي البروسوي في تفسير قوله تعالى إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ الخ (التوبة). قال الشيخ عبد الغني النابلسي في كشف النور عن أصحاب القبور بناءُ القِبَابِ على قبور العلماءِ والأولياء والصلحاء ووَضْعُ السُّتورِ والعمائمِ والثيابِ على قبورهم أمرٌ جائز اذا كانت القصدُ بذلك التعظيمَ في أَعْيُنِ العامة حتى لا يحتقروا صاحبَ هذا القبر وكذا إيقادُ القناديلِ والشَمْع عند قبور الأولياء والصلحاء من باب التعظيم والإجلالِ أيضا للأولياء فالمقصدُ فيها مقصدُ حسن ونَذْرُ الزيتِ والشمع للأولياء يُوقَد عند قبورِهم تعظيمًا لهم ومحبةً فيهم جائزٌ أيضا لا ينبغي النهي عنه (روح البيان ٤٠٠/٣).

روي البخاري عن عائشة وابن عباس اَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَبَّلَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ (بخاري ٦٤١/٢). باب ما جاء في مرض النبي ﷺ ووفاته.

قال ابن حجر العسقلاني رح: استنبط بعضُهم من مشروعيةِ تقبيلِ الأركانِ جوازَ تقبيلِ كلِ من يستحق التعظيم من آدمي وغيره فاما تقبيل يد الآدمي فيأتي في كتاب الأدب وأما غيره فنقل عن الإمام أحمد انه سئل عن تقبيل منبرِ النبي ﷺ وتقبيلِ قبره فلم يَرَبِهِ بأسًا ونقل عن أبي الصيف اليماني أحدِ علماءِ مكةَ الشافعيةِ جوازُ تقبيل المصحف وأجزاءِ الحديث وقبورِ الصالحين (فتح الباري ٤٧٥/٣).

بِنَاءُ الْقُبَّةِ

وأما بناء القبة على قبور الأنبياء والأولياء فالقبة على قبر النبي ﷺ محل اجماع بلا نزاع[٥].

---

* قال محمد حبيب الله : ويدل لجواز أصل البناء على القبور ما أخرجه الترمذي في الشمائل في باب ما جاء في وفاة رسول الله ﷺ عن عائشة قالت لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه

روي البخاري: عن أبي بكر بن عياش عن سفين التمار انه حدثه رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ مُسَنَّمًا[٦] (بخاري ١٨٦/١). قال ابن حجر رح قوله (مسنما) مرتفعا.

ورَوي أيضا عن هشام بن عروة عن أبيه لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْحَائِطُ فِي زَمَانِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخَذُوا[٧] فِي بِنَاءِهِ فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ فَفَزِعُوا وَظَنُّوا

فقال ابو بكر سمعت من رسول الله ﷺ شيأ ما نسيته قال ما قَبَضَ الله نبيا الا في الموضع الذي يجب أن يُدْفَن فيه إدفنُوه في موضع فراشِه وهذا الحديث (رواه مالك) في المرطا بلاغا – ولفظه فقال اي ابو بكر الصديق سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه فحفر له فيه الخ. وقد وصله ابن سعد من طريقين وأخرجه أحمد في مسنده في أوائل مسند ابي بكر الصديق ﷺ وكان دفنه تحت البناء باجماع الصحابة جميعا، وقد دفن صاحباه معه بعد ذلك باجماعهم ايضا وكان عمر استاذن عائشة رض في الدفن تحت البناء في بيتها مع صاحبيه، ولما وقع بعضُ هَدْمٍ في الحجرة بعد ذلك أُعِيدَ بناؤُها عليهم باجماع التابعين (لم تبق ريبة). في جواز مجرد البناء الخالي عن المباهاة على القبور لما علمت من اجماع الصحابة والتابعين على دفن الشيخين تحت البناء مع النبي ﷺ مع أن الدفن تحته لم يثبت أنه من خصوصياته عليه الصلاة والسلام ولا فرق بين حدوثِ القبر تحت البناءِ وحدوثِ البناءِ على القبرِ فالفرق الحاصلُ فيه فرق صوريٌ ولا اعتدادَ بالفرقِ الصوري (زاد المسلم ٣٢/٢-٣٣). ويؤيّد عدمَ الفرق اعادةُ الصحابة والتابعين البناءَ لما سَقطَ الحائطُ كما في حديث البخاري المذكور.

[٦] قال الحافظ زاد ابو نعيم في المستخرج وقبر أبي بكر وعمر كذلك واستدل به على أن المستحب تسنيمُ القبور وهو قول ابي حنيفة ومالك واحمد والمزني وكثير من الشافعية وادعى القاضي اتفاق الاصحاب عليه (فتح ٤١٧/٤). والتسطيح أنْ يرفعَ قدرَ شبرٍ ثم يُسَطَّح فوقه.

[٧] وذلك في زمن عمر بن عبد العزيز. ولما احتاجت الصحابة والتابعون الى زيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد ثم بنوا جدارين وهكذا قال قلت بنوا على قبره لخوف ان يصلى اليه القول الحصر ممنوع وان سلم فعليه يجوز البناء للحاجة ايضا.

أَمَّا قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ فَمَا وَجَدُوا أَحَدًا يَعْلَمُ ذٰلِكَ حَتّٰى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ لَا وَاللهِ مَا هِيَ قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ مَا هِيَ إِلَّاقَدَمُ عُمَرَ (بخاري ١٨٦/١ باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر).

وروي أيضا: قَالَ خَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ رَأَيْتُنِي وَنَحْنُ شُبَّانٌ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ وَإِنَّ أَشَدَّنَا وَثْبَةً الَّذِي يَثِبُ قَبْرَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ حَتّٰى يُجَاوِزَهُ (بخاري ١٨١/١ باب الجريد على القبر). قال ابن حجر العسقلاني: وفيه جواز تعلية القبر ورفعه من وجه الأرض (فتح الباري ٢٢٣/٣). قال القسطلاني في قوله (حتى يجاوزه) من ارتفاع (قسطلاني ٥٤٧/٢).

وعن عبد الله بن عمرأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلّٰى فِي طَرَفِ تَلْعَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْعَرَجِ وَأَنْتَ ذَاهِبٌ إِلٰى هَضَبَةٍ عِنْدَ ذٰلِكَ الْمَسْجِدِ قَبْرَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ عَلَى الْقُبُوْرِ رَضَمٌ [الرضم: ان تنصب الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط – هامش محمد رسول الله ﷺ ٤١] مِنْ حِجَارَةٍ عَنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ عِنْدَ سَلَمَاتِ الطَّرِيقِ (بخاري ٨/١ باب المساجد التي في طرق المدينة).

قال الإمام النووي والرافعي: ويجوز الوصية لعمارة قبور الأنبياء والعلماء والصالحين لما فيها من إحياء الزيارة والتبرك بها (روضة ٩٨/٦).

قال ابن حجر رح: ولو انمحقَ الميتُ وصار ترابا جاز نبشُه للدفن فيه بل تحرم عمارتُه وتسويةُ ترابِه في مُسَبَّلةٍ لِتَحْجِيرِه على الناس قال بعضهم إلا في صحابيٍّ ومشهور الولاية فلا يجوزُ وإن انمحقَ ويؤيِّدُه تصريحُهما بجوازِ الوصيَّة بعمارة قبور الصلحاء (تحفة ٢٠٦/٣).

قال الإمام الرملي: ومحل ذلك كما قاله الْمُوَفَّقُ ابنُ حمزةَ في مُشْكَلِ الوسيطِ ما لم يكن المدفون صحابيا أو ممن اشتهرتْ ولايتُه

وإلا امتنع نبشُه عند الانمحاق وأيده بعـــض المتـــأخرين بجـــواز الوصيـــة بعمارة قبور الأنبياء والصالحين لما فيه من إحياء الزيـــارة والتـــبرك (نهايـــة المحتاج ٣/٤١).

قال الشرواني: فالذي يتجه أنه يجوز فيـــها أي في قبـــور الصـــالحين في المسبلة تسويةُ التراب ونحوُها ممـــا يَمْنَـــعُ انْدِرَاسَـــها ويُـــديمُ احتِرَامَـــها قوله ونحوها شامل للبنـــاء (شـــرواني ٣/٢٠٦).

قال ابن قاسم: قضية ذلك انه يجوز البنـــاء عليـــه ولـــو في مســـبلة (ابن قاســـم ٣/٢٠٦). لان سبب المنع من البناء التحجير ولا يوجد عند امتناع النبش.

قال الشرواني أيضا: المعتمد ما ذكـــره في الجنـــائز أي مـــن جـــواز الوصية للتسوية وعمارة قبور الأنبيـــاء والصـــالحين في المســـبلة (شـــرواني ٧/١٥).

وفي البجيرمي: وحرم البناء بمقبرة مســـبلة ومحـــل ذلـــك مـــا لم يكـــن الميت من أهل الصلاح ومن ثم جازت الوصية بعمـــارة قبـــور الصـــالحين لمـــا في ذلك من إحياء الزيارة والتـــبرك (بجـــيرمي ١/٤٩٦).

وأما قول ابن الحياج الأسدى انه قال قـــال لي عَلِـــيٌّ ألا أَبْعَثُـــكَ علـــى ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لاَّ تَـــدَعَ تِمْثَـــالاً إلا طَمَسْـــتَه ولا قَـــبْرًا مُشْرَفًـــا إلاسَوَّيْتَهُ (مسلم ١/٣١٢ كتاب الجنـــائز). فمحمـــول علـــى قبـــور الكفـــار كما يدل عليه الأمر بالتسوية لأنه لا يحتمـــل ان يـــأذن النـــبي ﷺ اولا في رفـــع قبور الصحابة ثم يأمرهم بتسويتها أو ياذن أبو بكـــر وعمـــر ﷺ ثم يـــأمر علـــيٌّ بهدمها.

وقال ملا على القارى: وقد أباح الســـلفُ البنـــاءَ علـــى قـــبر المشـــايخ والعلماءِ المشـــهورين لـــيَزُورَهم النـــاسُ ويَسْـــتَرِيحُوا بـــالجلوسِ فيـــه (مرقـــاة ٢/٣٧٢).

قال ابن كثير في ترجمة الدخوار الطبيب: وكـــانت وفاتـــه بصفـــر مـــن

هذه السنة ودفن بسَفْح قاسِيُون وعلى قبره قبة على أَعمـــدةٍ في أُصـــل الجبـــل (البداية والنهايـــة ١٣/١٣٠).

وذكر الشيخ في ترجمـــة أبي البيـــان صـــاحب القـــرن الخـــامس تـــوفي بدمشق ودفن بباب الصغير وقبره هناك معروف وقدبَـــنِيَ أُصحابُـــه عليـــه بنـــاءً واتخذُوا فيه رِباطا (طبقـــات الشافعيـــة ١/٢٢٤).

وذكر ابن خلكان في ترجمة الإمام أبي حنيفة: بـــني شـــرفُ الملـــك أبُـــو سعد محمد بن منصور الخوارزميُ - مســـتوفى مملكـــة الســـلطان ملـــك شـــاه السلجوقي على قبر الإمام أبي حنيفة مشهدًا وقبة وبني عنـــده مدرســـة كبـــيرة للحنفية ولما فرغ من عمـــارة ذلـــك ركـــب إليـــهافي جماعـــة مـــن الأعيـــان ليُشاهِدُوها (وفيات الاعيان في أنباء أبنـــاء الزمـــان ٥/٤١٤).

وقال ابن بطوطة في تعريفه البصرة: فيها مَشْـــهَدُ طلحـــةَ بـــن عبيـــد الله أحد العشرة ﷺ وعليه قبة ومسجد وزاويـــة فيـــها الطعـــام للـــوارد والصـــادر وأهل البصرة يُعظِمُونه تعظيما شدِيدا وحَـــقَّ لـــه . . . وأهـــل البصـــرة علـــى مذهب السنة والجماعة وفيها قـــبر الحســـن بـــن أبي الحســـن البصـــري ســـيد التابعين وقبر محمد بن سيرين وقبر محمد بن واســـع وعَلَـــى كُـــلٍ منـــها قبـــةُ مكتوب فيها اسم صاحب القبر ووفاتُه (رحلة ابـــن بطوطـــة ١٨٣).

قال الخطيب البغدادي: حدثـــني ابي - كنـــت جالســـا بحضـــرة عضـــد الدولة ونحن مُخيَمونَ بالقرب من مُصَليَّ الاعيـــاد في الجـــانب الشرقـــي فوقـــعَ طرْفهُ على البناء الذي على قبر النُذُورِ فقال لي: ما هـــذا البنـــاء فقلـــت هـــذا مشهد النذور (تاريخ بغـــداد ١/١٢٣).

قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِـــمْ لَنَتَّخِـــذَنَّ عَلَيْـــهِمْ مَسْـــجِدًا (الكـــهف) (قال الذين غلبوا على أمرهـــم) مـــن المســـلمين ومَلِكِـــهم (لنتخـــذن عليـــهم مسجدا) أي لَنُبْنِيَنَّ علـــى بـــاب كهفِـــهم مســـجدا يُصَلِـــى فيـــه المســـلمون ويَتبرَّكوُن بمكانِهم (روح البيان ٥/٢٣٢). قال في زاد المســـير: (قـــال الذيـــن

غلبوا على أمرهم) قال المفسرون وهـم الملـك وأصحابـه المؤمنـون اتخـذوا عليهم مسجدا اهـ (زاد المسير ٥/١٢٤).

قال في غرائب القرآن: والذين غلبوا على أمرهم المسلمون ومليكهم المسلمُ لأنهم بنَوْا عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانتهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم حفظا لتربتهم اهـ (غرائب القرآن هامش جامع البيان ١٥/١١٩).

قال في فتح الباري: (وكتبنا عليهم فيها) بناء على أن شرْعَ مَنْ قبلنا شرع لنا ما لم يَرِد في شرعنا ما يَرفعُه اهـ (١٢/٢٢٥).

وتوفي (معاوية) في رجب سنة إحدى وستين وله ثمانون سنة ودفن بدمشق بباب الصغير وقبره يزار إلى هذا الوقت (وهو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة) وعليه بيت مبني يفتح كل اثنين وخميس اهـ (مروج الذهب ٣/١١). وأما المشاهد المعروفة بالمدينة في غير البقيع فثلاثة.

أحدها: مشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم رسول صلى الله عليه وسلم ويسأتي ذكره مع شهداء أحد في الفصل بعده. وعليه قبة عالية حسنة متقنة. وبابه مصفح كله بالحديد اهـ وفاء الوفاء ٣/٩٢١).

ودفن (مالك رضي الله عنه) وقبره بباب البقيع وعليه قبة اهـ (تهذيب الأسماء واللغات ٩/٧٩).

وهو (ابن سجاع) بنى على قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه القبةَ اهـ (شذرات الذهب ٣/٣١٩).

وكذا بنيت القبة على قبر الصحابي أبي سفيان كما في سيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٠١).

وكذا على قبر طلحة الصحابي كما في أسد الغابة لابن الأثير (٣/٩٦١).

أَلرُّقىٰ وَالتَّمَائِمُ
وَسَائِرُ التَّبَرُّكَاتِ الشِّفَائِيَّةِ

الرقي والتمائم وسائر التبركات الشفائية حاصل كل واحد منها يرجع إلى الاستشفاء بدعاء الله والتبرك بالقرآن والذكر وما يتلبس بهما والاستشفاء بالمذكورات أمر مشروع ونافع للشفاء ما لم يكن فيه شرك.
قال النووي رحمه الله: "وأما الرقي بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة فلا نهي فيه بل هو سنة".(شرح مسلم٢\٢١٩).
قال الله تعالى:{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ} (الإسراء ٨٢).

قال الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: "واعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية وشفاء أيضا من الأمراض الجسمانية وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الأمراض" (رازي ٢١\٣٤).

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: "إنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالةِ الرَّيْبِ وشفاء من الأمراض الظاهرة بالرقي والتعوذ ونحوه" (قرطبي ١٠\٣١٥).

قال الشيخ إسماعيل البروسوي في تفسير هذه الآية: "واعلم أن القرآن شفاء للمرض الجسماني أيضا الخ ....." (روح البيان ٥\١٩٤).

قال القرطبي أيضا: "تكتب (هذه الآية) في إناء نظيف ثم تغسل ثلاث مرات بماء نظيف ثم يَحْثُوْ منه ثلاث حثوات الخ.... (قرطبي ١٠\٣١٧).

قال تاج الدين السبكي في طبقاته: "ورأيت كثيرا من المشايخ يكتبون هذه الآيات للمريض ويسقاها في الإناء طلبا للعافية وقوله عليه السلام ــ مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ فَلَا شِفَاءَ لَهُ ــ يشمل الاستشفاء للمرض

الجسماني والروحاني" (روح البيان٥\١٩٤).

قال الإمام الرازي "إن النفث في العقد إنما يكون مذموما إذا كان سحرا مضرا بالأرواح والأبدان فأما إذا كان النفث لإصلاح الأرواح والأبدان وجب أن لا يكون حراما" (رازي ٣٢\١٩٠).

وقال القرطبي: "إن النفث في العقد إذا كان مذموما لم يجب أن يكون النفث بلا عقد مذموما وان النفث في العقد إنما أريد به السحر المضر بالأرواح وهذا النفث (أي النفث الجائز) لِإسْتصلاح الأبدانِ فلا يقاس ما ينفع بما يضر" (قرطبي ٢٠\٢٥٨).

عن عبد العزيز قال دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ ثَابِتٌ يَا أَبَا حَمْزَةَ اشْتَكَيْتُ، فَقَالَ أَنَسٌ أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ: بَلَى! قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَأْسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا" (بخاري ٢\٨٥٥ باب رقية رسول الله ﷺ).

الرُّقَى مِنَ السُّمِّ

عن عائشة قالت: "رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ الرُّقْيَةَ مِنْ كُلِّ ذِي حُمَةٍ"[1] (بخاري ٢\٨٥٤).

عن جابر بن عبد الله قال: "لَدَغَتْ رَجُلاً مِنَّا عَقْرَبٌ وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ أَرْقِي قَالَ: مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ" (مسلم ٢\٢٢٣) دلائل واضحة على أن الرقي سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

عن أبي سعيد أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِنْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حتى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضِيفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ

[1] بضم الحاء سم العقرب ونحوه

شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَوْ أَتَيْتُمْ هٰؤُلاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ وَاللهِ إِنِّي لَرَاقٍ وَلٰكِنْ وَاللهِ قَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضِيفُونَا فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ قَالَ فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ اقْسِمُوا فَقَالَ الَّذِي رَقَى لا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا فَقَدِموا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ[٢] أَصَبْتُمْ اقْتَسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَهُم بِسَهْمٍ (بخاري ١٢\٨٥٥ ، مسلم ١٢\٢٢٤).

عن عائشة رضي الله عنها قالت كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ قَالَتْ فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذٰلِكَ بِهِ قَالَ يُونُسُ كُنْتُ أَرَى ابْنَ شِهَابٍ يَصْنَعُ ذٰلِكَ إِذَا أَتَى إِلَى فِرَاشِهِ (بخاري ١٢\٨٥٥).

عن عائشة رضي الله عنها كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي (مسلم ١٢\٢٢٢).

عن عائشة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ

---

[٢] فيه الإستنباط في الإستشفاء بالقرآن وفيه دليل على بطلان قول كل محدثة بدعة وفي كل إِحْدَاثٍ التشريعُ بغير إذن الله وفيه دليل على أن لا حاجة إلى الثبوت عن النبي ﷺ في التشخصات كالإستشفاء بالتمائم وبالكتابة وسقي غسالتها بل يكفي ثبوت الأصل فيه. وفيه دليل على أن الْجُزْئِيَّاتِ معتبرةٌ في الاستشفاء بالأسماءِ كبقية الأدوية.

بِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا فَسَأَلْتُ ابْنَ شِهَابٍ كَيْفَ كَانَ يَنْفُثُ؟ قَالَ: كَانَ يَنْفُثُ عَلَى يَدَيْهِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ (بخاري ٢\٨٥٦ باب المرأة رقي الرجل) دلائل واضحة على أن البركة معتبرة في الاستشفاء بالمذكورات وعلى جواز التفل والنفث.

وكان النبي ﷺ يقول: "في الرقية تُرْبَةُ أَرْضِنَا وَرِيقَةُ بَعْضِنَا يَشْفِي سَقِيمَنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا" (بخاري ٢\٨٥٥ باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم).

وكان النبي ﷺ ينفث في الرقية (ابن ماجه ٢٥٢) أي كان يقرأ المعوذات ثم ينفث على المريض إلخ (إنجاح الحاجة ــ حاشية ابن ماجه ــ)٢٥٢ دلائل واضحة على جواز التفل والنفث في الرقي.

قال النووي رحمه الله: "وقد أجمعوا على جواز النفث في الرقية واستحبه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم . قال القاضي وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنَفَسِ المباشرةِ للرقيةِ والذكرِ الحسنِ قال كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء الحسنى وكان مالك ينفث إذا رقى نفسه إلخ (شرح مسلم٢ \٢٢٢).

نقل ابن حجر قول القاضي أيضا وفي آخره: "وقد يكون (النفث) على سبيل التفاؤلِ بزوالِ[٣] ذلكِ الألَمِ عن المريض كانفصالِ ذلك عن الراقي" انتهى. (فتح الباري ١٠\١٩٧).

اَلْإِسْتِشْفَاءُ بِسَقْيِ الْمَاءِ الْمُتَبَرَّكِ

عن السائب بن يزيد قال: "ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: "يَا

[٣] يفهم منه جواز بعض الأعمال الدالة على التفاؤل في الرقي والتبركات الشفائية وأما النهي عن النفث في بعض الأحاديث فهي إذا لم يكن متبركا.

رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَقِعٌ" فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوءِهِ (بخاري ١\٣١).

وقال أبو موسى: "دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ فِيهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: اِشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا" (بخاري ١\٣١).

عن جابر قال جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوءِهِ فَعَقَلْتُ...... إلخ (بخاري ١\٣٢).

أَلْإِسْتِشْفَاءُ
بِمُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ

عن أم سليم أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِيهَا فَيَقِيلُ عِنْدَهَا فَتَبْسُطُ نِطْعًا فَيَقِيلُ عَلَيْهِ وَكَانَ كَثِيرَ الْعَرَقِ فَكَانَتْ تَجْمَعُ عَرَقَهُ فَتَجْعَلُهُ فِي الطِّيبِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هٰذَا ؟ قَالَتْ: "عَرَقُكَ! نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ" وفي رواية قالت: "يَا رَسُولَ اللهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا" قَالَ أَصَبْتِ (متفق عليه ــ مشكوة ٥١٧) وكانت أم سليم محرما للنبي ﷺ (شرح مسلم ٢\٢٥٧).

عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ عَيْنٌ أَوْ شَيْءٌ بَعَثَ إِلَيْهَا مِخْضَبَهُ[٤] فَأَخْرَجَتْ مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ تُمْسِكُهُ فِي جُلْجُلٍ مِنْ فِضَّةٍ فَخَضْخَضَتْهُ لَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ قَالَ فَاطَّلَعْتُ فِي الْجُلْجُلِ فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ حَمْرَاءَ: (رواه البخاري ــ مشكـوة ٢\٣٩١).

---

[٤] بالكسر إناء كالمركن والإجانة يغسل فيها الثياب والجلجل إناء كالجرس قال الطيبي واستعمال الفضة هنا كاكتساء الكعبة بالحرير تعظيما وتبجيلا. انظر المرقاة.

قالت أسماء بنت أبي بكر: "هٰذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضٰى نَسْتَشْفِي بِهَا (رواه مسلم ــ مشكوة ٢\٣٧٤).

روى ابن وهب وكذا البيهقي عن ابن إسحق: أَنَّ حَبِيبَ بْنَ يَسَافٍ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِضَرْبَةٍ عَلٰى عَاتِقِهِ حَتّٰى مَالَ شِقُّهُ فَرَدَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَفَثَ عَلَيْهِ حَتّٰى صَحَّ وَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ مَعَهَا صَبِيٌّ بِهِ بَلاءٌ لا يَتَكَلَّمُ فَأُتِيَ بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ فَاهُ وَغَسَلَ يَدَيْهِ ثُمَّ أَعْطَاهَا إِيَّاهُ وَأَمَرَهَا بِسَقْيِهِ وَمَسِّهِ بِهِ فَبَرَأَ الْغُلَامُ وَعَقَلَ عَقْلاً يَفْضُلُ عُقُولَ النَّاسِ: (رواه ابن أبي شيبة عن أم جندب مرفوعا ــ شرح الشفا ١\٦٥٦).

عن أبي جعفر محمد بن علي قال: "مَنْ وَجَدَ فِي قَلْبِهِ قَسْوَةً فَلْيَكْتُبْ يٰس بِزَعْفَرَانٍ ثُمَّ يَشْرَبُهُ" (مستدرك ٢\٤٢٨).

كانتْ عائشةُ تَقْرأُ بالمعوذتين في إناءٍ ثم تَأْمُرُ أَنْ يُصَبَّ على المريض (قرطبي ١٠\٣١٨) دلائل واضحة على شرب الماء المتبرك وصبه على المريض للاستشفاء.

الدَّوَاءُ الرُّوحَانِيُّ لِلسُّقُوطِ مِنَ الْمَرْكَبِ وَلِلنِّسْيَانِ وَلِلْحِفْظِ مِنَ الشَّيْطَانِ

عن قيس قال: قال لي جرير قال لي النبي ﷺ: "أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ"؟ وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمَ يُسَمّٰى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَةِ فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ وَكُنْتُ لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتّٰى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي، وقال: "اللّٰهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا" فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَّرَهَا وَحَرَّقَهَا ثُمَّ بَعَثَ إِلٰى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: "وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُكَ حَتّٰى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ" قَالَ: فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ (بخاري ٢\٦٢٤)

وفي رواية عن جرير فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ (بخاري ٢\٦٢٤).

عن أبي هريرة قال: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّيْ أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيْرًا أَنْسَاهُ" قَالَ: "أُبْسُطْ رِدَائَكَ" فَبَسَطْتُهُ فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "ضُمَّ" فَضَمَمْتُهُ فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدُ (بخاري ١\٢٢).

عن أبي هريرة قال وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكٰوةٍ ......فَجَاءَ يَحْثُوْ مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهٰذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ إِنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ فَقَالَ: "دَعْنِي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا إِذَا آوَيْتَ إِلىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِي، اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ حَتّٰى تَخْتِمَ الآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتّٰى تُصْبِحَ" فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا فَعَلَ أَسِيْرُكَ؟ قُلْتُ: "زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِيَ اللهُ بِهَا" قَالَ: "أَمَا انَّهُ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ وَتَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلٰثِ لَيَالٍ؟" قُلْتُ: لَا، قَالَ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ"[*] (بخاري، مشكوة ١٨٥/١).

عن النعمن بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ : "إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَلَا تُقْرَئَانِ فِي دَارٍ ثَلٰثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ" (رواه الترمذي والدارمي، مشكوة ١\١٨٥).

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَأْمُرُ بَنَاتِهِ يَقْرَأْنَ بِهَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ (رواه البيهقي في شعب الإيمان ، مشكوة ١\١٨٩) دلائل واضحة على الاستشفاء بالتبركات.

---

[*] فيه أن صورة استعمال بعض الأسماء للاستشفاء يمكن أن يُعَلِّمَه بعضُ الأفاضل بواسطة الشيطان

أَلتَّمَائِمُ وَالْأَسْمَاءُ وَالْعَزَائِمُ

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: "إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونَ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو يُعَلِّمُهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِهِ وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُمْ كَتَبَهَا فِي صَكٍّ ثُمَّ عَلَّقَهَا فِي عُنُقِهِ: (رواه أبو داود والترمذي ــ مشكوة ٢١٧).

ونقلها الرازي أيضا وقال: "وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو يُعَلِّمُهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ عَبِيدِهِ وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ كَتَبَهَا فِي صَكٍّ ثُمَّ عَلَّقَهَا فِي عُنُقِهِ" (رازي ١\٧٥).

قال البيهقي قال أبو عبيدة: "أما من يعلقها (أي تميمة) متبركا بذكر الله تعالى فيها وهو يعلم أن لا كاشف له إلا الله ولا دافع عنه سواه فلا بأس بها إن شاء الله تعالى" (شرح المهذب ٩\٦٦).

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب أنه كان يأمر بتعليق القرآن وقال: "لا بأس به" (شرح المهذب ٩\٦٧).

قال الشيخ شهاب الدين حجر الهيتمي: "وسئل بعضهم عن رجل صالح يكتب ويرقي ويعمل النشر[٦] ويعالج أصحاب الصرع

---

[٦] النشرة رقية يعالج بها المجنون أو المريض وسميت بذلك لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء أي يكشف ويزال. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك. مسلم ــ مشكوة ٣٩٢ باب الكهانة: وأما الطلسمات فهو علم استنزال قوى الأرواح العلوية وأجل كتاب ألف فيه السر المكتوم للفخر الرازي. اتحاف ١/١٤٢ عن خولة بنت حكيم قالت سمعت النبي ﷺ يقول من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك. مسلم ــ مشكوة ٢١٣. قال الرازي

والجنون بأسماء الله والخواتم والعزائم وينتفع بذلك كله من عمله ولا يأخذ على ذلك الأجور فهل له بذلك أجر؟ فأجاب: أما الكتب للحمى والرقي وعمل النشر بالقرآن وبالمعروف من ذكر الله تعالى فلا بأس به .... إلخ (فتاوى الحديثية ١٢١).

وقال أيضا: "ومذهبنا أن كل عزيمة مقروءة أو مكتوبة إن كان فيها اسم لا يعرف معناه فهي محرمة الكتابة والقراءة سواء في ذلك المصروع وغيره وان كانت العزيمة أو الرقيا مشتملة على أسماء الله تعالى وآياته والأقسام به وبأنبيائه وملئكته جازت قراءتها على المصروع وغيره وكتابتها كذلك" (فتاوى الحديثية ١٢٠).

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله "وقد أجمع العلماء على جواز الرقية عند اجتماع ثلاثة شروط، أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره وان يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله ....إلخ (فتح الباري ١٠\١٩٥).

أما ما روي عن ابن مسعود أن الرقي والتمائم والتولة شرك (أبو داود وابن ماجه وأمثاله) فمحمول على ما كان في الجاهلية وعلى ما اشتمل على الشرك وأما إن لم يكن كذلك فلا بأس به كما قال ﷺ : "لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ" (رواه مسلم ٢\٢٢٤).

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في

فقوله أعوذ بكلمات الله التامات استعاذة من الأرواح البشرية بالأرواح العالية المقدسة الطاهرة الطيبة في دفع شرور الأرواح الخبيثة الظلمانية. (رازي ٧٢/١).

ذلك ما كان بأسماء الله تعالى وكلامه فقد ثبت في الأحاديث استعمال ذلك" (فتح الباري ١٠\١٩٩).

قال النووي رحمه الله: " أما ما ورد في حديث ابن عباس في الذين يدخلون الجنة بغير حساب ــ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ ــ (رواه البخاري ٢\٨٥) فقد يظن مخالفا لهذه الواردة في جواز الرقية وسنيتها ولا مخالفة بل المدح في ترك الرقي المراد بها الرقي التي هي من كلام الكفار والرقي المجهولة والتي بغير العربية وما لا يعرف معناها فهذه مذمومة لاحتمال أن معناها كفر أو قريب منه أو مكروهة وأما بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة فلا نهي فيه بل هو سنة[7](شرح مسلم ٢\٢١٩).

---

[7] أما علم الأسماء أي الحسنى وأسرارها وخاص تأثيراته قال البوني ينال بها لكل مطلوب ويتوسل بها إلى كل مرغوب وبملازمتها تظهر الثمرات وصرائح الكشف والاطلاع على أسرار المغيبات وأما إفادة الدنيا فالقبول عند أهلها والهيبة والتعظيم والبركات في الأرزاق والرجوع إلى كلمته وامتثال الأمر منه وخرس الألسنة عن جوابه إلا بخير إلى غير ذلك من الآثار الظاهرة بإذن الله تعالى في المعاني والصور وهذا سر عظيم من العلوم لا ينكر شرعا ولا عقلا (كشف الظنون ١/٨٢)

وفيه أيضا أما علم الحروف والأسماء فقال الشيخ داود الأنطاكي وهو علم باحث عن خواص الحروف إفرادا وتركيبا وموضوعه الحروف الهجائية ومادته الأوفاق والتراكيب وصورته تقسيمها كما وكيفا وتأليف الأسقام والعزائم وما ينتج منها وفاعله المتصرف وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب إيقاعا وانتزاعا ومرتبته بعد الروحانيات والنجامة انتهى.

وقال ابن خلدون في المقدمة علم أسرار الحروف وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة ما يستعمل استعمال العام في الخاص وحدث هذا العلم بعد الصدر الأول عند ظهور الغلاة منهم وجنوحهم (إلى كشف حجاب الحس)) وظهور الخوارق على أيديهم والمتصرفات في عالم العناصر وزعموا أن الكمال الاسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء فهي سارية

في الأكوان وهو تفاريع علوم السيميا لا يوقف على موضوعه ولا يحاط بالعدد مسائله تعددت فيه تآليف البوني وابن عربي وغيرهما وحاصله عندهم وثمرته تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بم هو فمنهم من جعله للمزاج الذي فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف كما للعناصر فتنوعت بقانون صناعي يسمونه التكسير ومنهم من جعل هذا السر للنسبة العددية فإن حروف أبجد دالة على أعدادها المتعارفة وضعا وطبعا وللأسماء أوفاق كما للأعداد يختص كل صنف من الحروف بصنف من الأوفاق الذي يناسبه من حيث عدد الشكل أو عدد الحروف وامتزج التصرف من السر الحرفي والسر العددي لأجل التناسب الذي بينهما فأما سر هذا التناسب الذي بين الحروف وأمزجة الطبائع أو بين الحروف والأعداد فأمر عسر على الفهم إذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وإنما مستنده عندهم الذوق والكشف قال البوني ولا تظنن أن سر الحروف مما يتوصل إليه بالقياس وإنما هو بطريق المشاهدة وأما التصرف بهذه الحروف والأسماء وتأثر الأكوان عن ذلك فأمر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواترا وقد يظن أن تصرف هؤلاء وتصرف أصحاب الطلسمات واحد وليس كذلك ثم ذكر الفرق بينهم وأطال وقد ذكرنا طرفا من التفصيل في كتابنا المسمى بروح الحروف والكتب المصنفة في هذا العلم كثيرة جدا (كشف الظنون ٦٥/١) وفيه أيضا وأما علم الطلسمات فمعنى الطلسم (عقد لا ينحل) وقيل مقلوب اسمه أي المسلط لأنه من القهر هو علم باحث عن كيفية تركيب القوى السماوية الفعالة مع القوى الأرضية المنفعلة في الأزمنة المناسبة للفعل والتأثير المقصود مع بخورات مقوية جالبة لروحانية الطلسم ليظهر من تلك الأمور في عالم الكون والفساد أفعال غريبة وهو قريب المأخوذ بالنسبة إلى السحر لكون مبادئه معلومة وأما منفعته فظاهرة لكن طرق التحصيل شديدة العناية بسط المجريطي قواعد هذا الفن في كتابه غاية الحكيم فابدع لكنه اختار جانب الإغلاق والدقة لكمال بخله في تعليمه وللعلامة السكاكي كتاب جليل فيه (كشف الظنون ١١١٤/٢).

من الكتب المصنفة في علم الحروف والأسماء

(١) ازهار الآفاق (٢) اساس العلوم والمعاني (٣) أسرار الحروف (٤) الاسرار الشافية الروحانية (٥) الإشارة المعنوية (٦) إظهار الرموز (٧) اكسير الأسماء (٨) ألواح الذهب (٩) الإيماء إلى علم الأسماء (١٠) الباقيات الصالحات (١١) بحر الفوائد الحرفية (١٢) بحر الوقوف

(١٣) بدر رياض المعارف (١٤) برقة الأنوار (١٥) الرقة الربانية (١٦) البرقة النورانية (١٧) بروق الأنوار (١٨) بغية الطالب (١٩) البهاء الأمجد (٢٠) بهجة الأسرار (٢١) بهجة الآفاق (٢٢) بيان المغنم (٢٣) التعليقة الكبرى (٢٤) تمييز الصرف (٢٥) تنزيل الأرواح (٢٦) التوسلات الكتابية (٢٧) تيسير العرف (٢٨) تيسير المطالب (٢٩) جامع اللطائف (٣٠) جنة الأسماء (٣١) الجواهر الخمس (٣٢) الحائز للعون الناجز (٣٣) حدائق الأسماء (٣٤) حديقة الأحداق (٣٥) الحديقة المسَنّدية (٣٦) الحرز الأسنى (٣٧) حرز الأقسام (٣٨) حرز الأمان (٣٩) الحروف الوضعية (٤٠) حقائق الحروف (٤١) الحقائق السبوحية (٤٢) حل رموز الأسماء (٤٣) حل الرموز (٤٤) حلة الكمال (٤٥) خافية أفلاطون وجعفر الصادق وهرمس (٤٦) خواص الأسرار (٤٧) خواص الأسماء (٤٨) خواص القرآن (٤٩) الخواطر السوانح (٥٠) الدر المنظم (٥١) الدر المنظوم (٥٢) درة الأسرار (٥٣) درة الآفاق (٥٤) درة تاج السعادة (٥٥) درة فنون الكتاب (٥٦) درة المعارف (٥٧) درة تاج السعادة (٥٨) الرسالة اللاهوتية (٥٩) رسالة الخفاء (٦٠) الرمز الأعظم (٦١) رمز الحقائق (٦٢) رموز دلكش روض الأسرار (٦٣) روض المعارف (٦٤) روضة الأسرار (٦٥) روضة الأنوار (٦٦) زبدة المصنفات (٦٧) سر الصرف (٦٨) سجل الأرواح (٦٩) سجنجل الأرواح (٧٠) سجنجل الجمال السر الأبجدي (٧١) سر الأسرار (٧٢) السر الأسنى (٧٣) السر الأفخر (٧٤) سر الأنس (٧٥) السر الجامع (٧٦) سر الجمال (٧٧) السر الخفي (٧٨) السر رباني (٧٩) سر السعادة سر الصون (٨٠) السر الغامض (٨١) السر الفاخر (٨٢) السر المصون (٨٣) السر المكنوم (٨٤) السعد الأكبر (٨٥) سفر ابراهيم عليه السلام (٨٦) سفر ادريس عليه السلام (٨٧) سفر آدم عليه السلام (٨٨) سفر ارميا (٨٩) سفر الخفايا (٩٠) سفر ذي القرنين (٩١) سفر شيث (٩٢) السفر المستقيم (٩٣) سفر نوح عليه السلام (٩٤) سواطع الأنوار (٩٥) سين الأسرار (٩٦) شرف التشكيلات (٩٧) شفاء الصدور (٩٨) شمس الأرواح (٩٩) شمس الأسرار (١٠٠) شمس الآفاق (١٠١) شمس الجمال (١٠٢) شمس الرقوم (١٠٣) شمس لطائف الأسماء (١٠٤) شمس الواصلين (١٠٥) شمس المعارف (١٠٦) الشمس المنيرة (١٠٧) طلسم الواصلين (١٠٨) شمس الوصال (١٠٩) الصراط المستقيم (١١٠) طلسم الأرواح (١١١) طبعة تامة (١١٢) طلسم الأسرار (١١٣) طلسم الأشباح (١١٤) الطلسم المصون (١١٥) عجائب الإتفاق (١١٦) عجائب الاتفاق (١١٧) عجائب الأسماء (١١٨)

العلم الأكبر (١١٩) علم الهـدى (١٢٠) العلـم الأسـنى (١٢١) عيـون الحقـائق (١٢٢) غايـة الآمال (١٢٣) غاية الحكيم (١٢٤) الغاية القصـوى (١٢٥) غايـة المغنـم (١٢٦) فتـح الكنـوز الحرفية (١٢٧) فخر الأسماء (١٢٨) فرح نامـه (١٢٩) فصـول سـبعة (١٣٠) فصـول عشـرة (١٣١) فك الرموز (١٣٢) فلك السعادة (١٣٣) فواتـح الأسـرار (١٣٤) فـهم سـلوك المعنى (١٣٥) قـاف الأنـوار (١٣٦) قبـس الاقتـداء (١٣٧) قبـس الانـوار (١٣٨) قلـم الأسـرار (١٣٩) كتاب اسراسم (١٤٠) كتاب الاسـفوطاس (١٤١) كتـاب التصريـف (١٤٢) كتـاب التكنكلوشل (١٤٣) كتاب ثابت (١٤٤) كتاب بلينـاس (١٤٥) كتـاب طمطـم (١٤٦) كتـاب الغين (١٤٧) كتاب فاه باللسـان (١٤٨) كتـاب كنكـه (١٤٩) كتـاب كيـاس (١٥٠) كتـاب اللـوح (١٥١) كتـاب الملاطيـس (١٥٢) كتـاب الملكـوت (١٥٣) كتـاب الهـاريطوس (١٥٤) كشـف اسـرار الحـروف (١٥٥) كشـف أسـرار المعـاني (١٥٦) كشـف الأسـرار (١٥٧) كشـف الإشـارات (١٥٨) كشـف السـر المصـون (١٥٩) كشـف السـر المكنـون (١٦٠) كشف الغطـاء (١٦١) كشـف المعـاد (١٦٣) الكشـف الكلـي (١٦٤) كعبـة الأسـرار (١٦٥) كعبة الجمـال (١٦٦) كنـز الأسـرار (١٦٧) كنـز الألـواح (١٦٨) كنـز الانـوار (١٦٩) الكنـز الباهر (١٧٠) كنـز الـدرر (١٧١) كنـز السـعادة (١٧٢) كنـز القـاصدين (١٧٣) كنـز المطالب (١٧٤) الكنـز المطلـم (١٧٥) كنـز (كيفيـة) الأسـرار (١٧٦) كيميـاء السعادة (١٧٧) لطـائف الأسمـاء (١٧٨) لطـائف الاشـارات (١٧٩) لطـائف الآيـات (١٨٠) الطائف الخفية (١٨١) اللطائف العلوية (١٨٢) اللطـائف الفريـدة (١٨٣) لمعـة الأنـوار (١٨٤) لوامع الأنوار (١٨٥) لوامع السـبروق (١٨٦) لوامـع التعريـف (١٨٧) لوايـح الانـوار (١٨٨) المبادئ والغايات (١٨٩) المدخل إلى علـم الحـروف (١٩٠) مشـرق الأنـوار (١٩١) المصـابيح في الحروف (١٩٢) المطلـب الأسـنى (١٩٣) مفتـاح أبـواب السـعادة (١٩٤) مفتـاح الـرق المنشور (١٩٥) مفتاح الكنـوز (١٩٦) المقـام الأسـنى (١٩٧) منبـع الأسمـاء (١٩٨) منـاهج الاعلام (١٩٩) منبع الأصـول (٢٠٠) منبـع العلـوم الربانيـة (٢٠١) منـهج الوهبيـة (٢٠٢) منيـة الطـالب (٢٠٣) مواقـف الغايـات (٢٠٤) مواقيـت البصـائر (٢٠٥) المواهـب الربانيـة (٢٠٦) نرجس الأسمـاء (٢٠٧) نـزهة النفـوس (٢٠٨) النسـيمات الفايحـة (٢٠٩) النفحـة القدسية (٢١٠) نور أنوار المعارف (٢١١) النور اللامـع (٢١٢) وشـي المصـون (٢١٣) هدايـة القاصدين (٢١٤) ياء التصريف كما في كشـف الظنـون.

النــــذور

النذرُ إلتزامُ مسلمٍ مكلفٍ رشيدٍ قربةً لم تَتَعَيَّنْ كما قاله زين الدين المخدوم رحمه الله (فتح المعين ١٩٨) والمراد بقوله لم تتعين أي لم تَصِرْ فرضَ عين. فالنذر هو وسيلةُ لطاعةٍ ووسيلة الطاعة طاعة فالنذر طاعة. قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: "إنه (النذر) وسيلة لطاعة ووسيلة الطاعة طاعة" (تحفة ١٠/٦٨).

ويدل على كون النذر طاعة، قوله تعالى {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} (الدهر ٨-٧).

قال صاحب القرطبي المالكي في تفسير هذه الآية يوفون بالنذر ـ أي لا يخالفون إذا نذروا وقال مجاهد وعكرمة يوفون إذا نذروا في حق الله جل ثناءه ..... وإن شئت قلت في حده النذر هو إيجابُ المكلفِ على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه : (قرطبي ١٢٧/١٩).

قال ابن كثير الشافعي في تفسير قوله تعالى (يوفون بالنذر) يتعبدون فيما أَوْجَبَهُ (اللهُ) عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصلِ الشرْع وما أَوْجَبُوهُ على أنفسهم بطريق النذر (ابن كثير ٤/٤٥٥).

قال الرازي الشافعي في سبب نزول الآية: "روي عن ابن عباس ﵄ أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في أناسٍ معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرتَ على ولدِك فنذر عليٌّ وفاطمةُ وفضةُ جاريةٌ لهما إن شفاهما الله تعالى أن يصوموا ثلاثةِ أيام فشفيا" (رازي ٢٤٤/٣٠). وكذا قال في سبب النزول صاحبُ الكشاف أيضا.

ويدل على كونه طاعة أيضا قوله تعالى " إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا" إلخ آل عمران ٣٥.

قال الرازي في تفسير هذه الآية "قال عكرمة إنها كانت عاقرا لا تلد وكانت تَغْبِطُ النساء بالأولاد ثم قالت اللهم إن لك عليَّ نذرا إن رزقتني ولدا أن أتَصَدقَ به على بيت المقدس ليكون من سَدَنَتِه" (رازي ٢٥/٨) دلالة واضحة على جواز كون المقصود من التقرب إلى الله بالنذر دفع المضرة أو جلب المنفعة من الله تعالى لا على وجه المعاوضة بل من حيثُ إن الصدقةَ والتقربَ إلى الله ردُّ البَلايا.

أَلنَّذْرُ لِلْكَعْبَةِ وَنَحْوِهِ

ويدل على كون النذر للكعبة طاعة قوله تعالى:"وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ" الحج ٢٩

قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية وقوله وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ يقول وليوفوا لله بما نذروا من هَدْيٍ وبَدَنَةٍ وغير ذلك" طبري ١١٠/١٧.

ويدل على كونه طاعة أيضا قوله تعالى"وَمَا أَنفَقْتُم مِّنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ" البقرة ٢٢٠.

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية "يعني بذلك جل ثناءه وأيّ نفقة أنفقتم يعني أي صدقة تصدقتم أو أيّ نذر نذرتم يعني بالنذر ما أوجبه المرء على نفسه تبرُّرًا في طاعة الله وتقربا به إليه من صدقة أو عمل خيرٍ فإن الله يعلمه أي ان جميع ذلك بعلم الله لا يعزب عنه منه شيء ولا يخفى عليه منه قليل ولا كثير ولكنه يحصيه أيها الناس عليكم حتى يجازيكم جميعكم على جميع ذلك فمن كانت نفقته منكم وصدقته ونذره ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من نفسه جازاه بالذي وعده من التضعيف ومن كانت نفقته وصدقته رياء الناس ونذوره للشيطان جازاه بالذي أوعده من العقاب وأليم العذاب" (طبري ٦١/٣).

ويدل على كونه طاعة ــ الأحاديث قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ

نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ (بخاري ٩٩١/٢).

وقال صلى الله عليه وسلم خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ قَالَ عِمْرَانُ لاَ أَدْرِي ذَكَرَ ثِنْتَيْنِ أَوْثَلَثًا بَعْدَ قَرْنِهِ ثُمَّ يَجِيئُ قَوْمٌ يَنْذُرُونَ وَلاَ يُوفُونَ وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِم السِّمَنُ" (بخاري ٩٩٠/٢).

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قَالَ أَوْفِ بِنَذْرِكَ رواه البخاري ٩٩١/٢).

أَلنَّذْرُ لِضَرْبِ الدُّفِّ وَمَقْصُودُهُ

روى أبو داود أَنَّ امْرَأَةً أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَضْرِبَ عَلَى رَأْسِكَ بِالدُّفِّ كَذَا وَكَذَا مَكَانٌ كَانَ يَذْبَحُ فِيهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ لِصَنَمٍ قَالَتْ لاَ قَالَ لِوَثَنٍ قَالَتْ لاَ قَالَ أَوْفِي بِنَذْرِكِ[1] مشكوة ٢٩٨).

دليل واضح بجواز نذر الضرب بالدف لغرض صحيح مثل إدامة تَذْكِرَةِ وَلِيٍّ وإظهار الفرح والسرور به.

فالمراد بالنذر التقرب إلى الله بالطاعات مثل التصدق للأيتام والفقراء والتصدق على الأنبياء والأولياء أعني التصدق على الفقراء وجعل ثوابه للأنبياء والأولياء ففيه التقرب إلى الله بالصدقة ومحبة الأنبياء والأولياء ولا يخفى أن التقرب إلى الله بالطاعات المذكورة مطلوب بالشرع.

---

[1] قال ابن حجر صح أَنْ جارية سوداء جاءت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني نذرت أن رَدَّكَ الله سالما ان اضرب بين يديك بالدف واتغنى فقال إن كنت نذرت فاوف بنذرك. إسناده حسن أخرجه أحمد في المسند والترمذي في المناقب وقال حسن صحيح وفي حديث آخر انه نهى عن ضرب الدف ولعب الصنج وضرب الزمارة فينبغي اجتنابه في غير السرور وفي السرور إن اقترن به جلاجلٌ أو نحوها مما يقتضي تحريمه. (كف الرعاع ٥٧) ففيه إظهار السرور والفرح عند حصول الفوز في الانتخاب أو الحرب أو أمثالهما.

وقد يكون قصد الناذر بهذا التقرب إلى الله أن يقضي الله حاجته من حيث إن الصدقة رد البلايا كشفاء الأمراض ومجيء الغائب من السفر مع السلامة "كَانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى : أبو داود، مشكوة ١/١١٧).

وقال صلى الله عليه وسلم مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ،بخاري.

وعن علي قال صلى الله عليه وسلم: بَادِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا،رزين، مشكوة ١٦٧ وقال صلى الله عليه وسلم إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ: ترمذي ، مشكوة ١٦٨.

أَلنَّذْرُ لِلْوَلِيِّ وَالْأَضْرِحَةِ

قال النووي رحمه الله:"إن الصدقة تصل إلى الميت وينتفع بها بلا خلاف بين المسلمين وهذا هو الصواب" (شرح مسلم ١٢/٢).

وفي المنهاج مع التحفة" وينفع الميتَ صدقةٌ ودعاءٌ من وارث أو أجنبي.... قال الشافعي رضي الله عنه وواسع فضل الله أن يثيب المتصدق أيضا(أي كما يثاب للميت) ومن ثم قال أصحابنا يسن له نية الصدقة عن أبويه مثلا (قال ابن قاسم أي أو عن مشايخه)

فإنه تعالى يُثِيبُهما ولا ينقصُ من أجْره شيئًا (تحفة ٧٢/٧) وكذا في النهاية .

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله في فتاويه:"النذر للولي إنما يُقصَد غالبا التصدقُ عنه لخُدامِ قبره وأقاربِهِ وفقرائِه فان قصد الناذر شيئا من ذلك أو أطلق صح" (فتاوى الكبرى ٢٨٤/٤).

وسئل الإمام الرملي هل يصح النذر على الأضرحة كما هو المعهود

الآن أولا (فأجاب)بأنه إذا عاد نفعه على الأحياء انعقد وإلا فلا ينعقد" (فتاوى الرملي بهامش فتاوى الكبرى ٤/١١١).

عن ابن عباس رضي الله عنه أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا أَيَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمِخْرَافَ[٢] صَدَقَةٌ عَلَيْهَا: (بخاري ١/٣٨٦).

عن أبي هريرة أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَ مَالاً وَلَمْ يُوصِ فَهَلْ يُكَفِّرُ عَنْهُ إِنْ تُصُدِّقَ عَنْهُ قَالَ نَعَمْ[٣] (مسلم ٢/٤١).

عن سعد بن عبادة قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قَالَ الْمَاءُ قَالَ فَحَفَرَ بِئْرًا وَقَالَ هٰذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ" أبو داود ٢٣٦ كتاب الزكوة.

فأمثال هذه العبارة من المسلمين(أي هذه لأم سعد) يحمل على محمل صحيح فالمراد بالنذر على الأنبياء والأولياء أو أضرحتهم النذر بالتصدق على الفقراء وجعل ثوابه عليهم وكذا نذر أم مريم لبيت المقدس ونذر المسلمين للكعبة وصدقة سعد لأمه فقال هٰذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ وكذا النذر بالشاة ونحوه أعني النذر بالتصدق بالشاة أو البقر ونحوه قبل ذبحه أو بعده وجعل ثوابه للأنبياء والأولياء فالمراد التقرب إلى الله بالتصدق ومحبة الأنبياء والأولياء.

قال السندي الحنفي:"أما إذا نذر واعتقد أن الله هو الضار والنافع والنذرُ كالوسائلِ فالوفاء به طاعة وهو غير منهي عنه إلخ (سندي على

---

[٢] اسم الحائط والمخراف في الأصل المكان المثمر وهو بكسر الأول وسكون الثاني

[٣] عن ابن عباس أن سعد بن عبادة استفتى النبي ﷺ في نذر كان على أمه فتوفيت قبل ان تقضيه فأفتاه ان يقضيه عنها متفق عليه ــ مشكوة ٢٩٧.

البخاري ٤/١٤٥).

قال الصاوي المالكي:" أما إن قصد الذبح لله وثوابه للولي فلا بأس بذلك" (صاوي ٢٢١/١).

اَلذَّبْحُ عَنِ الْاَمْوٰاتِ

عن عائشة قالت مٰا غِرْتُ عَلٰى أَحَدٍ مِنْ نِسٰاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مٰا غِرْتُ عَلٰى خَدِيجَةَ وَمٰا رَأَيْتُهٰا وَلٰكِنْ كٰانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهٰا وَرُبَّمٰا ذَبَحَ الشّٰاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهٰا أَعْضٰاءً ثُمَّ يَبْعَثُهٰا فِي صَدٰائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمٰا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيٰا اِمْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ (بخاري ٥٣٩).

ذَبَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الذَّبْحِ كَبْشَيْنِ فَلَمّٰا وَجَّهَهُمٰا قٰالَ اللّٰهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ.أحمد ومثله في مسلم ١٥٦/٢.

عن حنش قال رَأَيْتُ عَلِيًّا يُضَحِّي بِكَبْشَيْنِ فَقُلْتُ مٰا هٰذٰا فَقٰالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصٰانِي أَنْ أُضَحِّيَ عَنْهُ فَأَنٰا أُضَحِّي عَنْهُ أبو داود،ترمذي، مشكوة ١٢٨ .دلالة واضحة في الذبح عن الأموات أعني التصدق بالمذبوح بعد ذبحه وجعل ثوابه للأموات.

دَلِيلُ الْمُخٰالِفِ وَجَوٰابُهُ

وأما قول ابن عمر نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّذْرِ وَقٰالَ إِنَّهُ لاٰ يَرُدُّ شَيْئًا وَلٰكِنَّهُ يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ: بخاري فالمراد النهي عن نذر اللجاج لأنه يأتي بالقربة على صورة المعاوضة. قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:"قال ابن الأثير في النهاية تكرر النهي عن النذر في الحديث وهو تأكيد لأمره وتحذير عن التهاون به بعد ايجابه ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل لكان في ذلك إبطال حكمه وإسقاط لزوم الوفاء به إذ كان بالنهي يصير معصية فلا يلزم ..... ونسبه بعض شراح

المصابيح للخطابي وأصله من كلام أبي عبيد فيما نقلـه ابـن المنـذر في كتابـه الكبير فقال كان أبو عبيد يقول وجه النهي عن النـذر والتشديـد فيـه ليـس هو أن يكون مائما ولو كان كذلك ما أمر الله أن يـوفي بـه وَلاَ حَمِـدَ فاعلـه ولكن وجهه عندي تعظيم شان النذر وتغليظ أمره لـئـلا يتـهاون بـه فيفـرط في الوفاء به ويترك القيام به. (فتـح البـاري ١١/٥٧٧).

قال ابن حجر الهيتمي رحمـه الله:" والأصـح أنـه (النـذر) في اللجـاج الآتي مكروه وعليه يحمل ما أطلقه المجموع وغـيره هنـا لصحـة النـهي عنـه وأنه لا يأتي بخير إنما يستخرج مـن البخيـل وفي القربـة والمنجـزة أو المعلقـة مندوب ...... انه وسيلة لطاعة ووسيلة الطاعـة طاعـة" (تحفـة ١٠/٦٨).

قال الإمام النووي في المنهاج:"والصحيـح انعقـاد النـذر بكـل قربـة لا يجب ابتداء" (تحفـة ١٠/٩٩).

قال الإمام الرملي رحمه الله في النهاية:"والأصح أنـه(النـذر) في اللجـاج الآتي مكروه وعليه يحمل إطلاق المجموع وغيره هنا قال لصحـة النـهي عنـه وأنـه لا يأتي بخير وإنما يستخرج من البخيل وفي التـبَرُّر عـدم الكراهـة لأنـه قربـة سواء في ذلك المعلق وغيره إذ هو وسـيلة لطاعـة والوسـائل تُعطـي حكـمَ المقاصد" (نهايـة ٨/٢١٧).

اَلْبَحِيَرَةُ وَالْغَرَضُ وَمٰا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ

وأما قوله تعالى:"مٰا جَعَلَ اللهُ مِن بَحِيَرَةٍ إلخ... فقال الـرازي الناقـة إذا ولـدت خمسة أبطن وكانت آخرها ذكرا شَقُّـوا أذن الناقـة وامتنعـوا مـن ركوبهـا وذبحها وسَيَّبوها لآلهتهم ولا يجزّ لها وبر ولا يحمـل علـى ظـهرها ولا تُطـرَد عن ماء ولا تمنع عن مرعى ولا يُنتفـع بهـا" (رازي ١٢/١٠٩).

وقال الرازي أيضا:" أما هذه الحيوانـات فإنهـا مخلوقـة لمنـافع المكلفـين فتركُها وإهمالُها يقتضي فواتَ منفعـةٍ علـى مالكـها مـن غـير أن يحصـل في

مقابلتها فـــائدة" (رازي ١٢/١١٠).

فبهذا التفسير ظَهَر أن فعل المشركـــين إضاعـــة المـــال وقصدهـــم بذلـــك التقرب لآلهتهم والمسلمون ليس كذلك لأن فعـــل المســلمين التصــدق علـــى الفقراء وجعل الثوابِ للأنبياء والأوليــــاء.

وأما المراد بقوله تعالى:"حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْـــمُ الْخِنْـــزِيرِ وَمَـا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ" فقال الرازي الشافعي في تفسير هذه الآيـــة: الرابـــع مـــا أهـــل لغير الله به والإهلال رفع الصوت ومنه يقال أهـــل فـــلان بـــالحج إذا لـــبى بـــه ومنه استهل الصبي وهو صراخه إذا وُلِدَ وكانوا يقولـــون عنـــد الذبـــح باســـم اللات والعزى فحرم الله تعـــالى ذلـــك (رازي ١١/١٣٢).

قال أبو السعود الحنفي في تفسير هذه الآيـــة أي رفـــع الصـــوت لغـــير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى (أبـــو الســـعود ٢/٧٠).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية أي ما ذبح فذكر عليـــه اســـم غـــير الله فهو حرام (ابن كثـــير ٢/٨).

ففرقٌ مَّا بين نذرِ المسلمين وعبادة المشركـــين.الأول النـــذر بـــالتصدق علـــى الفقراء وجعل ثوابه للأنبياء والأولياء ففيه نفع الفقـــراء وغـــيرهم بخـــلاف الشـــاني فلا نفع بها لأحد وإن وُجد المشابهةُ فلا بأس به كما وجـــد بـــين حـــج المســـلمين وطوافهم وبين زيارة الكافرين لمعبدهم وأصنامهم وطوافـــهم بهـــا.

أَلدَّلِيلُ اَلْعَقْلِيُّ

وأما ما استُدِلَّ على كون النذر شركـــا بالقيـــاس العقلـــي المنطقـــي بـــأن يقال إن النذر عبادة وكل عبـــادة لغـــير الله شـــرك فـــالنذر لغـــير الله شـــرك فممنوع بوجوه:

الأول النقض الإجمالي بأن يقال إن قياســـكم فاســـد قـــد اشتمـــل علـــى فسادٍ مَّا لأنه يقتضي أن يكون الصدقة والزكـــاة وغيرهمـــا شركـــا بـــأن يقـــال

الصدقة عبادة والعبادة لغير الله شرك فالصدقة لغير الله شرك والزكوة عبادة والعبادة لغير الله شرك فالزكاة لغير الله شرك والدعاء عبادة فالدعاء للأموات شرك والصلاة عبادة فالصلاة للميت شرك وهلم جرا....

الثاني المعارضة بأن يقال النذر مما أمر الله تعالى بالوفاء به وكل ما أمر الله بالوفاء لا يكون شركا ولا حراما ولا منهيا فلا يكون النذر شركا ولا حراما ولا منهيا.

الثالث: النقض التفصيلي وهو الحل : بأن يقال لا نسلم أن النذر عبادة كما بين السبكي في شفائه بل النذر إلتزام عبادة كما بيّن في تعريفه النذر إلتزام مسلم قربة لم تتعين سواء كان تلك القربة متعلقة بالله بلا واسطة خلق كالصلاة والصوم أو متعلقة بالحي وبواسطة الخلق كالهدية والصدقة والسلام فالنذر ليس فيه إنشاء عبادة بل التزام ما كان عبادة قبل لا على فرض العين فجعل العبادة فرض عين هو النذر فلا يتم قياسهم لأن الحد الأوسط لا يتكرر.

الرابع الأدلة النقلية من الكتاب والسنة وكلام الأئمة التي تقدمت.



أَلْمَوَالِيدُ

المواليد[1] اجتماع الناس لقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الآثار الواردة في ولادة نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء ومدحهم بأفعالهم وأقوالهم وما جرى في حياتهم وإطعام الطعام للفقراء والمساكين بعده والقصد بذلك (١) تعظيمهم وتشريفهم بذكر مدحهم ومحاسنهم ومكارمهم.(٢) الحث على الإيمان بهم وعلى التصديق بشؤون الإسلام وأئمتهم.(٣) الحث على التخلق بأخلاقهم واتباعهم. (٤) إظهار الفرح والسرور بولادتهم.(٥) إظهار محبتهم والصلاة عليهم.(٦) التحدث بنعمة الله بهم.(٧) إظهار الشكر لتلك النعمة بعبادة الله مثل الإطعام في يوم الولادة أو شهرها أو وفاتهم وكل واحد من السبعة أمر مشروع وله هيئاتٌ وتشخصاتٌ مخصوصة وأَفْرَادٌ مُتَعَيِّنَة[2] ولم يخصص الشارع فردا منها

---

[1] جمع مولد معناه اللغوي وقت الولادة أو مكان الولادة وفي الاصطلاح ما في الكتاب.

[2] فالماهيات المذكورات في اعتمال المواليد مطلوبة شرعا والتشخصات ليست داخلة تحت نهي شرعي مثلا اعتمال المدارس والكليات والجامعات الدينية الماهية فيها التعلم والتعليم مطلوبة شرعا والتشخصات فيها ليست داخلة تحت نهي مثلا البناء لها على هيئة مخصوصة بحسب الأزمنة والأمكنة واتخاذ المطبخ على تشخص معين واستعمال الكتب المعينة وتخصيص التعلم والتعليم بتاريخ معين لأدنى ملابسة ببعض المناسبات ليست داخلة تحت نهي فكما أن اعتمال الكليات والجامعات لا يكون بدعة فكذلك اعتمال الموالد والاجتماع لإحياء ذكر المناسبات التاريخية لا يكون بدعة كالاجتماع لليلة الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان وأول التاريخ الهجرية وأول تاريخ نزول القرآن ليلة القدر وتاريخ غزوة بدر وغيرها.

١) فإن قيل الكليات والجامعات أمور عادية بخلاف المواليد وأمثالها فإنها عبادة أقول: لا نسلم كون الكليات والجامعات الدينية عادة فقط وإن سلم لم لا يجوز أن يكون التشخصات في اعتمال المواليد أمورا عادية أيضا وتقدم في مبحث السنة والبدعة أن بعض الصحابة خصوصا متبع السنة ابن عمر رضي الله عنهما أنكر ثبوتَ صلاةِ الضحى عن النبي ﷺ والخلفاءِ مع أن ابنَ عمر يقول وَإِن صلاةَ الضُّحَى لَمِنْ أَحْسَنِ مَا أَحْدَثُوا ولا شك في كون صلاة الضحى عبادة.

٢)فإن قيل تخصيص الاحتفال بالمواليد في بعض الأيام والشهور هو مدار البدعة أقول التخصيص المذكور في برنامج الكليات والجامعات أيضا ولا تقول أنها بدعة على أنه ثبت مثل ذلك التخصيص في صلاة الضحى أيضا. وكان النبي ﷺ والصحابة يختارون أشياء ويخصون لها أياما ويعيدونها في نفس تلك الأيام من كل أسبوع مثلا كان النبي ﷺ يزور أهل قباء في كل سبت وكذلك ابن عمر.(بخاري ١٥٩/١) ومسلم ٤٤٨/١ و رياض الصالحين ١٦٧ وفي شرح مسلم تحت هذا فيه جواز تخصيص بعض الأيام بالزيارة وهذا هو الصواب وقول الجمهور: فيه دلالة ظاهرة على أن عمل الشيء في يوم ثم إعادته في ذلك اليوم من كل أسبوع أو شهر أو سَنَةٍ مما لا ينكره الشرع.

فتشريف يوم ولادة النبيﷺ متضمن لتشريف ربيع الأول كما ذكره ابن الحاج المالكي في كتابه المدخل وهو كتاب عزيز كما ذكره الزرقاني. ومبحث المولد فيه من ٢/٢ قال تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ...إلخ ومعلوم أنه لم يكن إنزاله في كل رمضان بل كان في جزء منه وليلة خاصة كما في قوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر" وفي تفسير ابن كثير ٥١١/٢ وكذا في الرازي أن رسول الله ﷺ كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول. وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان انظر فتح الباري ٧٨/١ ودر المنثور: فيه تجديد ذكر استشهادهم وإعادة ذكر تلك النكبة المؤلمة من أيام الإسلام الأول. وقال السيد المالكي في المفاهيم بعض الناس يظن أننا ندعو إلى الاحتفال بالمولد في ليلة مخصوصة دون سائر العام وما رأى هذا الغافل أن الاجتماعات تعقد لأجل المولد النبوي في مكة والمدينة بشكل منقطع النظير في كل أيام العام وفي كل مناسبة تحدث يفرح به صاحبها ولا يكاد يمر يوم أو ليلة بمكة والمدينة إلا ويحصل فيه اجتماع للمولد النبوي عَلِمَ هذا من عَلِمَه وجَهِلَه من جَهِلَه فمن زعم أننا نذكر النبي ﷺ في ليلة واحدة فقط وهَجَرَه ونغفل عنه في باقي الأيام فقد افترى. مفاهيم ٣١١. أقول وكذلك في سائر البلاد.

٣)فإن قلت: قال ابن تيمية في الاقتضاء إن النبي ﷺ نهى تخصيص أوقات بصلوة أو صيام . وأباح ذلك إذا لم يكن على وجه التخصيص. فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال: لا تخصوا ليلة الجمعة بصيام من بين الأيام. إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم فوجه الدلالة: أن الشارع قسم الأيام باعتبار الصوم ثلاثة أقسام: قسم شرع تخصيصه بالصيام إما إيجابا كرمضان وإما استحبابا كيوم عرفة وعاشوراء. وقسم نهي عن صومه مطلقا: كيوم العيدين وقسم إنما نهي عن تخصيصه كيوم الجمعة وشهر شعبان فهذا النوع لو صيم مع غيره لم

يكره فإذا خصص بالفعل فهي عن ذلك سواء قصد الصائم التخصيص أو لم يقصده وسواء اعتقد الرجحان أو لم يعتقده. ومعلوم أن مفسدة هذا العمل لولا أنها موجودة في التخصيص دون غيره لكان إما أن ينهى عنه مطلقا كيوم العيد أو لا ينهى عنه كيوم عرفة وتلك المفسدة ليست موجودة في سائر الأوقات. وإلا لم يكن للتخصيص بالنهي فائدة فظهر أن المفسدة تنشأ من تخصيص ما لا خصيصة له . أقول : لا يلزم من كون بعض التخصيص منهيا ، كون جميع التخصيص منهيا ولا يؤخذ من الحديث أن النهي للتخصيص لذاته بل يمكن لما يلزم للتخصيص من الضعف عن العبادات في يوم الجمعة مع أن النهي عن مطلق التخصيص لم يفهمه الصحابة والتابعون في خير القرون في صلوة الضحى والأذان الثاني يوم الجمعة ونحوهما من الأمثلة المتقدمة في مبحث السنة والبدعة فمن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.

٤)فإن قلت: قال ابن تيمية ولا يجوز أن يكون لها فضل. لأن ذلك الفضل إن لم يعلمه النبي ﷺ ولا أصحابه ولا التابعون ولا سائر الأئمة امتنع أن نعلم نحن من الدين التي يقرب إلى الله ما لم يعلمه النبي ﷺ ولا الصحابة والتابعون وسائر الأئمة وإن علموه امتنع مع توفر داوعيهم على العمل الصالح وتعليم الخلق :أن لا يُعلِّموا أحدا هذا الفضلَ ولا يسارع إليه واحد منهم. أقول يمكن أن يقال هكذا في صلوة الضحى والأذان الثاني والكليات والجامعات لا يجوز أن يكون لها فضل لأن ذلك الفضل إن لم يعلمه النبي ﷺ امتنع أن يعلم الصحابة والتابعون من الدين الذي يقرب إلى الله ما لم يعلمه النبي ﷺ مع توفر دواعيه على العمل الصالح وتعليم الخلق والنصيحة أن لا يعلم أحدا هذا الفضل ولا يسارع إليه.

٥)فإن قلت نفس الإحداث هو مدار البدعة فإن فيه التشريع بما لم يأذن الله به ولا بد للتشريع من الإذن منه قال ابن تيمية الأذان في العيدين لما أحدثه بعض الأمراء أنكره المسلمون لأنه بدعة فلو لم يكن كونه بدعة دليلا على كراهته وإلا لقيل هذا ذكر الله ودعاء للخلق إلى عبادة الله فيدخل في العمومات كقوله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا أو يقاس على الأذان في الجمعة بل يقال ترك رسول الله ﷺ مع وجود ما يعتقد مقتضيا فلما أمر بالأذان في الجمعة وصلى العيدين بلا أذان ولا إقامة كان ترك الأذان فيهما سنة فليس لأحد أن يزيد في ذلك بل الزيادة في ذلك كالزيادة في أعداد الصلاة وأعداد الركعات أو الحج فإن رجلا لو أحب أن يصلي الظهر خمس ركعات وقال هذا زيادة عمل صالح لم يكن له ذلك وليس له أن يقول هذه بدعة حسنة بل يقول كل بدعة ضلالة ونحن نعلم أن هذا ضلالة قبل أن نعلم نهيا خاصا عنها أو أن نعلم ما فيها من المفسدة. وقال ابن تيمية أيضا إن أعمال الخلق تنقسم إلى عبادات

ينتفعون بها في الآخرة أو في الدنيا والآخرة وإلى عادات ينتفعون بها في معايشهم فالأصل في العبادات أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله والأصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله أقول لو كان مطلق الإحداث ممنوعا لما أقر النبي ﷺ إحداث الدعاء في الصلوة وإحداث سورة الإخلاص بعد السورة في الصلوة وإحداث الصلاة بعد الوضوء ولما سن خبيب الصلوة قبل الشهادة وعثمان ومن معه من الصحابة والتابعين بالنداء الثاني ولما سن ابن عمر الزيادة في تلبية رسول الله ﷺ ولما أقر النبي ﷺ إحداث قراءة الفاتحة في الرقي لشفاء السم كل ذلك في البخاري ومسلم من أحاديث الصحاح وتقدم في بحث السنة والبدعة.

فلا بد أن يدخل المحدث تحت نهي عام وإلا يوجد التحريم بما لم يحرمه الله والتشريع بما لم يأذن الله به وأما تغيير العبادات كزيادة ركعة في الظهر أو ترجمة خطبة الجمعة فهو داخل في عموم النهي مثل صلوا كما رأيتموني أصلي ولكن بعض الحلال بين وبعض الحرام بين وبينهما أمور مشتبه لا يعلمهن كثير من الناس فقليل من الناس يعلم أهو داخل في عموم "وشر الأمور محدثاتها" أو هو داخل في عموم قوله تعالى وافعلوا الخير ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. كما أن الكل أقر بخيرية جمع القرآن وخصوصية الكليات والجامعات وإحداث المجلات والجرائد وإحداث سائر الاحتفال الديني كل ذلك للانتفاع في الآخرة أو في الدنيا والآخرة.

٦)فإن قلت قال ابن تيمية في الاقتضاء: لا يجوز حمل قوله ﷺ كل بدعة ضلالة على البدعة التي نهي عنها بخصوصها لأن هذا تعطيل لفائدة هذا الحديث فإن ما نهي عنه من الكفر والفسوق وأنواع المعاصي قد علم بذلك النهي وما نهي عنه فهو منكر سواء كان بدعة أو لم يكن وأيضا يلزم تعطيل وصف البدعة فتعليق الحكم بهذا اللفظ تعليق بما لا تأثير له فالضابط ما رآه المسلمون مصلحة نظر في السبب المحوج إليه فإن كان السبب المحوج إليه أمرا حدث بعد النبي ﷺ لكن تركه النبي ﷺ من غير تفريط منه فهذا قد يجوز إحداث ما تدعو الحاجة إليه وكذلك إن كان المقتضى لفعله قائما على عهد رسول الله ﷺ لكن تركه النبي ﷺ لمعارض قد زال بموته وأما ما لم يحدث سبب يحوج إليه أو كان السبب المحوج إليه بعض ذنوب العباد كتقديم خطبة العيد فهنا لا يجوز الإحداث فكل أمر يكون المقتضى لفعله على عهد رسول الله ﷺ موجودا لو كان مصلحة ولم يفعل يعلم انه ليس بمصلحة وأما ما حدث المقتضى له بعد موته من غير معصية الخالق فقد يكون مصلحة ثم هنا للفقهاء طريقان أحدهما أن ذلك يفعل ما لم ينه عنه وهذا قول القائلين بالمصالح المرسلة والثاني ان ذلك لا يفعل ما لم يؤمر به وهو قول من لا يرى إثبات الأحكام بالمصالح المرسلة فأما ما كان المقتضى لفعله موجودا في زمنه ﷺ لو كان

مصلحة وهو مع هذا لم يشرعه فوضعه تغيير لدين الله والمراد بقول عمر "نعمت البدعة" البدعة اللغوية لا الشرعية وقد كانوا يصلون قيام رمضان على عهده ﷺ جماعة وفرادى وقد قال لهم في الليلة الثالثة أو الرابعة لما اجتمعوا أنه لم يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهة أن يفرض عليكم فصلوا في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرأ في بيته إلا المكتوبة فعلله ﷺ عدم الخروج بخشية الافتراض فعلم بذلك أن المقتضي للخروج قائم وأنه لولا خوف الافتراض لخرج إليهم فلما كان في عهد عمر جمعهم على قارئ واحد واسرج المسجد فصارت هذه الهيئة وهي اجتماعهم في المسجد على إمام واحد مع الاسراج عملا لم يكونوا يعملونه من قبل، فسمي بدعة لأنه في اللغة يسمى بذلك وان لم يكن بدعة شرعية لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح لولا خوف الافتراض وخوف الافتراض قد زال بوفاته ﷺ.

وهكذا جمع القرآن فإن المانع من جمعه على عهده ﷺ كان الوحي كان لا يزال ينزل فيغير الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلو جمع في مصحف واحد لتعسر أو تعذر تغييره كل وقت فلما استقر القرآن بوفاته واستقرت الشريعة أمن الناس من زيادة القرآن ونقصه وأمنوا من زيادة الإيجاب والتحريم والمقتضي للعمل قائم بسنته فعمل المسلمون بمقتضى سنته وذلك العمل من سنته وإن كان يسمى هذا بدعة في اللغة.

أقول لا يلزم من حمل قوله ﷺ كل بدعة ضلالة على المنهي العطيل بل يمكن أن يشمل المنهي بالخصوص والداخل تحت نهي عام مثلا بناء القبة وإسراج السرج على قبر العوام فهو منهي بالخصوص ولا يلزم أيضا تعطيل وصف البدعة إذ ليس المراد منها مطلق المحدث كما سلم به الخصم بل المراد المحدث المذموم ولا بد لكونه مذموما من أن يدخل تحت نهي عام أو خاص او أن لا يدخل تحت أمر عام وأما قوله ما لم يحدث سبب يحوج إليه وما كان المقتضي لفعله موجودا في زمنه ﷺ مع أنه لم يشرعه فوضعه تغيير لدين الله غير مسلم أيضا يعارضه إقراره ﷺ على صلوة الوضوء وعلى قراءة الفاتحة لشفاء السم وصلاة خبيب قبل الشهادة وأمثالها ويمكن أن يكون الكلي مطلوبا وداخلا تحت أصل والتشخصات المحدثة غير داخلة تحت نهي أو داخلة تحت أمر مثل وافعلوا الخير وقوله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها روى البخاري عن أبي بكر الصديق قال أتاني عمر فقال إني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر كيف تفعل شيء لم يفعله رسول الله ﷺ قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. بخاري باب جمع القرآن. فعلل عمر بأنه خير كأنه يشير إلى قوله وافعلوا الخير فلا يكون التشخصات في جمع القرآن والتراويح

من الإسراج والإدامة داخلة في البدعة بل داخلة في قوله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة ...إلخ . قال الحافظ قد تسول لبعض الروافض أنه يتوجه الاعتراض على أبي بكر بما فعله من جمع القرآن في المصحف فقال كيف جاز أن يفعل شيء لم يفعله الرسول ﷺ والجواب أنه لم يفعل ذلك إلا بطريق الاجتهاد السائغ الناشئ عن النصح منه لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم وقد كان النبي أذن في كتابة القرآن ونهى أن يكتب معه غيره فلم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوبا وإذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكر من ذلك جزم بأنه يعد من فضائله لثبوت قوله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها. فما جمع القرآن أحد بعده إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة. (فتح ٢٠٨/١١).

وهكذا كما قال الأستاذُ لتلميذه أو الوالدُ لولده افعل ما أمرتك به ولا تُحْدِثْ شيئا فالمراد المحدث الذي لا يرضاه الأستاذ أو الوالد وليس المراد النهي عن الخير وقد بين ﷺ مراده من قوله كل بدعة ضلالة بقوله من ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله ..إلخ (ترمذي، ابن ماجه ــ مشكوة ٣٠) وبقوله من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه. فإذا أُحدث ماله أصل لم يكن ما ليس منه بل أُحدث ما هو منه من أفراد الكلي فلا بد من تقييد المطلق بالمقيد الوارد وخَيْرُ ما فَسَّرْتَهُ بِالْوَارِدْ بل قد يكون مخالفةُ الوالد أو الأستاذ محبوبا كما روى عن علي أنه قال إن أمة لرسول الله ﷺ زنت فأمرني أن اجلدها فإذا هي حديث عهد بنفاس فخشيت إن أن جلدتها أن أقتلها فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: أحسنت رواه مسلم وأبو داود ــ مشكوة ٣١١). فلم يفعل علي ما أمره ﷺ وخالفه استدلالا بالنهي العام فقال ﷺ أحسنت.

٧)فإن قلت عد الفقهاء صلاة الرغائب التي هي اثنتا عشرة ركعة بلا ركوع ليلة الجمعة من أول رجب بدعة منكرة وكذا صلاة شعبان التي هي مأة ركعة في ليلة الخامس عشر من شعبان مع أنها داخلة في مطلق النوافل. أقول اختلف الفقهاء في صلاة الرغائب وصلاة شعبان فمنهم من عدها من المستحبات كالغزالي وغيره كما في الإحياء ٢٠٢/١ ومنهم من عدها من البدعة المنكرة كالنووي وغيره (شرح المهذب ٥٦/٤)قال الإتحاف قد ذكروا لكراهية صلاة رجب وجوها منها فعلها جماعة وهي نافلة ولم يرد بها الشرع ومنها تخصيص سورة الإخلاص والقدر ولم يرد به الشرع ومنها تخصيص ليلة الجمعة دون غيرها وقد ورد النهي عن تخصيص يومه بصيام وليله بقيام ومنها أن العامة يعتقدونها فرضا وكثير منهم يتركون الفرائض ولا يتركونها وهي المصيبة العظمى ومنها أن فعلها يُغْرِى قاصدَ وضع الأحاديثِ بالوضع والافتراء على النبي ﷺ ومنها أن الإشتغال بِعَدِّ السور مما يخل بالخشوع وهو مخالف للسنة ومنها أن في صلاة

الرغائب مخالفة للسنة في تعجيل الفطر ومنها أن سجدتيها مكروهتان إذ لم يشرع التقرب بسجدة منفردة بلا ركوع غير سجدة التلاوة عند أبي حنيفة ومالك وعند غيرهما غيرها وغير سجدة الشكر ومنها أن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين لم ينقل عنهم فعل هذه الصلاة فلو كانت مشروعة لما فاتت السلف وإنما حدثت بعد الاربعمائة ثم قال الإتحاف في بعض ما قالوه نظر وتأمل ففي أداء النفل جماعة اختلاف المذهب وقد سبق النسفي البزازي بالجواز وتخصيص بعض السور في بعض صلاة معينة قد ورد به الشرع وان قلنا بالكراهة فهي تنزيهة كما صرح به العلماء وكون العامة يعتقدونها فرضا لازما لا يتجه به الكراهة فانهم إذا فهموا من ذلك خلاف ما يفهمه الخاصة كان ذلك لتقصيرهم وسوء فهمهم فطريقهم أن يسألوا ويتفهموا ما علينا على العامة إذا غلطوا في فهمهم ولو نظرنا إلى هذا لغيرنا أوضاعا شرعية كثيرا وكون فعلها يغري واضع الأحاديث على وضعها فهذا قفل بابه من بعد الثلثمائة فلا تكون هذه الملاحظة وجها لكراهتها وكون الاشتغال بعد السور مما يخل بالخشوع ففيه خلاف والأشهر جوازه في النوافل وما ذكر أن تعجيل الإفطار فيها مما يخالف السنة هو غريب بل السنة قاضية على استحباب التعجيل في الإفطار وكراهة تأخيره إلى اشتباك النجوم وأما كراهة السجدة المفردة فمسلم إلا أن المدعي يقول لم لا يجوز أن تكون هذه السجدة شكرا لنعمة الله تعالى على رأي من يجوز ذلك واما ان الصحابة والتابعين ومن بعدهم لم ينقل عنهم انهم صلوا فلا يلزم من عدم فعلهم لها على الطريقة المعهودة كراهتها ثم هي من التطوعات من شاء صلاها ومن شاء تركها وقوله حدث بعد الأربعمائة وكانه يريد شهرة أمرها عملا وإلا فابو طالب المكي قد نوه بشأنها في قوت القلوب ووفاته سنة ٣٨٣.وأما حديث صلاة شعبان فأخرجه ابن الجوزي ثم قال هذا حديث لا شك أنه موضوع وقد رأينا كثيرا ممن يصلي هذه الصلاة ويتفق قصر الليل فتفوتهم صلاة الفجر ويصبحون كسالى وقد جعلها جهلة أئمة المساجد مع صلاة الرغائب شبكة لجمع العوام وطلب الرياسة والتقدم وكل ذلك عن الحق بمعزل. (الحاف ٤٢٤/٣) على أن الصلوات والمواليد والأدعية بينها فرق بين. فان الأولى عبادة مخصوصة بالأركان والشروط والثانية والثالثة وأمثالهما مطلوب بلا تعيين للتشخصات.

٨)إن قلت ما شرعه النبي ﷺ متعلقا بولادته هو الصوم لا الإطعام فهو خلاف المشروع ألقول العقيقة متعلقة بالولادة فهو أيضا مشروع وقال السيوطي ظهر له تخريجه (المولد) على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة مع انه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته اهـ . وبين السيوطي أن فعله ﷺ هذا إظهارا للشكر

على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشريفا لأمته كما كان يصلي لنفسه كذلك اهـ. وقال السيوطي فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده باجتماع وإطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات اهـ وقال الحافظ والشكر يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وسبقه إلى ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي كما في الزرقاني وكذا قال السيوطي وبين ابن حجر الهيتمي هذا في مولده المسمى بالنعمة الكبرى نقله النبهاني في جواهر البحار (١٢٢/٣).

٩)فإن قلت إن الناس تعودوا أن يجتمعوا ليلة السابع والعشرين لإحياء ذكر المعراج والإسراء أو ليلة القدر وكذا الإثنى عشر من ربيع الأول لإحياء ذكر المولد النبوي مع أن العلماء اختلفوا في تعيين وقت تلك الحوادث بالضبط أقول عدم الاتفاق على الوقت المذكور لا يؤثر فإن الأهم هو ذكر الله ومحبة رسول الله وهذا كاف في استجلاب رحمة الله وفضله فهذا الاجتماع ما دام انه لله وفي الله فإنه مقبول عند الله ولو وجد الخطأ في التاريخ ولا يهمنا تعيين الوقت بالضبط لأنه إن كان موافقا للصواب في نفس الأمر فلله الحمد وإن كان غير ذلك فإن الله لا يردنا ولا يغلق بابه عنا فإن المقصود التوجه إلى الله ومحبة من أحبه.

١٠)فإن قلت إن النبي ﷺ توفي في هذا الشهر ويناقيه إظهار الفرح والسرور أقول إن ولادته ﷺ من أعظم النعم وشكر النعمة مطلوب وقد دلت قواعد الشرع على أنه يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته من غير إظهار الحزن فيه وقد نهى الشرع عن النياحة وإظهار الجزع عند المصائب كما أشار إليه السيوطي. وقال ابن الحاج في المدخل ينبغي إذا دخل هذا الشهر أن يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق به اتباعا له ﷺ حيث كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثر الخيرات ألا ترى إلى قول ابن عباس : كان من أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان" وصرح الزرقاني وغيره بأنه ينبغي تخصيص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الصدقات والخيرات وغير ذلك من وجوه القربات. وفي فتح الصمد لمحمد نووي الجاوي صاحب نهاية الزين ٤٨ قال العلماء ينبغي إظهار التجمل والزينة بالثياب الفاخرة ليلة مولده الشريف وقال المدابغي فالاعتناء بوقت مولده الشريف من أعظم القربات.

١١)فإن قلت اتخاذ ذلك اليوم عيدا هو الممنوع لأن العيد في الإسلام إثنان أقول ليس ذاك بممنوع قال الله تعالى ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك إلخ وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في قوله:"تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا" يقول نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا كما في الدر المنثور

للسيوطي ٣٤٦/٢ وفي تفسير ابن كثير ١١٦/٢ عن عمر بن الخطاب أن رجلا من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لا تخذنا ذلك اليوم عيدا قال: أي آية ؟ قال: اليوم أكملت لكم دينكم إلخ... قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة بخاري ٢٧٢/٢وفي الكرماني وغيره المعنى قد اتخذنا ذلك اليوم عيدا وعظمنا مكانه أيضا اهـ على أن في إدامة التراويح مع الإسراج والاحتفالات السنوية اتخاذ عيد لم يكن في زمنه ﷺ وقد أقره الصحابة والعلماء.

١٢)وإن قلت محبة النبي ﷺ هو اتباع سنته حيث قال ﷺ من أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة. أقول المأخوذ من الحديث أنه يوجد المحبة بمحبة السنة واتباعها ومن الإتباع فعل العبادة متعلقا بالولادة ولا يؤخذ من الحديث أن المحبة هو الإتباع أو لا يوجد المحبة بدون الإتباع فإن ذلك مردود بالعقل والنقل والتجربة قال الله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون أعراف ١٥٤ فالتعزير بمعنى التعظيم و المحبة غير الإتباع وقد قال ﷺ للصحابي القائل له "ليس لي كثير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله" أنت مع من أحببت" بخاري كتاب الأدب ٩١١. جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولما يلحق بهم فقال رسول الله ﷺ المرأ مع من أحب (بخاري ٩١١) ١٣

١٣)فإن قلت زعم الفاكهاني أن المولود ليس بسنة لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشارع وقال لا أعلم لهذا المولد أصلا أقول أجاب السيوطي عن الفاكهاني فقال أما قوله لا أعلم إلخ فيقال عليه نفي العلم لا يلزم منه نفي الوجود فقد استخرج له إمام الحفاظ أبو الفضل ابن حجر أصلا من السنة واستخرجت له أصلا ثانيا(كما تقدم) أما قوله من أن المندوب ما طلبه الشارع يقال عليه أن الطلب في المندوب تارة يكون بالنص وتارة يكون بالقياس وهذا فيه البناء على الأصلين.(رسالة السيوطي ١٥).

١٤)فإن قلت قد ينضاف إليه اجتماع النساء ونحوه من المكروهات الشرعية أقول قال السيوطي في رسالته يقع بعض المكروهات في صلوة التراويح ولأجل هذه التي قرنت بها لا ننكرها بل نقول أصل الاجتماع لصلوة التراويح سنة وقربة فكذا في الموالد.

١٥)فإن قلت قال النبي ﷺ لا تطروني وقال أيضا لا تقولوا أنا خير من يونس بن متى. أقول بقية الحديث هكذا لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وقال البوصيرى دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم. فالمنهي أن يقال ابن الله ومعنى

الحديث الثاني لا تقولوا أنا خير من يونس بحيث يكون فتنة وسببا للمضاربة كما يدل عليه أول الحديث وسيأتي في حديث حسان الذي رواه الشيخان وقال الحسان في مدح النبي ﷺ وأجمل منك لم تر قط عيني وأحسن منك لم تلد النساء. وقال تعالى وإنسك لعلى خلق عظيم. لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي. لا تجعلوا دعاء الرسول كدعاء بعضكم بعضا. عن انس أن النبي ﷺ أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل بمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه. رواه الشيخان وقال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية للترمذي أن أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائد هم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا. ترمذي وفي رواية له أنا أول من تنشق له عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم على يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري. ترمذي وقال حسن صحيح وأمثال هذه كثيرة في الأحاديث ومعلوم أنه كان له ﷺ ثلثة شعراء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك كانوا يمدحون النبي ﷺ في حيوته ويجيبون ذم قريش ويلزم من الجواب المدح

فإذا كان النبي ﷺ يحب المدح في حيوته فكيف لا يحبه بعد وفاته وفي رواية أبي بكر بن الأنباري وابن قانع من مرسل ابن المسيب أن كعبا لما وصل في قصيدته المشهورة (بانت سعاد) في مدحه ﷺ إلى إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول رمى ﷺ بردة كانت عليه. وقيل اعطاه مع البردة مأة من الإبل كما في العرب والعربية١٨٥).

ونقل القسطلاني عن محمد بن هلال انه قال رأيت على هشام بن عبد الملك برد النبي ﷺ من حبرة له حاشيتان ورواه الدمياطي وهشام هذا من ملوك بني أمية ففيه تعيين البردة التي دفعه لكعب لأنها آلت إلى الملوك وان معاوية بذل فيها عشرة آلاف درهم فقال كعب ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحدا فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم. وقيل بثلاثين ألفا كما في جواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمي ١٣٤/٢ والعرب والعربية ١٨٥.

قال ابن الأنباري وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم قال ابن قانع عن ابن المسيب هي التي يلبسها الخلفاء في الجمع والأعياد قال الشامي ولا وجود لها الآن والظاهر أنها فقدت في واقعة التتار كما في الزرقاني على المواهب ٦٠/٣).

١٦) فإن قلت الاجتماع للمدح مما لا أصل له أقول فيما تقدم من حديث حسان وغيره

الاجتماع للمدح وسيأتي في حديث الترمذي أيضا وحين مـا قـدم النبي ﷺ المدينة خـرج أهلـها بمقدمه فرحا شديدا وقابلوه بالابتهاج وجلس الصبيان والنساء والولائـد يقلـن جـهرا.طَلَـعَ الْبَـدْرُ عَلَيْنَا من ثنيات الوداع.وجب الشكر علينا.مـا دعـى لله داع.أيـها المبعـوث فينـا.جئـت بـالأمر المطاع.كما في فتـح البـاري ١٨٦/٧) ومحمد رسـول الله ١٣٢ والمنـح المكيـة ١٠٠ وجواهـر البحار ٤٤٨/٢.

وأخرج الحاكم من طريق اسحق بن أبي طلحة عـن أنـس فخرجـت جـوار مـن بـني النجـار يضربن بالدف وهن يقلن نحن جوار من بني النجا ر يا حبذا محمد مـن جـار كمـا في فتـح البـاري ١٨٦/٧.

وفي رواية الحاكم أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يذكرون أخبـار الـولادة مجتمعـين وقـالوا أخبرنـا عن نفسك يا رسول الله فقال أنا دعوة أبي إبراهيـم إلى آخـر مـا تقـدم انظـر المرقـات ٣٦٧/٥ وفيض القدير شرح جامع الصغـير ٥٧٣/٣.

وروى ذلك الحديث أيضا الطيالسي والديلمي وابـن عسـاكر عـن الحـارث بـن أبي أمامـة كما في جواهر البحار ٥٢١/٢ وذكر الحافظ أبو الخطاب ابن دحيـة عـن ابـن عبـاس أنـه كـان يحدث ذات يوم في بيته وقائع ولادته ﷺ لقومه فيبشرون ويحمـدون الله ويصلـون عليـه فـإذا جـاء النبي ﷺ وقال حلت لكم شفاعتي وذكر أيضا عن أبي الدرداء أنه مـر مـع النـبي ﷺ إلى بيـت عـامر الأنصاري وكان يُعلِّم وقائع ولادته ﷺ لأبنائه وعشيرته ويقول هذا اليوم هـذا اليـوم فقـال رسـول الله ﷺ إن الله فتح أبواب الرحمة ...إلخ (جواهـر البحـار ٥٢٣/٢).

١٧)فإن قلت المدح بعد الوفاة هو محل الإنكار أقول سـيأتي حديـث عائشـة أن النـبي ﷺ مـدح خديجة بعد وفاتها وحديث الربيع أن الجويريات يضربن بالدف ويندبن مـن قتـل مـن آبائـهن وعـن سعيد بن المسيب قال مر عمر في المسجد وحسان ينشد فقال كنـت أنشـد وفيـه مـن هـو خـير منك ثم إلتفت إلى أبي هريرة فقال أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول أجـب عـني اللـهم أيـده بروح القدس قال نعم (بخـاري ٤٥٦/١). مسـلم ٣٠٠/٢ نسـائي ١١٧/١) وقـال ﷺ اذكـروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم ترمـذي ١٢١/١ أبـو داود ٣٢٣/٢ مشكـوة ٢٧١.

١٨)فإن قلت لا بد من تقرير العلمـاء الراسـخين وإلا لم يجـوز إحـداث نـداء ثـالث أو رابـع للجمعة أقول عد العلماء الراسخون المولد من الأمور المحبوبة مـن المذاهـب الأربعـة مثـل الحـافظ ابن حجر والقسطلاني والسيوطي والحافظ ابن رجب الحنبلـي وابـن الحـاج المـالكي وابـن حجـر الهيتمي والزرقاني والشعراني والمحقق أبي زرعة العراقي وابـن الجـزري والسـيد أحمـد عـابدين وأبي

شامة والحافظ ناصر الدين الدمشقي وأبي الطيب السبتي المالكي نزيل قوص والحافظ ابن دحية وغيرهم حتى قال ابن تيمية نفسه فتعظيم المولد واتخاذه موسما قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله ﷺ : اقتضاء ٢٩٧ وقد صنف ابن كثير نفسه مولدا نبويا طبع أخيرا بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد وممن صنف المولد ملا علي القاري والحافظ السخاوي كما في كشف الظنون والحافظ العراقي المتوفي سنة ٨٠٨ والحافظ ناصر الدين الدمشقي المتوفى ٨٤٢ وخلق كثير سواهم.

١٩)فإن قلت الأمور المذكورة في كتب المولد ليس لها أصل أقول الحكايات المذكورة في كتب المولد من انكسار إيوان كسرى وسقوط شرافاته وخمود نار فارس وخروج النور من آمنة بحيث أضاء لها قصور الشام وغيض بحيرة ساوة مروية من عدة طرق نقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن رواية ابن السكن وغيره أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها النبي ﷺ انكسر إيوان كسرى و سقطت منه أربع عشر شرافة وخمدت نار فارس ولم يخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة إلخ وقال أخرجهما ابن السكن في معرفة الصحابة وغيره. فتح الباري ٣٢٥ جزء البخاري ١٤ وقال حسن صحيح لا حرج فيه.

وروى أبو نعيم في دلائل النبوة مع السند والبيهقي وابن عساكر وجميع السالفين في كتب السير والتاريخ المعتبرة انه ارتج إيوان كسرى ...إلخ وروى احمد بن حنبل في مسنده ٢٦٢/٥ أنه ﷺ قال سأخبركم بأول امري دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورأيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاء لها منه قصور الشام. وفي المشكوة أيضا ص ٥١٣ في باب فضائل سيد المرسلين وصححه ابن حبان والحاكم كما في فتح الباري ٣٢٥ جزأ البخاري ١٤. وأورده الحاكم في المستدرك ٦٠٠/٢ ورواه البزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم في الخصائص ٤٥/١ ودلائل أبي نعيم.

وفي المواهب اللدنية أنه روى أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا لم يلتق أبواي على سفاح قط لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما اهـ. وقريب منه في المشكوة ٣٦٦/٥ والترمذي ٢٠١/٢.

ثم غيض بحيرة ساوة فالبحيرة تصغير بحر وساوة قرية من قرى بلاد فارس وكانت بحيرة كبيرة بين همدان وقم وكانت أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض وكانت تركب فيها السفن ويسافر إليها من البلدان فنشف ماؤها بالكلية فأصبحت يابسة كأن لم يكن فيها شيء من الماء حتى بنيت في موضعها مدينة ساوة الباقية إلى اليوم كما في السلك المعظم ٧٩ وساوة قرية

بين كوفة والشام وليست من العواصم وكان واديها يابسا من ألف عـام ففـاض بالمـاء ليلـة المولـد كما في السلك المعظم ٧٩.

قال الشالياتي في فتاواه قال الإمـام الحـافظ السـيوطي في مسـالك الحنفـا في والـدي المصطفى ﷺ ما نصه انهما ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلهما لقوله تعـالى {وما كنـا معذبـين حتى نبعث رسولا} وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهـل الكـلام والأصـول والشافعيـة مـن الفقـهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا وانه لا يقاتل حتى يدعـى إلى الإسـلام وانـه إذا قتـل يضمن بالدية والكفارة نص عليه الإمام الشافعي ﷺ وسـائر الأصحـاب انتـهى.

فلا تكليف إلا بالشرع خلافا للمعتزلة، وأهل الفـترة لا شـرع لهـم، فـلا يعذبـون إلا مـن ورد التخصيص بعذابهم فهم من أهل النجاة على أي حال كانوا لأنهـم غـير مكلفـين.

قال الشهاب الهيتمي في أفضل القرى ما نصه (والذي عليه أكثر أهـل السـنة والجماعـة انـه لا يجب توحيد ولا غيره إلا بعد إرسال الرسـل إليـهم ومـن المقـرر أن العـرب لم يرسـل إليـهم رسول بعد إسماعيل عليه السلام وان إسماعيل انتهت رسـالته بموتـه عليـه الصـلاة والسـلام فـلا فرق بين من غير وبدل وغيره ما عدا من صح تعذيبه فيقتصر ذلـك عليـه لأنـه لا قيـاس في ذلـك انتهى) ولم يرد ما يحتج به في عذاب والديه ﷺ وقال الحـافظ السـيوطي فيـه أيضـا مثـل الشـيخ الإسلام شرف الدين المناوي عن والد النبي ﷺ هل هو في النـار فـزأر السـائل زأرة شديـدة فقـال له السائل هل ثبت إسلامه فقال انه مات في الفـترة ولا تعذيـب قبـل البعثـة ونقلـه سـبط ابـن الجوزي في كتاب مرآة الزمان عن جماعة انتهى وفيه أيضا والدعوة لم تبلـغ أبـاه وأمـه فمـا ذنبـهما انتهى. وجزم به الإمام أبو عبد الله محمد بن خلف الأبي في شرح مسلم ومـال إليـه شـيخ الإسـلام والحافظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني في بعض كتبـه كمـا بسـطه الحـافظ السـيوطي في كتابـه المذكور وفيه أيضا ما نصه (انهما لم يثبت عنهما شرك بل كانا علـى الحنيفيـة ديـن جدهمـا إبراهيـم على نبينا وعليه الصلوة والسلام كما كان علـى ذلـك طائفـة مـن العـرب) انتـهى . وإلى هـذا ذهب جمع من الأئمة منهم مجدد القرن السادس إمام أهـل السـنة والجماعـة القـائم بـالرد علـى الفرق المبتدعة الإمام فخر الدين الرازي فقال في كتابه أسرار التنزيل مـا نصـه (ومما يـدل علـى أن آباء النبي ﷺ ما كانوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام لم أزل انقـل مـن أصـلاب الطـاهرين إلى أرحام الطاهرات وقال تعالى {إنما المشركون نجـس} فوجـب أن لا يكـون أحـد مـن أجـداده مشركا) انتهى ونقله الحافظ السيوطي في رسـائله المؤلفـة في خصـوص هـذه المسـئلة كمسـالك الحنفا وغيره.

وفي أفضل القرى لقراء أم القرى ما نصه (إن آباء النبي ﷺ غير الأنبياء وأمهاته إلى آدم وحوى ليس فيهم كافر لأن الكافر لا يقال في حقه انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في آية {إنما المشركون نجس} ثم قال (فهذا صريح في أن أبوي النبوي ﷺ آمنة وعبد الله من أهل الجنة لأنهما أقرب المختارين له ﷺ وهذا هو الحق) انتهى.

ثم إن إحياء والدي رسول الله ﷺ وإيمانهما به ليس لكونهما ماتا على الكفر، بل ليحصل لهما كمالات ومراتب غير حاصلة لأهل الفترة كما صرح به الأئمة ففي أفضل القرى ما نصه فإن قلت إذا أقررتم أنهما من أهل الفترة وأنهم لا يعذبون فما فائدة الإحياء قلت فائدته إتحافهما بكمال لم يحصل لأهل الفترة لأن غاية أمرهم أنهم الحق بالمسلمين في مجرد السلامة من العتاب. وأما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنهما فأتحفا بمزية الإيمان زيادة في شرف كما لهما لحصول تلك المراتب لهما) اهـ وهذا هو المعول عليه فما وقع في فتاوى البعض تبعا لابي حيان النحوي من أن القول بإيمان آباء النبي ﷺ هو رأي الرافضة والشيعة. فقد رده الشهاب الهيتمي في أفضل القرى بما نصه (وقول أبي حيان إن الرافضة هم القائلون أن آباء النبي ﷺ مؤمنون مستدلين بقوله تعالى {وتقلبك في الساجدين} فلك رده بأن أبا حيان إنما يرجع إليه في علم النحو وما يتعلق به وأما المسائل الأصولية فهو عنها بمعزل كيف والأشاعرة ومن ذكر معهم فيما مر آنفا على أنهم مؤمنون ونسبة ذلك للرافضة وحدهم مع أن هؤلاء الذي هم أئمة أهل السنة قائلون به قصور وأي قصور وتساهل وأي تساهل) انتهى. وقول أبي حيان إن الرافضة هم القائلون يفيد الحصر ولذلك صرح ذلك البعض بالحصر في فتاواه حيث قال بأن القائل المذكور مخطئ في قوله متبع فيه رأي الشيعة وهو مخالف للكتاب العزيز والسنة الصحيحة ولما عليه أهل السنة وغيره اهـ فلا وجه لتحمل الحفني في حاشيته على أفضل القرى إلا التعصب كما لا يخفى على المنصف الناقد ومن هنا تعلم أن ادعاء اتفاق العلماء على أن أبوي رسول الله ماتا على الكفر خطأ عظيم كيف لا وقد قال الحافظ السيوطي في الدرج المنيفة ما نصه ذهب جمع كثير من الأئمة الأعلام إلى أنهما ناجيان ومحكوم لهما بالنجاة في الآخرة انتهى بل القول بعدم نجاتهما يجر إلى تحكيم العقل وهو رأى المعتزلة ومن تبعهم كما هو محقق في علم الأصول ثم إن شرذمة من العلماء لما أعوزهم الأمر في التطبيق وجمع الأدلة حاروا وجمدوا على ظاهر حديث مسلم ونحوه ومع ذلك قالوا لا يجوز لأحد أن يذكر أن والدي رسول الله ﷺ في النار ففي مسالك الحنفا نقلا عن الإمام السهيلي ما نصه وليس لنا نحن أن نقول ذلك في أبوي رسول الله ﷺ لقوله لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات وقال تعالى: {إن الذين يؤذون الله

ورسوله ......الآية} وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد الأئمة المالكية عن رجل قال إن آباء النبي ﷺ في النار فأجاب من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى {إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة} قال ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه انه في النار انتهى.

وفي أفضل القرى الحذر من ذكرهما بنقص فإن ذلك قد يؤذيه ﷺ لخبر الطبراني لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات اهـ وفي اليواقيت والجواهر وكان الإمام أبو بكر بن العربي المالكي الفقيه المحدث يقول ما عندي أحد أشد أذى لرسول الله ﷺ ممن يقول إن أبويه في النار. وفي حديث مسلم لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات فيحرم جزماً أن يقال ان أبوي النبي ﷺ في النار اهـ. وكان الشيخ الملا علي القاري يميل إلى رأي هذا الشرذمة ويرجحه ولذلك جوزي بعد موته بقطع لسانه قال الشيخ عابد السندي في طوالع الأنوار شرح الدر المختار ما نصه: لما توفي الشيخ علي القاري وجده الغسال مقطوع اللسان فاهتم الغسال لذلك حيث يكون مثل هذا العالم النحرير المتفنن حاله هكذا فرأى في منامه عقيب دفنه أن الشيخ علي القاري يقول له لا تهتم فإني إنما جوزيت على رسالتي التي ألفتها في تحقيق كفر والدي النبي ﷺ بقطع اللسان ففي هذا عبرة عظيمة لمن اعتبر اهـ وقد رد العلامة الصفوي على هذه الرسالة بأحسن رد وسماه تنبيه الغفول في إسلام آباء الرسول وفي هذا القدر كفاية لمن شملته العناية والله ولي الهداية ومنه العصمة في البداية والنهاية[١٩](فتوى الشاليساني)

قيل من مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه فكيف بعد إعادة روح الأبوين للنبي ﷺ . نقل الرملي جوابه عن القرطبي فقال فيه نظر وذلك أن فضائل النبي ﷺ وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين وفاته فيكون هذا (إحياء الوالدين) مما فضله الله تعالى وأكرمه به وليس إحيائهما وإيمانهما به يمتنع عقلاً ولا شرعاً. فقد ورد في القرآن، إحياء قتيل بني إسرائيل، وإخباره بقاتله. وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا ﷺ أحيى الله على يديه جماعة من الموتى. فإذا ثبت هذا لم يمتنع من إيمانهما بعد موتهما زيادة في كرامته وفضيلته مع ما ورد من الخبر في ذلك فيكون ذلك خصوصاً فيمن ميات كافراً وقوله "فمن مات كافراً إلى آخر كلامه" مردود لما روى من الخبر "إن الله رد الشمس على نبيه بعد مغيبها" وهو حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنه لا يتجدد بتجدد الوقت لما ردها عليه فكذلك إحياء أبوي النبي ﷺ وقد قبل الله إيمان قوم يونس وتوبتهم. وأما قوله ﷺ "إن أبي وأباك في النار" يدل على عدم كونه معصوماً لا على كونه كافراً وأما الفترة فلا يجب أن

والمطلق الكلي موجود في كل واحد من الأفراد واعتمال المواليد المخصوصة فرد من أفراده فإذا اعتملت من حيث ان الماهية مطلوب فهي مطلوبة ولا وجه لمنع اجتماع الخيور الكثيرة بل اجتماعها اجتماع خيور كثيرة.

ذِكْرُ الْمَدْحِ

أما الأول فقال تعالى إِنَّ اللهَ وَمَلَٰئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا؛الأحزاب ٥٦.

قال البيضاوي في تفسير يصلون أي يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه(بيضاوي ٥٦٢) وكذا في الرازي.

قال البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ صَلَوٰةُ اللهِ ثَنَاءُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَٰئِكَةِ وَصَلَوٰةُ الْمَلَٰئِكَةِ الدُّعَاءُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُصَلُّونَ يُبَرِّكُونَ (بخاري ٧٠٧/٢) وفي هامشه يبركون أي يدعون بالبركة.

قال تعالى "وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ" (سورة الم نشرح ٤) قال القرطبي :"رفعنا ذكرك عند الملئكة في السماء وفي الأرض عند المؤمنين" (قرطبي ١٠٧/٢٠).

وفي الرازي أملأ العالمَ من أتباعِكَ كلهم يُثنون عليك .... ويُسَلِمونَ من وراء الباب عليك ويَمسَحُونَ وجوهَهم بِتُرابِ رَوْضتِك

تكون من جميع الوجوه مثلا وجوب الصدق وحرام الكذب لا فترة فيهما فيمكن أن يوجد في النار بمثله ولا يوجد الخلود فلا يدل الحديث على الموت بالكفر فالحاصل أن الفترة كلي مشكك وما قيل انهما ماتا كافرين فيمكن أن يكون معناه انهما لم يسلما كسائر الصحابة، يدل عليه التعليل بموتهما قبل البعثة فيمكن أن يكونا صالحين بالنسبة فلكل وجهة، وكذا الجواب عن حديث عدم الإذن في الاستغفار لأمه، كان في صدر الإسلام ممنوعا من الصلاة على من عليه دين وهو مسلم فلعله كانت عليها تبعات غير الكفر فمنع من الاستغفار لها بسببها قاله السيوطي في الحاوي ٤٣٦/٢ وانظر في هذه المسألة الحاوي للسيوطي من ٤٠٢/٢ إلى ٤٤٤/٢.

ويرجون شفاعتك فشرفك باق إلى يوم القيمة(رازي٥/٣٢).

وقال تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا" الفتح ٩ وقال تعالى أيضا: "وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ" الشعراء ٨٤.

روى البخاري: أن الهيثم بن أبي سنان سمع أبا هريرة رضي الله عنه وهو يقص في قصصه وهو يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أخاكم لا يقول الرفث يعني بذلك عبد الله بن رواحة.

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ

أَرَانَا الْهُدٰى بَعْدَ الْعَمٰى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ إِنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

(بخاري ١٥٥/١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ لِحَسَّانَ مِنْبَرًا فِي الْمَسْجِدِ يَقُومُ عَلَيْهِ قَائِمًا يُفَاخِرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ يُنَافِحُ وَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا نَافَحَ أَوْ فَاخَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بخاري: مشكوة ٤١٠)

وعن ابن عباس رضي الله عنه قَالَ جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَقَالَ آخَرُ مُوسٰى كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا وَقَالَ آخَرُ فَعِيسٰى كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ وَقَالَ آخَرُ آدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللهِ وَهُوَ كَذٰلِكَ وَمُوسٰى نَجِيُّ اللهِ وَهُوَ كَذٰلِكَ وَعِيسٰى رُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذٰلِكَ وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ وَهُوَ كَذٰلِكَ أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلْقَ

الجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ. (رواه الترمذي والدارمي مشكوة ٥١٣/٢).

قال القاضي عياض: لا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد هذا أو اعتقد سواه فليس بمؤمن(شرح مسلم ١٦/١ باب وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم).

عن الربيع بنت معوذ قالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُولِي هٰكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ (بخاري ٢٥٧٠) وقولها "يَنْدُبْنَ" الندب دعاء الميت بأحسن أوصافه (فتح الباري ٣١٦/٧) دلالة واضحة لموالد الأموات من البدريين مع ندائهم.

ذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ

وأما الثاني فقال تعالى: وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ[٣](هود ١٢٠) قال إسماعيل البروسوي: كما يزداد الإيمان بالسكينة فكذلك يزداد اليقين على اليقين باستماع قصص الأنبياء والأمم السالفة (روح البيان ٤ ٢٠٤).

وأما الثالث: فقال تعالى: " أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ (الأنعام ٩٠).

عن ابن مسعود قال: مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا أَفْضَلَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَبَرَّهَا قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا اخْتَارَهُمُ اللهُ

---

[٣] ومن فوائد المولد ذكر معجزاته وسيرته والتعريف به ونحن مأمورون بمعرفته ومطالبون بالاقتداء به والإيمان به والتصديق بآياته وكتب المولد تؤدي هذا المعنى

لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَلِإِقَامَةِ دِينِهِ فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَسِيَرِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ (رزين: مشكوة ١/٣٢).

إِظْهَارُ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ

وأما الرابع: فقال تعالى: "قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا" (يونس ٥٨):

وقال أيضا: "وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" (مريم ١٥) وتقدم في باب النذر حديث نذر ضرب الدف عند السرور.

قال عروة: وَثُوَيْبَةُ[1] مَوْلَاةٌ لِأَبِي لَهَبٍ كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ

---

[1] يذكر العلماء في كتاب الحديث والسيرة قصة عتق أبي لهب جاريته ثويبة لما أخبرته بولادة النبي ﷺ وأن العباس بن عبد المطلب رأى أبا لهب في النوم بعد وفاته فسأله عن حاله فقال لم ألق خيرا بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة وإنه ليخفف عني في كل يوم الاثنين قلت هذا الخبر رواه جملة من أئمة الحديث والسير مثل عبد الرزاق الصنعاني والإمام البخاري والحافظ ابن حجر والحافظ ابن كثير والبيهقي وابن هشام والسهيلي والبغوي وابن الديبع والأشخر والعامري. فأما الإمام عبد الرزاق الصنعاني فقد رواه في المصنف (٧/٤٧٨) وأما الإمام البخاري فقد رواه في صحيحه بإسناده إلى عروة بن الزبير مرسلا في كتاب النكاح باب (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) وأما ابن حجر فقد ذكره في الفتح وقال إنه رواه الإسماعيلي من طريق الذهلي عن أبي اليمان ورواه عبد الرزاق عن معمر وقال وفي الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة لكنه مخالف لظاهر القرآن قال الله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وأجيب أولا بأن الخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به وعلى تقدير أن يكون موصولا فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه ولعل الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد فلا يحتج به وثانيا على تقدير القبول فيحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي ﷺ مخصوصا من ذلك بدليل قصة أبي طالب كما تقدم أنه خفف عنه فنقل من الغمرات إلى الضحضاح وقال البيهقي ما ورد من بطلان الخير للكفار فمعناه أنهم لا يكون لهم التخلص من النار ولا دخول الجنة ويجوز أن يخفف عنهم من العذاب وأما عياض فقال انعقد الإجماع

على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب وإن كان بعضهم أشد عذابا من بعض قلت: وهذا لا يرد الاحتمال الذي ذكره البيهقي فإن جميع ما ورد من ذلك فيما يتعلق بذنب الكفر وأما ذنب غير الكفر فما المانع من تخفيفه؟ وقال القرطبي هذا التحقيق خاص بهذا وبمن ورد النص فيه وقال ابن المنير في الحاشية: هنا قضيتان أحدهما محال وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح وهذا مفقود من الكفار . الثانية: إثابة الكافر على بعض الأعمال تفضلا من الله تعالى وهذا لا يحيله العقل فإذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبي لهب لثويبة قربة معتبرة ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء كما تفضل على أبي طالب والمتبع في ذلك التوقف نفيا وإثباتا. قلت وتتمة هذا أن يقع التفضل المذكور إكراما لمن وقع من الكافر والله أعلم. اهـ (فتح الباري ١٤٥/٩).

وأما ابن كثير فقد رواه في البداية والنهاية وقال معلقا لأنه لما بشرته ثويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله اعتقها من ساعته فجوزي بذلك لذلك اهـ من السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٢٢٤.

وأما الحافظ عبد الرحمن بن الديبع الشيباني صاحب جامع الأصول فقد رواه في سيرته وقال معلقا قلت فتخفيف العذاب عنه إنما هو كرامة للنبي ﷺ كما خفف عن أبي طالب لا لأجل العتق لقوله تعالى:وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون اهـ من حدائق الأنوار في السيرة(١٣٤/١). وأما الحافظ البغوي فقد رواه في شرح السنة (٧٦/٩) وأما الإمام العامري فقد رواه في بهجة المحافل وقال شارحه الاشخر قيل: هذا خاص به إكراما له ﷺ كما خفف عن أبي طالب بسببه وقيل لا مانع من تخفيف العذاب عن كل كافر عمل خيرا اهـ من شرح البهجة ٤١/١).

وأما السهيلي فقد رواه في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام وقال بعد نقل الخبر فنفعه ذلك وهو في النار كما نفع أخاه أبا طالب عن رسول الله ﷺ فهو أهون أهل النار عذابا (الروض الأنف ١٩٢/٥. الحاصل الحديث يكفي في توثيقه كون البخاري نقلها في صحيحه أما قول من قال إن هذا رؤيا منام لا يثبت بها حكم فيرد عليه أن البخاري والمحدثين لماذا ذكروا هذا الحديث في كتبهم على ذلك التقدير فالإعتماد على الرؤيا في هذا الباب ليس فيه إثبات حكم شرعي مخالف للأدلة وقد اعتمد الحفاظ وذكروا ما جاء في رؤيا أهل الجاهلية قبل بعثة رسول الله ﷺ المنذرة بظهوره وانه سيقضي على الشرك وما هم من فساد وكتب السنة مملوءة بهذا وفي مقدمتها كتاب دلائل النبوة وعدوها من الإرهاصات التي لا مانع من الاستدلال

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ قَالَ لَهُ مَاذَا لَقِيتَ قَالَ أَبُو لَهَبٍ لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ خَيْرًا غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ (بخاري ٢/٧٦٤).

قال ناصر الدين في كتابه ورود الصادي في مولد الهادي شرواني ٧/٤٢٣.

إِذَا كَانَ هَذَا كَافِرًا جَاءَ ذَمُّهُ ... وَتَبَّتْ يَدَاهُ فِي الْجَحِيمِ مُخَلَّدًا

أَتَى أَنَّهُ فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ دَائِمًا ... يُخَفَّفُ عَنْهُ لِلسُّرُورِ بِأَحْمَدَ

اَلْمَحَبَّةُ وَالْإِتِّبَاعُ

وأما الخامس: فقال الله تعالى: "فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (الأعراف ١٥٧).

وقال تعالى: قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" (التوبة ٢٤).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (بخاري ١/٧).

في شأنها بالرؤيا ولولا ذلك لما ذكروها وأما قول من قال إن الرائي والمخبر هو العباس في حال الكفر والكفار لا تسمع شهادتهم فمردود لأنه لم يقل أحد أن الرؤيا من باب الشهادات مطلقا وإنما هي بشارة لا غير فلا يشترط فيها دين ولا إيمان ذكر الله في القرآن معجزة يوسف عن رؤيا ملك مصر وهو وثني لا يعرف دينا ومع ذلك جعل الله رؤيته المنامية من دلائل نبوة يوسف ولو كان ذلك لا يدل على شيء لما ذكرها الله لأنها رؤيا مشرك ولنفي لا فائدة فيها لا في التأييد ولا في الإنكار.

ثم إن هذا القائل لا يعلم علم الحديث إذا المقرر في أصوله أن الصحابي أو غيره إذا تحمل الحديث في حال كفره ثم روى ذلك بعد إسلامه أخذ ذلك عنه وعمل وأمثاله كثيرة في كتب الحديث.

وإن كانت محبة جميع الرسل من الإيمان لكن الأحبية مختصة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتح الباري ٥٨/١)

عن ابن مسعود الأنصاري قال أتانا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ لَهُ بِشْرُ بْنُ سَعْدٍ أَمَرَنَا اللهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ وَقَالَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا "اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَعَلٰى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلٰى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلٰى مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلٰى إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ" (بخاري ومسلم ١٧٤/٤).

وأما السادس: فقد قال الله تعالى: "لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً ....إلخ (آل عمران ١٦٤) وقال الله تعالى: "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" (الضحى).

إِظْهَارُ الشُّكْرِ

وأما السابع: فقال الله تعالى: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ" (إبراهيم ٧)

عن ابن عباس ﵁ قَالَ قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ مَا هٰذَا؟ قَالُوا هٰذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هٰذَا يَوْمٌ نَجَّى اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى قَالَ فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ (بخاري ٣٤١/١ كتاب الصيام).

قال الإمام السيوطي رحمه الله يستحب لنا إظهار الشكر لمولده عليه السلام(روح البيان٥٦/٩).

أَصْلُ الْمَوْلِدِ

قال الشرواني وقد ظهر لي تخريجها (الموالد) على أصل ثابت وهو

ثابت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى على ما من به في يوم معين من إبداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة في ذلك اليوم.(شرواني٧/٤٢٣).

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ (بخاري ٥٣٩،مسلم ٢/٢٨٤).

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الاثنين فقال فِيهِ وُلِدتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ[٥] مسلم (مشكوة ١/١٧٩).

قال الحسن البصري رضي الله عنه وددت لو كان لي مثل جبل أحد ذهبا لأنفقته على قراءة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال السري السقطي رضي الله عنه من قصد موضعا يقرأ فيه مولد النبي صلى الله عليه وسلم فقد قصد روضة من رياض الجنة لأنه ما قصد ذلك الموضع إلا لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وقال عليه الصلاة والسلام:"مَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ".

---

٥ وفي صحيح مسلم قال ﷺ خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة. فيوم الجمعة عيد المؤمنين لأن ذلك اليوم حصل فيه نعمة كبيرة. منها خلق آدم عليه السلام.

قال الإمام اليافعي اليمني رضي الله عنه من جمع لمولد النبي صلى الله عليه وسلم إخوانا وهيأ طعاما وأخلى مكانا وعمل إحسانا وصار سببا لقراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله يوم القيمة مع الصديقين والشهداء والصالحين ويكون في جنات النعيم. وقال السيوطي رحمه الله في كتابه"الوسائل في شرح الشمائل المحمدية":ما من بيت أو مسجد أو محلة قرأ فيه مولد النبي صلى الله عليه وسلم إلا حفت الملئكة بأهل ذلك المكان وعمهم الله بالبركة وقال وما من مسلم قرأ في بيته مولد النبي صلى الله عليه وسلم إلا رفع الله القحط والوباء والآفات والبليات والنكبات والحسد وعين السوء واللصوص عن أهل ذلك البيت فإذا مات هوّن الله عليه جواب المنكر والنكير عليهما السلام وكان في مقعد صدق عند مليك مقتدر.الروضة الندية في مدح خير البرية لأبي بكر البغدادي.

إِسْتِحْسَانُ الْقِيَامِ عِنْدَ ذِكْرِ الْوِلَادَةِ

قال الله تعالى:"وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ"(الحج ٣٢).

قال صلى الله عليه وسلم للأنصار:"قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أَوْ أَخْيَرِكُمْ"(بخاري ٥٩١/٢).[٦]

---

[٦] قال الشرواني ويسن القيام لأهل الفضل من علم أو صلاح أو شرف أو نحو ذلك إكراما لا رياء وتفخيما قال في الروضة وقد ثبت فيه أحاديث صحيحة وأكثر ما ذكر في الروض وشرحه مثله. (شرواني ٢٠٨/٧) قال كعب بن مالك دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني. وثبت أن النبي ﷺ قام لابنته فاطمة رضي الله عنها وقد ألف النووي في ذلك جزءا مستقلا وأيده ابن حجر الهيتمي ورد على ابن الحاج وما ثبت في بعض الأحاديث من النهي عن القيام فهو قيام مخصوص كقيام الأعاجم وهو قيام الرعية حين يجلس الملك إلى آخر المجلس.

حكم القيام للعلماء والصالحين والوالدين:

أما حكم القيام لذوي الفضل فجائز، وهو من الآداب الإسلامية. وقد نصت كتب الفقه في مختلف المذاهب على جوازه.

(أ) نصوص السادة الشافعية:

نقل العلامة الفقيه محمد الشربيني في كتابه "المغني المحتاج" ج٣ ص١٣٥ :"ويسن القيام لأهل الفضل من علم وصلاح. قال في الروضة: وقد ثبت فيه أحاديث صحيحة" اهـ

وللإمام النووي رسالة خاصة سماها "رسالة الترخيص بالقيام لذوي الفضل" في جوز القيام للقادم، واستدل على ذلك بأحاديث كثيرة منها، ومن الأحاديث الدالة عليه.

(١) أخرج أبو داود في سننه : أن النبي ﷺ كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فجلس عليه، ثم أقبلت أمه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه فجلست عليه. ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام فأجلسه بين يديه"

(٢) وأخرج الإمام مالك في قصة عكرمة بن أبي جهل ، لما سافر إلى اليمن يوم الفتح ورحلت امرأته إليه حتى أعادته إلى مكة مسلما: فلما رآه النبي ﷺ وثب إليه فرحا ورمى عليه رداءه.

(٣) وقام النبي ﷺ لما قدم جعفر من الحبشة فقال: (ما أدري بأيتهما أنا أسر بقدوم جعفر أو بفتح خيبر".

(٤) وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها: "قدم زيد بن حارثة المدينة والنبي ﷺ في بيتي، فقرع الباب فقام إليه فاعتنقه وقبله".

(٥) وأخرج أبو داود عن أبي هريرة ﷺ قال: "كان النبي ﷺ يحدثنا فإذا قام قمنا إليه حتى نراه قد دخل".

(ب) نصوص السادة الحنفية:

(١) نقل العلامة الفقيه المحقق ابن عابدين عند قول صاحب الدر: وفي الوهبانية يجوز بل يندب القيام تعظيما للقادم، كما يجوز القيام ولو للقارئ بين يدي العالم: "قال في القنية : قيام الجالس في المسجد لمن دخل عليه تعظيما وقيام قارئ القرآن لمن يجيء تعظيما لا يكره إذا كان ممن يستحق التعظيم . وفي مشكل الآثار: القيام لغيره ليس بمكروه لعينه، إنما المكروه محبة القيام لمن يقام له، فإن قام لمن لا يقام له لا يكره. فقال ابن وهبان: أقول: وفي عصرنا ينبغي أن يستحب ذلك ــ أي القيام ــ لما يورث تركه من الحقد والبغضاء والعداوة، ولا سيما إذا كان في

مكان اعتيد فيه القيام. وما ورد من التوعد عليه في حق من يحب القيام بين يديه كما يفعله الترك والأعاجم" اهـ حاشية ابن عابدين ٢٥٤/٥.

نصوص شراح الحديث:

قال أبو سليمان الخطابي الشافعي شارحا الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري ﷺ : "إن أهل قريظة لما نزلوا على حكم سعد أرسل إليهالنبي ﷺ ، فجاء على حمار أقمر، فقال النبي عليه الصلاة والسلام قوموا إلى سيدكم أو إلى خيركم)، فجاء حتى قعد إلى رسول الله ﷺ .

قال الخطابي :"فيه من العلم أن قول الرجل لصاحبه: يا سيدي، غير محظور، إذا نال صاحبه خيرا فاضلا، وإنما جاءت الكراهة في تسويد الرجل الفاجر، وفيه أن قيام المرؤس للرئيس الفاضل وللولي العادل، وقيام المتعلم للعالم مستحب غير مكروه، وإنما جاءت الكراهة فيمن كان يخالف أهل هذه الصفات."

وقال الخطابي أيضا في شرحه لحديث أبي داود الذي رواه معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أحب أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار): قوله ﷺ يمثل معناه: يقوم وينتصب بين يديه، ووجهه هو أن يأمرهم بذلك ويلزمه إياهم على مذهب الكبر" . اهـ . معالم السنن للخطابي شرح سنن أبي داود ١٥٥/٤ـ١٥٦)

وقال العلامة السفاريني : "وفي مسند الإمام أحمد ﷺ (قوموا إلى سيدكم فأنزلوه) لكن ينصركون الأمر بالقيام له آخر الخبر : وكان رجال من بني الأشهل يقولون : قمنا له على أرجلنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ. كما في السيرة الشامية". غذاء الألباب شرح نظومة الآداب للعلامة السفاريني الحنبلي ٢٧٦/١)

وقد أورد هذا الخبر العلامة علي بن برهان الدين الحلبي في كتابه السيرة الحلبية ٣٣٩/٢ في بحث غزوة بني قريظة.

كما ذكره أيضا مفتي السادة الشافعية بمكة المشرفة العلامة أحمد زيني دحلان في كتابه السيرة النبوية والآثار المحمدية ١٣١/٢)

حكم تقبيل اليد:

كثر تساؤل الناس عن حكم تقبيل اليد، وخصوصا في هذه الأيام التي كثر فيها اتباع الهوى والرأي ، وضعف التحقيق العلمي السليم، لكن الذي يمحص الحقائق، و يرجع إلى الأحاديث الصحيحة، وآثار الصحابة الكرام، وأقوال الأئمة المحققين، يجد أن تقبيل يد العلماء والصالحين

والأبوين جائز شرعا، بل هو المظهر من مظاهر الآداب الإسلامية في احترام أهل الفضل والتقى، وإليك بعض النصوص الصريحة في ذلك.

(أ) أما ما ورد من الأحاديث فمن صفوان بن عسان، قال: "قال يهودي لصاحبه: قم بنا إلى هذا النبي، فأتيا رسول الله ﷺ ، فسألا عن تسع آيات بينات، فذكر الحديث...إلى قوله: فقبلا يده ورجله، وقالا: نشهد أنك نبي الله" رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه، والنسائي وغيرهم.

(ب) وروى أبو داود عن أم أبان بنت الوازع بن زارع، عن جدها زارع وكان في وفد عبد القيس، قال: "فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله" وكذلك رواه البيهقي كما في السيرة الشامية. وفيها : ثم جاء منذر الأشج حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها، وهو سيد الوفد"

(ج) وفي شرح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني: "أن أبا لبابة، وكعب بن مالك، وصاحبيه ، قبلوا يد النبي ﷺ حين تاب الله عليهم" ٤٨/١)

(د) أما ما ورد من الآثار فقد أخرج الطبراني والبيهقي والحاكم عن الشعبي: أن زيد بن ثابت صلى على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء عبد الله بن عباس ؓ ، فأخذ بركابه، فقال زيد بن ثابت : خل عنها يا ابن عم رسول الله . فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن يفعل بالعلماء والكبراء، فقبل زيد بن ثابت عبد الله وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ".

وأخرج البخاري في الأدب المفرد من رواية عبد الرحمن بن رزين قال: "أخرج لنا سلمة بن الأكوع كفا له ضخمة كأنها كف بعير فقمنا إليها فقبلناها". كذا في شرح البخاري لابن حجر العسقلاني. ٤٨/١١.

قال ابن كثير في تاريخه ــ البداية والنهاية ٥٥/٧ ــ في فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب ؓ بعد كلام..."فلما وصل عمر بن الخطاب إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء، كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان ، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر، فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر، فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة فكف أبو عبيدة، فكف عمر".

وفي غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للعلامة محمد السفاريني الحنبلي قال: "وفي الآداب الكبرى" وتباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تدينا وتكرما واحتراما مع أمن الشهوة ٣٨٧/١.

وقال الحافظ ابن الجوزي في مناقب أصحاب الحديث:"ينبغي للطالب أن يبالغ في التواضع للعالم ويذل له، قال: ومن التواضع تقبيل يده. وقبل سفيان بن عيينة والفضيل بن عياض

أحدهما يد الحسين بن علي الجعفي، والآخر رجله." . كذا في شرح منظومة الآداب للسفاريني. ٢٨٧/١.

وقال أبو المعالي في شرح الهداية: أما تقبيل يد العالم والكريم لزهده فجائز وأما تقبيل يده لغناه، فقد روي: (من تواضع لغني لغناه فقد ذهب ثلثا دينه)، وقد علمت أن الصحابة قبلوا يد المصطفى ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند قدومهم من غزوة مؤتة" كذا في المصدر السابق.

أقوال الأئمة الأربعة

الحنفية: قال العلامة ابن عابدين في حاشيته ، عند كلام صاحب الدر المختار:"ولا بأس بتقبيل يد الرجل العالم والمتورع على سبيل التبرك، وقيل: سنة ، قال الشرنبلالي : وعلمت أن مفاد الأحاديث سنيته أو ندبه كذا أشار إليه العيني" . حاشية ابن عابدين ٢٥٤/٥.

وفي حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح، قال: "وفي غاية البيان عن الواقعات: تقبيل يد العالم أو السلطان العادل جائز. وورد في أحاديث ذكرها البدر العيني...ثم قال: فعلم من مجموع ما ذكرنا إباحة تقبيل اليد..." ص٢٠٩.

المالكية: قال الإمام مالك: "إن كانت قبلة يد الرجل على وجه التكبر والتعزم فمكروهة، وإن كانت على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز". (شرح البخاري لابن حجر العسقلاني ٤٨/١١).

الشافعية: قال الإمام النووي:"تقبيل يد الرجل لزهده، وصلاحه وعلمه، أو شرفه، أو نحو ذلك من الأمور الدينية، لا يكره بل يستحب، فإن كان لغناه ، أو شوكته، أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه شديد الكراهة". كذا في شرح البخاري للعسقلاني ٤٨/١١.

الحنبلية: وفي غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للعلامة السفاريني الحنبلي قال:" قال المرزوي، سألت أبا عبد الله ــ الإمام احمد بن حنبل رحمه الله عن قبلة اليد، فقال إن كان على طريق التدين فلا بأس، فقبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وإن كان على طريق الدنيا فلا" (٢٨٧/١)

وقد اجتمع عند الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله جمع كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري رحمه الله في مدحه عليه السلام.

قَلِيلٌ لِمَدْحِ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْخَطُّ بِالذَّهَبِ عَلَى وَرَقٍ مِنْ خَطِّ أَحْسَنَ مِنْ كُتُبِ
وَإِنْ تَنْهَضِ ٱلْأَشْرَافُ عِنْدَ سَمَاعِهِ قِيَامًا صُفُوفًا أَوْ جُثِيًّا عَلَى الرُّكَبِ

فثبت أن كل واحد من السبع مطلوب بالشرع فليست المواليد من البدعة بل من السنة لأن لها أصلا في الشرع كما تقدم في مبحث البدعة والسنة وقد حسن اعتمال المواليد العلماء الكثيرة كما في النعمة الكبرى لابن حجر الهيتمي رحمه الله وأبو شامة أستاذ النووي كما فتح المبين لابن حجر رحمه الله ص ١٠٧ والشيخ عبد الحميد الشرواني كما في الشرواني ٤٢٣/٧ وابن حجر كما في حاوي للفتاوى ٢٥١-٢٥٦ والسيد البكري كما في إعانة الطالبين ٣٢٣/٣ .

وأما ما يقال في اعتمال المواليد رجاءُ رضاءِ غير الله وهو منهي عنه فهو ممنوع كما في قوله تعالى: "وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ" (التوبة ٦٢).

قال محمد رضا: "وفي زماننا هذا يحتفل المسلمون بيوم مولده صلى الله عليه وسلم في جميع الأمم الإسلامية وفي القطر المصري تتلى الأذكار وتوزع الصدقات على الفقراء والمحتاجين وفي القاهرة يتحرك موكب أرباب الطرق بعد الظهر أمام المحافظة ويسير قاصدا ميدان الاحتفال بالعباسية مجتازا شوارع تحت الربع فالسكرية فالغورية فميدان الاشراقية فالفحامين فالحسينية فالعباسية ويشتد الزحام في هذه الشوارع ويتقدم الموكب كوكبة من فرسان رجال الشرطة وتحف به من الجانبين قوة من رجال الجيش وقد جرت عادة الحكومة أن تحتفل بهذا اليوم المبارك احتفالا رسميا في العباسية حيث تقام سرادقات للوزارات ويتوجه جلالة الملك أو نائبه إلى مكان الاحتفال وهناك يستعرض الحامية المصرية على

اثر وصوله ثم ينتقل إلى السرادق ويستقبل رجال الطرق الصوفية باعلامهم وبعدئذ يقصد سرادق شيخ مشائخ الطرق الصوفية فيستمع لتلاوة القصة النبوية وبعد سماعها يخلع على تاليها الخلعة الملكية وتدار المرطبات والحلوى على الحاضرين ثم ينصرف بعد ذلك بموكبه الحافل أثناء قصف المدافع وفي المساء تنار الزينات المقامة على السرادقات وتطلق الألعاب النارية البديعة وفي الصباح تعطل الحكومة وزاراتها ومصالحها وتتلى القصة النبوية الشريفة في المشهد الحسيني بحضور محافظ مصر.(محمد رسول الله ٢٢).

أَلتَّبَرُّكَاتُ
وَالْإِسْتِشْفَاءُ بِبَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ

التبرك طلب البركة والبركة السعادة وزيادة الخير ومعنى التبرك بالشيء طلب السعادة من الله بملابسته ومحبته[١] فالتبرك بآثار الصالحين أمر مشروع.

قال الله تعالى: " وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ (البقرة ٢٤٨)

قال إسماعيل البروسوي: كانوا (بنو إسرائيل) إذا حضر القتال يقدمونه بين أيديهم ويستفتحون به على عدوهم (روح البيان ٣٨٥/١)
وكذا قال أبو السعود (٢٤١/١)

دليل واضح على جواز طلب البركة والاستفتاح ببقية الصالحين وآثارهم وعلى عدم تخصصه بالأنبياء بل يجوز التبرك بآل الأنبياء ودليل واضح على أن التبرك طلب البركة لا إظهار النشاط والسرور فقط.

عن عتبان بن مالك وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي فَإِذَا كَانَتِ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ وَوَدِدْتُ

---

[١] فالمراد بالتبرك إما التوسل بمحبة ذلك المتبرك به أو طلب المعونة بمعجزات صاحبه أو كراماته وهذا هو حاصل التوسل والاستغاثة فإن المتبرك به قد يكون شخصا أو أثرا له أو مكانا متعلقا به ولا تنفع تلك بنفسها لكنها معظمة مشرفة ويحصل البركة بالتوجه إلى الله ودعائه وتذكر ما وقع في ذلك الشخص أو الأثر أو المكان من حوادث عظيمة تحرك النفوس وتبعث فيها الهمة للتشبه بأهلها قال روح البيان في سبب النصرة بالتابوت وبقية آل موسى وهارون أنها معجزة لأنبيائهم وكرامة لأوليائهم. ٠روح البيان ٣٨٤/١) وسيأتي في حديث أسماء

يَا رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّي فِي بَيْتِي فَأَتَّخِذُهُ مُصَلًّى قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ قَالَ عِتْبَانُ فَغَدَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَذِنْتُ لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ إلخ..... (بخاري ١/ ٦٠ باب المساجد في البيوت).

قال ابن حجر: وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم أو وطئها ويستفاد منه أن من دعى من الصالحين ليتبرك به انه يجيب إذا أمن الفتنة ..... وفيه اجتماع أهل المحلة على الإمام أو العالم إذا ورد منزل بعضهم ليستفيدوا منه ويتبركوا به (فتح الباري ١/ ٥٢٢).

عن أبي هريرة قَالَ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ لِي انْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ فَأَسْقِيَكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَسَقَانِي وَأَطْعَمَنِي تَمْرًا وَصَلَّيْتُ فِي مَسْجِدِهِ[٢] (بخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: فيه التبرك بقدح النبي صلى الله عليه وسلم.

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ فِي كَمْ كَفَّنْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ وَقَالَ لَهَا فِي أَيِّ يَوْمٍ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ قَالَ أَرْجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ فَنَظَرَ إِلَى ثَوْبٍ عَلَيْهِ كَانَ يُمَرَّضُ فِيهِ بِهِ رَدْعٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ فَقَالَ اغْسِلُوا ثَوْبِي هَذَا وَزِيدُوا عَلَيْهِ ثَوْبَيْنِ فَكَفِّنُونِي فِيهِمَا قُلْتُ إِنَّ هَذَا خَلَقٌ قَالَ إِنَّ الْحَيَّ أَحَقُّ

---

[٢] ويؤخذ من أكثر أحاديث التبرك أن طلب المعونة بطريق غيبي غير عادي لا يكون عبادة ولا يكون المتبرك به إلها وأما ادعاء تخصيص التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم وكونه شركا أو مؤديا إلى الشرك في غيره فيلزم عليه أن الشرك أو المؤدي إلى الشرك جائز في النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره أو هو جائز في الكعبة وما يتعلق بها دون غيرها ولا يقول به عاقل.

بِالْحَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ إِنَّمَا هُوَ لِلْمُهْلَةِ فَلَمْ يُتَوَفَّ حَتَّى أَمْسَى مِنْ لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ وَدُفِنَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ (بخاري باب موت يوم الاثنين).

قال ابن حجر العسقلاني وفي هذا الحديث استحباب التكفين في الثياب البيض وتثليث الكفن وطلب الموافقة فيما وقع للأكابر تبركا بذلك (فتح الباري ٣/٢٥٤)

عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَهُوَ بِالْأَبْطَحِ فِي قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ قَالَ فَخَرَجَ بِلَالٌ بِوَضُوءِهِ فَمِنْ نَائِلٍ وَنَاضِحٍ قَالَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ قَالَ فَتَوَضَّأَ إلخ (مسلم ١/١٩٦).

قوله فخرج بلال بوضوءه فمن نائل وناضح فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ أي فتوضأ فمن نائل بعد ذلك وناضح تبركا بآثاره صلى الله عليه وسلم ففيه التبرك بآثار الصالحين واستعمال فضل طهورهم وطعامهم وشرابهم ولباسهم (شرح مسلم ١٩٦).

عن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرا من الأنصار أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلخ ما تقدم مسلم(١/٤٢) قال النووي رحمه الله أي موضعا اجعل صلاتي فيه متبركا بآثارك (شرح مسلم ١/٤٧) قال موسى بن عقبة: رَأَيْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَتَحَرَّى أَمَاكِنَ مِنَ الطَّرِيقِ فَيُصَلِّي فِيهَا وَيُحَدِّثُ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يُصَلِّي فِيهَا وَأَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي تِلْكَ الْأَمْكِنَةِ (بخاري ١/٧٠).

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في شرح هذا الحديث : ومحصل ذلك أن ابن عمر كان يتبرك بتلك الأماكن .... وقد تقدم حديث عتبان وسؤاله النبي أن يصلي في بيته ليتخذه مصلى وإجابة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فهو حجة في التبرك بآثار

الصالحين (فتح الباري ٥٦٩/١).

قال عروة والله لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدتُ عَلى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيّ وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا وَاللهِ إِنْ يَتَنَخَّمْ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا (أي الصحابة) يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوءِهِ (بخاري ٣٧٩/١).

عن صفية بنت مجزاة أن أبا محذورة كَانَتْ لَهُ قُصَّةٌ فِي مُقَدَّمِ رَأْسِهِ إِذَا قَعَدَ أَرْسَلَهَا فَتَبْلُغُ الْأَرْضَ فَقَالُوا لَهُ أَلَا تَحْلِقُهَا فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ عَلَيْهَا بِيَدِهِ فَلَمْ أَكُنْ لِأَحْلِقَهَا حَتَّى أَمُوتَ (رواه الطبراني وكذا في مجمع الزوائد ٥١٨/٣).

أَلْإِسْتِشْفَاءُ بِالْآثَارِ

يدل على أن التبرك ليس المراد منها مجرد إظهار النشاط والسرور بل فيه طلب السعادة والشفاء والفتح وغير ذلك ما روي عن أنس رضي الله عنه أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَتْ تَبْسُطُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِطْعًا فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلَى ذٰلِكَ النِّطْعِ قَالَ فَإِذَا نَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَتْ مِنْ عَرَقِهِ وَشَعْرِهِ فَجَمَعَتْهُ فِي قَارُورَةٍ ثُمَّ جَمَعَتْهُ فِي سُكٍّ وَهُوَ نَائِمٌ قَالَ فَلَمَّا حَضَرَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ الْوَفَاةُ أَوْصَى إِلَى أَنْ يُجْعَلَ فِي حَنُوطِهِ مِنَ السُّكِّ (بخاري ٩٦٩/٢).

وفي رواية مسلم دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا فَاسْتَيْقَظَ فَقَالَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هٰذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ قَالَتْ هٰذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا فَقَالَ أَصَبْتِ (مسلم ٢٥٧/٢). عن جابر قال غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا عَلَى نَاضِحٍ قَدْ أَعْيَى فَلَا يَكَادُ يَسِيرُ فَتَلَاحَقَ بِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ مَا لِبَعِيرِكَ فَقُلْتُ قَدْ عَيِيَ فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللهِ

● فَزَجَرَهُ فَدَعَا لَهُ فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِبِلِ قُدَّامَهَا يَسِيرُ فَقَالَ لِي كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ قُلْتُ بِخَيْرٍ قَدْ أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ. متفق عليه (مشكوة ٥٣٩).

ويستفاد من هذه الروايات إطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على فعل أم سليم وتصويبه ولا معارضة بين قولها إنما كانت تجمعه لأجل طيبه وبين قولها للبركة بل يحمل على أنها كانت تفعل ذلك للأمرين معا (فتح الباري ١١/٧٢).

أَلْإِسْتِشْفَاءُ بِالشَّعْرِ وَالتَّبَرُّكُ فِي الْكَفَنِ

روي عن عثمان بن عبد الله بن موهب قَالَ أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَجَاءَتْ بِجُلْجُلٍ مِنْ فِضَّةٍ فِيهِ شَعْرٌ مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ عَيْنٌ أَوْ شَيْءٌ بَعَثَ إِلَيْهَا مِخْضَبَةً قَالَ فَاطَّلَعْتُ فِي الْجُلْجُلِ فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ حُمْرًاءَ (بخاري باب ما يذكر في الشيب) و روي عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا. (بخاري ٢/٨٥٦)

و روي عن أم عطية الأنصاري قَالَتْ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ تُوُفِّيَتْ ابْنَتُهُ فَقَالَ إِغْسِلْنَهَا ثَلٰثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذٰلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ فَقَالَ أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ يَعْنِي إِزَارَهُ (بخاري ١/١٦٨)

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله:وهو أصل في التبرك بآثار الصالحين (فتح الباري ٣/١٢٩).

و روي عن ابن عمر أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ لَمَّا تُوُفِّيَ جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ وَصَلِّ عَلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ فَقَالَ آذِنِّي أُصَلِّ عَلَيْهِ فَآذَنَهُ (بخاري ١٦٩/١).

قال الحافظ بن حجر رحمه الله في شرح الحديث: يؤخذ من هذا التبرك بآثار الصالحين سواء علمنا أنه مؤثر في حال الميت أو لا(فتح الباري ١٣٩/٣).

و روي عن سهل أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا[٣] أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ قَالُوا الشَّمْلَةُ قَالَ نَعَمْ قَالَتْ نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوَكَهَا فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ فَحَسَّنَهَا فُلَانٌ فَقَالَ اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا فَقَالَ الْقَوْمُ مَا أَحْسَنْتَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ قَالَ إِنِّي وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ وَإِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي قَالَ سَهْلٌ فَكَانَتْ كَفَنَهُ (بخاري ١٧٠/١).

قال ابن حجر العسقلاني في شرح الحديث:وفيه التبرك بآثار الصالحين (فتح الباري١٤٤/٣).

أَلْإِسْتِشْفَاءُ بَعْدَ الْوَفَاةِ بِالْجُبَّةِ

روي عن أسماء بنت أبي بكر أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ كِسْرَوَانِيَّةٍ لَهَا

[٣] بالرفع وعامله منسوجة أي انها لم تقطع من ثوب فتكون بلا حاشية أو إنها جديدة لم يقطع هدبها ولم تلبس بعد.

لِبْنَةَ دِيبَاجٍ وَفَرْجَيْهَا[٤] مَكْفُوفَيْنِ بِالدِّيبَاجِ فَقَالَتْ هٰذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتّٰى قُبِضَتْ فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضٰى نَسْتَشْفِي بِهَا. (مسلم ٢/١٩٠).

و روي عن أنس ؓ قال إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ فَمَا يَأْتُونَ بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا فَرُبَّمَا جَاءُوهُ بِالْغَدَاةِ الْبَارِدَةِفَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا. رواه مسلم (مشكوة ٥١٩)

قال ملا علي القاري في شرح الحديث: قال الطيبي ليتبركوا بإدخال يده الكريمة في أوانيهم (مرقاة).

قال صاحب عمدة القاري: قال الكرماني إن الإنسان إذا أصابه عين أو شيء من الأمراض بعث أهله إلى أم سلمة مخضبة ويجعل فيها ماء وشيء من الشعر المبارك فيحصل له الشفاء (عمدة القاري ١٨/٧٩).

أَلتَّبَرُّكُ بِغَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ

ويدل على أن التبرك غير خاص بالنبي ﷺ ما روي عن عائشة ؓ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي (مسلم ٢/٢٢٢).

قال الله تعالى: " وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ إلخ (الكهف) {وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد} ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب قال ابن جريج يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم

---

[٤] منصوبان بفعل محذوف أي ورأيت. والمكفوف ما جعل له كفة وهو ما يكف به جوانبها واللبنة رقعة في جيب القميص وفي قولهم نستشفي بها دليل واضح على أن المراد بالبركة قد يكون حصول الشفاء لا مطلق السرور.

وكان جلوسه خارج الباب لأن الملئكة لا تدخل بيتا فيه كلب كما ورد في الصحيح ولا صورة ولا جنب ولا كافر كما ورد به في الحديث الحسن وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة صحبة الأخيار فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن (تفسير ابن كثير ٧٦/٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في مسلم من حديث أبي ذر أنها(زمزم) طعام طعم زاد الطيالسي من الوجه الذي أخرجه منه مسلم وشفاء سقم وفي المستدرك من حديث ابن عباس مرفوعا مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ رجاله موثوقون[*] (فتح الباري ٤٩٣/٣).

قَطْعُ الشَّجَرَةِ

أما ما نقله الحافظ ابن حجر رحمه الله: وجدت عند ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع أن عمر بلغه أن قوما يأتون الشجر فيصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت (فتح الباري).

فالجواب عنه ما روى البخاري في صحيحه عن طارق بن عبد الرحمن قال: إِنْطَلَقْتُ حَاجًّا فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ يُصَلُّوْنَ قُلْتُ مَا هٰذَا الْمَسْجِدُ؟ قَالُوْا هٰذِهِ الشَّجَرَةُ حَيْثُ بَايَعَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ سَعِيدٌ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَايَعَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ قَالَ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ نَسِينَاهَا فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا فَقَالَ سَعِيدٌ إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ يَعْلَمُوهَا وَعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ (بخاري ٥٩٩/٢).

وما روى مسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه أَنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ عَامَ الشَّجَرَةِ قَالَ فَنَسُوهَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ(مسلم ١٣٠/٢).

---

[*] وفي البخاري أن النبي ﷺ كان يقول في الرقية تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا. ٨٥٥/٢

فالحاصل أن الشجرة المذكورة لم تتعين فلهذا أمر بقطعها قال النووي رحمه الله روى الترمذي وغيره عن كبشة بنت ثابت وهي أخت حسان بن ثابت ﵁ قالت دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فَشَرِبَ مِنْ قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا فَقُمْتُ إِلَيَّ فِيهَا فَقَطَعْتُهُ قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقطعتها لفم القربة فعلته بوجهين أحدهما أن تصون موضعا أصابه فم رسول الله ﷺ عن أن يبتذل ويمسه كل أحد والثاني أن تحفظه للتبرك به والاستشفاء والله أعلم (شرح مسلم ١٩٤/١٣).ويدل على التبرك ما روي عن ابن مجلز أن أبا موسى كَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَصَلَّى الْعِشَاءَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَةً أَوْتَرَ بِهَا فَقَرَأَ فِيهَا بِمِائَةِ آيَةٍ مِنَ النِّسَاءِ ثُمَّ قَالَ مَا أَلَوْتُ أَنْ أَضَعَ قَدَمَيَّ حَيْثُ وَضَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدَمَيْهِ فَأَنَا أَقْرَأُ بِمَا قَرَأَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.(النسائي ٢٤٣،٣).

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله وقد نص الشافعي والأصحاب على ندب قراءة ما تيسر عند الميت والدعاء عقبها أي لأنه حينئذ أرجى للإجابة ولأن الميت يناله بركة القراءة كالحي الحاضر (تحفة ٧٤/٧).

وقال أيضا: موضع القراءة موضع بركة وتنزل رحمة (تحفة ١٥٨/٦).

أَلتَّبَرُّكُ بِتَقْبِيلِ ٱلْمَيِّتِ وَقَبْرِهِ

قال الإمام الرملي رحمه الله: ويجوز تقبيل أضرحة الصالحين للتبرك (فتاوى الرملي ٤ :١٠٦) قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله:ويجوز لأهل الميت ونحوهم تقبيل وجهه لما صح أنه ﷺ قبل وجه عثمان بن مظعون ﵁ بعد موته ومن ثم قال في البحر إنه سنة وقيده السبكي بنحو أهله والأوجه حمله على صالح فيسن لكل أحد تقبيله تبركا به (تحفة ١٨٣/٣).

قال الشرواني (قوله لما صح أنه إلخ) أي ولما في البخاري أن أبا بكر ﵁ قبل وجه رسول الله ﷺ بعد موته (نهاية ومغني : شرواني ١٨٣/٣).

قال النووي رحمه الله وكان أيوب عليه السلام ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم في قرية بقرب نوى عليه مشهد ومسجد وقرية موقوفة على مصالحه وعين جارية فيها قدم في حجر يقولون انه أثر قدمه ويغتسلون من العين ويشربون متبركين وهناك صخرة عليها مشهد يقولون انه كان يستند إليها ويزورونها ويعتقدون بركة تلك المواضع كلها(تهذيب الأسماء واللغات ١٣١/١).

وقال أيضا: طلحة ﷺ أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق ﷺ ... قتل ﷺ يوم الجمل وقبره بالبصرة مشهور يزار ويتبرك به (تهذيب الأسماء واللغات ٢٥٢/١).

أخرج أبو يعلى والبيهقي في الدلائل من طريق هنيد بن القاسم سَمِعْتُ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يُحَدِّثُ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَحْتَجِمُ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ يَا عَبْدَ اللهِ. اِذْهَبْ بِهَذَا الدَّمِ فَأَهْرِقْهُ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ فَلَمَّا بَرَزَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَمِدَ إِلَى الدَّمِ فَشَرِبَهُ فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ يَا عَبْدَ اللهِ مَا صَنَعْتَ بِالدَّمِ؟ قَالَ جَعَلْتُهُ فِي أَخْفَى مَكَانٍ عَلِمْتُ أَنَّهُ يَخْفَى عَنِ النَّاسِ قَالَ لَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَلِمَ شَرِبْتَ الدَّمَ؟ وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ قَالَ أَبُو مُوسَى قَالَ أَبُو عَاصِمٍ فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْقُوَّةَ الَّتِي بِهِ مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ.وله شاهد من طريق كيسان مولى ابن الزبير عن سلمان الفارسي رويناه في جزء الغطريف وزاد في آخره لا تمسك النار إلا تحلة القسم (الإصابة في تمييز الصحابة ٨٧/٦)

أَلتَّبَرُّكُ ثَابِتٌ بِالْإِجْمَاعِ

قال النووي: فأخرج لنا سهل ذلك القدح ــ فشربنا منه قال ثم استوهبه بعد ذلك عمر بن عبد العزيز فوهبه له يعني القدح الذي شرب منه رسول الله ﷺ هذا فيه التبرك بآثار النبي ﷺ وما مسه أو لبسه أو كان منه فيه سبب وهذا نحو ما أجمعوا عليه وأطبق السلف والخلف عليه من التبرك بالصلوة في مصلى

رسول الله ﷺ في الروضة الكريمة ودخول الغـــار الـــذي دخلـــه ﷺ وغـــير ذلـــك ومن هذا اعطائه ﷺ أبا طلحة شعره ليقسمه بين النـــاس واعطائـــه ﷺ حقـــوه لتكفـــن فيه بنته ﷺ وجعله الجريدتـــين علـــى القـــبرين وجمعـــت بنـــت ملحـــان عرقـــه ﷺ وتمسحوا بوضوئه ﷺ .ودلكوا وجوههم بنخامته ﷺ وأشبـــاه هـــذا كثـــيرة مشـــهورة في الصحيح وكـــل ذلـــك واضـــح لا شـــك فيـــه (شـــرح مســـلم ١٣/ ١٧٨، ١٧٩).

الأذكار

قال ابن حجر رحمه الله: الذكر لغة كلُّ مذكورٍ وشرعا قولٌ سِيقَ لثناءٍ أو دعاءٍ وقد يستعمل شرعا أيضا لكل قول يثاب قائله (تحفة ٥٦/١).

ونقله البغية وفيه: وفي اصطلاح الصوفية الذكر كل ما يَتوجَّهُ به العبدُ إلى الحق ظاهرًا وباطنا (بغية المسترشدين ٤٨).

وإدامةُ الذكرِ على وجه مخصوص في أوقات مخصوصة هو الرواتبُ والوِرْدُ فالأذكار المذكورة والاجتماع لها مطلوب شرعا ويدل عليه آيات كثيرة، منها:ـ

قوله تعالى:" اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" (آل عمران ١٩١).

ومنها قوله تعالى: "اَلَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"(الرعد ٢٨).

ومنها قوله تعالى:" وَالذّٰاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذّٰاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا "(الأحزاب ٣٥).

ومنها قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا"(الأحزاب٤٢-٤١).

ومنها قوله تعالى:"وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ"(عنكبوت ٤٥).

ذِكْرُ يَا هُو

قال الإمام الرازي:"الفائدة الحادية عشرة: إن الذكر أشرف المقامات قال عليه والصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى إِذَا ذَكَرَنِي عَبْدِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَئِهِ وإذا ثبت هذا فنقول أفضل الأذكار ذكر الله بالثناء الخالي

عن السؤال قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْئَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ إذا عرفت هذه المقدمة فنقول العبد فقير محتاج والفقير المحتاج إذا نادى مخدومه بخطاب يناسب الطلب والسؤال كان ذلك محمولا على السؤال فإذا قال الفقير للغني يا كريم كان معناه أَكْرِمْ وإذا قاله يانَفَّاعُ كان معناه طلب النفع وإذا قال يا رحمن كان معناه ارحم فكانت هذه الأذكار جارية مجرى السؤال وقد بينا أن الذكر إنما يعظم شرفه إذا كان خاليا عن السؤال والطلب أما إذا قال يا هو كان معناه خاليا عن الإشعار بالسؤال والطلب فوجب أن يكون قولنا "هو" أعظم الأذكار(رازي ١٥١/١).

وقال الرازي:"إن الشيخ الغزالي رحمه الله كان يقول لا إله إلا الله توحيد العوام ولا إله إلا هو[1] توحيد الخواص ولقد استحسنت هذا الكلام وقررته بالقرآن والبرهان أما القرآن فإنه تعالى قال"وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" ثم قال بعده: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ" معناه إلا هو فذكر قوله إِلَّا هُوَ بعد قوله لَا إِلَهَ فدل ذلك

---

[1] قال العلامة الحفني في حاشيته على الجامع الصغير عند الكلام على الاسم الأعظم أن اسم آه هو اسم الله الأعظم كما نقله فخر الدين الرازي في تفسيره وقال العلامة العزيزي في شرحه على الجامع الصغير للسيوطي روى عن أبي هريرة رواه مسلم(دعوه) المريض (يئن فانه يستريح بالانين) أي بقوله آه (ولا تعنفوه عليه فإن الأنين اسم من أسمائه تعالى) أي لفظ آه اهـ وعن أبي الحسن الشاذلي جميع أسماء الله إذا اسقطت منه حرفا اذهبت دلالته على الله وإذا أسقطت اللام الأولى بقي له وإذا أسقطت الثانية بقي هو وهو النهاية في الإشارة اهـ فتاوى الأزهرية ٣١. فما ورد في بعض الأذكار يحتمل أن يكون اختصارا من لا إله إلا الله محمد رسول الله. وتقدم إحداث الذكر في الصلاة والحج في باب السنة والبدعة ولكن لا بد من تقرير العلماء الراسخين حتى يعلم هل هو داخل فيما له أصل أم لا؟!

على أن غاية التوحيد هي هـــذه الكلمـــة"(رازي ١٥١/١)[٢].

---

* قال الشيخ مصطفى بن إسمعيل حبش المدني: "ولقد وقـــع في مصـــر المحروســـة ســـؤال مـــن بعـــض مشايخ الصوفية في سنة ١١٠٥ع صورته ما عليـــه الســـادة الدمرداشيـــة ومـــن خلـــف خلفـــهم وحذا حذوهم كالخلوتية والسادة الثانوية من ذكر الله تعـــالى والصـــلاة والســـلام علـــى رســـول الله ﷺ. والحلقة المسماة بالهوية ودور الهم مشتغلين بقولهم هُو هُو هُـــو قـــاصدين بذلـــك ذكـــر الله تعـــالى موفين بالوجد والشوق بما هم عليه من خدمتهم لأسماء الله الحســـنى واشتغـــال قلوبهـــم بنـــار المحبـــة والقول الأسنى فهل ذلك جائز لا اعتراض على فاعله وهـــل في ذلـــك تمثيـــل بالســـامري كمـــا قـــال المعترض وهل هناك مناسبة بين من يذكر الله تعالى وبين مـــا يدعيـــه المعـــترض أم الأمـــور بمقاصدهـــا كما قال ﷺ وإذا قلتم بجواز ذلك فماذا يلـــزم المعـــترض بقدحـــه في هـــؤلاء الســـادة الراســـخين في القدم المحمدي وهل على ولي الأمر زجر من يتعرض لهـــم أم كيـــف الحـــال؟

الجواب أولا أما كلمة هو وذكر الله تعالى بها فقد رأيـــت رســـالة مســـتقلة في الكـــلام علـــى ذلـــك ذكر فيها قال الشيخ عبد الله الجيلاني رحمه في تسبيح الملائكة كـــل منـــهم أذهلتـــه عظمـــة الله مـــن تجليه في أسمائه فانفعلت ذواتهم في تلك الأسماء فهم ذاكـــرون مـــن الذهـــول وذاهلـــون مـــن الذكـــر فذكرهم من حيث الاسم أنت أنت أنت ومن حيث الذهول هو هـــو هـــو ومـــن حيـــث العظمـــة آه آه آه ومن حيث التجلي ها ها ها ومن حيث الســـر ســـبحانك ســـبحانك ســـبحانك. اه (الرســـالة النصرة النبوية لأهل الطريقـــة الشاذليـــة ١١، ١١٥)

ومما كتبه الشيخ محمد الشهير بالعارف الخلوتي إلى شيخه شيخ الإســـلام شـــهاب الديـــن ابـــن حجـــر المكي نـــزيل مكة المشرفة ما قول السادة المحققين رضـــي الله تعـــالى عنـــهم أجمعـــين في جـــواب مـــن يذكرون الله تعالى قياما وقعوداوبالأنغام الموسيقية بالتمطيط وإظهار المـــد بـــين همـــزة ولام ألـــف الـــه ومد الهاء من اله ويقولون هو وها وهـــي ويذكـــرون بـــالحلق وحـــي ويرقصـــون بعـــض الأحيـــان بالتواجد والوثبات ويغيبون عـــن إدراكـــهم ويقعـــون علـــى الأرض وينشـــدون الأشعـــار والكـــلام المطرب المهيج المحرك للذهن إلى النشاط وغير ذلك مما يتعلق بـــأحوال المريديـــن مـــن أهـــل الطريـــق عموما وخصوصا هل هو حرام أولا؟ وهل تركه أولى أو هو ســـنة وهـــل يجـــوز الإنكـــار علـــى هؤلاء أم له أصل في الكتاب والسنة وهل يجوز سب مشـــايخ الطريـــق أفتونـــا أثبتـــم الجنـــة فكتـــب الشيخ الجواب فقال: يجوز الذكر بِهُوَ وهَا وهِي وبغـــير العربيـــة وبـــالقلب وبـــالحلق ويجـــوز الذكـــر بأسماء الله طرا بأن يقول لا رحمن إلا الله إلى آخر الأسماء الحسنى وباســـم منفـــرد باللســـان وبـــالقلب رقص الحبشة في المسجد بين يدي رسول الله ﷺ ورقـــص جعفـــر بـــن أبي طـــالب بـــين يـــدي

وقال الرازي أيضا في تفسير قوله تعالى:"الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا إلخ " اعلم أنه تعالى لما ذكر دلائل الإلهية والقدرة والحكمة وهو ما يتصل بتقرير الربوبية ذكر بعده ما يتصل بالعبودية وأصناف العبودية ثلاثة أقسام التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح فقوله تعالى:(يَذْكُرُونَ اللهَ) إشارة إلى عبودية اللسان وقوله (قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ)إشارة إلى عبودية الجوارح والأعضاء وقوله (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ) إشارة إلى عبودية القلب والفكر والروح، والإنسان ليس إلا هذا المجموع فإذا كان اللسان مستغرقا في الذكر والأركان في الشكر والجنان في الفكر كان هذا العبد مستغرقا بجميع أجزائه في العبودية .....ونقول في الآية مسائل:

المسألة الأولى: للمفسرين في هذه الآية قولان الأول أن يكون المراد منه كون الإنسان دائم الذكر لربه فإن الأحوال ليست إلا هذه الثلاثة ثم

رسول الله ﷺ حين قال أشبهتَ خَلقي وخُلقي حتى غاب عن إدراكه بحضور النبي ﷺ ولم ينكر عليه. وإنشاد الشعر جائز بلا إنكار وكانت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يتناشدون الأشعار بين يدي رسول الله ﷺ ولم ينكر يوم العيد على الغناء. وأصل هذه الطريقة من الكتاب والسنة لا يجوز الإنكار عليها بالاتفاق. اهـ (رسالة النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية ١١٨، ١١٩)

قال محمد نووي الجاوي: يكون في الذكر على طهارة من حدث وخبث ومستقبل القبلة إن كان وحده وإلا تحلقوا ومفرغا لقلبه مما سوى الله حتى لا يطلب دنيا ولا أخرى ولا ثوابا ولا ارتقاء وإنما يذكر الله حبا في الله ومغمضا لعينيه لأنه أسرع لي تنوير القلب وان يكون المكان مُظْلِمًا حتى لو كان هناك سراج أَطْفَأَهُ إن كان في خاصة نفسه ويحقق المهلل الهمزة ويمد الألف مدا طبيعيا أو أكثر ويفتح الهاء من إله ويسكن الهاء من الله ويجر رأسه بمدها من السرة إلى دماغ الرأس ويميل رأسه إلى الجهة اليمنى بلا ويرجع باله إلى جهة صدره وبالا الله إلى جهة القلب وهي اليسار ويضرب القلب بقوله إلا الله ضربا قويا لتنزيل الجلالة على القلب فتحرق سائر الخواطر الرديئة. (سلالم الفضلاء هامش كفاية الأتقياء ١٠٨، ١٠٩)

لما وصفهم بكونهم ذاكرين فيها كان ذلك دليلا على كونهم مواظبين على الذكر غير فاترين عنه ألبتة. والقول الثاني: إن المراد من الذكر الصلاة والمعنى انهم يصلون في حال القيام.... والحمل على الأول أولى لأن الآيات الكثيرة ناطقة بفضيلة الذكر وقال عليه والصلاة والسلام:"مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْتَعَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ اللهِ (رازي ٩/١٣٥،١٣٦).

وقال الطبري في تفسير هذه الآية يعني بذلك قياما في صلاتهم وقعودا في تشهدهم وفي غير صلاتهم وعلى جنوبهم نياما(طبري ٤/١٤٠).

قال إسماعيل البروسوي في تفسير هذه الآية.فيه إشارة إلى عظم ذكر الله وإشارة إلى ثلثة مراتب أوليها الذكر باللسان وثانيتها التفكر بالقلب وثالثها المعرفة بالروح لأن ذكر اللسان يوصل صاحبه إلى ذكر القلب فهو التفكر في قدرة الله وذكر القلب يوصل إلى مقام الروح فيعرف في ذلك حقائق الأشياء ويشاهد الحكم الإلهية في خلق الله فيقول بعد المشاهدة (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَاطِلًا)فينبغي للمؤمن أن يلازم ذكر الله بلسانه في جميع الأحوال حتى يصل بسبب الذكر باللسان إلى ذكر القلب ثم إلى ذكر الروح ويحصل له اليقين والمعرفة ويخلص من ظلمة الجهل وينور بنور المعرفة قال بعضهم معنى لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ للعوام لا معبود إلا الله فمعناها للخواص لا محبوب ولا مقصود إلا الله ومعناها لأخص الخواص لا موجود إلا الله فإنه يكون في تلك الحالة مستهلكا في بحر الشهود فلا يشعر بشيئ سوى الله ولا يرى موجودا (روح البيان ٢/١٤٦).

وقال أيضا:"واعلم أن الآية تدل على جواز ذكر الله تعالى قائما ولهذا قال المشائخ ولا بأس أن يقوموا ترويحا لقلوبهم ولا يتحركوا[٣] في

---

[٣] وأما الإهتزاز والتمايل والوجد والتواجد والرقص والإشارة باليد فمن الصوفية من جوزوه والإمام الشاذلي قائل بجواز الآلات في طريقته ليتذكروا بها آلاء الله ويشتغلوا عليها بذكر الله ترغيما للشيطان وما نقل عن الإمام الطرطوشي من قوله أما الرقص والتواجد فأول من أحدثه

ذلك ولا يستظهروا بحال ليس عندهم منه حقيقة والحاصل أن التوحيد إذا قرن بالآداب فليس له وضع مخصوص يجوز قائما وقاعدا ومضطجعا ولكن ورد في الأحاديث ما يدل على استحباب الإخفاء في ذكر الله وذكر شارح الكشاف أن هذا بحسب المقام والشيخ المرشد يأمر المبدأ برفع الصوت لتنقلع عن قلبه الخواطر الراسخة فيه كذا في شرح المشارق ويوافقه ما ذكر في المظهر حيث قال الذكر برفع الصوت جائز بل مستحب إذا لم يكن عن رياء ليغتنم الناس بإظهار الدين ووصول بركة الذكر إلى السامعين في الدور والبيوت والحوانيت ويوافق الذاكر من سمع صوته ويشهد له يوم القيمة كل رطب ويابس سمع صوته وبعض المشائخ اختار الإخفاء لأنه أبعد عن الرياء وهذا يتعلق بالنية فمن كانت نيته

أصحاب السامري لما اتخذ له عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار فبعد تسليمه محمول على من اتخذ دينهم لهوا ولعبا والجواز لمن صفت سرائره وجلت ظواهره وصلحت نياته لا لمن ارتعى في رياض الحيوانية فالعبارات مختلفة والمصاديق مؤتلفة واتفقت الأقوال واختلف الفقهاء في الإهتزاز عند قرائة القرآن والغط الحال على جوازه بقدر الحاجة للنشاط ورفع الكسل على ما روى الحافظ أبو نعيم عن فضيل بن عباس أنه قال أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكروا الله تمايلوا يمينا وشمالا كما يتمايل الشجر في الريح العاصف إلى قدام ثم يرجع إلى وراء. اهـ. وقال ﷺ إن لم تبكوا فتباكوا اهـ وأقر صلى الله عليه وسلم لعب الحبشة في مسجده لغرض صحيح رواه الشيخان وفي تحفة الهيتمي ما يؤيده وسئل عن رقص الصوفية عند تواجدهم هل له أصل فأجاب نعم له أصل فقد ورد في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رقص بين النبي ﷺ لما قال له أشبهت خلقي وخلقي وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر ﷺ عليه. وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر عن جماعة من كبار الأئمة منهم عز الدين شيخ الإسلام ابن عبد السلام اهـ قال ابن كثير كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يحضر مجلس الأستاذ أبي الحسن الشاذلي فيسمع تقريره في علوم الحقائق ويشاهد حسن فصاحته عن العلم اللدني فعند ذلك يحصل له وارد من جناب الحق ويرقص على قدميه طربا مع المريدين اهـ قال الهيتمي في فتح الجواد نقلا عن الماوردي أما التصفيق فلغير اللعب كالإعلام فلا تضر . أنظر الفتاوى الأزهرية ٣٢ والإحياء والرسالة القشيرية وجامع الأصول وغيرها.

صادقة فرفع صوته بقراءة القرآن والذكر أولى لما ذكرنا ومن خاف من نفسه الرياء فالأولى له إخفاء الذكر لئلا يقع في الرياء انتهى قيل وإذا كان وحده فإن كان من الخواص فالإخفاء في حقه أولى فإنه أكثر تأثيرا في رفع الحجب ومن حيث الثواب فلكل واحد ثواب ذكر نفسه وسماع ذكر رفقائه.......... قال الله تعالى: "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" شبه القلوب بالحجارة ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة فقوة ذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد أشد من قوة ذكر شخص واحد كذا في ذخرة العابدين (روح البيان ١٤٧/٢).

عن أبي موسى قال كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ إلخ (مسلم ٣٤٦/٢). باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه فإنه إذا أخفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه فإذا دعت حاجة إلى الرفع رفع كما جاءت به أحاديث (شرح مسلم ٣٤٦/٢).

ويدل عليه أيضا الأحاديث النبوية، عن أبي هريرة ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً (مسلم ٢\٣٤٣) باب فضل الذكر والدعاء.

عن أبي موسى قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ (بخاري ٩٤٨/٢).

عن أبي الدرداء ﷺ قال قَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ

وَأَزْكَيْهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ ذِكْرُ اللهِ قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ (ترمذي ١٧٣/٢ باب ما جاء في فضل الذكر).

مَجَالِسُ الذِّكْرِ

ويدل على كون الاجتماع للأذكار مطلوبا قوله ﷺ إِنَّ لِلّٰهِ مَلٰئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْئَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالَ تَقُولُ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْئَلُونَ قَالُوا يَسْئَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ (بخاري ٩٤٨/٢) باب فضل ذكر الله تعالى.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين وفضل الإجتماع على ذلك وان جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراما لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر وفيه محبة الملئكة بني آدم واعتنائهم بهم(فتح

الباري ٢١٣/١١) باب فضل ذكر الله.

وما روي عن أبي سعيد الخدري قال خَرَجَ مُعَاوِيَةُ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ فَقَالَ مَا يُجْلِسُكُمْ قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ قَالَ آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ قَالُوا وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقَلَّ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ مَا يُجْلِسُكُمْ قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ لِمَا هَدَيْنَا إِلَى ٱلْإِسْلَامِ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ فَقَالَ آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ قَالُوا آللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ إِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ وَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ ٱلْمَلَئِكَةَ (ترمذي ١٧٤/٢ باب ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله ما لهم من الفضل).

دَلِيلُ ٱلْمُخَالِفِ وَجَوَابُهُ

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: وأما ما نقل عن ابن مسعود أنه رأى قوما يهللون برفع الصوت في المسجد فقال ما أريكم إلا مبتدعين حتى أفرهم من المسجد فلم يصح عنه بل لم يرد ومن ثم أخرج أحمد عن أبي وائل قال هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان ينهى عن الذكر ما جالست عبد الله ملجسا قط إلا ذكر الله فيه (فتاوى الكبرى ١٧٧/١ باب أحكام المساجد).

قال إسمعيل البروسوي: فإن قلت ما تقول فيما روي عن عبد الله بن مسعود ﷺ انه سمع قوما اجتمعوا في المسجد يهللون ويصلون على النبي ﷺ برفع الصوت جهرا فراح إليهم وقال لهم ما عهدنا هذا على عهد رسول الله ﷺ وما أراكم إلا مبتدعين فما زال يكرر ذلك حتى أخرجهم من المسجد قلت أجاب عنه صاحب الرسالة التحقيقية في طريق الصوفية الشيخ سنبل الخلوتي قدس سره بأنه كذب وافتراء على ابن مسعود لمخالفته النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأفعال الملئكة قال الله تعالى:

"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ إلخ" ولو سلمنا صحة وقوعه فهو لا يعارض الأدلة المذكورة لأنه أثر والأثر لا يعارض الحديث كما لا يخفى وبطلان الأدلة يدل على بطلان المدلولات وفي الحديث (عَلامَةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ ذِكْرِ اللهِ وَعَلامَةُ بُغْضِ اللهِ بُغْضُ ذِكْرِ اللهِ (روح البيان ٣٧٣/٤)، وتقدم التفصيل والجواب عن الحديث على تقدير صحته في بحث السنة والبدعة وفي فتح المعين ص٦١ لا يجهر مصل وغيره إن شوش على نحو نائم أو مصل فيكره كما في المجموع. وكذا في التحفة ص ٥٨. وقال ﷺ إِنَّ هٰذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هٰذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (رواه مسلم، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد) .

إِدَامَةُ الذِّكْرِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ

ولا بأس بإدامة الأذكار في الأوقات المخصوصة[٤] لأن أحب الأعمال إلى الله ورسوله ما داوم صاحبه عليه ويدل عليه قوله ﷺ عن عائشة ﵂ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ مَنْ هٰذِهِ قَالَتْ فُلاَنَةُ تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا قَالَ مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللهِ لاَ يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ(بخاري ١١ باب أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث، قال النووي بدوام القليل تستمر الطاعة بالذكر والمراقبة والإخلاص والإقبال على الله بخلاف الكثير الشاق حتى ينمو القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافا كثيرة (فتح الباري ١٠٣/١).

---

[٤] وتقدم في المواليد حديث الشيخين أن النبي ﷺ كان يزور أهل قباء في كل سبت وكذلك ابن عمر وفي شرح مسلم فيه جواز تخصيص بعض الأيام بالزيارة.

إِظْهَارُ الْخَوَارِقِ عِنْدَ الذِكْرِ

وأما إظهار خوارق العادات عند الذكر فقـال ابـن حجـر رحمـه الله ولا يحرم من الطاهر إلا نحو حجر وتراب لمـن يضـره وعليـه يحمـل اطـلاق جمع متقدمين حرمته بخلاف من لا يضره كما قالـه جمـع متقدمـون واعتمـده السبكي وغيره وسُمٍّ وان قل إلا لمن لا يضـره.(تحفـة ٣٨٧/٩).

قال في البغية: خوارق العادة علـى أربعـة أقسـام المعجـزة المقرونـة بدعوى النبوة المعجـوز عـن معارضتـها الحاصلـة بغـير اكتسـاب وتعلـم والكرامة وهي ما تظهر على يد كامل المتابعة لنبيه مـن غـير تعلـم ومبـاشرة أعمال مخصوصة ..... والسحر وهو ما يحصل بتعلـم ومبـاشرة سـبب علـى يد فاسق أو كافر كالشعوذة وهـي خفـة اليـد بالأعمـال وحمـل الحيـات ولدغها له واللعب بالنار مـن غـير تأثـير والطلاسـم والتعزيمـات المحرمـة واستخدام الجان وغير ذلك إذا عرفت ذلك علمـت أن مـا يتعاطـاه الذيـن يضربون صدورهم بِدَبُّوسٍ أو سِكِّينٍ أو يطعنون أعينـهم أو يحملـون النـار أو ياكلونها وينتمون إلى سيدي أحمد الرفـاعي أو سـيدي أحمـد بـن علـوان أو غيرهما من الأولياء انهم إن كانوا مستقيمين علـى الشريعـة قـائمين بـالأوامر تاركين للمناهي عالمين بالفرض العيني من العلم عاملين بـه لم يتعلمـوا السـبب المحصل لهذا العمل فهو من حـيز الكرامـة وإلا فـهو مـن حـيز السـحر إذ الإجماع منعقد على أن الكرامة لا تظهر على يد فاسق وأنهـا لا تحصـل بتعلـم أقوال وأعمال.(بغية المسـترشدين ٢٩٩).

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله.وأمـا مجـرد شـرب السـم فليـس بحرام على الإطلاق لأنه يجوز استعمال اليسير منه اذا ركـب.معـه مـا يدفـع ضرره إذا كان فيه نفع أشار إلى ذلك ابن بطال وقـد أخـرج ابـن أبي شيبـة وغيره أن خالد بن الوليد لما نزل الحيرة قيـل لـه احـذر السـم لا تسـقيكه الأعاجم فقال ائتوني به فأتوه به فـأخذه بيـده ثم قـال "بسـم الله" واقتحمـه

فلم يضره فكأن المصنف رمز إلى أن السلامة من ذلك وقعت كرامة خالد بن الوليد فلا يتأسى به في ذلك لئلا يفضي ذلك إلى قتل المرء نفسه.(فتح الباري ٢٤٨/١٠) باب شرب السم والدواء.

وقال ابن حجر أيضا: لما قدم خالد بن الوليد الحيرة أتى بسم فوضعه في راحته ثم سمى وشربه فلم يضره رواه أبو يعلى ورواه ابن سعد من وجهين آخرين وروى ابن أبي الدنيا باسناد صحيح عن خيثمة قال أتى خالد بن الوليد.رجل معه زق خمر فقال اللهم اجعله عسلا فصار عسلا وفي رواية له من هذا الوجه مر رجل بخالد معه زق خمر فقال ما هذا؟ قال خل قال جعله الله خلا فنظروا فإذا هو خل وقد كان خمرا. الإصابة في تمييز الصحابة ٧٣/٣).

ذكر ابن خلكان خوارق المشائخ الرفاعية في وفيات الأعيان(١٧٢/١) وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية أيضا (٣١٢/١٢).

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله نقلا عن سهل التستري أنه قال: الذاكر لله على الحقيقة لوهَمَّ أَنْ يحْيى الموتى لفعل يعني بإذن الله تعالى ومسح بيده على عليل بين يديه فبرأ فقام. (فتاوى الحديثية ٣٠٢)

صَلٰوةُ النّارِيَةِ

قال صاحب خزينة الأسرار (ومن الصلوة المجربات) الصلوة التفريجية القرطبية ويقال لها عند المغاربة الصلوة النارية لأنهم إذا أرادوا تحصيل المطلوب أو دفع المرهوب يجتمعون في مجلس واحد ويقرأون هذه الصلوة النارية بهذا العدد ٤٤٤٤ فينال مطلوبه سريعا كالنار وهي هذه الصلوة "اَللّٰهُمَّ صَلِّ صَلٰوةً كَامِلَةً وَسَلِّمْ سَلَامًا تَامًّا عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي تَنْحَلُ بِهِ الْعُقَدُ وَتَنْفَرِجُ بِهِ الْكُرَبُ وَتُقْضٰى بِهِ الْحَوَائِجُ وَتُنَالُ بِهِ الرَّغَائِبُ وَحُسْنُ الْخَوَاتِمِ وَيُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ بِعَدَدِ كُلِّ مَعْلُومٍ لَكَ.

فإن هذه الصلوة جامعة حاوية على تفريج المكروب وتحصيل المطلوب وكاملة بألفاظ آداب الصلوة ومحيطة على عدد كل شيئ وأوانها.

(قال الإمام القرطبي) من أراد تحصيل أمر مهم عظيم أو دفع البلاء المقيم فليقرأ هذه الصلوة التفريجية وليتوسل بها إلى النبي ذي الخلق العظيم. أربعة آلاف وأربعة مأة وأربع وأربعين مرة، فإن الله تعالى يوفق مراده ومطلوبه على نيته.

وكذا ذكر ابن حجر العسقلاني خواص هذا العدد فإنه كسير في سبب التأثير كذا في أسرار الصلوة. (خزينة الأسرار ٣٢٣).

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: إنا لعند النبي ﷺ إذ قال: [ارفعوا أيديكم فقولوا: لا إله إلا الله، ففعلنا، فقال ﷺ: اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، إنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا فإن الله قد غفر لكم] (أخرجه الحاكم. ج:١ ص: ٣٩١).

قال صلى الله عليه وسلم: لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: [أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك] (رواه أبو داود في سننه في باب الاستغفار، ورواه النسائي في كتاب الافتتاح ورواه الحاكم في المستدرك ج: ١ ص: ٤٩٩. وقال صحيح الاسناد، ووافقه الذهبي.

أَلشَّرِيعَةُ وَالطَّرِيقَةُ

الشريعة فعل المأمورات وترك المنـــهيات (ســلا لم الفضـــلاء -٣).قــال زين الدين المخدوم الكبير رحمـــه الله :

فَشَرِيعَــــــةٌ أَخْذٌ بِدِينِ الْخَالِقِ وَقِيَامُهُ بِالأَمْرِ وَالنَّـــهْيِ انْجَــلاَ

وقد يقال الشريعــــة لمــا شــرع الله لعبـــاده مـــن الأحكـــام كمـــا في القاموس. وقال الرازي الشريعة في كـــلام العـــرب المشرعـــة الـــتي يشرعـــها الناس فيشربون منها فالشريعة فعيلة بمعنى المفعولة وهي الأشيـــاء الـــتي أوجـــب الله تعالى على المكلفين أن يشرعـــوا فيـــها (رازي ١٢/١٢). قـــال الله تعـــالى: ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا (ســـورة الجاثيـــة ١٧).

أَلطَّرِيقَةُ

أخذ بأحوط والعزيمة مثال الأحوط الورع وهو تـــرك كـــل مـــا يحرمـــه فتوى الفقهاء وترك الشبهة وترك ما لا بأس فيه مخافة مـــا بـــه بـــأس. ومثـــال العزيمة الرياضة في كلفة العبادات. قال زيـــن الديـــن ﷺ:

وَطَرِيقَةٌ أَخْذٌ بِأَحْوَط كَالْوَرَع وَعَزِيمَةٍ كَرِيَاضَــــةٍ مُتَبَتِّــلاَ

قيل الطريقة هي الأخذ بالتقوى وما يقربـــك إلى الله زلفـــى مـــن قطـــع المنازل والمقامات (جامع الأصول ٣٥، الكبريت الأحمـــر ١١، المفـــاخر العليـــة في المآثر الشاذليـــة-٧٧).

وعلى تقدير كون الشريعة الأحكامَ يكـــون الطريقـــة الأخـــذ بها (كفاية الأتقياء -٩). كمـــا في الصـــاوي حاشيـــة الجلالـــين في تفسير قوله تعالى قَدْ جَـــاءَتْكُم مَّوْعِظَـــةٌ مِّـــن رَّبِّكُـــمْ الخ (صـــاوي ٣٥٧/٢). فالشريعة تطهير ظواهر الخلـــق عمـــا لا ينبغـــي (جمـــل ٣٥٧/٢ سورة يونـــس).

دليل الطريقة قوله تعالى وَمَا أُمِـــرُوا إِلَّا لِيَعْبُـــدُوا اللَّهَ مُخْلِصِـــينَ

لَهُ الدِّينَ وقوله تعالى" قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ. وقال النبيّ ﷺ: أَلإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ (٩-١٠ بخاري).

وأوصى النبي ﷺ بالذكر قبل النوم عليًّا وفاطمةَ (بخاري).

عن أبي هريرة ﷺ قَالَ أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاَثٍ صِيَامِ ثَلَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكْعَتَيِ الضُّحٰى وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ (متفق عليه). وروي ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم بَايَعَ نَاسًا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ عَلٰى أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَسْقُطُ سَوْطُهُ فَيَنْزِلُ عَنْ فَرَسِهِ فَيَأْخُذُهُ وَلاَ يَسْأَلُ أَحَدًا - وهذا هو الورع - فبعض الصحابة من المهاجرين والأنصارهم أهل الطريقة. وقد يقال الطريقة لطريقة معرفة الله تعالى بالدلائل وهي الطريقة الأشعرية أو الماتريدية بخلاف ما تقدم فان معرفة الله تعالى فيه بتطهير القلوب والعبادة فإنه مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. فمنه الطريقة القادرية والرفاعية والشاذلية والنقشبندية والسهروردية وغيرها[1].

---

[1] والطريقة في اصطلاح الصوفية هي السيرة المختصة بالسالكين الى الله ياخذ بها المتصوفة ويعرفون بها. ونسب الى صاحبها كالطريقة الرفاعية والطريقة النقشبندية وهكذا (الهادي ١١٥/٣).

التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الاخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية (هامش رسالة القشيرية ٩).

علم التصوف – هو علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الانساني في مدارج سعاداهم والأمور العارضة لهم في درجاهم بقدر الطاقة البشرية (كشف الظنون ٤١٣/١).

الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى مع قطع المنازل والترقي في المقامات (جامع الأصول ٣١٦).

لقد ورد في حديث جبريل المشهور الذي يرويه عمر بن الخطاب ﷺ تقسيم الدين إلى ثلاثة أركان، بدليل قول الرسول ﷺ لعمر: (فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم – اخرجه مسلم في

صحيحه في كتاب الإيمان. والامام أحمد في مسنده في باب الإيمان والإسلام والأحسان ج ١. ص: ٦٤).

١) فركن الإسلام : هو الجانب العملي، من عبادات ومعاملات وأمور تعبدية، ومحله الأعضاء الظاهرة الجسمانية. وقد اصطلح العلماء على تسميته بالشريعة، واختص بدراسته السادة الفقهاء.

٢) وركن الإيمان : هو الجانب الاعتقادي القلبي، من إيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر . . . وقد اختص بدراسته السادة علماء التوحيد.

٣) وركن الإحسان هو الجانب الروحي القلبي، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية، ومقامات عرفانية، وعلوم وهبية، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة، واختص ببحثه السادة الصوفية.

وكما حفظ علماء الظاهر حدود الشريعة، كذلك حفظ علماء التصنوف آدابها وروحها، وكما أبيح لعلماء الظاهر الاجتهاد في استنباط الأدلة واستخراج الحدود والفروع، والحكم بالتحليل والتحريم على ما لم يرد فيه نص، فكذلك للعارفين أن يستنبطوا آدابا لتربية المريدين وتهذيب السالكين.

يقول ابن عابدين رحمه الله تعالى في حاشيته المشهورة (برد المختار): "الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين من قطع المنازل، والترقي في المقامات". ويقول في الصفحة التي تليها: "فالحقيقة: هي مشاهدة الربوبية بالقلب، ويقال: هي سر معنوي لاحد له ولا جهة. وهي والطريقة والشريعة متلازمة، لأن الطريق إلى الله تعالى لها ظاهر وباطن، فظاهرها الشريعة والطريقة، وباطنها الحقيقة. فبطون الحقيقة في الشريعة والطريقة، كبطون الزبد في لبنه، لا يظفر من اللبن بزبده بدون مخضه، والمراد من الثلاثة [الشريعة، والطريقة والحقيقة] اقامة العبودية على الوجه المراد من العبد" (حاشية ابن عابدين ج ٣. ص: ٣٠٣).

وقال صاحب كشف الظنون في حديثه عن علم التصوف : "ويقال :علم التصوف علم الحقيقة أيضا، وهو علم الطريقة، أي تزكية النفس عن الأخلاق الرديئة، وتصفية القلب عن الأغراض الدنية. وعلم الشريعة بلا علم الحقيقة عاطل، وعلم الحقيقة بلا علم الشريعة باطل.

علم الشريعة وما يتعلق باصلاح الظاهر بمنزلة العلم بلوازم الحج. وعلم الطريقة وما يتعلق باصلاح الباطن بمنزلة العلم بالمنازل، وعقبات الطريق. فكما أن مجرد علم اللوازم، ومجرد

علم المنازل لا يكفيان في الحج الصوري بدون إعداد اللوازم وسلوك المنازل، كذلك مجرد العلم بأحكام الشريعة وآداب الطريقة لا يكفيان في الحج المعنوي، بدون العمل بموجبيهما" (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة ج: ١، ص: ٤١٣).

وإن كان المعترضون يقرون فكرة التقسيم السالفة ولكنهم ينكرون هذه التسمية: [الشريعة، والطريقة، والحقيقة].

نقول لهم : هذا تعبير درج عليه العلماء، وجرى عليه الفقهاء كما بيّنا وهو اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاحات.

وإن كانوا يقرون التقسيم والتسمية، ولكنهم ينكرون على الصوفية أحوالهم القلبية، وأذواقهم الوجدانية، وعلومهم الوهبية.

نقول لهم: إن هذه أمور يكرم الله تعالى بها عباده المخلصين، وأحبابه الصادقين ولا حجر على القدرة الإلهية.

أنقل لك طرفًا يسيرا من الأقوال والشهادات عن التصوف لبعض أكابر علماء الأمة.

بعد أن عرفت جوهر التصوف وتبين لك أنه روح الإسلام، وأحد أركان الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان.

يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى: "من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق" (حاشية العلامة علي العدوى على شرح الإمام الزرقاني على متن العزية في الفقه المالكي ج ٣ ص: ١٩٥. وشرح عين العلم وزين الحلم للإمام ملا علي القاري المتوفى(١٠١٤ هـ) ج ١ ص: ٣٣. والإمام مالك رحمه الله تعالى أحد الأئمة الأربعة المشهورين توفي سنة ١٧٩ هـ في المدينة المنورة).

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى (الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أحد الأئمة الأربعة المشهورين توفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ) "صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين، وفي رواية سوى ثلاث كلمات:

قولهم الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك

وقولهم : نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

وقولهم : العدم عصمة (تأييد الحقيقة العلية للإمام جلال الدين السيوطي ص:١٥.

وقال أيضا : "حبب إليّ من دنياكم ثلاث: تـرك التكلف، وعشـرة الخلـق بـالتلطف، والاقتـداء بطريق أهل التصوف (كشف الخفاء ومزيل الالبـاس عمـا اشتـهر مـن الأحـاديث علـى ألسـنة الناس للإمام العجلوني المتوفى سـنة ١١٦٢ هـ. ج ١ ص: ٣٤١.

كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى (توفي سنة ٢٤١هـ) قبل مصاحبتـه للصوفيـة يقـول لولـده عبـد الله رحمه الله تعالى: "يا ولدي عليك بالحديث، وإياك ومجالسة هؤلاء الذيـن سمـوا أنفسـهم صوفيـة، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلا بأحكام دينه. فلما صحـب أبـا حمـزة البغـدادي الصـوفي، وعـرف أحوال القوم، أصبح يقول لولده: يا ولدي عليـك بمجالسـة هـؤلاء القـوم، فـإنهم زادوا علينـا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمـة" (تنويـر القلـوب ص: ٤٠٥ للعلامـة الشيـخ أمين الكردي المتوفي سنة ١٣٣٢ هـ.

ونقل العلامة محمد السفاريني الحنبلي رحمه الله تعالى عن إبراهيـم بـن عبـد الله القلانسـي رحمـه الله تعالى أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى قال عن الصوفية: "لا أعلم أقوامـا أفضـل منـهم. قيـل : إنهـم يستمعون ويتواجدون، قال : دعوهم يفرحوا مع الله ساعة . . ." (غـذاء الألبـاب شـرح منظومـة الآداب ج ١ ص:١٢٠).

قال الإمام الكبير حجة المتكلمين عبد القـاهر البغـدادي رحمـه الله تعـالى في كتابـه الفَـرْقُ بـين الفِرَق: "الفصل الأول من فصول هذا الباب في بيـان أصنـاف أهـل السـنة والجماعـة. اعلمـوا أسعدكم الله أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف مـن النـاس:

١) صنف منهم أحاطوا علما بأبواب التوحيـد والنبـوة وأحكـام الوعـد والوعيـد والثـواب والعقاب وشروط الاجتهاد والإمامـة والزعامـة. . .

٢) والصنف الثاني منهم : أئمة الفقه من فريقـي الـرأي والحديـث مـن الذيـن اعتقـدوا في أصول الدين مذاهب الصفاتية في الله وفي صفاته الأزليـة وتـبرؤا مـن القـدر والإعـتزال، وقـالوا بدوام نعيم الجنة على أهلها، ودوام عذاب النـار علـى الكفـرة، وقـالوا بإمامـة أبي بكـر وعمـر وعثمان وعلي، وأحسنوا الثناء على السلف الصـالح مـن الأمـة، ورأوا وجـوب الجمعـة خلـف الأئمة الذين تبرؤا من أهل الأهواء الضالة، ورأوا وجوب اسـتنباط أحكـام الشـريعـة مـن القـرآن والسنة ومن إجماع الصحابة، ويدخل في هـذه الجماعـة أصحـاب مـالك والشـافعي وأبي حنيفـة وأحمد بن حنبل رضي الله عنـهم.

٣) والصنف الثالث منهم: هم الذين أحاطوا علما بطرق الأخبار والسنن المأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام، وميزوا بين الصحيح والسقيم منها، وعرفوا أسباب الجرح والتعديل، ولم يخلطوا علمهم بذلك بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة.

٤) والصنف الرابع منهم : قوم أحاطوا علما بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف، وجروا على سمت أئمة اللغة كالخليل وأبي عمرو بن العلاء وسيبويه.

٥) والصنف الخامس منهم : هم الذين أحاطوا علما بوجوه قراءات القرآن وبوجوه تفسير آيات القرآن وتأويلها على وفق مذاهب أهل السنة دون تأويلات أهل الأهواء الضالة.

٦) والصنف السادس منهم : الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا، واختبروا فاعتبروا، ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسئول عن الخير والشر، ومحاسب على مثاقيل الذر، فأعدوا خير الإعداد ليوم المعاد، وجرى كلامهم في طريقي العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث، لا يعملون الخير رياء، ولا يتركونه حياء، دينهم التوحيد ونفي التشبيه، ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى، والتوكل عليه والتسليم لأمره، والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الاعتراض عليه ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (سورة الجمعة آية ٤).

٧) والصنف السابع منهم: قوم مرابطون في ثغور المسلمين في وجوه الكفرة، يجاهدون أعداء المسلمين ويحمون حمى المسلمين.

٨) والصنف الثامن منهم : عامة البلدان التي غلب فيها شعائر أهل السنة، دون عامة البقاع التي ظهر فيها شعار أهل الأهواء الضالة . . ." (الفرق بين الفرق للإمام عبدم القاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ. ص: ١٨٩).

وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في مقدمة رسالته المشهورة متحدثا عن الصوفية:
"جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم.

الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى يتحدث في كتابه المنقذ من الضلال عن الصوفية وعن سلوكهم وطريقتهم الحقة.

"ولقد علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرهم احسن السيرة وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق.

يقول الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: "الباب الثامن في أحوال الصوفية: اعلم أن أكثر من حصر فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ، لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية وهذا طريق حسن . . . وقال أيضا : والمتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية، ويجتهدون لا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى في سائر تصرفاتهم وأعمالهم، منطبعون على كمال الأدب مع الله عز وجل، وهؤلاء هم خير فرق الآدميين" (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للإمام فخر الدين الرازي ص: ٧٢-٧٣ توفي سنة ٦٠٦ هـ بمدينة هراة.

يقول محرر كتاب اعتقادات فرق المسلمين علي سامي النشار : "وفي أواخر أيامه [فخر الدين الرازي] وقد بلغ أوج كماله العامي حدث له ما حدث لأبي حامد الغزالي من قبل، فقَلَّتْ ثقته بالعقل الانساني، وأحس عجزه، وأدرك تماما أنه لا يستطيع الاحاطة بالوجود في ذاته فأدركته حالة صوفية كانت تنتابه منها في بعض مجالس وعظه نوبات فيصرخ مستغيثا.

وعظ يوما بحضرة السلطان شهاب الدين الغوري، وحصلت له حال فاستغاث : "يا سلطان العالم لا سطانك يبقى، ولا تلبيس الرازي يبقى ونظم أشعارا تغلب عليها النزعة الصوفية كقوله:

نِهايةُ إقدامِ العقولِ عقالُ وأكثرُ سعي العالمين ضلالُ

وأرواحُنا في وحشةٍ من جسومنا وحاصلُ دنيانا أذًى ووبالُ

ولم نَسْتَفِدْ من بحثِنا طولَ عُمْرِنا سِوَى أن جَمَعْنَا فيه قِيلَ وقالوا

وكان للإمام فخر الدين الرازي صلة قوية بالشيخ الأكبر محي الدين بن عربي على أثر إرسال رسالة جاءته من الشيخ محي الدين بن عربي، بين له فيها قيمة العلوم العرفانية الوهبية وشوقه لها، وهذه الرسالة مطبوعة بالمطبعة السلفية بمصر وتسمى "رسالة شيخ الطريقة محي الدين بن عربي إلى الإمام ابن الخطيب الري المعروف بفخر الرازي" نسخها وأبرزها وصححها عبد العزيز الميمني الراجقوتي الأثري المقرىء بالجامعة الإسلامية في عليكرة بالهند عام ١٣٣٤ في مجموعة ثلاث رسائل.

قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى (عز الدين بن عبد السلام يلقب بشيخ العلماء وبسلطان العلماء ولد سنة (٦٦٠ هـ) انتهت إليه الإمامة، وبلغ منزلة الإجتهاد مع الزهد والورع. ولد بالشام، ووفد مصر فأقام بها أكثر من عشرين عاما، ناشرا للعلم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر. وألف كتبا كثيرة، وأخذ التصوف عن شهاب الدين

السهروردي، وسلك على يد الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى، وكان يقول إذا حضر مجلسه وسمع كلامه : هذا كلام قريب العهد بالله). قعد القوم من الصوفية على قواعد الشريعة التي لا تنهدم دنيا وأخرى. وقعد غيرهم على الرسوم ومما يدلك على ذلك ما يقع على يد القوم من الكرامات وخوارق العادات.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في رسالته المقاصد: * أصول طريق التصوف خمسة :

١) تقوى الله في السر والعلانية.

٢) اتباع السنة في الأقوال والأفعال.

٣) الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار.

٤) الرضى عن الله في القليل والكثير.

٥) الرجوع إلى الله في السراء والضراء* مقاصد الإمام النووي في التوحيد والعبادة وأصول التصوف ص: ٢٠ توفي الإمام النووي سنة ٦٧٦ هـ في قرية من قرى الشام تسمى : نوى.

تحدث أحمد بن تيمية عن تمسك الصوفية بالكتاب والسنة في الجزء العاشر من مجموع فتاويه فقال: "فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف مثل الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد بن محمد، وغيرهم من المتقدمين، ومثل الشيخ عبد القادر [الجيلاني] والشيخ حماد، والشيخ أبي البيان، وغيرهم من المتأخرين، فهم لا يسوغون للسالك ولو طار في الهواء. أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين، بل عليه أن يعمل المأمور ويدع المحظور إلى أن يموت. وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، وهذا كثير في كلامهم" (مجموع فتاوى إبن تيمية ج: ١٠، ص: ٥١٦-٥١٧).

وقال ابن خلدون في كلامه عن علم التصوف: "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعده طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم

الصوفية" (مقدمة ابن خلدون ص: ٣٢٨. وهو عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر محمد بن خلدون الحضرمي ولد عام ٧٣٢ هـ وتوفي سنة ٨٠٨).

وقال الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى في كتابه معيد النعم ومبيد النقم، تحت عنوان الصوفية: "حياهم الله وبياهم وجمعنا في الجنة نحن وإياهم. وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعبا ناشئا عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها، بحيث قال الشيخ أبو محمد الجويني: لا يصح الوقف عليهم لأنه لا حد لهم. والصحيح صحته، وأنهم المعرضون عن الدنيا المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة . . . ثم تحدث عن تعاريف التصوف إلى أن قال: والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجى الرحمة بذكرهم، ويستنزل الغيث بدعائهم فرضي الله عنهم وعنا بهم" (كتاب معيد النعم ومبيد النقم ص:١١٩ للإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي المتوفي سنة ٧٧١ هـ).

وقال العلامة المشهور جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه تأييد الحقيقة العلية : "إن التصوف في نفسه علم شريف، وان مداره على اتباع السنة وترك البدع، والتبري من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها ومراداتها واختياراتها، والتسليم لله، والرضى به وبقضائه وطلب محبته، واحتقار ما سواه . . . وعلمت أيضا أنه قد كثر فيه الدخيل من قوم تشبهوا بأهله وليسوا منهم، فأدخلوا فيه ما ليس منه، فأدى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع، فوجه أهل العلم للتمييز بين الصنفين ليعلم أهل الحق من أهل الباطل، وقد تأملت الأمور التي أنكرها أئمة الشرع على الصوفية فلم أر صوفيا محققا يقول بشيء منها، وإنما يقول بها أهل البدع والغلاة الذين ادعوا أنهم صوفية وليسوا منهم" (تأييد الحقيقة العلية ص: ٥٧. للعلامة جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ).

وحدة الوجود والحلول والإتحاد

إن من أهم ما يتحامل به المغرضون على السادة الصوفية اتهامهم جهلا وزورا بأنهم يقولون بالحلول والاتحاد، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى قد حل في جميع أجزاء الكون، في البحار والجبال والصخور والأشجار والإنسان والحيوان . . . الخ، أو بمعنى أن المخلوق عين الخالق، فكل الموجودات المحسوسة والمشاهدة في هذا الكون هي ذات الله تعالى وعينه. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ولا شك أن هذا القول كفر صريح يخالف عقائد الأمة. وما كان للصوفية.

يقول الشعراني رحمه الله تعالى : "ولعمري إذا كان عباد الأوثان لم يتجرزوا على أن يجعلوا آلهتهم عين الله، بل قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فكيف يظن بأولياء الله تعالى أنهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة ؟ ! هذا كالمحال في حقهم رضي الله تعالى عنه، إذ ما من ولي إلا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق، وأنها خارجة عن جميع معلومات الخلائق، لأن الله بكل شيء محيط".

وما زال العلماء، ومحققو الصوفية يبينون بطلان القول بالحلول والاتحاد، وينبهون على فساده، ويحذرون من ضلاله. قال الشيخ محي الدين ابن عربي رحمه الله تعالى في عقيدته الصغرى: "تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها" (الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، كما في اليواقيت والجواهر ج: ١ ص: ٨٠ – ٨١).

وأما ما ورد من كلام السادة الصوفية في كتبهم مما يفيد ظاهره الحلول والاتحاد فهو إما مدسوس عليهم، بدليل ما سبق من صريح كلامهم في نفي هذه العقيدة الضالة. وإما أنهم لم يقصدوا به القول بهذه الفكرة الخبيثة والنحلة الدخيلة، ولكن المعترضين حملوا المتشابه من كلامهم على هذا الفهم الخاطيء ورموهم بالزندقة والكفر.

أما الراسخون في العلم والمدققون المنصفون من العلماء فقد فهموا كلامهم على معناه الصحيح الموافق لعقيدة أهل السنة والجماعة، وأدركوا تأويله بما يناسب ما عرف عن الصوفية من إيمان وتقوى.

قال العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه الحاوي للفتاوى: "واعلم أنه وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد، إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد، فان الاتحاد عندهم هو المبالغة في التوحيد. والتوحيد معرفة الواحد والأحد، فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشاراتهم فحملوه على غير محمله، فغلطوا وهلكوا بذلك . . . إلى أن قال : فاذن أصل الاتحاد باطل محال، مردود شرعا وعقلا وعرفا باجماع الأنبياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين، وليس هذا مذهب الصوفية، وانما قال طائفة غلاة لقلة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى، فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام: اتحد ناسوته بلاهوته. وأما من حفظه الله تعالى بالعناية، فانهم لم يعتقدوا اتحادا ولا حلولا، وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فانما يريدون به محو أنفسهم، وإثبات الحق سبحانه.

قال: وقد يذكر الاتحاد بمعنى فناء المخالفات، وبقاء الموافقات، وفناء حظوظ النفس من الدنيا، وبقاء الرغبة في الآخرة، وفناء الأوصاف الذميمة، وبقاء الأوصاف الحميدة، وفناء الشك، وبقاء اليقين، وفناء الغفلة وبقاء الذكر.

قال : وأما قول أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى: [سبحاني، ما أعظم شاني فهو في معرض الحكاية عن الله، وكذلك قول من قال: [أنا الحق] محمول على الحكاية، ولا يظن بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد، لأن ذلك غير مظنون بعاقل، فضلا عن المتميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات. ولا يظن بالعقلاء المتميزين على أهل زمانهم بالعلم الراجح والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع الغلط بالحلول والاتحاد، كما غلط النصاري في ظنهم ذلك في حق عيسى عليه السلام. وإنما حدث ذلك في الإسلام من وقعات جهلة المتصوفة، وأما العلماء العارفون المحققون فحاشا هم من ذلك . . . إلى أن قال:

والحاصل أن لفظ الاتحاد مشترك، فيطلق على المعنى المذموم الذي هو أخو الحلول، وهو كفر. ويطلق على مقام الفناء اصطلاحا اصطلح عليه الصوفية ولا مشاحة في الاصطلاح، إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ في معنى صحيح، لا محذور فيه شرعا، ولو كان ذلك ممنوعا لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الاتحاد، وأنت تقول: بيني وبين صاحبي زيد اتحاد.

وحدة الوجود اختلف علماء النظر في موقفهم من العارفين المحققين القائلين بوحدة الوجود، فمنهم من تسرع باتهامهم بالكفر والضلال، وفهم كلامهم على غير المراد. ومنهم من لم يتورط بالهجوم عليهم فتثبت في الأمر ورجع إليهم ليعرف مرادهم.

فالقائلون بوحدة الوجود فريقان:

١. الفريق الاول: أرادوا به اتحاد الحق بالخلق، أنه لا شيئ في هذا الوجود سوى الحق، وأن الكل هو، وأنه هو الكل، وأنه عين الأشياء، وفي كل شيئ له آية تدل على أنه عينه . . .
فقوله هذا كفر وزندقة وأشد ضلالة من أباطيل اليهود والنصاري وعبدة الأوثان.

وقد شدد الصوفية النكير على قائله، وأفتوا بكفره، وحذروا الناس من مجالسته. قال العارف بالله أبو بكر محمد بناني رحمه الله تعالى: "فاحذر يا أخي كل الحذر من الجلوس مع من يقول: ما ثم إلا الله، ويسترسل مع الهوى فان ذلك هو الزندقة المحضة.

٢. الفريق الثاني: قالوا ببطلان وكفر ما ذكر، من أن الخالق عين المخلوق، وإنما أرادوا بوحدة الوجود وحدة الوجود القديم الأزلي وهو الحق سبحانه فهو لا شك واحد منزه عن التعدد. ولم يقصدوا بكلامهم الوجود العرضي المتعدد وهو الكون الحادث لأن

وجوده مجازي، وفي أصله عدمي لا يضر ولا ينفع. فالكون معـــدوم في نفســـه، هـــالك فـــانٍ في كل لحظة. قال تعالى: [كل شيـــئ هـــالك إلا وجهـــه] (مـــدارج الســـلوك إلى ملـــك الملـــوك للعارف الكبير محمد بناني المتـــوفى ١٢٨٤ هــــ). وإنمـــا يظـــهره الإيجـــاد، ويثبتـــه الإمـــداد الكائنات ثابتة بإثباته، وممحوة بأحدية ذاته، وإنما يمسكه سر القيومية فيـــه. وهـــؤلاء قســـمان:

١) قسم أخذ هذا الفهم بالاعتقاد والبرهان، ثم بالذوق والعيان، وغلـــب عليـــه الشـــهود، فاستغرق في لجج بحار التوحيد، ففني عن نفسه فضلا عن شـــهود غـــيره، مـــع اســـتقامته على شرع الله تعالى وهذا قوله حـــق.

٢) وقسم ظن أن ذلك علم لفظي، فتوغل في تلاوة عباراتـــه، وتمســـك بظواهـــر إشاراتـــه، وغاب في شهودها عن شهود الحق، فربما هانت الشريعة في عينيـــه لمـــا يلتـــذ بـــه مـــن حلاوة تلك الألفاظ، فيقع على أم رأسه، ويتكلـــم بمـــا ظـــاهره أن الشريعـــة في جهـــة يختص بها أهل الغفلة، والحقيقة في جهة أخرى يختص بهـــا أهـــل العرفـــان، ولعمـــري إن هذا هو عين الزور والبهتان، وما ثم إلا شريعة ومقـــام إحســـان.

وهذه نبذة يسيرة من أقوال أئمة السادة الصوفيـــة وتوجيـــهاتهم تشـــهد علـــى تمســـكهم بالكتـــاب والسنة: قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى: "كـــل حقيقـــة لا تشـــهد لهـــا الشريعـــة فـــهي زندقة. طِرْ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة (الفتح الرباني للشيـــخ عبـــد القـــادر الجيـــلاني ص: ٢٩).

وقال منكرا على من يعتقد أن التكاليف الشرعية تســـقط عـــن الســـالك في حـــال مـــن الأحـــوال: "ترك العبادات المفروضة زندقة. وارتكاب المحظورات معصية. لا تســـقط الفرائـــض عـــن أحـــد في حال من الأحوال" (الفتح الرباني للشيخ عبـــد القـــادر الجيـــلاني ص: ٢٩).

ويقول سهل التستري رحمـــه الله تعـــالى: "أصولنـــا ســـبعة أشيـــاء: التمســـك بكتـــاب الله تعـــالى. والاقتداء بسنة رســـوله ﷺ، وأكـــل الحـــلال، وكـــف الأذى، واجتنـــاب الآثـــام، والتوبـــة، وأداء الحقوق" (طبقات الصوفيـــة للســـلمي ص: ٢١٠).

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى يقـــول: "إذا عـــارض كشفـــك الصيحـــح الكتـــاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقـــل لنفســـك: إن الله تعـــالى ضمـــن لي العصمـــة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جـــانب الكشـــف والإلهـــام" (إيقـــاظ الهمـــم ج: ٢ ص: ٣٠٢ – ٣٠٣).

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله "كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل" (الرسالة القشيرية ص: ٢٧).

وقال أبو الحسين الوراق رحمه الله تعالى: "لا يصل العبد إلى الله إلا بالله، وبموافقة حبيبه ﷺ في شرائعه، ومن جعل الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء يضل من حيث يظن أنه مهتد" (طبقات الصوفية للسلمي ص: ٣٠٠).

وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: "إن طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر، فيحتاج سالكها إلى ميزان شرعي في كل حركة وسكون" (لطائف المنن والأخلاق للشعراني ج: ١ ص:٢).

وقال أيضا: "إن حقيقة طريق القوم علم وعمل، وسداها ولحمتها شريعة وحقيقة، لا أحدهما فقط" (لطائف المنن والأخلاق للشعراني ج: ١ ص:٢٥).

وقال الشعراني أيضا: "فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة. وكيف يخرج والشريعة صلتهم إلى الله عز وجل في كل لحظة" (التصوف الإسلامي والامام الشعراني لطّه عبد الباقي سرور ص: ٧١).

وسئل أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى عن الصوفي فقال: "هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه وسنة رسوله بشماله، وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة، وبالأخرى إلى النار، ويأتزر بالدنيا، ويرتدي بالآخرة، ويلبي من بينهما للمولى: لبيك اللهم لبيك" (شطحات الصوفية لعبد الرحمن البدوي ص: ٩٦).

هناك أناس ادعوا التصوف كذبا ونفاقا، انحرفوا عن الإسلام، وقالوا : إن المقصود من الدين هو الحقيقة فقط، وعطلوا أحكام الشريعة، فأسقطوا عن أنفسهم التكاليف، وأباحوا المخالفات، وقالوا : إن المعول عليه صلاح القلب، ويقولون: [نحن أهل الباطن، وهم أهل الظاهر]. فهؤلاء ضالون منحرفون زنادقة، لا يجوز أن نأخذ أعمالهم وأحوالهم حجة على السادة الصوفية الصادقين المخلصين.

وقال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى في قواعده: "وكل شيخ لم يظهر بالسنة فلا يصح اتباعه لعدم تحقق حاله، وإن صح في نفسه وظهر عليه ألف ألف كرامة من أمره (قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق ص: ٧٦).

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: "احذر صحبة ثلاث من أصناف الناس: الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين" (شرح الحكم لابن عجيبة ج: ١ ص: ٧٦).

وقال السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى: "لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة: [نحن أهل الباطن، وهم أهل الظاهر]. هذا الدين الجامع باطنه لب ظاهره، وظاهره ظرف باطنه، لولا الظاهر لما بطن، لولا الظاهر لما كان الباطن ولما صح. القلب لا يقوم بلا جسد، بل لو لا الجسد لفسد، والقلب نور الجسد. هذا العلم الذي سماه بعضهم بعلم الباطن، هو إصلاح القلب، فالأول عمل بالأركان وتصديق بالجنان. إذا انفرد قلبك بحسن نيته وطهارة طويته، وقتلت وسرقت وزنيت، وأكلت الربا، وشربت الخمر، وكذبت وتكبرت وأغلظت القول، فما الفائدة من نيتك وطهراة قلبك ؟ وإذا عبدت الله تعففت، وصمت وتصدقت وتواضعت، وأبطن قلبك الرياء والفساد، فما الفائدة من عملك ؟" (البرهان المؤيد للسيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى. توفي سنة ٥٧٨ هـ بأم عبيدة بالعراق ص: ٦٨).

قال الله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (سورة العنكبوت آية ٢٩. وهي آية مكية، ومن المعلوم أن جهاد الكافرين قد شرع في المدينة المنورة، وهذا يدل على أن المراد من الجهاد هنا جهاد النفس. وقال العلامة المفسر ابن جزي في تفسير هذه الآية: "يعني جهاد النفس". وقال العلامة المفسر القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "قال السدي وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال").

وعن فضالة بن عبيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : [المجاهد من جاهد نفسه في الله] (أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد وقال: حديث حسن صحيح، وزاد البيهقي في شعب الإيمان برواية فضالة: "والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب". مشكاة المصابيح للتبريزي كتاب الإيمان رقم ٣٤).

الكشف

تعريفه : قال السيد رحمه الله تعالى في تعريفاته: "الفراسة في اللغة: التثبت والنظر، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي مكاشفة اليقين، ومعاينة الغيب" (تعريفات السيد ص: ١١٠).

يقول المؤرخ ابن خلدون رحمه الله تعالى: "ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب الحس، والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدارك شيء منها، والروح من تلك العوالم. وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن

ضعفت أحوال الحس، وقويت أحوال الروح، وغلب سلطانه، وتجدد نشوؤه. وأعان مع ذلك الذكر، فانه كالغذاء لتنمية الروح، ولا يزال في نمو وتزايد إلى أن يصير شهودا بعد أن كان علما، ويكشف حجاب الحس، ويتم صفاء النفس الذي لها من ذاتها، وهو عين الإدارك، فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم الدينية والفتح الإلهي . . إلى أن قال: وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم . . . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم على مثل هذه المجاهدة، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ، لكنهم لم يقع لهم بها عناية. وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها، وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت الرسالة القشيرية على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم (مقدمة ابن خلدون ص: ٣٢٩).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدثون، فان يك في أمتي أحد فانه عمر" (رواه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة).

فان أمته عليه الصلاة والسلام أفضل الأمم، وإذا ثبت أنهم وجدوا في غيرها فوجودهم فيها أولى، وإنما أورده مورد التأكيد، كقول القائل: إن كان لي صديق ففلان. يريد اختصاص كمال الصداقة لانفيها عن غيره. والمحدث: هو الملهم الصادق الظن، وهو من أوقع في قلبه شيئ من قبل الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدثه غيره.

قال العلامة عبد الرؤوف المناوي رحمه الله تعالى عند شرحه حديث رسول الله ﷺ : [لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر] (أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة ومتعة نعيمها، والنسائي عن أنس ابن مالك رضي الله عنه). وإنما أحب إسماعهم عذاب القبر دون غيره من الأهوال لأنه أول المنازل. وفيه أن الكشف بحسب الطاقة، ومن كوشف بما لا يطيقه هلك.

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: "إن ذلك كان على سبيل النفث في الروع والإلهام والإلقاء في القلب، كما كان في حق أم موسى عليه السلام في قوله: [وأوحينا إلى أم موسى] (التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ج: ٢ ص: ٦٦٩).

وكذلك أخبرنا عن أم موسى عليه السلام، حينما ضاق بها الحال من أمر ابنها عليه السلام، ودهمها جنود فرعون لقتله، فألهمها وأوحى إليها بلا واسطة، فقال تعالى:]وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فاذا خفت عليه فألقيه في اليم، ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه

من المرسلين] (سورة القصص آية ٧: قال الآلوسي في تفسيره عند هذه الآية ج ٦١ ص: ١٧٠. "والمراد بالايحاء عند الجمهور ما كان بالهام، كما في قوله تعالى: [وأوحى ربك إلى النحل] . . . إلى أن قال: وإلهام الأنفس القدسية مثل ذلك لا بعد فيه، فانه نوع من الكشف".

هذه امرأة مؤمنة، وولية وليست نبية (اتفق الأكثرون على أن أم موسى لم تكن نبية لأن النبوة منحصرة في الرجال. ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم﴾ والوحي جاء في القرآن لا بمعنى النبوة، بل بالالهام كما قال تعالى: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين﴾ الآية: ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى . . ﴾)، و ﺣ ﻲ رضي الله عنها في أمة إسرائيلية، فما بالك بالأمة المحمدية التي شهد الله لها بالخيرية على سائر الأمم ؟ ! قال تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ (سورة آل عمران آية ١١٠).

وأما الإلهام من قبل الملائكة : فالملك يحدث الإنسان، كما قال ﷺ : [. . . وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله] (رواه الترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال: حديث حسن غريب. واللمة : الهمة والخطرة تقع في القلب. كما في غريب الحديث.

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ (سورة آل عمران آية ٤٢) : "اعلم أن مريم عليها السلام ما كانت من الأنبياء لقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى﴾ (سورة يوسف آية ١٠٩). وإذا كان كذلك، كان إرسال جبريل عليه السلام كرامة لها، وكلمها شفاها، وليس هذا خاصا بها، بل هناك كثير من الصالحين كلمتهم الملائكة عليهم السلام" (التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ج: ٢ ص: ٦٦٩).

وقال الله تعالى : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾

قال الألوسي مفسرا تنزل الملائكة في هذه الآية: "تتنزل عند الموت والقبر والبعث. وقيل تتنزل عليهم: يمدونهم فيما يعن ويطرأ لهم من الأمور الدينية والدنيوية، بما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن، بطريق الإلهام.

وهذا هو الأظهر ، لما فيه من الإطلاق والعموم الشامل لتترلهم في المواطن الثلاثة وغيرها، وأن جمعا من الناس يقولون بتترل الملائكة على المتقين في كثير من الأحسايين، وإنهم يأخذون منهم ما يأخذون، فتذكر.

ثم قال في قوله تعالى: ﴿وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾. أي التي كنتم توعدونها في الدنيا على ألسنة الرسل عليهم السلام، هذا من بشاراتهم في أحد المواطن الثلاثة.

وقال في قوله تعال: ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾: من بشاراتهم في الدنيا، أي أعوانكم في أموركم، نلهمكم الحق ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم. إلى أن قال: إن الملائكة تقول لبعض المتقين شفاها في غير تلك المواطن: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا" (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ج ٢٤ ص: ١٠٧).

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات: "ثم إنه تعالى أخبر عن الملئكة أنهم قالوا للمؤمنين: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ومعنى كونهم أولياء للمؤمنين: أن للملائكة تأثيرات في الأرواح البشرية بالإلهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحقيقية، كما أن للشياطين تأثيرات في الأرواح بالقاء الوساوس فيها وتخييل الأباطيل إليها.

وبالجملة فكون الملائكة أولياء للأرواح الطيبة الطاهرة حاصل من جهات كثيرة معلومة لأرباب المكاشفات والمشاهدات، فهم يقولون: كما أن تلك الولاية كانت حاصلة في الدنيا فهي تكون باقية في الآخرة، فان تلك العلائق ذاتية لازمة غير قابلة للزوال، بل كأنها تصير بعد الموت أقوى وأبقى، وذلك لأن جوهر النفس من جنس الملائكة، وهي كالشعلة بالنسبة إلى الشمس والقطرة بالنسبة إلى البحر. والتعلقات الجسمانية هي التي تحول بينها وبين الملائكة، كما قال صلى الله عليه وسلم: [لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات].

فاذا زالت العلائق الجسمانية والتدبيرات البدنية، فقد زال الغطاء والوطاء، فيتصل الأثر بالمؤثر، والقطرة بالبحر والشعلة بالشمس، فهذا هو المراد من قوله: ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (تفسير الامام الرازي ج :٧ ص: ٣٧١).

أعداء التصوف

إن الذين طعنوا في التصوف الإسلامي. إما أن يكون باعثهم على ذلك الحقد والعداوة المتأصلة للإسلام، وإما أن يكون سبب وقوعهم في هذا الإثم جهلهم المطبق بحقيقة التصوف.

١ . أما الصنف الأول: فهم أعداء الإسلام من الزنادقة المستشرقين وأذنابهم وعملائهم الذين صنعتهم الصليبية الماكرة والاستعمار البغيض.

فتارة يدسون السم في الدسم، ويمدحون الإسلام في بعض كتبهم كي ينالوا ثقة القاريء، فإذا اطمأن إليهم وركن إلى أقوالهم شككوه في عقائده، وحشوا قلبه بأباطيل ألصقوها بالإسلام زورا وبهتانا.

٢ . وأما الصنف الثاني فهم الذين جهلوا حقيقة التصوف الإسلامي ولم يأخذوه عن رجاله الصادقين وعلمائه المخلصين، بل نظروا إليه نظرة سطحية بعيدة عن التمحيص والتبين، وهؤلاء أقسام.

أ . قسم أخذوا فكرتهم عن التصوف من خلال أعمال وسلوك بعض الدخلاء والمنحرفين من أدعياء التصوف، دون أن يفرقوا بين التصوف الحقيقي الناصع وبين بعض الوقائع المشوهة التي تصدر عن الدخلاء على الصوفية.

ب. وقسم أخذوا بما وجدوه في كتب السادة الصوفية من أمور مدسوسة أو مسائل دخلية، فأخذوها على أنها حقائق ثابتة دون تحقيق أو تثبت أو إنهم أخذوا عن الكلام الثابت في كتب الصوفية ففهموه على غير مراده، حسب فهمهم السطحي وعلمهم المحدود وأهوائهم الخاصة، دون أن يرجعوا إلى كلام الصوفية الواضح الذي لا يحيد عن لب الشريعة، والذي يعطي الضوء الناصع والنور الكاشف لتأويل هذا الكلام المتشابه.

مثلهم في ذلك كمثل الذي في قلبه زيغ ومرض، فأخذ الآيات القرآنية المتشابهة في القرآن الكريم فأولها حسب هواه وانحرافه، دون أن يلتفت إلى سائر الآيات القرآنية المحكمة التي تلقي النور على معاني هذه الآيات المتشابهة وتوضح معانيها، وتبين أغراضها. قال الله تعالى في حقهم

: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . ﴾ (سورة آل عمران آية ٧).

من كتب التصوف

الرسالة القشيرية – للقشيري
إحياء علوم الدين – للغزالي
النصرة النبوية – لمصطفى المدني
المواقف – للأمير عبد القادر الجزائري
فتوح الغيب – للشيخ عبد القادر الجيلاني
لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود
المحمدية – للشعراني
الفتوحات المكية – محي الدين بن عربي
الفتح الرباني – للشيخ عبد القادر الجيلاني
المنقذ من الضلال – للغزالي
الأربعين في أصول الدين – للغزالي
نشر المحاسن الغالية – لليافعي
اليواقيت والجواهر – للشعراني
الفتوحات الالهية شرح المباحث الأصلية
خمرة الحان ورنة الألحان – لعبد الغني النابلسي
التعرف لمذهب أهل التصوف – للكلاباذي
البرهان المؤيد – للسيد الرفاعي
الإنسان الكامل – للجيلي
قوانين حكم الاشراق لكافة الصوفية في جميع الآفاق
تنوير القلوب لأمين الكردي
التصوف الإسلامي والإمام الشعراني
مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح
شرح شطرنج العارفين – للشيخ محمد الهاشمي
بستان العارفين – للنووي
مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب
قواعد التصوف – لأحمد زروق الفاسي
الرياضة وأدب النفس – للحكيم الترمذي
خلاصة التصانيف في التصوف – للغزالي
معراج التشوف إلى حقائق التصوف – لابن عجيبة
تجريد شرح متن الأجرومية – لابن عجيبة
الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية للنابلسي
لطائف المنن والأخلاق المعروف بالمنن
نور التحقيق – لحامد صقر
اللمع – لعبد الله السراج الطوسي
ايقاظ الهمم في شرح الحكم – لابن عجيبة
روضة الناظرين – لأحمد الوتري
رسالة المقاصد – للنووي
فرائد اللآلي من رسائل الغزالي
لمحات عن التصوف – لحامد المير غني
شخصيات صوفية – لطه عبد الباقي سرور
الوصايا – للحارث المحاسبي
مدراج السلوك إلى ملك الملوك –
إرشاد الراغبين – للشيخ حسن بن عبد العزيز
الأنوار القدسية – للشيخ محمد طاهر المدني
أوراد السادة الشاذلية الدرقاوية التلمسانية
لدرة البهية في أوراد الطائفة العلوية

اَلْحَقِيقَةُ

نظر العبد لبواطن الأمور وشهود الفعل من الله تعالى،قـــال زيـــن الديـــن المخدوم رح:

وَحَقِيقَــــةٌ لَوُصُولُهُ لِلْمَــقْصَدِ ۞ وَمُشَاهَدُ نُورَ التَّجَلِّــــي بِـــانْجِلَا

الحقيقة ان ترى ان الله تعالى هـــو المتصـــرف في خلقـــه يـــهدى ويضـــل ويعز ويذل ويوفق ويخذل(المفاخر العليـــة في المـــآثر الشاذليـــة ١٢٧) الحقيقـــة ثمرة الطريقة (سلا لم الفضلاء ٥). قال الله تعالى قَـــدْ جَـآءَتْكُم مَّوْعِظَـةٌ مِّـــن رَّبِّكُم وَشِفَآءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُـــدًى وَرَحْمَـةٌ لِلْمُؤْمِنِـينَ. الهـدى إشـارة إلى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقـــة والرحمـة إشـارة إلى مرتبـة النبوة (كرخي جمـــل ٣٥٧/٢). فالحقيقـــة فـــهم حقـــائق الأشيـــاء كشـــهود الأسماء والصفات وشهود الذات وأسرار المنـــع والجـــواز والعلـــوم الغيبيـــة ثم ان هذه الحقيقة والمكاشفة لا تكـــون حقـــة ولا حجـــة إلا إذا كـــانت موافقـــة للكتاب والسنة والدلائل الاسلامية. قـــال صـــاحب جـــامع الأصـــول كـــل حقيقة لا يشهد لها الكتاب والسنة فـــهي إلحـــاد وزندقـــة فالموافقـــة للدلائـــل الإسلامية هي الحجة وهي من الله والمخالفة هي الباطلة وهـــي مـــن الشيطـــان.

قال السعد: الإلهام المفسر بالقاء معنى في القلب بطريـــق الفيـــض ليـــس من أسباب المعرفة بصحة الشـــيء عنـــد أهـــل الحـــق (شـــرح العقـــائد ٤١). وكذلك الطريقة لا تكون حقة إلا إذا كانت موافقـــة للشريعـــة وأمـــا المخالفـــة هي الباطلة قال صاحب جامع الأصول كـــل طريقـــة تخـــالف الشريعـــة فـــهي كفر.

قال زين الدين المخدومـــي رح:

وَكَذَا الطَّرِيقَةُ وَالْحَقِيــقَةُ يَا أَخِي ۞ مِنْ غَيْرِ فِعْلِ شَرِيعَةٍ لَــــنْ تَحْصُــلَا

إِذْ لَا دَلِيلَ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى الْإِلٰهِ ۞ إِلَّا مُتَابَعَــةُ الرَّسُـــولِ الْمُكْمِـــلَا

فِـي حَالِــهِ وَفَــعَالِــهِ وَمَــقَالِهِ ۞ فَــتَتَبَّعَــنَّ وَتَــابِعَنْ لَا تَـــعْدِلَا

وَطَـرِيقُ كُلِّ مَشَائِخِ قَدْ قُـيِّدَتْ   بِكِتَابِ رَبِّي وَالْحَدِيـــثِ تَـأَصُّلاً

قال الله تعـــالى قُـلْ إِنْ كُنْتُـمْ تُحِبُّـونَ اللهَ فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُـمُ اللهُ (آل عمران ٣١). وقال النبي ﷺ لَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْـلِ مَـا افْـتَرَضْتُ عَلَيْـهِ الخ. وقال صلى الله عليه وسلم مَنْ يَعِـشْ مِنْكُـمْ بَعْـدِي فَسَـيَرَى اخْتِلاَفًـا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ (ترمـــذي، أبـو داود).

قال السعد، ولا يصل العبد ما دام عاقلا بالغـا إلى حيـث يسـقط عنـه الأمر لعموم الخطابات الواردة في التكـاليف واجمـاع المجتـهدين علـى ذلـك وذهب بعض المباحيين إلى أن العبد إذا بلغ غاية المحبـة وصفـا قلبـه واختـار الإيمان على الكفر من غير نفاق سقط عنـه الأمـر والنـهي ولا يدخلـهم الله النار لارتكاب الكبائر وبعضهم إلى أنه يسقط عنـه العبـادات الظـاهرة مـن الصلاة والصوم والزكوة والحج وغير ذلـك ويكـون عبادتـه التفكـر وهـذا كفر وضلال فان أكمل الناس في المحبة والإيمان هم الأنبيـاء خصوصـا حبيـب الله مع أن التكاليف في حقهم أتم وأكمل (شـرح العقـائد).

قال الغزالي رح: من زعم أن له مع الله حالا أسقط عنـه نحـو الصـلاة أو تحريم نحو شرب الخمر وجب قتله (تحفة). قال أبـو يزيـد لـو نظـرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغـتروا بـه حـتى تنظـروا عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة (رسـالة القشـيري).

فان الذي فعله خضر ليس في شيء منه ما يخالف الشريعـة فـان نقـض لـوح من ألواح السفينة لدفع الظالم عن غصبها ثم اذا تركـها أعيـد اللـوح جـائز شرعـا وعقلا ولكن مبادرة موسى عليه السلام بالانكار بحسب الظاهر وقـد وقـع ذلـك واضحـا في رواية أبي إسحق التي أخرجها مسلم ولفظ مسلم فـاذا جـاء يسـخرها فوضعـها منخرقة تجاوزها فأصلحها وأما قتله الغلام فلعله كان في تلـك الشريعـة وأمـا إقامـة الجدار فمن باب مقابلة الإساءة بالاحسان (فتـح البـاري ٢٣٢/١).

فالولي هو العارف بالله تعالى وصفاتـه حسـب مـا يمكـن المواظـب علـى

الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللـــذات والشـــهوات (شـــرح العقائد ١٠٥).

إن ابا يزيد البسطامي ﷺ قال ذات يوم لبعض أصحابه قـــم بنـــا حـــتى ننظـــر إلى هذا الرجل الذي شـــهّر نفســـه بالولايـــة وكـــان الرجـــل في ناحيتـــه مقصـــودا ومشهورا بالزهد والعبادة ومضينا اليه فلما خرج مـــن بيتـــه ودخـــل المســـجد رمـــي بصـاقه تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه قال هذا غـــير مـــأمون علـــى أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكـــون مأمونـــا علـــى مـــا يدعيـــه (رسالة القشيري وهامش احيـــاء).

وصحب تلميذ شيخا فرآه يوما قد زني بـــامرأة فلـــم يتغـــير مـــن خدمتـــه ولا اخل في شيئ من مرسومات شيخه ولا ظهر لـــــه نقـــص في احترامـــه وقـــد عـــرف الشيخ أنه رآه فقال له يوما يا بني عرفت أنك رأيتـــــني حـــين فـــقت بتلـــك المـــرأة وكنت أنتظر نفارك عني من أجل ذلك فقال التلميذ يـــا ســـيدي الانســـان معـــترض لمجاري أقدار الله وإني من الوقت الذي دخلت إلى خدمتك مـــا دخلـــت علـــى أنـــك معصوم وانما خدمتك على أنك عارف بطريـــق الله عـــارف بكيفيـــة الســـلوك عليـــه الذي هو طلبي وكونك تعصى أولا تعصى شيئ بينك وبين الله عـــز وجـــل فقـــال لـــه الشيخ وفقت وسددت وبرع ذلك التلميذ بعد ذلـــك (شـــرح رائيـــة ٤٥).

وقولُ القشيري من شرط الولي الحفظ كمـــا ان مـــن شـــرط النـــبي العصمـــة فكل من للشرع عليه اعتراض مغرور مخادع مراده انه اذا وقـــع منـــه مخـــالف علـــى الندرة بادر للتنصل منه فورا لا انه يستحيل وقوع شيئ منـــه أصـــلا (تحفـــة ٩/٨٢).

واما قوله تعالى وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِـــينُ. فـــالمراد بـــاليقين المـــوت لان حصول اليقين بأمور الآخرة بالموت فبه تكون محسوســـة وقبـــل المـــوت لا تكـــون الا ظنا. قال روح البيان أي إلى الأ بـــد وذلـــك ان حقيقـــة اليقـــين المعرفـــة ولا نهايـــة لمقامات المعرفة فكما ان الواصل إلى مقام من مقامات المعرفة يأتيه يقـــين بذلـــك المقـــام في المعرفة كذلك يأتيه شك بمعرفة مقام آخر في المعرفـــة فيحتـــاج إلى يقـــين آخـــر في

إزالة هذا الشك إلى ما لا يتناهي فثبت أن اليقين ههنا إشارة إلى الأبد (روح البيان ٤/٤٩٤). فالعبادة لازمة إلى الأبد عند روح البيان فما قال في عبارة أخرى ولا صلاة في المقام السابع لأنه مقام الفناء الخ. فمراده لا صلاة مخصوصة في المقام السابع كما كانت في المقامات قبله من حيث الخشوع والخضوع.

قال ابن حجر العسقلاني ان الذي استقر عند العامة ان خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى وهو غلط ممن يقوله فان الخارق قد يظهر على يد المبطل من كاهن وساحر وراهب فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق وأولى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك فان كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا (فتح الباري ٣٧٣/٧).

قال الجنيد لو رأيت الرجل يمشى على الماء أو في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي (حاشية الزواجر لابن حجر ٥٦/٢). قال الشافعي رح اذا رأيتم الرجل يمشى على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة (ابن كثير ٧٨/١). قال صاحب ايقاظ الهمم وأما القائل بسقوط الفرائض فقد انسل من الدين كانسلال الشعرة من العجين ولا تسمع كلام من أخذ الحقائق من الكتب فعض يا أخي على هذا الأصل بالنواجد (ايقاظ الهمم ١٢٠).

شُرُوطُ الشَّيْخ

ومن شرط الشيخ العلم وإلا يكون على حد قوله صلى الله عليه وسلم إِتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسًا جُهَّالًا فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا. قال الشعراني في مقدمة منن الكبرى قد أجمع أشياخ الطريق على أنه لا يجوز لأحد التصدر لتربية المريدين إلا بعد تبحره في الشريعة وآلاتها كما دل عليه السادة الشاذلية فكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رح وسيدي أبو العباس المريسي وسيد ياقوت العرش والشيخ تاج الدين بن عطاء الله لا يدخلون أحدا في الطريق إلا بعد تبحره في علوم الشريعة بحيث يقطع العلماء في مجالس المناظرة بالحجج الواضحة فان لم يتبحر كذلك لا يأخذون عليه العهد أبدا وهذا الأمر قد صار أهله في هذا الزمان أعز من الكبريت الأحمر. فعلم أن كل من لم يسلك الطريق على هذه القواعد لا يقدر على التخلق بشيء من أخلاق هذا الكتاب وقد قالوا من ضيع الأصول حرم الوصول (كفاية الاتقياء ومنهاج الأصفياء شرح الأذكياء للسيد البكري).

أَلسِّلْسِلَةُ وَالشَّاهِدُ

وان لم يكن الشيخ هكذا فيحتاج في جميع أقواله وأفعاله إلى النقل والى تصحيحه من شيخ أخر الذي يجتمع فيه الشروط.

قال الغزالي رحمه الله: وشرط الشيخ الذي يصلح للتربية أن يكون عالما وليس كل عالم يصلح للإرشاد وإني أبين لك بعض علاماته على سبيل الإجمال حتى لا يدعي كل عالم أنه مرشد فنقول من يعرض عن حب الدنيا وحب الجاه وكان قد تابع شخصا بصيرا يتسلسل. بمتابعته إلى سيد المرسلين وكان محسنا لرياضة نفسه من قلة الأكل والنوم والقول وكثرة الصلاة والصدقة والصوم وكان بمتابعة الشيخ البصير جاعلا محاسن الا خلاق له سيرة كالصبر والشكر والتوكل واليقين والسخاوة والقناعة

وطماً نينة النفس والحلـــم والتواضـــع والعلـــم والصـــدق والحيـــاء والوفـــاء والوقار والسكون والتأني وأمثالها وكان يقتبس نورا من أنـــوار النـــبي ﷺ وقـــد كانت الأخلاق الذميمة في ذلك النور مغمورة من الكـــبير والبخـــل والحســـد والحقد والحرص وطول الأمل وكان مستغنيا عن علـــم غـــيره إلا عـــن علـــم النبي صلى الله عليه وسلم فهذه بعض علامات الشيخ المرشـــد الـــذي يصلـــح أن يكون نائبا عن رسول الله ﷺ ويصلح الإقتداء به فهو ذونـــور مـــن أنـــوار النبي ﷺ لكن وجود مثله نادرأعز من الكبـريت الأحمـــر (كتـــاب رســـالة أيـــها الولد للغـــزالي رح ١٦-١٧).

إِرْتَفَعَتِ التَّرْبِيَةُ

قال الشيخ الزروق رح في قواعـــده نقـــلا عـــن الحضرمـــي ارتفعـــت التربية بالاصطلاح في سنة أربع وعشرين وثمانمأة ٨٢٤ فلـــم يـــبق الا الإفـــادة بالهمة والحال فعليكم بالكتاب والســـنة مـــن غـــير زيـــادة ونقصـــان إنتـــهى. وكثر هذا الأمر في الأعصار التي أدركـــها الشيـــخ زروق وأدركـــها شيوخـــه فظهر لهم من النصيحة لله ورسوله أن يشـــيروا علـــى النـــاس بـــالرجوع عـــن هذه التربية التي كثر فيها المبطلون وأن يقفوا بالنـــاس في ســـاحة الأمـــن الـــتي لا خوف فيها ولا حزن وهي اتباع الســـنة والكتـــاب الذيـــن لا يضـــل مـــن اهتدى بهما فكلامهم خرج مخرج النصيحة والاحتيـــاط ولم يريـــدوا الانقطـــاع رأسا لتربية الحقيقة وحاشاهم من ذلك فان دور النبي صلـــى الله عليـــه وســـلم باق وخيره شامل وبركته عامة إلى يوم القيمـــة (ابريـــز ٢٠٧-٢٠٨).

قال الإمام القشـــيري رح في صـــدر رســـالته ان المحققـــين مـــن هـــذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا هـــذا مـــن هـــذه الطائفـــة إلا أثرهـــم حصلت الفترة في هذه الطريقة لابـــل اندرســـت الطريقـــة في الحقيقـــة مضـــى الشيوخ الذين كانوا بهم اهتداء وقـــل الشبـــان الذيـــن كـــان لهـــم بســـيرتهم وسنتهم اهتداء.

قال الشالياتي ارتفاع التربية ليس لعدم الشيوخ الكمل المربين بل لتسترهم وتركهم التربية لما رأوا كثرة المتشائخين الكاذبين فاشتغلوا بخاصة أنفسهم حتى لو وجدهم وطلب البيعة منهم لا يبايعون الا بيعة التبرك والتوبة وتلقين بعض الأذكار. من فتاوى الشالياتي.

حذر الناصحون المحققون عن دخول طرق متصوفة هذا الزمان وحضوا على التمسك بالكتاب والسنة بطريق الإ لقاء والتلقي وطلب الفتح من الله وقالوا إن الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تقوم مقام الشيخ المربي عند عدم وجوده (أقرب الطرق الى الحق ٧).

قال ابن حجر. ويجب على من لم يرزق قلبا سليما أن يتعلم أدوية أمراض القلب من كبر وعجب ورياء ونحوها كما يجب لكن كفاية تعلم علم الطب (تحفة المحتاج ٣١٤/٨).

أَلْأَبْدَالُ وَالْمَجَاذِيبُ

قال الله تعالى فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هٰذَا بَشَرًا إِنْ هٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (سورة يوسف) المجذوب من جذبه الله من الظلمات إلى النور. وأنقذه من الغفلة إلى اليقظة ونقله من مقام المجاهدة إلى مقام المشاهدة (مسائل الطريقة في علم الحقيقة لعز بن عبد السلام) وله علامات يتميز بها بين ما كان منه عن جذب حقيقي وبين ما كان عن تلاعب وتلبيس على الناس وقد قالوا إن المجذوب إذا كان بعد الصحو يوجد معرضا عن الدنيا وأهلها مقبلا على ذكر الله وعبادته وهذا جذبه حقيقي (زاد المسلم ٣٨٥/٢).

قال الشعراني فان قلت فما حكم البهاليل والمجاذيب كما قاله الشيخ في باب السادس والعشرين ومائتين ان كل من سلب عقله كالبهاليل والمجانين والمجاذيب لا يطالب بأدب من الآداب بخلاف ثابت العقل فانه يجب عليه معانقة الأدب والفرق أن من سلب عقله من هؤلاء

حكمه عند الله حكم من مات في حالة شهود ونعت استقامة لأن ذهاب عقله انما هو من أمر طرأ عليه من قِبَلِ الحق تعالى وضعف عن حمله فذهب عقله مع الذاهبين وصار حكمه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم طبيعة من أكل وشرب ونكاح وكلام من غير مؤاخذة ومطالبة بذلك عند الله تعالى مع وجود الكشف وبقائه عليه كما يكشف الحيوان أحوال الموتى على النعش وفي القبر انتهى (اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للإمام العارف عبد الوهاب الشعراني ١٣٦).

قال ابن حجر قيل سميت الأبدال أبدا لا لأنهم قد يرحلون لمكان ويخلفون في مكانهم الأول شبحا آخر شبيها بشبحهم الأصلي بدلا عنه وقد أثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالمي الأجساد والأرواح سموه عالم المثال وقالوا هو ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح وبنوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة في عالم المثال وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى" فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا" فتكون الروح الواحد كروح جبريل مثلا في وقت واحد مدبرا لشبحه الأصلي ولهذا الشبح المثالي الخ (فتاوى الحديثية ٤٧).



أَلْوَلِيُّ

قال الله تعالى : أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (يونس ٦٢).

عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ : مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وفي رواية وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ (بخاري - رياض ٢٠). وعن أبي هريرة ﷺ قال قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ (مسلم ٣٢٩/٢). قال عبد الله بن مسعود وابن عباس وغير واحد من السلف أَوْلِيَاءُ اللهِ: الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ وقد ورد هذا في حديث مرفوع كما قال البزار (ابن كثير ٤٢٢/٢).

قال الرازي الولي ما هو ؟ ههنا وجهان، الأول: ان يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير فيكون معناه من توالت طاعاته من غير تخلل معصية. الثاني، ان يكون فعيلا بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول ومجروح، وهو الذي يتولي الحق سبحانه وتعالى حفظه وحراسته على التوالي عن كل أنواع المعاصي، ويديم توفيقه على الطاعات، أقول: الولي هو القريب في اللغة، فإذا كان العبد قريبا من حضرة الله بسبب كثرة طاعاته وكثرة إخلاصه وكان الرب قريبا منه برحمته وفضله وإحسانه فهناك حصلت الولاية (رازي ٨٤،٧٥/٢١). الولاية على قسمين: قال الشيخ اسماعيل لحقى البروسوى إعلم أن الولاية على قسمين عامة: وهي مشتركة بين جميع المؤمنين كما قال الله تعالى، اللهُ وَلِيُّ

اَلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وخاصة، وهي مختصة بالواصلين إلى الله من أهل السلوك (روح البيان ٥٦٢). الولاية ليست كسبية، لكن ظهورها تدريجا مع مكابدة مشقات الأحكام المخالف لهوى النفس والرسوخ في الأعمال، ويتفاوت مراتبهم بحسب مجاهداتهم والمراتب غير متناهية، فبمجرد الأذكار والأوراد فقط لا يكون أحد وليا ولا يكون مقربا بدون العمل بما علم من الشرائع مثل الصلاة والصوم ولا يكون شيخا مرشدا في الحقيقة:

قال الامام القشيري: واعلم أن مدار الأمر كله في الوصول إلى الله الاستقامة والعمل على منهاج الشريعة مع الإقتداء والمتابعة للنبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح من أمته وكل من عليه اعتراض فهو ممكور به مخادع اهـ. "سئل" ابن حجر: هل أصحاب الكرامات من الأولياء أفضل ممن لا يظهر على يده كرامة ظاهرة ؟ فأجاب: بقوله ليس ذو الكرامات أفضل من غيرهم على الإطلاق، بل قد تنبئ الكرامة عن ضعف يقين أو همة فتعجل لمن أريد به عناية حتى يزول عنه كل من ذينك أو أحدهما بل تقع الكرامة لمحب أو زاهد ولا تقع لعارف، مع ان المعرفة أفضل من المحبة عند الأكثرين، وأفضل من الزهد عند الكل لأن الزهد من أوائل المقامات والمحبة أول الأحوال الناشئة عن مجاوزة المقامات (فتاوى الحديثية ٢٦٤).

قال الله تعالى "وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (الواقعة). فالمؤمنون على نوعين أصحاب يمين ومقربون كما بينه قول النبي ﷺ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ الخ فالأبرار أصحاب اليمين هم المقربون إليه بالفرائض يفعلون ما

أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات فأحبهم الرب حبا تاما، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ الخ. قال الله تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا (فاطر). لا يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله الولي إلا إذا وافق الشرع، كان عمر محدثا ومع ذلك كان يعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول فاذا خالفه رجع عنه.

من احتج بقصة موسى مع الخضر كان غالطا من وجهين أحدهما أن موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر ولا كان على الخضر اتباعه فإن موسى كان مبعوثا إلى بني اسرائيل وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين ولو أدركه من هو أفضل من الخضر كابراهيم وموسى وجب عليهم اتباعه. فكيف بالخضر سواء كان نبيا أو وليا ولهذا قال خضر لموسى أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا. الثاني: ما فعله الخضر لم يكن مخالفا لشريعة موسى وموسى لم يكن له علم الأسباب التي تبيح ذلك فلما بينها له وافقه على ذلك فان خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفا من الظالم أن يأخذها إحسان إليهم وقتل الصائل جائز وان كان صغيرا ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع إلا بقتله جاز قتله قال ابن عباس لنجدة الحروري لما سأله عن قتل الغلمان قال له ان كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم وإلا فلا تقتلهم رواه

البخاري، فلم يكن شيئ من ذلك مخالفا للشرع.

الكرامة عند ابن تيمية

يقول ابن تيمية نفسه: وكرامة الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدا، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين،وكان سلمان وأبوا لدرداء يأكلان في صحفة، فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها، وعباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة فأضاء لهما نور مثل طرف السوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما رواه البخاري وقصة الصديق في الصحيحين لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلاربا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر اليها أبو بكر وامرأته فاذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله ﷺ وجاء اليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا.

وخبيب بن عدي كان أسيرا عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى، وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة، وعامر بن فهيرة قتل شهيدا فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، وكان لما قتل رفع فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع، وقال عروة: فيرون الملائكة رفعته، وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولاماء فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حسا على رأسها فرفعته فاذا دلو معلق فشربت منه حتى رويت، وما عطشت بقية عمرها، وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه مولى رسول الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده، البراء بن مالك كان اذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه، وكان الحرب اذا اشتد على المسلمين في الجهاد

يقولون: يا براء اقسم على ربك، فيقول يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم، فيهزم العدو، فلما كان يوم القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدا. وخالد بن الوليد حاصر حصنا منيعا، فقالوا لا نسلم حتى تشرب السم فشربه فلم يضره، وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة، مادعا قط إلا استجيب له، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق، وعمر بن الخطاب لما ارسل جيشا أمرعليهم رجلا يسمى سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقدم رسول الجيش، فسأله فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدوا فهزمونا فاذا بصائح: يا سارية الجبل يا سارية الجبل فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله ولما عذبت الزبيرة على الإسلام في الله فأبت إلا الإسلام وذهب بصرها قال المشركون: أصاب بصرها اللات والعزي، قالت كلا والله، فرد الله عليها بصرها، ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت عليه، فقال: اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في أرضها فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت.

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وكان يقول في دعائه يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم، فيستجاب له، ودعا الله بان يسقوا ويتوضئوا لما عدموا الماء والاسقاء لما بعدهم فأُجِيبَ ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يروا جسده اذا مات فلم يجدوه في اللحد وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني الذي ألقى في النار، فانه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة وهي ترمى بالخشب من مدها، ثم التفت إلى أصحابه فقال: تفقدون من متاعكم

شيأ حتى ادعو الله تعالى فيه؟ فقال بعضهم، لقدت مخلاة فقال: ابتغي، فتبعه فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها. وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له. أتشهد أني رسول الله ؟ قال: ما أسمع، قال اتشهد أن محمدا رسول الله ﷺ قال نعم فأمر بنار فألقى فيها فوجدوها قائما يصلي فيها وقد صارت عليه برد او سلاما وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق ﷺ وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله ووضعت له جاريته السم في طعامه فلم يضره. وخببت امرأة عليه زوجته فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت فدعا لها فرد الله عليها بصرها، وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه ما يلقاه سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد،ثم يجيئ إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها ومر بقافلة قد حبسهم الأسد فجاء حتى مس بثيابه الأسد ثم وضع رجله على عنقه وقال: انما أنت كلب من كلاب الرحمن واني أستحيي من الله أن أخاف شيأ غيره، ومرت القافلة ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء فكان يأتى بالماء له بخار.

ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة فلم يقدر عليه. وتغيب الحسن البصرى عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات، فدعا الله عز وجل فلم يروه. ودعا على بعض الخوارج كان يؤذيه فخر ميتا. وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو فقال اللهم لا تجعل لمخلوق على منة، ودعا الله عز وجل فأحيى له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال يا بني خذ سرج الفرس فانه عارية فأخذ سرجه فمات الفرس، وجاع مرة بالاهواز، فدعا الله عز وجل واستطعمه فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير فأكل التمر وبقي الثوب عند زوجته زمانا وجاءه الأسد وهو يصلي في غيضة بالليل فلما سلم قال له أطلب

الرزق من غير هذا الموضع، فولى الأسد وله زئير، وكان سعيد بن المسيب في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله ﷺ في أوقات الصلاة وكان المسجد قد خلا فلم يبق غيره، ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق فقال له أصحابه هلم نتوزع متاعك على رحالنا فقال لهم أمهلوني هنيهة، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا له حماره فحمل عليه متاعه، ولما مات أويس القرني وجدوا في ثيابه أكفانا لم تكن معه قبل ووجدوا له قبرا محفورا فيه لحد في صخرة فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الأثواب، وكان عمر وبن عقبة ابن فرقد يصلي يوما في شدة الحر فأظلته غمامة، وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه، لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو انه يخدمهم، وكان مطرف بن عبد الله ابن الشخير اذا دخل بيته سبحت معه آنيته وكان هو وصاحب له يَتَسِيرانِ في ظلمة فأضاء لهما طرف السوط ولما مات الأحنف بن قيس وقعت قلنسوة رجل في قبره فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر.

وكان ابراهيم التيمي يقيم الشهرين لا يأكل يشأ، وخرج يمتار لأهله طعاما فلم يقدر عليه فمر بسهلة حمراء فأخذ منها ثم رجع إلى أهله ففتحها فاذا هي حنطة حمراء، فكان اذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حبا متراكبا، وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال. صوتا حسنا. ودمعا غزيرا، وطعاما من غير تكلف، فكان اذا قرأ بكى وأبكى، ودموعه جارية دهره،وكان يأوى إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه، وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج، فسأل ربه ان يطلق له أعضاءه وقت الوضوء، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده، وهذا باب واسع، وقد بسط الكلام على كرامات الاولياء في غير هذا الموضع وأماما نعرفه نحن عيانا ونعرفه في هذا الزمان فكثير.

ومما ينبغي أن يعـــرف أن الكرامــات قــد تكــون بحســب حاجــة الرجل، فاذا احتاج اليها الضعيف الايمان والمحتــاج أتــاه منــها مــا يقــوى ايمانه ويسد حاجته، ويكون من هو اكمـــل ولايــة لله منــه مســتغنيا عــن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجتـــه وغنــاه عنــها، لا لنقــص ولايتــه، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منــــها في الصحابــة، بخــلاف مــن تجرى على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم فــهؤلاء أعظــم درجــة.

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابـــن تيميــة (٦٦-٦٩).

اَلشَّفَاعَةُ وَالْإِسْتِشْفَاعُ

الشفاعة إلى الله هو الدعاء المخصوص من المقرب إليه للغير والاستشفاع طلب الشفاعة. قال الفخر الرازي:قال مقاتل الشفاعة إلى الله إنما تكون بالدعاء(رازي ١٠٢٠٧) وقال في موضع آخر: الشفاعة أن يستوهب أحد لأحد شيئا ويطلب له حاجة(رازي ٥٥/٣).

قال اسمعيل البروسوي: وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى رتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة يوم القيمة.(روح البياي ١١٧/٨).

ويدل على أن الشفاعة إلى الله هو بالدعاء قوله ﷺ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ (بخاري ٩٣٢/٢ كتاب الدعوات)

والشفاعة المذكورة ثابتة للرسل والأخيار قال الله تعالى: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (الأنبياء ٢٨).

وقال تعالى يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (طه ١٠٩).

وقال تعالى: وَ لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (الزخرف ٨٦).

وقال أيضا: مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (البقرة ٢٥٥)

قال الرازي: أجمعت الأمة على أن لمحمد ﷺ شفاعة في الآخرة وحمل على ذلك قوله تعالى {عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} وقوله تعالى {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ } (رازي ٥٥/٣).

قال النووي رحمه الله: الشفاعة خمسة أقسام أولها مختصة بنبينا ﷺ وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب. والثانية في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضا وردت لنبينا ﷺ .والثالثة الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء الله. والرابعة فيمن دخل

النار من المذنبين هي لنبينا ﷺ والملئكة وإخوانهم من المؤمنين. والخامسة الشفاعة في زيادة الدرجات (ملخص من شرح مسلم (١/١٠٤). وكذا في فتح الباري نقلا عن النووي ٣٥٩/١١) وكذا أيضا في القرطبي (٣٠٩/١٠).

قال ﷺ :فَأَسْتَأْذِنُ عَلىٰ رَبِّي فِي دَارِهِ[١] فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي فَيَقُولُ اِرْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ تُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَه (متفق عليه مشكوة ٤٨٨).

وقال ﷺ : ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ (متفق عليه مشكوة ٤٨٨).

وقال ﷺ مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اَللّٰهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيٰمَةِ (بخاري ٨٦ كتاب الأذان).

وقال ﷺ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ (بخاري ٢٠/١ باب الحرص على الحديث).

قال القاضي عياض: فقد اجتمع من اختلاف هذه الآثار (الأخبار المنقولة عن الأخيار) أن شفاعته ﷺ ومقامه المحمود من أول الشفاعات وهو الشفاعة العظمى لفصل القضاء إلى آخرها وهو إخراج المؤمنين من النار. (الشفاء ٤٧٦/١).

ويدل على أن الشفاعة ثابتة لسائر الأخيار من الملئكة والصالحين قوله تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا إلخ (المؤمن ٧).

قال الرازي في تفسير هذه الآية : "وهذا يدل على أنهم (الملئكة)

---

[١] المراد المقام الخالص الذي لا يدخله أحد غيره يرفع فيه الحجاب كان من حق الشفيع أن يقوم مقام الكرامة لتقع الشفاعة موقعها.

يستغفرون لكل أهل الإيمان.... وإذا ثبت هذا في حق الملئكة فكذلك الأنبياء لانعقاد الاجماع على أنه لا فرق (رازي ٣٤/٢٧).

وقوله تعالى: يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (الدخان ٤١،٤٢).

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: أي لا يغني قريب عن قريب إلا المؤمنين فإنه يأذن لهم في شفاعة بعضهم لبعض (قرطبي ١٤٨/١٦).

وقوله ﷺ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً[٢] فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا فَيَقُولُ اللَّهُ شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. متفق عليه (مشكوة ٤٩٠).

وقال ﷺ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ رواه الترمذي والدارمي وابن ماجه (مشكوة ٤٩٤).

وقال ﷺ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ رواه ابن ماجه (مشكوة ٤٩٥).

قال سعد الدين: الشفاعة ثابتة للرسل والأخيار في حق أهل الكبائر.(شرح العقائد ١٢٢).

قال القرطبي: تظاهرت الأخبار بأن أهل الفضل والعلم والصلاح

---

[٢] أي مطالبة وجملة قد تبين لكم صفة الحق وقوله من المؤمنين متعلق بـأشد وقوله لله متعلق بمناشدة.

يشفعون فيشفعون.(قرطـــبي ١١/١٥٤).

[٣]وليست الشفاعة الالزام على الله كإلزام الوزير على الملك قــــال تعــالى: مَــن ذَا

---

[٣] قال ابن تيمية: كانوا يتخذون آلهتهم وسائط تقربهــــم إلى الله زلفــي وتشفــع لهــم كمــا قــال تعالى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونــــا إلى الله زلفــى ٣٩:٤) وقــال تعــالى: (٣٩:٤٣،٤٤ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكــــون شيئــا ولا يعقلــون قــل لله الشفاعة جميعا له ملك الســــموات والأرض).

وقال تعالى: (١٠:٨ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعـــــهم ويقولـــون هـــؤلاء شفعائنــا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلـــــم في الســــماوات ولا في الأرض.)

وقال تعالى: عن صاحب يس: (٣٦: ٢٢ـــ ٢٥ وما لي لا أعبد الـــذي فطـــرني وإليـــه ترجعـــون، أاتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغـــن عـــني شفاعتـــهم شيئــا ولا ينقـــذون، إني إذا لفـــي ضلال مبين، إني آمنت بربكم فـــاسمعون).

وقال تعالى: (٦: ٩٤ وأنذر به الذين يخافون الذين أن يحشـــروا إلى ربهـــم ليـــس لهـــم مـــن دونـــه ولي ولا شفيع لعلهم يتقـــون)

وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فـــرق: طرفـــان ووســـط فـــالمشركون ومـــن وافقـــهم مـــن مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الأمة اثبتوا الشفاعة الـــتي نفاهــا القــرآن.

والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته. بـــل أنكـــر طائفـــة مـــن أهـــل البدع انتفاع الإنسان بشفاعة غيره ودعائه كمــــا أنكـــروا انتفاعـــه بصـدقـــة غـــيره وصيامـــه عنـــه وأنكروا الشفاعة بقوله تعالى: ٢: ٢٥٤ من قبل أن يـــأتي يـــوم لا بيـــع فيـــه ولا خلـــة ولا شفاعـــة) وبقوله تعالى: (٤٠: ١٨ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطـــاع) وغـــير ذلـــك.

وأما سلف الأمة وائمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة فأثبتوا مـــا جـــاءت بـــه الســـنة عـــن النبي ﷺ من شفاعته لأهل الكبائر من أمته وغير ذلـــك مـــن أنـــواع شفاعتـــه وشفاعـــة غـــيره مـــن الأنبياء والملائكة وقالوا: انه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد وأقـــــروا مـــا جـــاءت بـــه الســـنة من انتفاع الإنسان بدعاء غيره وشفاعته والصدقة عنه بـــل والصـــوم عنـــه في أصـــح قـــولي العلمـــاء كما ثبتت به السنة الصحيحة الصريحة. وقـــالوا: إن الشفيـــع يطلـــب مـــن الله ويســـأله ولا تنفـــع الشفاعة عنده إلا بإذنه قال تعالى (٢: ٢٥٥ من ذا الذي يشفـــع عنـــده إلا بإذنـــه) وقـــال تعـــالى: (٢١: ٢٨ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال: (٥٣: ٢٦ وكم مـــن ملـــك في الســـموات لا تغـــن شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشـــاء ويرضـــى).

وقد ثبت في الصحيح: أن سيد الشفعاء ﷺ إذا طلبت منه الشفاعة بعد أن تطلب من آدم وأولي العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى فيردونها إلى محمد ﷺ العبد الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: قال: فأذهب إلى ربي فإذا رأيته خررت له ساجدا فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الحال فيقول: أي محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: رب أمتي، رب أمتي فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة.

وقال تعالى: (١٧: ٥٦، ٥٧ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا).

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون العزير والمسيح والملائكة فأنزل هذه الآية وقد أخبر فيها: إن هؤلاء المسؤلين كانوا يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه.

وقد ثبت في الصحيح أن أبا هريرة قال: يا رسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: يا أبا هريرة لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله يبتغي به وجه الله.

فلما كان الرجل أتم اخلاصا لله كان أحق بالشفاعة. وأما من علق قلبه بأحد من المخلوقين يرجوه ويخافه فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة.

فشفاعة المخلوق عند المخلوق بإعانة الشافع للمشفوع له بغير إذن المشفوع عنده بل يشفع إما لحاجة المشفوع عنده إليه وإما لخوفه منه فيحتاج أن يقبل شفاعته عنده والله تعالى غني عن العالمين وهو وحده سبحانه يدبر العالمين كلهم فما من شفيع إلا من بعد إذنه فهو الذي يأذن للشفيع في الشفاعة وهو يقبل شفاعته كما يلهم الداعي الدعاء ثم يجيب دعاءه فالأمر كله له.

فإذا كان العبد يرجو شفيعا من المخلوقين فقد لا يختار ذلك الشفيع أن يشفع له وان اختار فقد لا يأذن الله له في الشفاعة ولا يقبل شفاعته

وأفضل الخلق محمد ﷺ ثم إبراهيم وقد امتنع النبي ﷺ أن يستغفر لعمه أبي طالب بعد أن قال: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) وقد صلى على المنافقين ودعا لهم فقيل له(٩: ٨٤ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) وقال الله له أولا: (٩: ٨٠ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) فقال: لو أعلم أني لو زدت على السبعين يغفر لهم لزدت فأنزل الله (٦: ٦٣ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) وقال تعالى: (١١:

٧٤ــ٧٦ فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط. إن إبراهيم لحليم أواه منيب، يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود).

ولا استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه بعد وعده بقوله (١٤: ٤١ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) قال تعالى: (٦٠: ٤ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم: إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) وقال تعالى: (٩: ١١٣،١١٤ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) إقتضاء ٤٤٥

أقول: يرد ما قاله الأحاديث الصحيحة في الشفاعة التي رواها البخاري ومسلم وغيرهما منها ما سيأتي أنه ﷺ قال يحبس المؤمنون يوم القيمة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم .....إلخ، وما روى عن أنس أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يغيثنا إلى آخر الحديث(بخاري ١/١٣٨) وأخرج البيهقي أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فأنشد يقول:

أتيناك والعذ راء تدمي لبانها	وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقي بكفيه الفتى استكانة	من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلى
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا	سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا	وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه فقال اللهم اسقنا غيثا ...إلخ (فتح الباري ٢/ ٤٩٥)

ففي أمثال هذه تعليق القلب بالمخلوقين ورجاء الشفاعة منهم وأما قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعائنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون (يونس) وقوله تعالى: قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم. سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ما اتخذ

الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون. (المؤمنون) وقوله تعالى ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون. إن الله لا يهدي من هو كَذِبٌ كفار. لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار. (الزمر) فتقدم في أواخر التوحيد والشرك نقلا عن الدر المنثور أنها نزلت في ثلثة أُحياء من العرب عامر وكنانة وبني سلمة كانوا يعبدون الأوثان ويقولون الملائكة بناته وقالوا إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى. (الدر المنثور ٧/ ٦١١).

قالوا إن الله خطب إلى سادات الجن وزوجوه من سروات بناتهم قال مجاهد قال كفار قريش الملئكة بنات الله وأمهاتهم بنات سروات الجن. (بخاري ١/ ٤٦٥) باب ذكر الجن فالقائلون بما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعائنا عند الله هم القائلون بأن الملئكة بنات الله كما يدل عليه الآية المتصلة به في ردهم وهي لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق وما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله فمن قال واعتقد أن الله هو الخالق للسموات والأرض وبيده ملكوت كل شيء واعتقد مع ذلك أن الملئكة بنات الله يقربون إلى الله بشفاعتهم وعبادتهم ودعائهم باعتبار أنهم شفعاء يكون مشركا قطعا. لأنه اعتقد ودعا آلهة من دون الله وهم البنات، ويكون لهم الاستقلال ويصح أن يقال فيهن ولعلا بعضهم على بعض وأما من اعتقد وقال إن الملئكة عباد الله مقربون إلى الله لا يعصون الله ما أمرهم وهم قوة غير عادية بإذن الله تعالى وإرادته ويشفعون عند الله كما تقدم في الأحاديث الصحيحة التي رواها البخاري والمسلم وغيرهما ولم يتخذ الله ولدا وليس من دونه إله يكون موحدا مسلما ومن اعتقد أن الملئكة عباد الله لا يشفعون عند الله يكون منكرا بما دل عليه الآية يقول تعالى: وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحنه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون. (أنبياء) ويكون أيضا منكرا بالأحاديث الصحيحة كما تقدم والفرق ظاهر فإن شفاعة البنات الأب تكون على الاستقلال فإن لم يسمع الأب ما تقوله البنات فقد يعارضنه ويغلبنه ويصح أن يقال ولعلا بعضهم على بعض ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا

ولهذا ردهم الله بعد حكاية قولهم إن الله خالق الجميع وبيده ملكوت كل شيء بما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض. وَلَوْ أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار. لأن بنات الله تكون

الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ. (البقرة ٢٥٥) قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي إياه والشفاعة لمن يشفع له من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي. (ابن جرير ٧/٣).

قال ابن كثير أخبر (أي الله) إن الملئكة التي في السموات من الملئكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه {فلا تضربوا لله الأمثال} تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (ابن كثير ٤٦/٤).

قال إسمعيل البروسوي: الشفاعة المنفية يوم القيمة هي التي يستقل فيها الشفيع ويأتي بها وإن لم يؤذن له فيها. (روح البيان ٣٩٦/١).

وليست الشفاعة من الأخيار بعد الإشارة من الله إلى من شاء من أهل النار وأمرهم بإدخالهم الجنة تعظيما للشافعين كما يدل عليه قوله ﷺ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ إلخ (بخاري ١١٠٧/٢، مسلم ١٠٣، مشكوة ٤٩٠).

قال الرازي اختلفوا أن شفاعته عليه السلام لمن تكون أتكون للمؤمنين المستحقين للثواب أم تكون لأهل الكبائر المستحقين للعذاب فذهبت المعتزلة على أنها للمستحقين للثواب وتأثير الشفاعة في أن تحصل زيادة من المنافع على قدر ما استحقوه وقال أصحابنا تأثيرها في إسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب (رازي ٥٦/٣).

ويدل على أن الشفاعة والاستشفاع ثابتة في الدنيا وفي الآخرة قوله تعالى

مستقلة قادرة على الخلق والإيجاد وإن كان الخالق بالفعل هو الأب فقط. ولو كان اعتقاد المشركين أن الملئكة عباد الله لا يقدرون على شيء إلا بإذن الله وإرادته فلا يجوز أن يقال في ردهم ما اتخذ الله من ولد لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى ولعلا بعضهم على بعضهم.

والحاصل أن الشفاعة المثبتة هي شفاعة عباد الله الصالحين والشفاعة المنفية هي شفاعة بنات الله وظاهر من الأدلة أن الشفاعة لا تنفع للكافرين بل لا يشفعون إلا لمن ارتضى.

{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا} (النساء ٦٤).

قال الرازي في تفسير هذه الآية: الهم إذا جاءوه فقد جاؤوا من خصه الله برسالته وأكرمه بوحيه وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فإن الله لا يرد شفاعته (رازي ١٠/١٦٢).

قال الإمام النووي رحمه الله ومن أحسن ما يقول (الزائر) ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العتبي مستحسنين له قال كنت جالسا عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم " إلخ وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثم انصرف فحملتني عيناي فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال يا عتبي إلحق الأعرابي فبشره بأن الله تعالى قد غفر له (شرح المهذب ٨\٢٧٤)

وقال النووي أيضا في الإيضاح بعد البيتين السابقين:

أَنْتَ الشَّفِيعُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ ... عَلَى الصِّرَاطِ إِذَا مَا زَلَّتِ الْقَدَمُ
وَصَاحِبَاكَ فَلَا أَنْسَاهُمَا أَبَدًا ... مِنِّي السَّلَامُ عَلَيْكُمْ مَا جَرَى الْقَلَمُ

(الإيضاح ٤٩٩).

وكذا أيضا في ابن كثير عبارته: يرشد الله تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى رسول الله ﷺ فيستغفر الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال "لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا" وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منثور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي(إلى آخر ما تقدم) ابن كثير ٥٢٠/١.

قَالَ ﷺ يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حَتّٰى يُهَمُّوا بِذٰلِكَ فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلىٰ رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلٰئِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ اِشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتّٰى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هٰذَا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا وَلٰكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ إِلىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلٰكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمٰنِ قَالَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ثَلٰثَ كَذِبَاتٍ كَذَبَهُنَّ وَلٰكِنِ ائْتُوا مُوسٰى عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرٰيةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسٰى فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَ النَّفْسِ وَلٰكِنِ ائْتُوا عِيسٰى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ قَالَ فَيَأْتُونَ عِيسٰى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلٰكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلٰى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي فَيَقُولُ اِرْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ تُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَه قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلٰى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ (متفق عليه، مشكوة ٤٨٨).

وقال ﷺ هُمُ (الذين يدخلون الجنة بغير حساب) الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَالَ عُكَاشَةُ ابْنُ مِحْصَنٍ أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: نَعَمْ (بخاري ٢/٨٥٠ كتاب الطب).

عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَذْكُرُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ الْمِنْبَرِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللهَ أَنْ يُغِيثَنَا (بخاري ١/١٣٧ كتاب الإستسقاء).

عن ربيعة بن كعب قَالَ كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَآتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي سَلْ فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ أَوَ غَيْرَ

ذٰلِكَ قُلْتُ هُوَ ذَاكَ قَالَ فَأَعِنِّي عَلٰى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ (مسلم ١/١٩٣ باب فضل السجود والحث عليه).

عن مسروق قال كنا عند عبد الله فقال إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَأٰى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا فَقَالَ اللّٰهُمَّ سَبْعًا كَسَبْعِ يُوسُفَ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ حَتّٰى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ وَالْجِيَفَ وَيَنْظُرُ أَحَدُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرٰى الدُّخَانَ مِنَ الْجُوعِ فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللهِ وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَادْعُ اللهَ لَهُمْ (بخاري ١/١٣٧ كتاب الاستسقاء).

عن أنس بن مالك قال سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَقَالَ أَنَا فَاعِلٌ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ قَالَ اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ قُلْتُ نَعَمْ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ قَالَ فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ قَالَ فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هٰذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ. (ترمذي ٢/٦٦ باب ما جاء في شأن الصراط).

وعن جبير بن مطعم قال أَتٰى رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ جَهِدَتِ الْأَنْفُسُ وَضَاعَتِ الْعِيَالُ وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ إلخ (أبو داود ٢/٦٥٠ باب في الجهمية).

وعن جابر بن سليم قال أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَرَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ فَقُلْتُ مَنْ هٰذَا؟ قَالُوا: هٰذَا رَسُولُ اللهِ قَالَ قُلْتُ عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللهِ مَرَّتَيْنِ قَالَ: لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ، عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ، قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ قُلْتُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَ أَنَا رَسُولُ اللهِ الَّذِي إِنْ أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ أَوْ فَلَاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ.(أبو داود، مشكوة ١٦٩، باب فضل الصدقة).

روى ابن ماجه حديث ضرير البصر فقال في دعائه: اَللّٰهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هٰذِهِ لِتُقْضٰى اللّٰهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ هٰذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ: ابن ماجه ٩٩ باب ما جاء في صلاة الحاجة).

روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار وكان خازن عمر قَالَ أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا فَأُتِيَ الرَّجُلُ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ ائْتِ عُمَرَ .....الحديث وقد روى سيف في الفتوح إِنَّ الَّذِي رَأَى الْمَنَامَ الْمَذْكُورَ هُوَ بِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ الْمُزَنِي أَحَدُ الصَّحَابَةِ.(فتح الباري ٢/٤٩٥) قال ابن سعد:وكان (أي مالك الدار) معروفا.(طبقات ابن سعد ٥/١٢).

قال ابن عبد البر: شعر سواد بن قارب إذ قدم على النبي ﷺ:

وَإِنَّكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةً ... إِلَى اللهِ يَابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَايِبِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ مِنْ وَحْيِ رَبِّنَا ... وَإِنْ كَانَ فِيمَا جِئْتَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ ... بِمُغْنٍ فَتِيلًا عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

الاستيعاب ـ ذيل الإصابة (٢٩٦/٣) وكذا أيضا في الإصابة للحافظ ابن حجر (٢٩٤/٤). قال فيه أخرجها ابن شاهين وحسن بن سفيان والبخاري في تاريخه والبغوي والطبراني وأبو يعلى والحاكم والبيهقي في الدلائل: ملخص من الإصابة (٢٩٤/٤،٢٩٥).

وكذا أيضا في ابن كثير وفيه بعد الأبيات المذكورة قال (سواد) فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَقَالَ لِي أَفْلَحْتَ يَا سَوَادُ (ابن كثير ١٦٩/٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: أخرج الطبراني والفاكهي في كتاب مكة والبيهقي في الدلائل وابن قانع عن عبد الله العماني قال إن مازن بن الغضوبة أنشد رسول الله ﷺ

إِلَيْكَ رَسُولَ اللهِ خَبَّتْ مَطِيَّتِي تَجُوبُ الْفَيَافِي مِنْ عُمَانَ إِلَى الْعَرْجِ
تَشْفَعُ لِي يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَا فَيَغْفِرُ لِي رَبِّي فَأَرْجِعُ بِالْفَلْجِ

وذكره الشاطبي في الحطامي (الإصابة ٩/٣٠).

قال الصاوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى{ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} في الحديث حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ...إلخ فدعاء رسول الله ﷺ حاصل في حياته وبعد موته ولا عبرة بمن ضل وزاغ عن الحق وخالف في ذلك (صاوي ١٦٧/٢)

روى ابن سعد أنه شهد عبد الله بن سهيل بن عمرو أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وشهد اليمامة وقتل بها شهيدا .... فلما حج أبو بكر ﷺ في خلافته أتاه سهيل ابن عمرو بمكة فعزاه أبو بكر بعبد الله فقال سهيل لقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال يشفع الشهيد لسبعين من أهله فأنا أرجو أن لا يبدأ ابني بأحد قبلي(طبقات ابن سعد ٤٠٦/٣).

قال النووي رحمه الله: ثم يرجع (الزائر) إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه تعالى.(شرح المهذب ٢٧٤/٨) وكذا أيضا في النهاية(٣١٠/٣) ومحلى ١٢٦/٢٠)، قال النووي رحمه الله: قال القاضي عياض وقد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهم شفاعة نبينا ﷺ ورغبتهم فيها وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة النبي ﷺ لكونها لا تكون إلا للمذنبين فإنها قد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات...... ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغفرة والرحمة لأنها لأصحاب الذنوب وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف (شرح مسلم ١٠٤/١) وكذا في القرطبي (٣١٠/١٠) أيضا.

قال التقي الدين السبكي رحمه الله: اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه وجواز ذلك وحسنه من

الأمور المعلومة لكل ذي دين المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين ولم ينكر ذلك أحد من أهل الأديان ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه ضعفاء العقل وابتدع مالم يسبق إليه في سائر الأعصار ولهذا طعن في الحكاية التي تقدم ذكرها عن مالك ﷺ فإن فيها قول مالك للمنصور استشفع به ونحن قد بينا صحتها.(شفاء السقام ١٢٠).

وأما ما يقال إنه لا يجوز أن تطلب الشفاعة من الأنبياء والصالحين لأن الشفاعة ملك لله بدليل قوله{قُل لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} وبقوله{ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} فمردود:

أما أولا: فلأنه لم يرد النهي عن طلب الشفاعة من النبي ﷺ أو غيره نصا ولا ضمنا لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كتب الأئمة.

وأما ثانيا: فإن الآية لا تدل على ذلك بل شأنها شأن غيرها من الآيات التي جاءت لبيان اختصاص الله سبحانه وتعالى بما هو ملك له دون غيره بمعنى انه هو المتصرف فيه وانه مالكه في الأصل وهذا لا ينفي أنه يعطيه من يشاء إذا أراد، ألا ترى إلى قوله تعالى {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} (المائدة ١٧) مع قوله تعالى{تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ} (آل عمران ٢٦)وقوله تعالى {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} (الفاطر ١٠) مع قوله تعالى{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (المنافقون ٨) وكذلك قوله تعالى {قُل للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} (الزمر ٤٤) مع قوله تعالى {لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا} (مريم ٨٧).

وأما ثالثا: فقد تقدمت الأدلة الصريحة في جواز الاستشفاع بالأنبياء والصالحين.

إِسْتِطَاعَةُ الإِنْسَانِ وَقُدْرَتُهُ

للعباد أفعال اختيارية والله تعالى هو الخالق لتلك الأفعال توجد بإذنه تعالى وإرادته فالله تعالى هو الخالق وليس للعبد الاستقلال والاستبداد والعبد هو الكاسب وخلق الإختيار لا يوجب الجبر لأن الإختيار شيء من شأنه الفعل والترك.

واستطاعة العبد بمعنى سلامة الأسباب والآلات والجوارح قبل الفعل وبمعنى القدرة المستجمعة لجميع شرائط التأثير مع الفعل.

قال سعد الدين التفتازاني: وللعباد أفعال إختيارية يثابون بها إن كانت طاعة ويعاقبون عليها إن كانت معصية لا كما زعمت الجبرية من أنه لا فعل للعبد أصلا وأن حركاته بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة للعبد عليها ولا قصد ولا اختيار وهذا باطل لأنا نفرق بالضرورة بين حركة البطش وحركة الارتعاش ونعلم أن الأول باختياره دون الثاني ولأنه لو لم يكن للعبد فعل أصلا لما صح تكليفه ولا ترتب استحقاق الثواب والعقاب على أفعاله ولا إسناد الأفعال التي تقتضي سابقية القصد والاختيار إليه على سبيل الحقيقة مثل صلى وصام وكتب.(شرح العقائد ١٠٠).

وقال الخيالي: إن المؤثر في فعل العبد إما قدرة الله فقط بلا قدرة من العبد أصلا وهو مذهب الجبرية أو بلا تأثير لقدرته وهو مذهب الأشعري أو قدرة العبد فقط بلا إيجاب واضطرار وهو مذهب المعتزلة أو بالإيجاب وامتناع التخلف وهو مذهب الفلاسفة والمروي عن إمام الحرمين أو مجموع القدرتين على أن يؤثرا في أصل الفعل وهو مذهب الأستاذ أو على أن تؤثر قدرة العبد في وصفه بأن تجعله موصوفا بمثل كونه طاعة أو معصية وهو مذهب القاضي أبي بكر والمقصود ههنا أن للعبد فعلا ينسب إلى قدرته سواء كانت جزء المؤثر كما هو مذهب الأستاذ أو مدارا محضا كما

هو مذهب الأشعري (حاشية الخيالي ١٠٠).

وقال سعد الدين التفتازاني: والله تعالى خالق لأفعال العباد كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان لا كما زعمت المعتزلة أن العبد خالق لأفعاله. (شرح العقائد ٩٦).

وقال أيضا: وهي كلها بإرادته ومشيئته وحكمه وقضيته وتقديره(شرح العقائد ٩٨).

وقال أيضا: احتج أهل الحق بوجوه الأول أن العبد لو كان خالقا لأفعاله لكان عالما بتفاصيلها ضرورة أن إيجاد الشيء بالقدرة والإختيار لا يكون إلا كذلك واللازم باطل فإن المشي من موضع إلى موضع قد يشتمل على سكنات متخللة وعلى حركات بعضها أسرع وبعضها أبطأ ولا شعور للماشي بذلك وليس هذا ذهولا عن العلم بل لو سئل عنها لم يعلم وهذا في أظهر أفعاله وأما إذا تأملت على حركات أعضائه في المشي والأخذ والبطش ونحو ذلك وما يحتاج إليه من تحريك العضلات وتمديد الأعصاب ونحو ذلك فالأمر أظهر.

الثاني النصوص الواردة في ذلك كقوله تعالى {وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ }أي عملكم على أن ما مصدرية لئلا يحتاج إلى حذف الضمير أو معمولكم على أن ما موصولة ويشمل الأفعال لأنا إذا قلنا أفعال العباد مخلوقة لله تعالى أو للعبد لم نرد بالفعل المعنى المصدري الذي هو الإيجاد والإيقاع بل الحاصل بالمصدر الذي هو متعلق الإيجاد والإيقاع أعني ما نشاهده من الحركات والسكنات مثلا وللذهول عن هذه النكتة قد يتوهم أن الاستدلال بالآية موقوف على كون ما مصدرية وكقوله تعالى:{ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ} أي ممكن بدلالة العقل وفعل العبد شيء ممكن وكقوله تعالى {أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ} في مقام التمدح بالخالقية وكونها مناطا لاستحقاق العبادة لا يقال فالقائل بكون العبد خالقا لأفعاله يكون من المشركين دون الموحدين لأنا نقول الإشراك هو اثبات الشريك في الألوهية

بمعنى وجوب الوجود كما للمجوس أو بمعنى استحقاق العبادة كما لعبدة الأصنام والمعتزلة لا يثبتون ذلك بل لا يجعلون خالقية العبد كخالقية الله تعالى لافتقاره إلى الأسباب والآلات التي هي بخلق الله تعالى إلا أن مشايخ ما وراء النهر قد بالغوا في تضليلهم في هذه المسئلة حتى قالوا إن المجوس أسعد حالا منهم حيث لم يثبتوا إلا شريكا واحدا والمعتزلة أثبتوا شركاء لا تحصى (شرح العقائد ٩٦،٩٧).

فالخلاف بين الأشعري والأستاذ والقاضي خلاف لفظي فإن قدرة العبد مخلوقة لله تعالى فينسب فعل العبد باعتبار إلى الله وبهذا الاعتبار يسمى خلقا وينسب إلى العبد باعتبار وبهذا الاعتبار يسمى كسبا.

ويدل على ما ذكرنا الآيات الكثيرة منها قوله تعالى:{ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} (يونس ١٠٠) وقوله تعالى {قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} (الأعراف ١٨٨) وقوله تعالى {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا}(الجن ٢١) وقوله تعالى:{قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا} (الرعد ١٦) وقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}(الشعراء ٧٨ــ٨٠) وقوله تعالى: { وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ }(النجم ٤٨) وقوله تعالى: { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} (النجم ٣٣،٣٤) وقوله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ} (النحل ٧٩) وقوله تعالى: { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ} (التكوير ٢٩) وقوله تعالى: { أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} (الواقعة ٦٣).

قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ إلخ } :(الحجة الخامسة) العبد غير عالم بتفاصيل فعله لأن من حرك إصبعه لم يعرف عدد الأحيان التي حرك اصبعه فيها لأن الحركة البطيئة عبارة عند المتكلمين عن حركات مختلطة بسكنات والعبد لم

يخطر بباله أنه يتحرك في بعض الأحيان ويسكن في بعضـــها وأنــه أيـــن تحـرك وأين سكن وإذا لم يكن عالما بتفاصيل فعله لم يكن موجـــدا لهـــا لأنــه لم يقصـــد إيجاد ذلك العدد المخصوص مــــن الأفعـــال (رازي ١٧\١٤١).

قال سعد الدين التفتازاني: والاستطاعة مـــع الفعـــل خلافـــا للمعتزلـــة وهي حقيقة القدرة التي يكون بها الفعل ويقـــع هـــذا الاسـم علـــى ســـلامة الأسباب والآلات والجوارح كمـــا في قولـــه تعـــالى{ وَلِلَّهِ عَلَـى النَّـاسِ حِـجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} (شـــرح العقـــائد ١٠٥).

وقال التفتازاني: ههنا ذهب بعضهم (قال الخيالي هــــو الإمـــام الـــرازي) إلى أنه إن أريد بالاستطاعة القدرة المستجمعة لجميـــع شرائـــط التأثـــير فـــالحق أنها مع الفعل وإلا فقبله. (شـــرح العقـــائد ١٠٥).



أَلْمُعْجِزَةُ وَالْكَرَامَةُ

المعجزة وهي أمر يظهر[1] بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله.(شرح العقائد ١٣٩).

والكرامة هي ظهور أمر خارق للعادة من قِبَلِهِ (الولي) غير مقارن لدعوى النبوة (شرح العقائد ١٣٩).

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: وإنما يفترقان (المعجزة والكرامة) في أن المعجزة تقترن بدعوى النبوة أي باعتبار الجنس أو ما من شأنه وإلا فأكثر معجزات الأنبياء لا سيما نبينا محمد ﷺ وقعت من غير ادعاء نبوة والكرامة تقترن بدعوى الولاية أو تظهر على يد الولي من غير دعوى شيء وهو الأكثر.(فتاوى الحديثية ٣٠١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والمشهور عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقا لكن استثنى بعض المحققين منهم كأبي القاسم القشيري ما وقع به التحدى لبعض الأنبياء فقال ولا يصلون إلى مثل إيجاد ولد من غير أب ونحو ذلك وهذا[2] أعدل المذاهب في ذلك فإن إجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والماء والمكاشفة بما يغيب عن العين والإخبار بما سيأتي ونحو ذلك قد كثر جدا حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة فانحصر الخارق الآن فيما قاله القشيري وتعين تقييد قول من أطلق أن كل

---

[1] وسيأتي أن المعجزة والكرامة قد توجدان بقصد واختيار وتكونان كما هم وقد توجدان بلا قصد واختيار فلتعميم القسمين قيل يظهر على يد مدعي النبوة وظهور أمر من قبله ولم يقل يظهره النبي أو الولي فيشمل القسم الأول فقط وسيأتي منشأ الخلاف بين أهل السنة والخصم.

[2] يمكن أن يكون إشارة إلى المشهور ردا على مذهب المعتزلة المتقدم ولم يظهر وجه الحصر ولذا رجح ابن حجر الهيتمي خلافه.

معجزة وجدت لنبي يجوز أن تقع كرامة لـولي.(فتـح البـاري ٣٨٣/٧).

وسئل ابن حجر رحمه الله كرامـات الأولـياء حـق فـهل تنتـهي إلى إحياء الموتى وغيره من معجزات الأنبياء صلـوات الله وسـلامه عليـهم ومـن أحيي كرامة لولي هل له حكم الأحيـاء أو الأمـوات؟

فأجاب رضي الله عنه بقوله: كرامات الأولياء حـق عنـد أهـل السـنة والجماعة خلافا للمخاذيل المعتزلة والزيديـة وقـول الفخـر الـرازي إن أبـا اسحق الإسفرايني أنكرها أيضا مردود بأنه إنما أنكر منـها مـا كـان معجـزة لنبي كإحياء الموتى لئلا تختلـط الكرامـة بـالمعجزة وغلّطـه النـووي كـابن الصلاح بأنه ليس في كراماقم معارضة للنبـوة لأن الـولي إنمـا أعطـي ذلـك ببركة إتباعه للنبي ﷺ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ فلا تظهر حقيقـة الكرامـة عليـه إلا إذا كان داعيا لاتباع النبي ﷺ بريئا من كل بدعـة وانحـراف عـن شريعـة النـبي ﷺ فببركة اتباعه ﷺ يؤيده الله تعـالى بملكتـه وروح منـه ويقـذف في قلبـه من أنواره ,..... ثم الصحيـح أنهـم ينتـهون إلى إحيـاء الموتـى خلافـا لأبي القاسم القشيري ومن ثم قال الزركشي ما قالـه مذهـب ضعيـف والجمـهور على خلافه وقد أنكروه حتى ولده أبو نصر في كتابـه "المرشـد" فقـال عقـب تلك المقالة والصحيح تجويز جملة خوارق العادات كرامـة للأوليـاء وكـذا في إرشاد إمام الحرمين وفي شرح مسـلم للنـووي تجـوز الكرامـات بخـوارق العادات على اختلاف أنواعها وخصها بعضهم بإجابـة دعـوة ونحوهـا وهـذا غلط من قائله وإنكار للحس بل الصواب جريانهـا بـانقلاب الأعيـان ونحـوه انتهى.(فتاوى الحديثيـة ١٠٨).

قال سعد الدين التفتازاني: (وَكَرَامَـاتُ ٱلْأَوْلِيَـاءِ حَـقٌّ) والـولي هـو العارف بالله تعالى وصفاته بحسب ما يمكن المواظب[٣] علـى الطاعـات المجتنـب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللـذات والشـهوات وكرامتـه ظـهور

أمر خارق للعادة من قبله غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة والدليل على حقية الكرامة ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لا يمكن إنكاره خصوصا الأمر المشترك وإن كانت التفاصيل آحادا وأيضا الكتاب ناطق بظهورها من مريم ومن صاحب سليمن عليه السلام وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز.

(فَتَظْهَرُ ٱلْكَرَامَةُ عَلَىٰ طَرِيقِ نَقْضِ ٱلْعَادَةِ لِلْوَلِيِّ مِنْ قَطْعِ ٱلْمَسَافَةِ ٱلْبَعِيدَةِ فِي ٱلْمُدَّةِ ٱلْقَلِيلَةِ) كإتيان صاحب سليمن عليه السلام وهو آصف بن برخيا على الأشهر بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف مع بعد المسافة (وَظُهُورِ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَٱللِّبَاسِ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إِلَيْهَا) كما في حق مريم فإنه قال تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ}(وَٱلْمَشْيِ عَلَى ٱلْمَاءِ) كما نقل عن كثير من الأولياء (وَفِي ٱلْهَوَاءِ) كما نقل عن جعفر بن أبي طالب ولقمن السرخسي وغيرهما (وَكَلَامِ ٱلْجَمَادِ وَٱلْعَجْمَاءِ) واندفاع المتوجه من البلاء وكفاية المهم من الأعداء أما كلام الجماد فكما روي أنه كان بين يدى سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما قصعة فسبحت وسمعا تسبيحها..........وأما كلام العجماء فتكليم الكلب لأصحاب الكهف وكما روي أن النبي ﷺ قال بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا إِذَا الْتَفَتَ الْبَقَرَةُ إِلَيْهِ وَقَالَتْ: "إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَٰذَا إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ" فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ آمَنْتُ[٤] بِهَٰذَا (وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ) مثل رؤية عمر ﷺ وهو على المنبر بالمدينة جيشه بِنَهَاوَنْدَ حتى انه قال لأمير جيشه يا سارية الجبل الجبل تحذيرا له من وراء الجبل لمكر العدو هناك وسماع سارية كلامه مع بعد المسافة وكشرب خالد ﷺ السم من غير

---

[٤] فالإيمان بالكرامة هو سنة النبي ﷺ

تضرر به وكجريان النيل بكتاب عمر ﷺ وأمثال هذا أكثر من أن تحصى.(شرح العقائد ١٣٩،١٤٠).

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: إن الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى وهو غلط ممن يقوله فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق وأولى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك فإن كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا وبالله التوفيق. (فتح الباري ٣٨٣/٧).

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: قال الجنيد لو رأيت الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي.(حاشية الزواجر ٥٦/٢).

قال ابن كثير: بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة (ابن كثير ٧٨\١١).
والمعجزات المنقولة عن الأنبياء خصوصا عن نبينا محمد ﷺ أكثر من أن تحصى ولا تحتاج إلى بيان.

ويدل على كرامات الأولياء ما روي عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال إِنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ* كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ أَوْ سَادِسٍ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ وَانْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَشَرَةٍ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى

---

* الصفة موضع مظلل من المسجد وهم يبيتون فيها لا مسكن لهم ولا مال ولا ولد وكانوا سبعين ويقلون حينا ويكثرون حينا ومن مشاهيرهم أبو ذر الغفاري عمار بن ياسر، سلمان الفارسي، صهيب، بلال، أبوسعيد الخدري، أبو هريرة وغيرهم.

تَعَشَّى النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَ بَعْدَمَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللهُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ قَالَ أَوَمَا عَشَّيْتِهِمْ قَالَتْ أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ فَغَضِبَ وَقَالَ وَاللهِ لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا فَحَلَفَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ لَا تَطْعَمَهُ وَحَلَفَ الْأَضْيَافُ أَنْ لَا يَطْعَمُوهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ كَانَ هٰذَا مِنَ الشَّيْطَانِ فَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ وَأَكَلُوا فَجَعَلُوا لَا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلَّا رَبَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ مَا هٰذَا قَالَتْ وَقُرَّةِ عَيْنِي إِنَّهَا الْآنَ لَأَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذٰلِكَ بِثَلٰثِ مِرَارٍ فَأَكَلُوا وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا. (متفق عليه، مشكوة ٥٤٥).

وعن حميد ان انسا حدثهم أَنَّ الرُّبَيِّعَ وَهِيَ بِنْتُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ فَطَلَبُوا الْأَرْشَ وَطَلَبُوا الْعَفْوَ فَأَبَوْا فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَ بِالْقِصَاصِ فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ تُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللهِ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا قَالَ يَا أَنَسُ كِتَابُ اللهِ الْقِصَاصُ فَرَضِيَ الْقَوْمُ وَعَفَوْا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ زاد الفزاري عن حميد عن أنس فَرَضِيَ الْقَوْمُ وَقَبِلُوا الْأَرْشَ. (بخاري ٣٧٢/١ باب الصلح في الدية).

وعن أنس أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَإِذَا نُورٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا حَتَّى تَفَرَّقَا فَتَفَرَّقَ النُّورُ مَعَهُمَا. (بخاري ٥٣٧/١ باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر).

وعن أبي هريرة بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةً عَيْنًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَةِ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامٍ فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمُ التَّمْرَ فِي مَنْزِلٍ نَزَلُوهُ فَقَالُوا تَمْرُ يَثْرِبَ فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ فَلَمَّا حَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ

وَأَصْحَابُهُ لَجَأُوا إِلَىٰ مَوْضِعٍ فَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ فَقَالُوا لَهُمْ انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أَلَّا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَيُّهَا الْقَوْمُ أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ مِنْهُمْ خُبَيْبٌ وَزَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ وَرَجُلٌ آخَرُ فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ وَاللهِ لَا أَصْحَبُكُمْ إِنَّ لِي بِهَؤُلَاءِ أُسْوَةً يُرِيدُ الْقَتْلَىٰ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ فَأَبَىٰ أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَانْطَلَقَ بِخُبَيْبٍ وَزَيْدِ بْنِ الدَّثِنَةِ حَتَّىٰ بَاعُوهُمَا بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فَابْتَاعَ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ خُبَيْبًا وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّىٰ أَجْمَعُوا قَتْلَهُ فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ مُوسَىٰ[٧] يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ فَدَرَجَ بُنَيٌّ لَهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّىٰ أَتَاهُ فَوَجَدَتْهُ مُجْلِسَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ وَالْمُوسَىٰ بِيَدِهِ قَالَتْ فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فَقَالَ أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَٰلِكَ قَالَتْ وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ وَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْبًا فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ دَعُونِي أُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ وَاللهِ لَوْ لَا أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا وَاقْتُلْهُمْ بِدَدًا وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَىٰ أَيِّ جَنْبٍ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَٰلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَٰهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَىٰ أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

---

[٧] آلة الحلق أحصهم اي اضبطهم والإحصاء ان يحصي عدد السكان في بلد من البلدان. بددا بكسر الموحدة متفرقة منقطعة أجيب دعائه فيمن مات كافرا فمن قتل منهم بعد هذا فإنما قتلوا غير معسكرين ولا مجتمعين. الشلو العضو. الممزع المقطع.

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ أَبُو سَرْوَعَةَ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ[8] لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا الصَّلَاةَ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ أَنْ يُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ وَكَانَ قَتَلَ رَجُلًا عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ فَبَعَثَ اللَّهُ لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ[9] مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا. (بخاري ٥٦٩/٢ كتاب المغازي).

قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا} الذي يدل على جواز كرامات الأولياء القرآن والأخبار والآثار والمعقول أما القرآن فالمعتمد فيه عندنا آيات. (الحجة الأولى) قصة مريم عليها السلام (الحجة الثانية) قصة أصحاب الكهف وبقائهم في النوم أحياء سالمين عن الآفات مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين وانه تعالى كان يعصمهم من حر الشمس كما قال {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} إلى قوله تعالى {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ}.

أما الأخبار فكثيرة (الخبر الأول) ما أخرج في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: "لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَبِيٌّ فِي زَمَنِ جُرَيْجٍ النَّاسِكِ وَصَبِيٌّ آخَرُ أَمَّا عِيسَى فَقَدْ عَرَفْتُمُوهُ وَأَمَّا جُرَيْجٌ فَكَانَ رَجُلًا عَابِدًا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَانَتْ لَهُ أُمٌّ فَكَانَ يَوْمًا يُصَلِّي إِذَا اشْتَاقَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ فَقَالَتْ يَا جُرَيْجُ فَقَالَ يَا رَبِّ الصَّلَاةُ خَيْرٌ أَمْ رُؤْيَتُهَا ثُمَّ صَلَّى فَدَعَتْهُ ثَانِيًا فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَكَانَ

---

[8] دليل على أن مطلق الإحداث ولو في العبادة لا يكون ممنوعا وبدعة مذمومة كما تقدم في بحث السنة والبدعة.

[9] الظلة ما اظلك كالسحاب ـ الدبر ذكور النحل او الزنابير. قالوا كان عاصم عهد الله أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا فمنعه الله بعد وفاته أيضا وفي الحديث دلالة على أن الكرامة لا تنقطع بالموت كما سيأتي.

يُصَلِّي وَيَدَعُهَا فَاشْتَدَّ ذٰلِكَ عَلَى أُمِّهِ قَالَتْ اَللّٰهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتّٰى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ[١٠] وَكَانَتْ زَانِيَةٌ هُنَاكَ فَقَالَتْ لَهُمْ أَنَا أَفْتِنُ جُرَيْجًا حَتّٰى يَزْنِيَ فَأَتَتْهُ فَلَمْ تَقْدِرْ عَلىٰ شَيْءٍ وَكَانَ هُنَاكَ رَاعٍ يَأْوِي بِاللَّيْلِ إِلىٰ أَصْلِ صَوْمَعَتِهِ فَلَمَّا أَعْيَاهَا رَاوَدَتْ الرَّاعِيَ عَلىٰ نَفْسِهَا فَأَتَاهَا فَوَلَدَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَلَدِي هٰذَا مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَاهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ وَكَسَرُوا صَوْمعَتَهُ وَشَتَمُوهُ فَصَلّٰى وَدَعَى ثُمَّ نَخَسَ الْغُلاَمَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّيَ أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ بِيَدِهِ يَا غُلاَمُ مَنْ أَبُوكَ؟ فَقَالَ: الرَّاعِي، فَنَدِمَ الْقَوْمُ عَلىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا نَبْنِي صَوْمعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْفِضَّةٍ فَأَبىٰ عَلَيْهِمْ وَبَنَاهَا كَمَا كَانَتْ .

(الخبر الثالث) قوله ﷺ : رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ[١١] لاَ يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ.

وأما الآثار أن أبا بكر لما حُملت جنازته إلى باب قبر النبي ﷺ ونودي الصلاة والسلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر بالباب فإذا الباب قد انفتح وإذا بهاتف يهتف من القبر أَدْخِلُوا الحبيبَ إلى الحبيبِ وأما عمر رضي الله عنه فقد ظهرت أنواع كثيرة من كراماته ....(الثالث)وقعت الزلزلة في المدينة فضرب عمر بالدرة على الأرض وقال اسكني بإذن الله فسكنت وما حدث الزلزة بالمدينة بعد ذلك (الرابع) وقعت النار في بعض دور المدينة فكتب عمر على خزفة يا نار اسكني بإذن الله فألقوها فانطفأت في الحال (الخامس) روي أن رسولَ ملكِ الرومِ جاء إلى عمر فطلب داره فظن أن داره مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك وإنما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب إلى الصحراء رأى عمر وضع درته تحت رأسه ونام على التراب فعجب الرسول من ذلك وقال إن أهل الشرق والغرب يخافون من هذا الإنسان وهو على هذه الصفة! ثم قال في

---

[١٠] المومسات الزانيات

[١١] الطمر الثوب البالي

نفسه: إني وجدته خاليا فأقتله وأخلص الناس منه فلما رفــع السـيف أخـرج الله من الأرض أسدين فقصداه فخاف وألقى السيف مـن يـده وانتبـه عمـر ولم ير شيأ فسأله عن الحال فذكر له الواقعـة وأسـلم.

وأما عثمان ﷺ فروى أنس قال سـرت في الطريـق فرفعـت عيـني إلى امرأة ثم دخلت على عثمان فقال ما لي أراكـم تَدخلـون علـيَّ وآثـارُ الزنـا ظاهرة عليكم فقلت أجاء الوحي بعـد رسـول ﷺ فقـال لا ولكـن فراسـة صادقة (الثاني) انه لما طعن بالسيف فأول قطرة مـن دمـه سـقطت ووقعـت على المصحف على قوله تعالى {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيـمُ}.

وأما علي كرم الله وجهه فيرو ى أن واحدا مـن مُحبيـه سـرق وكـان عبدًا أسودَ فأُتِيَ به إلى علي فقال لــه :أسـرقت ؟ قـال: نعـم فقطـع يـده فانصرف من عند علي عليه السلام فلقيه سلمان الفارسي وابــن الكـرا قـال ابن الكرا من قطع يدك؟ فقال: أمـير المؤمنـين فقـال قطـع يـدك وتمدحـه؟ فقال: ولم لا أَمْدحُه وقد قطع يدي بحق وخلصني من النــار! فسـمع سـلمان ذلك فاخبر به عليا فدعا الأسود ووضع يـده علـى سـاعدِه وغَطّـاه بمنديـل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء: "إرفع الـرداء عـن اليـد" فرفعنـاه فإذا اليد قد برأت بإذن الله وجميل صنعــه.

أما سائر الصحابة فروى محمد بن المنكدر عــن سـفينة مـولى رسـول الله ﷺ قال ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنـت فيـها فركبـت لوحـا من ألواحها فَطَرَحَنِي اللوحُ في خيمة فيـها أسـد فخـرج الأسـد إلي يريـدني فقلت يا أبا الحرث أنا مولى رسـول الله ﷺ فتقـدم ودلـني علـى الطريـق ثم هَمْهَمَ فظننت أنه يُوَدِّعني ورجع (الثـالث) قـالوا لخـالد بـن الوليـد: إن في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلة فطـاف بالعسـكر فلقـي رجـلا على فرس ومعه زقُ خمرٍ فقال: ما هذا؟ قال: خل فقـال خـالد اللـهم اجعلـه خلا فذهب الرجل إلى أصحابه فقال أتيتكم بخمر مـا شربـت العـربُ مثلَـها! فلما فتحوا فإذا هو خل فقالوا ما جئتنـا إلا بخـل ؟! فقـال هـذا والله دعـاء

خالد بن الوليد". (الرابع) الواقعة المشهورة وهي ان خالد بن الوليد أكل كفا من السم على اسم الله وما ضره (الخامس) روى أن ابن عمر كان في بعض أسفاره فلقي جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال: إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو انه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء (السادس) روي أن النبي ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الأعظم ومشوا على الماء.

وأما الدلائل العقلية على جواز الكرامات فمن وجوه (الحجة الأولى) ان العبد ولي الله قال الله تعالى {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} والرب ولي العبد قال تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا} وقال{وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} وقال {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} وقال{أَنْتَ مَوْلَانَا} وقال {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا} فثبت أن الرب ولي العبد وأن العبد ولي الرب وأيضا الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب قال تعالى {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} وقال {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}وقال {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} وإذا ثبت هذا فنقول: إن العبد إذا بلغ في الطاعة إلى حيث يفعل كل ما أمره الله وكل ما فيه رضاه وترك كل ما نهى الله وزجر عنه فكيف يبعد أن يفعل الرب الرحيم الكريم مرة واحدة ما يريده العبد بل هو أولى لأن العبد مع لؤمه وعجزه لمّا فعل كلّ ما يريده الله ويأمره به فلأنْ يفعل الربُ الرحيم مرة واحدة ما أراده العبد كان أولى ولهذا قال تعالى {أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} (رازي ٨٥/٢١ــ٨٩).

قال إسمعيل البروسوي في تفسير قوله تعالى {دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا....إلخ} وفي الآية دليل على جواز الكرامة للأولياء ومن أنكرها جعل هذا إرهاصا وتأسيسا لرسالته عليه السلام.عن النبي ﷺ أنه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها

فرجع بما إليها وقال (يا هلمي يابنية) فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال لها ﷺ (أنى لك هذا؟) قالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب. فقال ﷺ (الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة بني إسرائيل) ثم جمع رسول الله ﷺ عليا والحسين ﷺ وجمع أهل بيته عليه فأكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت فاطمة ﷺ على جيرانها (روح البيان ٢٩/٢) وكذا في الكشاف للزمخشري(٤٢٧/١) وكذا في الدر المنثور (١٨٦/٢).

قال ابن سعد في ترجمة حذيم بن حنيفة التميمي في آخر قصته قال الذيال فرأيت حنظلة يوتى بالرجل الوارم وجهه وبالشاة الوارم ضرعها فيتفل في كفه ثم يضعها على صلعة ثم يقول : بسم الله على أثر يد رسول الله ﷺ ثم يمسح الورم فيذهب،طبقات ابن سعد ٧٢/٧).

قال ابن حجر العسقلاني في ترجمة جمرة بن شهاب: عن ابن عمر قال قال عمر بن الخطاب لرجل ما اسمك؟ قال جمرة قال ابن من؟ قال ابن شهاب قال ممن؟ قال من الحرقة قال أين مسكنك؟ قال الحرة قال بأيها؟ قال بذات لظى فقال عمر أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا (الإصابة في تمييز الصحابة ١٢٨/٢).

قال ابن حجر الهيتمي عن اليافعي قال ومن المشهور ما روي مسندا من خمس طرق عن جماعة من الشيوخ الأجلاء أن القطب الشيخ عبد القادر نفع الله به جائت إليه امرأة بولدها وخرجت عنه لِلهِ وَلَهُ فقَبِلَه ثم أمره بالمجاهدة فدخلت أمه عليه يوما فوجدته نحيلا مصفرا يأكل قرص شعير فدخلت على الشيخ فوجدت بين يديه إناء فيه عظم دجاجة قد أكلها فقالت يا سيدي تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير فوضع يده على ذلك الطعام وقال قومي بالله محي العظام فقامت الدجاجة سوية وصاحت فقال الشيخ إذا صار ابنك هكذا فليأكل الدجاج وما شاء......وفي رسالة القشيري عن أبي سعيد الخراز ﷺ أنه كان مجاورا

بمكة فمر بباب بني شيبة فرأى شابا حسن الوجه ميتا فنظر في وجهه فتبسم وقال يا أبا سعيد ما علمت أن الأحِبّاءَ أَحْيَاءٌ وان ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار(فتاوى الحديثية ٣٠٣).

قال جلال الدين المحلي: من كراماته (الرافعي) ما حكي أن شجرة أضاءت له لما فقد وقت التصنيف ما يسرجه عليه (محلي ١/١٠) وقال القليوبي: ومن كراماته (النووي) انه أضاء له إصبعه لما فقد في وقت التصنيف ما يسرجه عليه (قليوبي ١/١٠).

قال ابن حجر: ومن الخوارق التي لم يقع نظيرها لمجتهد غيره (الشافعي) استنباطه وتحريره لمذهبه الجديد على سعته المفرطة في نحو أربع سنين وتوفي سنة أربع ومائتين بها(المصر) وأريد بعد أزمنة نقله منها لبغداد فظهر من قبره لما فتح روائح طيبة عطلت الحاضرين عن إحساسهم فتركوه(تحفة ١/٥٣).

قال الشرواني: وسبب موته أنه أصابته ضربة شديدة فمرض بها أياما ثم مات قال ابن عبد الحكم: سمعت أشهب يدعو على الشافعي بالموت فكان يقول اللهم أَمِتِ الشافعيَ وإلا ذهب علمُ مالك فذكرتُ ذلك للشافعي فقال:

تَمَنّىٰ أُنَاسٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ ... فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهٰا بِأَوْحَدِ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضٰى ... تَهَيّأْ لِأُخْرىٰ مِثْلِهٰا وَكَأَنْ قَدِ

لمتوفى بعد الشافعي بثمانية عشر يوما فكان ذلك كرامة للإمام شيخنٰا(شرواني ١/٥٣).

قال الخطيب البغدادي: ....سمعت أحمد بن العباس يقول: خرجت من بغداد فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة فقال لي من أين خرجت؟ قلت من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من المفاسد خفت أن يخسف بأهلها فقال ارجع ولا تخف فان فيها قبور أربعة من أولياء الله تعالى هم حصن لهم من جميع البلايا قلت من هم ؟ قال ثَمّ الإمام أحمد ابن حنبل ومعروف

الكرخي وبشر الحافي ومنصور بن عمـــار فرجعـــت وزرت القبـــور ولم أخـــرج تلك السنة. (تاريخ بغـــداد ١/١٢١).

اَلْإِخْتِيَارُ وَالْقَصْدُ فِي الْمُعْجِزَةِ وَالْكَرَامَةِ

ثم إن المعجزة والكرامة توجـــدان مـــن الأنبيـــاء والأوليـــاء باختيـــارهم وقصد منهم وبغير اختيار وقصد فكما توجـــد الأفعـــال العاديـــة مـــن ســـائر البشر باختيارهم فكذلك قد توجد الأفعال الغير العاديـــة مـــن الأنبيـــاء والأوليـــاء وكما أن أفعال العباد العادية تكـــون بـــإذن الله وإرادتـــه كذلـــك الأفعـــال الغير العادية توجد بإذنه وإرادته وكما أن الأفعال العادية يكـــون خالقـــها هـــو الله فكذلك المعجزة والكرامة يكون خالقها هو الله تعـــالى فكمـــا يجـــوز نســـبة الأفعال العادية إلى سائر البشر باعتبار وإلى الله باعتبـــار آخـــر فكذلـــك يجـــوز نسبة المعجزة والكرامة إلى الأنبياء والأوليـــاء باعتبـــار وإلى الله باعتبـــار آخـــر وكما يكون لســـائر البشـــر اســـتعداد خـــاص وســـلامة الآلات والأســـباب والجوارح لأفعالهم العاديـــــة

فكذلـــك للأنبيـــاء

والأولياء استعداد خاص وسلامة أســـباب وآلات وجـــوارح لأفعـــالهم الغـــير العادية. قال الحافظ ابن حجر نقلا عـــن الغـــزالي في بيـــان أوصـــاف الأنبيـــاء: وله صفة[١٢] تتم له بها الأفعال الخارقة للعادات كالصفة الـــتي بهـــا تتـــم لغـــيره أي للنبي

[١٢] منشأ الخلاف بين أهل السنة وخصومهم أن الخصم يقول الأنبيـــاء والأوليـــاء بشـــر مثلنـــا كمـــا يدل عليه قوله تعالى: "إنما أنا بشر مثلكم" فليس المعجزة والكرامة أفعـــالا اختياريـــة لهـــم وليـــس لهـــم قصد واختيار في إيجادهما ولم يعطهم الله تعالى قدرة فوق قدرتنـــا ولم يعـــط الله لســـمعهم قـــدرة فـــوق قدرة سمعنا ولم يعط لبصرهم قوة فوق قوة بصرنا وكذا الأرجـــل والأيـــدي والعقـــل والـــروح فـــإن ظهر منهم معجزة أو كرامة فهو بإظهار الله وخلقـــه وليـــس لهـــم في ذلـــك قصـــد واختيـــار وقـــد يدعون فيستجاب لهم في بعض الأحوال. وأما الأمور العاديـــة فأعطـــاهم الله كســـائر البشـــر القـــدرة عليها وهذا هو حاصل دعوى الخصم: أما أهل السنة فيقول قد يوجـــد الكرامـــة والمعجـــزة بـــالقصد والاختيار وليسوا كسائر البشر أعطى الله تعالى لهـــم اســـتعدادا خاصـــا لم يعطـــه لســـائر البشـــر ولا

الحركات الاختيارية وله صفة يبصر بها الملكة ويشاهد بها الملكوت كالصفة التي يفارق بها البصير الأعمى وله صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب ويطالع بها ما في اللوح المحفوظ كالصفة التي يفارق بها الذكي البليد فهذه صفات كمالات ثابتة للنبي ﷺ (فتح الباري ٣٦٧/١١).

قال الحافظ أيضا في بيان أوصاف الأنبياء: (خامسها) إكمال عقله فلا يعرض له فيه عارض أصلا (سادسها) قوة حفظه حتى يسمع السورة الطويلة فيحفظها من مرة ولا ينسى منها حرفا (سابعها) عصمته من الخطأ في اجتهاده (ثامنها) ذكاء فهمه حتى يتسع لضروب من الإستنباط (تاسعها) ذكاء بصره حتى يكاد يبصر الشيء من أقصى الأرض (عاشرها) ذكاء سمعه حتى يسمع من أقصى الأرض ما لا يسمعه غيره(حادي عشرها) ذكاء شمه كما وقع ليعقوب في قميص يوسف...(السابعة والعشرون) رؤيته من ورائه (الثامنة والعشرون) إطلاعه على أمر وقع لمن مات قبل أن يموت كما قال في حنظلة: رَأَيْتُ ٱلْمَلَٰئِكَةَ تَغْسِلُهُ" وكان قتل وهو جنب. ..(الثانية والأربعون) الإطلاع على ما سيكون"(الرابعة والأربعون) التوقيف على أسرار الناس ومخبآتهم"(فتح الباري ٣٦٦/١٢، ٣٦٧).

قال القاضي عياض فالأنبياء والرسل عليهم السلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لا يعلمون من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسادهم وَبِنْيَتُهُمْ متصفة بأوصاف البشر طارئ عليها ما يطرء على

يلزم من قوله تعالى:"قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي"أن يكون كسائر البشر في جميع الأمور كما لا يلزم من قوله تعالى"وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم" أن يكون الإنسان مثل الجاموس والبقر وسائر الدواب في جميع الأمور ويعتقد المسلمون أن النبي ﷺ يرى جبريل حين لا يراه غيره ممن معه وكذا يسمع النبي ﷺ صوت جبريل حين لا يسمعه غيره ممن معه فظهر منه أن الله تعالى أعطى لسمع نبيه وبصره قوة فوق قوة سمع من معه وبصر من معه وكما يدل عليه عبارات الأئمة المذكورة في الكتاب وكما يأتي في الآيات والأحاديث.

البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملإ الأعلى متشبهة [١٣]بصفات الملئكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملئكة ورؤيتهم ومخاطبتهم وَمُخَالَتَهُمْ كما لا يطيقه غيرهم من البشر(شرح الشفا ٢/١٧١،١٧٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في قصة جريج : فيه إثبات كرامات الأولياء ووقوع الكرامات لهم باختيارهم وطلبهم (فتح الباري ٦/٣٧٤).

قال التاج السبكي: وكرامات الأولياء حق أي جائزة واقعة (جمع الجوامع ٢/٤٢٠) قال البناني (قوله أي جائزة واقعة) أي ولو باختيارهم وطلبهم قاله شيخ الإسلام (حاشية البناني ٢/٤٢٠).

قال الإمام الرملي رحمه الله: فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم (هامش الفتاوى الكبرى ٤/٣٨٢).

قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ .....(آل عمران ٤٩).

فأسند الخلق والإبراء والإحياء وعلم الغيب إلى عيسى عليه السلام باعتبار وأسند المذكور إلى الله باعتبار آخر كما قال الله تعالى

---

[١٣] لا يلزم من كون أرواحهم متصفة بصفات الملئكة كونهم آلهة لأن الملئكة ليست بآلهة فالمتصفة بصفاقم لا تكون أيضا آلهة، وكذا لا يلزم كونهم ملئكة بل متشبهين بهم في بعض الصفات.

:{وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ }(الشعراء) وكما قال تعالى {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ}(الأنفال) {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ} (الانفال).

فأسند القتل الذي هو الفعل العادي إلى الله تعالى باعتبار وكذلك الرمي الذي هو المعجزة إلى النبي ﷺ باعتبار وإلى الله باعتبار آخر.

وظاهر أن عيسى عليه السلام إذا ادّعَى إبراء الأكمه والأبرص آية للنبوة فلا بد أن يطلبه أصحابه الإبراء المذكور فعند الطلب يبرأ الأمراض باختياره وقصده فتوجد معجزته باختياره وإذا لم يوجد الإبراء عند طلب أصحابه واختياره الإبراء لم يكن آية لنبوته قال الإمام الرازي إن عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات أخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فأخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض.(رازي ٨/ ٥٦)

وكذا قوله تعالى:{أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} (النحل).

قال إسمعيل البروسوي في تفسير هذه الآية: وفي التأويلات النجمية يشير إلى أنّ سليمن عليه السلام كان واقفا على أن في أمته من هو أهل الكرامة فأراد أن يظهر كرامته ليعلم أن في أمم الأنبياء من يكون أهل الكرامات فلا ينكر مؤمن كرامات الأولياء كما أنكرت المعتزلة فإن أدنى مفسدة الإنكار حرمان المنكر من درجة الكرامة كحرمان أهل البدع والأهواء منها ولا يظنن جاهل أن سليمن لم يكن قادرا على الإتيان بعرشها ولم يكن له ولاية هذه الكرامات فإنه أمرهم بذلك لإظهار أهل الكرامات من أمته ولأن كرامات الأولياء من جملة معجزات الأنبياء فإنها دالة على صدق نبوتهم وحقية دينهم أيضا(روح البيان ٦/ ٣٤٩).

وكذا قوله تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَىٰ

ٱلْأَرْضِ......إلخ } (الأنبياء ٨١) وكـــذا قوله تعـالى: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ} (الأنبياء). وكذا قوله تعـالى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ}.

قال الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: احتج أصحابنا بهذه الآية على أن أفعال العباد مخلوقة لله.... وأيضا قوله تعالى (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) أثبت كونه عليه السلام راميا ونفى عنه كونه راميا فوجب حمله على أنه رماه كسبا وما رماه خلقا(رازي ١٥/١٣٩).

روى البخاري عن أبي هريرة قال قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّ اللهَ قَالَ مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَكُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّذِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ (بخاري ٢/٩٦٣) باب التواضع).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: وقد استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلخ؟ والجواب من أوجه .....ثالثها المعنى اجعل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره إلخ رابعها كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه .....وأسند البيهقي في "الزهد" عن أبي عثمان الجيزي أحد أئمة الطريق قال: معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي(فتح الباري ١١/٣٤٤). قال زين الدين المخدوم:

مَا زَالَ عَبْدِي بِالنَّوَافِلِ يَقْرُبُ ... حَتَّىٰ أَكُونَ لَهُ يَدًا وَالْأَرْجُلَا
وَالسَّمْعَ مِنْهُ ثُمَّ عَيْنًا بَاصِرَةً ... أَيْ مِثْلَ ذٰلِكَ فِي الْمَطَالِبِ هَرْوَلَا

فإذا اختار العبد المذكور السؤال أو الاستعاذة لأجاب الله تعالى وينصرنه الله.

عن عمران بن حصين قال: كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَاشْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ فَنَزَلَ فَدَعَا فُلَانًا كَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو رَجَاءٍ وَنَسِيَهُ عَوْفٌ وَدَعَا عَلِيًّا فَقَالَ اذْهَبَا فَابْتَغِيَا الْمَاءَ فَانْطَلَقَا فَتَلَقَّيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ[١٤] أَوْ سَطِيحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ فَفَرَغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ وَنُودِيَ فِي النَّاسِ اسْقُوا فَاسْتَقَوْا قَالَ فَشَرِبْنَا عِطَاشًا أَرْبَعِينَ رَجُلًا حَتَّى رَوِينَا فَمَلَأْنَا كُلَّ قِرْبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةٍ وَايْمُ اللهِ لَقَدْ أُقْلِعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلْأَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ.(متفق عليه (مشكوة ٥٣٣ باب المعجزات).

وعن أبي هريرة قال قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي سَمِعْتُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا فَأَنْسَاهُ قَالَ ابْسُطْ رِدَاءَكَ فَبَسَطْتُهُ فَغَرَفَ بِيَدِهِ فِيهِ ثُمَّ قَالَ ضُمَّهُ فَضَمَمْتُهُ فَمَا نَسِيتُ حَدِيثًا بَعْدُ.(بخاري ٥١٤ كتاب المناقب).

وعن أنس بن مالك يذكر أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ الْمِنْبَرِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ[١٥] فَادْعُ اللهَ أَنْ يُغِيثَنَا قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا قَالَ أَنَسٌ فَلَا وَاللهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةً وَلَا شَيْئًا وَلَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ

---

[١٤] مزادتين أي راويتين وهي في الأصل لما يوضع فيه الزاد قال القاضي وهو نوع من المزادة يكون من جلد اهـ أي فلهذا سمي سطيحتين. وفي الحديث دلالة على القصد والاختصار للمعجزة.

[١٥] لضعف الإبل لقله الكلأ ولأنها لا تجد في سفرها من الكلأ ولقلة الماء ولأن الناس امسكوا ما عندهم من الطعام ولم يجلبوه إلى الأسواق ولنفاذ ما عندهم من الطعام فلا يجدون ما يحملونه إلى الأسواق وفي الحديث طلب الشفاعة ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم للرجل اليس الله بكاف عبده.

[٥٦]سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ قَالَ فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَاءِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ قَالَ فَوَاللهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللهَ أَنْ يُمْسِكَهَا قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالظِّرَابِ وَالْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ قَالَ فَانْقَطَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ(بخاري ١٣٧ بـاب الإستسقاء).

وعن يزيد بن أبي عبيد قَالَ رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ فَقُلْتُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ ؟ قَالَ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ فَقَالَ النَّاسُ أُصِيبَ سَلَمَةُ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ (بخاري ، مشكوة ٥٣٣ بـاب المعجزات).

وعن البراء قال بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ رَهْطًا إِلَى أَبِي رَافِعٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَتِيكٍ بَيْتَهُ لَيْلًا وَهُوَ نَائِمٌ فَقَتَلَهُ[١٧] فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَتِيكٍ فَوَضَعْتُ السَّيْفَ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ فَوَضَعْتُ رِجْلِي فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ ابْسُطْ رِجْلَكَ فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ (بخاري، مشكوة ٥٣١ باب في المعجزات).

وعن أنس بن مالك أنه قال رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ

---

[١٦] سلع بفتح فسكون جبل معروف بالمدينة أراد أنس بذلك أن السحاب كان مفقودا لا مستترا ببيت ولا غيره. الآكام جمع أكمة الجبل الصغير والظراب جمع ظرب الجبل المنبسط على الأرض.

الْعَصْرِ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذٰلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُا مِنْهُ قَالَ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتّٰى تَوَضَّؤُا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ.(مسلم ٢٤٥ باب معجزات النبي ﷺ).

وعن جابر قَالَ تُوُفِّيَ أَبِي وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَعَرَضْتُ عَلٰى غُرَمَائِهِ أَنْ يَأْخُذُوا التَّمْرَ بِمَا عَلَيْهِ فَأَبَوْا فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ دَيْنًا كَثِيرًا وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ فَقَالَ لِي اذْهَبْ فَبَيْدِرْ[١٨] كُلَّ تَمْرٍ عَلٰى نَاحِيَةٍ فَفَعَلْتُ ثُمَّ دَعَوْتُهُ فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ كَأَنَّهُمْ أُغْرُوا بِي تِلْكَ السَّاعَةَ فَلَمَّا رَأٰى مَا يَصْنَعُونَ طَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَرًا ثَلٰثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي أَصْحَابَكَ فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتّٰى أَدَّى اللهُ عَنْ وَالِدِي أَمَانَتَهُ وَأَنَا أَرْضٰى أَنْ يُؤَدِّيَ اللهُ أَمَانَةَ وَالِدِي وَلَا أَرْجِعَ إِلٰى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ فَسَلَّمَ اللهُ الْبَيَادِرَ كُلَّهَا وَحَتّٰى أَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدَرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّهَا لَمْ تَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً. (بخاري ــ مشكوة ٥٣٦/٢).

وعن جابر قال إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ فَجَاؤُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا هٰذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ فَقَالَ أَنَا نَازِلٌ ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ وَلَبِثْنَا ثَلٰثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا فَأَخْرَجَتْ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتّٰى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَتْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ

---

[١٨] أمر من بيدر أي اجمع كل نوع صبرة على حدة يقال بيدر الطعام إذا داس في البيدر وهو الموضع يداس فيه الطعام والمراد هنا اجعل كل نوع من تمرك بيدرا أي صبرة واحدة . اغروا بي بصيغة المجهول اي أَلَحُّوا لي مطالبتي كأنهم اغلظوله ظنا منهم انه ﷺ يامرهم بالمسامحة أو بحط بعض الدين.

فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا صَنَعَ سُوْرًا فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبِزَنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيئَ وَجَاءَ فَأَخْرَجْتُ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ثُمَّ عَمِدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ ثُمَّ قَالَ ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا وَهُمْ أَلْفٌ فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ[١٩].(متفق عليه ــ مشكوة ٥٣١/٢).

وعن جرير قال قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ فَقُلْتُ بَلَى فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ أَحْمَسَ وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ وَكُنْتُ لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ اللّٰهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا وَمَهْدِيًّا قَالَ فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ....إلخ (بخاري ٦٢٤/٢).

وعن جابر قال عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَنَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ قَالَ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قِيلَ لِجَابِرٍ كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً.(متفق عليه ــ مشكوة ٥٣٢/٢).

فأمثال هذه حصلت عند الطلب فهو دليل للاختيار للنبي ﷺ ثم ان الافعال العادية مع كونها اختيارية ربما لا يستطيع العبد ان يفعلها ولا يقول أحد بمجرد هذا السبب انها غير اختيارية، فكذا المعجزة فلا عه

وعن محمد بن المنكدر قال سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوءِهِ فَعَقَلْتُ: بخارى

عه توجد لعدم اذنه تعالى لحكم ومصالح ولا تخرج بهذا عن كونها اختيارية اه

[١٩] كدية الشيئ الصلبُ بين الحجارة والطين. والذواقُ ما يــذاق من الموكول والمشروب. المعول حديدة ينقر بها الجبال. أهيلَ رملا سائلا. خمصا جوعا. وتعصيبُ البطن بالحجر عند شدة الجوع ليخفف حرارة البطن به. داجن صغيرة من ولد الضأن والداجن ما الفت بالبيوت. البرمة القدر من الحجارة. سورًا ضيافة. قال النووي وقد تظاهرت الأحاديث بمثل هذا من تكثير الطعام القليل ونبع الماء وتكثيره وتسبيع الطعام وحنين الجذع وغير ذلك مما هو معروف حتى صار مجموعها بمنزلة المتواتر وحصل العلم القطعي به وقد جمع العلماء أعلاما من دلائل النبوة في كتبهم.

عِلْمُ الْغَيْبِ

العلم الحكم الــــذي لا يقبــل التغــير. قــال تــاج الديــن الســـبكي (وجازمه) أي جازم التصديق بمعنى الحكم إذ هـــو المنقســـم إلى جـــازم وغـــيره (الذي لا يقبل التغير علم) (جمع الجوامع مـــع الشـــرح ١/١٥٠).

وقال البيضاوي.الغيب الخفـــي الـــذي لا يدركـــه الحـــس ولا يقتضيـــه بديهة العقل. وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعنيّ بقولـــــه تعـــالىٰ ﴿وَعِنْـــدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ وقسم نصب عليـــه دليـــل كالصـــانع وصفاتـــه واليـــوم الآخـــر وأحوالـــه وهـــو المـــراد في هـــــذه الآيـــة {يُؤْمِنُـــونَ بِالْغَيْبِ}(بيضاوي ١٨). وقيل.الغيب المطلق في الإطلاق الشرعـــي مـــا لم يقـــم عليه دليل ولا إلى دركه وسيلة وســـــبيل.

وقد تقدم عقائد أهل السنة والجماعة من أنه يكـــــون للأنبيـــاء والأوليـــاء المعجزة والكرامة.ومن المعجزة والكرامة العلـــم بـــالغيب ويكـــون بـــإعلام الله تعالى وإذنه وإرادته كما هـــو شـــأن بقيـــة المعجـــزات والكرامـــات والعلـــوم الاختيارية العادية فدليل المعجزة والكرامة دليـــــل لعلـــم الغيـــب فـــلا يحتـــاج بخصوصه إلى بيان الدلائـــــل.

وقد يكون علم الغيب للأنبياء والأولياء بالوحي والإلهـــام وقـــد يكـــون باستعداد مخصوص واستطاعة مخصوصـــة لهـــم ويكـــون مـــع ذلـــك بـــإذن الله وإرادته مثلا رؤية النبي ﷺ من بين أظـــــهر الصحابـــة جـــبريلَ عليـــه الســـلام وسماعه كلامَه من دونهم ولا يكون ذلـــك الرؤيـــة والســـماع بـــالوحي حـــتى يلزم الدور والتسلسل.روى البخاري : قـــالَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ يَوْمًـــا ' يَا عَائِشَةُ هَٰذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ فَقُلْتُ وَعَلَيْـــهِ السَّـــلاَمُ تَـــرَى مَـــا لاَ أَرَى. اهــ. قال الغزالي في الإحياء: وقد كان رســـول الله ﷺ يســـمع كـــلام جـــبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيـــئ مـــن علمـــه إلا بما شاء. قال العراقي.وهذا هو الأغلب وإلا فقـــد رأى جـــبريل جماعـــة منـــهم

عمر وابنه وكعب بن مالك وغيرهم . (إتحاف ٢/٢١٧).

عن عائشة ﷺ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ إلخ (بخاري ١/٢).

وفي البخاري: أَنَّ يَعْلَى قَالَ لِعُمَرَ أَرِنِي النَّبِيَّ ﷺ حِينَ يُوحَى إِلَيْهِ قَالَ فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ وَهُوَ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاعَةً فَجَاءَهُ الْوَحْيُ وَأَشَارَ عُمَرُ إِلَى يَعْلَى فَجَاءَ يَعْلَى وَعَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَوْبٌ قَدْ أَظَلَّ بِهِ فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحْمَرُّ الْوَجْهِ وَهُوَ يَغِطُّ ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ أَيْنَ الَّذِي سَأَلَ عَنِ الْعُمْرَةِ فَأُتِيَ بِرَجُلٍ فَقَالَ اغْسِلِ الطِّيبَ الَّذِي بِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَانْزِعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجَّتِكَ.(بخاري ١/٢٠٨ باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب). قال الله تعالى:وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ. (البقرة) أي أيدنا عيسى بروحه المقدسة وقال ﷺ إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ. (بخاري، مشكوة ٤١٠) قال الشوكاني نفسه في تفسيره: أيدناه بروح القدس قيل هو جبريل وقيل المراد به الروح المنفوخ فيه من القوة.(زبدة التفاسير ١٧). وقال الرازي اختلفوا في الروح على وجوه ......رابعها انه الروح الذي نفخ فيه (رازي ٣/١٧٧) وقال عيسى عليه السلام وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ.

[1]قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:إن إجابة الدعوة في الحال وتكثير

---

[1] أهل السنة لا يقول:الأنبياء والأولياء يعلمون الغيب بلا إعلام من الله تعالى والخصم لا يقول.هم لا يعلمون الغيب بإعلام الله تعالى فما هو منشأ الخلاف؟ أقول منشاه أن الأنبياء والأولياء هل لهم استطاعة واستعداد خاص فوق الإستطاعة والاستعداد العام لعلم سائر البشر

الطعام والماء والمكاشفة بما يغيب عن العين والإخبار بما سيأتي ونحو ذلك قد كثر جدا حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة.(فتح الباري ٣٨٣/٧).

وقال رحمه الله أيضا نقلا عن الغزالي وسكت عليه: إن النبوة عبارة عما يختص به النبي ﷺ ويفارق به غيره وهو يختص بأنواع من الخواص منها أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته وملكته والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره بل عنده من كثرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق ما ليس عند غيره.وله صفة تتم له بها الأفعال الخارقة للعادات كالصفة التي بها تتم لغيره الحركات الإختيارية وله صفة يبصر بها الملئكة ويشاهد بها الملكوت كالصفة التي يفارق بها البصير الأعمى وله صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب ويطالع بها ما في اللوح المحفوظ كالصفة التي يفارق بها الذكي البليد فهذه صفات كمالات ثابتة للنبي ﷺ.(فتح الباري ٣٦٧/١٢).

وقال رحمه الله أيضا: ثم إن الأنبياء يختصون بآيات يؤيدون بها ليتميزوا بها عمن ليس مثلهم كما تميزوا بالعلم الذي أوتوه ...ذكر الحليمي وجوها من الخصائص العلية للأنبياء تكلف في بعضها حتى أنهاها إلى العد المذكور فتكون الرؤيا واحدا من تلك الوجوه فاعلاها تكليم الله بغير واسطة ثانيها الإلهام بلا كلام بل يجد علم شيئ في نفسه من غير تقدم ما يوصل إليه بحس واستدلال ثالثها الوحي على لسان ملك يراه فيكلمه، رابعها نفث الملك في روعه وهو الوحي الذي يخص به القلب دون السمع

وهل يوجد الغيب مع القصد والإختيار فقال أهل السنة : نعم! وقال الخصم لا، بل استطاعتهم واستعدادهم للعلم كسائر البشر ولا يوجد علم الغيب منهم بالقصد والإختيار فإن علموا الغيب فهو بالوحي فقط وهذا هو منشأ الخلاف. والأدلة المذكورة في الكتاب شاهدة لأهل السنة ويمكن أن يقال هل أعطاهم الله تعالى استطاعة للعلم فوق استطاعة سائر البشر أم لا؟ أهل السنة يقول: نعم. والخصم يقول: لا.

خامسها إكمال عقله فلا يعرض له فيه عارض أصلا، سادسها قوة حفظه حتى يسمع السورة الطويلة فيحفظها من مرة ولا ينسى منها حرفا ، سابعها عصمته من الخطأ في اجتهاده، ثامنها ذكاء فهمه حتى يتسع لضروب من الاستنباط، تاسعها ذكاء بصره حتى يكاد يبصر الشيء من أقصى الأرض، عاشرها ذكاء سمعه حتى يسمع من أقصى الأرض ما لا يسمعه غيره ، حادي عشرها ذكاء شمه كما وقع ليعقوب في قميص يوسف، ثاني عشرها تقوية جسده حتى سار في ليلة مسيرة ثلاثين ليلة، ثالث عشرها عروجه إلى السموات.(فتح الباري ١٢/٣٦٦)

عِلْمُ بِجَمِيعِ ٱلمَغِيبَاتِ

قال السيوطي رحمه الله: قال تاج الدين ابن عطاء الله،الأنبياء يطالعون بحقائق الأشياء والأولياء يطالعون بمثالها (شرح السيوطي على الموطا ١/ ١٩٥) روى البخاري أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ.(بخاري ٢/١٠٨٣) وفي الصحيحين في حديث الكسوف: مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلاَّ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا. وظاهر أنه لا بد للرؤية والمطالعة من استعداد خاص لا يوجد في الغير وإلا يراه سائر المؤمنين أيضا.

قال الصاوي: والذي يجب الإيمان به أن رسول الله ﷺ لم ينتقل من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع المغيبات[٢] التي تحصل في الدنيا والآخرة فهو

---

[٢] ولا يلزم منه حضور كل شيء في كل وقت بل يعلم عند الإلتفات بإذن الله ومشيئته. كما لا يلزم للبصير إدراك المبصرات في كل وقت بل عند الإلتفات إن شاء الله وإن لم يشأ لم يدرك. ولا استحالة في علم غير المتناهي ولا يلزم منه عدم التناهي في منشأ العلم كما لا يلزم الكثرة في البصر من كثرة المبصرات وكما لا يلزم الكثرة في علمه تعالى من عدم تناهي المعلومات وتعلق منشأ العلم بالمعلومات اعتباري ينتهي بانتهاء الإعتبار. أفتمارونه على ما يرى. والله يرزق من يشاء بغير حساب ولا يلزم من عدم الإلتفات في بعض الأوقات نقض الكلية في

يعلمها كما هي عين يقين لما ورد رُفِعَتْ لِيَ الدُّنْيَا فَأَنَا أَنْظُرُ فِيهَا كَمَا أَنْظُرُ إِلَىٰ كَفِّي هٰذِهِ وورد أنه ﷺ اطلع على الجنة وما فيها والنار وما فيها وغير ذلك مما تواترت به الأخبار ولكن أمر بكتمان البعض (قوله وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ...؟). إن قلت إن هذا يشكل مع ما تقدم لنا انه اطلع على جميع مغيبات الدنيا والآخرة والجواب انه قال ذلك تواضعا أو أن علمه بالمغيب كَلاَ عِلْمَ من حيث انه لا قدرة له على تغيير ما قدر الله وقوعه فيكون المعنى حينئذ لو كان لي علم حقيقي بأن أقدر على ما أريد وقوعه لاستكثرت ......إلخ (حاشية الصاوي ٢/١١١،١١٢) وسيأتي عن الإمام النووي أن المراد نفي الاستقلال وكذا قال ابن حجر أيضا في الفتاوى الحديثية (٣١٣) فإذا لم يشأ الله لا يوجد العلم فلا يوجد الاستكثار فلا يوجد الإحاطة وحضور كل شيء في كل وقت.

قال صاحب روح البيان: فإنه ﷺ كان يخبر عما مضى وعما سيكون بإعلام الحق وقد قال عليه السلام ليلة المعراج (قطرت في حلقي قطرة علمت ما كان وما سيكون فمن قال إن نبي الله لا يعلم الغيب فقد أخطأ فيما أصاب[٣]).(روح البيان ٣٥/٣).

قال تعالى: حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا إلخ (النمل ١٨) وقال تعالى:وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ (يوسف ٩٤).

فسماع سليمن من بين أصحابه قول النملة دونهم باستطاعة مخصوصة له دونهم وظاهر أنه ليس بالوحي وكذلك وجدان يعقوب من

جميع المغيبات لأن الوجه المعلوم وجه المجهول فهو معلوم من وجه كما في الشك المشهور الذي خوطب به سقراط. (انظر ملا حسن ٣٩).

[٣] أي باعتبار الاستقلال فهو مصيب بهذا الإعتبار فعلمه كلا علم.

بين أصحابه ريح يوسف باستطاعة مخصوصة لـــه دونهـــم.

مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَشَرًا عَادِيًا

عن أبي هريرة ﷺ قال قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا تُوَاصِلُـــوا قَـالَ إِنَّـكَ تُوَاصِـلُ قَالَ إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُـنِي رَبِّي وَيَسْـقِينِ .(بخـاري ١٠٨٤\٢)

وقَالَ ﷺ وَلَكِنْ لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُـمْ (مسـلم، مشكـوة ١١١ كتـاب الصلاة)[٤].

---

[٤] محمدٌ بَشَرٌ لا كَالْبَشَرِ   يَاقُوتُ حَجَـرٌ لا كَـالْحَجَرِ

وقال ﷺ: إن عيني تنامان ولا ينام قلبي. (بخاري مـــع الفتـــح (٧/٦) مســـلم ٣/ ٢٧١).

وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يدور على نسائه في الســـاعة الواحـــدة مـــن الليـــل والنـــهار وهن إحدى عشرة قلت لأنس: أو كان يطيقه قال كنـــا نتحـــدث أنـــه أعطـــي قـــوة ثلاثـــين (رواه البخاري)

وقال رسول الله ﷺ ما منكم من أحد إلا ومعه قرينـــه مـــن الجـــن وقرينـــه مـــن الملئكـــة قـــالوا وإياك؟ قال نعم! وإياي ولكن الله أعانني عليه فاســـلم" (رواه مســـلم)

عن أنس أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فـــأخذه فصرعـــه فشـــق عـــن قلبـــه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة. فقال: هذا حظ الشيطـــان منـــك! ثم غســـله في طســـت مـــن ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمـــان يســـعون إلى أمـــه(يعـــني ظـــئره) فقـــالوا: "إن محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: " وقد كنـــت أرى أثـــر ذلـــك المخيـــط في صدره. (رواه مســـلم ٤٨٨/١).

وفي البخاري أن النبي ﷺ قد حدثهم عن ليلة أسري به قـــال: بينمـــا أنـــا في الحطيـــم مضطجعـــا إذا أتاني آت فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود ما يعني به قال: مـــن ثغـــرة نحـــره إلى شعرتـــه فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوة إيمانـــا فغســـل قلـــبي ثم حشـــي ثم أعيـــد. (بخـــاري. الفتح ٦٥/٩) وقال الحافظ : وقد استنكر بعضهم وقوع شـــق الصـــدر ليلـــة الإســـراء وقـــال إنمـــا كان ذلك وهو صغير في بني سعد ولا انكار في ذلـــك فقـــد تـــواردت الروايـــات بـــه وثبـــت شـــق الصدر أيضا عند البعثة كما أخرج أبو نعيم في الدلائل ولكل منها حكمة. فـــالأول وقـــع فيـــه مـــن الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطـــان منـــك وكـــان هـــذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطـــان. ثم وقـــع شـــق الصـــدر عنـــد

البعثة زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير. ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه ﷺ ويحتمل أن تكون الحكمة في انفراج سقف بيته الإشارة إلى ما يقع من شق صدره وإنه سيلتئم بغير معالجة يتضرر به. وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك. قال القرطبي في المفهم لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء لأن رواته ثقات مشاهير ثم ذكر نحو ما تقدم. (فتح الباري ٩ ٧٠)

روى البخاري "لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة فقال عباس للنبي ﷺ اجعل إزارك على رقبتك يقك من الحجارة. فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال إزاري إزاري. فشد عليه إزاره. (بخاري مع الفتح ٧٨٢/٨).

قال الحافظ وفي حديث أبي الطفيل المذكور آنفا فبينما رسول الله ﷺ ينقل الحجارة معهم إذ انكشف عورته فنودي يا محمد غط عورتك فذلك في أول ما نودي فما رأيت له عورة قبل ولا بعد. وذكر ابن اسحاق في المبعث وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي يحدث عما كان الله يحفظه في صغره أنه قال: لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل حجرة لبعض ما تلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة إذ لكمني لاكم ما أراه ثم قال شد عليك إزارك. قال: فشددته علي. (فتح الباري ٧٨٤/٨).

وقد تقدم في باب المعجزة قول القاضي عياض أن ظواهر الأنبياء وأجسادهم متصفة بأوصاف البشر وأرواحهم متشبهة بصفات الملائكة. (شرح الشفاء ١٧١/٢).

فثبت أن للنبي ﷺ خصوصية خاصة ليست لسائر البشر كالراديو والتلفزيون فيهما استعداد خاص لجذب ما في مركزهما وليس ذلك في سائر الصندوق ولا ينافيه ما ذكر في قوله تعالى: "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد" كما لا ينافي خصوصية الإنسان من سائر الدواب قوله تعالى: "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ويدل أول الآية على أنه ليس ببشر عادي أعني قل. وآخرها أعني يوحى إلي. فإن كل واحد من سائر البشر لم يأمره الله تعالى بقل ولم يوح إليه، ومقتضى الحال للآية أنه لما قال الجهال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق أمر ﷺ أن يقول إنما أنا بشر مثلكم وكذا لما ظهر من النبي ﷺ معجزات كثيرة خارقة للعادة يمكن أن يتوهم أنه ملك ليس من نوع الإنسان فأمر أن

وعن عبد الله بن عباس قَالَ انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِيَامِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا ....ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللهَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ[5] إلخ....(بخاري ١/١٤٤ باب صلاة الكسوف جماعة).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله(قوله إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا) ظاهره أنها رؤية عين فمنهم من حمله على أن الحجب كشفت له دونها فرآها على حقيقتها وطويت المسافة بينهما حتى أمكنه أن يتناول منها ......(فتح الباري ٢/٥٤١)

وقال أيضا في شرح الحديث،قال القرطبي،لا إحالة في إبقاء هذه الأمور على ظواهرها لا سيما على مذهب أهل السنة في أن الجنة والنار قد خلقتا ووجدتا فيرجع إلى أن الله تعالى خلق لنبيه ﷺ إدراكا خاصا به أدرك به الجنة والنار على حقيقتهما.(فتح الباري ٣/٥٤١).

عن أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رُصُّوا صُفُوفَكُمْ وَقَارِبُوا بَيْنَهَا وَحَاذُوا بِالْأَعْنَاقِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ

يقول :"إنما أنا بشر مثلكم فلا ينافي خصوص الاستعداد لنزول الوحي عليه ومن اعتقد أن روح النبي متشبه بالملائكة فلا يلزم منه الشرك كما لا يلزم الشرك من الإيمان بالملائكة وعند التأمل في أحاديث الإسراء وغيرها يظهر لك أنه ليس بشرا عاديا بل له خصوصيات كثيرة وصنف السيوطي فيها الخصائص الكبرى.

الصَّفِ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ[٦] (رواه أبــو داود، مشكــوة ٩٨).

وعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ هَلْ تَــرَوْنَ قِبْلَـتِي هٰـهُنَا؟ فَـوَاللهِ مَا يَخْفٰى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ وَلَا رُكُوعُكُمْ إِنِّيْ لَأَرَاكُمْ مِــنْ وَرَاءِ ظَـهْرِي (بخــاري ١٠٢/١ باب عظة الإمام الناس في إتمــام الصــلاة).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح الحديــث: والصــواب المختــار أنه محمول على ظــاهره وأن هــذا الإبصــار إدراك حقيقــي خــاص بــه ﷺ انخرقت له فيــه العــادة (فتــح البــاري ٥١٤/١) وكــذا في شــرح مســلم (٤ ١٤٩).

كَيْفَ عِلْمُ الْغَيْبِ؟

عــن أبي هريــرة ﵁ أَنَّ رَسُــولَ اللهِ ﷺ خَــرَجَ إِلَى الْمَقْــبَرَةِ فَقَــالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِيْنَ وَإِنَّــا إِنْ شَــاءَ اللهُ بِكُــمْ لَاحِقُــونَ وَدِدتُّ أَنِّيْ قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا" فَقَالُوْا: "يَا رَسُوْلَ اللهِ أَلَسْنَا بِــإِخْوَانِكَ؟" قَــالَ: "بَــلْ أَنْتُــمْ أَصْحَابِي. وَإِخْوَانُنَا الَّذِيْنَ لَمْ يَأْتُوْا بَعْدُ وَأَنَا فَرَطُــهُمْ عَلَــى الْحَــوْضِ إلخ (موطــأ ١٠).

قال الزرقاني في شرح الحديــث: إن هــذا (رؤيــة الإخــوان الذيــن لم يأتوا بعد) مــن رؤيــة الكــون وزوىٰ الأرض حــتى رأى مشارقــها ومغاربهــا كرامة من الله له وعبر عن هذا بعض العارفين بأن علــم الأنبيــاء مســتمد مــن علم الله وعلمه لا يختلف باختلاف السبب الزمانية فكــذا علــم أنبيائــه حالــة التجلي والكشف فيهم لما خلقوا عليه مــن التطــهير والتجــرد عــن الأدنــاس صارت[٧] مرآة الكون تنجلي في سرائرهم وصار الكــون كلــه كأنــه جوهــرة واحدة وهم مرآته المصقولة التي تتجلــى فيــها الحقــائق والدقــائق.(زرقــاني

---

[٦] الحذف ولد الغنم.

[٧] وفيه الجواب عما يقال كيف يعلم ما في المستقبل بلا وحي؟ وكيــف يعلــم غــير المتنــاهي والله يرزق من يشاء بغير حســاب؟

على الموطأ ١١\٦٣).

عن جابر أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَمَّا كَذَّبَنِي[٨] قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ (متفق عليه ــ مشكوة ٥٣٠ باب في العراج).قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (قوله فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ) قيل معناه كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته ووقع في رواية عبد الله بن الفضل عن أم سلمة عند مسلم المشار إليها" قال فسألوني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا لم أكرب مثله قط رفع الله لي بيت المقدس أنظر إليه ما يسالوني عن شيء إلا نبأهم به" ويحتمل أن يريد أنه حمل إلى أن وضع بحيث يراه ثم أعيد وفي حديث ابن عباس المذكور فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وأنا أنظر إليه" وهذا أبلغ في المعجزة ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس في طرفة عين لسليمن وهو يقتضي أنه أزيل من مكانه حتى أحضر إليه وما ذاك في قدرة الله بعزيز.....وفيه (حديث أم هانئ) عند أبي يعلى أن الذي سأله عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدي والد جبير بن مطعم وفيه من الزيادة فقال رجل من القوم هل مررت بإبل لنا في مكان كذا وكذا؟ قال نعم والله قد وجدهم قد أضلوا بعيرا لهم فهم في طلبه ومررت بابل بني

---

[٨] فيه دلالة ظاهرة على أن الإسراء بجسده لا بالروح فقط لأنه لو كان مناما لما كذبوه ولا استكروه لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس. قال الحافظ وقد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيل ذلك حتى يحتاج إلى تأويل نعم جاء في بعض الأخبار ما يخالف بعض ذلك فجنح لأجل ذلك بعض أهل العلم إلى أن ذلك وقع مرتين مرة في المنام توطئة وتمهيدا ومرة ثانية في اليقظة كما وقع نظير ذلك في ابتداء مجيء الملك بالوحي. (فتح ٩/٥٩).

فلان انكسرت لهم ناقة حمراء قالوا فأخبرنا عن عدمّا وما فيها من الرعاة قال كنت عن عدمّا[٩] مشغولا فقام فأتى الإبل فعدها وعلم ما فيها من الرعاء ثم أتى قريشا فقال: هي كذا وفيها من الرعاء فلان وفلان" فكان كما قال.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جرة: الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن وزيادة شقاء الجاحد والمعاند.(فتح الباري ٧/٢٠٠،٢٠١ باب حديث الإسراء).

عن عقبة بن عامر أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ[١٠] إِلَى حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا.(بخاري ٩٥١/٢ ، كتاب الرقاق).

وفي مسلم: أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ[١١] مِنْهُ (مسلم).

[٩] فيه عدم العلم لعدم الإلتفات فلا يوجد الإحاطة وحضور كل شيء في كل وقت ويدل عليه أيضا كونه مشغولا عن آيات بيت المقدس قبل سؤال المشركين فجلى الله له في ذلك الوقت.

[١٠] وظاهر أنه ليس بالوحي بل من حيث أنه ﷺ كالمرآة للمستقبل، كما تقدم عن الزرقاني.

[١١] فيه أن لسمعه ﷺ قوة لإدراك الغائب عن سمع غيره وكذا الحديث الآتي.

عن ابن عباس رضي الله عنه قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ: بَلَى كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كَسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهَا كَسْرَةً. ......إلخ بخاري ١/٣٥)

وعن أنس بن مالك أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ.(مسلم ٢/٢٦٨).

وظاهر أن علم الغيب في هذه المذكورات باستطاعة مخصوصة مع إذنه تعالى وإرادته ليس لسائر البشر وهذا علمه من بين أظهرهم دونهم.

فيحتمل أن يكون علم الغيب بالوحي أو الاستطاعة.

علة أي مثلا فإن المدار على الرضاء وإلا لكان الأخصر أن يقال إلا رسولا وأيضا لا يشمل النبي وهو محل الاتفاق:

عِلْمُ الْغَيْبِ لِمَنِ ارْتَضَى

قال تعالى: "عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ[١٢] علة فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا.(الجن ٢٥، ٢٦) پ٢٩

---

[١٢] وقال الغزالي في الإصلاء (٣٤): فإن قيل ألم يقل الله تعالى: "فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول" وسماع الله تعالى بحجاب أو بغير حجاب وعلم ما في الملكوت ومشاهدة الملائكة وما غاب عن المشاهدة والحس من أجل الغيوب؟ فكيف يطلع عليها من ليس برسول؟ قلنا في الكلام حذف يدل على صحة تقديره الشرع الصادق والمشاهدة الصورية، وهو أن يكون معناه: إلا من ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول بالإخلاص والإستقامة، أو عمل بما جاء به النبي: لان النبي ﷺ قال: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.

وفي القرءان الكريم: " قال الذي عنده علم من الكتاب آنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك" فعلم ما غاب عن غيره .... ولم يكن نبيا ولا رسولا. وقد أنبأ الله سبحانه وتعالى عن ذي القرنين من إخباره عن العلوم الغيبية وصدقه فيه حين قال: " فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا" وإن كان وقع الإختلاف في نبوة ذي القرنين فالإجماع على أنه ليس برسول وهو خلاف المسطور في الآية وان رام أحد

قال القرطبي (﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ﴾ إلخ) فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه لأن الرسل مؤيدون، بالمعجزات ومنها الإخبار عن بعض الغائبات ,....والأولى أن يكون المعنى أي لا يظهر على غيبه إلا من ارتضى أي اصطفى للنبوة فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته (قرطبي: ١٩/٢٧).

وقال البيضاوي: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ ....إلخ أي على الغيب المخصوص به علمه (﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾) لعلم بعضه حتى يكون له معجزة (﴿مِن رَّسُولٍ﴾)واستدل به على إبطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك

المدافعة بالاحتيال لما أخبر به ذو القرنين وما ظهر على يدي الذي كان عنده علم من الكتاب وأراد أن يجوز على التشبه بالحقائق، فما يصنع فيما جرى للخضر وما أنبأ الله سبحانه وتعالى وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد أن يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من الجميع والله تعالى يقول: " إلا من ارتضى من رسول" فدل على أن في الآية حذف مضاف معناه ما تقدم. وانظر إلى ما ظهر من كلام سعد ﷺ أنه يرى الملائكة وهو غيب الله و علم أبو بكر بما في البطن وهي من غيب الله وشواهد الشرع كثيرة جدا يعجز المتأول ويلهو المعاند. هذا والقول بتخصيص العموم أظهر من الجرانة وأشهر مما نقل الكافة.

ويحتمل أن يكون المراد في الآية بالرسول المذكور فيها: ملك الوحي الذي بواسطته تنجلي العلوم وتنكشف الغيوب. فمتى لم يرسل الله ملكا بإعلام غيب أو يخاطب مشافهة أو إلقاء معنى في روع أو ضرب مثل في يقظة أو منام لم يكن إلى علم ذلك الغيب سبيل.

ويكون تقدير الآية: فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول. أن يرسله الى من يشاء من عباده في يقظة أو منا م فإنه يطلع على ذلك أيضا ويكون فائدة الإخبار بهذا في الآية الإمتنان على من رزقه في الله تعلى علم شيء من مكنوناته وإعلامه أنه لا تصل إليهابنفسه ولا مخلوق سواه. إلا بالله تعالى حين أرسل إليه الملك بذلك وبعثة الله حتى يبرأ المؤمن من حوله ومن حول كل مخلوق وقوته ويرجع إلى الله تعالى وحده ويتحقق أنه لا يرد عليه شيء من علم أو معرفة أو غير ذلك إلا بإرادته ومشيئته. ويحتمل وجه آخر: وهو أن يكون معناه والله أعلم فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى يريد من سائر خلقه أصناف عباده . ويكون معنى: من رسول أي عن يد رسول من الملائكة.

والإظهار بما يكون بغير وسط. وكرامات الأولياء على المغيبات إنما تكون تلقيا عن الملئكة كاطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء (بيضاوي على حاشية الشهاب ٨/٢٦١).

وقال الصاوي (فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا) أي اظهارا تاما كاملا يستحيل تخلفه فليس في الآية ما يدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف ولكن اطلاع الأنبياء على الغيب أقوى من اطلاع الأولياء لأن إطلاع الأنبياء يكون بالوحي وهو معصوم من كل نقص بخلاف إطلاع الأولياء(حاشية الصاوي ٤/٢٥٨).

وقال أبو السعود: وعلى تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق أي فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين أحدا من خلقه (إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ) أي إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما إما لكونه من مبادئ رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها وإما لكونه من أركانها وأحكامها. إلخ (أبو السعود ٥/٧٨١) وكذا في روح البيان (١٠/٢٠١).

- وقال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} (الأنعام ٧٥).

. وقال تعالى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (آل عمران ١٧٩).

قال الخازن في تفسير هذه الآية: يعني ولكن الله يصطفي ويختار من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه (خازن ١/٣٠٨).

وقال الإمام الرازي: معناه انه سبحانه وتعالى حكم بأن يظهر هذا التميز ثم بين بهذه الآية أنه لا يجوز أن يحصل ذلك التمييز بأن يطلعكم الله على غيبه فيقول إن فلانا منا فق وفلانا مؤمن وفلانا من أهل الجنة وفلانا

من أهل النار فإن سنة الله جارية بأنه لا يطلع عوام الناس على غيبه بل لا سبيل لكم إلى معرفة ذلك الإمتياز إلا بالإمتحانات مثل ما ذكرنا من وقوع المحن والآفات حتى يتميز عندها الموافق من المنافق فأما معرفة ذلك على سبيل الإطلاع من الغيب فهو من خواص الأنبياء فلهذا (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ)أي ولكن الله يصطفي من رسله من يشاء فخصهم بإعلامهم أن هذا مؤمن وهذا منافق ويحتمل ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيمتحن خلقه بالشرائع على أيديهم حتى يتميز الفريقان بالإمتحان ويحتمل أيضا أن يكون المعنى وما كان الله ليجعلكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول.(رازي ١١١/٩).

وقال تعالى: أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا إلخ......(الكهف)وعدم علم موسى عليه السلام ذلك الغيب إما لأنه لم يوح إليه ذلك أو لعدم كونه رسولا إذ ذاك[١٣].

فإدراك الغيب ههنا يحتمل أن يكون بالوحي لهم أو بالاستطاعة المخصوصة لهم.

---

[١٣] فعلى هذا يحمل ما في البخاري من أنه أو حي إليه على معنى الإلهام وكذا يحمل قول خضر عليه السلام: "أما يكفيك أن التوراة بيديك وان الوحي يأتيك؟" على أنه إخبار منه بما يوجد في المستقبل من أنه يحصل له التوراة والوحي. فمصاحبة فرعون وحكومته ومصاحبة خضر وشعيب عليهما السلام كل واحد منها مقدمة لرسالة موسى عليه السلام ليتاهب للوحي والمناجاة وللمُلْكِ في بني إسرائيل.

عِلْمُ مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ الْخَمْسِ

. عن أنس بن مالك قال إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ هٰذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ وَهٰذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ قَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ...إلخ (مسلم، مشكوة ٥٤٣ باب في المعجزات)[١٤].

، عن أنس قال نَعَى رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ (بخاري، مشكوة ٥٣٣، باب في المعجزات).

- قال النبي ﷺ سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ (بخاري، مسلم، مشكوة ٥٣٩) فيه علم ما في الغد من الرياح والأمطار.

. عن جابر قال قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ سَفَرٍ فَلَمَّا كَانَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ هَاجَتْ رِيحٌ تَكَادُ أَنْ تَدْفِنَ الرَّاكِبَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ بُعِثَتْ هٰذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا عَظِيمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ مَاتَ (مسلم، مشكوة ٥٣٦)

وعن الزهري قال أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ السَّاعَةَ وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُورًا عِظَامًا ثُمَّ قَالَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ فَوَاللهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ[١٥] مَادُمْتُ فِي مَقَامِي هٰذَا قَالَ أَنَسٌ فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ سَلُونِي قَالَ أَنَسٌ

---

[١٤] فيه علم الغيب من الخمس التي لا يعلمهن إلا الله وفي حديث جبريل عند السؤال عن الساعة " في خمس لا يعلمهن إلا الله "ثم قرأ: "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير (لقمان ٣٤). (متفق عليه، مشكوة ١٢). فثبت بحديث مصارع أهل بدر أن المراد بالآية وبحديث"لا يعلمهن إلا الله" العلم الإستقلالي لا العلم العطائي. فبقية الخمس أيضا كذلك فوجه الخصوصية العرف المشهور كما يأتي.

[١٥] يؤخذ منه أن جميع المغيبات قد يكشف له ﷺ ووجهه كما تقدم عن الزرقاني وما ذلك بقدرة الله بعزيز. والله يرزق من يشاء بغير حساب.

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ أَيْنَ مَدْخَلِي يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ النَّارُ فَقَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ فَقَالَ مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ أَبُوكَ حُذَافَةُ إلخ (بخاري ١٠٨٣/٢).

وعن حذيفة قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذٰلِكَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ (مشكوة، كتاب الفتن ٤٦١).

وعن عمرو بن أخطب الأنصاري قَالَ صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا الْفَجْرَ وَصَعِدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَخَطَبَنَا حَتَّىٰ حَضَرَتِ الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّىٰ ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّىٰ حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّىٰ ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ حَتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَأَخْبَرَنَا بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا (مسلم، مشكوة ٥٤٣ باب في المعجزات) ففي هذا علم ما في المستقبل الذي هو الغيب الحقيقي وكذا في الأحاديث الآتية.

وعن قتادة أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ: أُثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ. (بخاري ٥١/١).

وعن عكرمة قال قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَلِابْنِهِ عَلِيٍّ انْطَلِقَا إِلَىٰ أَبِي سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ يُصْلِحُهُ فَأَخَذَ رِدَائَهُ فَاحْتَبَىٰ ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّىٰ أَتَىٰ عَلَىٰ ذِكْرِ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَجَعَلَ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ قَالَ يَقُولُ عَمَّارٌ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ (بخاري ٥٣٠/١).

وعن الحسن أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرَةَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ إِلَىٰ جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً وَيَقُولُ ابْنِي هٰذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (بخاري ٥٣٠/١)

وعن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ بِنْتِ مِلْحَانَ فَاتَّكَأَ عِنْدَهَا ثُمَّ ضَحِكَ فَقَالَتْ لِمَ تَضْحَكُ

يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَثَلُهُمْ مَثَلُ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مِنْهُمْ ثُمَّ عَادَ فَضَحِكَ فَقَالَتْ لَهُ مِثْلَ أَوْ مِمَّ ذَلِكَ فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَتْ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ: أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَلَسْتِ مِنَ الْآخِرِينَ قَالَ أَنَسٌ: فَتَزَوَّجَتْ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ مَعَ بِنْتِ قَرَظَةَ فَلَمَّا قَفَلَتْ رَكِبَتْ دَابَّتَهَا فَوَقَصَتْ بِهَا فَسَقَطَتْ عَنْهَا فَمَاتَتْ (بخاري ٤٠٣/١ باب غزوة المرأة في البحر).

وعن عائشة ﵂ قَالَتْ دَعَا النَّبِيُّ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ قَالَتْ فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ (بخاري ٥٣٢/١ باب مناقب فاطمة).

قَدْ يَقْرَأُ الْكِتَابَةَ الْمَلَكُوتِيَّةَ

وعن سهل بن سعد الساعدي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ فَقَالُوا مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَنَا صَاحِبُهُ فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ قَالَ فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ (بخاري، باب لا يقال فلان شهيد ٤٠٦/١).

فإدراك الغيب في أمثال هذه الأحاديث يحتمل أن يكون بالوحي أو الاستطاعة مثلا بأن يقرأ ما كتب في القاتل نفسه كتابة ملكوتية كما جاء الحديث عن ابن مسعود قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ

ذٰلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذٰلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمٰاتٍ فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ فَوَ الَّذِي لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتّٰى مٰا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهٰا إِلَّا ذِرٰاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النّٰارِ فَيَدْخُلُهٰا إلخ(متفق عليه، مشكوة ٢٠).

وأما ما يكون بالوحي وان لم يكن باختياره فإنه لا يرد الله دعاءَ ورجاءَ خواصِ العباد وقال عيسى عليه السلام: "وَأُنَبِّئُكُمْ بِمٰا تَأْكُلُونَ وَمٰا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ".

قال الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: انه عليه الصلاة والسلام كان من أول مرة يخبر عن الغيوب روى السدي :انه كان يلعب مع الصبيان ثم يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم وكان يخبر الصبي بأن أمك قد خبأت لك كذا فيرجع الصبي إلى أهله ويبكي إلى أن يأخذ ذلك الشيء ثم قالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع هذا الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا له ليسوا في البيت فقال فمن في هذا البيت قالوا خنازير قال عيسى عليه السلام كذلك يكونون فإذا هم خنازير (رازي ٥٧/٨) ولهذا قال ﷺ فَوَاللهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلّٰا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مٰادُمْتُ فِي مَقٰامِي هٰذٰا (بخاري ١٠٨٣/٢ كتاب الاعتصام)

قال الصاوي في تفسير قوله تعالى: وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ إلخ (البقرة) إن قلت إن دعائه مستجاب لا يرد . أجيب بأنه لا يشاء الله إلا ما يشائه فلو اطلع على أن هذا الشيء مثلا لا يكون كذا لا يوفق الدعاء له إذ لا يشفع ولا يدعو إلا بما فيه إذن من الله واطلاع منه على أنه يحصل مادعا به .(حاشية الصاوي ١١٢/٢).

أَلْغَيْبُ الْحَقِيقِيُّ

ثم إن الغيب قسمان قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى" الَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ إلخ (البقرة) وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي أريد بقوله تعالىٰ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ[١٦] وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الأحكام والشرائع واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا (أبو السعود ١/٣٦)

وقال الإمام الرازي: فإن قيل أفتقولون: العبد يعلم الغيب أم لا ؟ قلنا قد بينا أن الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل وإلى ما لا دليل عليه أما الذي لا دليل عليه فهو سبحانه وتعالى العالم به لا غيره وأما الذي عليه دليل فلا يمتنع أن تقول نعلم من الغيب ما لنا عليه دليل ويفيد الكلام فلا يلتبس وعلى هذا الوجه قال العلماء: الاستدلال بالشاهد على الغائب أحد أقسام الأدلة (رازي ٢/٢٨).

ثم إن العلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع وإذا نسب إلى الله تعالى يكون معناه التحقق الذي لا يتغير ولا يتبدل وهو العلم الحضوري لأن الاعتقاد لا ينسب إلى الله تعالى.

قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم إليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الإضافة إليهما التعلق بهما إما باعتبار الوقوع فيهما حالا أو مآلا وإما باعتبار الغيبة عن أهلهما والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وإن كان الأمر كذلك في نفس الأمر وفيه إشعار بأن علمه سبحانه حضوري فإن تحقق الغيوب في أنفسها علم بالنسبة إليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والأرض.(أبو السعود ٣/٢٨٢).

---

[١٦] هذا الكلام بالنسبة إلى العوام.

والغائب بالنسبة إلى بعض الأفراد يكون حــاضرا بالنسبة إلى البعض الآخر مثلا الجنة والنار وإن كانتا غيبا بالنسبة إلينا تكونان حضورا بالنسبة إلى الملئكة فإذا قيل لا يعلم الغيب إلا الله فالمراد به لا يعلم الغيب عن جميع المخلوقات ومنه ما في غد إلا الله كما تقدم عن أبي السعود.

دَلِيلُ الْخَصْمِ وَجَوٰابُهُ

لا ندعي أن جميع المغيبات حاضر في كل وقت لكل نبي أو ولي. فإذا ثبت أن نبيا من الأنبياء أو وليا من الأولياء ما اطلع على بعض المغيبات لعدم الالتفات أو لعدم الوحي أو الإلهام فلا ينقض دعوانا. فلا اعتراض بقصة إبراهيم عليه السلام حيث لم يعلم الملئكة الضيوف المذكور في قوله تعالى:{ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ}(هود ٧٠).

[١٧]قال الإمام الرازي في تفسير الآية: واعلم أن الأضياف إنما

---

[١٧] قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون. الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء" (البقرة ٢٥٥،٢٥٤)

انظر أول الآية نفي الصداقة والشفاعة يوم القيمة نفيا قطعيا ثم أثبت في الآية التالية الشفاعة بإذن الله فظاهر لكل أحد أن المراد بالنفي الشفاعة الإستقلالية وبالإثبات الشفاعة بإذن الله ومشيئته.

أنظر الآيات التالية:

وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع (الأنعام ٥١)

وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يأخذ منها. (الأنعام ٧٠)

ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع (السجدة ٣٢).

ولا يقبل منها شفاعة ولا يأخذ منها عدل (البقرة ١٢٣).

قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض. (الزمر ٤٤).

فالمراد بها الشفاعة الإستقلالية حملا للمطلق في مواضع على المقيد في أخرى منها قوله تعالى:

"ما من شفيع إلا من بعد إذنه (يونس ٣)

يومئذ لا تنفع الشفاعةإلا من أذن له الرحمن (طه ١٠٩)

ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له (سبأ ٢٣)

ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق (الزخرف ٨٦)

لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (مريم ٨٧)

من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها.

فالجمع بين قوله تعالى"لله الشفاعة جميعا"وبين قوله ﷺ :"اعطيت الشفاعة. (بخاري) وكذا أحاديث الشفاعة المتقدمة في بابها ظاهر لكل أحد فمن اخذ ببعضها وأنكر بعضا آخر فقد شقى فقوله ﷺ لفاطمة "انقذي نفسك لا أغني عنك من الله شيأ فالمراد لا أغني عنك إن لم تؤمني جمعا بين الأدلة لأن الشفاعة لاتنفع إلا للمؤمن كما في قوله تعالى لا يشفعون إلا لمن ارتضى.

وكذا النصرة أنظر الآيات التالية.

وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (البقرة ١٠٧)

مالك من الله من ولي ولا نصير. (البقرة ١٢٠)

وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (الأنفال ٤٠)

وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير (التوبة ٧٤)

وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (التوبة ١١٦)

واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير (الحج ٧٨)

وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (العنكبوت ٢٢)

والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير (الشورى ٨)

وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (الشورى ٣١)

وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا (النساء ٤٥)

وأنظر الآيات التالية:

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار (توبة ١٠٠)

فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله. (آل عمران ٥٢)

قال الحواريون نحن أنصار الله. (الصف ١٤)

والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعـــض. (أنفـــال ٧٣)

لتؤمنن به ولتنصرنه. آل عمـــران ٨١)

فالذين آمنوا به وعزروه و ونصروا أولئك هم المؤمنـــون حقـــا.

إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمـــون الصـــلاة:وإن تظـــاهرا عليـــه فـــإن الله هـــو مولیه وجبريل وصالح المؤمنـــين.

وأبرأ الأكمه والأبرص وأحيي الموتـــى بإذنـــه الله

وظاهر لكل أحد أن المراد بأمثال تلك الآيـــات النصـــرة الإســـتقلالية وبأمثـــال هـــذه الآيـــات النصرة والولاية بإذن الله وكذلك علـــم الغيـــب.

أنظر الآيات التالية:

وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هـــو (الانعـــام ٥٩)

قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيـــب. (أنعـــام ٥٠)

قل لا يعلم من السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيـــان يبعثـــون. (النمـــل ٦٥)

فقل إنما الغيب لله(يونـــس ٢٠)

وانظر الآيات التاليـــة:

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا مـــن ارتضـــى (دن ٢٦)

ما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله مـــن يشـــاء (آل عمـــران ١٧٥)

وأنبأكم بما تأكلون وما تدخـــرون.

وكذلك نري إبراهيم ملكوت الســـموات والأرض (أنعـــام ٧٥)

فظاهر لكل أحد أن المراد بتلك العلم الإستقلالي وبهذه العلـــم بمشيئـــة الله ورضـــاه. فـــإن قلـــت فما هي خصوصية علم الغيب حتى يحصر في الله وعلم الشهادة وسائر الأمـــور كلـــها كذلـــك أقـــول لم يخص الله تعالى علم الغيب بل عمم علم الشهادة وسائر الأمور معه. أنظـــر الآيـــات التاليـــة:

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا (البقـــرة)

ولا يحيطون بشيئ من علمه إلا بما شـــاء(البقـــرة)

قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولـــو كنـــت أعلـــم الغيـــب لاســـتكثرت مـــن الخير وما مسني السوء (أعـــراف ١٨٨)

ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كلـــه. (هـــود ١٢٣)

ففي الآيتين نفي الإستقلال في جميـــع الأمـــور:

إمتنعوا من الطعام لأنهم ملئكة والملئكة لا يـــأكلون ولا يشربـــون وإنمـــا أتـــوه في صورة الأضياف ليكونوا على صفة يحبـــها وهـــو كـــان مشغوفـــا بالضيافـــة وأما إبراهيم عليه السلام فنقول إما أن يقال إنه عليه الســـلام مـــا كـــان يعلـــم

فإن قلت قوله تعالى لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مســني السـوء. يــدل علــى أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب على وجه الإســتقلال وعلــى وجــه العطــاء لأن حــاصل الآيــة عــدم الإستكثار دليل لعدم علم الغيب فلو كان النبي ﷺ يعلم الغيـــب ولـــو علـــى وجـــه العطـــاء يمكـــن استكثار الخير فعدم الإستكثار دليل لعدم العلم بالكلية . أقـــول إذا كـــان علـــم الغيـــب بعطـــاء الله تعالى لا على وجه الإستقلال فلا بد أن يطاع أمره تعالى فـــإذا أمـــر بكتمـــان البعـــض مثـــلا وأمـــر العمل بمقتضى الظاهر أو عدم الالتفات فلا يمكن استكثار الخـــير إلا كمـــا قـــدر الله تعـــالى وأراد ألا ترى تصيبك المصيبة لا لعدم البصر بل لعدم الالتفات لعـــدم مشيئـــة الله تعـــالى مـــع أن لـــك قـــدرة لإبصار جميع المبصرات فبصرك عطائي لا اســـتقلالي واعلـــم أن الله تعـــالى يعلـــم جميـــع الغيـــب ولم يفعل بمقتضاه لحكم ومصـــالح

فحاصل آيات النفي الرد على الكفـــار الذيـــن يدعـــون في رؤســـائهم وآلهتـــهم علـــم الغيـــب والشهادة وسائر الأمور العادية استقلالا بدون إذن أحـــد ومشيئتـــه والـــرد علـــى الكهنـــة الذيـــن يدعون علم الغيب استقلالا أو عطاء فحاصل الرد لا يعلـــم الغيـــب اســـتقلالا أحـــد مـــن دون الله ولا يعلم الغيب بالعطاء إلا من ارتضى بخـــلاف الكهنـــة.

ولا ينافي علم جميع المغيبات قوله تعالى قل إن أدري أقريب ما توعـــدون أم يجعـــل لـــه ربي أمـــدا. (الجن ٢٥) لأن علم الجميع بعد تمام نزول القرآن، ويكـــون علـــم الجميـــع كمـــا لا وان كـــان في آخر الحيوة وأما قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغـــي لـــه (يس) فليـــس مـــن الغيـــب والمـــراد بالعلم الملكة والمراد بالشعر هو المؤلف من المتخيلات سواء كان بيتـــا أو نـــثرا ينقـــاد بســـبب تلـــك المخيلات نفس الإنسان وتنفعل بالترغيب والـــترهيب كمـــا إذا أنشـــد قصيـــدة بصـــوت طيـــب أو كريه أو يكون على وزن حسن أو قبيح قـــال الشـــاعر:

في زخرف القول تزيين لباطله   والحق قد يعتريه ســـوء تعبـــير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه   وإن ذممت تقل قيـــئ الزنابـــير

فالآية جواب لمن يقول القرآن شعر وكلام مخيل والنبـــي شـــاعر.

أهم ملئكة بل كان يعتقد فيهم أهم من البشر أو يقال إنـــه كـــان عالمـــا بـــأهم من الملئكة اما على الاحتمال الأول فسبب خوفه أمـــران أحدهمـــا انـــه كـــان ينـــزل في طرف من الأرض بعيد عن الناس فلما امتنعـــوا مـــن الأكـــل خـــاف ان يزيدوا به مكروها وثانيها أن من لا يعـــرف إذا حضـــر وقـــدم إليـــه طعـــام فان أكل حصل الأمن وإن لم يأكل حصل الخوف وأما الاحتمـــال الثـــاني وهـــو انه عرف أهم ملئكة الله تعالى فسبب خوفه على هـــذا التقديـــر أيضـــا أمـــران أحدهما أنه خاف أن يكون نزولهم لأمر أنكـــره الله تعـــالى عليـــه والثـــاني أنـــه خاف أن يكون نزولهم لتعذيـــب قومـــه.(رازي ٢٤/١٨).

فيحتمل أنه علمهم وعاملهم بحسب الظاهر لحكـــم ومصـــالح ويحتمـــل أنه لم يعلمهم لعدم الإلتفات ولا بعد فيه لأنا نجد أمثال هذا شايعـــا ذائعـــا فأمـــا قصة إفك عائشة وعدم القول في أول الأمر ليس دليـــلا لعـــدم العلـــم كمـــا أن الله تعالى لم يخبر أولا فليس لعدم علمه بـــالغيب بـــل لحكـــم ومصـــالح وكـــذا قصة عاصم وخبيب وأصحاب بئر معونة فلا تدل علـــى عـــدم العلـــم بقتلـــهم وشهادهم كما أن عدم إخباره تعالى أولا ليس دليـــلا فقـــد يرســـل النـــبي ﷺ الصحابة إلى القتال مع علمه بالشهادة كما وقـــع في موتـــة.

وأما قوله تعالى.{ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًـا وَلاَ ضَـرًّا إِلاَّ مَـا شَـاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَـيْرِ وَمَـا مَسَّـنِيَ السُّـوءُ إِنْ أَنَـا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(الاعـــراف ١٨٨).

فقال القرطبي:أي لا أملك أن أجلب إلي نفسي خـــيرا ولا أدفـــع عنـــها شرا فكيف أملك علم الساعة وقيل لا أملك لنفســـي الهـــدى والضـــلال (إلا ماشاء الله) في موضع نصب بالاســـتثناء والمعـــنى إلا مـــا شـــاء الله أن يملكـــني ويمكنني منه(قرطـــبي ٣٣٦/٧).

وقال الرازي في سبب نزول الآية لما رجـــع عليـــه الصـــلاة والســـلام من غزوة بني المصطلق جاءت ريح في الطريق ففـــرت الـــدواب منـــها فأخـــبر النبي ﷺ بموت رفاعة بالمدينة وكان فيه غيـــظ للمنـــافقين وقـــال انظـــروا أيـــن

ناقتي فقال عبد الله بن أبيّ مع قومه ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف أين ناقته فقال عليه الصلاة والسلام إن أناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدها على ما قال فانزل الله تعالى :{ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ} (رازي ١٥/٨٣).

وقال إسماعيل البروسوي (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا) أي جلب نفع ولا دفع ضر فمن لا يعلم أن نفعه في أي الأشياء ومضرته في أيها كيف يعلم وقت قيام الساعة....(إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ) أن أملكه من ذلك بأن يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه فالاستثناء متصل أو لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا أبلغ في إظهار العجز عن علمها (وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ)....(وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) ....(إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) أي ما أنا إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة شأني ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الأحكام والشرائع وقد كشفت من أمر الساعة ما يتعلق به الإنذار من مجيئها لا محالة واقترابها وأما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الإنذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من أن إبهامه أدعى إلى الانزجار عن المعاصي (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) قال الحدادي في تفسيره في الآية دلالة على بطلان قول من يدعي العلم بمدة الدنيا ويستدل بما روي أن الدنيا سبعة آلاف سنة لأنه لو كان كذلك كان وقت قيام الساعة معلوما وأما قوله ﷺ (بعثت أنا والساعة كهالتين) وأشار إلى السبابة والوسطى فمعناه تقريب الوقت لا تحديده كما قال تعالى (فقد جاء أشراطها) أي مبعث النبي ﷺ من أشراطها. يقول الفقير رواية عمر الدنيا وردت من طرق شتى صحاح لكنها لا تدل على التحديد حقيقة فلا يلزم أن يكون وقت قيام الساعة معلوما لأحد أيا من كان من ملك أو بشر. وقد ذهب بعض المشائخ إلى أن النبي ﷺ كان يعرف وقت الساعة باعلام الله تعالى

وهو لا ينافي الحصر في الآية كما لا يخفى.وفي صحيح مسلم عن حذيفة قال أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة (روح البيان ٢٩٢/٣ – ٩٣).

وأما قوله تعالى :{قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...إلخ} (الأنعام ٥٠).

قال أبو حيان في تفسير الآية وهذه الثلاث جواب لما سأله المشركون فالأول جواب لقولهم إن كنت رسولا فأسأل الله حتى يوسع علينا خزائن الدنيا والثاني جواب لقولهم إن كنت رسولا فأخبرنا بما يقع في المستقبل من المصالح والمضار فنستعد لتحصيل تلك ودفع هذه والثالث جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق اهـ اهـ....ولما كان علم الغيب أمرا يمكن أن يظهر على لسان البشر بل قد يدعيه كثير من الناس كالكهان وضراب الرمل والمنجمين وكان ﷺ قد أخبر بأشياء من المغيبات وطابقت ما أخبر به عن علم الغيب من أصله فقال ولا أعلم الغيب تنصيصا على العبودية والإفتقار.(بحر المحيط ١٣٣:٤).

وقال إسماعيل البروسوي (قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ) أي لا أدعي أن خزائن مقدوراته تعالى مفوضة إِلَيَّ أَتَصَرَّفُ فيها كيف أشاء استقلالا (روح البيان ٣٣\٣). وقوله تعالى (وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) أي لا أدعي في قولي {إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }"إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم" العلم على الغيب حتى تسارعوا إلى الإنكار والاستبعاد (روح البيان ٤\١١٩). وقوله تعالى {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ} أي ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي من غير أن يكون لي مدخل ما في الوحي أو في الموحي بطريق الاستدعاء أو بوجه آخر من الوجوه أصلا والوحي ثلاثة ما ثبت بلسان الملك والقرآن من هذا القبيل وما ثبت بإشارة الملك من غير أن يبينه

بالكلام وإليه الإشارة بقوله عليه السلام (إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا).والثالث ما تبدّى لقلبه أي ظهر لقلبه بلا شبهة إلهاما من الله تعالى بأن أراه الله بنور من عنده كما قال (لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) وأبي الأشعرية وأكثر المتكلمين أن يحكم عليه السلام بالاجتهاد كما تدل عليه الآية إذ ثبت بها أنه لا يتبع إلا الوحي والجواب أنه جعل اجتهاده عليه السلام وحيا باعتبار المآل فان تقريره عليه السلام على اجتهاده يدل على أنه هو الحق كما إذا ثبت بالوحي ابتداء (روح البيان ٣٤\١٣).

وقال النيسابوري (وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) قلت ويحتمل أن يكون عطفا على لا أقول أي قل لا أعلم الغيب فيكون فيه دلالة على أن الغيب بالاستقلال لا يعلمه إلا الله بخلاف كون خزائن الله عنده وكونه ملكا فإن النبي ﷺ يحتمل أن يكون له هذه المقامات ولكن لا يظهرها واختلف المفسرون في فائدة نفي هذه الأمور فقيل المراد إظهار التواضع والخضوع لله تعالى والإعتراف بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد النصارى في المسيح عليه السلام.وقيل المقصود إبداء العجز والضعف وانه لا يستقل بإيجاد المعجزات التي كانوا يقترحونها كقولهم لم نؤمن لك حتىٰ تفجر لنا من الأرض ينبوعا إلى قوله هل كنت إلا بشرا رسولا(تفسير النيسابوري بهامش الطبري ١٤٨/٧)[١٨].

---

[١٨] قال أحمد رضا خان اعلم أن ملاك الأمر ومناط النجاة الإيمان بالكتاب كله وما ضل أكثر من ضل إلا أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض كالقدرية آمنوا بقوله تعالى" وما ظلمنهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون"وكفروا بقوله تعالى"والله خلقكم وما تعملون" والجبرية آمنوا بقوله تعالى"وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العلمين" وكفروا بقوله تعالى "ذلك جزينهم ببغيهم وإنا لصدقون" والخوارج آمنوا بقوله تعالى "وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين" وكفروا بقوله تعالى "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" ومرجئة

الضلال آمنوا بقوله تعالى "لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم" وكفروا بقوله تعالى"من يعمل سوء يجز به" وأمثال ذلك كثير وفي كتب الكلام شهير والقرآن العظيم الذي نص أيضا أنه "لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول:" وقال وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء " وقال "وما هو على الغيب بضنين" وقال وعلمك ما لم تكن تعلم" وكان فضل الله عليك عظيما" وقال تعالى"ذلك من انباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون" وقال تعالى" ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون" وقال تعالى" تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك" إلى غير ذلك من الآيات فهذا ربنا تبارك وتعالى قد نفي نفيا لا مرد له وأثبت إثباتا لا ريب فيه فالكل حق والكل إيمان. ومن أنكر شيئا. منهما فقد كفر بالقرآن فمن نفى مطلقا ولم يثبت بوجه فقد كفر بآيات الإثبات ومن أثبت مطلقا ولم ينف بوجه فقد كفر بالآيات النافيات والمؤمن يؤمن بالكل. ولا تتفرق به السبل وهما لا يمكن لهما مورد واحد. فوجب الفحص عن الموارد. فالعلم إما ذاتي إن كان مصدره ذات العالم لا مدخل فيه لغيره عطاء ولا سببا وإما عطائي إذا كان بعطاء غيره فالأول مختص بالمولى سبحنه وتعالى لا يمكن لغيره من أثبت شيئا منه ولو أدنى من أدنى من ذرة لا حد من العلمين فقد كفر وأشرك. والثاني مختص بعباده عز جلاله لا إمكان له فيه ومن أثبت شيئا منه لله تعالى فقد كفر. فالمنفي هو الذاتي-المثبت هو العطائي.

ثم يجب حصول العلم بالغيوب لكل مؤمن فضلا عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كيف لا وقد أمرنا سبحنه أن نؤمن بالغيب.والإيمان تصديق.والتصديق علم فمن لم يعلم غيبا كيف يصدق ومن لم يصدق كيف يؤمن فثبت أن العلم الذي يستأهل الاختصاص به تعالى ليس إلا العلم الذاتي والعلم المطلق التفصيلي المحيط بجميع المعلومات الإلهية بالاستغراق الحقيقي فهما المرادان في آيات النفي وأن العلم الذي يصح إثباته للعباد هو العلم العطائي. والتمدح إنما يحصل بهذا وقد مدح الله به عباده فقال"وبشروه بغلم عليم" وقال "وإنه لذو علم لما علمنه وقال" علمنه من لدنا علما" وقال " وعلمك ما لم تكن تعلم" إلى غير ذلك من آيات كثيرة فهو المراد بآيات الإثبات فهذا هو المحمل الحق. كما قال الإمام الأجل أبو زكريا النووي في فتاواه

ثم الإمام ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية وغيرهما في غيرهما ان معناهما لا يعلم ذلك استقلالا وعلم إحاطة بكل المعلومات إلا الله تعالى وقول الخصم إنه ﷺ :"لا يعلم حال خاتمته ولا خاتمة أمته منافٍ كثيرا من الآيات. قال تعالى "وللآخرة خير لك من الأولى" وقال تعالى "ولسوف يعطيك ربك فترضى" وقال تعالى "يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم" وقال تعالى "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" وقال تعالى "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" وقال تعالى" إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما" وينصرك الله نصرا عزيزا إلى قوله تعالى "ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنت تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما".

ثم إن الفرق بين علم الله وبين علم الخلق ظاهر لأن علم الله ذاتي وعلم الخلق عطائي علم الله واجب لذاته وعلم الخلق ممكن له علم الله أزلي سرمدي قديم حقيقي وعلم الخلق حادث لأن الخلق كله حادث والصفة لا تتقدم الموصوف. علم الله غير مخلوق وعلم الخلق مخلوق علم الله غير مقدور وعلم الخلق مقدور ومقهور. علم الله واجب البقاء وعلم الخلق جائز الفناء علم الله ممتنع التغير وعلم الخلق ممكن التبدل ومع هذه التفرقات لا يتوهم المساواة.

قال البعض ما ترجمته: إن صح الحكم على ذات النبي المقدسة بعلم المغيبات كما يقول به زيد فالمسئول عنه انه ما ذا أراد بهذا بعض الغيوب أم كلها فإن أراد البعض فأي خصوصية فيه لحضرة الرسالة فإن مثل هذا العلم بالغيب حاصل لزيد وعمرو بل لكل صبي ومجنون بل لجميع الحيوانات والبهائم وان أراد الكل بحيث لا يشذ منه فرد فبطلانه ثابت نقلا وعقلا اهـ.

الجواب شقق بين الكل والبعض وإذ قد انتفى الأول ورأى الثاني شاملا للكل حكم باستواء علوم رسول الله ﷺ الذي علمه الله ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما ونزل عليه القرآن تبيانا لكل شيء وفصل الله له كل شيء تفصيلا مع علم زيد وعمرو بل كل صبي ومجنون بل كل حيوان وبهيمة ولم يدر أن البعض له عرض عريض شامل من قطيرة صغيرة ضئيلة ذليلة إلى ألوف ألوف بحارة لا يدري قعرها ولا لها حد ولا انتهاء وما الكل إلا من علومه تعالى لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فإن كان مجرد صدق لفظ البعض نافيا للتساوي

والتماثل ونفي الخصوصية كما زعم فليحكم بتساوي قدرة الملائكة لقدرة زيد وعمرو بل كل صبي ومجنون بل كل حيوان وبهيمة فإن الحيوانات جميعا تقدر على بعض الأفعال والحركات وإن لم تكن قدرتها مؤثرة.

أضرب لك مثلا ملك جبار ملك الدنيا بحذافيرها وملك الخزائن بنقيرها وقطميرها وله نواب وأمراء سلطهم على خزائن قطر قطر ليعينوا المحتاجين ويتصدقوا على المساكين وأمر عليهم جميعا خليفة أعظم ليس فوقه إلا الملك الأكرم فجعل خزائنه جميعا طوع يديه وأمر الكل مفوضا إليه إلا خاصة نفسه فهو يقسم على النواب والأمراء وهم على من تحتهم درجة فدرجة حتى تصل القسمة إلى الفقراء فيصيب كلا نصيبه وفيهم شقي طريد خبيث بعيد ينازع الملك ونوابه فلا يذعن لهم ولا يعظمهم ولا يرى فضلا عليه لهم وما عنده قوت يومه فقير بائس مسكين مفلس لم يصل إليه من قسمة الأمراء إلا فلس واحد مطموس كاسد وهو يقول أنا والخليفة الأكبر كلانا سواء في المال والملك لأنه إن أريد ملك الكل فليس للخليفة أيضا وإن أريد ملك البعض فأي خصوصية فيه للخليفة فإني أيضا أملك البعض أليس في ملكي هذا الفلس الاسود الكاسد.

فإن قال الخصم نعم أطلع الله تعالى محمدا ﷺ على بعض المغيبات في بعض الأوقات على جهة الإعجاز بيد أنه لا يعلم إلا ما علم قالوا وأنتم أيضا لا تقولون إلا بهذا فارتفع الشقاق وحصل الوفاق.

أقول قال إمامهم الدهلوي في تقوية الإيمان إن من ادعى لنبي علم المغيبات ولو علم عدد أوراق شجرة فقد أشرك بالله سواء قال إنه يعلمه بنفسه أو بعطاء الله تعالى على كل وجه يثبت الشرك أما قال كبيرهم الكهنكوهي في براهينه أنه ﷺ لم يكن يعلم ما وراء جدار وجعله قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افتراء عليه ونسب روايته بكمال الوقاحة إلى الشيخ المحقق المحدث الدهلوي مع أن الشيخ رحمه الله تعالى إنما أورده إشكالا وأجاب بأنه لم يثبت ولم تصح الرواية به كما نص عليه في مدارج النبوة. أما قولهم لا يعلم إلا ما علم فكلمة حق أريد بها باطل وكذا قولهم بعض المغيبات وبعض الأوقات، ولكنهم إنما يريدون به القليل واليسير. أما نحن معاشر أهل الحق فقد علمنا قوله عز وجل"وعلمك ما لم تكن تعلم"وكان فضل الله عليك

عظيما أقول امتن الله سبحنه وتعالى في هذه الآية على حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم بتعليمه ما لم يعلم وختم الإمتنان بما دل على عظم تلك المنة العظمى وفخامة هذه النعمة الكبرى فقال وكان فضل الله عليك عظيما. فحسبك حديث البخاري عن أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ قال قام فينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم وحديث مسلم عن عمرو بن أخطب الأنصاري ﷺ في خطبته صلى الله تعالى عليه وسلم من فجر إلى الغروب وفيه فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا احفظنا وحديث الصحيحين عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به. وفي الصحيحين في حديث الكسوف ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا.

وفي شرح المشكوة للشيخ المحقق عبد الحق تحت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فعلمت ما في السموات والأرض عبارة عن حصول جميع العلوم الجزئية والكلية والإحاطة بها وفي نسيم الرياض شرح شفاء الإمام القاضي عياض للعلامة الخفاجي وشرح المواهب اللدنية والمنح المحمدية للعلامة الزرقاني تحت حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما في إخباره صلى الله تعالى عليه وسلم من حال كل طائر يطير بجناحيه في الجو هذا تمثيل لبيان كل شيء تفصيل تارة وإجمال أخرى قال الإمام أحمد القسطلاني في المواهب ولا شك أن الله تعالى قد أطلعه على أزيد من ذلك وألقي عليه علوم الأولين والآخرين وقال الإمام البوصيري ومع العلمين علما وحلما قال الإمام ابن حجر المكي في شرحه أفضل القرى لأن الله تعالى أطلع على النبي ﷺ فعلم علم الأولين والآخرين وما كان وما يكون وفي نسيم الرياض أنه صلى الله تعالى عليه وسلم عرضت إليه الخلائق من لدن آدم عليه الصلوة والسلام إلى قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم آدم الأسماء وقال القاضي ثم القاري ثم المناوي في التيسير شرح الجامع الصغير للامام السيوطي رحمهم الله تعالى النفوس القدسية إذا تجردت عن العلائق البدنية اتصلت بالملأ الأعلى ولم يبق لها حجاب فترى وتسمع الكل كالمشاهد وقال الإمام ابن الحاج المكي في المدخل والإمام القسطلاني في المواهب قد قال علماؤنا رحمهم الله تعالى ﷺ الفرق بين موته وحياته صلى الله تعالى عليه وسلم في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك

جلي عنده لا خفاء به اهـ وقد قال تعالى"يا أيها النبي إنا أرسلناك شـاهدا" هـذا كـلام ربنـا عـز وجل"ونزلنا إليك الكتب تبيانا لكل شيئ"وقال تعالى"ما كان حديثا يفـتري ولكـن تصديـق الـذي بين يديه وتفصيل كل شيئ"وقال تعالى"ما فرطنا في الكتب مـن شـيء"

فالقرآن العظيم شهيد وما أعظمه من شـهيد أنـه تبيـان لكـل شيئ والتبيـان البيـان الواضح الجلي الذي لا يبقى خفاء فإن زيادة التبيان دليل زيادة المعاني والبيان لا بـد لـه مـن مبين وهو الله سبحنه وتعالى ومبين له وهو الذي نزل عليه القـرآن سـيدنا رسـول الله صلـى الله تعـالى عليه وسلم. وفي ميزان الشريعة الكبرى للإمام الشعراني قـد اسـتخرج أخـي أفضـل الديـن مـن سورة الفاتحة مأتي ألف علم وسبعة وأربعين ألف علم وتسـعماة وتسـعة وتسـعين علمـا ثم ردهـا كلها إلى البسملة ثم إلى الباء ثم إلى النقطة التي تحت البـاء وكـان رضـي الله تعـالى عنـه يقـول لا يكمل الرجل عندنا في مقام المعرفة بالقرآن حتى يستخرج جميع أحكامـه وجميـع مذاهـب المجتـهدين فيها من أي حرف شاء من حروف الهجـاء.

فكلما نزلت آية أو سورة زادته صلى الله تعـالى عليـه وسـلم علومـا إلى علـوم إلى أن تم نزول القرآن فتم لكل شيء التفصيل والتبيان وأتم الله نعمته على حبيبـه كمـا كـان وعـد بـه في القرآن فقبل أن يتم النـزول إن قيل له صلى الله تعـالى عليـه وسـلم في بعـض الأنبيـاء عليـهم الصلاة والسلام لم نقصصهم عليك وفي المنـافقين لا تعلمـهم أو توفـق صلـى الله عليـه وسـلم في قصة أو قضية حتى نزل الوحي وأتى بالجلية. فلا هو لتلك الآيات منـاف ولا لإحاطـة علمـه صلـى الله عليه وسلم ناف. وليأتوا بنص قطعي الدلالة يقيني الإفادة مجزوم الثبـوت أن بعـض الوقـائع قـد خفيت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد تكميل التـنـزيل بحيـث إنـه لا يعلمـها أصـلا لا أنه علم وكتم لأن عنده من العلوم ما يكتم أو علم وذهل حينا لاشتغـال بالـه بـأمر آخـر أعظـم وأهم.

عسى أن يقول بعض من لا معرفة له بمعاني النصـوص أنكـم إذا أثبتـم لنبيكـم صلـى الله تعالى عليه وسلم علم جميع ما كان وما يكون من أول يوم إلى آخر الأيـام فقـد دخلـت فيـه خمـس لا يعلمهن إلا الله فأين اختصاصها بالله تعـالى أقـول ألقينـا عليـك أن الاختصـاص بربنـا تبـارك وتعالى إنما هو بمعنى الاستقلال والإحاطة بجميع علوم ذي الجلال أما مطلـق العلـم العطـائي فثـابت

لعباده بإثباته تعالى وإرشاده أما علمت أن علم ما كان وما يكون لم يثبته هذا النبي الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم من عند أنفسنا بل الله أثبت والقرآن أثبت ومحمد ﷺ والصحابة أثبتوا والأئمة بعدهم أثبتوا كما تلونا وروينا ونقلنا وحكينا فأنى تصرفون. فإن قلت قد عد الله تعلى هذه الخمس وخصها بالذكر فلا بد لها من مزية على غيرها في الاختصاص بالله تعالى فالإعلام يجري فيما وراءها لا لها وإلا لبطلت خصوصية اختصاصها لكونها إذا كسائر الغيوب في الانكشاف بالإعلام قلت فمن أين لك ادعاء الخصوصية في الاختصاص فإن الآية هكذا إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير فأي دلالتها على اختصاص الخمس جميعا فضلا عن خصوصية الاختصاص، ألا ترى أن في بعضها ليس بشيء مما يدل على الحصر والقصر كقوله تعالى ينزل الغيث وقوله تعالى يعلم ما في الأرحام ولا نسلم أن مجرد الذكر في مقام الحمد يوجب الاختصاص مطلقا فقد مدح الله سبحانه وتعلى نفسه بالسمع والبصر والعلم ووصف بها عباده أيضا جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة من ذلك قول موسى على نبينا الكريم وعليه الصلاة والسلام لا يضل ربي والأنبياء أيضا منزهون عن الضلال يا قوم ليس بي ضلالة وقال تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة والأنبياء أيضا مبرؤن عن الظلم قال لا ينال عهدي الظالمين.

ثانيا سلمنا الدلالة على الاختصاص فأي خصوصية للخمس فيه بحيث لا يبقى للاعلام الإلهي إليها سبيل فإنه إن كان استدلالا بنحو مفهوم اللقب فهو باطل مبرهن على بطلانه في الأصول فإن الآية ليس فيها لفظ الخمس أيضا حتى يرجع إلى مفهوم العدد والحديث وإن ذكر فيه هذا اللفظ إن العدد في أمثال هذا لا ينفي ما زاد أما سمعت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي مع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خص بعطايا كثيرة لا تعد ولا تحصى الحديث جاء من وجه آخر بلفظ فضلت على الأنبياء بست فالخمس تنفي الست فيتناقضان ثم هما في مرد الخصال مخالفان فعد في كل منهما ما لم يعد في الآخر فعلى تقدير إفادة العدد الحصر يلزم تنافي الأحاديث الصحيحة المقبولة كلها عند الأئمة بوجوه شتى ولكن لا بد لتخصيصهن بالذكر من نكتة أقول إن في الغيوب كثرة عظيمة سوى الخمس حتى

إن مجموع أفراد الخمس بخذافيرها لا تبلغ جزء من عشر عشر معشار ما سواها فالله تعالى غيب الغيب وهو على كل شيء شهيد وكل صفة من صفاته غيب والبرزخ غيب والجنة غيب والنار غيب والكتاب غيب والحشر غيب والنشر غيب والملائكة غيب وجنود ربك سواهم غيب إلى غيوب لا يمكن لنا إحصاء أجناسها فضلا عن أفرادها ومعلوم أن كلها أو جلها أشد غيبة من أكثر الخمس وما ذكر الله تعالى في هذه الآية منها شيئاً وإنما أتى بهذه فلم يخصها لزيادة تغلغلها في الكمون والبطون بل إن الزمان كان زمان الكهان وكان الكفرة يدعون علوم الغيب بالرمل وبالقيافة وبالطير وبالأزلام وبغير ذلك وما كانوا يبحثون عما ذكرنا من علم الذات والصفات والمعاد والأملاك ولا لإدراكها طريق أصلا في تلك الفنون الداعية إلى الهلاك.

وإنما كانوا يقولون عن الأمطار متى تكون أين تكون وعن الأجنة هل هي بنات أم بنون. وعن المكاسب والمتاجر والرابح فيها والخاسر. وعن قفول المسافر إلى بيته أو موته ثم في غربته فخصت هذه بالذكر بمعنى أن التي تدعون علمها بفنونكم الأباطيل فإن علمها عند الملك الجليل ليس إليها من دون إعلامه تعالى سبيل. قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمس لا يعلمهن إلا الله فهو باعتبار الاستقلال وقال الله عز وجل" قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله"فخصص الرسول وعمم الإله وانا بكل مؤمنون فإن الخصوص لا ينفي العموم فلا يعلم الخمس إلا الله ولا يعلم غيرها من الغيوب التي هي أعلى وأشرف وأدق وألطف منها إلا الله أقول بل لا يعلم شيء إلا الله بل لا وجود حقيقيا إلا لله وقد جعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصدق كلمة قالها العرب قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل. وقد أنشد سواد بن قارب رضي الله تعالى عند النبي صلى الله عليه وسلم:

فأشهد أن الله لا شيء غيره ... وانك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين شفاعة ... إلى الله ياابن الأكرمين الأطايب
فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ... سواك بمغن عن سواد بن قارب

هكذا روينا في المسند وإن كانت الرواية الأخرى لا رب غيره أقول فأولا نفى الوجود عن كل شيء سوى الله تعالى وثانيا أثبت علم المغيبات لنبينا صلى الله تعالى عليه حيث

جعله أمينا على جميع الغيوب.الجاهل عن شيء لا يكون أمينـــا لــه.

وثالثا آمن بأن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قد أعطـي الشفاعـة كمـا قـال صلـى الله تعالى عليه وسلم في حديث مسلم وأعطيت الشفاعة لا كما قال الخصـم إنـه لم يعطـها بعـد وإنما يؤذن له فيها يوم القيامة قصدوا بذلك أن لا يستغاث به صلى الله تعـالى عليـه وسـلم الآن لأنـه لا يقدر الآن على الشفاعة ونبذوا قوله تعالى"واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنـات"وقولـه تعـالى"ولـو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسـول لوجـدوا الله توابـا رحيمـا"وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمـون.

رابعا أقر بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الأقرب شفاعـة لا كمـا قـال كبـير الخصـم إنه تعالى إذا أراد الاحتيال لمغفرة النادم التائب أذن للشفاعـة عنـده.

وخامسا استغاث به صلى الله تعالى عليه وسلم ردا علـى الخصـم.

وسادسا ترقى عن أقربية شفاعته ﷺ فحصر الشفاعة فيه

كمـا قـال ﷺ: وأنـا صـاحب

شفاعتهم ولا فخر.

وسابعا أثبت له صلى الله تعالى عليه وسلم الإغنـاء عـن المتوسـلين بـه رد علـى كبـير الخصم الذي زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغني عـن نفسـه فضـلا عـن غيرهـا فـانظر إلى عظم نفع هذه الكلمات اليسيرة من ذلك الصحـابي الكـريم رضـي الله تعـالى عنـه وقـد نطـق الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أقره على جميع ذلـك هـذا وقـال الله تعـالى يـوم يجمـع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا أقول فتكلموا على أصـل الحقيقـة ونفـوا عنـهم العلـم رأسا لأن الظل إذا قابل الأصل لم يبق له دعوى وقالت الملئكة سبحنك لا علـم لنـا إلا مـا علمتنـا فتكلمت عن الحقيقة العطائية فأتت بالاستثناء، فكان الأنبياء أكثر أدبا وأعظـم إجـلالا منـها علـى جميعهم الصلاة والسلام هي أيضا تذكرت فرجعت وحصرت فقالت إنـك أنـت العليـم الحكيـم. أي لا علم إلا لك وبالجملة فالكل لله، وما يعلم أحد إلا بالله فـيرجع الأمـر إلى مـا حقـق الأئمـة الأمجاد أن المنفي هو الاستقلال والاسـتبداد.

نص العلماء بعلم الخمس

ونقل بعض أصحابنا عن الروض النضير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير صلى الله تعالى عليه وسلم ما نصه أما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا هو فمفسر بأنه لا يعلمها أحد بذاته إلا هو لكن قد تعلم الخمس بإعلام الله فإن ثمه من يعلمها وقد وجدنا ذلك لغير واحد كما رأينا جماعة علموا متى يموتون وعلموا ما في الأرحام حال حمل المرأة وقبله اهـ قلت وفي شرح الصدور للإمام السيوطي وبهجة الأسرار للإمام الأجل نور الدين أبي الحسن علي اللخمي الشطنوفي وروض الرياحين وخلاصة المفاخر للإمام الأسعد عبد الله اليافعي الشافعي وغيرها من كتب القوم روايات كثيرة من هذا الباب عن الأولياء الكرام وكذلك نص الإمام ابن حجر المكي في شرح الهمزية بعطاء علم الغيوب من الخمس حيث قال إن علم الأنبياء والأولياء بإعلام الله تعالى لهم وعلمنا بذلك إنما هو بإعلامهم وهذا غير علم الله تعالى الذي تفرد به وهو صفة من صفاته القديمة الأزلية الدائمة الأبدية المنزهة عن التغير وسمات الحدوث والنقص والمشاركة والإنقسام إلى قوله فلا ينافي ذلك اطلاع الله تعالى بعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من الخمس التي قال فيهن صلى الله تعالى عليه وسلم خمس لا يعلمهن إلا الله اهـ ولذا قال الشيخ المحقق عبد الحق المحدث الدهلوي قدس سره في شرح المشكوة تحت حديث خمس لا يعلمهن إلا الله المعنى إنما لا يعلمها أحد بحسب عقله من دون تعليم الله تعالى لأنها من الغيوب التي لا تعلم إلا باعلامه عز وعلا اهـ لكن فيه خلاف لبعض العلماء.

نص العلامة ابراهيم البيجوري في شرح البردة انه لم يخرج صلى الله تعالى عليه وسلم من الدنيا إلا بعد أن علمه الله تعالى بهذه الأمور أي الخمس.

وساقه الشنواني في جمع النهاية مساق الحديث فقال قد ورد ان الله تعالى لم يخرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اطلعه على كل شيئ اهـ ونقل فيه أيضا عن بعض المفسرين ما نصه لا يعلم هذه الخمس علما لدنيا ذاتيا بلا واسطة إلا الله تعالى أما بواسطة فلا تختص به تعالى اهـ وفي كتاب الإبريز عن شيخه سيدي عبد العزيز قدس سره العزيز هو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يخفى عليه شيئ من الخمس المذكورة في الآية الشريفة

وأما قوله تعالى {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (الأنعام ٥٩).

فقال الإمام الرازي في تفسير الآية (المسألة الأولى) المفاتح جمع مفتح ومفتح والمفتح بالكسر المفتاح الذي يفتح به والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الأشياء فهو مفتح قال الفراء في قوله تعالى (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة) يعني خزائنه فلفظ المفاتح يمكن أن يكون المراد منه المفاتيح ويمكن أن يراد منه الخزائن أما على التقدير الأول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لأن المفاتيح يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال فالعالم بتلك المفاتيح وكيفية استعمالها في فتح تلك الأغلاق والأقفال يمكنه أن يتوصل بتلك المفاتيح إلى ما في تلك الخزائن فكذلك ههنا الحق سبحانه لما كان عالما بجميع المعلومات

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه في حديث خيبر قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لأعطين هذه الراية عند رجل يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فأعطاها عليا كرم الله وجهه فقد ساق مساق القسم مؤكدا باللام والنون فقد علم جزء ما يكسب غدا وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم أن وفاته بالمدينة وقال للأنصار الكرام رضي الله تعالى عنهم المحيا محياكم والممات مماتكم رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقال لمعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه لما بعثه إلى اليمن يا معاذ انك عسى ان لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري رواه الإمام أحمد في مسنده وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه ندب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ههنا وههنا قال فما ماط ومازال وما تجاوز أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اهـ.

عبر عن هذا المعنى بالعبارة المذكورة (رازي١٣/٨).

وقال الطبري عن ابن عباس وعنده مفاتح الغيب قال هن خمس ان الله عنده علم الساعة ويترل الغيث إلى ان الله عليم خبير فتأويل الكلام إذا والله أعلم بالظالمين من خلقه وماهم مستحقوه وما هو بهم صانع فإن عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه ولم يعلموه ولن يدركوه ويعلم ما في البر والبحر يقول وعنده علم ما غاب عنكم لان ما في البروالبحر مما هو ظاهر للعين يعلمه العباد فكان معنى الكلام وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه ويعلم أيضا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم لا يخفى عليه لأنه لا شيئ إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم فأخبر الله تعالى ان عنده علم كل شيئ كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد وذلك هو الغيب (طبري ١٣٦/٧).

وقال القرطبي في تفسير الآية :روي البخاري عن ابن عمر عن النبيﷺ قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية،والله تعالى يقول: قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ...روى ابن ماجه في سننه وأبو حاتم البستي في صحيحه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وان من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه" وهو في الآية استعارة عن التوصل إلى الغيوب كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح إلى المغيب عن الإنسان ولذلك قال بعضهم هو مأخوذ من قول الناس افتح على كذا أي أعطني أو علمني ما أتوصل إليه

به فالله تعالى عنده علم الغيب وبيده الطرق الموصلة إليه لا يملكها إلا هو فمن شاء إطلاعه عليها أطلعه ومن شاء حجبه عنها حجبه ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على ارتضي بدليل قوله تعالى "وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وقال "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول "(قرطبي٧/١،٢).

وكذلك قوله تعالى "إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (لقمن ٣٤).

وَجْهُ الْحَصْرِ فِي الْخَمْسِ

وأما قوله ﷺ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ إِلَّا اللهُ وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ(بخاري).

فالمراد به كما تقدم علم الغيب المستقبل وحصره في الخمس باعتبار العادة الجارية من أن خداع الكهنة وأمثالهم وغشهم للعوام في هذه الخمس حتى في يومنا هذا لأن رغبة العوام في علم هذه الخمس أشد وأقوى من غيرها فقال ﷺ لا يعلمها إلا الله ولا يعلمها الكهنة وأمثالهم ولا يحل فيهم صفات الإله ولا يتحد معهم ولا يظهرها الله إلا لمن شاء ممن ارتضاه بغير حلول ولا اتحاد والله أعلم.

وأما قوله تعالى{ وَلِلهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} فقال إسمعيل البروسوي،اعلم أن علم الغيوب بالذات مختص بالله تعالى وأما إخبار الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم أجمعين فبواسطة الوحي والإلهام وتعليم الله تعالى ومن هذا القبيل إخباره عليه السلام عن العشرة المبشرة (روح البيان ٢٠٥/٤). وقال أيضا: في تفسير قوله تعالى {وَلِلهِ غَيْبُ

السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ} الغيب في الأصل مصدر واضافة المصدر من صيغ العموم والاضافة بمعنى في أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه فكيف يخفى عليه أعمالكم.(روح البيان ٤/٢٠٥).

وقال الصاوي في تفسير قوله تعالى{إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ إلخ} أي من حيث ذاتها أما بإعلام الله العبد فلا مانع منه كالأنبياء وبعض الأولياء (صاوي ٣/٢٦٠).

وقال خازن في تفسير قوله تعالى{قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إلخ} لا أعلم الغيب إلا أن يطلعني الله عليه ويقدره لي (خازن ٢/١٥٧).

وقال النووي جوابا لسؤال عن قوله تعالى {قُل لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ إلخ} وقول النبي ﷺ لا يعلم ما في غد إلا الله وأشباه هذا من القرآن والأحاديث مع أنه قد وقع علم ما في غد في معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ــ معناه لا يعلم ذلك استقلالا وعلم احاطة[١٩] بكل المعلومات إلا الله وأما المعجزات والكرامات فحصلت بإعلام الله للأنبياء والأولياء لا إستقلالا.(فتاوى النووي ١١٣).

عِلْمُ الْغَيْبِ وَالتَّوْحِيدُ وَالدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِ اللهِ

فحاصل الآيات المتقدمة أن الله تعالى بين للمشركين الآيات والمعجزات قدر ما يحتاجون إليه في تصديق النبي ﷺ فلا حاجة إلى الزيادة عليها فلم يبينها الله تعالى لحكم ومصالح ثم المشركون يعتقدون ويدعون أن المعجزات والكرامات وعلم الغيب يستقل بها خواص عباده من الملئكة وخواص البشر كاستقلال الولد من الوالد والوزير من الملك كما أن الأفعال الاختيارية العادية وعلم الشهادة يستقل بها جميع البشر وكذلك اعتقاد اليهود والنصارى وهنود الهند وغيرهم قال السعد وزعموا (النصارى) أن أقنوم العلم قد انتقل إلى بدن عيسى فجوزوا الانفكاك

[١٩] إذا لم يحضر عند عدم الإلتفات فلا يوجد الإحاطة.

والانتقال فكانت الاقانيم ذوات متغايرة (شـــرح العقـــائد ٧١).

ولذلك حكموا بأن الملئكة بنات الله وعزيـــرا ابـــن الله وعيســـى ابـــن الله وأن علم الله تعالى حل فيهم وانتقل إليهم وكان ســـؤال المشركـــين للنـــبي ﷺ الخوارق وعلم الغيب بحســـب هـــذا الإعتقـــاد الفاســـد فـــأنكر القـــرآن الاستقلال والصمدية فالفرق بين المســـلمين والمشركـــين حاصلـــه ان المســـلمين يعتقدون أن الأفعال الإختيارية العاديـــة وخـــوارق العـــادات وعلـــم الغيـــب والشهادة باذن الله تعالى وارادته وإقـــداره وإعلامـــه كمـــا قـــال تعـــالىٰ عَلَّـــمَ الْإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ وليس للعبد فيها الإستقلال والصمديـــة بـــل الله تعـــالى هـــو الصمد فقط وهذا هو عين التوحيـــد والمشركـــون يعتقـــدون أن علـــم الغيـــب والشهادة وسائر خوارق العادة لخواص العباد بالإســـتقلال كاســـتقلال الولـــد من الوالد والوزير من الملك وهذا هـــو الشـــرك.

ثم ان خواص العباد الذين يدعـــون التوحيـــد إذا علمـــوا مـــا في غـــد وأظهروه لسائر البشر ووقع في المستقبل كما قالوا فـــهو أظـــهر دليـــل علـــى وجود الله وتوحيده وتقديره في مخلوقاتـــه فاعتقـــاد أن الله تعـــالى يظـــهر غيبـــه لخواص عباده مؤيد للإيمان بالله والتوحيد وليس من الشـــرك بشيـــئ.

اَلتَّوَسُّلُ

التوسل تقديم ما يُتقرَّب به إلى الله عند دعائه تعالى مثل التصدق والتبرك عند الدعاء أو يقول الداعي عند دعائه اللهم اقض حاجتي كذا وكذا بعملي كذا وكذا. هذا التقديم هو التوسل وذلك العمل الذي يتقرب به عمل صالح قوي عند الداعي يتوسل به عند الدعاء ويجعله وسيلة لأنه أدعى إلى الإجابة قال البيضاوي "إن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة" بيضاوي ١/٩).

روى البخاري ومسلم قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُم الْمَطَرُ فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الْجَبَلِ فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اُنْظُرُوا أَعْمَالاً عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا فَقَالَ أَحَدُهُمْ اَللّٰهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي وَإِنَّهُ قَدْ نَأَى بِي الشَّجَرُ فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدتُّهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلِبُ فَجِئْتُ بِالْحِلابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمِي فَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللهُ لَهُمْ إلى آخر الحديث، وفيه "وَقَالَ الْآخَرُ اللّٰهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللهَ وَلا تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي فَقُلْتُ اذْهَبْ إِلَى ذٰلِكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَقَالَ اتَّقِ اللهَ وَلا تَهْزَأْ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لا أَهْزَأُ بِكَ فَخُذْ ذٰلِكَ الْبَقَرَ وَرَاعِيهَا فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ بِهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللهُ عَنْهُمْ"

(متفق عليه، باب البر والصلة - مشكوة ٤٢٠).

قال النووي في شرح الحديث "يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به" (شرح مسلم ٣٥٣/٢).

وروى البخاري ومسلم قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُونَ هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ (متفق عليه مشكوة ٥٥٣ باب مناقب الصحابة).

وفي رواية لمسلم قَالَ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُبْعَثُ مِنْهُمُ الْبَعْثُ فَيَقُولُونَ انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ فِيكُمْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ الخ.

روى البخاري قال صلى الله عليه وسلم "إِنَّ لِلّٰهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ" الخ. وفيه فَيَقُولُ (الله) فَأُشْهِدُكُمْ (الملائكة) أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ (بخاري، مشكوة ١٩٧ باب ذكر الله عز وجل). وفي رواية لمسلم "وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ[1]".

قال النبي ﷺ "ابْغُونِي فِي ضُعَفَائِكُمْ فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ أَوْ تُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ" (أبو داود، مشكوة ٤٤٧ كتاب الرقاق).

---

[1] قال النبي ﷺ هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم - بخاري باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب. (فتح الباري ٤٨٠). فثبت من هذه الاحاديث ان في تقديم الصالحين فائدة ففيها الجواب عما يقال ما هي فائدة التوسل؟

عن أمية عن النبي ﷺ "أَنَّهُ كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيقِ الْمُهَاجِرِينَ" (شرح السنة، مشكوة ٤٤٧ كتبا الرقاق).

ومن العمل الصالح محبة الأولياء والأنبياء ومحبة حقهم وجاههم وكراماتهم روى البخاري ومسلم "أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ مَا أَعْدَدتَّ لَهَا قَالَ مَا أَعْدَدتُّ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلٰكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ" (بخاري: كتاب الأدب ٩١١). قال أنس ﷺ فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحَهُمْ بِهَا (بخاري).

قال عبد الله بن مسعود "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" (بخاري ٩١١).

قال النبي صلى الله عليه وسلم "أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ" (أبو داود – مشكوة – كتاب الإيمان ١٥).

فمحبة الأنبياء والأولياء ومحبة جاههم وكراماتهم من الأعمال الصالحة القوية التي يتقرب بها إلى الله فالمراد بقول الداعي اللهم اقض حاجتي بالأنبياء أو بحقهم اللهم اقض حاجتي بمحبتي إياهم أي وان كنت من المقصرين في الأعمال كالصلاة والصوم وغيرهما لكني من المحبين لأنبيائك وتلك المحبة مما يتقرب إليك فأجب دعوتي بها فتقسيم التوسل إلى التوسل بالعمل الصالح والى التوسل بالذات تقسيم تخميني فان التوسل بالذات يرجع عند التحقيق إلى التوسل بالعمل كما يدل عليه عبارة الصاوي الآتية فالتوسل ليس بشرك اذ ليس فيه اعتقاد الهين اثنين أو عبادة الهين اثنين بل التوسل الدعاء لله وحده مع تقديم ما يحب ويرضى خلافا لطائفة فانهم زعموا ان التوسل بالذات شرك وان مقصود الداعي المتوسل بالذات جبر المتوسل به على الله كجبر الوزير على الملك متمسكين بقوله تعالى "أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى". لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ" وهذا الزعم مردود.

أما أولا : فلان كون ذلك المذكور مقصود المتوسلين المسلمين افتراء عليهم ولم يقصدوا قط بالتوسل الجبر على الله بل مقصودهم تقديم محبة ما يحبه الله ويرضى وتلك المحبة مما يتوسل به عند الله كما تقدم.

وأما ثانيا فلان الكتاب والسنة وكلام الأئمة لا يساعد زعمهم بل يساعد خلافه قال الله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ".

قال روح البيان في تفسير قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" ان نبينا عليه السلام هو الواسطة بيننا وبينه تعالى والوسيلة ولا بد من تقديم الوسيله قبل الطلب وقد قال الله تعالى "وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ"[٢] وقد توسل آدم عليه السلام الى الله تعالى بسيد الكونين في استجابة دعوته وقبول توبته كما جاء في الحديث [لَمَّا اعْتَرَفَ آدَمُ بِالْخَطِيئَةِ قَالَ يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي] (روح البيان ٢٣٠/٧).

وقال الصاوي: وابتغاء الوسيلة ما يقربه إليه مطلقا ومن جملة ذلك محبة أنبياء الله وأولياءه والصدقات وزيارة أحباب الله وكثرة الدعاء وصلة الرحم وكثرة الذكر وغير ذلك. فالمعنى كل ما يقربكم إلى الله فالزموه واتركوا ما يبعدكم عنه اذا علمت ذلك فمن الضلال البين والخسران الظاهر تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله كلا بل هي من جملة المحبة في الله التي قال فيها رسول ﷺ أَلَا لَا إِيمَانَ

---

[٢] ففي هذا النقل الجواب عما يقال هل ادعى أحد من المفسرين ان هذه الآية تعم التوسل بالذات.

لِمَنْ لَا مَحَبَّةَ لَهُ" والوسيلة له التي قال الله فيها وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ (حاشية الصاوي ٢٨٢/١).

قال الرازي في بيان جمع المتكلم في قوله تعالى "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" كأن العبد يقول إلهي إن لم تكن عبادتي مقبولة فلا تردني لأني لست بوحيد في هذه العبادة بل نحن كثيرون فان لم أستحق الإجابة والقبول فأتشفع إليك بعبادات سائر المتعبدين فأجبني" (رازي ٢٤٩/١).

وفي روح البيان: "أدرج عبادته في تضاعيف عبادقم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب" (روح البيان ١٧١). وكذا في بقية التفاسير.

وقال الله تعالى "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ" (الاسراء ٥٧).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني:قوله أيهم أقرب معناه يبتغون من هو أقرب منهم إلى ربهم (فتح الباري ١٣/١٠). دليل واضح على ان عسى عليه السلام وعزيرا وسائر الملئكة يتوسلون بالذين هم أقرب منهم كتوسل آدم عليه السلام بالنبي ﷺ وسيأتي توسله صلى الله عليه وسلم بسائر الأنبياء.

وقال تعالى: "وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا (البقرة ٨٩).

قال الرازي في سبب النزول وجوها: أحدها ان اليهود من قبل مبعث محمد عليه السلام ونزول القرآن كانوا يستفتحون اي يسئلون الفتح والنصرة وكانوا يقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي الأمي (رازي ١٨٠/٣).

وقال السيوطي رح: أخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل ان يبعث محمد ﷺ يستفتحون الله يدعون على الذين كفروا ويقولون اللهم انا

نستنصرك بحق النبي الأمــي الانصرتنــا عليـــهم فينصــرون" (الــدر المنشــور ٢١٦/١).

وقال أبو السعود في تفسير هذه الآية "ويقولون اللـــهم انصرنــا بــالنبي المبعوث في آخر الزمان" (ابــو الســعود ١٥٤/١).

فهذه الآية دليل للتوسل قبل الوجود فكذلــك بعــد المــوت لأن مــراد المتوسل محبة المتوسل به ولا فرق فيها بين الحياة والموت ولــو كــان شركــا لمــا تعرض إليه القرآن في مدح النـــبي ﷺ.

وقال تعالى : "وَلَوْ أَنَّهُـــمْ إِذ ظَّلَمُــوا أَنفُسَــهُمْ جَـاءُوكَ فَاسْــتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمــًا" (النســاء ٦٤).

قال الرازي: "وانهم اذا جــاؤه فقــد جــاؤا مــن خصــه الله برســالته وأكرمه بوحيه وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومــــن كــان كذلــك فــان الله لا يرد شفاعتــه (رازي ١٦٢/١٠).

قال النووي رح في شرح المهذب في بيان صورة زيــارة قــبر النــبي ﷺ ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ ويتوسل بــه في حــق نفســه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعــالى ومــن أحســن مــا يقــول مــا حكــاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنــا عــن العتــبي مستحســنين لــه قال كنت جالسا عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعــرابي فقــال الســلام عليــك يا رسول الله سمعت الله يقــول (ولــو انهــم اذ ظلمــوا انفســهم الخ). وقــد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشــأ يقــول:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُــهُ
فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَــمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَــبْرٍ أَنْتَ ســاكِنُهُ
فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُــودُ وَالْكَــرَمُ

ثم انصرف فحملتني عيناي فرأيت النبي ﷺ في النــوم فقــال يــا عتــبي إلحق الأعرابي فبشره بان الله تعالى قد غفر لــه (شــرح المــهذب ٢٧٤/٨).

وهذه القصة بعينها نقله ابن كثير في تفسير هـذه الآية "ولـو أنهـم اذ ظلموا أنفسهم" (ابن كثير ١/٥٢٠). وفيه فغلبتـني عينـاي[٣].

دليل واضح على ان التوسل المذكـور في قولـه تعـالى "وَلَـوْ أَنَّهُـمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ" الخ. شامل لما بعد الوفاة ولو كان شركا كمـا زعـم لمـا نقـل هذه القصة النووي وابن كثير في معظم تصنيفـهما ولم يقراهـا.

روي البخاري عن أنس بن مالك "انَّ عُمَرَ بْـنَ ٱلْخَطَّـابِ ﷺ كَـانَ إِذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَى بِٱلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ فَقَالَ ٱللَّهُمَّ إِنَّـا كُنَّـا نَتَوَسَّـلُ إِلَيْـكَ بِنَبِيِّنَا ﷺ فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْـقِنَا قَـالَ فَيُسْـقَوْنَ (بخـاري ١/١٣٧ باب سؤال الناس الإمام الاستسـقاء اذا قحطـوا)[٤].

قال العيني قوله: استسقى بالعباس [اي متوسـلا بـه] عيـني ٦/١٤).

وقال أيضا: "وفي حديث أبي صالح " فلما صعـد عمـر ومعـه العبـاس المنـبر قال عمر ﷺاللهم انا توجهنا اليك بعم نبيك وصنـو ابيـه فاسـقنا الغيـث ولا تجعلنا من القانطين ثم قال قل يا ابا لفضـل فقـال العبـاس اللـهم لم ينـزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجـه بي القـوم إليـك لمكـاني مـن نبيك وهذه أيدينا إليك بـالذنوب ونواصينـا بالتوبـة فاسـقنا الغيـث قـال فأرخت السماء شآبيب[٥]مثل الجبال حـتى أخصبـت الارض وعـاش النـاس" (عيني ٦/١٣).

دليل واضح على ان توسل عمر ﷺ ليس بدعـاء العبـاس فقـط بـل دعى عمر مع ذلك متوسلا بالعباس كمـا يـدل عليـه قـول عمـر "اَللّٰـهُمَّ" وقول عمر "تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ" وقـول عمـر "فَاسْـقِنَا ٱلْغَيْـثَ وَلَا تَجْعَلْنَـا مِـنَ

---

[٣] نقلها ابن قدامة ايضا في المغـني ٣/٥٥٦).

[٤] قال في البغية حكمة توسل عمر بالعباس دون النبي صلى الله عليـه وسـلم هـي مشروعيـة جـواز التوسل بغيره عليه السلام وذلك لأن التوسل به أمر معلوم محقق عندهم فلـو توسـل بـالنبي صلـى الله عليه وسلم لأخذ منه عدم جواز التوسل بغـيره (بغيـة ٢٩٧).

[٥] شايب جمع شوبوب الدفعة من المطر

الْقَانِطِينَ".

وفي الحديث ايضا توسل بالنبي ﷺ لما نقل ابن حجر الهيتمي رح من تتمة دعاء عمر قوله "فانك تقول وقولك الحق وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبو هما صالحا فحفظتهما بصلاح أبيهما فاحفظ اللهم بنبيك في عمه،الصواعق المحرقة ١٠٦.

وأما حمل قول عمر كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا"على حيوته صلى الله عليه وسلم مردود ولم يقم عليه دليل بل ثبت على حلافه الدليل كما مر عن النووي وابن كثير وكما يدل عليه حديث الدارمي "عن الجوزاء قال قَحَطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطًا شَدِيدًا فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ انْظُرُ واقَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كُوًى إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ فَفعلُوا فَمُطِرُوا مَطَرًا حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ وَسَمِنَتِ الْإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ[٦] مِنَ الشَّحْمِ فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ" (دارمي – مشكوة ٥٤٥ باب الكرامات).

وروي مسلم توسل رجل صالح من بني اسرائيل فقال في دعاءه "اَللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ[٧] الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هٰذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ (مسلم ٤١٥ كتاب الزهد).

عن جابر ﷺ قال قال صلى الله عليه وسلم مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعَ النِّدَاءَ

---

[٦] تفتقت انشقت وقيل اتسعت

[٧] أي عبادته ففيه التوسل بعمل الغير فأقسام التوسل في الظاهر (١) التوسل بعمل نفسه (٢) التوسل بعمل الغير (٣) التوسل بالجاه (٤) التوسل بالبركة (٥) التوسل بالحق. ويرجع عند التحقيق الى التوسل بعمل الغير. (٦) التوسل بالذات.كل واحد من الأخيرة إما في الحيوة أو بعد الموت أو قبل الوجود فصار الأقسام ستة عشر (١٧) التوسل بصفة الله أو بذاته ويرجع اليه التوسل بالحق إن كان الإضافة إلى المفعول (١٨) التوسل بتقديم عمل قبل الدعاء كالتصدق ونحوه وكل ذلك يرجع عند التحقيق إلى التوسل بعمل نفسه وذلك متفق عليه بيننا وبين الخصم

"اَللّٰهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلٰوةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيٰمَةِ" (بخاري – مشكوة ٦٥ باب فضل الأذان).

قال النووي رحمه الله "قال أهل اللغة الوسيلة المنزلة عند الملك" (شرح مسلم ٤/٧٦).

وروي الترمذي " قال صلى الله عليه وسلم إِذَا ظَهَرَتِ الْحَيَّةُ فِي الْمَسْكَنِ فَقُولُوا لَهَا إِنَّا نَسْئَلُكِ بِعَهْدِ نُوحٍ وَبِعَهْدِ سُلَيْمٰنَ بْنِ دَاوُدَ أَلَّا تُؤْذِينَا" (ترمذي ١/١٧٩ باب في قتل الحيات).

وروي ابن ماجه حديث ضرير البصر فَقَالَ فِي دُعَائِهِ "اَللّٰهُمَّ إِنِّيٓ أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّيٓ قَدْ تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هٰذِهِ لِتُقْضٰى اَللّٰهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ" قال أبو اسحٰق هذا حديث صحيح (ابن ماجه ٩٩).

واستعمل الصحابة هذا الدعاء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كما رواه الطبراني في معجمه الصغير وصححه (طبراني ١٠٣). وأيضا دعى النبي ﷺ بلفظ "بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي" رواه الطبراني وابن حبان والحاكم وابن أبي شيبة وابن عبد البر وأبو نعيم والسيوطي وبلفظ "اَللّٰهُمَّ إِنِّيٓ أَسْئَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هٰذَا" (ابن ماجه ٥٦). ولو كان التوسل بالحق شركا أو منهيا لما نقل أمثال هذه أئمة الحديث في كتبهم[٨]؟

وقال ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ في ترجمة يزيد بن الأسود

---

[٨] فإن قلت ضعف بعض رواة الحديث بعض الحفاظ أقول صحح بعض الحفاظ ذلك الراوي وحديثه فكما يمكن ترجيح التضعيف يمكن ترجيح التصحيح أيضا مع أن أصل المسألة ثبت بالآيات وأحاديث البخاري ومسلم والمقصود بهذا الحديث وأمثاله تأييده ويكفي للتأييد بلا خلاف – على أن بعض الحفاظ كيف صححوا الأحاديث التي تدل على الشرك.

الجرشي . . . فقال معاوية اللهم انا نشتشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا اللهم انا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود الجرشي:طبقات ابن سعد ٤٤٤/٧).

وقد توسل[٩] به صلى الله عليه وسلم أبوه آدم قبل وجوده صلى الله

---

[٩] قال ابن تيمية في جواب استدلال المنكرين للشفاعة.الثاني أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك، ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب، والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض، فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجة إليه رغبة ورهبة، وكما يعامل المخلوق بالمخلوق بالمعاوضة.

الكلام على جواز التوسل.

قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة} (٣٥/٥)

هذه الآية نص صرح في جواز اتخاذ الوسيلة وظاهر أنها مطلقة شاملة للأعمال الصالحة والذوات الصالحة ولا يصح قصرها في الأعمال نظرا إلى حديث أصحاب الغار، فإن ذلك الحديث لا يدل على الحصر.

ويمكن أن يقال على طريق المعقول أن أعمالنا الصالحة ليست وسيلة في حضرة الله تعالى إلا لأنها صالحة حسنة، مع أنا لا ندري هل هي مقبولة عنده تعالى أم لا؟ فلما جاز جعلها وسيلة مع كونها مجهولة القبول، كيف لا يجوز اتخاذ نبي الله ﷺ وسيلة وهو مقبول ومكرم عند الله تعالى قطعا.

قال ابن تيمية: "وقد اتفق المسلمون على أنه ﷺ أعظم الخلق. جاها عند الله، لا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه، ولا شفاعة أعظم من شفاعته.

قال العلامة العلي القاري في شرح هذا الحديث: "وقال ابن الملك بأن يقول اللهم انصرنا على الأعداء بحق عبادك الفقراء المهاجرين".

لم يكن النبي ﷺ محتاجا إلى التوسل بهم قط ولكنه توسل بهم جبرا لخاطرهم المنكسر وإكرامهم وتنبيها للأمة بأن التوسل بأصحابه وخدامه ﷺ جائز، وإذا جاز التوسل بخدامه ﷺ جاز به بالطريق الأولى.

قال ابن القيم: "عن ابن عباس ﷺ رضي الله تعالى عنهما كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالت اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم قال فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبي ﷺ كفروا به، فأنزل الله عز وجل {وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا} يعني بك يا محمد.

قال ابن تيمية نفسه: "قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي صاحبه: انه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، ولكن غير أحمد قال: إن هذا اقسام على الله به، ولا يقسم على الله بمخلوق، وأحمد في إحدى الروايتين قد جوز القسم به، فلذلك قد جوز التوسل به". (مجموعة الفتاوى ١٤٠/١) هذا هو الإمام أحمد بن حنبل من أجلة أئمة الإسلام جوز التوسل بالنبي ﷺ بعد رحلته من الدنيا بل جوز الاقسام به على الله تعالى على إحدى الروايتين، فلا مجال للشرك والحرمة في أحد جانبي هذه المسئلة.

أخرج الإمام الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: أنزل الله علي أمانين لأمتي {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون}.

فقد ظهر من الآية الأولى أن النبي ﷺ وسيلة الأمن من عذاب الله جل مجده ومن الثانية أن عمل الاستغفار ذريعة الأمن والسلامة.

قال العلامة العلي القارى في شرح هذا الحديث: وقال ابن الملك بأن يقول : اللهم انصرنا على الأعداء بحق عبادك الفقراء المهاجرين.

١) قد ثبت بهذا الحديث أن التوسل بذوات الصلحاء يجوز وليس بمختص بالأعمال الصالحة وقد انعقد عليه إجماع الصحابة لأن التوسل بالعباس ﷺ وقع بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه أحد منهم.

٢) كان التوسل بذات العباس ﷺ أمرا جائزا لصحابيته وصلاحه وتقواه ومع ذلك قال عمر ﷺ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فاختار التوسل بقرابة النبي ﷺ فهو في الحقيقة توسل به ﷺ في حضرة الله تعالى جل شانه وفي رواية إن عمر ﷺ توسل بالعباس ﷺ وكان معه على المنبر ثم دعا العباس: اللهم لن ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك.

وذكر الحافظ ابن عبد البر في ترجمة العباس ﷺ:

وروينا من وجوه عن عمر أنه خرج يستسقي وخرج معه بالعباس فقال: اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك ﷺ ونستشفع به فاحفظ فيه لنبيك ﷺ كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما.

فاتضح أن التوسل بالعباس ﷺ هو توسل بالنبي ﷺ

٣) التوسل بالنبي ﷺ كان جائزا ومتقررا عند الصحابة وإنما توسل عمر بالعباس رضي الله تعالى عنهما لئلا يتوهم أحد أن التوسل مختص بالنبي ﷺ ولا يتوسل بغيره، دل عمله ﷺ على أن التوسل بأهل قرابته ﷺ وصالحي أمته جائز لا بأس به.

إن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى دعا الله تعالى متوسلا بالامام الشافعي فتعجب منه ابنه عبد الله فقال الإمام أحمد: إن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى (المتوفي ٥٠٥هـ) في آداب السفر من الاحياء: "ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرك بمشهادته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض.

الإمام ابن الحاج الذي يعد من العلماء المتشددين ذكر طريق التوسل والاستغاثة بالأولياء والأنبياء عليهم السلام وخاصة بالنبي ﷺ، ولقد ذكر هذه المسئلة مشرحة، نذكر بعض نصوصه.

قال ابن الحاج: إن كان الميت من عامة المسلمين فعلى الزائر أن يتوجه إليه ويستدبر القبلة فيحمد الله تعالى ويثني عليه ثم صلى على النبي ﷺ ثم دعا للميت مهما أمكن، ثم قال:

وكذلك يدعو عند هذه القبور عند نازلة نزلت به أو بالمسلمين ويتضرع إلى الله تعالى في زوالها وكشفها عنه وعنهم.

ثم يتوسل بأهل تلك المقابر أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه ثم يدعو لنفسه ولوالديه ولمشائخه ولأقاربه ولأهل تلك المقابر ولأموات المسلمين ولأحيائهم وذريتهم إلى يوم الدين ولمن غاب عنه من إخوانه ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم ويكثر التوسل بهم إلى الله تعالى لأنه سبحانه اجتباهم وشرفهم وكرمهم فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر، فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم فإنهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه.

وقد تقرر في الشرع وعلم ما لله تعالى بهم من الإعتناء وذلك كثير مشهور، وما زال الناس من العلماء والأكابر كابرا عن كابر، مشرقا ومغربا، يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حسا ومعنى.

ثم نقل عن الإمام أبي عبد الله بن النعمان رحمه الله تعالى أنه قال: "تحقق لذوي البصائر والاعتبار ان زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين.

أما طريق زيارة ضرائح الأنبياء عليهم السلام فبينه بقوله: "وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيأتي إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والحاجةوالاضطرار والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره،

ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله، ثم يصلي عليهم ويترضى عن أصحابهم ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم ويجزم الاجابة ببركتهم ويقوي حسن ظنه في ذلك فإنهم باب الله المفتوح.

وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك فإنهم السادات الكرام، والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم.

التوسل وعلماء العالم الإسلامي

العلامة محمد عاشق الرحمن الإله آبادي جمع في كتابه "سيوف الله الأجلة" فتاوى علماء الإسلام التي تتعلق بمسئلة التوسل، نذكر نبذا منها.

قال الشيخ عبد الكريم محمد المدرس والامام بالحضرة الكيلانية، ببغداد بعد ما أورد الدلائل على جواز التوسل:

فكيف يبقى مجال إنكار التوسل بذوات الرسل عليهم الصلوة والسلام فالتوسل بهم وبالأولياء الكرام وبأعمالهم الصالحة وبأعمال نفس الداعين كل ذلك حق مشروع ولا ينكره إلا جاهل غبي انحرف عن طرق الرشد وإجماع المسلمين وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن

(سيوف الله الاجلة ص٣٩)

وعلى هذا الجواب توقيعات لأربعة مشائخ من علماء بغداد وهذا هـــو المـــدرس بكليـــة الشريعـــة في بغداد، الشيخ أحمد طه يقـــول:

فإن الله تعالى هو المؤثر في كل شيء وبناء على هذه العقيدة فـــلا مـــانع شرعـــا في التوســـل بالأنبيـــاء عليهم الصلوة والسلام مطلقا، بل إن التوسل لا يخل بـــالتوحيد كمـــا لا تخـــل الشفاعـــة بـــالتوحيد.

(نفس المرجـــع ص ٤٣-٤٥)

قال الشيخ محمد على من علماء حمـــاة ســـورية:

وإذا كان التوسل مشروعا بالأعمال الصالحة دون معارض وهي مخلوقة مـــع كونهـــا لا نـــدري هـــل تلك الأعمال مقبولة أم لا؟ فكيف لا يجوز التوسل بـــالنبي ﷺ وهـــو أفضـــل مخلـــوق ومقبـــول لـــدى الله تعالى في حياته وبعد وفاته باعتباره حيا وتعرض عليه أعمالنـــا دائمـــا كمـــا ورد.

(نفس المرجـــع ص٤١)

قال الشيخ عبد العزيز طهماز المدرس والخطيب بجامع الســـلطان حمـــاة ســـورية:

وإذا كانت الشفاعة ليست شركا فالوسيلة أيضا ليست شركا، لأنهـــا بمعناهـــا فـــهي ليســـت ســـوى مكانة يتفضل بها على من يشاء من عباده إظهارا لفضلـــه ســـبحانه علـــى عبـــده: قـــال ســـبحانه في حق موسى عليه السلام: "وكان عند الله وجيها" (الأنبيـــاء) أفـــلا يكـــون خـــاتم الرســـل والأنبيـــاء وجيها عند الله سبحانه. (نفـــس المرجـــع ص ٥١)

قال العلامة صالح نعمان، أمين فتوى حمـــاة ، بســـوريا:

وقد أجمعت الأمة على جواز التوسل إذا صحت العقيدة وإجماع الأمـــة حجـــة شرعيـــة كمـــا قـــال عليه السلام "لا تجتمع أمتي على ضلالة" أما ما يدعيـــه بعـــض العـــلاة م بـــأن حكـــم التوسل بأنه شرك فلا دليل عليه شرعـــا ولا عقـــلا.

(نفس المرجـــع ص ٥٥)

وهذه فتوى العلامة أبي سليمان سهيل الزبيبي، إمام جـــامع النجـــارين، بدمشـــق:

إن الاعتقاد بالتوسل بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلوة والتسليم والأوليـــاء الصـــالحين المجمـــع علـــى فضلهم وصلاحهم وعدلهم وولايتهم إيمان لا كفر وجائز عنـــدي لا محظـــور وإن المتوســـل بهـــؤلاء إلى الله تعالى لتقضى حاجاته يكون مؤمنا موحدا ليس بمشرك، وتصـــح جميـــع عباداتـــه. (أيضـــا ص ٥٩)

قال العلامة الشيخ حسن خالد مفتي الجمهوريـــة اللبنانيـــة:

وعلى التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتا جـــرت الأمـــة طبقـــة فطبقـــة. (نفـــس المرجـــع ص ٧١)

قال الشيخ أحمد رئيس المجلس المركزي لاتحاد المبلغين، بجاكرتا إندونيسيا: وأقول: إن التوسل بالنبي ﷺ جائز في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة.

(نفس المرجع ص٧٧)

كتب محمد برهان الدين

الاعتقاد بالتوسل بالأنبياء ليس شركا فالمتوسل ليس بمشرك فنرجو الله تعالى أن يتقبل أعماله الصالحة من الصلوة والحج وغيرهما. (نفس المرجع: ص١٦١)

قال الشيخ نظام الدين المفتي بدار العلوم ديوبند ، بعد ما نقل أحاديث وأقوال أهل العلم:

واتضح من هذه النقول أن المتوسلين ليسوا مشركين وأن التوسل ليس شركا، صومهم وصلوتهم وحجهم وزكوتهم جائز وصحيح، مثل سائر المسلمين.

(نفس المرجع ص١٦٧)

وفي ما يلي ملخص إفتاء عبد العزيز بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد:

والتوسل إلى الله بأوليائه أنواع:

الأول أن يطلب إنسان من الولي الحي أن يدعو الله له بسعة رزق أو شفاء من مرض ونحو ذلك فهذا جائز.

الثاني أن ينادي الله متوسلا إليه بحب نبيه واتباعه إياه وبحبه لأولياء الله، فهذا جائز.

(نفس المرجع ص ٢١٧-١٩)

والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين كما دلت الأحاديث السابقة. وأما الذين يفرقون بين الأحياء والأموات حيث جوزوا بعض التوسلات بالأحياء لا الأموات، فهم القريبون من الزلل، لأنهم اعتبروا أن الأحياء لهم التأثير دون الأموات، مع أنه لا تأثير إيجاديا لغير الله سبحانه وتعالى على الإطلاق وأما الإفادة وفيض البركات والاستفادة من أرواحهم استفادةاعتيادية، وتوجه أرواحهم إلى الله سبحانه وتعالى طالبين فيض الرحمة على ذلك المتوسل، فهو شيء جائز وواقع وخال عن كل خلل بدون الفرق بين الأحياء والأموات.

قال الأستاذ عبد الرحيم فوده: هذا ما قاله فضيلة المرحوم الأستاذ الشيخ علي محفوظ في كتابه "الابداع في مضار الابتداع" ويبدو من كلامه أنه يميل إلى جواز التوسل على المعنى الذي لا

عليه وسلم : رواه البيهقي باسناد صحيح في دلائل النبوة ورواه الحاكم أيضا وصححه والطبراني.

والى هذا أشار الامام مالك للخليفة المنصور وذلك انه لما حج المنصور وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكا وهو بالمسجد النبوى فقال للمالك يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو فقال الامام مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا الخ" ذكره القاضى عياض في الشفاء وساقه باسناد صحيح والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية وغيرهما.

ونقل السيوطي ما قال آدم في توبته اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ

يختلف فيه مسلم مع مسلم وهو أن يكون المدعو هو الله، والمسئول هو الله، والوسيلة أعم من أن تكون عملا صالحا يقرب إلى الله، أو وليا تقيا يقود إلى الله أو يقتدي به في العمل على إرضاء الله، أو يستشفع به في طلب ما عند الله.

قال الشيخ حسن كامل ملطاوي، وكيل وزارة الخزانة سابقا من علماء مصر:

وإذا كان لكل مؤمن شفاعة عند الله يوم القيامة فلما ذا لا تكون للمقربين شفاعة في البرزخ، وهو سبيل إلى الآخرة، والله تعالى يقول في شأنهم: (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ولا شك أنه مما تقربه أعينهم أن تجري رحمة الله للمؤمنين على أيديهم، وأن يكرم الله زوارهم في حاجاتهم، وقد زاروهم زيارة خالصة لله وفي محبته تعالى ودعوا لهم بالمغفرة ويسرهم أن تكون لهم من الله الجائزة، وهو سبحانه وتعالى صاحب الفضل على عباده أجمعين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون).

التوسل بالنبي ﷺ يوم القيامة

قال الامام العلامة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى: الحالة الثانية بعد موته ﷺ في عرصات القيامة بالشفاعة منه ﷺ وذلك مما قام عليه الاجماع وتواترت الأخبار به.

عَبْدِكَ وَكَرَامَتِهِ عَلَيْكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي" (رواه المنذر: الدر المنثور ١٤٦/١ وروى الحديث غير واحد من المحدثين).

[٥٠]قال الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني "يستحب أن يتوسلوا بالزهاد والصالحين وأهل العلم والفضل والدين" (غنية الطالبين ١٢٨/٢).

وقال أيضا "قال كثير من أهل الكتب المذاهب الأربعة عند ذكرهم زيارة النبي ﷺ أنه يستحب للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل إلى الله تعالى في غفران ذنوبه وقضاء حاجته" (غنية الطالبين ٩٠/١).

وبين النووي صورة زيارة قبر النبي ﷺ فقال في شرح المهذب "ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ ويتوسل به ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى" (شرح المهذب ٢٢٤/٢ وهكذا نقله النووي أيضا في الأذكار ٩٢، وفي الإيضاح ٤٩٨، وهكذا في المحلي ١٢٦/٢، والإمام الرملي في النهاية ٣١٠/٣).

وقال ابن حجر الهيتمي رح "ويسن لكل من حضر (اي الإستسقاء) أن يستشفع سرا بخالص عمله وبأهل الصلاح سيما أقاربه عليه الصلاة والسلام" (شرح بافضل ٩٧).

وقال أيضا في حاشية الإيضاح (فائدة) مما يدل لطلب التوسل به صلى الله عليه وسلم وان ذلك هو سيرة السلف الصالح الأنبياء والأولياء وغيرهم ما أخرجه الحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الخ" (حاشية الإيضاح ٥٠٠).

---

[٥٠] قال في البغية التوسل بالأنبياء والأولياء في حياتهم وبعد وفاتهم مباح شرعا كما وردت به السنة الصحيحة كحديث آدم عليه السلام حين عصى وحديث من اشتكى عينيه وأحاديث الشفاعة والذي تلقيناه عن مشائخنا وهم عن مشائخهم وهلم جرا ان ذلك جائز ثابت في اقطار البلاد وكفى بهم أسوة وهم الناقلون لنا الشريعة وما عرفنا الا بتعليمهم لنا فلو قدرنا ان المتقدمين كفروا كما يزعم هؤلاء الاغبياء لبطلت الشريعة المحمدية (بغية ٢٩٧).

وقال محمد بن سليمن الكردي أستاذ محمد بن عبد الوهاب [قوله سرا بخالص عمله] في الإمداد . . . . ويستشفع كل بأهل الصلاح لان دعائهم أرجى للإجابة" الخ (حاشية الكردي ٩٧). وقال أيضا "اما التوسل بالأنبياء والصالحين فهو أمر محبوب ثابت بالأحاديث الصحيحة (فتاوى الكردي ٢٥٩).

وقال الشوكاني نفسه "ان التوسل به يكون في حيوته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه ولا يخفاك انه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم في حيوته وثبت التوسل بغيره بعد موته باجماع الصحابة اجماعا سكوتيا لعدم انكار أحد منهم على عمر ﷺ في توسّله بالعباس ﷺ (تحفة الأحوذي ٣٥/١٠).

وأما ثالثا: فعلم مما تقدم أنه لاشناعة في نسبة الحق والكرامة والجاه وأمثالها إلى الأولياء والأنبياء كما قال تعالى "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" (الروم ٤٧). وكما في قوله تعالى " وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ" (مريم ٣١). وكما في قوله تعالى "وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" (آل عمران ٤٥). وكما في قوله تعالى "وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا (الأحزاب ٦٩).

وروي مسلم في صحيحه عن معاذ بن جبل قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَا مُعَاذُ أَتَدْرِى مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ قَالَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ وَلَا يُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا قَالَ أَتَدْرِى مَا حَقُّهُمْ[١١] عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَالَ

---

[١١] فما يقال يكره السؤال بالحق محمول على غير هذا بأن يعتبر معنى الوجوب فلا يجب على الله تعالى شيئ – وعبارة بحر الرائق لا يجوز ان يقول بحق فلان عليك وكذا بحق أنبيائك وأوليائك ورسلك والبيت والمشعر الحرام لأنه لا حق للمخلوق على الخالق وإنما يختص برحمته من يشاء من غير وجوب عليه" البحر الرائق شرح كنز الدقائق لمحمد بن حسين الطوري الحنفي الشارح زين الدين بن نجيم الحنفي. وما في البغية من أن جعل الوسائط بين العبد وبين ربه فإن كان يدعوهم كما يدعو الله تعالى في الأمور ويعتقد تأثيرهم من دون الله فهو كفر وإن

اَللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ اَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ" (مسلم ١/٤٤).

وأما رابعا: فتمسكهم بقوله تعالى "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا الخ. مردود لأن الآية التالية "لَوْ أَرَادَ اللهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ" الخ. وقال تعالى أيضا في هذه السورة "وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ" (الزمر ٤٥).

قال السيوطي رح في تفسير قوله تعالى " مَا نَعْبُدُهُمْ الخ. أخرج ابن جرير عن ابن عباس (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ . . .). أنزلت في ثلثة أحياء عامر وكنانة وبني سلمة كانوا يعبدون الأوثان ويقولون الملئكة بناته فقالوا لا نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" (الدر المنشور ٧/٢١١).

روي البخاري : وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا" قَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ وَأُمَّهَاتُهُمْ بَنَاتُ سَرَوَاتِ الْجِنِّ الخ." (بخاري ١/٤٦٥ باب ذكر الجن).

وقال صاحب زبدة التفاسير نفسه " قَالُوا إِنَّ اللهَ خَطَبَ إِلَى سَادَاتِ الْجِنِّ فَزَوَّجُوهُ مِنْ سَرَوَاتِ بَنَاتِهِمْ فَالْمَلٰئِكَةُ بَنَاتُ اللهِ مِنْ سَرَوَاتِ بَنَاتِ الْجِنِّ" (زبدة التفاسير ٥٩٢).

كان مراده التوسل بهم الى الله تعالى في قضاء مهماته مع اعتقاد ان الله هو النافع والضار المؤثر في الأمور فالظاهر عدم كفره وإن كان فعله قبيحا (بغية ٢٩٧). فهو محمول على ما يفعله بعضهم من انهم يتقربون الى الشياطين ويجعلونهم وسائط للنفع والضر ويعتقدون بحلول ذلك الشيطان واتحاده مع ذلك المتقرب وقد يرسله للضر الى من يريد الضر به لأن صاحب البغية نص في هذه الصفحة أيضا التوسل بالأنبياء والأولياء في حياتهم وبعد وفاتهم مباح شرعا كما وردت به السنة الصحيحة (بغية ٢٩٧). وعبارة الكردي وأما التوسل بالأنبياء والصالحين فهو أمر محبوب ثابت في الأحاديث الصحيحة وقد أطبقوا على طلبه بل ثبت التوسل بالأعمال الصالحة وهي أعراض فبالذات أولى (بغية ٢٩٧). وسيأتي التفصيل والدليل لهذا في باب الاستغاثة.

وقال ابن كثير : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى) . . . . ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا فأما المعاد فكانوا جاحدين له" (ابن كثير ٤/٤٦).

وقال القرطبي: "قوله تعالى (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) يعني الأصنام" (قرطبي ١٥/٢٣٣).

وقال الرازي : "وحاصل الكلام لعباد الأصنام أن قالوا إن الإله الأعظم أجل من أن يعبده البشر لكن اللائق بالبشر أن يشتغلوا بعبادة الأكابر من عباد الله مثل الكواكب ومثل الأرواح السماوية ثم انها تشتغل بعبادة الا له الأكبر فهذا هو المراد من قولهم [مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى] (رازي ٢٦/٢٤١).

وحاصل الكلام ان هذه الآية حكيها الله عن كفار مكة الذين اتخذوا لله أولادا ويعبدونها فالله عندهم رب الأرباب فاعتقادهم في مجلس الآلهة كمجلس الملك والوزراء وزعموا أن اللائق بهم عبادة الأصاغر دون الأكابر سبحانه لا شريك له لا ند له ولا ولد له[١٢].

---

[١٢] فإن قال الخصم التوسل أو تركه أفضل وهل توسل النبي صلى الله عليه وسلم بالذات فقل سلمت في ضمن سؤالك ان التوسل ليس بشرك فبعد تصريحك به أولا تتكلم عن هذا فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ إياك نعبد وإياك نستعين وقد تقدم عن المفسرين انه توسل وتقدم قوله تعالى وابتغوا إليه الوسيلة انه شامل للتوسل بالذات عن المفسرين فلا بد يتوسل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإتباعهم بقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده. وقد روى البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لحسان فقال في دعائه اللهم أيده بروح القدس. وتقدم أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بصعاليك المهاجرين وانه كان يقول في دعائه بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي وتقدم أيضا ان النبي صلى الله عليه



وسلم أمر بالتوسل به في حديث ضرير البصر وبعـــهد داود وســـليمان وتقـــدم أيضـــا ان الصحابـــة توسلوا في الاستسقاء رواه البخاري فلا وجه للتردد. فإن قلت انـــه قـــد يـــؤدى الى الشـــرك أقـــول أعمال الحج والطواف بالبيت والصلاة خلف مقام إبراهيـــم قـــد يـــؤدى الى الشـــرك ولم ينـــه عنـــه الشارع بل أمر به فلا حاجة الى مثل هـــذا الخـــوف.

أَلْإِسْتِغَاثَةُ

الإستغاثة[1] طلب المعونة بسبب المعجزة والكرامة[2] من الأنبياء والأولياء أو طلب المعونة بسبب دعائهم وشفاعتهم ويسمى استشفاعا أيضا.

أما المعونة بالسبب العادي فتوجد من سائر البشر قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (المائدة ٢). فأمر الله تعالى في هذه الآية بالتعاون في الأمور الخيرية فإذا لم يكن موجودا، لما أمر الله به، فإذا وجدت المعونة فيجوز طلبها أيضا، قال

---

[1] وقبل الخوض في المسألة نذكر نبذا من معتقداتنا لئلا تعترى شبهة للمخالف.

(١) نحن نحب الله تعالى اشد محبة الجميع، قال الله: "والذين آمنوا اشد حبا لله" (١٦٥/٢) والنبي ﷺ أحب إلينا من جميع الخلق، كما في حديث الصحيحين لا يؤمن أحدكم حتى أكون احب إليه من والده وولده والناس اجمعين.

(٢) إن الله تعالى خالق كل شيء، لا خالق ولا موجد إلا هو، والعبد إنما هو كاسب لأفعاله وأعماله، فالغوث من الله تعالى خلقا وإيجادا والنبي والولي مستغاث به كسبا وتسببا. قال ابن تيمية: "يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله، وان كل غوث فمن عنده، وان كان جعل ذلك على يدي غيره".

[2] أي المعجزة والكرامة الصادرة منهم بإذن الله ومشيئته والمطلوب منه في الحقيقة هو الله تعالى وفي الظاهر الأنبياء والأولياء لكون المعونة بطريق معجزتهم وكرامتهم أو دعائهم وشفاعتهم فالمطلوب حصول المعونة من الله بطريق معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء ودعائهم ولهذا يقول المؤمن بعد حصول المعونة: "الحمد لله" يحمد الله تعالى. فالاستغاثة راجعة إلى التوسل في الحقيقة والفرق في الظاهر فقط. فحكمها من حيث المرجع، حكمه وقد تقدم في باب التوسل قول النووي وعبد القادر الجيلاني انه يستحب، وقول ابن حجر في شرح بافضل: "يسن" وفي شرح الإيضاح: "أنه يطلب" والمطلوب يكون مسنونا وقد يقال حكم طلب المعونة الغير العادية كحكم طلب المعونة العادية. ثم إن هذا الطلب قد يكون في حيوة الأنبياء والأولياء وقد يكون بعد وفاتهم، لأن المعجزة والكرامة لا تنقطع بالموت لما سيأتي.

تعالى: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} (القصص ١٥)

اَلْمَعُونَةُ الْعَادِيَّةُ بِإِذْنِهِ تَعَالَى

ثم إن المعونة العادية توجد بإذنه تعالى وإرادته وإقداره وخلقه، لأن ما يوجد من الخلق ليس إلا بإقدار الله تعالى قال تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى} (الأنفال ١٧). أي لم تقتلوا المشركين في البدر، ولكن الله هو الذي قتلهم. وكذلك، ما رميت حين ما كان الرمي من النبي ﷺ يوم بدر، فإنه أخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه المشركين، فأصابت كل واحد منهم ودخلت في عينه وأذنه بمعجزته ﷺ.

قال الرازي: "إحتج أصحابنا بهذه الآية على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، ووجه الإستدلال أنه تعالى قال: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ} ومن المعلوم أنهم جرحوا، فدل هذا على أن حدوث تلك الأفعال إنما حصل من الله. وأيضا قوله: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ} أثبت كونه عليه الصلاة والسلام راميا، ونفى عنه كونه راميا، فوجب حمله على أنه رماه كسبا، وما رماه خلقا". (رازي ١٣٩/١٥)

وقال تعالى: {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ} (البقرة ١٠٢)

قال البيضاوي في تفسير هذه الآية: "لأنه (السحر) وغيره من الأسباب غير مؤثر بالذات، بل بأمره تعالى وجعله".(بيضاوي ٩٦)

ويدل على هذا المطلوب آيات كثيرة، منها قوله تعالى: {وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ} (التكوير ٢٩)

قال الرازي في تفسير الآية: "أي إلا أن يشاء الله تعالى أن يعطيه تلك المشيئة، لأن فعل تلك المشيئة صفة محدثة، فلا بد في حدوثها من مشيئة أخرى، فيظهر من مجموع هذه الآيات أن فعل الاستقامة موقوف

على إرادة الاستقامة، وهذه الإرادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الإرادة، والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء". (رازي ٧٥/٣١)

ومنها قوله تعالى: {قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} (الأعراف١٨٨)، وقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} (الشعراء ٧٨)، وقوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ} (النجم ٤٨)، وقوله تعالى: { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} (النجم ٤٣، ٤٤)، وقوله تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا} (الملك ١٥)، وقوله تعالى: { أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ } (الملك ١٩)، وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ} (الملك ٢٤)، وقوله تعالى: {أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ} (الملك ٣٠)، وقوله تعالى: { أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} (الواقعة ٥٨، ٥٩)، وقوله تعالى: { أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ } (الواقعة ٦٤)، وقوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ} (الواقعة ٦٨، ٦٩)، وقوله تعالى: { أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ} (الواقعة ٧١، ٧٢).

كل واحد من الآيات تدل على أن المعونة العادية توجد بإذنه تعالى وإرادته وإقداره وخلقه لأن كل ما يوجد من الخلق ليس إلا بإقدار الله تعالى.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَتِيكٍ ﷺ، بَعْدَ قَتْلِ أَبِي رَافِعٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ: "فَقَدْ قَتَلَ اللهُ أَبَا رَافِعٍ" (بخاري ٥٧٧/٢)، وَقَالَ ﷺ: "إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي". (بخاري ١٦/١)

قال سعد الدين التفتازاني: "والله تعالى خالق لأفعال العباد من

الكفر والإيمان والطاعة والعصيان، لا كما زعمت المعتزلة، أن العبد خالق لأفعاله. (شرح العقائد ٦٠)

وقال أيضا: "إن العبد لو كان خالقا لأفعاله، لكان عالما بتفاصيلها، ضرورة أن إيجاد الشيء بالقدرة لا يكون إلا كذلك، واللازم باطل، فإن المشي من موضع إلى موضع قد يشتمل على سكنات متخللة وعلى حركات بعضها أسرع وبعضها أبطأ، ولا شعور للماشي بذلك، وليس هذا ذهولا عن العلم، بل لو سئل عنها لم يعلم وهذا في أظهر أفعاله. وأما إذا تأملت في حركات أعضائه في المشي والأخذ والبطش ونحو ذلك، وما يحتاج إليه من تحريك العضلات وتحديد الأعصاب ونحو ذلك، فالأمر أظهر". (شرح العقائد ٦٠)

قال الإمام الرازي: "العبد غير عالم بتفاصيل فعله.....وإذا لم يكن عالما بتفاصيل فعله لم يكن موجدا لها". (رازي ١٤١/٧ تحت قوله تعالى: "لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا").وقال أيضا: "ثبت أن العبد لا يكون خالقا بمعنى التكوين والإبداع".(رازي ٥٥/٨ تحت قوله "خَلَقَ لَكُم مِّنَ الطِّينِ")

قال الإمام النووي رحمه الله في معنى"لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ: "قال الهروي قال أبو الهيثم الحول الحركة، أي لا حركة ولا استطاعة إلا بمشية الله تعالى، وقيل لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بإذن الله".(شرح مسلم ١٦٦/١)

وقال الرازي: "قوله"لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ"أي لا قوة لأحد على أمر من الأمور إلا بإعانة الله وإقداره" (رازي ١٢٧/٢١)

طَلَبُ الْمَعُونَةِ الْعَادِيَّةِ

فثبت بهذه الأدلة، أن المعونة العادية توجد من سائر البشر بإذنه تعالى وإرادته ولا شك في أن هذه المعونة يجوز طلبها، وهذا الطلب في

الحقيقة من الله تعالى، وفي الظاهر من العبد، ولذا يقال عند حصول المعونة العادية المطلوبة "أَلْحَمْدُ لِلَّهِ" ولا ينافيه قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، لأن قوله إياك نستعين ليس فيه حصر وتخصيص، كما يدل عليه عبارة أبي حيان: "إياك مفعول مقدم، والزمخشري، يزعم أنه لا يقدم على العامل إلا للتخصيص. وقد تقدم الرد عليه في تقدير بسم الله أتلو وذكرنا نص سيبويه هناك فالتقديم عندنا إنما هو للإعتناء والإهتمام بالمفعول". (بحر المحيط ١/٢٤)

وإن قلنا بالتخصيص والحصر فالمراد من الإعانة الإعانة الحقيقية وليس إلا من الله وأما المعونة من الملئكة والأنبياء والأولياء وسائر البشر معونة غير حقيقية بل بإقدار من الله تعالى وإذنه وإرادته فهو معونة ظاهرية والمطلوب في "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" هو المعونة الحقيقة، ولا ينافيه أيضا قوله تعالى: {وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ} (يونس ١٠٦)، وأمثاله، لأن الدعاء المنهي دعاء باعتقاد الألوهية والصمدية فيهم. أما ترى أن قول موسى عليه السلام للخضر: "لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا" (الكهف ٧٣)، ليس دعاء منهيا عنه وعبادة، مع أن قوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا إلخ } (البقرة ٢٨٦)، عبادة ودعاء مأمور به، فالفرق بالاعتبار. فإذا اعتبر الألوهية والصمدية في المدعو له، يكون عبادة له وشركا ومنهيا عنه، وإلا فلا يكون دعاء ولا عبادة ولا شركا.

أَلْمَعُونَةُ الْغَيْرُ الْعَادِيَّةِ

وتوجد المعونة بالطريق الغيبي، وبسبب المعجزة والكرامة من الملئكة والأنبياء والأولياء.

قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: "وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ" (آل عمران ٩٩)، وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِي عِندَهُ

عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي}. (النمل ٤١)

قال إسماعيل البروسوي: "قوله: "الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ" وهو آصف بن برخيا بن خالة سليمن، وزيره وكاتبه. وقال المعتزلة: "المراد به جبرائيل" وذلك لأنهم لا يرون كرامة الأولياء". (روح البيان ٣٤٩/٦). وقال أيضا: "ولما كان كرامة هذا الولي في الإتيان بالعرش من معجزة سليمن، قال: "هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ" (روح البيان).

وقال تعالى:{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ}

قال الرازي في تفسير هذه الآية: "روي أنه لما طلعت قريش قال رسول الله ﷺ: "هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك، اللهم إني أسألك ما وعدتني"، فنزل جبريل وقال: "خذ قبضة من تراب فارمهم بها"، فلما التقى الجمعان قال لعلي: "أعطني قبضة من تراب من حصباء الوادي"، فرمى بها في وجوههم قال: "شَاهَتِ الْوُجُوهُ"، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا". (رازي ١٣٩/١٥)

عن يزيد بن أبي عبيد قال: "رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، فَقُلْتُ: "يَا أَبَا مُسْلِمٍ! مَا هٰذِهِ الضَّرْبَةُ ؟!" قَالَ: "ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ"، فَقَالَ النَّاسُ: "أُصِيبَ سَلَمَةُ"، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَنَفَثَ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ، فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ".(رواه البخاري ، مشكوة ٣٣)

والآيات والأحاديث الدالة على المعجزة والكرامة كثيرة، كل واحدة منها دالة على أن المعونة المذكورة توجد من الأنبياء والأولياء، ثم إن المعونة بسبب المعجزة والكرامة توجد بإذنه تعالى وإرادته كالمعونة العادية وليس للأنبياء والأولياء الاستقلال والصمدية.

يَجُوزُ طَلَبُ الْمَعُونَةِ الْغَيْرِ الْعَادِيَّةِ

ثم إن وجدت المعونة منهم فيجوز طلبها كطلب المعونة العادية

من سائر البشر. قال تعالى حكاية عن سليمن عليه السلام: { قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} (النمل ٣٧).

روى البخاري عن أبي هريرة أنه قال: "قُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّ سَمِعْتُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا فَأَنْسَاهُ"، قَالَ: "اُبْسُطْ رِدَائَكَ!"، فَبَسَطْتُهُ، فَغَرَفَ بِيَدِهِ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: "ضُمَّهُ"، فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ حَدِيثًا بَعْدُ". (بخاري ١/٥١٥)

وعن أنس بن مالك: "أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ الْمِنْبَرِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا، فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يُغِيثَنَا إلخ". (بخاري[٣] ١/١٣٧)

دليل واضح على أنه يجوز طلب المعونة بطريق المعجزة والكرامة، إذ لو لم يكن طلبها جائزا لما قرر ﷺ الطلب المذكور من الصحابة.

اَلْمَوْتُ لَيْسَ فَنَاءً مَحْضًا

ثم إن القدرة والقوة لا تنقطع بالموت، وهو جزء من الإيمان بالآخرة، وما يقال إن القوى تنقطع بالموت من إنكار الحياة الأخروية، وهو مردود عقلا ونقلا.

فإن مدار القدرة والقوة الروح، وهو لا يفني بالموت فهو باق بعد الموت مع السلامة عن العوائق البدنية، فيصير الروح منحلا عن عقدة البدن.

---

[٣] وفي الحديث أن جبريل قال للنبي ﷺ: "إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم"، قال ﷺ: "فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: "يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت أطبق عليهم الأخشبين إلخ" (بخاري ٣٢٣١، مسلم ١٧٩٥ نسائي في النعوت) وقال ﷺ: "ومن ترك دينا أو ضياعا فليأتيني فأنا مولاه" (بخاري ٢٣٩٨، مسلم ١٦١٩) وأنكر ابن تيمية استغاثة الملك.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "الـذي تشـهد لـه طـرق الاعتبـار وتنطق به الآيات والأخبار، أن الموت معناه تغـير حـال فقـط، وأن الـروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمـة". (إحيـاء ٤/٣٣٢)

وقال الإمام البيضاوي: "الأرواح جواهر قائمـة بأنفسـها مغـايرة لمـا يحس من البدن، يبقي بعد الموت دراكة، وعليه جمـهور الصحابـة والتـابعين وبه نطقت الآيات والسنن" (بيضاوي ١١٧ تحـت قولـه تعـالى "وَلَا تَقُولُـوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ..." (البقـرة)

قال تعالى:{وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِـرَةَ لَهِـيَ الْحَيَـوَانُ لَـوْ كَـانُوا يَعْلَمُـونَ} (العنكبوت ٦٤).

قال الرازي في تفسير هذه الآية: "كيف أطلـق الحيـوان علـى الـدار الآخرة، مع أن الحيوان نام مدرك؟! فنقول: "الحيـوان مصـدر حيـي كالحيـاة لكن فيها مبالغة ليست في الحياة، والمراد بالدار الآخـرة هـي الحيـاة الثانيـة، فكأنه قال الحياة الثانية هي الحياة المعتـبرة" أو نقـول: "لمـا كـانت الآخـرة، فيها الزيادة والنمو، كانت هـي محـل الإدراك التـام الحـق، أطلـق عليـها الاسم المستعمل في النـامي المـدرك".(رازي ٢٥/٩٢)

وقال تعالى:{فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} (النازعات ٥)، قـال الـرازي: "ثبـت في عالم المعقولات، أن عالم الأرواح مُسْتَوْلٍ علـى عـالم الأجسـام، وإنمـا هـي المدبرات لأمور هذه العـالم، كمـا قـال تعـالى: "فَـالْمُدَبِّرَاتِ أَمْـرًا"" (رازي ١/٧٢)

وعن النبي ﷺ، قال: "يُثَبِّـتُ اللهُ آمَنُـوا بِـالْقَوْلِ الثَّـابِتِ، نزلـت في عذاب القبر، يقال له، "مَنْ رَبُّكَ؟" فيقـول: "رَبِّيَ اللهُ وَنَبِيِّـي مُحَمَّـدٌ". (متفـق عليه – مشكـوة ١/٢٤)

وقال تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّـا وَيَـوْمَ تَقُـومُ السَّـاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَـذَابِ} (غـافر ٤٦).

قال الرازي: "احتج أصحابنا بهذه الآية، علـى إثبـات عـذاب القـبر،

قالوا: "الآية تقتضي عرض النار عليهم غدوا وعشيا، وليس المراد منه يوم القيمة، لأنه قال: (ويوم تقوم الساعة إلخ)، وليس المراد منه أيضا الدنيا لأن عرض النار عليهم غدوا وعشيا، ما كان حاصلا في الدنيا، فثبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت وقبل يوم القيمة، وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء، وإذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم، لأنه لا قائل بالفرق".(رازي ٢٧/٧٣).

وقال الله تعالى: {وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا ...إلخ} (الزخرف ٤٥).

دليل واضح على أنه ﷺ إذا سأل يسمع من قد مضى وتوفي من الرسل، وإلا لكان الأمر به لغوا.

قال الرازي في تفسير الآية: "قال عطاء عن ابن عباس: "لما أسري به ﷺ إلى المسجد الأقصى، بعث الله له آدم وجميع المرسلين من ولده، فأذن جبريل ثم أقام، فقال: "يا محمد تقدم فصل بهم"، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة، قال له جبريل: "واسأل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا ...إلخ"، فقال ﷺ: "لا أسأل، لأني لست شاكا فيه". (رازي ٢٧/٢١٦)

وقال تعالى:{قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}(يس ٢٦).

قال ابن جرير: "قوله: قيل ادخل الجنة إلخ، يقول تعالى ذكره، قال الله له (لحبيب النجار) إذ قتلوه كذلك فلقيه: "ادخل الجنة"، فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره فيه، قال: "يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي" (طبري ٢٢/١٠٤)، دليل على أن حبيب النجار تكلم بعد موته".

وقال تعالى:{فَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} (التحريم ٤).

قال ابن جرير قوله فإن الله هــو مــولاه ...إلخ يقــول فــإن الله هــو وليه وناصره وصالح المؤمنين وخيار المؤمنــــين أيضــا مــولاه ونــاصره وقــال آخرون عنى بصالح المؤمنين الأنبيـــاء صلــوات الله عليـــهم، والصــواب مــن القول في ذلك عندي أن قوله وصالح المؤمنين وإن كــان في لفــظ واحــد فإنــه بمعنى الجميع". (طــبري ٢٨/١٠٥)

وقال تعالى:{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّــيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَــهُمْ كَــالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَــاتُهُمْ سَــاءَ مَــا يَحْكُمُــونَ} (الجاثيــة ٢١)

قال الإمام البيضاوي في تفسير الآية: "قولــــه سَــوَاءً مَّحْيَــاهُمْ وَمَمَــاتُهُمْ، أي في البهجة والكرامة".(بيضــــاوي ٥/٧٠)

قوله (أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) مثلـــــهم وهــو ثــاني مفعولي نجعل، وقوله (سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) بــدل منــه. (بيضــاوي ٥/٧٠)

قال ملا علي القــاري: "فإنهــا (أي روح المؤمــن) تســير في ملكــوت السماء والأرض، وتسرح في الجنة حيــث تشــاء، وتــأوي إلى قنــاديل تحــت العرش، ولها تعلق بجسده أيضا تعلقــــا كليــا بحيــث يقــرأ القــرآن في قــبره ويصلي ويتنعم وينام كنـــوم العــروس، وينظــر إلى منازلــه في الجنـــة بحســب مقامه ومرتبته، فأمر الروح وأحوال الــبرزخ والآخــرة كلــها علــى خــوارق العادات، فلا يشكل شيء منها على المؤمنــين بالآيــات". (مرقــاة ٢/٣٣٤)

وقال تعالى:{وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَــاهُ طَــائِرَهُ فِي عُنُقِــهِ وَنُخْــرِجُ لَــهُ يَــوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِــكَ الْيَــوْمَ عَلَيْــكَ حَسِــيبًا} (الإسراء١٣،١٤).

وفي القرطبي: "قال ابن عباس: "طائره عمله وما قــدر عليــه مــن خــير وشر وهو ملازمه أينما كان ..."، وقوله ونخرج له يــوم القيمــة كتابــا: يعــني كتاب طائره الذي في عنقه".(قرطبي ١٠/٢٢٩) وقولـــه اقــرأ كتــابك قــال

وكذا في الـــرازي ٢٠/١٦٩).

وفي الطبري: "قوله اقرأ كتابك إلخ عـــن قتـــادة اقـــرأ كتـــابك كفـــى بنفسك اليوم عليك حسيبا ســـيقرأ يومئـــذ مـــن لم يكـــن قارئـــا في الدنيـــا". (طبري ١٥/٤١)

دليل واضح على أن الأموات لا تنقطع قويـــهم بـــل قـــد تزيـــد قـــوة على الأحياء على خرق عادة الدنيا لأن من المعلوم أن الأمـــي لا يمكـــن لـــه أن يقرأ حال حياته وأما إذا قرأ بعد موته فلا شك إنه زيـــادة في القـــوة والقـــدرة.

اَلْمُعْجِزَةُ وَالْكَرَامَةُ لا تَنْقَطِعُ بِالْمَوْتِ

وقال تعالى:{وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَـــلُ فِي سَـبِيلِ اللهِ أَمْـوَاتٌ بَـلْ أَحْيَـاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ} (البقرة ١٥٤)، وقال تعالى: وَلَا تَحْسَـــبَنَّ الَّذِيـــنَ قُتِلُـــوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِـــمْ يُرْزَقُـــونَ[٤]} (آل عمـــران ١٦٩).

قال الرازي في تفسير الآية: "والمقتـــول في ســـبيل الله أحيـــاه الله بعـــد القتل، وخصه بدرجات القربـــة والكرامـــة، وأعطـــاه أفضـــل أنـــواع الـــرزق وأوصله إلى أجل مراتـــب الفـــرح والســـرور" (رازي ٩/٨٨) دليـــل واضـــح على أن الشهداء لهم أكل وشـــرب.

وفي التفســـير المظـــهري : "إن الله يعطـــي لأرواحـــهم قـــوة الأجســـاد فيذهبون من الأرض والسماء والجنة حيـــث يشـــاءون وينصـــرون أوليائـــهم". (التفسير المظـــهري ٢/١٢١)

قال الإمام الغزالي رحمـــه الله: "قـــال مـــالك: "انـــه بلغـــه أن الأرواح تسرح حيث شاءت" (إحياء ٤٢٢)، وكـــذا في فتـــح البـــاري ٣\١٩٣).

وقال ابن كثير قوله"ولا تقولوا لمن يقتل إلخ، يخـــبر تعـــالى أن الشـــهداء

---

[٤] عن الشعبي أن ابن عمر كان إذا سلم علـــى ابـــن جعفـــر قـــال: "الســـلام عليـــك يـــا ابـــن ذي الجناحين"، قال الحافظ كأنه يشير إلى عبد الله بن جعفر قال قال لي رســـول الله ﷺ هنيئـــا لـــك أبـــوك يطير مع الملائكة في السماء أخرجه الطبراني بإســـناد حســـن. (فتـــح ٨/٦٨١)

في برزخهم أحياء يرزقون، كما جاء في صحيح مسلم أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ(٥)، ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ إلخ ". (ابن كثير ١٩٨/١)

وقال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} (فصلت ٣٠،٣١).

قال الرازي في تفسير الآية: "ومعنى كونهم أولياء للمؤمنين، أن للملائكة تأثيرات في الأرواح البشرية بالإلهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحقيقية...وبالجملة فكون الملائكة أولياء للأرواح الطيبة الطاهرة حاصل من جهات كثيرة معلومة لأرباب المكاشفات والمشاهدات، فهم يقولون كما أن تلك الولاية كانت حاصلة في الدنيا، فهي تكون باقية في الآخرة، فإن تلك العلائق ذاتية لازمة غير قابلة للزوال، بل كأنها تصير بعد الموت أقوى وأبقى، وذلك لأن جوهر النفس من جنس الملائكة وهي كالشعلة بالنسبة إلى الشمس، والقطرة بالنسبة إلى البحر، والتعلقات الجسمانية هي التي تحول بينها وبين الملائكة، كما قال ﷺ "لَوْ لَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَىٰ قُلُوبِ بَنِي آدَمَ، لَنَظَرُوا إِلَىٰ مَلَكُوتِ السَّمٰوٰاتِ " فإذا زالت العلائق الجسمانية والتدبيرات البدنية فقد زال الغطاء والوطاء، فيتصل الأثر بالمؤثر، والقطرة بالبحر، والشعلة بالشمس، فهذا هو المراد من قوله "نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ". (رازي ٢٧/)

دليل واضح على أن المستقيمين من الأنبياء والأولياء ينصرهم الملائكة في الحياة وبعد الموت، كالنصر بالملائكة بالبدر فهو معجزة للأنبياء وكرامة للأولياء.

فالمعجزة والكرامة لا تنقطع بالموت، قال تعالى:{ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ

---

(٥) فيه دلالة على أن الكرامة بعد الموت توجد بالاختيار أيضا.

يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ} (البقرة ٢٤٨).

قال إسماعيل البروسوي: "وهي معجزة لأنبيائهم وكرامة لملوكهم". (روح البيان ٣٨٦/١).روى البخاري أَنَّ بَنِي لِحْيَانَ قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ (الظلة السحابة والدبر الزنابير) فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ. (بخاري:٤٠٨٢) وفي فتح الباري في رواية شعبة، فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا. وفي رواية أبي الأسود عن عروة فبعث الله عليهم الدرب تطير في وجوههم وتلدغهم فحالت بينهم وبين أن يقطعوا وفي رواية ابن إسحاق كان عاصم أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا، فكان عمر يقول لما بلغه خبره يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته. (فتح الباري ٣٥٤/٩)

روى البخاري لَمَّا قُتِلَ الذين بِبِئْرِ مَعُونَةَ وأُسِرَ عَمرو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِي، قال له عامر بن الطفيل: "مَنْ هَذَا؟" فَأَشَارَ إِلَى قَتِيلٍ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ: "هَذَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ" فَقَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ مَا قُتِلَ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ ثُمَّ وُضِعَ". (بخاري ٤٠٩٣)، وفي الفتح ذكر الواقدي:أَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَارَتْهُ وَلَمْ يَرَهُ الْمُشْرِكُونَ. (فتح ٣٥٩/٩). وتقدم في حديث مسلم، أن أرواح الشهداء تسرح حيث شائت حتى في الجنة.

عن سعيد بن عبد العزيز قال: "لَمَّا كَانَ أَيَّامُ الْحَرَّةِ لَمْ يُؤَذَّنْ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثًا وَلَمْ يُقَمْ وَلَمْ يَبْرَحْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ الْمَسْجِدَ وَكَانَ لَا يَعْرِفُ وَقْتَ الصَّلَاةِ إِلَّا بِهَمْهَمَةٍ يَسْمَعُهَا مِنْ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ" (دارمي، مشكوة ٥٤٥).

وقال تعالى:{قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي

رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً إلخ} (يس ٢٨،٢٩).

قال القرطبي في تفسير الآية: "فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل النقمة على قومه، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله "وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ إلخ "(قرطبي ١٥/٢٠)

دليل واضح على أن المعجزة والكرامة لا تنقطع بالموت، ومن كرامة الحبيب النجار قوله تعالى "إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ...إلخ.

وقال تعال:ى{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ} (الجاثية) وقال البيضاوي في البهجة والكرامة: "ويدل على المطلوب أحاديث الإسراء والمعراج"

ويدل عليه أيضا، ما روي عن جابر بن عبد الله قال: "لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، أَبْكِي وَيَنْهَوْنِي وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَنْهَانِي فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ فَمَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّىٰ رَفَعْتُمُوهُ.(بخاري ١/١٦٦)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "لَمَّا مَاتَ النَّجَاشِيُّ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ عَلَىٰ قَبْرِهِ نُورٌ" (أبو داود)

وعن جابر بن عبد الله قال: "لَمَّا حَضَرَتْ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: "مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ......" فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ وَدَفَنْتُ مَعَهُ آخَرَ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ آخَرَ فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ، غَيْرَ أُذُنِهِ فَجَعَلْتُهُ فِي قَبْرٍ عَلَىٰ حِدَةٍ". (رواه البخاري - رياض الصالحين ٥٢٩ باب كرامات الأولياء)

وعن يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده في قصة أحد وقتل شداد بن الأسود الذي كان يقال له ابن شعوب حنظلة ابن أبي عامر قال: "فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ صَاحِبَكُمْ تَغْسِلُهُ الْمَلَائِكَةُ فَاسْأَلُوا

صاحِبَتَهُ" فَقالَتْ: "خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ لَمّا سَمِعَ الهائِعَةَ" فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لِذَلِكَ غَسَلَتْهُ المَلائِكَةُ" (بيهقي ١٥/٤، باب الجنب يشهد المعركة)

قال الإمام الرازي: "أما أبو بكر ﷺ فمن كراماته، أنه لما حملت جنازته إلى قبر النبي ﷺ ونودي: "السلام عليك يا رسول الله، هذا أبو بكر بالباب" فإذا الباب قد انفتح وإذا بهاتف يهتف من القبر: "أدخلوا الحبيب إلى الحبيب".(رازي ٧٨/٢١)

وقال الإمام الرملي: "وللرسل والأنبياء إغاثة بعد موهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بموهم".(فتاوى الرملي على هامش فتاوى الكبرى٣٨٢/٤)

بَعْضُ الأَحْياءِ يَعْلَمُ ما فِي الأَمْواتِ

ويدل على أن القوي لا تنقطع بالموت، وأن الأحياء يعلم ما في الأموات، ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: "مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ". (مسلم ٩٧/١)

وقال ﷺ: "وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَماعَةٍ مِنَ الأَنْبِياءِ فَإِذا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ قائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ، وَإِذا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِي، وَإِذا إِبْراهِيمُ قائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النّاسِ بِهِ صاحِبُكُمْ يَعْنِي نَفْسَهُ فَأَمَمْتُهُمْ".(مسلم ٩٧/١)[٦]

وعن ابن عباس أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِوادِي الأَزْرَقِ فَقالَ: "أَيُّ وادٍ هٰذا؟ فَقالُوا: "هٰذا وادِي الأَزْرَقِ" قالَ: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى هابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَا، فَقالَ: "أَيُّ ثَنِيَّةٍ هٰذا؟" قالُوا: "ثَنِيَّةُ هَرْشَي" قالَ: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَى ناقَةٍ حَمْراءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ خِطامُ ناقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي". (مسلم

٩٤/١)

قال الإمام النووي رحمه الله: "إنهم (الأنبياء) كالشهداء، بل أفضل منهم، والشهداء أحياء عند ربهم، فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا". (شرح مسلم ٩٤/١)، دليل واضح على أن الأموات لهم قدرة وأعمال، ولا ينقطع قواهم بالموت".

وقال ﷺ: "اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ لَهُ مُوسَى: "أَنْتَ آدَمُ، الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ لَهُ آدَمُ أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى(بخاري ١\٤٨٤).

ويدل عليه أيضا أحاديث الإسراء والمعراج، ويدل على حصول المعونة من الأموات، حديث الإسراء والمعراج، "أن موسى عليه السلام نصر النبي ﷺ وأمته بتقصير الصلاة من الخمسين شيئا فشيئا إلى الخمس كما في البخاري (٥٠) والمسلم (٩٣/١).

ويدل على أن الموتى يدعون الله تعالى للأحياء، ما روى مسلم في قصة الإسراء والمعراج، قال ﷺ: "ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ ....فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ......فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ....فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ.... فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ إلخ " (مسلم ٩١/١ باب الإسراء).

أَرْوَاحُ ٱلْأَمْوَاتِ قَدْ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَحْيَاءِ

تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} (التوبة ١٠٦)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "قد ورد أنَّ أعْمَالَ الأحْيَاءِ تُعْرَضُ عَلَى الأمْوَاتِ، مِنَ الأقْرِبَاءِ وَالعَشَائِرِ فِي البَرْزَخِ"؟ (ابن كثير ٣٨٧/٢)

وقال أيضا: "قال ﷺ: "إنَّ أعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أقْرِبَائِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ فِي قُبُورِهِمْ فَإنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبْشَرُوا بِهِ، وَإنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا: "اللَّهُمَّ ألْهِمْهُمْ أنْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِكَ" (أبو داود) وقال ﷺ: "إنَّ أعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الأمْوَاتِ، فَإنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبْشَرُوا بِهِ وَإنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا: "اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا" (أحمد - ابن كثير ٣٨٧/٢)

وقال ابن القيم نفسه: "وصح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب أن الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا مُتَآخِيَيْنِ قال صعب لعوف: "أي أخي أيُّنا مَاتَ قبل صاحبه فلْيَتَرَاءَ له" قال: "أو يكون ذلك ؟" قال: "نعم"، فمات صعبٌ فرآه عوف فيما يرى النائم، كأنه قد أتاه قال: "قلت: أي أخي قال: نعم" قلت: "ما فُعِل بكم؟" قال: "غفر لنا بعد المصائب". قال: "ورأيتُ لمعةً سوداءَ في عنقه" قلت: "أي أخي ما هذا؟ قال: "عشرةُ دنانيرَ اِسْتَسْلَفتُها من فلان اليهودي، فهن في قَرْنِي فأعطُوه إياها، واعلم أي أخي أنه لم يَحْدُثْ في أهلي حدث بعد موتِي إلا قد لحق بي خبرُه، حتى هرة لنا ماتت منذ أيام، واعلم أن بنتي تموت إلى ستة أيام فاستوصوا بها معروفا، فلما أصبحت قلت: "إن في هذا لمعلمًا"، فأتيت أهله فقالوا: "مرحبا بعوف، اهكذا تصنعون بتركة إخوانكم؟"، لم تقربنا منذ مات صعب، قال: "فاعتَلَلْتُ بما يعتل به الناس، فنظرت إلى القرن فأنزلته، فانتثلتُ ما فيه فوجدت الصرة التي فيها الدنانير، فبعثت بها إلى اليهودي، فقلت: "هل كان لك على صعب شيء؟" قال: "رحم الله صعبا كان من خيار أصحاب رسول الله ﷺ، هي له قلت: لتخبرني قال: نعم

أسلفته عشرة دنانير فنبذهًا إليه، قال: "هي والله بأعيانها قال: قلت هذه واحدةٌ قال: "فقلت: "هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب؟" قالوا: "نعم! حدث فينا كذا، حدث فينا كذا، قال: "قلت: اذكروا" قالوا: "نعم هرة ماتت منذ أيام!، فقلت: "هاتان اثنتان"، قلت: "أين ابنة أخي؟" قالوا: "تلعب فأتيتُ بها فمسستها فإذا هي محمومة، فقلت: استوصوا بها معروفا، فماتت في ستة أيام".(الروح ١٧)

سَمَاعُ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَحْيَاءِ

ويدل على أن الأموات يسمع من الأحياء، ما روى البخاري عن أبي طلحة أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ...... فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ يَافُلَانُ بْنُ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟" قَالَ: "فَقَالَ عُمَرُ: "يَا رَسُولَ اللهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا" فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ". (بخاري ٥٦٦/٢)[٧]

أمثال هذه واقعة لنبي الله صالح، كما قال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} (الأعراف ٧٨،٧٩).

وفي الرازي: "إن صالحا عليه السلام خاطبهم بعد كونهم جاثمين كما أن نبينا عليه الصلاة والسلام خاطب قتلى بدر إلخ (رازي

---

[٧] فإن قلت يحتمل ان يكون هذا معجزة للنبي ﷺ، أقول فكذا يحتمل أن يكون سماع الأنبياء والأولياء بعد وفاتهم معجزة أو كرامة لهم ـ على ان سماع الميت خفق النعال ليس كرامة لسائر الأرواح وإن كانت منعمة أو معذبة ولها نوع شعور لكن السمع وسائر الكمالات على وجه المعجزة والكرامة لا يوجد إلا للأنبياء والأولياء.

١٧٦/١٤)

ووقع مثل هذه لشعيب مع قومه، قال تعالى:{الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ} (الأعراف ٩٢،٩٣)

وعن أوس بن أوس قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ"، قَالُوا: "يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ"، قَالَ: "يَقُولُونَ: "بَلِيتَ" قَالَ: "إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ"[٨].(رواه أبو داود

---

[٨] قال الحافظ السيوطي في الحاوي للفتاوى: "حياة النبي ﷺ في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علما قطعيا لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت به الأخبار وقد ألف البيهقي جزأ في حياة الأنبياء في قبورهم ثم ساق السيوطي أحاديث كثيرة دالة عليها، ومنها ما أخرج البخاري عن عائشة قالت: "كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي توفي فيه لم أزل أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطع أبهرى من ذلك السم فثبت كونه ﷺ حيا في قبره بنص القرآن إما من عموم اللفظ وإما من مفهوم الموافقة. وسئل البارزي عن النبي ﷺ هل هو حي بعد وفاته؟ فأجاب أنه ﷺ حي قال: الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الفقيه الأصولي شيخ الشافعية في أجوبة مسائل الجاجرميين قال المتكلمون المحققون من أصحابنا أن نبينا ﷺ حي بعد وفاته وأنه يسر بطاعات أمته ويحزن بمعاصي العصاة منهم وأنه تبلغه صلوة من يصلي عليه من أمته اهـ وقال الشيخ عفيف الدين اليافعي: تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي". (حاوي مختصرا ١٤٧/٢) وقال السيوطي أيضا في شرح قوله ﷺ : ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام رواه أبو داود والبيهقي في الدعوات الكبير مشكوة ٨٦. وقال ابن حجر رواه الطبراني وابن عساكر وسنده حسن بل صححه النووي في الأذكار وغيره. ثم إن المراد برد الروح التفرغ من الشغل وفراغ البال مما هو بصدده في البرزخ من النظر في أعمال أمته والإستغفار لهم والدعاء بكشف البلاء والتردد في أقطار الأرض وحضور جنازة من مات من صالح أمته. فإن هذه الأمور من جملة أشغاله في

والنسـائي وابـن ماجـه والدارمـي والبيـهقي في الدعـوات الكبـير، مشكوة ١٢٠).

دليل واضح على أنه ﷺ يعرض ويكشف لـه الصلاة مـن أنحـاء العالم وآفاقه. فعلم الأصوات المختلفـة والمختلطـة ليـس وصفـا مخصوصـا بالله تعالى.

وقال ﷺ إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَـازَةُ وَاحْتَمَلَـهَا الرِّجَـالُ عَلَـى أَعْنَاقِـهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَـالَتْ: "قَدِّمُـونِي"، وَإِنْ كَـانَتْ غَـيْرَ صَالِحَـةٍ، قَـالَتْ لِأَهْلِهَا: "يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَـا" (بخـاري ١٧٦/١) قـال الحـافظ ابـن حجر رحمه الله: "قال ابن بطال إنما يقـول ذلـك الـروح". (فتـح البـاري ١٨٥/٣)

وقال ﷺ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَـبْرِهِ وَتَـوَلَّى عَنْـهُ أَصْحَابُـهُ، إِنَّـهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَـانِ".(بخـاري ١٨٣/١). وقـال ﷺ: "إِنَّ الْمَيِّـتَ إِذَا وُضِـعَ فِي قَـبْرِهِ إِنَّـهُ لَيَسْـمَعُ خَفَـقَ نِعَـالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُـوا".(مسـلم ٣٧٢/٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وقال ﷺ: "إِنَّ الْمَيِّـتَ لَيَسْـمَعُ خَفَـقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ". أخرجه البـزار وابـن حبـان في صحيحـه. (فتـح الباري ٣٠٦/٣).

وأوصى عمرو بن العاص الصحابي المشـهور في مـرض موتـه فقـال فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَـبْرِي قَـدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُـمْ وَأَنْظُـرَ مَـاذَا أُرَاجِـعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي.(مسلم ٧٦/١) وهذا الحديث الصحيـح يُصَحِّـحُ التَّلْقِيـنَ.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح هـذا الحديـث: "وفيـه أن الميـت

البرزخ كما وردت الأحاديث. وفي رواية البيهقي إلا وقـد رد الله علـي روحـي. أي قبـل السـلام (حاوي ١٥٠/٢)

حينئذ يسمع من حول القبر" (شــرح مســلم ٧٦/١).

وقال ابن قيم نفسه: "والسلف مجمعــون علــى هــذا (سمــاع الميــت)، وقد تواترت الآثار عنهم، بأن الميـــت يعــرف زيــارة الحــي لــه ويســتبشر به". (الروح ٧)

وقال أيضا: "ويدل على هذا أيضا، مــا جــرى عليــه عمــل النــاس قديما وإلى الآن من تلقين الميت في قبره، ولو لا أنه يسمع ذلـــك وينتفــع بــه لم يكن فيه فائدة، وكــان عبثــا، وقــد ســئل عنــه الإمــام أحمــد رحمــه الله فاستحسنه واحتج عليه بــالعمل". (الــروح ١٦)

عِلْمُ مَا فِي الْبَعِيدِ وَسَمَاعُهُ وَرُؤْيَتُهُ مِنَ الْمُعْجِزَةِ وَالْكَرَامَةِ

قد تقدم نقل الحافظابن حجر حيث قال: "ذكر الحلمـــي وجوهــا مــن الخصائص العلية للأنبياء ....تاسعها ذكاء بصره حـــتى يكــاد يبصــر الشـــيء من أقصى الأرض، عاشرها ذكاء سمعه حتى يســمع مــن أقصــى الأرض مــا لا يسمعه غيره، حادي عشرها ذكاء شمه كما وقع ليعقــوب ...... ، ثــالث عشرها عروجه إلى السماء". (فتــح البــاري ٣٦٦/١٢)

روى البخاري في صـــلاة الخســوف "قَــالُوا يَــا رَسُــولَ اللهِ رَأَيْنَــاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ فَقَــالَ إِنِّي رَأَيْــتُ الْجَنَّــةَ وَتَنَــاوَلْتُ عُنقُودًا وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَــا وَرَأَيْــتُ النَّــارَ فَلَــمْ أَرَ مَنْظَــرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَــاءَ......". (بخــاري بــاب صــلاة الكسوف جماعة ١٤٤/١). وعن جابر ﷺ أَنَّــهُ سَمِــعَ رَسُــولَ اللهِ ﷺ يَقُــولُ: "لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَّى لِي بَيْـــتَ الْمَقْــدِسِ وَطَفِقْــتُ أُخْــبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ". (متفق عليه، مشكــوة- بــاب في المعجــزات ٥٣٠)

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ خَرَجَ يَوْمًــا فَصَلَّــى عَلَــى أَهْــلِ أُحُدٍ صَلَوتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ إِنِّي فَــرَطٌ لَكُــمْ وَأَنَــا شَــهِيدٌ

عَلَيْكُمْ وَإِنِّيْ وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَىٰ حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَإِنِّيْ وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلٰكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا" (بخاري- كتاب الرقاق ٩٥١/٢)

وقال ﷺ: " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ" (رواه أبو داود والبيهقي صححه النووي في الأذكار ونحوه).

قال الحافظ ابن حجر: "أخرج البيهقي في الدلائل واللالكائي في شرح السنة والدير عاقولي في فوائده وابن الأعرابي في كرامات الأولياء، من طريق ابن وهب عن يحيى ابن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر قال: "وجه عمر جيشا ورأس عليها رجلا يدعى "سارية"، فبينا عمر يخطب جعل ينادي: "يا سارية الجبل الجبل" ثلاثا. ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر، فقال: "يا أمير المؤمنين هزمنا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتا ينادي "يا سارية الجبل" ثلاثا فأسندنا ظهرنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالى". قال: "قيل لعمر: "إنك كنت تصيح بذلك" وهكذا ذكره حرملة في جمعه لحديث ابن وهب. وهو إسناد حسن. وقد تقدم أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة. وروي ابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر عن أبيه، أنه كان يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال: "يا سارية الجبل"، من استرعى الذئب ظلم. فالتفت الناس بعضهم إلى بعض، فقال لهم علي ليخرجن مما قال، فلما فرغ سألوه فقال: "وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وانهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد، وإن جاوزوا هلكوا، فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه"، قال: "فجاء البشير بعد شهر، فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم" قال: "فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا" (الإصابة ٩٧/٣)

وأما قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ .....إلخ} وقوله: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} ففي فتح الباري:

المراد بالموتى، وبمن في القبور الكفار شبهوا بالموتى[9] وهـم أحيـاء والمعنى مـن هم في حال الموتى أولي حال من سكن القبر.(فتح الباري ٣٠٤/٧).

وقال ابن قيم نفسه وأما قوله تعالى"{مَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ} فسياق الآية يدل على أن المراد منها أن الكافر الميت القلب لا تقدر على إسماعه إسماعا ينتفع به كما أن من في القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعا ينتفعون به ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون بشيء البتة كيف وقد أخبر النبي ﷺ أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين وأخبر أن قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع وأخبر أن من سلم على أخيه المؤمن رد عليه السلام. (الروح ٥٧).

وأما قول عائشة ﵂ في تفسير حديث النبي ﷺ مَا أَنتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّهُمُ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ[10] أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ كما في البخاري (٥٦٧/٢) فالحاصل نفي سماع الأجساد لا نفي سماع الأرواح وسماع الروح هو العلم فالخلاف لفظي وإلا فلا يوجد الموافقة بين سؤال عمر ﵁ وجواب النبي ﷺ وهو ظاهر فالمراد بقوله تعالى: وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ما أنت بمسمع أجساد من في القبور ، ووجه الشبه أيضا عدم الانتفاع، لأن المشبه يسمعون بلا خلاف فمرادها إثبات سماع الروح ونفي سماع الصماخ لأنه روى عنها أنها قالت

---

[9] وجه التشبيه عدم الانتفاع أو عدم سماع أجساد الأموات وفيما قاله ابن القيم تناقض بين ما قال في التلقين وما قال في تفسير الآية فالمراد عدم سماع أجساد الموتى وسماع الأرواح بخلاف الحي فالسمع للجسد لا للروح وإلا ليسمع الأصم وإذا مات يسمع الروح لا الجسد الا ترى أن المضروب (القريب إلى الموت) لا يأكل وإذا توفي شهيدا يأكل كما قال تعالى: "يرزقون"

[10] فإذا كان لهم الآن علم فلا بد أن يكون لهم نوع حياة. فيحتمل أن يكون المراد بالذي كنت أقول لهم ما قاله ﷺ قبل موتهم مثلا عذاب القبر حق، وان الميت يسمع حق خفق النعال وغيرهما ويحتمل ما قاله قبل سؤال عمر من أنهم قد وجدوا ما وعد.

كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَإِنِّي وَاضِعٌ ثَوْبِي وَأَقُولُ إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللهِ مَا دَخَلْتُهُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عُمَرَ.(رواه أحمد ، مشكوة ١٥٤). فظهر من هذه الرواية أنها ليس لها اعتقاد أن الموتى ليس لهم سمع ورؤية.

وأما قوله تعالى:{إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ إلخ} (فاطر ١٤) فعلى حد قوله تعالى:{وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} (الأنبياء ٢٨)[١١].

قال إسماعيل البروسوي: وعلى تقدير كون معبوداتهم أحياء كالملائكة ونحوهم فهم عباد مسخورون مشغولون بأحوالهم.(روح البيان ٤٦٥/٨).

فإذا لم تنقطع المعجزة والكرامة بالموت فيجوز طلب المعونة بسببها بعد وفاة الأنبياء والأولياء وهو أيضا من الاستغاثة وهذا الطلب من الله في الحقيقة ومن الأنبياء والأولياء في الظاهر وكذلك الاستشفاع منهم بعد الموت ومن المعجزة والكرامة السماع من البعد كما مر.

اَلْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى الْإِسْتِغَاثَةِ

قال تعالى{فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ[١٢]} (التحريم ٤).

وفي الطبري:قوله تعالى "فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ ...إلخ "، يقول فإن الله هو وليه وناصره وصالح المؤمنين وخيار المؤمنين أيضا مولاه وناصره وقال

---

[١١] ولو كان السماع محالا فلا معنى لقوله ولو سمعوا ما استجابوا فالمراد لا يستجيبون لبغضهم إياكم.

[١٢] ظاهر لكل أحد أنه إذا قيل إن فلانا وفلانا ناصر ومعين فالمراد منه التنبيه على طلب المعونة منه عند الحاجة. فكما في قوله تعالى: "ما لكم من دون الله من ولي ولا نصير" دلالة عند الخصم على منع الاستغاثة، فكذلك في الآيات المذكورة دلالة على جواز الاستغاثة. وتقدم الجمع بأن المراد بالنفي باعتبار الحقيقة وبالإثبات باعتبار الظاهر والسبب.

آخرون عني بصالح المؤمنين، الأنبياء صلوات الله عليهم والصواب من القول في ذلك عندي قوله وصالح المؤمنين وإن كان في لفظ واحد فإنه بمعنى الجميع.(طبري ١٠٥/٢٨) فوجدت المعونة الغيبية من الملائكة والأنبياء والأولياء.

قال تعالى:{وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا} (النساء ٦٩) ولا يخصصها سبب النزول لما في الآية التالية أن الشهداء أحياء على أن الخصم يُعمِّم الآيات النازلة في دعاء الأصنام، ثم إن معنى الرفيق المُعِينُ كما في كتب التفسير واللغة.

قال الرازي في تفسير الآية : إن الرفيق هو الذي يرتفق به في الحضر والسفر فبين أن هؤلاء المطيعين يرتفقون بهم إذا نالوا منهم رفقا وخيرا.(رازي ١٨٠/١٠).

وفي التفسير المظهري: إن الله يعطي لأرواحهم قوة الأجساد فيذهبون من الأرض والسماء والجنة حيث يشاؤن وينصرون أولياءهم (التفسير المظهري ١٢١/٢) دليل واضح على أن الشهداء ينصرون لأنهم أحياء، فليس الرفق والإعانة مختصا بالجنة.

قال تعالى:{وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ} (البقرة ١٥٤).

قال الرازي: انهم في الوقت أحياء كان الله تعالى أحياهم لإيصال الثواب إليهم وهذا قول أكثر المفسرين.(رازي ١٦١/٤).

وعن الحسن ﷺ أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح.(بيضاوي ١١٧).

وتقدم معنى قوله تعالى{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا... إلخ} وقال تعالى {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ

وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ[١٣] آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ[١٤] اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة ٥٥،٥٦).

قال الرازي: وكل من أنصف وترك التعصب وتأمل في مقدمة الآية وفي مؤخرها قطع بأن الولي في قوله "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ" ليس إلا بمعنى الناصر والمحب. (رازي ٢٨/١٢).

وقال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (التوبة ٧١). وقال تعالى: {وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} (النساء ٧٥) وقال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ} (البقرة ٢٤٨).

قال أبو السعود: "ويستفتحون به (التابوت) على عدوهم". (أبو السعود ٢٨٠/١)

قال روح البيان: "وهي معجزة لأنبيائهم وكرامة لملوكهم" (روح البيان ٣٨٢/١) ففيه الاستغاثة بمعجزة الأنبياء وكرامة الملوك بعد وفاقم ولو كان شركا لما أرسل الله ذلك التابوت تحمله الملائكة.

وقال تعالى حكاية عن عيسى: "{أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ} وظاهر أن عيسى إذا ادعى إبراء الأكمه والأبرص آية للنبوة فلا بد أن يطلبه أصحابه. فعند الطلب يبرأ الأمراض باختياره كما في الرازي"انهم طلبوه ففعل كما أرادوا" (رازي ٥٦/٨)

---

[١٣] وظاهر قوله والذين آمنوا عموم من آمن من مضى منهم ومن بقي قاله الحسن. (بحر المحيط ٥١٣/٣)

[١٤] فيه إشارة إلى أن الاستغاثة محبوبة كما قال السبكي: "يجوز ويحسن" لأن من يجعل المذكورين أو لياء وناصرين حزب الله وهم الغالبون

وقال تعالى: {أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} (النحل)
قال روح البيان:إن سليمان كان واقفا على أن في أمته من هو أهل الكرامة فأراد أن يظهر كرامته ليعلم أن في أمم الأنبياء من يكون أهل الكرامات (روح البيان ٦/٣٤٩)

وقال تعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا} (زخرف ٤٥) أمر ﷺ بسؤال من مضى وتوفي من الرسل ولو كان شركا لما أمر به"

وقال الله تعالى {مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ}

والموصول يشمل الأحياء والأموات.

وقال تعالى: {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} (النازعات) شامل للأرواح العالية قاله المفسرون.

ولا يجوز اتخاذ الكافرين أولياء كما قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}[15] (النساء ١٤٤)أدلة واضحةعلى أن اعتقاد المسلمين أنه يوجد المعونة الغيبية من غير الله تعالى ولا يمكن أن يكون الفرق أن المسلمين لم يطلبوا المعونة فلهذا كان توحيدا والمشركين طلبوا منهم المعونة فلهذا كان شركا فليس الفرق بين الطلب وعدمه لما تقدم في الآيات مثلا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" والأحاديث فينبغي أن يكون الفرق أن المشركين اعتقدوا الألوهية والصمدية والاستقلال فهذا هو الشرك بخلاف المسلمين فانهم اعتقدوا المعجزة والكرامة والمعونة بإذنه تعالى وإرادته وهذا عين الإيمان والتوحيد والإيمان بالآخرة.

اَلْأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى الْإِسْتِغَاثَةِ

قال ﷺ إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُوْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حَتّٰى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ

---

[15] أرواح الكافرين لا يوجد منهم المعجزة والكرامة فمن صدقهما منهم فقد كفر لأنه يتضمن اعتقاد حقيقة ملتهم.

الْأُذُنِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ثُمَّ بِمُوسَى ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ..... فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ.(بخاري ١٩٩/١ باب من سأل الناس تكثرا)

وقال ﷺ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلٰى رَبِّنَا حَتّٰى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلٰئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ إِيتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ إِيتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ إِيتُوا عِيسٰى فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ إِيتُوا مُحَمَّدًا فَقَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلٰى رَبِّي فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُقَالُ لِي إِرْفَعْ رَأْسَكَ فَسَلْ تُعْطَه وَقُلْ تُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي ثُمَّ أَشْفَعُ. (متفق عليه – مشكوة ٤٨٨). وإجابة الشفاعة على هذا الوجه المخصوص من الخصوصية التي أكرمهم الله بها وهذه الكرامة هي المعتبر عند إتيانهم فلا يكون شركا بخلاف المشركين حيث قالوا هؤلاء شفعائنا عند الله فهم آلهة دون الله حيث اعتقدوا الاستقلال بخلاف المؤمنين فعندهم الشفاعة لله جميعا. فالمطلوب منه في الظاهر الأنبياء وفي الحقيقة هو الله.

دليل واضح لاستغاثة الأنبياء عند شدة الضيق والمشقة ولو كان منهيا عنه لم يأتوا آدم وغيره بعد معرفة أحوال الآخرة ومعاينة العذاب ولما أمر آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بإتيان غيرهم والذهاب عندهم[16]. ودليل واضح على أن الاستغاثة المذكورة لا يخالف قوله

[16] فإن قلت: "هذا في الآخرة وليست دار تكليف ويوجد الخمر في الجنة؟" أقول: "سيأتي أحاديث الاستغاثة من الدنيا وخمور الجنة ليست كخمور الدنيا ليس فيها إسكار على أن الحق يظهر عند الموت وفي القبر فلو ظهر لهم فمحال أن يستغيثوا الأنبياء هناك كما أن المشركين لا

تعالى :{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وقوله تعالى":{أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} وقوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (الأعراف ١٩٤).

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أنس بن مالك أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَنَا بَعِيرٌ يَئِطُّ[17] وَلَا صَبِيٌّ يَغِطُّ ثُمَّ أنشد:

أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ تُدْمِي لَبَانُهَا ... وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ
وَأَلْقَى بِكَفَّيْهِ الْفَتَى اسْتِكَانَةً ... مِنَ الْجُوعِ ضَعْفًا مَا يُمِرُّ وَلَا يُحْلِي
وَلَا شَيْءَ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا ... سِوَى الْحَنْظَلِ الْعَامِي وَالْعِلْهِزِ الْفَسْلِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا ... وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرُّسُلِ

فَقَامَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا إلخ (فتح الباري ٤٧٥/٢، وعمدة القاري ١١/٦).

عن الربيع بنت معوذ قَالَتْ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ

يعبدون الأصنام من الآخرة. فالحديث الآتي جواب لما يقال هذا في الآخرة والحديث الثالث جواب عما يقال هذا في الحضور ففيه الحث من النبي ﷺ على نداء الأموات ولو كان شركا أو مؤديا إلى الشرك أو موهما للشرك لما حث النبي ﷺ عليه فالاستغاثة حث عليها جميع الأنبياء كما سيجيء بحث السبكي. والحديث الرابع فيه التصريح.

[17] يقال أط بمعنى صوت أطت الإبل حنت يقال هم أهل أطيط وصهيل أن أهل ابل وخيل. غط النائم غطيطا من الصوت في نومه. وفي لسان العرب العلهز شيء ينبت ببلاد بني سليم له أصل كأصل البردي ومنه حديث الاستسقاء ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل بالفاء (لسان العرب ٣٨١/٥) والفسل الضعيف. وفي فتح الباري والأطيط صوت البعير المثقل الغطيط صوت النائم كذلك وكنى بذلك عن شدة الجوع لأنهما إنما يقعان غالبا عند الشبع اهـ. يُدمَي لبانها بفتح اللام يعني يدْمي صدرها لامتهانها نفسها في الخدمة. ما يمر ولا يحلي ما ينطق بخير ولا شر من الجوع من المرارة والحلاوة والعامي فاعل من العامة وهي الآفة قاله العيني.

عَلَي فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ إلخ (بخاري ٢/٥٧٠)الندب دعاء الميت بأحسن أوصافه (فتح الباري ٧/٣١٦) دليل واضح لنداء القتلى من الشهداء ولو كان هذا النداء مؤديا إلى الشرك أو موهما للكفر لأنكره النبي ﷺ بل حث عليه فلو كان للنداء معنى صحيح فهو محبوب وعدم إرادة الكرامة خلاف الظاهر لأن البدريين من أهل الكرامة.

روى البخاري عن ابن عباس في حديث طويل في قصة أم إسماعيل ... فَذَهَبَتْ (هاجر) فَصَعِدَتِ الصَّفَا فَنظَرَتْ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا ثُمَّ قَالَتْ لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ (تعني الصبي)فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ فَقَالَتْ أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ فَإِذَا جِبْرِيلُ قَالَ فَقَالَ بِعَقِبِهِ هٰكَذَا وَغَمَزَ بِعَقِبِهِ عَلَى الْأَرْضِ قَالَ فَانْبَثَقَ الْمَاءُ إلخ (بخاري ١/٤٧٦) دليل واضح لطلب المعونة الغيبية: قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: ثُمَّ دَعَا بِمِيضَأَةٍ كَانَتْ مَعِي فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وُضُوءً دُونَ وُضُوءٍ. قَالَ: وَبَقِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ: إِحْفَظْ عَلَيْنَا مِيضَأَتَكَ فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ بِالصَّلٰوةِ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى الْغَدَاةَ وَرَكِبَ وَرَكِبْنَا مَعَهُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّاسِ حَتَّى امْتَدَّ النَّهَارُ وَحَمِيَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُمْ يَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكْنَا وَعَطِشْنَا فَقَالَ لَاهُلْكَ عَلَيْكُمْ وَدَعَا بِالْمِيضَأَةِ فَجَعَلَ يَصُبُّ وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ فَلَمْ يَعْدُ أَنْ رَأَى النَّاسُ مَاءً فِي الْمِيضَأَةِ تَكَابُّوا عَلَيْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسِنُوا ...إلخ (مسلم - مشكوة ٥٣٨ باب في المعجزات) ففي الحديث الاستغاثة وطلب المعونة بسبب المعجزة.

وعن يزيد بن أبي عبيد قال: "رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ فَقُلْتُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ مَا هٰذِهِ الضَّرْبَةُ؟ قَالَ: "ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ " فَقَالَ النَّاسُ: "أُصِيبَ سَلَمَةُ"، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلٰثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ. رواه البخاري- مشكوة ٥٣٣) ففي هذا الحديث رجاء سلمة ﷺ الشفاء من النبي ﷺ بطريق المعجزة التي هي طريق غيبي ولو

كان شركا لبينه النبي :وعن السائب بن يزيد يقول ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَقِعٌ فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ. (بخاري ٣١/١ في كتاب الوضوء) ففي الحديث الاستغاثة للشفاء بسبب المعجزة.

بَعَثَ رَسُولُ ﷺ إِلَى رَافِعٍ الْيَهُودِ رِجَالاً مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَتِيكٍ فَانْكَسَرَتْ سَاقُهُ فِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ فَقَالَ انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ: "اُبْسُطْ رِجْلَكَ" فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ. (بخاري ٥٧٧/٢ كتاب المغازي باب قتل أبى رافع.ففي الحديث أيضا رجاء الشفاء بواسطة المعجزة.

عن جرير ﷺ: قال قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ فَقُلْتُ: بَلَىٰ فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِأَةِ فَارِسٍ أَحْمَسَ وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ وَكُنْتُ لاَ أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ اَللّٰهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا قَالَ: فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسِي بَعْدُ. (بخاري ٦٢٤/٢ باب عزوة ذي الخلصة) في كل واحد من الحديث طلب واستغاثة إما بالقول وإما بالفعل لحصول الشفاء بطريق المعجزة التي هي طريق غيبي. والمطلوب منه في الحقيقة هو الله تعالى وفي الظاهر ﷺ النبي ﷺ.

عن ربيعة بن كعب أنه قال: "كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ تَعَالَىٰ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: "سَلْ" فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ" قَالَ: "أَوَ غَيْرَ ذٰلِكَ. قُلْتُ : "هُوَ ذَاكَ" قَالَ فَأَعِنِّي عَلَى نفسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ" (مسلم – مشكوة ٨٤/١ باب السجود).

وَإِذَا تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوءِهِ" (بخاري ٣١/١ كتاب الوضوء)

عن السائب بن يزيد يقول: ذَهَبَتْ بِخَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: "يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَقِعٌ فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ" (بخاري ١/٣١ كتاب الوضوء .

عن أبي جحيفة قال خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ فَأُتِيَ بِوَضُوئِهِ فَتَوَضَّأَ فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ وَقَالَ أَبُو مُوسَى: "دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ فِيهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا. (بخاري ١/ ٣١ كتاب الوضوء).

عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، كَانَ يَأْتِيهَا فَيَقِيلُ عِنْدَهَا فَتَبْسُطُ نِطَعًا فَيَقِيلُ عَلَيْهِ وَكَانَ كَثِيرَ الْعَرَقِ فَكَانَتْ تَجْمَعُ عَرَقَهُ فَتَجْعَلُهُ فِي الطِّيبِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هٰذَا؟ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا" قَالَ أَصَبْتِ." (بخاري مسلم – مشكوة ٥١٧ باب أسماء النبي ﷺ وصفاته)

ففي هذه الأحاديث المذكورة الاستغاثة للسعادة الأخروية والدنيوية بواسطة المعجزة.

وعن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ عَيْنٌ أَوْ شَيْءٌ بَعَثَ إِلَيْهَا مِخْضَبَةً فَأَخْرَجَتْ مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ تُمْسِكُهُ فِي جُلْجُلٍ مِنْ فِضَّةٍ فَخَضْخَضَتْهُ لَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ قَالَ فَاطَّلَعْتُ فِي الْجُلْجُلِ فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ حَمْرَاءَ. (بخاري – مشكوة كتاب الطب والرقى ٣٩٠)

وعن أسماء بيت أبي بكر أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ كِسْرَوَانِيَّةٍ لَهَا لِبْنَةُ دِيبَاجٍ وَفَرْجَيْهَا مَكْفُوفَيْنِ بِالدِّيبَاجِ وَقَالَتْ هٰذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى نَسْتَشْفِي بِهَا. (مسلم – مشكوة ٣٢٤ كتاب اللباس)

ففي الحديثين المذكورين الاستغاثة للشفاء بطريق المعجزة بعد وفاة النبي ﷺ.

عن عمران بن حصين قال: كُنّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَاشْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ فَنَزَلَ فَدَعَا فُلَانًا كَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو رَجَاءٍ وَنَسِيَهُ عَوْفٌ وَدَعَا عَلِيًّا فَقَالَ: اذْهَبَا فَابْتَغِيَا الْمَاءَ فَانْطَلَقَا فَتَلَقَّيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ وَنُودِيَ فِي النَّاسِ اسْقُوا فَاسْتَقَوْا قَالَ فَشَرِبْنَا عِطَاشًا أَرْبَعِينَ رَجُلاً حَتَّى رَوِينَا فَمَلَأْنَا كُلَّ قِرْبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةٍ وَايْمُ اللهِ لَقَدْ أُقْلِعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلْئَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ (متفق عليه – مشكوة باب المعجزات ٥٣٣).

وعن أبي هريرة قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي سَمِعْتُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا فَأَنْسَاهُ قَالَ: ابْسُطْ رِدَائَكَ" فَبَسَطْتُهُ فَغَرَفَ بِيَدِهِ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: ضُمَّهُ فَضَمَمْتُهُ فَمَا نَسِيتُ حَدِيثًا بَعْدُ. (بخاري – كتاب المناقب ٥١٤)

وعن أنس بن مالك يذكر أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ الْمِنْبَرِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللهَ أَنْ يُغِيثَنَا قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا قَالَ أَنَسٌ فَلَا وَاللهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ وَلَا شَيْئًا وَلَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ قَالَ فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ قَالَ فَوَاللهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ وَرَسُولُ اللهِ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللهَ أَنْ يُمْسِكَهَا قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالظِّرَابِ

وَالْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، قَالَ: فَانْقَطَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ." (بخاري- أبواب الاستسقاء ١٣٧)

ففي الحديث الاستغاثة للشفاعة في الدنيا.

لا يجوز أن يقال هذه الاستغاثة في الحضور فتكون توحيدا بخلاف ما كانت في الغيبة من البعد أو بعد الموت فتكون شركا لأنا نقول لا يمكن أن يكون الفرق بين التوحيدوالشرك بالقرب والبعد أو الحياة والموت فإن قلت المراد من الاستغاثة من القرب في الحيوة طلب الدعاء من المستغاث منه فتكون توحيدا بخلاف ما إذا كانت من البعد أو بعد الموت فلا يمكن أن يكون المراد طلب الدعاء منه أقول فالاستغاثة من البعد أو بعد الموت لا تزيد على الاستغاثة من القرب في الحياة إلا باعتقاد كون السماع من البعد معجزةأوكرامة لا تنقطع بالموت أو فرضنا أن اعتقاد المستغيث هكذا فلا وجه لكونها شركا. ولا نجد في كتاب ولا سنة ولا في كلام الأئمة أن هذين الإعتقادين من الشرك بل نجد خلافه كما تقدم. ثم لا يلزم أن يكون جميع صور المعونة من الأنبياء والأولياء من حيث الدعاء فقط وإلا فما الحاجة إلى بسط الرداء والغرفة باليدين في حديث استغاثة أبي هريرة وكذا المسح على المريض ووضع اليد في الإناء لتكثير الماء على أنه ثبت في الأحاديث الاستغاثة بعد الموت بسبب المعجزة مثلا كما سبق في البخاري ومسلم عن عثمان بن عبد الله وعن أسماء

ولا نسلم الفرق بين الحضور والغيبة ولم نجده في كتاب ولا سنة ولا كلام الأئمة بل الفرق باعتبار المعنى.

وروى البخاري أيضا في الأدب المفرد: قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن عبد الرحمن بن سعد قَالَ كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَخَدَرَتْ رِجْلُهُ فَقُلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ مَا لِرِجْلِكَ ؟ قَالَ اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هٰهُنَا قَالَ قُلْتُ ادْعُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَبَسَطَهَا(الأدب المفرد ١٤٢). دليل واضح للاستغاثة من البعيد

وللحديث شواهد: روى ابن سعد عن عبد الرحمن بن سعد قال كنت عند ابن عمر إلخ (طبقات ابن سعد ١٥٤/٤) ومعنى الخدر اجتماع الأعصاب قال ابن عمر نفسه وهو مرض مخوف لا عدم جريان الدم وليس ما في الحديث دواء طبعيا وإلا يكفي نداء الزوجة وهل يقول أحد من الناس أن نداء الحبيب يشفي عدم جريان الدم بل شفائه تحريكه وقال ملا علي القارى في شرح الشفا إن هذا اشتغاثة من ابن عمر. وأيضا في رواية ابن عباس الآتية أعينوا عباد الله انه يقال إذا وجد العرجة في الرجل، قال الهيثمي رجاله موثوقون وحسنه الحافظ.

وعن ابن شعبة قال كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَخَدَرَتْ رِجْلُهُ فجلس فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: اذْكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدَاه فَقَامَ فَمَشَى (عمل اليوم والليلة ٨٨). للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد الدينوري المعروف بابن السني المتوفى سنة ٣٦٤ وقال رسول الله ﷺ: إِنَّ لِلّٰهِ خَلْقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ، أُولٰئِكَ هُمُ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللّٰهِ عز وجل. (حلية الأولياء ٢٢٥/٣). وفي البخاري أن النبي ﷺ قَالَ مَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ. (بخاري ٢٣٩٨).

وكان شعار المسلمين من الصحابة والتابعين في مقتل مسيلمة الكذاب يَا مُحَمَّدَاه كما نقل ابن كثير في البداية والنهاية.... وقال أخبرنا ابن الوليد العود أخبرنا ابن عامر وزيد ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ يَا مُحَمَّدَاه (البداية والنهاية ٣٢٤/٦).

قال ابن حجر العسقلاني: روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار. وكان خازن عمر قَالَ أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا فَأُتِيَ الرَّجُلُ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ ائْتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ مُسْقَوْنَ وَقُلْ لَهُ عَلَيْكَ الْكَيْسُ الْكَيْسُ

فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَ عُمَرَ فَقَالَ يَا رَبِّ مَا آلُو إِلاَّ مَا عَجَزْتُ عَنْهُ[١٨] (فتح الباري ٤٩٥/٢، والبداية والنهاية ٩١/٧).

وقال ابن حجر رحمه الله أيضا: وقد روى سيف في الفتوح أَنَّ الَّذِي رَأَى الْمَنَامَ الْمَذْكُورَ هُوَ بِلاَلُ بْنُ الْحَارِثِ الْمُزَنِيُّ أَحَدُ الصَّحَابَةِ. (فتح الباري ٤٩٦/٢).

وأما سند الحديث في شفاء السقام هكذا ـ أبو بكر بن يوسف أبو الكرم لاحق بن عبد المنعم، أبو محمد المبارك، أبو الحسن عبيد الله بن محمد، أحمد بن الحسين، أبو نصر بن قتادة، أبو عمر بن مطر، إبراهيم بن علي، يحي بن يحي، أبو معاوية، أعمش، أبو صالح، مالك الدار (شفاء السقام ١٤٥) وكلهم ثقات.

وأما طعن هذا الحديث بأن مالك الدار مجهول فليسّ بصحيح نقل ابن سعد في طبقاته مالك الدار مولى عمر بن الخطاب روى عن أبي بكر الصديق وعمر روى عنه أبو صالح السمان وَكَانَ مَعْرُوفًا (طبقات ابن سعد ١٢/٥)[١٩]، نقل هذا الحديث كثير من المحدثين والعلماء من السلف

---

[١٨] ففعل هذا الرجل علمه عمر وبقية الصحابة فلم ينكره أحد ولا يخالفه استسقاء عمر متوسلا بعباس وكذا استسقاء النبي ﷺ بالصلوة لأن للاستسقاء صورا متعددة بعضها لا يخالف بعضا وذلك ظاهر لكل عاقل وفي البخاري، سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وفي رواية ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقى فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب. وابيض يستسقى ......إلخ (بخاري - كتاب الاستسقاء) -

[١٩] قال الألباني في كتابه التوسل أنواعه وأحكامه ص ١٢٠ من الطبعة الثانية مضعفا مالك الدار، من أن رجلا جاء إلى قبر النبي ﷺ فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا إلخ ما نصه، قلت: والجواب من وجوه: الأول: عدم التسليم بصحة هذه القصة، لأن مالك الدار غير معروف العدالة والضبط، وهذان شرطان أساسيان في كل سند صحيح كما تقرر في علم المصطلح.

وقد أورده ابن أبي حاتم في الجرح التعديل، ولم يذكر راويا عنه غير أبي صالح هذا ففيه اشعار بأنه مجهول ويؤيده أن ابن أبي حاتم نفسه مع سعة حفظه وإطلاعه لم يحك فيه توثيقا، فبقي على الجهالة ولا ينافي هذا قول الحافظ بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان لأننا نقول إنه ليس نصا في تصحيح جميع السند بل إلى أبي صالح فقط، ولو لا ذلك لما ابتدأ هو الإسناد من عند أبي صالح ولقال رأسا عن مالك الدار وإسناده صحيح ولكنه تعمد ذلك ليلفت النظر إلى أن ههنا شيء ينبغي النظر فيه.

والعلماء إنما يفعلون ذلك لأسباب منها أنهم قد لا يحضرهم ترجمة بعض الرواة فلا يستجيزون لأنفسهم حذف السند كله، لما فيه من إيهام صحته لا سيما عند الاستدلال به، بل يوردون منه ما فيه موضع للنظر فيه وهذا هو الذي صنعه الحافظ رحمه الله هنا، وكأنه يشير إلى تفرد أبي صالح السمان عن مالك الدار كما سبق نقله عن ابن أبي حاتم، وهو يحيل بذلك إلى وجوب التثبت من حال مالك هذا، أو يشير إلى جهالته والله أعلم، هذا علم دقيق لا يعرفه إلا من مارس هذه الصناعة، ويؤيد ما ذهبت إليه أن الحافظ المنذري أورد في الترغيب قصة أخرى من رواية مالك الدار عن عمر ثم قال: رواه الطبراني في الكبير ورواته إلى مالك الدار ثقات مشهورون، ومالك الدار لا أعرفه، وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد، وقد غفل عن هذا التحقيق صاحب كتاب التوسل فاغتر بظاهر كلام الحافظ وصرح بأن الحديث صحيح اهـ كلام الألباني.

ولا يخفى بيان فساد كلام الألباني هذا وبطلانه، كل ما ذكره الألباني هنا إما انه دال على قصور الاطلاع أو التلاعب والتدليس والتعصب والتعمية واخفاء الحقائق.

مالك الدار: روى عنه أربعة رجال وليس رجلا واحدا كما زعم الألباني نقلا عما اقتصر عليه ابن أبي حاتم في الجرح التعديل، وابن أبي حاتم لم يشترط ذكر جميع من روى عن الرجل في التراجم التي يذكر،

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة ٤٨٢/٣ في القسم الثالث، وهم الذين قال عنهم الحافظ ص٤٨٢ من كان في عهد النبي ﷺ ويمكنه أن يسمع منه ولم ينقل أنه سمع منه سواء كان رجلا أو مراهقا أو مميزا، ما نصه: روى عنه أبو صالح السمان وابناه عون وعبد الله ابنا مالك فهؤلاء رواة ثلاثة عن مالك الدار.

ثم قال الحافظ: روينا في فوائد داود بن عَمْرٍ والضبي، جمع البغوي من طريـــق عبـد الرحمـن بـن سعيد بن يربوع المخزومي عن مالك الدار قال دعاني عمر بن الخطــاب اهـــ. فــهذا رابــع الــرواة عن مالك الدار فأين كلام الألباني "من تفرد أبي صالح السمان بالرواية عـــن مـــالك الـــدار؟"

وجزم الحافظ في الإصابة هناك بأن مالكا له إدراك، وقد أورد مالكا هـــذا ابـــن حبـــان في كتابـه الثقات ٣٨٤/٥، ولم يصفه باغراب أو تفـرد أو نكـارة روايـة' وقـال ابـن سـعد: في الطبقـات الكبرى ١٢/٥: وكان معروفا اهـ وقال الحافظ الخليلي في كتابــه الإرشــاد ٣١٣/١ تـابعي قـديم متفق عليه أثنى عليه التابعون اهـــــ.

قلت: وهذا كاف في توثيقه، وقال الحافظ ابـــن حجـر في ترجمتـه في الإصابـة ٤٨٤/٣ وقـال إسماعيل القاضي عن علي بن المديني كان مالك الدار خازنــا لعمــر اهـــ.

قلت: الأصل أن سيدنا عمر ﷺ لا يضع خازنا على بيــت المـال إلا مـن يكـون عـدلا ضابطـا حتى يتبين لنا خلاف ذلك وإنه ليس كذلك، ثم لم يطعن في مالك الـدار ولم يجرحـه أحـد مـن أهـل العلم البتة، والحمد لله تعالى: وقول الحافظ المنذري لا أعرفه وكان متابعـة الهثمـي لـه ليـس جرحـا باتفاق أهل العلم، ومن عرف فهو حجة علي من لم يعرف، كما أن مـــن علـم حجـة علـى مـن لم يعلم، والألباني يقول ذلك ويكرره كثيرا ولكن ليس القـــول كـالفعل، وقـد وثـق الألبـاني عـدة رجال لم يوثقهم إلا ابن حبـــان.

روى عن الرجل منهم اثنان أو أكـــثر،

منهم محمد بن الاشعث، الذي قال فيه وفي حديثـه في صحيحـه ٣١٣/٢ إسـناده جيـد رجالـه ثقات رجال مسـلم غير محمد بن الأشعث وقد وثقه ابن حبان وروي عنه جماعـــة وهـو تـابعي كبـير اهـ فلم لم يوثق الألباني مالك الدار الذي يماثل ويشاكل هـــذا الرجــل بهـذا الوصـف بـل يزيـد عليه؟ كما في تناقضـــات الألبـــاني ٢٨٤/٢-٢٨٧)

أقول: تمامُ سند حديث مالك الدار هكذا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمــش عـن أبي صالح عـن مالك الدار، قال: وكان خازن عمر على الطعام قال: أصــاب النــاس قحـط في زمـن عمـر فجـاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال يا رســـول الله استســق لأمتــك فـإنهم قـد هلكـوا...... الحديـث. (مصنف لابن أبي شيبـــة ٣١/١٢)

(١) أبو معاوية الضرير: أحد الأئمة الأعلام الثقات لم يتعرض إليه أحد، وقـــال ابـن خـراش، يقـال هو في الأعمش ثقة وفي غيره فيه اضطراب وكذلك قـال عبـد الله بـن أحمـد: سمعـت أبي يقـول: هو في غير الأعمش مضطرب لا يحفظها حفظا جيدا، على بـن مسـهر أحـب إلي منـه في الحديـث،

وقال الحاكم احتج به الشيخان، وقد اشتهر عنه الغلو أي غلو التشيع، وروي عباس عن ابن معين قال: روي أبو معاوية عن عبيد الله أحاديث مناكير وقال العجلي ثقة يرى الإرجاء، وقال يعقوب ابن شيبة:ثقة ربما دلس وكان يرى الإرجاء ثم قال: يقال إن وكيعا لم يحضر جنازته للإرجاء، وقال أبو داود: وكان مرجئا، وقال ابن خراش، صدوق وهو في الأعمش ثقة(ميزان الإعتدال للذهبي ٤/٥٧٥).

(٢) سليمان بن مهران الكاهلي – الكوفي – الأعمش أبو محمد، أحد الأئمة الثقات، عداده في صغار التابعين ما نقموا عليه إلا التدليس، وقال جرير بن عبد الحميد: سمعت مغيرة يقول أهلك أهل الكوفة أبو إسحاق وأعيمشكم هذا، كانه عني الرواية عمن جاء وإلا فالأعمش عدل صادق ثبت صاحب سنة وقرآن يحسن الظن بمن يحدثه ويروي عنه ولا يمكننا أن نقطع عليه بانه علم ضعف ذلك الذي يدلسه فإن هذا حرام. قلت: وهو يدلس وربما دلس عن ضعيف ولا يدري به فمتى قال "حدثنا" فلا كلام ومتى قال "عن" تطرق إليه احتمال التدليس إلا في شيوخ له اكثر منهم كابراهيم وابن أبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال (ميزان الاعتدال ٢/٢٢٤).

(٣) ذكوان: أبو صالح السمان الزيات المدني، ثقة، وكان يجلب الزيت إلى الكوفة من الثالثة، مات سنة إحدى ومأة (تقريب التهذيب ١/٢٣٢)

(٤) مالك الدار: مولى عمر بن الخطاب، وقد انتموا إلى جبلان من حمير، وروى مالك الدار عن أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما وروى عنه أو صالح السمان، وكان معروفا (طبقات الكبرى ٥/١٢)

مالك بن عياض مولى عمر هو الذي يقال له مالك الدار، له ادراك وسمع من أبي بكر الصديق ﷺ وروى عن الشيخين ومعاذ وأبي عبيدة، وروى عنه أبو صالح السمان وابناه عون وعبد الله بن مالك، وأخرج البخاري في التاريخ من طريق أبي صالح ذكوان عن مالك الدار ان عمر قال: في قحط المطريا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين في أهل المدينة، وقال روى عن أبي بكر وعمر ﷺ وكان معروفا، وأبو عبيدة ولاه عمر كيلة عيال عمر فلما قدم عثمان ولاه القسم فسمى مالك الدار (الإصابة في تمييز الصحابة ١٠/٨)

مالك الدار مولى عمر بن الخطاب ﷺ، تابعي قديم ، ومتفق عليه الني عليه التابعون، وليس بكثيرالرواية، روى عن أبي بكر الصديق وعمر وقد انتسب ولده إلى جبلان ناحية (الإرشاد في معرفة علماء الحديث لأبي يعلى ١/٣١٣).

ثم إن أتباع الالبان اعترضوا على حديث مالك الدار الذي فيه الاستغاثة بعد الوفاة باعتراضات أخر أحدها: الأعمش راوي هذا الحديث مدلس، وعنعنة المدلس غير مقبولة إلا أن يكون معه متابع، ولا متابع للأعمش ههنا، ولم يصرح بتحديث أبي صالح بل رواه عنه عنعنة.

الجواب: أن رواية الأعمش عن أبي صالح مقبولة فإن الأعمش صرح بتحديث أبي صالح كما في صحيح البخاري في باب الابراد بالظهر فقال حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح إلخ قال الحافظ في فتح الباري ١/١٦٠) :يقال إن الأعمش دلس فيه، فقال حدثنا عن أبي صالح قلت لكن في رواية مسلم عن أبي أسامة عن الأعمش حدثنا أبو صالح فانتفت تهمة تدليسه اهـ.

ولذلك استدل الإمام البخاري وغيره من أئمة الحديث بالحديث المعنعن المروي عن الأعمش، فقال: الامام البخاري: في باب الصوت في مسجد السوق حدثنا مسدد قال حدثنا معاوية عن الأعمش عن أبي صالح، ولم يأت الإمام البخاري بمتابع ليثبت به تصريح السماع بل استدل به واكتفى بعنعنته والإمام ابن ماجه افتتح كتابه بأحاديث مروية عن الأعمش بطريق العنعنة فلو لم يكن عنعنته مقبولة لم يعتمد عليها الأئمة المحدثون ولم يستدلوا بها: الوجه الثاني من الاعتراضات: أن مالك الدار الذي عليه مدار الأثر مجهول:سكت عنه البخاري كما سكت عنه ابن أبي حاتم، والقاعدة عند علماء الحديث أن من سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم فهو مجهول غير معروف.

الجواب: إن هذه القاعدة مجهولة لم توجد في أصول الحديث، ولعل هذه القاعدة سرى إلى المعترض من قاعدة مثبتة، أن من قال البخاري في حقه لا أعرفه أو سكتوا عنه فهو مجهول متروك الحديث ففهم منها المعترض أن من سكت عنه البخاري فهو مجهول على أن الإمام ابن أبي حاتم والبخاري لم يسكت عن مالك الدار بل ذكراه، فأما ابن أبي حاتم فقد ذكره في كتاب الجرح والتعديل تسعمائة وأربعة وأربعين من الرجال.

الوجه الثالث: من الاعتراضات : إن إسناد هذا الحديث وإن كان سالما من الطعون المذكورة فلا حجة في الحديث فإن الجائي إلى قبر النبي ﷺ رجل لا يعرف اسمه وان ذكر في تاريخ الطبري انه بلال بن الحارث الصحابي فبسند فيه سيف، وسيف ضعيف.

الجواب: ليس مدار الاحتجاج بالحديث المذكور على الرجل الجائي بل على إقرار عمر ﷺ لمجيء الرجل إلى قبر النبي ﷺ سواء كان الرجل صحابيا أو غيره .

ولم يقل أحد منهم بعد نقله هذا شرك فجعله شركا بدعة يلزم منها جعل المسلم مشركا معاذ الله منه.

وقال النبي ﷺ إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئاً أَوْ أَرَادَ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا أَنِيسٌ فَلْيَقُلْ يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي وفي رواية أَعِينُونِي فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَا تَرَوْنَهُمْ. (رواه الطبراني والحاكم والبزار وأبو عوانة)[٢٠] ففيه الحث على الاستغاثة بالصالحين فالمراد بعباد الله عند الإطلاق الصالحون كما في قوله وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ ......إلخ ولا فرق بين قولنا يا عباد الله أغيثوني ويا شيخ فلان أغثني ولهذا حث العلماء وأمروا بالاستغاثة عند إرادة العون في شدة الضيق كما في الحديث. فإن قلت المراد إيجاد صوت لاحتمال حضور شخص هناك أقول هذا بعيد لا يلتفت إليه مثلا إذا كنت في ميدان واسع لا أنيس فيه هل يقال هناك فإن لله في الأرض حابسا على وجه التأكيد لا أظن عاقلا يقوله فضلا عن ولي أو نبي أنظر إلى كلام النووي وأمثاله على أي معنى حملوا الحديث وهل حبس الدابة إنسان عادي أم لا في الحديث الآتي. فإن قلت هل يجاب الآن بمثل هذه الأدعية أقول يجاب بشروط معروفة كما أن إجابة الله بالشروط المعروفة.

ثم إن هذا الحديث أخرجه جماعة من المحدثين ن فقال الحافظ في الإصابة ٤٨٤/٤ أخرجه ابن أبي خيثمة من هذا الوجه مطولا قال أصاب الناس قحط في زمان عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ إلخ ، وأخرجه الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري في تاريخ الأمم والملوك ٢٢٤/٤ والإمام ابن الأثير في تاريخه ٥٥٢/٢.

وهذا الحديث ذكره جماعة من العلماء في كتبهم، الإمام السبكي في شفاء السقام ١٢٩، والحافظ في فتح الباري ٤١٢/٢ والإصابة ٤٨٤/٣ وابن كثير في البداية والنهاية ٩٢/٧ والإمام القسطلاني في المواهب اللدنية ٦٨/٨ والسيد السمهودي في وفاء الوفاء ١٣٧٤/٤ وكنز العمال ٢٨٩/٤

[٢٠] انظر الفتوحات الربانية ١٥٠/٥ والأذكار للنووي ٢٢٣ والحصن الحصين نقله ابن تيمية في الكلم الطيبة وابن القيم في الكلم المطيبة .

قال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن يزيد بن علي لم يدرك عتبة وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ لِلهِ مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ سِوَى الْحَفَظَةِ يَكْتُبُونَ مَا سَقَطَ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ فَإِذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمْ عَرْجَةٌ بِأَرْضٍ فَلاةٍ فَلْيُنَادِ أَعِينُوا عِبَادَ اللهِ" رواه الطبراني ورجاله ثقات. (مجمع الزوائد للهيثمي(المتوفى سنة ٨٠٧) ص ١٠/١٣٢).

وفي الفتوحات الربانية عن حديث ابن مسعود إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ ....إلخ قال ميرك قال بعض العلماء الثقات حديث حسن يحتاج إليه المسافر وروي عن بعض المشائخ أنه مجرب ...... اهـ ولعله أراد أنه حسن باعتبار اعضاده بتعدد طرقه وإلا فقد صرح الحافظ بأن في حديث عتبة عند الطبراني انقطاعا...قال الحافظ: ولحديث عتبة شاهد من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ لِلهِ تَعَالَى مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ سِوَى الْحَفَظَةِ يَكْتُبُونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ فَإِذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمْ عَرْجَةٌ بِأَرْضٍ فَلاةٍ فَلْيُنَادِ يَا عِبَادَ اللهِ أَعِينُونِي. هذا حديث حسن الإسناد غريب جدا، أخرجه البزار. قوله عرجة أي أصابه في رجله شيء قال في الصحاح: عرج بفتح الراء إذا أصابه شيء في رجله مشى هيئة العرجان وليس بخلقة فإذا كان خلقة قلت عرج بكسر الراء. (فتوحات الربانية على الأذكار النواوية ٥/١٥٠)

وقوله "يَا عِبَادَ اللهِ" قال في الحرز المراد بهم الملائكة أو المسلمون من الجن أو رجال الغيب المسمون بالأبدال. (فتوحات ١٥١) وقال القاري في شرح الشفاء عن حديث ابن عمر (أُذْكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ يَزُلْ عَنْكَ فَصَاحَ يَا مُحَمَّدَاهُ فَانْتَشَرَتْ) وكانه ﷺ قصد به إظهار المحبة في ضمن الاستغاثة. (شرح الشفا ٢/٤١) قال ابن كثير، قال الإمام أحمد حججت خمس حجج منها ثلاث راجلا أنفقت في إحدى هذه الحج ثلاثين درهما قال وقد ضللت في بعضها عن الطريق وأنا ماش فجعلت أقول يا عباد الله دلوني على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق. (البداية

والنهاية ١٠/٤١٨) وكذا في كتب كثيرة.

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ يَا عِبَادَ اللهِ احْبِسُوا، يَا عِبَادَ اللهِ احْبِسُوا فَإِنَّ لِلهِ فِي الْأَرْضِ حَاضِرًا سَيَحْبِسُهُ. (عمل اليوم والليلة ٢٤٠).

قال النووي في شرح المهذب وإذا انفلتت دابته نادى يا عباد الله احبسوا مرتين أو ثلاثا فقد جاء فيها آثار أوضحتها في كتاب الأذكار وجربت أنا هذا الثاني في دابة انفلتت منا وكنا جماعة عجزوا عنها فذكرت أنا هذا فقلت يا عباد الله احبسوا فوقفت بمجرد ذلك وحكي لي شيخنا أبو محمد بن أبي اليسر رحمه الله أنه جربه فقال في بغلة انفلتت فوقفت في الحال اه (شرح المهذب ٤/٣٩٦)

وعن عكرمة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قَالَ إِذَا كُنْتَ بِوَادٍ تَخَافُ فِيهَا السِّبَاعَ فَقُلْ أَعُوذُ بِدَانِيَالَ وَبِالْجُبِّ[٢١] مِنْ شَرِّ الْأَسَدِ. (عمل اليوم والليلة ١٦٩).

ولا بعد من السماع من مكان بعيد لأنه من الممكنات فإن الأجهزة العصرية يسمع منها الكلام من مكان بعيد بقدرة الله تعالى وإرادته وهي مخلوقة من مخلوقات الله فإذا سمع الكلام من الأجهزة العصرية بإرادته تعالى وقدرته مع أنها ليست من أولياء الله تعالى وأحبائه لم يبعد أن يسمع أولياء الله تعالى وأحبائه من مكان بعيد بإذنه تعالى وإرادته.

عن عثمان بن حنيف أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قَالَ فَادْعُه قَالَ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوئَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى

[٢١] الجب البئر والمراد صاحب الجب أعني يوسف عليه السلام والدانيال اسم نبي من بني إسرائيل.

رَبِّي فِي حَاجَتِي هٰذِهِ لِتُقْضٰى لِي اَللّٰهُمَّ فَشَفِّعْــهُ فِيَّ[٢٢] (ابــن ماجــه ٩٩، ترمــذي ١٩٧/٢، مسند أحمد ١٣٨/٤، جامع الصغــير ١٥١/١، جــامع الكبــير ٣٨٤/١، معجم الصغير للطــبراني ١٣، حــاكم ٣١٣/١) وصحــح هــذا الحديــث الــترمذي ١٩٧/٢، والســيوطي في جــامع الصغــير١٥١/١، والطبراني ١٠٣، والحاكم ٣١٣ ،وابــن ماجــه ٩٩ وســنده في ابــن ماجــه حدثنا عثمان بن عمر حدثنا عمر حدثنا شعبــة عــن أبي جعفــر المــدني عــن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف إلخ (ابــــن ماجــه ٩٩).

واستعمل هذا الدعاء الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ وقـــد علمــه عثمــان بن حنيف الصحابي راوى هذا الحديث لمن كان له حاجـــة عنــد عثمــان بــن عفان زمن خلافته وعسر عليه قضائها منه ودعــا مــن لــه الحاجــة فقضاهــا عثمان رواه الطبراني في معجمـــه الصغــير)١٠٣) وصححــه أيضــا ورجالــه عبد الله بن وهب، شبيـــب بـــن ســعيد، روع بــن القاســم، أبــو جعفــر الخطمي، أبو أمامة بن سهل، عثمان بن حنيــف وقــال الطــبراني لم يــرو عــن روع بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو ســعيد المكــي.وهــو ثقــة.(معجــم الصغير).

وروى عن شبيب هذا الحديث عبد الله بن وهب وابنــا شبيــب أحمــد وإسماعيل وقال ابــن حجــر رحمــه الله في التقريــب لا بــأس بحديثــه(أي شبيب) برواية ابنه أحمد عنه وأمــر النــبي ﷺ أن يدعــو بهــذا الدعــاء عنــد الحاجة وقال ﷺ وَإِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ فَافْعَلْ مِثْلَ ذٰلِكَ رواه أبــو بكــر بــن أبي خيثمة في تاريخه وسنده كما مر لكن الراوي عن أبي جعفــر المــدني هــو حمــاد بن سلمة وكان هناك شعبة في سند ابن ماجه وقــال ابــن حجــر حمــاد بــن سلمة ثقة عابد (تقريــب).

فالحاصل حديث عثمــان بــن حنيــف صحيــح وحديــث اســتعمال

---

[٢٢] هذه الاستغاثة مسلم عند ابن تيمية أيضا كما قال في مجموعة الفتاوى

الصحابة هذا الدعاء بعد وفاته صحيح أيضا وحديث أمر النبي ﷺ بهذا الدعاء بحسب الحاجة أيضا صحيح.[٢٣]

---

[٢٣] اخرج الإمام أحمد بن حنبل والحاكم والطبراني والبيهقي عن عثمان بن حنيف ﷺ ان رجلا ضرير البصر، أتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني فقال: إن شئت دعوت لك، وان شئت أخرت ذلك فهو خير لك، فقال ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين - ويدعو بهذا الدعاء:

اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد ! إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في (مسند أحمد ١٣٨/٤ دار الفكر - بيروت، المستدرك ٥١٩/١ دار الفكر بيروت).

وزاد البيهقي: قال عثمان فو الله ما تفرقنا ولا طال الحديث حتى دخل الرجل كأنه لم يكن به ضر قط (شفاء السقام ١٦٨ المكتبة النورية، فيصل آباد).

قال ابن تيمية: "وقد روى أبو بكر ابن أبي خيثمة في تاريخه، فقال: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا حماد بن سلمة، أنا أبو جعفر الخطمي، عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف ان رجلا أعمى أتى النبي ﷺ، فقال: إني أصبت في بصري فادع الله لي قال اذهب فتوضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة، يا محمد استشفع بك على ربي في رد بصري، اللهم فشفعني في نفسي وشفعني في رد بصري، وان كانت حاجة فافعل مثل ذلك فرد الله عليه بصره (مجموعة الفتاوى).

ففي هذه الرواية زيادة وهي قوله وان كانت حاجة فافعل مثل ذلك - وظاهر انه قول النبي ﷺ فان زيادة الثقة مقبولة، ولو سلمنا انه مدرج من قول عثمان بن حنيف فهو صحابي، وكفى به قدوة، وقد علم عثمان رجلا هذا الدعاء لقضاء حاجته بعد وفاة النبي ﷺ كما سيأتي، ولا يسع لعالم أن يحكم بالكفر والشرك أو الحرمة على ما اعتقده صحابي رضي الله تعالى عنه.

قال ابن تيمية: قال الطبراني روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر واسمه عمر بن يزيد وهو ثقة، تفرد به عثمان بن عمر عن شعبة، قال أبو عبد الله المقدسي: والحديث صحيح.

قلت والطبراني ذكر تفرده ولم تبلغه رواية روح بن عبادة عن شعبة وذلك إسناد صحيح يبين انه لم ينفرد به عثمان بن عمر (مجموعة الفتاوى ٢٧٤/١). وقد روى الطبراني عن عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له، فلقي عثمان بن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل:

ويدل على جواز الاستغاثة بلفظ أعوذ ما روى مسلم عن أبي مسعود أَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ غُلَامَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ أَعُوذُ بِاللهِ قَالَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ فَقَالَ أَعُوذُ بِرَسُولِ اللهِ فَتَرَكَهُ (مسلم ٥٢/٢).

اِسْتِغَاثَةُ السَّلَفِ وَأَقْوَالُ الأَئِمَّةِ فِيهَا

عن خولة بنت حكيم قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ.(رواه مسلم، مشكوة ٢١٣/١). وهذا في السفر وتقدم أن يقول في السفر أيضا عند إرادة العون يا عباد الله أغيثوني وتقدم أيضا في السفر أعوذ بدانيال وباجب فالمراد بكلمات الله يشمل عباد الله فتفسير الرازي وغيره ظاهر لأن خير ما فسر الحديث بالحديث وقد قال تعالى في حق عيسى أنه كلمة الله ولا فائدة في ترك التعويذ بذات الله وإتيان التعويذ بكلامه النفسي إلا انه سبب والعباد الصادرة منه بكلمة كن أسباب أيضا. والكلام النفسي كما أنه ليس غير الذات كذلك ليس عين الذات أيضا كما تقدم في الإيمان في الله تعالى ومرجع الكل في الحقيقة هو الله وحده فما في بعض الكتب من أن أحمد بن حنبل استدل بهذا الحديث بأن الكلام

اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك عز وجل فيقضى لي حاجتي! وتذكر حاجتك، ورح حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فاجلسه معه على الطنفسة، وقال: حاجتك، فذكر حاجته فقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فائتنا.

ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلى حتى كلمته في، فقال له عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير – ثم ذكر حديث الضرير السابق (مجموعة الفتاوى ٢٧٤/١).

ليس غير الله لأن النبي ﷺ لا يستغيث بغير الله فمـــراده أي بـــالذات.

قال الـــرازي فقولـــه: أعـــوذ بكلمـــات الله التامـــات اســـتعاذة مـــن الأرواح البشرية بالأرواح العاليـــة المقدســـة الطـــاهرة الطيـــة في دفـــع شـــر الأرواح الخبيثة الظلمانية الكدرة فـــالمراد بكلمـــات التامـــات تلـــك الأرواح العالية الطـــاهرة.(رازي ٧٢/١).

وأما كلمات الله فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه تعـــالى بكلمـــة كـــن من غير مادة ومـــدة فكـــأن الأرواح البشريـــة تســـتعيذ وتســـتعين بـــالأرواح العلوية المقدسة في دفع شر الأرواح الخبيثة (تفسير غرائـــب القـــرآن علـــى هامش الطـــبري ١٥/١).

عن ابن عباس عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُعَـــوِّذُ الْحَسَـــنَ وَالْحُسَـــيْنَ رضـــي الله عنهما، وَيَقُولُ أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِـــنْ كُـــلِّ شَيْطَـــانٍ وَهَامَّـــةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ وَيَقُولُ كَانَ أَبِي إِبْرَاهِيمُ عليه الســـلام يُعَـــوِّذُ بِهِـــا إِسْمَـــاعِيلَ وَإِسْحَاقَ عليهما الســـلام (أبـــو داود ٣١٦/٢، رازي ٧٥/١).

ونقل ابن حجر رحمه الله عن سواد بن قارب أنـــه قـــال:

فَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

(الإصابة في تمييز الصحابة ٢٩٤/٤).

وروى البخاري عن ابن عبـــاس كَـــانَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ يُعَـــوِّذُ الْحَسَـــنَ وَالْحُسَيْنَ "أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِـــنْ كُـــلِّ عَـــيْنٍ لَامَّةٍ وَيَقُولَ إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهِـــا إِسْمَـــاعِيلَ وَإِسْـــحَاقَ (رواه البخـــاري – مشكوة ١٣٤، باب عيادة المريـــض) فاســـتغاث النـــبي وإبراهيـــم بـــالأرواح العالية مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، وَمَا كَانَ مِـــنَ الْمُشْرِكِـــينَ.

وقال الإمام أبو حنيفة رحمـــه الله:ـــ

يَا سَيِّـــدَ السَّادَاتِ جِئْتُكَ قَاصِدًا أَرْجُو رِضَاكَ وَأَحْتَمِـــي بِحِمَـــاكَ

يَا مَـــالِكِـــي كُنْ شَافِعِي فِي فَاقَةٍ إِنِّـــي فَقِيرٌ فِي الْـــوَرَى لِغِنَـــاكَ

يَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ يَا كَنْـــزَ الْوَرَى جُدْ لِي بِجُودِكَ أَرْضِـــنِي بِرِضَاكَ

أَنَا طَامِعٌ بِالْجُـودِ مِنْكَ وَلَمْ يَكُنْ ... لِأَبِي حَنِيفَةَ فِي الْأَنَامِ سِوَاكَ
فَعَسَاكَ تَشْفَعُ فِيهِ عِنْدَ شَفَاعَةٍ ... فَلَقَدْ غَدَا مُتَمَسِّكًا بِعُرَاكَ
فَلَأَنْتَ أَكْرَمُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ ... وَمَنِ الْتَجِي بِحِمَاكَ نَالَ وَفَاكَ

(القصيدة النعمانية ١٣). وحكاه ابن حجر عن أبي حنيفة[٢٤] في الخيرات الحسان.

وقال الإمام مالك رحمه الله لمَّا سَأَلَهُ أَبُو مَنْصُورٍ ثَانِي خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وقال يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَسْتَقْبِلُ وَأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عليه السلام إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَلِ اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ فَيُشَفِّعَكَ اللهُ (الشفاء مع شرحه ٧١/٢). وقال الشافعي: "إِنِّي لَأَتَبَرَّكُ بِأَبِي حَنِيفَةَ وَأَجِيءُ إِلَى قَبْرِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يعني زائرا فَإِذَا عَرَضَتْ حَاجَةٌ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ وَجِئْتُ إِلَى قَبْرِهِ وَسَأَلْتُ اللهَ الْحَاجَةَ عِنْدَهُ فَمَا تَبْعُدُ عَنِّي حَتَّى تُقْضَى". (تاريخ بغداد ١٢٣/١)

وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: إنه ذكر أن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال:

آلُ النَّبِيِّ ذَرِيعَتِي ... وَهُمُ إِلَيْهِ وَسِيلَتِي
أَرْجُو بِهِمْ أُعْطَى غَدًا ... بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي

(شواهد الحق ١٦٦).

وتقدم استغاثة أحمد بن حنبل حين ضل في الحج عن الطريق: يَا عِبَادَ اللهِ دُلُّونِي عَلَى الطَّرِيقِ" (البداية والنهاية)

---

[٢٤] وطبعت هذا القصيدة من فيصل آباد أيضا ولا ينافيه أنه انشد هذه الأبيات محمد الابشيهي المولود سنة ٧٩٠ في كتابه المستطرف ص٢٣٠. وقال ولما حججت وزرته ﷺ تطفلت على جنابه المعظم وامتدحته بابيات مطولة وانشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه الصندوق الشريف وأنا مكشوف الرأس وأبكي لأنه لا منع لحكاية شعر الغير.

وقال الإمام البوصيري رحمــه الله:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ

وقال عمر القاضي المليباري:

يَا أَكْــرَمَ الْكُرَمَا عَلَى أَعْتَابِكُمْ ... عُــمَرُ الْفَقِيرُ الْمُرْتَجِي لِجَنَابِكُمْ

يَرْجُو الْعَطَاءَ عَلَى الْبُكَاءِ بِبَابِكُمْ ... وَالدَّمْعُ فِي خَدَّيْهِ سَالَ سَجِيمًا

صَلُّوا عَلَيْــــهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

وطلب صدقة الله القاهري الغيث مــن ميكــائيل:

ضَاحِي أَغَيْثًا رَأْيِ مِيكَالَ مَسْجِدَهُ ... وَحَــــوْلَهُ فُقَهَاءُ صَدَقَـــةُ اللهِ

طَابَا خِطَابًا وَعِنْدَ الإِفْتِــرَاقِ بَغَى ... غَيْثًا وَقَدْ نَــالَ مِنْــهُ صَدَقَــةُ اللهِ

وقال الإمام تقي الديــن الســبكي[٢٥] : اعلــم أنــه يجــوز ويحســن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه ســبحانه وتعــالى وجــواز ذلــك وحسنه من الأمور المعلومـــة لكـــل ذي ديـــن المعروفـــة مـــن فعـــل الأنبيـــاء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعــوام مــن المســلمين ولم ينكــر أحد ذلك من أهل الأديان ولا سمع في زمن مــن الأزمــان حــتى جــاء ابــن

[٢٥] قال السيوطي: "تقي الدين السبكي الشــافعي المفســر الحــافظ الأصــولي النحــوي اللغــوي المقرئ البياني الجدلي الخلافي النظار البارع شــيخ الإســلام أوحــد المجتــهدين ولــد مســتهل صفــر ٦٨٣. (بغية البغاة ٢/١٧٦) وقال الحافظ العسقلاني: "علي بن عبد الكــافي الســبكي تقــي الديــن اشتغل على ابن الرفعة وأخذ الأصلين عن الباجي والخلاف عـــن الســيف البغــدادي والنحــو عــن أبي حيان والتفسير عن العلم العراقي والقــراءات عــن التقــي الصــائغ والحديــث عــن الدمــياطي والتصوف عن ابن عطاء الله والفرائض عن الشيخ عبد الله الغماري وطلـــب الحديــث ورحــل فيــه إلى الشام والإسكندرية والحجاز......قال الاسنوي في الطبقات: كان أنظر مـــن رأينــاه مــن أهــل العلم ومن أجمعهم للعلوم وأحسنهم كلاما في الأشياء الدقيقة وأجلــهم علــى ذلــك وكــان في غايــة الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث ولو علـــى لســـان آحــاد الطلبــة مواظبــا علــى وظــائف العادات وتفقه به جماعة من الأئمة وانتشر صيته وتوالفه ولم يخلق بعـــده مثلــه" (الــدرر الكامنــة ٣/ ٦٣-٧١).

تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء.(شفاء السقام ١٣٣).

وقال أيضا: "إن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل، قول لم يقله عالم قبله وصار به بين أهل الإسلام مثلة.(شفاء السقام ١٣٤). قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى: "والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به ﷺ وبغيره ليس لهما معنى في قول المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه. فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه. نسأل الله تعالى العافية.

والمستغاث به في الحقيقة هو الله والنبي ﷺ واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه مستغاث به والغوث منه خلقا وإيجادا. والنبي ﷺ مستغاث والغوث منه سببا وكسبا ومستغاث به.

ولا يعارض ذلك خبر أبي بكر ﵁ "قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَٰذَا ٱلْمُنَافِقِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي إِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ"[٢٦]، لأن في الخبر ابن لهيعة والكلام فيه مشهور. وبفرض صحته فهو على حد قوله تعالى {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ}، و{مَا أَنَا حَمَلْتُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ حَمَلَكُمْ} أي أنا وإن استغيث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله وكثيرا ما تجيء السنة بنحو هذا أي من بيان حقيقة الأمر ويجيء القرآن الكريم بإضافة الفعل لمكتسبه، كقوله ﷺ {لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ[٢٧]} مع قوله تعالى{ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

وبالجملة، فإطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث. ولو سببا وكسبا، أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا. فلا فرق بينه وبين السؤال

---

[٢٦] رواه الطبراني في المعجم الكبير

[٢٧] أورده السيد مرتضى في الاتحاف ١٩٧/٢

وحينئذ تعين تأويل الحديث المذكور لا سيما مع ما نقل أن في حديث البخاري رحمه الله تعالى في الشفاعة يوم القيامة (فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَٰلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ثُمَّ بِمُوسَىٰ ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ)

وقد صح في حديث طويل إِنَّ النَّاسَ أَصَابَهُمْ قَحْطٌ فِي زَمَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا".

فعلم أنه ﷺ يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما في حياته يعلمو بسؤال من سأله- كما ورد- مع قدرته على التسبب في حصول ماسئل خيه بسؤاله وشفاعته ﷺ إلى ربه عز وجل. وأنه ﷺ يتوسل به. في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته وكذا في عرصات القيامة فيشفع إلى ربه. وهذا مما قام الإجماع عليه وتواترت به الأخبار" (الجوهر المنظم ١٧٦)

وسئل الإمام الرملي[٢٨] عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد

---

[٢٨] ووافقه ابن حجر رحمه الله في شرح الإيضاح أيضا ولا يجوز الفتوى في المذهب الشافعي بما يخالفهما فإن تخالفا يفتي بكل منهما ونص ابن حجر بجواز الاستغاثة في الجوهر المنظم أيضا (١٧٦) وفي تلخيص المراد من فتاوى ابن زياد قال السيوطي عن حديث إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس ماة كل سنة من يجدد لها دينها رواه أبو داود والحاكم. هذا حديث مشهور برواية الحفاظ المعتبرين ففي الماة الأولى عمر بن عبد العزيز وفي الثانية الإمام الشافعي وفي الثالثة ابن سريج أو الأشعري وفي الرابعة الصعلوكي أو أبو حامد الإسفرايني أو القاضي الباقلاني وفي الخامسة الغزالي بلا خلاف وفي السادسة فخر الدين الرازي أو الرافعي وفي السابعة ابن دقيق العيد وفي الثامنة البلقيني أو زين الدين العراقي ، ويذكر أن الشيخ زكريا مجدد الماة التاسعة وكان السيوطي ينسب التجديد فيها إلى نفسه ولا شك أن الانتفاع بالشيخ زكريا أكثر وأشهر فهو المجدد إن شاء الله.قلت والذي تلقيناه من المشائخ أن المجدد في العاشرة ابن حجر الهيتمي أو الرملي رجحه بعضهم لكون ابن حجر مات قبل مضي القرن (تلخيص المراد هامش البغية ٢٩٢).

روى الدارمي في سننه: حدثنا أبو الجوزاء اوس بن عبد الله قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت انظروا إلى قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق (سنن الدارمي دار المحاسن، مصر).

قال العلامة احمد بن محمد القسطلاني، نقلا عن ابن المنير: لما مات ﷺ طاشت العقول (إلى آن قال) وكان أثبتهم أبو بكر، جاء وعيناه منهملان، وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي ﷺ وكشف الثوب عن وجهه (إلى أن قال):

ولو أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك (مواهب اللدنية مع شرح الزرقاني ٣٢٢/٨).

وكان يوم اليمامة يوما شديدا على المسلمين، إذ كانوا في قلة مع كثرة العدو، وكان مع المسيلمة أربعون ألفا من المقاتلين فاشتدت الملحمة وكادت اقدام المسلمين أن تتزلزل، حتى بلغ العدو إلى خيمة خالد بن الوليد ﷺ، فلما رأى خالد شدة الحرب نادى بشعار المسلمين.

وكان شعارهم يومئذ يا محمداه (البداية والنهاية (مكتبة المعارف، بيروت ٣٢٤/٦).

وذكر الهيثم بن عدى قال رعت بنو عامر بالبصرة في الزرع فبعث أبو موسى الاشعري في طلبهم، فَتَصَارَ خَوَايا آل عامر ! فخرج النابغة الجعدى ومعه عصبة له، فأتى به أبو موسى، فقال له: ما أخرجك ؟ قال سمعت صارخة قومي، قال: فضربه اسواطا، فقال النابغة (الصحابي) في ذلك:

فان تك لابن عفان أُمينا ... فلم يبعث بك البر الأُمينا

فيا قبر النبي وصاحبيه ... الا يا غوثنا لو تسمعونا

[الاستيعاب على هامش الاصابة (دار صادر، بيروت ٥٨٦/٣)]

قال الإمام النووي: روينا في كتاب السني، عن الهيثم بن حنش قال كنا عند عبد الله بن عمر ﷺ، فخدرت رجله، فقال له رجل: اذكر احب الناس إليك، فقال: يا محمد ! فكأنما نشط من عقال [الأذكار (مصطفى البابي، مصر) ٢٧١].

قال ابن كثير: فلما مروا (أي أهل الحسين رضي الله تعالى عنهم) ورأوا الحسين وأصحابه مُطَرَّحِينَ هناك، بكته النساء وندبت زينب اخاها الحسين وأهلها فقالت وهي تبكي:

يا محمداه ! يا محمداه صلى عليك الله وملك السماء، هذا حسين بالعراء، مزمل بالدماء، مقطع الاعضاء، يا محمداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا(البداية والنهاية، بيروت ١٩٣/٨).

قال العلامة نور الدين السمهودي (م ٩١١ هـ): وقد يكون التوسل به ﷺ بطلب ذلك الأمر بمعنى أنه ﷺ قادر على التسبب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربه فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة ومنه قول القائل له أسئلك مرا فقتك في الجنة الحديث، ولا يقصد به إلا كونه ﷺ سببا وشافعا (وفاء الوفاء – دار احياء التراث العربي، بيروت ٨٩٩/٣٠).

ذكر إمام أهل المغازي والأخبار محمد بن إسحاق أن بني بكر وخزاعة كانت بينهم حروب وقتل قبل الاسلام، فلما جاء الإسلام تشاغل الناس به فلما كانت الهدنة (هدنة الحديبية) دخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده، فلما كانت الهدنة إغتنمها بنو بكر وارادوا أن يصيبوا الثار من خزاعة وشارك معهم قريش مستخفين فقتلوا منهم رجالا إلى أن التجأوا إلى الحرم ومع ذلك لم يدعوهم.

فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا، حتى قدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بما وقع ويستنصرونه فقام وهو يجر رداءه ويقول:

إن لم أنصر بما أنصر منه نفسي ؟

وفي معجم الطبراني الصغير عن أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنها:

أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول في متوضئه ليلا: لبيك لبيك (ثلاثا) نصرت نصرت (ثلاثا)قلت.

يا رسول الله سمعتك تقول في متوضئك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم إنسانا فهل كان معك أحد ؟ فقال هذا راجز بني كعب يستصرخني ويزعم أن قريشا أعانت عليهم بني بكر (إلى أن قالت) فأقمنا ثلاثا ثم صلى الصبح بالناس، فسمعت الراجز ينشده:

يا رب إني ناشد محمدا	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	فانصر هداك الله نصرا أيدا

(مختصر سيرة الرسول لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب المكتبة السلفية، النجدي، ٣٣٣).

هذا صحابي إستغاث بالنبي ﷺ من مسافة ثلثة أيام وسمع ﷺ إستغاثتهم وأجابهم.

أخرج إبن كثير عن عاصم بن عمر الخطاب أن رجلا من مزينة عام الرمادة (سنة ١٨ من الهجرة) سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال: ليس فيهن شيء، فألحوا عليه فذبح شاة فاذا عظامها

حر فقال: يا محمداه !. فلما أمسى أرى في المنام أن رسول الله ﷺ يقـــول لــه: أبشــر بالحيــاة (ابــن كثير، – البداية والنهاية – مكتبة المعـــارف، بـــيروت).

وقال الواقدى: إن أبا عبيدة بن الجراح ﷺ أراد المسير إلى حلب وبعث الف فـــارس مـــع كعـــب بـــن ضمرة طلائع، فلما بلغوا قريبا من حلب حمل عليهم يوقنا مع خمســـــة آلاف فـــارس وقـــاتل الجمعـــان قتال الموت وقد أيقن المسلمون بالظفر والغنيمـــة إذ طلـــع عليـــهم الكمـــين مـــن ورائـــهم وأكبـــوا عليهم جميعا، فافترق المسلمون ثلاث فرق، فرقـــة منـــهم منهزمـــة وفرقـــة قصـــدت قتـــال الكمـــين وفرقة مع كعب بن ضمرة فصدت قتال يوقنا ومن معه، وكعب بـــن ضمـــرة قلـــق علـــى المســـلمين فجاهد عنهم وهو يجول بالراية وينادى: يا محمد يا محمـــــد يـــا نصـــر الله انـــزل (محمـــد بـــن عمـــر الواقدي – فتوح الشام – مصطفى البـــابي، مصـــر، ٦–١٩٥).

قال إبن حجر العســـقلاني:

يا سيدي يا رسول الله قد شرفت	قصائدي بمديح ضيك قد رصفا
مدحتك اليوم أرجو الفضل منك غدا	من الشفاعة فاحظني بها طرفا
بكم توسل يرجوا لعفو عن زلل	من خوفه جفنه الهامي لقد ذرفا

(يوسف بن اسماعيل النبهاني، المجموعة النبهانيـــة – دار المعرفـــة، بـــيروت).

قال العلامة الشاه ولي الله المحدث الدهلوى: وأظهر (يعـــني النـــبي ﷺ) لي الأســـرار وعرفـــني بنفســـه وأمدني إمدادا عظيما إجماليا وفرعتني كـــف أســـتمد بـــه في حوائجـــي (ولي الله الدهلـــوي، الشـــاه، فيوض الحرمين – محمد سعيد، كراتشـــــي).

وقال في شرح قصيدته أطيب النغم باللغة الفارسية مـــا ترجمتـــه هـــذه: الفصـــل الأول في التشبيـــب بذكر بعض حوادث الزمان التي لا بد فيـــها مـــن الاســـتمداد بـــروح النـــبي ﷺ (ولي الله الدهلـــوي، الشـــاه – اطيب النغم (مجتبائي، دهلـــــي).

وقال في قصيدته المذكـــورة:

وصلى عليك الله يا خير خلقه	ويا خير مأمول ويا خير واهب
ويا خير من يرجى لكشف رزية	ومن جوده قد فاق جود السحائب
وانت مجيرى من هموم ملمة	إذا أنشبت في القلب شر المخالب

(ولي الله الدهلوي، الشاه – اطيـــب النغـــم، ص ٢٢)

قال النواب صديق حسن البوفالي من أئمة غـــير المقلديـــن:

يا سيدى يا عروتي ووسيـــلتي	يا عدتي في شـــدة ورخـــاء

قد جئت بابك ضارعا متضرعا متأوها بتنفس صعداء

ما لي ورائك مستغاث فارحمن\ يا رحمة للعالمين بكائي

وقال النواب وحيد الزمان من أئمتهم:

وليت شعري إذا جاز التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة فيقاس عليها التوسل بالصالحين أيضا قال الجزري في الحصن في آداب الدعاء منها أن يتوسل إلى الله تعلى بأنبيائه والصالحين من عباده (وحيد الزمان، النواب – حاشية هدية المهدى – سيالكوت، ص ٢٠).

قال مؤسس دار العلوم ديوبند، محمد قاسم النانوتوي في القصائد القاسمية:

مدد كرامي كرم احمدى كه تيري سوا

نهين هي قاسم بيكسكا كوني حامي كار

(محمد قاسم النانوتوى: القصائد القاسمية ٨)

معناه: أغثني يا رحمة النبي إذ ليس أحد حاميا للقاسم العاجز سواك.

وقال أشرف على التانوي الديوبندي مخاطبا لشيخه الحاج إمداد الله المهاجر المكي:

يا مرشدي يا موئلي يا مفزعي يا ملجاى في مبدئي ومعادى

إرحم على أبا غياث فليس لي كهفي سوى حبيكم من زاد

فاز الأنام بكم وإني هائم فانظر إلى برحمة يا هاد

يا سيدي لله شيئا إنه أنتم لي المجدى وإني جادي

(محمد عاشق الهي الميرتي: تذكرة الرشيد (كراتشي – ١/١١٤).

وقال مستغيثا بالنبي ﷺ :

يا حبيب الإ له خذ بيدى مالعجزي سواك مستندى

كن رحيما لذلتى واشفع يا شفيع الورى إلى الصمد

إعتصامي سوى جنابك لي ليس يا سيدي إلى أحد

(أشرف على التانوى: ضمان التكميل (مجتبائي، دهلي) ص:١٧٢).

قال شيخ مشائخ الهند الشاه ولي الله المحدث الدهلوي: إن الطريقة الشطارية إنما صارت معروفة في بلادنا بتوسط الشيخ محمد غوث الكواليارى ولم تكن هذه الطريقة ذا شهرة كبيرة قبله، ثم قال: هذا الفقير لبس الخرقة من يد الشيخ أبي طاهر الكردي، وأجازني بعمل ما في الجواهر الخمسة (ولي الله المحدث، الشاه: الانتباه ص:٨-١٥٧.

ثم ذكر المحدث الدهلوي سندين من الشيخ أبي طاهر الكردي إلى الشيخ محمد غوث الكوالياري، ثم قال: لما وصل هذا الفقير في سفر الحج الى لاهور وسعد بتقبيل يد الشيخ محمد سعيد اللاهوري، أجاز بالدعاء السيفي بل بجميع أعمال الجواهر الخمسة وأبرز سنده، وهو في هذا الزمان من أعيان مشائخ الطريقة الأحسنية والشطارية (ولي الله المحدث، الشاه: الانتباه في سلاسل أولياء الله ص: ٥٨-١٥٧).

وقد أورد الشيخ الكواليارى في كتابه "الجواهر الخمسة" وِرْدًا يقرأ كل يوم خمسمائة مرة لفتح أبواب السعادة، وهو هذا:

ناد عليا مظهر العجائب تجده عونا لك في النوائب كل هم وغم سينجلي بنبوتك يا محمد وبولايتك يا علي يا علي يا علي (محمد غوث الكواليارى، الشاه: جواهر خمسة -دار الاشاعة، كراتشي).

ولو كان هذا شركا لما حصل الشاه ولي الله المحدث الدهلوي إجازة الجواهر الخمسة الذي فيه هذا الورد، فهل يرضى هو ومشائخه بالشرك ؟ حاشا وكلا.

قال العلامة الشيخ حسن العدوى الحمزاوى:

وما يقع من بعض العوام من قولهم يا سيدي فلان مثلا إن قضيت لي كذا أو شفيت لي مريضي فلك على كذا فهو من الجهل بالنسبة بكيفية الطلب ولكن لا يعد كفرا لأنهم لا يقصدون بذلك الإيجاد من الولي وإنما يجعلونه في نيابتهم وسيلة إلى مولاهم حيث كان التوسل به في إعتقادهم من القرب والمحبة للخالق ألا ترى أنهم يكررون في أثناء كلامهم يا صاحب النفس الطاهر عند ربك أطلب لي من مولاك يفعل بي كذا فإن ذلك دليل منهم على إنفراد الله بالفعل وأنه لا شيء للولي إلا مجرد التسبب وأنه لا يرد المتوسل به لأن القريب المحبوب لا يرد.

فهو من باب قوله ﷺ رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره وقد ذكر بعض العارفين أن الولي بعد موته أشد كرامة منه في حال حياته لا نقطاع تعلقه بالمخلوق وتجرد روحه للخالق فيكرمه الله بقضاء حاجة المتوسلين (حسن العدوى الحمزاوي، مشارق الانوار - ط: مصر ص: ٥٩).

قال العلامة إبن الحاج رحمه الله تعالى:

فان قال القائل، هذه الصفات مختصة بالولى سبحانه وتعالى فالجواب أن كل من إنتقل إلى الآخرة من المؤمنين، فهم يعلمون أحوال الأحياء وقد وقع ذلك في الكثرة من

حكايات وقعت منهم ويحتمل أن يكون علمهم بذلك حين عرض أعمال الأحياء عليهم ويحتمل غير ذلك وهذه أشياء مغيبة عنا.

وقد أخبر الصادقعليه الصلاة والسلام بعرض الأعمال عليهم فلا بد من وقوع ذلك والكيفية فيه غير معلومة، والله أعلم بها، وكفى في هذا بيانا قوله عليه الصلاة والسلام "المؤمن ينظر بنور الله" ونور الله لا يحجبه شيئ، هذا في حق الأحياء من المؤمنين، فكيف من كان منهم في الدار الأخرة (ابن الحاج، الإمام: المدخل- ط: بيروت ٢٥٣/١).

قال العلامة إبن عابدين الشامي رحمه الله تعالى في حاشية رد المختار من آخر كتاب اللقطة:

قرر الزيادى أن الإنسان إذا ضاع له شيء وأراد أن يرد الله سبحانه عليه فليقف على مكان عال مستقبل القبلة ويقرأ الفاتحة ويهدى ثوابها للنبي ﷺ ثم يهدى ثواب ذلك لسيدى أحمد بن علوان ويقول يا سيدى أحمد يا ابن علوان إن لم ترد على ضالتي وإلا نزعتك من ديوان الأولياء فإن الله يرد على من قال ذلك ضالته ببركته، أجهورى مع زيادة كذا في حاشية شرح المنهد للداؤدى رحمه الله.

قال سراج الهند الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي في ترجمة سيدى زروق الذي له حاشية على صحيح البخاري، وهذه ترجمة نصه باللغة الفارسية:

بالجملة هو رجل جليل القدر وأجل من أن يذكر، وهو آخر الصوفية المحققين الذين جمعوا الحقيقة والشريعة، وافتخر بتلمذه أجلة العلماء، مثل شهاب الدين القسطلاني وشمس الدين اللقاني، وله قصيدة على منهج القصيدة الجيلانية وهذه بعض أشعارها:

أنا لمريدى جامع لشتاته إذا ماسطا جور الزمان بنكبة

وإن كنت في ضيق وكرب ووحشة فناد بيا زروق آت بسرعة.

(عبد العزيز المحدث الدهلوي: بستان المحدثين – ط: كراتشي، ص: ٣٦).

قال الشيخ الجيلي رحمه الله تعالى:

من استغاث بي في كربة كشفت عنه ومن ناداني باسمي في شدة فرجت عنه ومن توسل بي إلى الله عز وجل في حاجة قضيت له ومن صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة، سورة الإخلاص إحدى عشرة مرة ثم يصلي على رسول الله بعد السلام ويسلم عليه ويذكرني ثم يخطو إلى جهة العراق إحدى عشرة خطوة ويذكر اسمي ويذكر حاجته فإنها تقضى بإذن الله (علي بن يوسف اللخمي أبو الحسن : بهجة الاسرار – ط: مصر ص: ١٠٢).

ثم ينشد بعده هذين البيتين:

أيدركني ضيم وأنت ذخيرتي — وأظلم في الدنيا وأنت نصيري
وعار على حامي الحمى وهو منجدي — إذا ضل في البيدا عقال بعيري

(محمد بن يحيى التاذفي: قلائد الجواهر – ط: مصر، ص: ٣٦).

فليتأمل هل في هذه شائبة من الشرك ؟ كيف وقد أمر النبي ﷺ رجلا ضرير البصر أن يتوضأ فيحسن وضوئه فيصلي ركعتين ويدعو بوسيلة النبي ﷺ فدعا فعاد بصره ثم أمر عثمان بن حنيف ﷺ رجلا في زمن عثمان بن عفان ﷺ أن يدعو هذا الطريق فدعا فقضى الله تعالى حاجته، وعلى هذا لو صلى أحد ركعتين ثم دعا الله تعالى حاجته بتوسل الشيخ رحمه الله تعالى فإنما تقضى بإذن الله تعالى، ولا يكون شركا قطعا.

ثم هذا الطريق مما أمر به الشيخ السيد عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى كما رواه العلامة علي بن يوسف اللخمي الشطنوفي، في بهجة الأسرار، والعلامة محمد بن يحيى التاذفي، في قلائد الجواهر كما سبق آنفا، والعلامة ملا علي القاري، في نزهة الخاطر الفاتر (المطبوعة باللغة الأردوية، بفيصل آباد ص: ٧٩) والشيخ المحقق عبد الحق المحدث الدهلوي في زبدة الأسرار ص: ١٠١ (ط: بمبئى) فتكذيب هذه الرواية كما زعم تعسف محض.

قال أحمد رضا في تعريف العلامة الشطنوفي: أما الإمام أبو الحسن نور الدين علي، مصنف بهجة الأسرار فهو من أعاظم العلماء وأئمة القراء وأكابر الأولياء وسادات الطريقة، يتصل سنده إلى غوث الثقلين ﷺ بواسطتين، فانه استفاض من الإمام الأجل أبي صالح نصر وهو من أبيه أبي بكر تاج الدين عبد الرزاق وهو من أبيه الشيخ السيد عبد القادر الجيلاني ﷺ.

قال الشيخ المحقق عبد الحق المحدث الدهلوي في زبدة الآثار: بهجة الأسرار كتاب عظيم شريف شهير، ومصنفه عالم معروف من علماء القراءة وترجمته مسطورة في الكتب.

الذهبي حضر مجلس درسه وكتب مدائحه في كتبه طبقات المقرئين، والإمام المحدث محمد بن محمد الجزري مصنف الحصن الحصين من سلسلة تلامذته، قرء الكتاب المستطاب بهجة الأسرار على شيخه وحصل على سنده وإجازته (أحمد رضا، : أنوار الانتباه، لاهور).

قال الشيخ أنور شاه الكشميري الديوبندي: هكذا نقل الشطنوفي ووثقه المحدثون (أنور شاه الكشميري: فيض الباري (ط: قاهره – ٦١/١).

عن ربيعة بن كعب قال كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فاتيته بوضوله وحاجته فقال لي: سل فقلت: أسئلك مرافقتك في الجنة قال أو غير ذلك ؟ قلت: هو ذاك قال: فأعني على نفسك

بكـــثرة الســـجود (رواه مســـلم) (ولي الديـــن، الإمـــام : مشكـــوة المصـــابيح - ط:كراتشـــي، ص:٨٢).

فليتامل أن ربيعة ﷺ طلب مراده من النـــبي ﷺ ، فلـــم يمنعـــه ولم يقـــل لـــه لم تســـئلني ؟ إن شئـــت فاسئل الله تعالى الجنة، بل وعده وقال: فأعني عـلـى نفســك بكـثرة الســـجود، مـــع أن المعطـــي في الحقيقة هو الله تعالى:

قال العلامة ملا على القاري في شرح هـــذا الحديـــث:

ويؤخذ من إطلاقه عليه السلام الأمر بالسؤال له الله تعالى مكنـــه مـــن إعطـــاء كـــل مـــا أراد مـــن خزائن الحق (إلى أن قال) وذكر ابن ســـبع في خصائصـــه وغـــيره أه الله تعلـــى أقطعـــه أرض الجنـــة يعطى منها ما شاء لمن شاء (علي بن سلطان محمد القـــارى: المرقـــاة- ط:ملتـــان، ٢/٣٢٣).

قال النواب صديق حسن البوفالي . باللغـــة الفارســـية:

أطلق السؤال ولم يخصصه بمطلوب خاص، يعلم منه ان جميع الأمر بيـــــد كرامتـــه وهمتـــه ﷺ، يعطـــي ما شاء من شاء باذن ربه‌مسك الختام شرح بلـــوغ المـــرام ٢٧٦/١ ط كـــانبور.

النواب وحيد الزمان شهير من طائفة غير المقلدين نقـــل الصحـــاح الســـتة إلى اللغـــة الأردويـــة، وله كلام بسيط في هذا المبحث في كتابه "هدية المهدى" نقتبـــس بعـــض أقوالـــه:

وهذا نصه:

والحاصل أن كل من اعتقد في حق غير الله سواء كان حيا أو ميتـــا أن لـــه قـــدرة ذاتيـــة أو موهوبـــة مفوضة من الله عز وجل على أمر من الأمور بحيث لا يحتاج فيها إلى إذن جديـــــد منـــه فـــهو مشـــرك وكل من يفهم غير الله أنه عاجز بالكلية كالميت في يـــد الغســـال لا يقـــدر علـــى شيـــئ إلا إذا أراد الله سبحانه فيعمل بحكم الله وإذنه وإرادتـــه وقضائـــه وينصـــر ويغيـــث وينفع ويضر كذلك فهو موحد ليس بمشرك سواء كان ذلك الغـــير حيـــا أو ميتـــا كمـــن فـــهم أن السقمونيا مسهل بذاته أو النار محرقة بذاتها فقد أشرك، ومن علـــم أن إسـهال الســقمونيا وإحـــراق النار بارادة الله وإذنه فـــهو موحـــد ليـــس بمشـــرك (وحيـــد الزمـــان: هديـــة المـــهدى - ط:ســـيالكوت، ص: ١٧).

قال أحمد رضا في رسالته "بركات الاستمداد" ما حاصله ان الاعتقـــاد في المخلـــوق أنـــه نـــافع أو ضار بالاستقلال شرك، وأما بعطاء الله سبحانه وتعالى وإذنـــــه فـــلا.

لو قدمت هذه الأبيات إلى مبتدعي زماننا من غير إشعار إلى قائلها ليبتدرون إلى إصدار حكم الشرك، ويسمونه مشركا أكبر من مشركي مكة، وعند ما يعلمون أن القائل هو إمام من أئمة طائفة غير المقلدين يذهلون ولا يجترؤن على الحكم بالشرك، وهذا هو مما يتأسف عليه.

ونتحير عند ما نرى أن النواب صديق حسن خان البوفالي يستمد ويستغيث بالقاضي الشوكاني وإبن القيم المرتحلين قبل سنين طوال، ويقول:

قبلة دين مدد مى، كعبة إيمان مدد مى

ابن قيم مدد مى، قاضي شوكان مدد مى

(وحيد الزمان، النواب : هدية المهدى - ص: ٢٣).

(أغث يا قبلة الدين وكعبة الإيمان، أنصر يا إبن القيم وقاضي الشوكان).

وان قال أحد من عامة المسلمين، يا رسول الله ! يا رسول الله ! أو يا علي ! فيكفرونه ويشركونه، ومع ذلك لا ينثلج صدورهم.

وقد عقد النواب وحيد الزمان من طائفة غير المقلدين فصلا، وقال فيه: إذا جازت الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق في أمور يقدر عليها، فهل تجوز الاستعانة بأرواح الأنبياء والشهداء والصالحين في أمور كانت تطلب منهم وهم أحياء، مثل الدعاء من الله اختلف أصحبنا فيه (معنها إبن تيمية وإبن القيم والشوكاني).

والفريق الثاني جوزها، ذكره النواب المذكور آنفا، ونصه فيما يلي:

إلا أن المجوزين كالسبكي وابن حجر المكي والقسطلاني وكثير من الشافعية يقولون ان الحي أيضا في ذلك مثل الميت قال الله تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا) فكما أن الحي لا يقدر على الاعانة بغير اذن الله ورضائه وقضائه وحكمه وارادته كذلك الميت وانقطاع العمل لا يستلزم عدم العمل فان الملائكة أعمالهم منقطعة ومع ذلك هم يفعلون ما يؤمرون).

قال النواب وحيد الزمان رادا على من فرق بين الاستعانة من الأحياء والأموات، وهذا نصه:

والأعجب من الأعجب ما فرق بعض إخواننا في هذا بين الأحياء والأموات وظن أن الاستنصار والاستغاثة بالأحياء في أمور يقدر عليها العباد ليس بشرك وهو شرك بالأموات في نفس تلك الأمور وهل هذا إلا سفسطة ظاهرة فإن الحي والميت سيان في كونهما غير الله فغاية ما في الباب أن الاستنصار بالأموات شرك بالأحياء لا شرك بالله تعالى (وحيد الزمان، النواب: هدية المهدى، ص: ٢٢-٢١).

قد جرت عادة الخوارج والمشركين بتطبيق الآيات الواردة في حق الكافرين على المؤمنين، ويحمل الآيات الواردة في الأصنام على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى:

[يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا] (سورة البقرة ٢، الآية ٢٦).

الصحابة رضي الله عنهم تحملوا مطالب القرآن من النبي ﷺ فنجحوا، رغم أن المشركين والمنافقين والخوارج إتبعوا عقولهم الزائغة فخابوا وخسروا.

قال الله سبحانه وتعالى:

[إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم] (سورة الأنبياء ٢١ الآية ٩٨].

قال الشوكاني: قال أكثر المفسرين: إنه لما نزل [إنكم وما تعبدون] الآية أتى ابن الزبعري إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد ألست تزعم أن عزيرا رجل صالح، وأن عيسى رجل صالح، وأن مريم إمرأة صالحة ؟ قال : بلي فقال: فإن الملائكة وعيسى وعزيرا ومريم يُعبدون من دون الله فهؤلاء في النار، فأنزل الله [إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون] (محمد بن علي الشوكاني: تفسير فتح القدير ٤٢٩/٣).

لم يلتفت ابن الزبعري إلى أن كلمة ما في قوله سبحنه [وما تعبدون] لغير ذوي العقول فكيف تدخل فيه الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟ ثم أسلم ابن الزبعري بعد ذلك وصار في عداد الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

يقول البعض : فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره تعالى في تلك الحال، وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع.

هذه سفسطة بينة، فان الاستغاثة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء مع اعتقاد أنهم مظاهر عون الله تعالى استغاثة بالله تعالى كما صرح به الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي، فالحق أن أهل السنة والجماعة لا يستغيثون في البر ولا في البحر إلا بالله تعالى، بخلاف المشركين فانهم يستغيثون بغير الله تعالى، وعند ما لا تصل اليهم النصرة دعوا الله تعالى. أما أهل السنة والجماعة فلا يعتمدون في حال ولا في موضع إلا على الله سبحانه، فالرد والاعتداء عليهم تحكم محض.

يا شيخ فلان يا رسول الله ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا؟ وهل للرسل والأنبياء إغاثة بعد موهم ؟ فأجاب بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة وللرسل والأنبياء إغاثة بعد موهم لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بموهم أما الأنبياء فلأهم أحياء في قبورهم، يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم والشهداء أيضا أحياء.(فتاوى الرملي بهامش فتاوى الكبرى ٣٨٢)[٢٩].

المشركون غير الملائكة والأنبياء والصلحاء من عباد الله والشعائر التي بقيت حرمتها في ديننا كفر وأرواح الأنبياء والأولياء ليست من قبيل الأصنام والأوثان بل هي من جنس الملائكة أو أشرف منها فتقاس على الملائكة لا على الأصنام والأوثان التي هي رجس (وحيد الزمان، النواب: هدية المهدى- ص:٢٨).

[٢٩] واما قول ابن حجر رحمه الله: "ومن ذلك (الكفر) أن يجعل بينه وبين الله تعالى وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم قالوا إجماعا (الإعلام لابن حجر الهيتمي ٣٨٩) وكذا في البغية أما جعل الوسائط بين العبد وبين ربه فإن كان يدعوهم كما يدعو الله تعالى في الأمور ويعتقد تأثيرهم في شيء من دون الله فهو كفر وإن كان مراده التوسل هم إلى الله تعالى في قضاء مهماته مع اعتقاده أن الله هو النافع الضار المؤثر في الأمور فالظاهر عدم كفره وإن كان فعله قبيحا. (بغية ٢٩٧)

وكذا في فتاوى الكردي وجعل الوسائط بين العبد وبين ربه فإن صار يدعوهم كما يدعو الله تعالى في الامور ويعتقد تأثيرهم في شيء دون الله تعالى فهو كفر وإن كان المراد من فعلهم وسائط ان يتوسل هم إلى الله في قضاء مهماله مع اعتقاد ان الله هو النافع الضار المؤثر في الأمور دون غيره فالذي يظهر عدم كفره وإن كان هذا اللفظ قبيحا يتبادر منه الكفر، ومن ثمة أطلق صاحب الفروع من الحنابلة القول بكفره إجماعا قال قالوا اجماعا ونقله ابن حجر في كتابه الإعلام وأقره ولم يحضرني الآن حديث في موضع الطائفة المذكورة واظن اني رايت في كلام بعضهم أنها بالشام (فتاوى الكردي ٢٦٠)

فليس المراد بها التوسل والاستغاثة لأن ابن حجر الهيتمي نفسه قال في الجوهر المنظم بجوازهما كما تقدم وقال في الإعلام مما يدل لطلب التوسل به ﷺ وان ذلك سيرة السلف السلف الصالح الأنبياء والأولياء وغيرهم ما أخرجه الحاكم وصححه انه ﷺ قال لما اقترف آدم بخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد ﷺ الا ما غفرت لي... وأخرج النسائي والترمذي وصححه ان رجلا ضريرا اتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني....وروى الطبراني بسند جيد انه ﷺ ذكر في دعائه بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ولا فرق بين ذكر التوسل والاستغاثة والتشفع والتوجه به ﷺ او بغيره من الأنبياء وكذا الأولياء وفاقا للسبكي... لانه وردجواز التوسل بالأعمال مع كونها اعراضا فالذوات الفاضلة أولى ولأن عمر توسل بالعباس في الاستسقاء ولم ينكر عليه.

وقد يكون معنى التوسل طلب الدعاء منه.. وقد صح في حديث طويل أن الناس أصابهم قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فأتاه في النوم وأخبره انهم يسقون فكان كذلك. (شرح الإيضاح وانظر الجوهر المنظم .) فعلم من هذه العبارة أن ابن حجر موافق لما قاله السبكي في شفاء السقام. وكذا في البغية وفتاوى الكردي عبارة البغية وهي " أما التوسل بالأنبياء والصالحين فهو أمر محبوب......إلخ فالمراد بجعل الوسائط يمكن أن يكون فعلا كفعل المتقرب إلى الشيطان أو الجن بالأزهار والنارجيل والسكر وغيرها كما هو عادة الهنود لأن التوسل والاستغاثة لا يتبادر منهما الكفر إذا وجد من المؤمن لما تقدم في الأحاديث الصحيحة . ولهذا غير صاحب البغية القول بالفعل ناقلا بالمعنى وإلا فكيف يخفى موضع طائفة المستفيثين على الكردي كما قال ولم يحضر في حديث في موضع الطائفة وإذا كان نداء الجويريات بالموتى من أهل البدر في حضرة النبي ﷺ قبيحا يتبادر منه الكفر لانكره النبي ﷺ ولم ينكره بل حشطيه كما تقدم في البخاري.

وقال في البغية: قبل البحث عن جعل الوسائط وقول الشخص المؤمن يا فلان عند وقوعه في شدة داخل في التوسل بالمدعو إلى الله تعالى وصرف النداء إليه مجاز لا حقيقة والمعنى يا فلان أتوسل بك إلى ربي أن يقبل عثرتي أو يرد غائبي مثلا فالمسؤل في الحقيقة هو الله تعالى وإنما اطلق الاستعانة بالنبي أو الولي مجازا والعلاقة بينهما أن قصد الشخص التوسل بنحو النبي صار كالسبب واطلاقه على المسبب جائز شرعا وعرفا وارد في القرآن والسنة كماهو مقرر في علم المعاني والبيان نعم ينبغي تنبيه العوام على ألفاظ تصدر منهم تدل على القدح في توحيدهم فيجب ارشادهم واعلامهم بأن لا نافع ولا ضار إلا الله لا يملك غيره لنفسه ضرا ولا نفعا إلا

والفرق بين المسلمين في طواف البيت وتقبيل الحجر الأسود وبين المشركين في طواف الصنم بالاعتبار وكذلك في الاستغاثة اعتقد المشركون أن الملائكة وسائر آلهتهم توجد منهم المعونة واستغاثوهم باعتبار أنهم آلهة توجد منهم المعونة بالاستقلال والصمدية واعتقد المسلمون أن الملائكة وسائر الأنبياء والأولياء توجد منهم المعونة الغيبية بإذنه تعالى وإرادته.

دَلِيلُ الْخَصْمِ وَجَوَابُهُ

لا ينافي ما تقدم أمثال قوله تعالى:{لَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا} وقوله ﷺ: "اَلدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ" لأن الدعاء في ذلك مطلق والمطلق في هذا المقام محمول على المقيد في المواضع الأخر على ما هي القاعدة[٣٠] قال تعالى:{وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} (المؤمنون ١١٧).

وقال تعالى:{ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} (الكهف ١٤). وقال تعالى:{وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} (القصص ٨٨) وقال تعالى:{تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا} (مريم ٩٠،٩١) دليل واضح

بإرادة الله تعالى قال تعالى لنبيه قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا. (بغية ٢٨٧) الحاصل كون جعل الوسائط ممنوعا عند اعتقاد الاستقلال فيها كاستقلال الإلهية والتقرب إليها مثل التقرب إلى الآلهة ــ فالمراد بالفعل في عبارة البغية هذا التقرب فحمل صاحب البغية عبارة الكردي على هذا.

[٣٠] تأمل في أدلة الخصم لا تجد فيها لفظ الاستغاثة فلا يكون دليلا لدعواهم بل فيها لفظ الدعاء. فليس المراد به مطلق الدعاء كما هو مسلم عند الخصم أيضا فيخصصه بالدعاء لما فوق المعونة العادية أو شموله للدعاء للمعونة بسبب المعجزة والكرامة وكل ذلك تخصيص أو دعوى بلا دليل من الكتاب والسنة أو كلام الأئمة وينبغي أن يقيد الدعاء بما هو مأخوذ من القرآن من أمثال قوله تعالى {لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا}

على أن المراد بالدعاء المطلق في بعض الآيات هو دعاء الآلهة فهذا الدعاء بمعنى العبادة فيصير المعنى لا تعبدوا مع الله أحدا، وإذا حمل الدعاء على الاطلاق فينافيها أمثال قوله {رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا} وقوله تعالى {الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ}[٣٣]

أما قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (الأعراف ١٩٤). فالمراد به دعاء الآلهة والأصنام التي يدعوها الكفار والمشركون وتدل عليه ما بعد هذه الآية من قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} (أعراف ١٩٧).

قال الرازي: "المراد من كونها ناظرة كونها مقابلة بوجهها وجوه القوم من قولهم جبلان متناظران أي متقابلان (رازي ٩٥/١٥).

وقال أبو[٣٤] حيان ونفى عنهم الإبصار لأنها جماد لا تحس وأثبت لهم النظر على سبيل المجاز بمعنى أنهم صورهم ذوي أعين (بحر المحيط ٤٤٧/٤). وقال الرازي في تفسير هذه الآية قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ) وفيه سؤال وهو انه كيف يحسن وصفها بأنها عباد مع أنها جمادات؟ وجوابه من وجوه: الأول أن المشركين لما ادعوا أنها

---

[٣١] حاصل الجواب أنك تركت الآية التالية التي فيها الدليل على أن المراد بالدعاء هو دعاء الأصنام كقوله {وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون} فإن قلت معنى تراهم تحسبهم أقول هذا خلاف الظاهر مع أن المراد بالدعاء دعاء الآلهة كما هو مأخوذ من قوله لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا.

[٣٣] حاصل الجواب كما تقدم تركت الآية التالية ففيها دليل على أن المراد بالدعاء العبادة فالمراد بالدعاء دعاء الآلهة كما في سائر الآيات.

تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا فيها كونها عاقلة فاهمة فـلا جـرم وردت هـذه الألفاظ على وفـق معتقداتهـم.(رازي ١٥/٩٢).

وقال أبو حيان وسمي الأصنـام عبـادا وإن كـانت جمـادات لأنهـم كانوا يعتقدون فيها أنها تضر وتنفع فـاقتضى أن تكـون عاقلـة.(بحـر المحيـط ٤\٤٤٢). وقال ابن كثير هذا إنكار من الله على المشركـين الذيـن عبـدوا مع الله غيره مـن الأنـداد والأصنـام والأوثـان وهـي مخلوقـة لله مربوبـة مصنوعة لا تملك شيئا من الأمـر ولا تضـر ولا تنفـع ولا تبصـر ولا تنتصـر لعباديها بـل هـي جمـاد لا تتحـرك ولا تسـمع ولا تبصـر. (ابـن كثـير ٢٧٦/٢).

وأما قوله تعـالى:{ وَمَـنْ أَضَـلُّ مِمَّـنْ يَدْعُـوا مِـن دُونِ اللهِ مَـن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ وَهُم عَـن دُعَآئِـهِمْ غٰـفِلُونَ} (الأحقـاف ٥). فيراد به أيضا آلهتهم التي يدعونها أي يعبدونهـا مـن دون الله كمـا يـدل عليه الآية التي عقبها وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُـمْ أَعْـدَاءً وَكَـانُوا بِعِبَـادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ. قال الرازي في تفسير هذه الآية أنه لا أمرأ بعد عـن الحـق وأقـرب إلى الجهل ممن يدعو من دون الله الأصنام فيتخذهـا آلهـة ويعبدهـا وهـي إذا دعيت لا تسمع ولا تصح منها الإجابة لا في الحال ولا بعـد ذلـك اليـوم إلى يوم القيمة.... وإذا قامت القيمة وحشر النـاس فـهذه الأصنـام تعـادي هؤلاء العابدين واختلفوا فيه فالأكثر ون على أنه تعـالى يحيـي هـذه الأصنـام يوم القيمة وهي تظهر عـداوة هـؤلاء العـابدين وتـبرأ منـهم رازي ٦/٢٨) وقال أيضا في تفسير قوله تعالى{وَهُمْ عَن دُعَآئِـهِمْ غٰـفِلُونَ} وكيـف يعقـل وصف الأصنام وهي جمادات بالغفلة؟ وأيضا كيـف جـاز وصـف الأصنـام بما لا يليق إلا بالعقلاء وهي لفظة "مَنْ" وقوله "هُمْ" "غٰفِلُونَ" قلنا إنهـم لمـا عبدوهـا ونزلوها منـزلة من يضر وينفع صح أن يقـال فيـها أنهـا بمنـزلة الغـافل الذي لا يسمع ولا يجيـب.(رازي ٢٨/٦).

وقال أبو حيان ومن أضل ممن يعبد الأصنـام وهـي جمـادات لا قـدرة

فا على استجابة دعائهم.(بحر المحيط ٥٥/٨).

وقال ابن كثير: قوله ومن أضل إلخ أي لا أضل ممن يدعو من دون الله أصناما ويطلب منها ما لا تستطيع إلى يوم القيمة وهي غافلة عما يقول لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش لأنها جماد حجارة صنم. (ابن كثير ١٥٥/٣).

[٣٢]وأما قوله تعالى:{إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} (فاطر ١٤).

فنزلت في بيان حال آلهة الكفار قال الرازي قوله تعالى {إن تَدْعُوهُمْ إلخ} إبطال لما كانوا يقولون إن في عبادة الأصنام عزة من حيث القرب منها والنظر إليها وعرض الحوائج عليها والله لا يرى ولا يصل

---

[٣٢] ففي الآية التصريح بالشرك انظر أول هذه السورة يقول تعالى: {الحمد لله فاطر السموات والأرض} يعني جميع الحمد لله فلا يحمد غيره باعتبار الحقيقة لأن معطي كل رحمة في الحقيقة هو الله تعالى ثم يقول تعالى في هذه السورة: {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده. (فاطر ٦) فهذا رد لمن يقول الاستقلال في الرحمة والامساك لغير الله ثم يقول تعالى لا إله إلا هو فأنى تؤفكون} فهذا الكلام رد لمن يقول أن مع الله آلهة أخرى ثم يقول تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم أي ان تدعوا تلك الآلهة المستقلة فلا يجوز تعميم هذه الآية لغير ذلك الدعاء ففي استدلال الخصم بأمثال هذه الآيات لدعويهم خطأ فاحش من ثمانية وجوه. (١) جعل المسلمين مشركين وكافرين (٢) تفسير القرآن بالرأي من غير نظر إلى سائر المفسرين. (٣) الاستدلال بالآية مع حذف أولها وآخرها كما يستدل بقوله: " لن يدخل الجنة إلا من كان هودا (٤) تعميم الآية من غير نظر إلى ما قبلها وما بعدها وإلى الآيات المخصصة في المواضع الأخر (٥) حمل الآية المنزلة في الكفار على المسلمين كما هو عادة الخوارج. (٦) اعتقاد التأثير لغير الله في الأمور العادية وتقسيم القوة لله وللمخلوقين مع أن الله يقول وأن القوة لله جميعا (٧)انكار معجزة الأنبياء واعتقاد ان الله يتركهم بعد وفاتهم ولا يكرمهم بعده. (٨) تشبيه الأنبياء والأولياء بالأصنام وآلهة الكفار.

إليه أحد فقال هؤلاء لا يسمعون دعائكم.(رازي ١٢/٢٥).

وقال ابن كثير :يعني الآلهة التي تدعونها من دون الله لا يسمعوا دعائكم لأنها جماد لا أرواح فيها.(ابن كثير ٥٥١/٣).

قال البيضاوي قوله (إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم) لأنهم جماد (بيضاوي ١٨٠/٤).

قال الرازي: "ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الملائكة وعيسى وعزير والأصنام إلا أنه غلب غير الأوثان على الأوثان.(رازي ٤٩٢/٧).

قال إسماعيل البروسوي: (إن تدعوهم) أي الأصنام للإعانة وكشف الضر لا يسمعوا دعائكم لأنهم جماد والجماد ليس من شأنه السماع (ولو سمعوا) على الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم) فإنهم لا لسان لهم ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأصنام فغلب غير الأصنام عليه كما في بحر العلوم.(روح البيان ٣٣٣/٧) ويمكن أن يكون المراد (ما استجابوا لكم) من بغضهم إياكم، كما في تفسير تنوير المقياس ص ٢٧٠ من تفسير ابن عباس لأبي طاهر محمد بن يعقوب صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٧.

وأما قوله تعالى:{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} (الرعد ١٤)[٣٣].

فقال الرازي يعني الآلهة الذين يدعونهم من دون الله (لا

---

[٣٣] انظر الآية التي قبلها {وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال} (الرعد ١١) وانظر الآية التي بعدها {أم جعلوا لله شركاء} فهذا الكلام رد لمن يعتقد ان مع الله آلهة أخرى لها قدرة لرد ما أراد الله لهذا شرك سواء اعتقد مع ذلك ان الله هو الخالق الرازق المدبر وتلك الآلهة التي لها قدرة للرد شفعائنا عند الله و يقربون إلى الله زلفى

يستجيبون لهم بشيء) مما يطلبونه إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعائه ويبلغ فاه فكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم. (رازي ٢٩/٢٠)

وقال البيضاوي: "قوله (والذين يدعون) أي والأجسام الذين يدعوهم المشركون. (بيضاوي ١٤٩/٣).

وأما قوله[٣٤] تعالى: "وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَائَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} (النحل ٨٦).

فهذه الآية أيضا وردت في بيان حال الكفار مع آلهتهم التي يدعونها من دون الله.

قال الرازي : "وفي الشركاء قولان الأول أنه تعالى يبعث الأصنام التي كان يعبدها المشركون والثاني أن المراد بالشركاء الشياطين الذين دعوا الكفار إلى الكفر.(رازي ٩٦/٢٠).

فالحاصل أن أمثال هذه الآيات يراد بها عبادة الأصنام ودعائها وان عمم أمثالها ففيها تغليب فعدم سماع الدعاء مثلا وصف الأصنام فقط ولا يوصف بها الملائكة وعيسى وعزير وأمثالهم فهم يسمعون ولكن لا يستجيبون دعاء المشركين لأنهم اعتقدوهم آلهة بنات الله وأبنائه واعتقدوا فيهم الصمدية والاستقلال كاستقلال الولد من الوالد والوزير من الملك وليس الفرق في كون الدعاء توحيدا وشركا كونه من قريب أو بعيد أو قبل الموت أو بعده لما تقدم من الأدلة مثل قول ابن عمر يا محمد (بخاري في

---

[٣٤] انظر الآية التي قبلها ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا (النحل ٨٤) وانظر الآية التي بعدها {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله} (النحل٩٩) فالكلام في دعاء الذين كفروا كما في قوله {لن ندعو من دونه إلها} على أن الآية نص فيها الذين أشركوا.

الأدب المفـرد ١٤٢).

وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ. فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ} (الأعراف ٩٢،٩٣).

فالدعاء المطلق لغير الله ليس شركا بل الدعاء المنهي عنه الدعاء المقيد أي وهو الدعاء باعتقاد الألوهية والاستقلال والصمدية في المدعو له ولم ينقل عن إمام من المتقدمين ولا أحد من السلف أن الفرق بين التوحيد والشرك هو اعتبار القرب أو البعد أو ما قبل الموت وما بعده أو المعونة الغيبية والعادية بل نقل عن جميعهم أن الفرق هو اعتبار الألوهية والصمدية وهو أيضا نص الآيات والأحاديث وإن كان مدار الشرك الدعاء من البعد لوجب أن يكون الدعاء من القرب مع اعتقاد الألوهية غير شرك ولم يقل به أحد وكذا لو كان مدار الشرك الدعاء بعد الموت لوجب أن يكون دعاء الحي مع اعتقاد الألوهية غير شرك ولو كان مدار الشرك الدعاء للمعونة الغيبية لوجب أن يكون الدعاء للمعونة العادية مع اعتقاد الألوهية غير شرك ولم يقل به أحد مع ثبوت الدعاء للغيبية بالمعجزة في الدلائل المتقدمة.

فحمل أمثال تلك الآيات على المسلمين من عادات الخوارج المبتدعة كما روى البخاري عن ابن عمر ﵁ إنهم(الخوارج) انْطَلَقُوا إِلَىٰ آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ .(بخاري ١٠٢٤/٢ كتاب استتابة المعاندين).

وأما تقسيم القدرة لله وللمخلوقات فهو مذهب المعتزلة وهو مردود بأمثال قوله تعالى { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (الصافات ٩٦) كما تقدم بل جميع الأمور لله سبحانه وتعالى خلقا وإيجادا لا حول ولا قوة إلا بالله بالحقيقة وبالذات والمسلم مامور بأن يقول عند سماع المؤذن "حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ" لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أي لا قدرة لنا لإتيان

الصلوة إلا بك فـهذا أجلى الأفعال وقد نفي عن العبد بالذات وبالاستقلال.

وقد تقدم أن أظهر أفعال العباد كالمشي والبطش والقيام والجلوس لا يدري العبد كم من أعصاب تمد وينقبض وكم من عروق يتحرك وكم لا يتحرك وكم من أجزاء جسده يتصل بالغير وكم لا يتصل في هذا الفعل بل لا شعور له في ذلك فكيف يدعي عاقل انه يخلق والخالق ليس يعلم بما يقع به خلقه لكن الله يرزق الاستطاعة والقدرة لعباده وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ من غير اتحاد ولا حلول ولا استقلال.

فدعوى أن للعباد قدرة ببعض الأمور فلا بأس بسؤالها منهم دون ما لا قدرة لهم فيكون سؤالها منهم شركا باطل وإن سلم دعواهم فنسألهم أي الأشياء مختصة بالله وأيها مختصة بالعباد حتى نعلم أن طلب البعض شرك وطلب غيره غير شرك. فإن أجيب بأن الأمور الأخروية مختصة بالله والأمور الدنيوية مقدورة للعباد فنقول هذا التقسيم باطل لأن الله تعالى أسند الهداية إلى رسول الله ﷺ في قوله { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (الشورى ٥٢).وهي أمر أخروي وطلب الصحابة الشفاعة الأخروية من النبي ﷺ كما مر فلم ينكر عليهم حتى سأله ﷺ بعض الصحابة مرافقته في الجنة.

روى مسلم أن النبي ﷺ جَاءَهُ رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "سَلْ" فَقَالَ: "أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ" فَقَالَ أَوَ غَيْرَ ذَٰلِكَ؟ قَالَ هُوَ ذَاكَ فَقَالَ أَعِنِّي عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ فوعد رسول الله ﷺ أنه يعطيه الجنة بل أعلى الجنة وكذا قول عمرو بن العاص رضي الله عنه لرسول الله ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَمَدَّ يَدَهُ فَقَبَضَ عَمْرٌو يَدَهُ فَقَالَ يَا عَمْرُو مَاذَا؟ قَالَ لِأَشْتَرِطَ فَقَالَ مَا تَشْتَرِطُ؟ قَالَ عَمْرٌو لِيُغْفَرَ ذَنْبِي إلخ (رواه مسلم) فطلب عمرو رسول الله ﷺ أن يبايعه بشرط مغفرة الذنوب.

دليل واضح على أن الأمور الأخروية يجوز طلبها من خواص عباده

وإن أجيب بأن العظام من الله والصغار من العباد قلنا ما حد العظام ونحن نجد الإحياء والشفاء والهداية والتزكية وكشف الكروب وأمثالها من مقدورات العباد قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: {إِنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ ....إلخ} دليل واضح على أن الخلق ونفخ الروح وإبراء الأكمه والأبرص والإنباء عن الغيوب من مقدورات عيسى عليه السلام بإذنه تعالى. وقال تعالى في وصف النبي ﷺ "يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ" دليل واضح على أنه ﷺ قادر بإذنه تعالى على تطهير قلوب الإنسان من الكدورات فقال تعالى حكاية عن آصف بن برخيا: { أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} دليل واضح على انه اقتدر على إتيان عرش بلقيس من مسافة بعيدة بطرفة مع عظمها. كل ذلك دلائل واضحة على أن الأمور العظام يقدر عليها الإنسان بإقداره تعالى وإذنه وإرادته.

ويدل على أن الأولياء يقتدرون على الأفعال العظيمة قصة سليمان عليه السلام هذه مع وزرائه حيث قال" أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" إلى قوله" وَقَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ" تدل على أن وزيره آصف اقتدر على إتيان عرش بلقيس من مسافة بعيدة مع ثقلها جدا في طرفة عين تدل هذه الآية على القدرة العظيمة لولي من بني إسرائيل فكيف بالأولياء من أمة محمد ﷺ فإن قيل هذا من معجزة سليمان عليه ا لسلام فنقول لا مخالفة لكونه كرامة آصف وكرامة كل ولي معجزة لنبيه مع انه إن سلم ذلك فقوله تعالى: {الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ} يدل على أن حصول العلم من الكتاب علة اقتداره على ذلك الأمر قال في الإحياء انه اقتدر على ذلك بقوة العلم (٥/١). فكل من حصل له علم من الكتاب لاسيما الكتاب المنزل على سيدنا محمد ﷺ وهم الأولياء والعلماء قادرون على أمثال هذه الأمور العظام على أن ما وقع لسليمان عليه السلام يقع مثله من أولياء أمة محمد فلا مخلص بهذا الجواب.

ويدل على أن الله يرزق من يشاء بغير حساب. الحديث القدسي الذي رواه البخاري: " وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ .... إلخ" دليل واضح على أن المقربين يعملون بأيديهم وأرجلهم وسائر أعضائهم الخوارق العظام بإذنه تعالى وإرادته فإن قيل فأنبياء الله وأولياته يماثلون الله تعالى ويكون اعتقاد أنهم مثله شركا وكفرا؟ قلنا لا مماثلة لأنهم وإن فاقوا في القوى والقدرة ليس لهم استقلال وصمدية فقوتهم وقدرتهم من الله ولا يخرجون من القهر والعبودية وكل نبي وولي عبد مقهور لقدرة الله ليس لهم من الأمر شيء من الخلق والإيجاد بل لهم كسب فقط والله ليس كذلك فله في كل شيء استقلال وصمدية لا يحتاج إلى شيء في شيء فهو الله قادر بالقدرة الذاتية وسميع وبصير وفعال لما يريد بالقوى الذاتية وغيره تعالى بالقدرة العرضية الحاصلة من الله تعالى بفضله وإذنه فليس فيه تماثل فلا يكون شركا إذا اعتقد الربوبية والألوهية والصمدية والاستقلالية في الله سبحانه وتعالى فقط والعبودية والاحتياج وإذن الله تعالى في الأنبياء والأولياء وهذا هو الفرق.

وأما منع السماع من مكان بعيد فليس بصحيح كما تقدم لأن أرواح المؤمنين في العليين ومع أنها في العليين لها تعلق في القبور كالنائم يرى ما في أماكن بعيدة فإذا مس واحد جسده فيتنبه سريعا مع تفكره ما يراه ويتعلق روحه بالجسد بشعوره بهذا المس كذلك الأموات وإن كان أرواحهم في أماكن بعيدة لها تعلق بالأبدان بل أرواحهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وأما ما يقال من أن علم الغيب من خصوصيات الله تعالى فاعتقاد علم الغيب لغير الله شرك فممنوع بأن علم الغيب ليس مختصا بالله تعالى بل يعلم الغيب غير الله بإعلام الله وإقداره من الأنبياء والأولياء كما قال تعالى" عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ

...إلخ والأدلة من الآيات والأحاديث على حصول علم الغيب لغير الله تعالى كثيرة كما تقدم فنفي علم الغيب عن غير الله باعتبار الاستقلال والصمدية.

ولا يمكن أن يكون الفرق بين التوحيد والشرك الدعاء للمعونة العادية والغيبية الغير العادية لما تقدم من الأدلة من طلب الصحابة من معجزة النبي ﷺ وطلب أصحاب عيسى لمعجزته وغير ذلك ولو كان مدار الشرك الدعاء للمعونة الغيبية لكان الدعاء للمعونة العادية مع اعتقاد الألوهية غير شرك ولم يقل به أحد وأما قوله تعالى" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" فمن العلماء من ادعى الحصر ومنهم من نفاه وعلى الثاني لا شبهة وأما الحصر في العبادة فمعلوم من قوله تعالى :{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } لا من تقديم إِيَّاكَ على نَعْبُدُ وعلى الأول فحصر الاستعانة وطلب المعونة العادية وغير العادية على إياك باعتبار الحقيقة فإن المحسن هو الله فقط وغير الله هو محسن في الظاهر فقط. قال الرازي إن المحسن في الظاهر إما الله أو غيره فإن كان غيره فذلك الغير لا يحسن إلا إذا خلق الله تعالى في قلبه داعية الإحسان فالحق سبحانه وتعالى هو المحسن في الحقيقة إلى أن قال ولأنه هو المطعم لقوله تعالى {وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ} (رازي ١/١٦١).

وقال أيضا واعلم أنه تعالى هو المستحق للعبادة وذلك لأنه تعالى هو المنعم بجميع النعم أصولها وفروعها وذلك لأن الموجود إما واجب وإما ممكن لا يوجد إلا بالمرجح فكل الممكنات إنما وجدت بإيجاده وتكون إما ابتداء وإما بواسطة فجميع ما حصل للعبد من أقسام النعم لم يحصل إلا من الله تعالى فثبت أن غاية الإنعام صادرة من الله والعبادة غاية التعظيم فإذا ثبت هذا فنقول إن غاية التعظيم لا يليق إلا لمن صدرت عنه غاية الإنعام فثبت أن المستحق للعبودية ليس إلا الله.(رازي ١/١٠٨).

فالحاصل أن حصر الاستعانة باعتبار الحقيقة لا بحسب الظاهر وقال أبو حيان إياك مفعول مقدم والزمخشري يزعم أنه لا يقدم على العامل إلا

للتخصيص فكأنه قال: ما نعبد إلا إياك وقد تقدم الرد عليه في تقديره بسم الله أتلو وذكرنا نص سيبويه هناك فالتقديم للاعتناء والاهتمام للمفعول.(بحر المحيط ٢٤) (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) إن قيل لم قدم المفعول على الفعل قيل له قدم اهتماما وشأن العرب تقديم الأهم يذكر أن أعرابيا سب آخر فأعرض المسبوب عنه فقال له الساب إياك أعني فقال الآخر وعنك أعرض فقدما الأهم.(قرطبي ١/١٤٥).

قال ابن عباس وإياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها.(ابن كثير ١/٢٦). وقال قتادة إياك نعبد وإياك نستعين يأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أموركم.(ابن كثير ١/٢٦). فالحاصل من العلماء من نفى الحصر وقالوا إن التقديم للاهتمام والاعتناء انظر هامش جمع الجوامع ١/٢٥٧) ولم يقل أحد من العلماء أن الحصر باعتبار المعونة الغير العادية أو باعتبار البعد أو باعتبار الموت.

وأما قوله ﷺ: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ" معناه معظم العبادة قال الرازي: فقوله الدعاء هو العبادة معناه معظم العبادة وأفضل العبادة كقوله ﷺ الْحَجُّ عَرَفَةُ أي الوقوف بعرفة هو الركن الأعظم. (رازي ٥/٩٩) وقال ملا علي القاري،الدعاء هو العبادة أي هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة (مرقاة ٢/٦٣٦) وإن سلم أن المعنى على الحصر فمعنى الحصر ليس أن كل دعاء عبادة بل المعنى العبادة جميعها دعاء كقولنا زيد هو المنطلق أي لا منطلق إلا زيد أي جميع المنطلق محصور على زيد وهو قصر الخبر على المبتدأ لا قصر المبتدأ على الخبر فالحاصل دعاء غير الله باعتبار الألوهية والصمدية هو الشرك فإن الصمد هو الله فقط، كما قال تعالى: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

أَلسُّؤَالُ الْحَالِي وَجَوَابُهُ

١) إن الله نهى عن الاستغاثة بأمثال قوله {مَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} فتكون حراما وإن لم تكن شركا؟!

الجواب:

إن الله أمر بها بأمثال قوله {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} فلا تكون حراما فضلا عن كونها شركا.

٢) المنفي في الآية المعونة الغير العادية والمثبت المعونة العادية؟

الجواب: هذا محض افتراء لم يقل به عالم ولا مفسر فليس على المسلمين قبوله فالعلماء نصوا بأن المعونة العادية وغيرها كلها من الله بحسب الحقيقة وإن كان لها أسباب في الظاهر على أن آية النفي نزلت في المشركين حيث طلبوا المعونة من آلهتهم لا في استغاثة الصحابة بمعجزة النبي ﷺ، ولم يقل أحد من المفسرين إن آية النفي أو أمثال قوله {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ} نزلت في استغاثة الصحابة بمعجزة النبي ﷺ فلا يجوز حمل الآية على هذا كما لا يجوز حمل الآية التي نزلت في استلام الكفار بصنمهم على استلام المسلمين بالحجر الأسود والفرق في الاعتقاد.

٣) الاستغاثة مختلف فيها فالأولى تركها؟

الجواب: قد سلمت في ضمن سؤالك أنها ليست بشرك فعليك التصريح به فقد قال الله تعالى: {وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة) فقد نص القرءان أن الذين يجعلون الله ورسوله والذين ءامنوا واليا وناصرا هم حزب الله وهم الغالبون على أن الاستغاثة من سير الأنبياء والسلف الصالحين ولم ينكرها أحد من أهل الأديان إلا ابن تيمية ولم ينكرها عالم قبله وصار به بين أهل الإسلام مثلة كما قاله السبكي في شفاء السقام(١٣٣)، على أن ابن تيمية من الذين يسبون الصحابة

رضي الله عنهم فلا يعتبر بخلافه مع أنه يمكن حمل قوله على الذين يعتقدون الاستقلال والألوهية في الأنبياء والأولياء، على أنه كان يكفي له تصحيح اعتقادهم إن كانوا يعتقدون الاستقلال ومع أن الورع والمصلحة عدم تكفير المسلمين وأن لا يجعل الشقاق بينهم وهذا ظاهر لكل عاقل(فَلَيْسَ كُلُّ خِلاَفٍ جَاءَ مُعْتَبَرًا إِلاَّ خِلاَفٌ لَهُ حَظٌّ مِنَ النَّظَرِ)

٤) الاستغاثة قد توهم الشرك أو قد تؤدي إليه؟

الجواب: أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم ولم يعتبر فيه أنه قد يوهم الشرك أو قد يؤدي إليه.بل كان المنكر له كافرا ملعونا وكذا أمر الله تعالى بالطواف بالبيت واستلام الحجر الأسود والصلوة خلف مقام إبراهيم ، ولم يعتبر هناك أنه قد يؤدي إلى الشرك أو يوهمه بل يكون المنكر له كافرا ملعونا. فألغي الشارع هذا الإيهام لاشتماله على مصالح كثيرة وكذا استغاثة الصحابة رضي الله عنهم من النبي ﷺ من حيث انه صاحب المعجزة فلم ينكره النبي ﷺ ولم يقل إنه قد يؤدي إلى الشرك أو يوهمه كما تقدم. وكان عادة الصحابة في حضرة النبي ﷺ أن يقولوا اَللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، عطفا على الله رسوله الذي يبين اشتراكهما في الأعلمية فلم ينكره ﷺ ولم يقل إنه يوهم الشرك أو يؤدي إليه وإذا اعتقد شخص أن عيسى كلمة الله وروح منه وليس كسائر الإنسان لا أب له ينبأ بالغيوب ويحيي الموتى بإذن الله وأنه لم يمت إلى الآن حتى عاش ألفي سنة وهو مرفوع إلى السماء لا كسائر الرفع وهو حي باق هناك لا تعرف كنه تلك الحياة ليس له أكل وشرب كسائر الإنسان ثم ينزل من السماء إلى الأرض لا كسائر النزول بل نزول لائق به فهل يكون هذا الاعتقاد شركا أو يوهمه إذ كانت الدعوى والقرائن على خلاف ذلك وأيضا لم لا تقول الإيهام أو التأدية في إثبات الجوارح لله تعالى وتزعم أن قولك يد لا كالأيدي يدفع التوهم فلم لا يجوز أن يقال معونة الأنبياء لا كمعونة الله والفرق بالاستقلال ولا يرد علينا الاعتراض هناك لأنك أثبت التركيب

وإن كان لا كالأيدي فيوجب الحدوث وتعدد الواجب فلا حاجة إلى اعتبار الإيهام عند وجود القرائن والدلائل على صحة الاعتقاد حيث كان مؤمنا يعتقد الألوهية والاستقلال لله وحده مع أن الورع عدم تكفير المسلمين.

٥) استغاثة الصحابة من النبي ﷺ للدعاء فقط وحاصلها يرجع إلى مجرد طلب الدعاء منه كطلب بعضنا الدعاء من البعض الآخر وليس فيه إلا اعتقاد أن النبي ﷺ بشر مثلنا؟

الجواب: أنظر إلى الحديث المتفق عليه الذي فيه استغاثة الصحابة عند العطش ففيه عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ فَأَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ وَقَالُوا لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَنَشْرَبُ فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قِيلَ كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِأَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا" (متفق عليه – مشكوة ٥٣٢) وانظر إلى حديث مسلم عن أنس ففيه "حَانَتْ صَلٰوةُ الْعَصْرِ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبَعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتّٰى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ" (مسلم ٢٤٥ باب معجزات النبي ﷺ) فوضع اليد في الإناء ثم نبع الماء من بين أصابعه هل هو مجرد دعاء كدعاء بعضنا بل هو معجزة من معجزاته ﷺ؟ فإذا رأى الصحابة رضي الله عنهم أمثال هذه من النبي ﷺ كرات بعد مرات فهل يكون استغاثته عند العطش كطلب بعضنا الدعاء من البعض وانظر إلى حديث البخاري الذي فيه استغاثة أبي هريرة يقول: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي سَمِعْتُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ فَقَالَ ﷺ: ابْسُطْ رِدَائَكَ فَبَسَطْتُهُ فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: ضُمَّهُ، فَضَمَمْتُهُ فَمَا نَسِيتُ حَدِيثًا بَعْدُ" (بخاري) فبسط الرداء والغرف بيديه ﷺ وضم الرداء هل هو مجرد دعاء وإذا رأيت مثل هذه من شخص معروف بالنبوة والولاية ثم طلبت منه معونة فهل هو مثل طلب بعضنا الدعاء من بعض؟

وانظر إلى استغاثة الصحابة لشفاء الأمراض بشرب الماء الذي مس شعر النبي ﷺ بعد وفاته(رواه البخاري) وبشرب الماء الذي غسل به جبة النبي ﷺ بعد وفاته (رواه مسلم) وهل هو مثل طلب بعضنا الدعاء من بعض؟

٦) المعجزة والكرامة لا اختيار للأنبياء والأولياء فيها فلا معنى لطلبها منه بل يجب أن يكون طلبها من الله تعالى؟

الجواب: تقدم في باب المعجزة والكرامة أنهما قد توجدان بالقصد والاختيار وقد توجدان بدونهما مبرهنا بالآيات والأحاديث وكلام الأئمة وإن لم يكن لهم قصد واختيار فكيف يقول عيسى عليه السلام مثلا "أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ"وكيف يقول صاحب سليمان عليه السلام" أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ، ثم إن كون الأنبياء والأولياء أسبابا للمعجزة والكرامة لا يمكن إنكاره لأحد وهذه السببية تكفي للاستغاثة منهم ولهذه السببية استغاثت الصحابة رضي الله عنهم في الأمثلة المتقدمة.

٧) المعجزة توجد بإذن الله وإرادته ولا توجد كلما أرادوا، كما قال الله تعالى: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ}؟

المعجزة وإن كانت بإذن الله فلا ينكر كون الأنبياء سببا لها ولهذه السببية تستغاث منهم على أن المعونة العادية أيضا توجد من البشر العادي بإذن الله ولا توجد كلما أرادوا كما قال تعالى{وَمَا تَشَاؤُنَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ} فهذه المعونة العادية التي توجد بإذن الله يجوز طلبها من سائر البشر باعتبار السببية بالاتفاق.

٨) هذا الإذن عام وذاك خاص؟

الجواب: لذلك تطلب المعونة الغير العادية من خواص العباد والعادية من العوام.

٩) ما هي الفائدة لنزول قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ}؟
الجواب: الرد على الجهال الذين يقولون "مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ" زاعمين بأنه ينبغي أن يكون الرسول ملكا وكذا الرد على من يتوهم حين ظهر منه معجزات كثيرة خارقة للعادة انه ملك ليس من نوع الإنسان على أنه لا يلزم من قوله تعالى {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ} أن يكون كل دابة حتى الجاموس مثل الإنسان في جميع الأمور.

١٠) رجاء المعونة الغير العادية يكون دعاء وعبادة داخلا في قوله تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ} وفي قوله ﷺ: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ" بخلاف رجاء المعونة العادية فيكون سؤالا وطلبا؟

الجواب: هذا مجرد اختراع من بين أيديكم ومن بين أرجلكم لم نجد هذا الفرق في كتاب ولا في سنة ولا في كلام الأئمة وقد تقدم الرد عليه في باب التوحيد والشرك وفي باب العبادة والإله رجاء الصحابة بفضل وضوئه البركة حيث كانوا يقتتلون على وضوئه هل كان رجاء للمعونة العادية إنكم زعمتم أن رجاء البركة بطعام المولد شرك أو رجاء الصحابة للشفاء بالماء الذي مس شعر النبي ﷺ أو جبته بعد وفاته ﷺ كما تقدم في البخاري ومسلم هل كان طلبا للمعونة العادية وهل يكون داخلا في قوله وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وقوله ﷺ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ كما يدخل فيه من يعظم الأصنام أو يتبرك بآثارها فكما أن رجاء المعونة العادية خارج من قوله تعالى وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو إلخ وقوله ﷺ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ كذلك طلب المعونة الغير العادية بسبب المعجزة والكرامة خارج من أمثال تلك الآية والحديث فالمراد بها رجاء المعونة سواء كانت عادية أو غيرها من إله دون الله.

١١) هذا الرجاء خاص بالنبي ﷺ دون غيره؟

الجواب: سلمت في ضمن جوابك أن رجاء المعونة الغير العادية لا يكون شركا ولا دعاء ولا عبادة ثم إن ادعاء التخصيص تقدم الرد عليه في باب التبركات مع أن ما يكون عبادة لا يجوز لنبي أو ولي بالبداهة.

١٢) إذا رجى معونة غير عادية من شيء دون الله تعالى يقال في حقه انه جعله إلها دون الله؟

الجواب: هذا أيضا اختراع ما سمعنا هذا من سلفنا فعلى هذا يكون معنى الاله المؤثر والنافع بالمعونة الغير العادية فيكون الملائكة كلهم آلهة من دون الله لأن لهم معونة غير عادية كما تقدم في البخاري ومسلم بل لا بد في معنى الإله من اعتبار الاستقلال في المعونة وإلا لا يوجد معنى لقوله تعالى "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا" ولا يصح أن يقال لو كان فيهما معينون بالمعونة الغير العادية بإذن الله إلا الله لفسدتا بل يصح أن يقال لو كان فيهما مؤثرون ونافعون بالاستقلال دون الله لفسدتا وأيضا لا يلزم منه أن يقال إن الصحابة جعلوا فضل وضوئه ﷺ أوجبته أو شعره بعد وفاته إلها ولا قائل به.

١٣) معونة الملائكة وإن كانت غيبية بالنسبة إلينا فهي ظاهرة بالنسبة إليهم؟

الجواب: المعونة بسبب المعجزة والكرامة وإن كانت غيبية بالنسبة إلينا فهي ظاهرة بالنسبة إلى صاحبها.

١٤) رجاء المعونة التي هي فوق المعونة البشرية هو الدعاء والعبادة ورجاء المعونة التي هي تحت المعونة البشرية هو مجرد طلب وسؤال؟

الجواب: الناس أجناس ومعونتهم مختلفة بعضهم الأطباء وبعضهم المهندسون وبعضهم الأنبياء والأولياء لكل منهم معونة غير معونة الآخر يقول عيسى عليه السلام: "أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ" وليست هذه المعونة للأطباء والمهندسين ويجوز طلب تلك المعونة ورجائها منهم بحسب معونتهم فلا يكون رجاء

المعونة بسبب المعجزة والكرامة طلب المعونة التي هي فـوق المعونـة البشريـة.

١٥) رجاء المعونة التي تظهر على يد الإنسـان فـهو طلـب وسـؤال ورجـاء المعونة التى فوق ذلك فهو دعاء وعبـادة؟

الجواب: هذا أيضا اختراع فقد أمر جبريل عليه السـلام النـبي ﷺ أن يسـأل المعونة من ملك الجبال في حديث الطـائف رواه البخـاري وغـيره علـى أنـه تقدم في باب المعجزة أنها تظـهر بخـلاف العـادة علـى يـد مدعـي النبـوة والكرامة تظهر من قبـل الـولي فـالمعجزات والكرامـات تظـهر علـى يـد الإنسان فرجاء المعونة منهم طلب وسؤال وليس دعـاء ولا عبـادة.

١٦) المعجزة توجد عند تحد ي المنكرين ولا يوجـد عنـد الاسـتغاثة أو بعـد الوفاة؟

الجواب: تقدم عن ابن حجر رحمه الله أن المـراد مـن شأنهـا التحـدي فكـل معجزة من شأنها التحدي أنظر مثلا إلى تكثـير النـبي ﷺ المـاء عنـد عطـش الناس فجعل الماء يفور من بين أصابعه رواه البخاري ومسلم فـهل كـان عنـد تحدي المنكرين.

١٧) رجاء المعونة حين المشقة الشديدة مع غاية الخضوع وحـين ينقطـع حيـل الإنسان مثلا كان الشخص في السفينة ودنت إليه الرياح مـن كـل جـانب فهو الدعاء والعبادة ولا يكون سؤالا وطلبـا؟

الجواب: هذا أيضا اختراع لم نجد هـذا الفـرق في كتـاب ولا في سـنة ولا في كلام الأئمة وسلمت في ضمن سـؤالك أن الاسـتغاثة حـين لا ينقطـع حيـل البشر ليس بشرك والمعجزة والكرامة توجد مـن البشـر. انظـر إلى اسـتغاثة الصحابة عند القحط الشديد لعدم المطر رواه البخـاري. وهـذا حـين ينقطـع عنهم حيلهم مع غاية الخضوع وكـانوا يقولـون:

وَلَيْسَ لَنَا إِلاَّ إِلَيْكَ مَفَرُّنَا ... وَأَيْنَ فِرَارُ الْخَلْقِ إِلاَّ إِلَى الرُّسُلِ

وانظر إلى استغاثتهم عند العطـش الشديـد رواه البخـاري ومسـلم، كـانت عند انقطاع حيلهم مع غاية الخضوع وانظر إلى استغاثة جميـع الأمـم في يـوم

المحشر(رواه البخاري ومسلم وغيرهمـــا)
توجد عند المشقة الشديدة حين ينقطـــع حيلـهم مـــع غايـــة الخضـــوع وتقدم في باب العبادة أنه لا بد لكون الخضوع والرجــاء دعــاء وعبــادة من اعتبار الاستقلال في المخضوع والمرجــو منــه، بحيــث إن نفعــه بــلا إذن أحد لا راد لنفعه ولا مانع لما أعطى ولا معطي لمـــا منـــع ولا راد لمـــا قضى فيوجد أقصى غاية الخضـــوع وهـــو الدعــاء والعبــادة. والمؤمـــن يعتقد أن المعجزة والكرامة بإذن الله تعــالى وإرادتــه وليــس لصاحبــها استقلال في ذلك فلا يكون دعاء وعبـــادة.

١٨) الأنبياء والأولياء.هل لهم قدرة للمعجـــزة والكرامـــة؟

الجواب: لهم قدرة لها بمعنى سلامة الآلات والأسباب لا بمعـــنى التأثـير فالتأثـير لله وحده ولهذا يقول المؤمن بعد حصول المعونـــة الحمـــد لله وتقـــدم التفصيـــل في باب قدرة الإنسان واســـتطاعته.

١٩) الاستغاثة بالله هو الأفضل أو بالأنبيـــــاء؟

الجواب: الاستغاثة في الأمور العادية بالله هو الأفضل أو بســـائر العـــوام؟ فمـــا هو جوابكم؟ فهو جوابنا. ولا شك أن اعتقـــاد المؤمـــن أنـــه ليـــس للأســـباب تأثير وإنما التأثير لله وحده فالاستغاثة في الأمور العاديـــة وغيرهـــا بـــالله وحـــده ولهذا يقول المؤمن بعد حصول المعونة اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وأمـــا التعلـــق بالأســـباب فـــهو تعلق بما أمر الله به فالمستغاث به هو الله تعـــالى في الشقـــين.

٢٠) هل ثبتت من النبي ﷺ الاســـتغاثة؟

الجواب: نعم! ثبتت منه ومن غيره من الأنبياء وأمروا بهـــا وأقـــروا بهـــا كمـــا قال الإمام السبكي في شفاء السقام حيـــث قـــال ﷺ: "مَـنْ أَرَادَ عَوْنـًا وَهُـوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا أَنِيسٌ فَلْيَقُـــلْ: "يـَا عِبـَادَ اللهِ أَغِيثُـونِي" فَـإِنَّ لِلّٰهِ عِبـَادًا لاَ تَرَوْنَهُمْ" كما تقدم. وفي رواية"مَنْ نَـزَلَ مَنْـــزِلاً فَقـَالَ أَعُـوذُ بِكَلِمـَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُـــرَّهُ شَـيْءٌ حَـتَّى يَرْتَحِـلَ مِـنْ مَنْـــزِلِهِ (رواه مسلم) فالمراد بكلمات الله تلك العباد (يا عبـــاد الله أغيثـــوني) روى البخـــاري

عن ابن عباس كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ "أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ......إلخ ويقول إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ. فاستغاث النبي ﷺ وإبراهيم عليهما السلام بعباد الله وقد أمره الله تعالى بالسؤال لمن أرسل قبله بقوله " وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ......إلخ وقد أمره ﷺ جبريل بسؤال المعونة من ملك الجبال(رواه البخاري أيضا)

وقال سليمان عليه السلام {أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا} الا ترى إلى قول عيسى عليه السلام {مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ"وإلى قول موسى للخضر عليه السلام : {لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا} كما يدعو سائر المسلمين {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا) ويقر آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ من أولي العزم على الاستغاثة والاستشفاع يوم القيمة رواه البخاري ومسلم وسائر المحدثين والظاهر من قول عيسى عليه السلام {مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ} عموم من ينصر فإذا ثبت بنص القرآن أن الملائكة والشهداء وأرواح المؤمنين ينصرون بقوله {وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ'وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} فالمراد العموم ولا يقال يكفي له نصرة فلان دون فلان.

٢١) سؤال الموتى لا فائدة فيها وكيف يحصل المعونة من الموتى وقال تعالى: إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى؟

الجواب: إذا لم يكن في سؤال الموتى فائدة فكيف سؤال منكر ونكير في القبر ونص القرآن أن الشهداء والصالحين ينصرون وقال"وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، والرفيق المعين كما في كتب التفسير واللغة ويقول الملائكة"نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ"وقد حصل المعونة من موسى عليه السلام بعد وفاته ليلة الإسراء لجميع المسلمين بنقص الصلوة من الخمسين إلى الخمس رواه البخاري وتقدم أن المنفي في الآية سماع الأجساد لا سماع الأرواح فكيف تنكرون بنص القرآن والحديث.

٢٢) أحياهم الله تعالى عند سؤال منكر ونكير وكذا أحيي موسى عند الإسراء أما في بقية الأحيان فليسوا بأحياء؟

الجواب: ليس حياتهم في ذلك الوقت فقط وقد نص القرآن أن الشهداء أحياء وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ. فالأنبياء بالأولى. وثبتت حياة الأنبياء بالأحاديث الصحيحة كما تقدم من السيوطي وغيره وكذا بقية الموتى أرواحهم باقية بعد مفارقة البدن، إما منعمة وإما معذبة وهو مذهب الصحابة والتابعين كما تقدم عن البيضاوي.

٢٣) نص القرآن أنهم أحياء عند ربهم فلا يسمعون ما نقول ولا نعلم أحوالهم؟

الجواب: تقدم في حديث البخاري أن القتلى من أهل بدر سمعوا كلام النبي ﷺ وان الموتى يسمعون قرع نعال المشيعين وأن النبي ﷺ رأى عذاب القبر فليس معنى "عِنْدَ رَبِّهِمْ" أنهم لا يسمعون ما نقول ولا نعلم أحوالهم. بل كلنا أحياء عند ربنا فمعنى عند ربهم أنهم مقربون عند ربهم.

٢٤) إن كانوا أحياء فكيف يجوز تزويج نسوتهم وتقسيم مالهم بين الورثة؟

الجواب: ليس المراد أنهم أحياء بالجسد المخصوص بل أرواحهم باقية منعمة وهل تقول إن تزويج نسائهم أو تقسيم أموالهم موقوف إلى مضي سؤال منكر ونكير؟

٢٥) سماع القتلى من أهل بدر وكذا رأي النبي ﷺ عذاب القبر بمعجزته ﷺ؟

الجواب: سلمت أن الموتى يسمعون بالمعجزة، والاستغاثة طلب المعونة بسبب المعجزة والكرامة ، فلا إشكال. ولا يجب أن يكون المعجزة في جانب المستغيث بل يكفي أن تكون فيجانب المستغاث منه.

٢٦) إذا كانت الاستغاثة في الحضور فلا يكون شركا بخلاف ما إذا كانت في الغيبة أو بعد الموت فتكون شركا؟

الجواب: لا يمكن أن يكون الفرق بين التوحيد والشرك بالقرب والبعد أو الحيوة والموت وإلا لكانت الاستغاثة من القرب أو بالحي مع اعتقاد

الألوهية غير شرك ولم يقل به أحد. فالاستغاثة من البعد أو بعد الموت لا تزيد على الاستغاثة من القرب. في الحيوة إلا باعتقاد كون السماع من البعد معجزة بإذنه تعالى أو باعتقاد أن المعجزة بإذنه تعالى لا تنقطع بالموت ولا قائل بكون هذا الاعتقاد شركا. ولا نجد في كتاب ولا سنة ولا في كلام الأئمة أن هذا الاعتقاد شرك. بل نجد خلافه كما تقدم أدلته.

٢٧) بعض الأحاديث التي استدلت بها ضعفه بعض المحدثين؟

الجواب: صححه بعض المحدثين أيضا حتى قال ابن كثير نفسه عن حديث مالك الدار(اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ......) إسناد جيد قوي(مسند الفاروق ٢/٣٣١) مع أن لبعضها طرقا كثيرة فلا بد يكون صحيحا لغيرها ومع أن مضمونها يؤيده أحاديث البخاري ومسلم ومع أن كثيرا من الحفاظ نقل تلك الأحاديث في كتبهم ولم يقل واحد منهم بعد نقلها إن هذا شرك أو كفر أو حرام أو كراهة أو خلاف الأولى كما يقوله الخصم في كتابه.

٢٨) هل يقال يا يشوع أغثني؟

الجواب: لا نعلم اليشوع، ولو قال شخص يا نبي الله عيسى أغثني معتقدا المعونة بمعجزته بإذن الله تعالى فلا يكون شركا.

٢٩) هل يستغاث برؤساء الهنود والمشركين مثلا... يا رامن أغثني؟

الجواب: فيكون المستغيث معتقدا أن لهم كرامة بعد موتهم وأن دينهم حق. فيكون شركا. وإن لم يعتقد أن دينه حق فكيف يوجد منهم الكرامة بعد الموت بل هم في سجين.

٣٠) المستغيث بمعجزة الأنبياء بعد وفاتهم يكون مشركا من أربعة وجوه؟
مثلا يثبت علم الغيب لغير الله وهو مختص به؟

الجواب: يكون مسلما بثمانية وجوه.

١) إن المستغيث يعتقد أن فلانا نبي الله.

٢) إن فلانا يكرمه الله بالمعجزة الخارقة للعادة.

٣) إن دينهم حق وأنه دين الله.

٤) يبقى الله كرامته بعد وفاته ولم يتركه مـــع موتـــه.

٥) إن الله يحبه ويجيب دعائـــه.

٦) إن العبد إذا عمل كما أمره يحبه ويجيـــب دعائـــه.

٧) إن الموت ليس فناء محضا بل الصالحون أحياء عنـــد ربهـــم.

٨) وإذا رأى المعونة والمعجزة يزيد إيمانا مع إيمان ويكـــون علمـــه بـــالله كانـــه محسوس وعين يقين ويحمد الله عليها والمختص بالله تعالى هـــو علـــم الغيـــب على الاستقلال وعلم الغيب بالإذن ليس صفة لله تعالى علـــى أنـــك أثبـــت اليد لله تعالى وزعمت أن قولك يد لا كسائر الأيدي ينفـــي الشـــرك وكـــذا علم الغيب لا كسائر علم الغيب فينتفي الشـــرك أيضـــا فـــإنك إذا أثبـــت علم الغيب لله ثم أثبته للإنسان كما يكون شركا كذلـــك إذا أثبـــت علـــم الغيب للإنسان ثم أثبته لله يكون شركا فكذلـــك إذا أثبـــت اليـــد للإنســـان ثم أثبته لله يكون شركا كما قال ابن عبـــاس في قولـــه تعـــالى "وَمَـا يُؤْمِـنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ"كما تقـــدم في بـــاب المجســـمة والمشبهـــة ولا يرد علينا الاعتراض هناك لأن التركيب من الجـــوارح يلـــزم منـــه التشبيـــه والحدوث بخلاف العلم وغيره من الصفات فإنها ليســـت غـــير الـــذات فـــلا يلزم التركيب في المنشأ وَالْمُعْتَبَرِ ولا عـــبرة بالاعتبـــار.

٣١) إذا كان اعتقاد الكفار مثـــل اعتقـــاد المســـلمين أن رؤســـائهم ينفعـــون بالمعونة بإذن الله تعالى وليس لهم استقلال في ذلك هل يكـــون شركـــا؟

الجواب: لا يكون شركا بل جهلا وهم كفار حيـــث لم يؤمنـــوا بمـــا جـــاء بـــه النبي ﷺ.

٣٢) ما هو الفرق بين المسلمين يســـتغيثون برؤســـائهم والمشركـــين يســـتغيثون برؤسائهم ويقولون مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَـا إِلَى اللهِ زُلْفَـى.وَيَقُولُـونَ هـؤُلاَءِ شُفَعَائُنَا عِندَ اللهِ؟

الجواب: كالفرق بين طواف المسلمين بالكعبة واستلامهم بـــالحجر الأســـود وبـــين طواف المشركين بمعبدهم واستلامهم بصنمهم فبينـــهما بـــون بعيـــد في الاعتقـــاد

والاعتبار وليس الفرق بأن هؤلاء طافوا في القرب وهـؤلاء طـافوا مـن البعـد أو هذا في الحيوة وهذا بعد الممات وكذا إذا طلـب الشفاعـة مشـرك مـن قـرب الصنم يكون شركا مع كون الطلـب مـن القـرب وتقـدم في بـاب التوحيـد والشرك أن قوله تعالى " مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ،وَهٰـؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَـا عِنْـدَ اللهِ نـزلت في ثلاثة أحياء من العرب عامر وكنانة وبني سلمة الذيـن قـالوا الملائكـة بنات الله وتقدم الدليل عليه فهذه الطائفة مشركون سـواء طلبـوا الشفاعـة مـن تلك الملائكة أم لا كمن اعتقد أن مع الله آلهة أخرى لهم قـدرة علـى الاسـتقلال بلا إذن الله. وزعم أن خالق السـماء والأرض ومـا بينـهما هـو الله وحـده وان مدبرها هو الله فقط وأن الرازق والخالق هو الله وحده وأن الله هـو الوالـد لهـذه الآلهة يكون مشركا قطعا فالحاصل الاسـتقلال معتـبر في معـنى الإلـه وإلا فـلا يوجد معنى لأمثال قوله تعالى {لَوْ كَـانَ فِيـهِمَا آلِهَـةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَـدَتَا} لأن فعـل الإله إذا لم يوجد بدون إذن الإله الآخر فلا يوجد الفسـاد وكـل هـذا ظـاهر جدا. والله الموفق.

٣٣) أمر الله بالطواف لهذا لم يكن شركا ولو لم يأمر به لكـان شركـا؟

الجواب: لو لم يأمر بـه لا يكـون شركـا لأن الشـرك اعتقـاد إلـه دون الله وليس في الطواف ما يدل عليه ولا يكون متضمنـا لـه علـى أن أمـره تعـالى بالطواف يدل على أنه ليس بشرك ولَوْ لَمْ يَأمرْ بـه لأن الله لا يـأمر بمـا فيـه شرك قبل الأمر كما قال وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُـدُوا إِلَّا إِيَّاهُ.

٣٤) ما هو حكم الاسـتغاثة؟

الجواب: الاستغاثة بغير الله في الأمور العاديـة أصـل الحكـم فيـه الجـواز، وقـد يكون سنة أو واجبا أو كراهة أو حراما لعارض، وأصـل حكـم الاسـتغاثة بسـبب المعجزة والكرامة السنة كما قـال السـبكي في شفـاء السـقام: "يَجُـوزُ وَيَحْسُـنُ" والحسن مرادف للسنة. قاله ابن حجر (باب في صـلاة النفـل) والسـنة والتطـوع والحسن والمرغب فيه والمستحب والمندوب والأولى ما رجـح الشـارع فعلـه علـى

وقال ابن حجر يطلب وفاقا للسبكي كما في شرح الإيضاح وقال الله تعالى وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ. عن ابن عباس إِذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمْ عَرْجَةٌ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ أَعِينُوا عِبَادَ اللهِ. رواه الطبراني قال الهيثمي رجاله ثقات.

خَتمُ[1] النُبُوَّةِ

[1] ومن المصائب العظمى والبلايا الكبرى على الإسلام أن رجلا من الملحدين الدجالين المسمى ميرزا (١٨٣٩-١٩٠٨) خرج من البنجاب من إقليم الهند. وهو مع كونه مدعيا للإسلام كذب الشريعة وعصى الله ورسوله، وكان أول ما ادعاه أنه محدث وملهم من الله تعالى ثم كثرت فتنه وعظمت بليته من سنة ست وألف وثلاث مأة وألف الرسائل العديدة (منها توضيح المراد وإزالة الأوهام وفتح الإسلام وغير ذلك من التحريرات) في إثبات ما ادعاه من الإلهامات الكاذبة والدعاوي العقلية الواهية وأقوال الزندقة والإلحاد. وحرف الكلم والنصوص الظاهرة عن مواضعها وتقول بما تقشعر منه الجلود وبما لم تجترئ عليه إلا غير أهل الإسلام. أعاذنا الله تعالى والمسلمين من شروره. فمن أقواله التي صرح بها في رسائله أن نزول عيسى بن مريم ورفعه إلى السماء بجسده العنصري من الخرافات والمستحيلات.

وادعى أن عيسى المسيح الموعود في الشريعة المحمدية والخارج في آخر الزمان لقتل الدجال ليس هو عيسى بن مريم الذي توفي بل المسيح الموعود مثيله وهو أنا الذي أنزلني الله تعالى في القاديان وأنا هو الذي جاء به القرآن العظيم ونطقت به السنة النبوية. وأما عيسى بن مريم فليس بحي في السماء.

وأنكر وجود الملئكة على الوجه الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ وأنكر نزول جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ وأنكر نزول ملك الموت وأنكر ليلة القدر.

ويذهب في وجود الملائكة مذهب الفلاسفة والملاحدة ويقول إن النبوة التامة قد انقطعت ولكن النبوة فهي باقية إلى يوم القيمة لا انقطاع لها أبدا. وأن أبواب النبوة الجزئية مفتوحة أبدا ويقول إن ظواهر الكتاب والسنة مصروفة عن ظواهرها وإن الله تعالى لم يـنزل يبين مراده بالاستعارات والكنايات وغير ذلك من الخرافات والعقائد الباطلة.

وأكثر عقائده ومعظم مقالاته موافق لمقالات الفرقة النيجرية الطاغية ومطابق لمذهب هؤلاء الطائفة الزائغة، فإن الطائفة النيجرية أحدثت في أرض الهند وتقولت على الله بما لم يقل به وصنف رئيس النيجرية وإمامهم تفسيرا للقرآن الكريم بلغة الهند ففسره برأيه الفاسد وحرف فيه معاني القرآن وصرف إلى غير محله وجاء بالطامة الكبرى وأنكر معظم عقائد الإسلام وأحكم وأتقن مذاهب الفلاسفة وأهل الأهواء وعكف على تأليفات هؤلاء فاستخرج عنها ما أراد من الأقوال المضادة للشريعة والمخالفة للسنة النبوية عليه أفضل الصلاة والتحية ورد الأحاديث

قال السعد: الإيمان تصديق النبي ﷺ في جميع ما علم بالضرورة مجيئه به من عند الله تعالى إجمالا.(شرح العقائد ١٢٦). ومن المعلوم بالضرورة ختم النبوة فمن أنكره خرج من الإيمان كما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم حيث كان جهادهم لمسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وأهله بالإجماع[٢] والإتفاق مع إقرار مسيلمة برسالة النبي ﷺ كما يدل عليه

الصحيحة الثابتة وأنكر وجود الملائكة والجن والشياطين والجنة والنار وأنكر المعجزات باسرها وأثبت الأب لعيسى ابن مريم عليه السلام وغير ذلك من المقالات الباطلة المردودة وصنف لاثبات هذه المقالات رسائل كثيرة وحرر التحريرات فضل وأضل كثيرا من الناس لكن علماء الإسلام لم يزل دأبهم وهمتهم لرد مقالات أهل الإلحاد والزيغ والفساد ويعدون ذلك خير ذخيرة للمعاد.

فالواجب على كل مسلم أن يبين للناس ضلال هذا الرجل المفتري المدعي أنه مثيل عيسى فإن رسول الله ﷺ قال في وصف عيسى عليه السلام بأنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض وانه ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل وإنه بنزوله تذهب الشحناء والتباغض والتحاسد وأنه يدعو إلى المال فلا يقبله أحد وأنه يحثوا المال وانه يقاتل على الاسلام ولا وجود لهذه الاوصاف الشريفة المذكورة في هذا الرجل المدعي انه مثيل عيسى عليه السلام وهذا الرجل له أب وجد وليس فيه من الصفات ما يصح دعواه بل دعاويه كلها أكاذيب واهية تدل على ضلاله وسخف عقله وفساد رأيه (ومن يضلل الله فما له من هاد).

وقد رد عليه جماعة من العلماء . واتفقت كلمتهم بأن الرجل المذكور قد أظهر في رسائله عقائد كفرية ومقالات بدعية خرج بها عن اتباع السنن والإسلام وتبع فيها الفلاسفة والآرية والنصارى والملاحدة الباطنية اللئام وانه قد عارض الحق الصريح وانكر كثيرا من ضروريات الدين وإجماع سلف الصالحين فلا ينبغي للمسلمين أن يجالسوه ويخالطوه والله تعالى أعلم.

[٢] فإن قلت كان جهاد الصحابة لدعوى مسيلمة الملك والسياسة في نصف الأرض كما يدل عليه لفظ الأمر في قوله: إني أشركت في الأمر وفي رواية في الأرض اقول هذه الروايات تشمل النبوة والسياسة مثلا النبوة والسياسة لي في أرض كذا ولك في أرض كذا والأمر أيضا عام

خطه إلى النبي ﷺ، وكان صورته هكذا:

مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّيْ أَشْرَكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَكَ.(طبري ٣٩٩/٢).

وكان في أذان أهل مسيلمة أشهد أن محمدا رسول الله. كما في الطبري أيضا. وجعل الصحابة رضي الله عنهم نسائهم بعد الجهاد إماء كما هو حكم جهاد الكفار. وكان محمد بن الحنفية ﷺ ابنا لعلي بن أبي أبي طالب ﷺ من أمة من تلك الإماء كما في البداية لإبن كثير(٣١٦/٢).

وفي فتاوى عالمكيري إذا لم يعرف الرجل أن محمدا ﷺ آخر الأنبياء فليس بمسلم ...... وكذلك لو قال أنا رسول الله يكفر ولو انه حين قال هذه المقالة طلب غيره منه المعجزة قيل يكفر الطالب والمتأخرون من المشائخ قالوا إن كان غرض الطالب تعجيزه وافتضاحه لا يكفر.(فتاوى عالمكيري ٨٨٤/٢).

قال ابن قدامة.من ادعى النبوة أوصدق من ادعاه فقد ارتد لأن مسيلمة لما ادعى النبوة فصدقه قومه صاروا بذلك مرتدين فكذلك طليحة الأسدي ومصدقوه .(مغني لابن قدامة ١٥٠/٨).

قال القاضي عياض وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ أو بعده... أو من ادعى النبوة لنفسه... وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة ....فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي ﷺ لأنه أخبر أنه خاتم النبيين لا نبي بعده... وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء.(الشفا ٢٨٦/٢).

يشمل النبوة والملك فسبب القتال عدم تصديق النبي ﷺ فيما علم مجيئه ﷺ بالضرورة سواء كان انكارا للنبوة الكاذبة لمسيلمة أوغيره ولهذا لم يجعل الصحابة نساء المقتولين المسلمين في الجهاد السياسة إماء

قال ابن حجر أو جَوَّزَ نبوةَ أحدٍ بعد وجودِ[٣] نبينا وعيسى نبي قبلُ فلا يرد .... كُفِّرَ (تحفة ٨٧/٩).

أو أُوحِيَ إليَّ وإن لم يَدَّعِ النبوة.(شرواني ٨٧/٩).

قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} (أحزاب ٤٠).

ولا يمكن التاويل الباطل لخاتم النبيين لأن النبي ﷺ نفسه فسره ولا يجوز تفسير القرآن مخالفا لبيانه وبينه بأحاديث كثيرة قال ﷺ إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ .(بخاري كتاب المناقب باب خاتم النبيين)

وقال ﷺ كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ[٤] .(بخاري كتاب المناقب).

---

[٣] قال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية قال النووي في التهذيب أما ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش إبراهيم كان نبيا فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات.وقد تعجب شيخ الإسلام في الإصابة وقال إنه ورد عن ثلاث من الصحابة ولا يظن بالصحابي انه هجم على مثل هذا بظنه وبين السيوطي أنه صح عن أنس أنه سئل النبي ﷺ عن ابنه إبراهيم قال لا أدري، رحمة الله على إبراهيم لو عاش لكان صديقا نبيا وروى أبو داود انه مات وعمره ثمانية عشر شهرا. قال الهيتمي ولا بعد في اثبات النبوة له مع صغره لأنه كعيسى القائل يوم ولد إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا وكيحيى الذي قال تعلى فيه وآتيناه الحكم صبيا. قال المفسرون انبئ وعمره ثلاث سنين واحتمال نزول جبريل بوحي لعيسى او يحيى يجري في إبراهيم إلخ (فتاوى الحديثية ١٧٥) فعلى هذا معنى قوله في التحفة أو جوز نبوة أحد بعد وجود نبينا بعد وفاته فحين ما كان له وجود يكون حيا فبعد الوجود هو بعد الحيوة وأما انكار نبوة مسيلمة في حيوته ﷺ لكونه كاذبا فيها

[٤] روى أبو داود مرفوعا أنه ﷺ قال لا يزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة. (أبو داود – كتاب المهدي، ولفظ مسلم لا يزال أمر الناس

ماضيا ما ولاهم اثنا عشر رجلا - وفي رواية الخلافة بعدي ثلاثون سنة. وقال النووي في شرح مسلم قال القاضي قد توجه هنا سؤالان أحدهما أنه قد جاء في الحديث الآخر الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا وهذا مخالف لحديث اثنى عشر خليفة فإنه لم يكن في ثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة والأشهر التي بويع فيها الحسن بن علي قال والجواب عن هذا ان المراد في حديث الخلافة ثلاثون سنة خلافة النبوة وقد جاء مفسرا في بعض الروايات خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ولم يشترط هذا في الاثني عشر.

والسؤال الثاني انه قد ولي أكثر من هذا العدد قال: وهذا اعتراض باطل لأنه لم يقل لا يلي إلا اثنا عشر خليفة وإنما قال يلي وقد ولي هذا العدد ولا يضر كونه وجد بعدهم غيرهم اهـ قال هذا ان جعل المراد باللفظ كل وال ويحتمل أن يكون المراد مستحقي الخلافة العادلين وقد مضى منهم من علم ولا بد من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة اهـ.

خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما وخلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال وخلافة عثمان اثنتي عشر سنة الا اثني عشر يوما وخلافة علي خمس سنين وثلاثة أشهر إلا أربعة عشر يوما. فهذه خلافة النبوة ثلاثون سنة . وأما الخلفاء اثنا عشر فقد قال جماعة منهم أبو حاتم بن حبان وغيره إن آخرهم عمر بن عبد العزيز فذكروا الخلفاء الأربعة ثم معاوية ثم يزيد ابنه ثم معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم عبد الملك ابنه ثم الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز وكانت وفاته على رأس المأة وهي القرن الفضل الذي هو خير القرون وكان الدين في هذا القرن في غاية العزة والدليل على أن النبي ﷺ إنما وقع عليهم اسم الخلافة بمعنى الملك غير خلافة النبوة قوله في الحديث الصحيح من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة سيكون من بعدي خلفاء يعملون بما يقولون ويفعلون ما يؤمرون وسيكون من بعدهم خلفاء يعملون بما لا يقولون ويفعلون ما لا يؤمرون، من أنكر برأ ومن أمسك سلم ولكن من رضي وتابع. ثم وقعت حادثة قتل عثمان وتفرق المسلمين وفي سنة ست وثلاثين وقعة الجمل والصفين وفي هذه الحوادث ظهر التقابل بين المسلمين وجعل جهاد الكفار متروكا ثم بعد ذلك جعل أمر الخلافة منتظما وامضئ الجهاد ضعيفا ثم ظهر خلافة بني العباس وتلاشى خلافة بني أمية حتى حدثت الحادثة الجنكيرية وإليها إشارة في حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أني لأرجو أن لا يعجز أمتي عند ربي ان يؤخرها نصف يوم فقيل لسعد وكم نصف يوم قال خمس مأة سنة رواه أحمد. والحاصل الخلافة كلي مشكك بعضها أكمل وبعضها كامل وبعضها مطلق والخلافة في هذا العصر للعلماء والأمراء في بلاد المسلمين وغيرها

قال الله تعالى وما على الرسول إلا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركوا بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (النور ٥٥)

وقال ﷺ: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". (رواه أبو داود في أول كتاب الملاحم)

قوله (على رأس كل مائة سنة) أي انتهائه أو إبتدائه قاله القاري وقال المناوي في مقدمة فتح القدير واختلف في رأس المائة هل يعتبر من المولد النبوي أو البعثة أو الهجرة أو الوفاة ولو قيل بأقربية الثاني لم يبعد. لكن صنيع السبكي وغيره مصرح بأن المراد الثالث اهـ . قال في مرقاة الصعود نقلا عن ابن الأثير إنما المراد بالمذكور من انقضت المائة وهو حي معلوم مشهور مشار إليه فالمجدد لايكون إلا من كان عالما بالعلوم الدينية ومع ذلك كان عزمه وهمته آناء الليل والنهار إحياء السنة وإماتة البدعة باللسان أو تصنيف الكتب او التدريس مشهورا بين الناس مرجعا لهم. وقال في فتح الباري وهو (أي حمل الحديث على أكثر من واحد) متجه. فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد إلا أن يدعى ذلك في عمر ابن عبد العزيز............
فعلى هذا كل من كان متصفا بشيئ من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد ام لا اهـ
وقال الحافظ في توالي التأسيس: حمل بعض الأئمة من في الحديث على أكثر من الواحد. وهو ممكن بالنسبة للفظ الحديث الذي سبقته.

لكن الرواية عن أحمد بلفظ رجل وهو أصرح في رواية الواحد من الرواية التي جاءت بلفظ من لصلاحية من للواحد وما فوقه.

ويستدل على أن المراد برأس المائة هو آخرها لا أولها، أن الزهري وأحمد بن حنبل وغيرهما من الأئمة المتقدمين والمتأخرين اتفقوا على أن من المجددين على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله وعلى رأس المائة الثانية الإمام الشافعي رحمه الله. وقد توفي عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومائة وله أربعون سنة ومدة خلافته ستان ونصف وتوفي الشافعي سنة أربع ومائتين. وله أربع وخمسون سنة. قال الحافظ في توالي التأسيس: قال أبو بكر البزار سمعت عبد الملك بن عبد الحميد الميموني يقول كنت عند أحمد بن حنبل فجرى ذكر الشافعي فرأيت أحمد يرفعه وقال روى عن النبي ﷺ يقول إن الله تعالى يقيض في رأس كل مائة سنة من يعلم الناس

دينهم. قال: فكان عمر بن عبد العزيز في رأس المائة الأولى وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى.

وقال أحمد أيضا فيما أخرجه البيهقي من طريق أبي بكر المروزي قال قال أحمد بن حنبل إذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خبرا قلت فيها بقول الشافعي لأنه إمام عالم من قريش. وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: عالم قريشي يملأ طباق الأرض علما" وذكر في الخبر أن الله يقيض في رأس كل مائة سنة من يعلم الناس دينهم قال أحمد فكان في الأولى عمر بن عبد العزيز وفي المائة الثانية الشافعي ومن طريق أبي سعيد الفريابي قال قال أحمد بن حنبل إن الله يقيض للناس في كل رأس مائة من يعلم الناس السنن وينفي عن النبي ﷺ الكذب. فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي.

فقال ابن عدي سمعت محمد بن علي بن الحسين يقول سمعت أصحابنا يقولون: كان في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وفي الثانية محمد بن إدريس الشافعي قال الحافظ بن حجر وهذا يشعر بأن الحديث كان مشهورا في ذلك العصر ففيه تقوية للسند المذكور مع أنه قوي لثقة رجاله .

فلو لم يكن المراد من رأس المائة آخرها بل كان المراد أولها لما عدوا عمر بن عبد العزيز من المجددين على رأس المائة الأولى ولا الامام الشافعي على رأس المائة الثانية. لانه لم يكن ولادة عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى فضلا عن أن يكون مجددا عليه. وكذلك لم يكن ولادة الشافعي على رأس المائة الثانية فكيف يصح كونه مجددا فإن قلت: الظاهر من رأس المائة من حيث اللغة أولها لا آخرها. فكيف يراد آخرها؟! قلت: كلا بل جاء في اللغة رأس الشيء بمعنى آخره أيضا. قال في تاج العروس: رأس الشيء طرفه وقيل آخره. قلت: وعليه حديث ابن عمر أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد. أخرجه الشيخان. فإنه لا مرية في أن المراد من رأس المائة في هذا الحديث هو آخر المائة.

قال الحافظ في فتح الباري في تفسير رأس مائة سنة أي عند انتهاء مائة سنة اهـ. وقال الطيبي:الرأس مجاز عن آخر السنة وتسميته رأسا باعتبار أنه مبدأ لسنة أخرى اهـ.

وعليه حديث أنس بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين . وتوفاه الله على رأس ستين سنة. الحديث أخرجه الترمذي في الشمائل. قال في مجمع البحار توفاه على رأس ستين أي آخره. ورأس آية آخرها. انتهى. وقال الكرماني قد كان قبيل كل مائة أيضا من يصحح ويقوم بأمر الدين وإنما المراد من انقضت المدة وهو حي عالم مشار إليه ولما

كان ربما يتوهم متوهم من تخصيص البعث رأس القرن ان العالم بالحجة لا يوجد الا عنده رد ذلك بما يبين انه قد يكون في أثناء المائة من هو كذلك بل قد يكون أفضل من المبعوث على الرأس وان تخصيص الرأس إنما هو لكونه مظنة انخرام علمائه غالبا وظهور البدع وخروج الدجالين اهـ.

وقال الطيبي ايضا المراد بالبعث من انقضت المائة وهو حي عالم مشهور مشار إليه.

ثم ان العلماء بينوا أسماء المجددين الماضين وصنف السيوطي في ذلك فقال السيوطي في تحفة المهتدين بأخبار المجددين ان المجدد في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وفي الثانية الشافعي وفي الثالثة ابن سريج أوالأشعري وفي الرابعة الباقلاني او الإسفرايني أوسهل وفي الخامسة الغزالي وفي السادسة الرازي أو الرافعي وفي السابعة ابن دقيق العيد وفي الثامنة البلقيني وعد السيوطي نفسه في التاسعة وعد بعض العلماء في التاسعة الشيخ زكريا الأنصاري وفي العاشرة شمس الدين الرملي وقيل ابن حجر وأما في الحادية عشر والثانية عشر والثالثة عشر العلماء المشهورون في تلك القرون في بلاد المسلمين ولا يتعين أن يكون شخصا واحدا بل قد يكون أشخاصا متعددة وقد يكون جماعتهم وقد يكون أهل السياسة داخلا فيهم من كل من له دخل في تجديد الإسلام ولا يكون منهم القادياني بل من الدجالين.

ثم إن المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الأعصار انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولى على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي وخرج أحاديث المهدي جماعة منهم أبو داود وابن ماجه والبزار والحاكم والطبراني وأبو يعلى وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعلي الهلالي وعبد الله بن جزأ رضي الله عنهم.

واسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف وقد بالغ المؤرخ ابن خلدون في تضعيف أحاديث المهدي كلها فلم يصب بل أخطأ وما روى مرفوعا من رواية محمد بن المنكدر عن جابر من كذب بالمهدي فقد كفر فموضوع والمتهم فيه أبو بكر الإسكاف وربما تمسك المنكرون لشأن المهدي بماروى مرفوعا انه قال لا مهدي إلا عيسى بن مريم و الحديث ضعفه البيهقي والحاكم وفيه أبان بن صالح وهو متروك الحديث على انه يمكن حمله على معنى لا مهدي كامل إلا عيسى بن مريم كما قاله القرطبي في التذكرة كما يقال لا سيف الا ذو الفقار ولا عالم الا فلان فالمهدي اقسام ففي الحديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين.

وفي مسلم أربعة روايـــات للحديـــث الأول فمنـــها فَجِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ ومنها خُتِمَ بِيَ الْأَنْبِيَاءُ وفي رواية ان رسول الله ﷺ قـــال فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِـــرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَـــهُورًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ.(مسلم، ترمذي، ابن ماجـــه).

قال ﷺ إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ فَـــلَا رَسُـولَ بَعْـدِي وَلَا نَـبِيَّ (ترمذي كتاب الرؤيا باب ذهاب النبوة، مســـند أحمـــد مرويـــات أنـــس بـــن مالك).

قال ﷺ إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّـالَ وَأَنَـا آخِـرُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ.(ابن ماجه كتاب الفـــتن).

عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قـــال خَـرَجَ عَلَيْنَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا كَالْمُوَدِّعِ فَقَالَ أَنَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ثَلَاثًا وَلَا نَـــبِيَّ بَعْـدِي (مســـند أحمـــد، مرويات عبد الله بن عمـــرو).

قال ﷺ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ قِيلَ وَمَا الْمُبَشِّـــرَاتُ يَـا رَسُـولَ اللهِ قَالَ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ.(أحمد، مرويات ابـــن الطفيـــل).

قال ﷺ لِعَلِيٍّ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْـزِلَةِ هَـارُونَ مِـنْ مُوسَـى إِلَّا أَنَّـهُ لَا نَـبِيَّ بَعْدِي.(بخاري، مسلم كتاب فضائل الصحابة وفي رواية أحمـــد إِلَّا أَنَّـهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي.(مرويات سعد بن أبي وقـــاص).

قال ﷺ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّـهُمْ يَزْعُـمُ أَنَّـهُ نَـبِيٌّ وَأَنَـا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي .(أبو داود، كتـــاب الفـــتن).

فالخليفة الراشد مهدي والمهدي المنتظر مهدي كامل والنبي مـــهدي أكمـــل فالمـــهدي كلـــي منشـــك وتحته انواع وأفراد.

وفي رواية حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ(*) كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ.(أبو داود).

قال ﷺ لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي أَحَدٌ فَعُمَرُ.(بخاري، كتاب المناقب).

قال ﷺ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا أُمَّةَ بَعْدَ أُمَّتِي.(بيهقي ، كتاب الرؤيا، والطبراني).

قال ﷺ فَإِنِّي آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ مَسْجِدِي آخِرُ الْمَسَاجِدِ.(مسلم، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة).

وأمثال هذه الأحاديث التي يبلغ عددها أكثر من [٦] ثلثمائة تفسير وبيان

---

* الدجال من الدجل وهو التغطية وسمي الكذاب دجالا لأنه يغطي الحق بباطله فالدجال أيضا كلي مشكك بعضه دجال بالمعنى الأعم كما قال ﷺ يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم. وبعضه دجال بالمعنى العام كالمتنبي الكاذب وابن الصياد والدابة الجساسة التي ورد بيانها في حديث تميم الداري وغيرهم وبعضه دجال بالمعنى الأخص وهو المسيح الدجال قال ﷺ: من سمع بالدجال فلينأ عنه فو الله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه لما يبعث به من الشبهات رواه أبو داود.

لا يقال مضى قبل ميرزا ثلاثون متنبأ كلهم ادعوا النبوة فلا يكون ميرزا كاذبا لأنا نقول الذين مضوا قبل ميرزا بعضهم متحدون في دعواهم المخصوصة ككونه مسيحا موعودا كالبهائية والنيجرية وغيرهم فالمجموع يكون واحدا كما يجاب بمثل ذلك في ثنتين وسبعين ملة وفي رواية لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا طبراني عن ابن عمر كما في جامع الصغير ٤١٩/٢ وفي فيض القدير أي يغيرون الأحاديث ويكذبون فيها أو يدعون النبوة ٤١٩/٦).

[٦] انظر بخاري مع الفتح ٦٤٥/٦، مسلم: ٥٦/٨، ٥٧/٨، ١٨٧/٨، بخاري مع الفتح:٧١٦/٧، شرح مسلم: ١٩٣/٨، سنن الدارمي: ٣١/١، مسلم: ٣١/١، كنز العمال: ٤٥٢/١١، بخاري: ٦٤١/٦، مسلم:١١٥/٨، شرح مسلم:١١٧/٨، شعب الإيمان: ١٤١/٢، فتح الباري: ٦٤٤/٦، مسند أحمد: ٢٩٧/٢، بخاري مع الفتح:٥٧١/٦، مسلم:

لقوله تعالىٰ "وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ" فإذا جاء تفسير القرآن وبيانه من النبي ﷺ صريحا فلا يجوز حمله على معنى آخر معارض له ولا يلتفت إلى تأويل مخالف لبيان النبي ﷺ الذي أنزل عليه القرآن وأوحي إليه بيانه ووكل إليه تبليغه كما قال تعالىٰ "لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ" فلا يمكن حمل خاتم النبيين على معنى خاتمة المحققين أو خاتمة الأولياء أو خاتمة الشعراء على أن هذه الألفاظ من الإنسان فيمكن أن يوجد محقق آخر بعده والآخر بالنسبة إلى الله فلا يوجد بعده آخر وأما تفسير قوله تعالى {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ} فلا ينتقض عمومه بكونه أبا للطاهر والقاسم وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال(كما في روح البيان ١٨٥/٧). وأما قوله: {وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ} فيمكن أن يكون معناه أي وإن لم يكن له عقب من الرجال لكنه أشرف من الذين لهم عقب لأنه رسول الله وخاتم النبيين فلا بد يكون دينه باقيا إلى يوم القيامة {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} فيكون أشرف الرسل لأنه لا يكون دينه نسيا منسيا كما وقع لمن قبله فيكون الرسول كأنه حي إلى يوم القيمة لا يكون له وفاة من حيث النبوة فهو أشرف الرسل، فما توهمه بعض المنافقين من أن دينه يكون مفقودا مع وفاته ليس بسديد .

قال الرازي لما بين الله ما في تزوج النبي ﷺ بزينب من الفوائد بين أنه كان خاليا من وجوه المفاسد ...{وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ} فإن رسول الله كالأب للأمة في الشفقة من جانبه وفي التعظيم من طرفهم بل أقوى...{وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} ثم بين ما يفيد زيادة الشفقة من جانبه والتعظيم

أحمد: ٢٦٧/٣، بخاري مع الفتح: ٣٩١/١٢، فيض القدير: ٢٩٣/٥، فتح الباري: ٣٦٣/١٢، مسلم: ٤٣٥/٢، ابن ماجه: ٤٤٨/٢، سندي على ابن ماجه ٤٤٨/٢، الدر المنثور: ٢٤٤/٥، جامع الصغير: ٧٤٣/٢، فيض القدير: ٤١٩/٦، مسند أحمد: ٢٣٧/٢، معجم الكبير ١٠٥/٨، مسند أحمد: ٢٥١/٥-٦٢.

من جهتهم بقوله وخاتم النبيين وذلك لأن النبي الـــذي يكـــون بعـــده نـــبي ان ترك شيئا من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده وأما مـــن لا نـــبي بعـــده يكون أشفق على أمته وأهـــدى لهـــم,.(رازي ٢١٤/٢٥).

قال روح البيان{وخاتم النبيين }[٧]قرأ عـــاصم بفتـــح التـــاء وهـــو آلـــة

[٧] وخاتم قرأ عاصم وحده بفتح التاء بمعنى انهم بـــه ختمـــوا فـــهو كالخـــاتم والطـــابع لهـــم وقـــرأ الجمهور بكسر التاء بمعنى أنه ختمها أي جاء آخرهم. وقيـــل الخـــاتم والخـــاتم لغتـــان مثـــل طـــابع وطابع ودانق ودانق. (جامع لأحكـــام القـــرآن ١٩٦/١٤).

وقرأ الجمهور خاتم بكسر التـــاء بمعـــنى انـــه ختمـــهم أي جـــاء آخرهـــم......وقـــرأ الحســـن والشعبي وزيد بن علي والأعرج وعاصم بفتح التاء بمعـــنى انهـــم بـــه ختمـــوا فـــهو كالخـــاتم والطابع لهم. ومن ذهب إلى أن النبوة مكتسبة لا تنقطـــع أو إلى أن الـــولي أفضـــل مـــن النـــبي فـــهو زنديق. (البحر المحيـــط ٢٣٦/٧)

(وخاتم النبيين) الذي ختم النبـــوة فطبـــع عليـــها فـــلا تفتـــح لأحـــد بعـــده إلى قيـــام الســـاعة ....وخاتم النبيين أي آخرهم ....واختلف القراء في قراءة قوله وخـــاتم النبيـــين فذلـــك دليـــل على صحة قراءة من قرأ بكسر التاء بمعنى أنه الذي ختم الأنبيـــاء عليـــهم الصـــلاة والســـلام وقـــرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم خاتم النبيين بفتح التاء بمعـــنى انـــه آخـــر النبيـــين كمـــا قـــرأ مختـــوم خاتمه مسك بمعنى آخره مسك.(تفســـير الطـــبري١٣/٢٢)

ومن قرأ خاتم بكسر التاء فمعناه وختم النبيين ومـــن فتحـــها فـــالمعنى آخـــر النبيـــين قـــال ابـــن عباس: يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ولدا يكون بعـــده نبيـــا. (زاد المســـير ٣٩٣/٦).

(وخاتم النبيين) أي كان آخرهم الذي ختموا به وقرأ بكســـر التـــاء أي كـــان خاتمـــهم ويزيـــده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين وإياما كان فلو كان لـــه ابـــن بـــالغ لكـــان نبيـــا ولا يقـــدح نزول عيسى عليه السلام بعده لأن معنى كونه خاتم النبيين أنه لا يتنبـــئ أحـــد بعـــده وعيســـى ممـــن نبئ قبله وحين ينـــزل إنما ينـــزل عاملا علـــى شريعـــة محمـــد ﷺ مصليـــا إلى قبلتـــه كأنـــه بعـــض

أمته.وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الخاتم وتقويه قــراءة ابــن مســعود (ولكــن نبيــا ختــم النبيين) (مدارك التنــــزيل ٦٩/٣).

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حــاتم عــن قتــادة ﷺ في قولــه {ولكــن رسول الله وخاتم النبيين} قال آخر نبي

{وخاتم النبيين} قال ختم الله النبيين بمحمد وكان آخر من بعــث. (الــدر المنشــور٥/٢٠٥)

(وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابــن عبــاس يريــد لــو لم اختــم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا. وعنه قــال إن الله لمــا حكــم أن لا نــبي بعــده لم يعطــه ولدا ذكرا يصير رجلا. (لبــاب التــأويل ٤٧٠/٣)

فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعــده فــإذا كــان لا نــبي بعــده فــلا رســول بــالطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كــل رســول نــبي ولا ينعكــس......وقــد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسولــه ﷺ في السنة المتواترة عنه انــه لا نــبي بعــده ليعلمــوا انــه أن كلا ممن ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجــال ضــال مضــل. (ابــن كثــير ٤٩٤/٣-٩٤)

(ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة وقرأ به عــامر وعــاصم (خــاتم) بفتــح التــاء على الإسم أي آخرهم وقرأ آخرون بكسر التاء على الفاعل لأنــه ختــم بــه النبيــين فــهو خاتمــهم قال ابن عباس يريد لولم أختم به النبيين لجعلت له ابنــا يكــون بعــده نبيــا. الخ. (معــالم التنــزيل ٤٧١/٤)

(خاتم النبيين) يعني انه لو كان له والد بالغ مبلــغ الرجــال لكــان نبيــا ولم يكــن هــو خــاتم الأنبياء كما يروى انه قال في إبراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيــا......فــإن قلــت كيــف كــان آخر الأنبياء وعيسى ينــزل في آخر الزمان؟ قلت: معنى كونــه آخــر الأنبيــاء انــه لا ينبــئ أحــد بعده وعيسى ممن نبئ قبله. إلخ (تفســير الكشــاف ٢٦٤/٣-٦٥).

وخاتم النبين بفتح التاء بمعنى انهم به ختموا فهو كالخــاتم والطــابع لهــم وقــرأ البــاقون والجمــهور بكسر التاء بمعنى انه ختمهم أي جاء آخرهم وروت عائشــة انــه عليــه الســلام قــال: أنــا خــاتم الأنبياء بفتح التاء وهذه الالفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفــا وســلفا متلقــاة علــى العمــوم التــام مقتضية نصا انه لا نبي بعده ﷺ ....وقرأ ابــن مســعود(مــن رجــالكم ولكــن نبيــا ختــم النبيين) (المحرر الوجــيز ٨٠/١٣)

(وخاتم النبيين) لأن النبي إذا علم أن بعده نبيا آخر فقد يترك بعض البيان والإرشاد إليه بخلاف ما لو علم أن ختم النبوة عليه (وكان الله بكل شئ عليما) ومن جملة معلوماته أنه لا نبي بعده ﷺ ومجيء عيسى عليه السلام في آخر الزمان لا ينافي ذلك لأنه ممن نبئ قبله فهو يجيئ على شريعة نبينا مصليا إلى قبلته وكأنه بعض أمته. (غرائب القرآن ١٥/٢٢)

وأما وخاتم النبيين فوجه الفتح فيه أن الذي يختم به يقال بفتح التاء وكسرها وكأنه ﷺ جعل كالخاتم لما ختم به الأنبياء قال أبو عبيد وبالكسر نقرأ لأن التاويل أنه ﷺ ختمهم فهو خاتمهم وكذلك رويت الآثار عنه في صفة نفسه أنه قال أنا خاتم النبيين ......قال الزجاج من فتح فمعناه آخر النبين لا نبي بعده. (تفسير الأبرار المعاني ٤٣٩)

(وخاتم النبيين) فإنه يدل على أنه لا يكون أبا لواحد من رجال نفسه، لانه لو بقي له ابن بالغ بعده لكان اللائق أن يكون نبيا بعده فلا يكون هو خاتم النبيين. (فتوحات الالهية ٤٤١/٣)

(وخاتم) قرأ عاصم بفتح التاء على الإسم بمعنى آخر والباقون بكسر التاء على وزن فاعل يعني الذي ختم النبين حق لا يكون بعده نبي قال ابن عباس يريد الله سبحانه انه لو لم يكن اختتم به النبيين لجعلت ابنه بعده نبيا...... وقد ختم الله سبحانه الاستنباء بمحمد ﷺ وبقاء نبي سابق (عيسى) لا ينافي ختم النبوة. (تفسير المظهري ٣٥١/٧)

الحقيقة أن محمدا ﷺ كان رسول الله وخاتم النبيين وقوله (خاتم) بفتح التاء بمعنى الختم به ختموا فهو كالخاتم والطابع لهم وبكسر التاء بمعنى انه ختمهم أي جاء آخرهم وهذا دليل قاطع على أنه لا نبي ولا رسول بعده ﷺ ....إلخ (تفسير المنير ٣٨/٢٢)

وقرأ الجمهور وخاتم بكسر التاء وقرئ بفتحها ومعنى الأولى أنه ختمهم أي جاء آخرهم ومعنى الثانية أنه صار كالخاتم لهم الذي يختمون به......أنا خاتم النبيين وخاتم الشيئ آخره... وقال الحسن الخاتم هو الذي ختم به والمعنى ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده ولا معه...إلخ (فتح البيان ١٠١/١١)

(رسول الله وخاتم النبيين) فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا وفي قرائة بفتح التاء كآلة الختم أي به ختموا. (تفسير الجلالين ٦٧/٢)

فمعنى خاتم النبيي الذي ختم النبيون به ومآله آخر النبيين ......وقرأ الجمهور (وخاتم) بكسر التاء على أنه اسم فاعل أي الذي ختم النبيين والمراد به آخرهم أيضا...... والمراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه عليه الصلاة والسلام بها في هذه النشئة. (روح المعاني ٣٤)

(وآخرهم) هو على قراءة الكسر لأنه اسم فاعل بمعنى الـذي ختـم وقولـه أو اختمـوا بـه علـى قراءة الفتح لأنه اسم آلة لما يفعل به كالطابع لما يطبع بـه والعـاقب وإن كـان مـآل معنـاه الآخـر أيضا......ولا يقدح فيه) أي لا يقدح في كونه خاتم النبيين مـا ذكـر. وقيـل عليـه كونـه علـى دينه لا ينافي استقلاله في الرسالة كما لم يناف ذلك أول بعثته مع أمـره بـالعمل بـالتوراة فـالجواب هو أنه كان نبيا قبله لا بعده فلا ينافي كونـه خاتمـا للأنبيـاء علـى أنـه آخرهـم بعثـة. (حاشيـة الشهاب ١٧٦/٧)

(وخاتم النبيين) أي لم يجئ نبي بعده إذ لو جاء نبي بعده لكان ولـده أهـلا للنبـوة كمـا كـان أولاد إبراهيم ويعقوب وداود مثلا.(ايسـر التفاسـير ٥٦٦/٣)

وختام القوم وخاتمهم وخاتمهم: آخرهم عـن اللحيـاني ومحمـد ﷺ خـاتم الأنبيـاء عليـه وعليـهم الصلاة والسلام. (التهذيب) والخاتم والخاتم من أسمـاء النـبي ﷺ في التـنزيل العزيـز: مـا كـان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين.أي آخرهـم. وقـد قـرئ وخـاتم . ومـن أسمائه العاقب أيضا ومعناه آخر الأنبياء. (لسـان العـرب ١٦٤/١٢)

الخاتم من كل شيء عاقبته وآخرته كخاتمته (و) الخاتم آخر القوم ومنـه قولـه تعـالى وخـاتم النبيـين أي آخرهم. (تاج العـروس٢٦٧/٨)

والخاتم والخاتم بكسر التاء وفتحها والختام والخاتـام كلـه بمعـنى والجمـع الخواتيـم وتختمـت إذا لبسته وخاتمة الشيء: آخـره ومحمـد ﷺ آخـر الأنبيـاء عليـهم الصـلاة والسـلام. (الصحـاح ١٩٨/٥)

خاتمة الشيء آخره ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسـلام. (مختـار الصحـاح ١٦٩)

(ختمه) يختمه ختما وختاما طبعه وعلى قلبه جعله لا يفهم شيئا ولا يخرج منـه شـيء والشيـئ ختـم بلغ آخره......والختم محركة والخاتيام جمع خواتيم وقد تختم به ومن كـل شـيء عاقبتـه وآخرتـه. (قاموس المحيـط ١٠٤/٤)

والخاتم من كل شيئ آخرته وعاقبته وخاتم القفا نقرته. وخاتم الأنبيـاء آخرهـم لا يـأتي نـبي بعـده وخاتم القوم آخرهم لا يأتي نبي بعده أحد منـهم. (الهـادي ٥٨٠/١)

وختمت الشيئ اختمه إذا بلغت آخره والنبي ﷺ خاتم الأنبيـاء. (مجمـع اللغـة ٣١٣/٢)

(والخاتم) وخاتم من كل شيئ آخـره وفي التـنزيل العزيـز (ولكـن رسـول الله وخـاتم النبيـين. (المعجم الوسـيط ٢١٨/١)

الختم بمعنى ما يختم به كالطابع بمعنى ما يطبع به والمعنى وكان آخرهم الذي ختموا به وقرأ الباقون بكسر التاء.... وفي المفردات لأنه ختم النبوة تممت بمجيئه .... ولا يقدح في كونه خاتم النبيين نزول عيسى بعده لان معنى كونه خاتم النبيين أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن تنبأ قبله وحين ينزل إنما ينزل على شريعة محمد ﷺ مصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته فلا يكون[٨] إليه وحي ولا نصب أحكام بل يكون خليفة رسول الله ﷺ......

الحاصل معنى الآخِرِ والخاتِمِ وإن كان كليا مشككا بعضُه آخرٌ وخاتمٌ مطلقٌ وبعضه غايةُ الآخِرِ والخاتمِ وبعضه أقصى غاية الآخِرِ والخاتمِ لكن المراد في الآية هو أقصى غاية الخاتمِ والآخِرِ لثبوت هذا المراد ببيان النبي ﷺ وثبت هذا البيان بالتواتر وبالاجماع وبالضرورة فلا يمكن أن يكون المراد الآخر المطلق أو غاية الآخر بل أقصى غاية الآخر حيث قال ﷺ لا نبي بعدي فمن كذب النبي ﷺ فيما علم مجيئه بالضرورة فقد كفر.

[٨] قال ﷺ: ليس نبي بعدي. (بخاري مع الفتح ٧١٦/٧، مسلم ١٨٧/٨) قال النووي : قال العلماء في هذا الحديث دليل على أن عيسى بن مريم إذا نزل في آخر الزمان نزل حكما من حكام هذه الأمة يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ ولا ينزل نبيا وقد سبقت الاحاديث المصرحة بما ذكرنا في كتاب الإيمان. (شرح مسلم ١٩٣/٨).

وفي اليواقيت لو أن الوحي على لسان جبريل كان باقيا بعد محمد لكان عيسى عليه السلام إذا نزل لا يحكم بشريعة محمد ﷺ وإنما يحكم بشريعة التي يوحى إليه جبريل. (اليواقيت والجواهر ٣٨)

فما في بعض الروايات من أن عيسى يوحي إليه فهو بمعنى الإلهام.

إن عبد الله بن عتبة قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ....الحديث.(بخاري ، كتاب الشهادات – فتح الباري ٢٩٨/٥)

عن أنس قال: قال أبو بكر ﷺ: بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها فلما انتهينا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسول الله ﷺ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ولكن أبكي

ثم من تَشْرِيفِهِ له ﷺ ختم الأنبياء والمرسلين بـه وإكمـال الديـن الحنيـف لـه وقد أخبر الله في كتابه ورسوله في السـنة المتواتـرة مـن أنـه لا نـبي بعـده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده كذوب أفـاك دجـال ضـال مضـل ولو تَخَرَّقَ وتَشَعْبَذَ وأتى بأنواع السحر ولما نـزل قولـه تعـالى وخـاتم النبيـين استغرب الكفار كون باب النبـوة مسـدودا فضـرب النـبي ﷺ لهـذا مثـلا ليتقرر في نفوسهم وقال إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ ٱلْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِـي كَمَثَـلِ رَجُـلٍ بَـنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ إلخ وقال أهل السنة والجماعة لا نـبي بعـد نبينـا لقولـه تعـالى وَلَٰكِن رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وقوله عليه السلام "لَا نَـبِيَّ بَعْـدِي" ومـن قـال بعد نبينا نبي يكفر لأنه أنكر النص وكذلك لو شـك فيـه......

وتنبأ رجل في زمن أبي حنيفة وقـال أمـهلوني حـتى أجيء العلامـات فقال أبو حنيفة من طلب منه علامة فقد كفـر لقولـه عليـه السـلام لا نـبي بعدي كذا في مناقب الإمام....قـال في هديـة المـهديين فـإذا آمـن بأنـه رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لانسـخ لدينـه إلى يـوم القيمـة لا يكـون مؤمنا......وقال في الأشباه في كتاب السـير إذا لم يعـرف أن محمـدا عليـه السلام آخر الأنبياء فليـس بمسـلم لأنـه مـن الضروريسات.(روح البيـان ١٨٥/٧ـــ١٨٧).

وعن عمر بن الخطاب ﷺ ....وأن النبي ﷺ قد انطلق وقد انقطع الوحـي وإنمـا نعرفكـم بمـا نقول لكم من اظهر منكم خيرا: (مسـند احمـد ٤١/١)

عن ابن عباس ﷺ: رضي الله عنهما... ومـا نـزل وحـي بعـد رسـول الله ﷺ: (مسـند احمـد ٢٤٠/١) (وان الوحي قد انقطع) أي بعد وفاة النـبي ﷺ والمـراد انقطـاع إخبـار الملـك عـن الله تعالى لبعض الآدمين في اليقظة (فتـح البـاري ٢٩٨/٥)

واعلم أن الملك يأتي النبي بالوحي على حالين تارة ينـزل بـالوحي علـى قلبـه وتـارة يأتيـه في صورة جسدية من خارج فيلقي ما جاء به إلى ذلك النـبي ﷺ علـى اذنـه فيسـمعه او يلقيـه علـى بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء فال، وهـذا بـاب الخلـق بعـد موت محمد ﷺ فلا يقع لأحد إلى يوم القيامـة. (اليواقيـت والجواهـر ٢٧/٢)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية هي نص على أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ (تفسير ابن كثير ٣/٤٩٢).

قال الغزالي:لو فتح هذا الباب (أي باب انكار كون الإجماع حجة) انجر إلى أمور شنيعة وهو أن قائلا لو قال يجوز أن يبعث رسول بعد نبينا محمد ﷺ فيبعد التوقف في تكفيره ومستند استحالة ذلك عند البحث يستمد من الاجماع لا محالة فإن العقل لا يحيله وما نقل فيه من قوله لَا نَبِيَّ بَعْدِي ومن قوله تعالى خَاتَمَ النَّبِيِّينَ فلا يعجز القائل عن تأويله فيقول خاتم النبيين أراد به أولى العزم من الرسل فإن قالوا النبيين عام فلا يبعد تخصيص العام وقوله لا نبي بعدي لم يرد به الرسول وفرق بين النبي والرسول والنبي أعلى مرتبة من الرسول إلى غير ذلك من الهذيان فهذا وأمثاله لا يمكن أن ندعي استحالته من حيث مجرد اللفظ فانا في تأويل ظواهر التشبيه قضينا باحتمالات أبعد من هذه ولن يكن ذلك مبطلا للنصوص ولكن الرد على هذا القائل ان الأمة فهمت بالاجماع من هذا اللفظ ومن قرائن أحواله انه أفهم عدم نبي بعده أبدا وعدم رسول الله بعده أبدا وانه ليس فيه تأويل ولا تخصيص فمنكر هذا لا يكون إلا منكرا الاجماع.(الإقتصاد في الإعتقاد ١١٤).

وفي كتب اللغة مثل القاموس ولسان العرب وغيرهما ختم العمل أي فرغ من العمل خاتمة كل شيئ عاقبته وآخرته. ختم الشيئ بلغ آخره. خاتمُ القومِ آخرُهم.

اَلْحِكْمَةُ فِي خَتْمِ النُّبُوَّةِ

تبليغ الأنبياء المتقدمة وتاريخهم مفصلا صار كل واحد منهما نسيا منسيا فلم يكن دينهم صراطا سويا لم يرد الله تأبيد شريعتهم لأن أممهم لم

يكونوا من قبل مستعدين لحفظ دينهم وتاريخهم إلى يوم القيمة لكون الكتابة والقراءة قليلة جدا وغيره وهذا معلوم بالوجدان لمن فتش أحوال الأنبياء المتقدمة وتاريخهم وشريعتهم فلم يحصل له علم تفصيلي بل علم جلي لا غناء به بخلاف محمد ﷺ فجميع شرائعه وتواريخه باقية[٩] إلى يوم القيمة مفصلا بحيث يكفي لهداية الناس وسعادتهم في الدارين إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ فمحمد ﷺ كأنه حي شهيد في هذا الزمان فوفاته ﷺ من حيث الجسمانية أما من حيث النبوة فهو حي الآن بخلافهم فوفاتهم من حيث الجسمانية والنبوة فلا حاجة إلى نبي بعده إلى يوم القيمة وكل ذلك ظاهر بالوجدان وأما قوله تعالى {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ[١٠] فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (الصف ٦).

فقال رسول الله مفسرا له أَنَا مُحَمَّدٌ أَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ (بخاري، مسلم ــ كتاب الفضائل، باب أسماء النبي ﷺ، ترمذي ــ كتاب الآداب، باب أسماء النبي ﷺ، موطأ ــ كتاب أسماء النبي، المستدرك للحاكم ــ كتاب التاريخ، باب أسماء النبي.

وأما قوله تعالى{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي

---

[٩] قال ابن الصلاح في مقدمته في علوم الحديث إن الأحاديث التي قد صحت أو وقفت بين الصحة والسقم قد دونت وكتبت في الجوامع التي جمعها أئمة الحديث ولا يجوز أن يذهب شيء منها على جميعهم وان جاز ان يذهب على بعضهم لضمان صاحب الشريعة حفظها قال البيهقي فمن جاء اليوم بحديث لا يوجد عند جميعهم لم يقبل منه. (مقدمة ابن الصلاح ٥٨)

[١٠] وجاء في الأحاديث أن اسم المهدي محمد روى أبو داود لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه إسمي (أبو داود- كتاب المهدي فدعوى أحمد القادياني بأنه المهدي المنتظر ففيه التسليم بجواز أن يكون المراد بأحمد محمدا.

مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ} (آل عمـــران ١٧٩).

فلا ينافي ختـــم النبـــوة لأن مضـــارع يجتـــي إن ســـلم أنـــه للحـــال والمستقبل فالاجتباء للغيب حين نزول الآية المذكـــورة وبعـــده إلى وفـــاة النـــبي ﷺ فاجتباء من يشاء الله للإطلاع على الغيب من رسله كمـــا وقـــع مـــن نبينـــا ﷺ تعيين كثير من المنافقين ووحي الآيـــات القرآنيـــة يوجـــد في زمـــن نـــزول الآية وبعده لنبينا ﷺ.

وكذا قوله تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَئِكَةِ رُسُلاً وَمِـــنَ النَّـاسِ} (الحـج ٧٥) إن سلم أن يصطفـــي للحـــال والإســـتقبال فاصطفـــاء الملئكـــة لتبليـــغ الوحي إلى النبي ﷺ ولقبض الـــروح وغيرهمـــا يوجـــد في حـــال نـــزول الآيـــة المذكورة وبعده كذاك اصطفاء بعض الناس أي محمد ﷺ كمـــا هـــو مقتضـــى معنى من التبعيضية لتبليغ الوحي إلى الناس يوجد حـــال نـــزول الآيـــة وبعـــده على أنه لم يذكر في الآية نصا أن اصطفاء بعض النـــاس للنبـــوة والرســـالة بـــل يحتملهما ويحتمل الولاية ثم إن حكاية الأمور العجيبة الماضيـــة بلفـــظ المضـــارع بلاغةُ لغةِ العرب ولغة القرآن وغيرهما شائعا ذائعـــا كمـــا في قولـــه تعـــالى {وَإِذْ نَجَّيْنَـاكُم مِّـنْ آلِ فِرْعَـوْنَ يَسُـومُونَكُمْ سُـوءَ الْعَـذَابِ يُذَبِّحُـونَ أَبْنَـاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} (البقرة ٤٩) {يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَـاءَهُمْ إِنَّـهُ كَـانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} (القصص ٤). {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَـزَاءً لِّمَـن كَـانَ كُفِـرَ} (القمـر ١٤). أي تجري الواح ســـفينة نـــوح عليـــه الســـلام ولا شـــك أن الاجتبـــاء والاصطفاء أمران عجيبـــان.

وأما حديث" إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْـــرَى بَعْـدَهُ وَإِذَا هَلَـكَ قَيْصَـرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ" فهو إخبار بهلاك كسرى وقيصـــر في يـــوم مـــن الأيـــام فبعـــد هلاك كسرى لم يوجد كسرى إلى الآن ولا يوجـــد وقيصـــر لم يـــهلك إلى الآن وسيهلك كما روي عن جابر قال النبي ﷺ سَـتَغْزُونَ جَزِيـرَةَ الْعَـرَبِ وَتُفْتَـحُ عَلَيْكُمْ وَتَغْزُونَ فَارِسًا وَتُفْتَـــحُ عَلَيْكُـمْ وَتَغْـزُونَ الـرُّومَ وَتُفْتَـحُ عَلَيْكُـمْ ثُمَّ الدَّجَّالُ قَالَ جَابِرٌ وَلاَ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حَتَّى تُفْتَـــحَ الـرُّومُ.

وما يقال[١١]قولوا إنه خاتم الأنبياء ولا تقولوا لا نبي بعده فآخر هذا المقول فانا كنا حُدِّثنا أن عيسى خارج فعيسى عليه السلام كالوزير السابق وليس بوزير الآن وقد تقدم أنه لا يكون له وحي بعد نزوله في عبارة روح البيان. وأما الالهام يكون له ولغيره ولا يكون به نبيا.

وأما النبوة في بعض كلام[١٢] الصوفية فهو بالمعنى اللغوي ولا كلام

---

[١١] وفي المصنف حسين بن محمد قال: حدثنا جرير بن حازم عن عائشة قالت: قولوا خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعدي. (مصنف ابن أبي شيبة ٢٥٩/٢)

حسين بن محمد (ع) بن بهرام عن ابن أبي ذئب مجهول كذا قال أبو حاتم واعتقده غير ابن أحمد المروزي الحافظ. وهو لا مغمز فيه سمع شيبان النحوي وجرير بن حازم (ميزان الاعتدال ٥٤٧/١)

أبو أسامة عن مجالد قال أخبرنا عامر قال: قال رجل عند المغيرة بن شعبة صلى الله على محمد خاتم الأنبياء لا نبي بعده قال المغيرة حسبك اذا قلت خاتم الأنبياء. فانا كنا نحدث ان عيسى خارج فان هو خرج فقد كان قبله وبعده. (مصنف ابن أبي شيبة ٢٥٦/٦)

[١٢] قال في اليواقيت: اعلم أن النبوة لم ترتفع مطلقا بعد محمد ﷺ وإنما ارتفع نبوة التشريع فقط فقوله ﷺ إذا هلك كسرى...إلخ (اليواقيت والجواهر ٣٩/٢). وفي الفتوحات المكية وإن النبوة قد انقطعت والرسالة إنما يريد بها التشريع فلما كانت النبوة اشرف مرتبة وأكملها ينتهي إليها من اصطفاه الله من عباده علمنا أن التشريع في النبوة أمر عارض بكون عيسى عليه السلام ينزل فينا مقسطا. (فتوحات مكية) وقال أيضا إن في هذه الأمة من لحقت درجة الأنبياء في النبوة عند الله. (فتوحات مكية)

وقال أيضا: ان في هذه الأمة من لحققت درجته درجة الأنبياء في النبوة عند الله، (الفتوحات مكية ٥٤٥/١).

الحاصل كلام الصوفية هذا في حق عيسى عليه السلام وانظر الفتاوى الحديثية ٢٥٣، ومختصر فوائد المكية ٦٠) وقال ﷺ: الرؤيا الحسنة منالرجل الصالح جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة. (بخاري مع الفتح، كتاب التعبير ١٥٦/١٦) قال الحافظ في الفتح وقد استشكل

فيه وأما وفاة عيسى[١٣] عليه السلام أورفعه إلى السماء فأمر تاريخي لا تعلق

الرؤيا من النبي ﷺ فهي جزأ من أجزاء النبوة وإن وقعت من غير النبي ﷺ فهي جزأ من أجزاء النبوة على سبيل المجاز (فتح الباري ١٦/١٥٨)

[١٣] قال النووي: قال القاضي عياض: نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله. فوجب اثباته، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى:{وخاتم النبيين} وبقوله ﷺ (لا نبي بعدي) وباجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة، لا تنسخ. وهذا استدلال فاسد، لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا، بل صحت هذه الأحاديث هنا، أي في كتاب الفتن وما سبق في كتاب الايمان وغيرها أنه ينزل حكما مقسطا يحكم بشرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس.

وفي فتح الباري: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى عليه السلام يصلي خلفه.

وقال الحافظ أيضا: الصحيح أن عيسى رفع وهو حي. اهـ وقال الشوكاني في رسالته المسماة بالتوضيح في تواتر ما جاء في الأحاديث في المهدي والدجال والمسيح: وقد ورد في نزول عيسى عليه السلام من الأحاديث تسعة وعشرون حديثاً، ثم سردها وقال بعد ذلك، وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع، فتقرر بجميع ما سقناه أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام متواترة.

الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام

وفي البخاري في باب قتل الخنزير من كتاب البيوع، ومسلم في كتاب الايمان واللفظ للبخاري: عن ابن المسيب انه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد.

وعنه أيضا في المسلم: أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد.

وفي رواية: ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) اهـ. اخرج البخاري أيضا في باب كسر الصليب من كتاب المظالم نحوه وفيه لا تقوم الساعة حتى ينزل.

وأخرج أيضا في باب نزول عيسى بن مريم في كتاب الأنبياء وفيه ليوشكن أن ينزل فيكم......إلخ وفيه : ثم يقول أبو هريرة واقرؤا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته...إلخ) وأخرجه مسلم في كتاب الايمان من ثلاث طرق.

وفي رواية لمسلم عن جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم...إلخ.

وأخرج مسلم في حديث طويل في الفتن عن عبد الله بن عمرو ففيه فيبعث الله عيسى بن مريم......إلخ.

وعند أحمد من حديث جابر ولابن ماجه أيضا وفي رواية لأحمد يوشك المسيح بن مريم أن ينزل.

فلا يخفى على كل منصف أن نزول عيسى بن مريم إلى الأرض حكما مقسطا ثابت بالأحاديث الصحيحة. واتفاق أهل السنة.

أما ثبوته بالكتاب قال تعالى: وما قتلوه وما صلبوه بل رفعه الله إليه". "وما يضرونك من شيء...... إلخ" وقال تعالى: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته أي قبل موت عيسى. كما قال أبو هريرة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والسلف الصالحين.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه إن نزوله إلى الأرض من علامات الساعة قال تعالى:{وإنه لعلم للساعة} أي آية للساعة خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وغيرهم.

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ انه أخبر بنزول عيسى قبل يوم القيامة.

قال ابن عطية: وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام في السماء حي وانه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة، ملة محمد ﷺ ويحج البيت ويعتمر ويبقى في الأرض أربعا وعشرين سنة، وقيل أربعين سنة ثم يميته الله تعالى. اهـ. (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي ابي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦ هـ الهجرية ١٠٥/٣)

قال أبو حيان: قال ابن عطية وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حي وأنه ينزل في آخر الزمان ......إلخ. (البحر المحيط لأبي حيان ٤٧٣/٢)

قال أبو حيان في النهر: وأجمعت الأمة على أن عيسى عليه السلام حي في السماء وسينزل إلى الأرض إلى آخر الحديث الذي صح عن رسول الله ﷺ في ذلك اهـ (تفسير النهر لأبي حيان ٤٧٣/٢).

قال الله تعالى: {ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين، إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة} (آل عمران٥٥) قال الرازي: العامل في إذ قوله ومكروا، واختلف أهل التأويل على طريقين أحدهما إجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير والثاني فرض التقديم والتأخير على الأول، معنى متوفيك متمم عمرك فحينئذ اتوفاك فلا اتركهم حتى يقتلوك بل أنا رافعك إلى السماء ومقربك بملائكتي واصونك عن أن يتمكنوا من قتلك أو معنى متوفيك مميتك وهو مروي عن ابن عباس ومحمد بن اسحق قالوا المقصود انه لا يصل أعدائه من اليهود إلى قتله. ثم انه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السماء ثم اختلفوا على ثلثة أوجه: أحدها قال وهب توفي ثلاث ساعات ثم رفع وثانيها قال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم أحياه الله ورفعه . الثالث: قال الربيع بن أنس انه تعالى توفاه حين رفعه إلى السماء قال تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها. الوجه الرابع: في تأويل الآية أن الواو في قوله متوفيك ورافعك تفيد الترتيب فالآية تدل على أنه تعالى يفعل به هذه الأفعال فأما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت الدليل انه حي وورد الخبر عن النبي ﷺ انه سينزل ويقتل الدجال ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك. الخامس في التأويل إني متوفيك عن شهوات نفسك لأن من لم يصر فانيا عما سوى الله لا يكون له وصول إلى مقام معرفة الله. والسادس ان التوفي أخذ الشيء وافيا أي رفع بتمامه إلى السماء بروحه وبجسده. السابع اني متوفيك أي اجعلك كالمتوفي لأنه إذا رفع إلى السماء وانقطع خبره والره عن الأرض كان كالمتوفي. الثامن أن التوفي هو القبض يقال وفاني فلان دراهمي وتوفيتها منه التاسع ان يقدر مضاف والتقدير متوفي عملك وعلى الطريق الثاني اعني التقديم والتأخير المعنى اني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالي إياك في الدنيا ومثله من التقديم والتأخير كثير في القرآن. واختلفوا أيضا في معنى رافعك إلي فقيل المراد إلى محل كرامتي وقيل يرفع إلى مكان لا يملك الحكم فيه غير الله وقيل رافعك إلى محل ثوابك ومجازاتك ومعنى مطهرك من الذين كفروا مخرجك من

بينهم ومفرق بينك وبينهم ومعنى جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا بالقهر والسلطان على اليهود إلى يوم القيامة. والفوقية ههنا ليست بالمكان بل بالدرجة والرفعة. وقيل الفوقية بالحجة والدليل ثم قال الرازي اعلم ان هذه الآية تدل على أن رفعه في قوله ورافعك إلي هو الرفعة بالدرجة والمنقبة لا بالمكان والجهة كما أن الفوقية في هذه ليست بالمكان بل بالدرجة والرفعة. (رازي باختصار ٦٨/٨) ثم قال الرازي بقي من مباحث هذه الآية موضع مشكل وهو ان يقال انه تعالى حين رفعه القى شبهه على غيره على ما قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم. والأخبار أيضا واردة بذلك الا أن الروايات اختلفت فتارة يروي ان الله تعالى القى شبهه على بعض الأعداء الذين دلوا اليهود على مكانه حتى قتلوه وصلبوه وتارة يروي رغب بعض أصحابه في أن يلقى شبهه حتى يقتل مكانه وبالجملة فكيفما كان ففي القاء شبهه على الغير اشكالات.

(١) لو جوزنا القاء شبه انسان على آخر لزم السفسطة وحينئذ يرتفع الامان على المحسوسات فالصحابة الذين رأوا محمدا ﷺ وجب أن لا يعرفوا انه محمد لاحتمال انه القي شبهه على غيره ففيه ابطال النبوات بالكلية.

(٢) لم لم يمنع جبريل عن القتل حيث كان معه في كل وقت؟ كما في قوله إذ أيدتك بروح القدس.

(٣) إن الله قادر على تخليصه بأن يرفعه إلى السماء أولا فما الفائدة في القاء شبهه على مسكين آخر.

(٤) ان النصارى على كثرتهم أخبروا أنهم شاهدوه مقتولا لا مصلوبا فلوا أنكرنا ذلك كان طعنا في التواتر.

(٥) إذ ألقى شبهه على غيره ثم رفع بعد ذلك إلى السماء فالقوم اعتقدوا فيه انه عيسى فهذا القاء لهم في الجهل والتلبيس

(٦) ثبت بالتواتر ان المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو لم يكن ذلك عيسى بل كان غيره لأظهر الجزع ولقال إني لست عيسى بل انما انا غيره ولو ذكر ذلك لاشتهر عند الخلق الجواب ان الله تعالى قادر على ان يخلق انسانا في صورة انسان آخر ثم ان هذا التصوير لا يوجب الشك المذكور وان جبريل لو دفع الاعداء او اقدر عيسى على دفعه لبلغت معجزته إلى حد الإلجاء وذلك غير جائز وكذا لو رفع إلى السماء أولا وان الحاضرين من تلامذة عيسى كانوا قليلين والتواتر اذا انتهى إلى الجمع القليل لا يفيد وكان ذلك القليل عالمين بكيفية الواقعة

ولم يكن لهم تلبيس وان الذي القي الشبه عليه كان مسلما فجائز ان يسكت عن تعريف حقيقة الحال. (رازي باختصار ٨/٧٠)

فإن قلت: الظاهر من كلام الانجيل المطبوع اليوم في قصة عيسى عليه السلام ان اليهود قصدوا قتل عيسى لا يعرفونه فاتفقوا مع تلميذ من تلامذة عيسى ان يعطوه ثلاثين درهما لان يريهم عيسى فقال ذلك التلميذ نأتي إلى مجلس عيسى فمن أُقَبِّلُهُ فهو عيسى فقَبَّل هذا التلميذ غير عيسى بل تلميذا من تلامذته فأخذ اليهود ذلك التلميذ الذي قبله فقتلوه وصلبوه ثم دفنوه وعاش عيسى سرا بعد ذلك وخاف النصارى ان يَظْهر الحقُ وأن المقتولَ غيرُ عيسى فنقلوا جسد المدفون من قبره إلى محل مخفي وأشاعوا أن عيسى رفع إلى السماء من قبره ولما رؤي عيسى بعد القتل والدفن قال النصارى هو نزل من السماء ثم عاش بعد ذلك في أقصى غاية السر وتوفي بعد ذلك كعادة الأنبياء الذين خَلَوْا من قبله وأسروا وفاته لكي يكون لهم الغنيمة من شهرة كونه مصلوبا ومقتولا ومرفوعا إلى السماء.

ولا ينافيها آيات القرآن بل في حملها على خلافه بعد لن تجد لسنة الله تحويلا وليس هذا البعد أشد من البعد في حمل النزول على الولادة وحمل عيسى على القادياني وأما الأحاديث الواردة (أو مثل عيسى) في نزول عيسى فاصح الروايات فيه حديث البخاري ليوشكن ان ينزل فيكم عيسى بن مريم فالمراد به يكون قريبا من النزول ولا ينزل ويحمل بقية الروايات عليه فمعنى ينزل كأنه ينزل فيحمل تلك الروايات بولادة شخص مثل عيسى من النصارى أو غيرهم يدعو ذلك الشخص النصارى إلى الإسلام ويهديهم.

وكذا الظاهر من كلام الانجيل المطبوع اليوم ان يوسف النجار والد عيسى وقول مريم لم يمسني بشر، فهو في حال بشارة الملك، ولا ينافيه ان تنكح بعد البشارة وأما الاختلاف حين الوضع فيمكن أن يكون النكاح سرا وخيف من إعلان الزواج أو كان النكاح كعادة قريش قبل الاسلام ولا يخالفه أيضا قوله تعالى إن مثل عيسى كمثل آدم لأن المثلية عام مثلا خلقهما الله تعالى من تراب بخصوص عناية وإلا لا يكون له أم أيضا ولا قائل به.

أقول: ما قلت بعيد ليس عليه دلئل قطعي بل هو تاريخ احتمالي والاحتمال كثير والانجيل المطبوع اليوم لا يستدل به ولا يجوز تفسير القرآن والحديث به لأن هذا الانجيل لا يعرفه عيسى عليه السلام بل هو مكتوب بعده كما يدل عليه التاريخ أيضا. بل هو مسلم عند النصارى على ان الخلاف مع القاديانية في ختم النبوة وفي كون ميرزا نبيا ولا يلزم من كون ولادة عيسى أو وفاته كما قلت كون ميرزا نبيا أو ما ينافي ختم النبوة وهو مدعي القاديانية ولا يثبت بما

له بختم النبوة ولا بنبوة القادياني. ولـو فـرض أن المـراد بنـزول عيـسى وجود مثيله فلا يلزم منه أن يكـون القاديـاني ذلـك المثيـل لأنـه لم يقتـل الدجال ولم يكسر الصليب ولم يقتل الخنـزير فـلا بـد لنبـوة القاديـاني أو لكونه مثيلا من دليل آخر وما يقال من معجزاتـه مـن ان لـه دوران الـرأس وسلس البول فيلزم منه أن يكون المريض أو من في المسـتشفى نبيـا ولا قـائل به.

النزول بالولادة وعيسى

وأما تأويلُ بأحمد ودمشق[١٤] بقاديان فمستهزأ به ولا يلتفـت إليـه.

الحاصل ختم النبـوة مجمـع عليـه جـاء بـه النـص في القـرآن وفي الأحاديث المتواترة وأجمع الصحابة عليه كما تقدم في قصـة مسـيلمة.(طـبري مثلا ٢/ ٣٩٩) ونص في كتب المذاهب الأربعـة علـى تكفـير منكـر ختـم النبوة مثلا من كتب الشافعية.(تحفـة المحتـاج ٩/ ٨٧) ٥

ومن كتب الحنفية فتـاوى عالمكـيري (٢/ ٨٨٤)

ومن كتب المالكية الشفـا(٢/ ٢٨٦)

ومن كتب الحنبلية المغـنى ٨/ ١٥٠)

ونص[١٥] بختم النبوة جميع العلمـاء في جميـع الأعصـار بجميـع البـلاد

ذكر فلا ينفع في موضع الاستدلال ولو كان ما قالوا في قصـة عيـسى دليـلا لنبـوة مـيرزا لكـان دليلا لنبوة كل شخص مسمى بأحمد أيا كان ولا يقولـون بـه فـالواجب عليـهم أن يـأتوا ببرهـان يدل على نبوة ميرزا فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودهـا النـاس والحجـارة.

[١٤] وفي الحديث ثم ينـزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضـاء شرقـي دمشـق فيدركـه (الدجـال) عند باب لد فيقتله. (أبو داود كتاب المهدي) قال النـووي وهـذه المنـارة موجـودة اليـوم شرقـي دمشق اهـ. وفي مرقاة الصعود للسيوطي قال ابن كثـير قـد جـدد بنـاء منـارة في زماننـا سـنة احدى وأربعين وسبع ماة من حجارة بيض وكان بنائها من أمـوال النصـارى الـذي حرقـوا المنـارة التي كانت مكانها ولعل هذا يكون من دلائل النبوة حيث قيـض الله تعـالى بنـاء هـذه المنـارة مـن أموال النصارى لينـزل عيسى عليه السلام. لد بضم الـلام وتشديـد دال وهـو بلـدة قريبـة مـن بيت المقدس قاله النـووي.

مثلا الصحابة في قتال مسيلمة الكذاب.

أبو حنيفة (٨٠ ــ ١٥٠) في مناقب الإمام الأعظم لإبن أحمد المكي (١/١٦١).

ابن جرير الطبري (٢٢٤ــ٣١٠) في تفسيره (١٢/٢٢)

طحاوي (٢٣٩ ــ ٣٢١) في شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (١٥)

غزالي (٤٥٠ ــ٥٠٥) الاقتصاد في الاعتقاد (١١٤)

محيي السنة البغوي(٥١٠) معالم التنزيل (١٥٧)

قاضي عياض (٥٤٤) الشفاء (٢/٢٨٦)

محمد الشهرستاني (٥٤٨) كتاب الملل والنحل (٣/٢٤٩)

إمام رازي (٥٤٣ــ٦٠٦) تفسير كبير (٢٥/٢١٤)

بيضاوي (٦٨٥) في تفسيره (٤/١٦٤).

حافظ النسفي (٧١٠) مدارك (٤٧١)

علاء الدين البغدادي(٧٢٥) الخازن (٤٧١)

ابن كثير(٧٧٤) في تفسيره ٣/٤٩٢)

محلي (٨٦٥ــ ٧٩١) في تفسيره الجلالين

ملا علي القاري(١٠١٥) شرح الفقه الأكبر (٣٠٢)

شيخ اسمعيل (١١٣٧) روح البيان (٢٢/١٨٨)

---

[١٥] انظر الكامل في التاريخ ٢/٢٠١، والدر المنثور ٥/٢٠٤، وجامع البيان ٧/١٨٨، والعقائد الطحاوية ٥، معالم التنزيل ٤/٤٩، شرح العقائد ١٣٤، الشفا ٢/٢٨٦، شرح الطحاوية ١٠٢، الأشباه والنظائر لابن نجيم ١٩٢، نهاية للرملي ٧/٤١٥، ع ش ٧/٤١٥، قليوبي ٤/١٧٥، بجيرمي ٤/٢٠١، إعانة ٤/١٣٥.

عِلْمُ الْعَقَائِدِ وَالْكَلَامِ

قال سعد الدين التفتازاني رحمه الله:وقد كان الأوائل من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي عليه السلام وقرب العهد بزمانه ولقلة الوقائع والاختلافات وتمكنهم من المراجعة إلى الثقات مستغنين عن تدوين علم الكلام وترتيبه أبوابا وفصولا وتقرير مباحثه فروعا وأصولا إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين وغلب البغي على أئمة الدين وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء وكثرت الفتاوى والواقعات والرجوع إلى العلماء في المهمات فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والإجتهاد والإستنباط وتمهيد القواعد والأصول وترتيب الأبواب والفصول وتكثير المسائل بأدلتها وإيراد الشبه بأجوبتها وتعيين الأوضاع والإصطلاحات وتبيين المذاهب والإختلافات وسموا معرفة العقائد عن أدلتها بالكلام لأن عنوان مباحثه كان قولهم الكلام في كذا وكذا...... وهذا هو كلام القدماء ومعظم خلافياته مع الفرق الإسلامية خصوصا المعتزلة لأنهم أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة وجرى عليه جماعة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في باب العقائد وذلك أن رئيسهم واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري رحمه الله يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين قال الحسن قد اعتزل عنا فسموا المعتزلة وهم سموا أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجوب ثواب المطيع وعقاب العاصي على الله ونفي الصفات القديمة عنه ثم انهم توغلوا في علم الكلام وتشبثوا بأذيال الفلاسفة في كثير من الأصول والأحكام وشاع مذهبهم فيما بين الناس إلى أن قال الشيخ أبو الحسن الأشعري لأستاذه أبي علي الجبائي ما تقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم مطيعا والآخر عاصيا والثالث صغيرا فقال.الأول يثاب بالجنة والثاني يعاقب بالنار والثالث لا يثاب ولا

يعاقب قال الأشعري فإن قال الثالث يا رب لم أمتني صغـــيرا ومـــا أبقيتني إلى أن أكبر فأومن بك وأطيعك فأدخل الجنة مـــاذا يقـــول الـــرب تعـــالى؟ فقـــال يقول الرب إني كنت أعلم أنك لو كـــبرت لعصيـــت فدخلـــت النـــار فكـــان الأصلح لك أن تموت صغيرا. قال الأشعـــري فـــإن قـــال الثـــاني يـــا رب لم لم تمتني صغيرا لئلا أعصى فلا أدخل النار فماذا يقـــول الـــرب؟ فبـــهت الجبـــائي وترك الأشعري مذهبه واشتغل هو ومن تبعه بإبطال رأي المعتزلـــة واثبـــات مـــا ورد به السنة ومضى عليه الجماعة فسموا أهل السنة والجماعـــة ثم لمـــا نقلـــت الفلسفة إلى العربية وخاض فيها الإســـلاميون حـــاولوا الـــرد علـــى الفلاســـفة فيما خالفوا فيه الشريعة فخلطـــوا بـــالكلام كثـــيرا مـــن الفلســـفة ليحققـــوا مقاصدها فيتمكنوا مـــن إبطالهـــا وهلـــم جـــرا إلى أن أدرجـــوا فيـــه معظـــم الطبعيات والإلهيات وخاضوا في الرياضيات حتى كاد لا يتمـــيز عـــن الفلســـفة لولا اشتماله على السمعيات وهذا هو كلام المتأخرين وبالجملـــة هـــو أشـــرف العلوم لكونه أساس الأحكـــام الشرعيـــة ورئيـــس العلـــوم الدينيـــة وكـــون معلوماته العقائد الإســـلامية زغايتـــه الفـــوز بالســـعادات الدينيـــة والدنيويـــة وبراهينه الحجج القطعية والمؤيد أكثرها بالأدلة السمعية وما نقـــل عـــن بعـــض السلف من الطعن فيه والمنع عنه فإنما هو للمتعصب في الديـــن والقـــاصر عـــن تحصيل اليقين والقاصد إفساد عقائد المسلمين والخـــائض فيمـــا لا يفتقـــر إليـــه من غوامض المتفلسفين وإلا فكيف يتصور المنع عمـــا هـــو أصـــل الواجبـــات وأســـاس المشروعـــات. (شـــرح العقـــائد ٧ـــ١٤).وقـــال ابـــن خلـــدون (٧٣٢ـــ٨٠٨هـــ) في مقدمته وكـــثر أتبـــاع الشيـــخ أبي الحســـن الأشعـــري واقتفى طريقته من بعده تلميذه كابن مجاهد وغيره وأخذ منـــهم القـــاضي أبـــو بكر الباقلاني فتصدر للإمامة في طريقتهم وهذبهـــا ووضـــع المقدمـــات العقليـــة التي تتوقف عليه الأدلة والأنظار وذلك مثل إثبـــات الجوهـــر الفـــرد والخـــلاء وأن العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبقى زمانين وأمثـــال ذلـــك ممـــا تتوقـــف عليه أدلتهم ...... ثم جاء بعد القاضي أبي بكر البـــاقلاني إمـــام الحرمـــين أبـــو

المعالي فأملى في الطريقة كتاب الشامل وأوسع القول فيه ثم لخصه في كتاب الإرشاد واتخذه الناس إماما لعقائدهم......وربما أدخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الإيمانية وجعلوهم من خصوم العقائد لتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحي الغزالي رحمه الله وتبعه الإمام ابن الخطيب وجماعة قفوا إثرهم واعتمدوا تقليدهم ...... ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين والْتَبَسَتْ مسائلُ الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز أحد الفنين من الآخر ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوالع ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تأليفاتهم إلا أن هذه الطريقة قد يعني بها بعض طلبة العلم للاطلاع على المذاهب والإغراق في معرفة الحِجَاج لوفور ذلك فيها وأما محاذاة طريقة السلف بعقائد علم الكلام فإنما هو الطريقة القديمة للمتكلمين وأصلها كتاب الإرشاد وما حذا حذوه ومن أراد إدخال الرد على الفلاسفة في عقائده فعليه بكتب الغزالي والإمام ابن الخطيب فإنها وان وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس فيها من الاختلاط في المسائل والإلتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم (مقدمة ابن خلدون ٤٦٥).

قال السيد المرتضى إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد هم الأشاعرة والماتريدية:قال الخيالي في حاشيته على شرح العقائد:الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة هذا هو المشهور في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار وفي ديار ما وراء النهر يطلق ذلك على الماتريدية أصحاب الإمام أبي منصور وبين الطائفتين اختلاف في بعض المسائل كمسألة التكوين وغيرها. وقال الكستلي في حاشيته عليه:المشهورُ من أهل السنة في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار هم الأشاعرة أصحاب أبي

السنة أي طريق النبي صلى الله عليه وسلم والجماعة أي طريقة الصحابة رضي الله عنهم وفي ديار ما وراء النهر الماتريدية أصحاب أبي منصور الماتريدي تلميذ أبي نصر العياضي تلميذ أبي بكر الجوزجاني صاحب أبي سليمان الجوزجان صاحب محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة وبين الطائفتين اختلاف في بعض الأصول كمسألة التكوين ومسألة الاستثناء في الإيمان ومسألة إيمان المقلد والمحققون من الفرقين لا ينسب أحدهما الآخر إلى البدعة والضلالة.(اتحاف ٢\٦).

وقال محمد عبد العزيز الفرهاري:"يخالفون(أي الماتريدية) الأشعرية في بعض المسائل منها التكوين قال الأشعرية راجع إلى القدرة وقال الماتريدية صفة أخرى ومنها تكفير أهل القبلة فالأشعري يحترز عنه بخلاف الماتريدية ومنها إيمان المقلد صححه الماتريدية خلافا لبعض الأشعرية ومنها الاستثناء جوزه الأشعرية وقال الماتريدية كفر ومنها القبح والحسن في الأفعال قال الأشعرية لا يدركان إلا بالشرع وقال الماتريدية فيدركهما العقل ومنها أن الأشعرية قالت لا يقبح من الله شيء وقال الماتريدية قد يراعي الله سبحانه المصلحة تفضلا ومنها وجوب صدور ما فيه حكمة ومصلحة من الله تعالى اعترف به الماتريدية كما في إرسال الرسل ونفاه الأشعرية إذ لا يقبح من الله شيء.(نبراس حاشية شرح العقائد ٢٢).

قال صاحب الإتحاف وليعلم أن كلا من الإمامين أبي الحسن وأبي منصور رضي الله عنهما وجزاهما عن الإسلام خيرا لم يبدعا من عندهما رأيا ولم يشتقا مذهبا إنما هما مقرران لمذاهب السلف مناضلان عما كانت عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحدهما قام بنصرة نصوص مذهب الشافعي وما دلت عليه والثاني قام بنصرة نصوص مذهب أبي حنيفة وما دلت عليه وناظر كل منهما ذوي البدع والضلالات حتى انقطعوا وولوا منهزمين وهذا في الحقيقة هو أصل الجهاد الحقيقي الذي تقدمت الإشارة إليه فالانتساب إليهما إنما هو باعتبار أن كلا منهما عقد

على طريق السلف نطاقا وتمسكوأقام الحجج والبراهين عليه فصار المقتدى به في تلك المسالك والدلائل يسمى أشعريا وماتريديا وذكر العز بن عبد السلام أن عقيدة الأشعري أجمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري وأقره على ذلك التقي السبكي فيما نقله عنه ولده التاج وفي كلام عبد الله الميورقي المتقدم ذكره ما نصه أهل السنة من المالكية والشافعية وأكثر الحنفية بلسان أبي الحسن الأشعري يناضلون وبحجته يحتجون ثم قال ولم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة إنما جرى على سنن غيره أو على نصرة مذهب معروف فزاد المذهب حجة وبيانا ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهبا انفرد به ألا ترى أن مذهب أهل المدينة تنسب إلى مالك ومن كان علي مذهب أهل المدينة يقال له مالكي ومالك إنما جرى على سنن من كان قبله وكان كثير الإتباع لهم إلا أنه لما زاد المذهب بيانا وبسطا عزى إليه كذلك أبو الحسن الأشعري لا فرق ليس له في مذهب السلف أكثر من بسطه وشرحه وتواليفه في نصرته ثم عدد خلقا من أئمة المالكية كانوا يناضلون عن مذهب الأشعري ويبدعون من خالفه.

قال التاج: "المالكية أخص الناس بالأشعري إذ لا نحفظ مالكيا غير أشعري ويحفظ من غيرهم طوائف جنحوا إما إلى اعتزال أو إلى تشبيه وإن كان من جنح إلى هذين من رعاع الفرق وذكر ابن عساكر في التبيين ابا العباس الحنفي يعرف بقاضي العسكر ووصفه بأنه من أئمة أصحاب الحنفية ومن المتقدمين في علم الكلام وحكى عنه جملة من كلامه فممن قوله وجدت لأبي الحسن الأشعري كتبا كثيرة في هذا الفن يعني أصول الدين وهو قريب من مائتي كتاب والموجز الكبير يأتي على عامة ما في كتبه وقد صنف الأشعري كتابا كبيرا لتصحيح مذهب المعتزلة فإنه كان يعتقد مذهبهم وصنف كتابا ناقضا لما صنف للمعتزلة وقد أخذ عامة أصحاب الشافعي بما

استقر عليه مذهب أبي الحسن وصنف أصحاب الشافعي كتبا كثيرة على وفق ما ذهب إليه الأشعري(إتحاف ٢/٧).

وقال صاحب الإتحاف أيضا،قال التاج السبكي سمعت الشيخ الإمام الوالد يقول ما تضمنته عقيدة الطحاوي هو ما يعتقده الأشعري لا يخالف إلا في ثلاث مسائل. قلت وكانت وفاة الطحاوي بمصر في سنة إحدى وثلاثين وثلثمأة فهو معاصر لأبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي ثم قال التاج السبكي وأنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا استثني أحدا والشافعية غالبهم أشاعرة لا استثني إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لا يعبأ الله به والحنفية أكثرهم أشاعرة أعني يعتقدون عقيدة الأشعري لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة والحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة إلا من لحق بأهل التجسم وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم وقد تأملت عقيدة أبي جعفر الطحاوي فوجدت الأمر على ما قال الشيخ الإمام الوالد وعقيدة الطحاوي زعم أنها الذي عليه أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد ثم تصفحت كتب الحنفية فوجدت جميع المسائل التي بيننا وبينهم خلاف فيها ثلاث عشرة مسألة منها معنوي ستة مسائل والباقي لفظي وتلك الست المعنوية لا تقتضي مخالفتهم لنا ولا مخالفتنا لهم تكفيرا ولا تبديعا صرح بذلك الأستاذ أبو منصور البغدادي وغيره من أئمتنا وأئمتهم وهو غني عن التصريح لوضوحه ومن كلام الحافظ الذهبي الأصحاب كلهم مع اختلافهم في بعض المسائل كلهم أجمعون على ترك تكفير بعضهم بعضا مجمعون بخلاف من عداهم من سائر الطوائف وجميع الفرق فإنهم حين اختلفت بهم مستشنعات الاهواء والطرق كفر بعضهم بعضا ورأى تبرّيه ممن خالفه فرْضًا قال التاج السبكي ثم هذه المسائل الثلاثة عشر لم يثبت جميعها عن الشيخ ولا عن أبي حنيفة رضي الله عنه ولكن الكلام بتقدير الصحة.(اتحاف ٢/٧-٨).

ذكر السيد المرتضى في الإتحاف،أما أبو الحسن الأشعري فهو الإمام

الناصر للسنة إمام المتكلمين علي بن إسماعيل بن أبي بشر اسحق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري.

واسم أبي موسى عبد الله بن قيس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه ترجمه الحافظان أبو القاسم بن عساكر في كتاب تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري وأبو عبد الله الذهبي في تاريخ الإسلام وقبلهما الحافظ أبو بكر الخطيب في التاريخ ثم التاج السبكي في الطبقات والعماد بن كثير الحافظ في الطبقات أيضا ما بين مطول ومختصر ما حاصله ولد سنة ستين ومائتين وقيل سنة سبعين والأول أشهر.

أخذ علم الكلام أولا عن شيخه أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي شيخ المعتزلة ثم فارقه لمنام رآه ورجع عن الاعتزال وأظهر ذلك إظهارا فصعد منبر البصرة يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وان الله لا يرى في الدار الآخرة بالأبصار وان العباد يخلقون أفعالهم وها آنا تائب من الإعتزال معتقد الرد على المعتزلة ثم شرع في الرد عليهم والتصنيف على خلافهم ودخل بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي أحد أئمة الحديث والفقه وعن أبي خليفة الجمحي وسهل بن سرح ومحمد بن يعقوب المقري وعبد الرحمن بن خلف الضبي البصريين وروى عنهم كثيرا في تفسيره وصنف بعد رجوعه من اعتزاله الموجز وهو في ثلاث مجلدات كتاب مفيد في الرد على الجهمية والمعتزلة ومقالات الاسلاميين وكتاب الابانة وقال الخطيب هو بصري سكن بغداد إلى أن توفي وكان يجلس في أيام الجمعات في حلقة أبي اسحق المروزي الفقيه في جامع المنصور وممن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي وأبو الحسن الباهلي وبندار بن الحسن الصوفي وأبو الحسن علي بن محمد

بن مهدي الطبري وهؤلاء الأربعة أخص أصحابه فابن مجاهد هو شيخ أبي بكر الباقلاني وهو مالكي كما صرح به عياض في المدارك والباهلي شيخ الأستاذ بن أبي اسحق الإسفرايني وأبي بكر بن فورك وشيخ الباقلاني أيضا إلا أنه أخص بابن مجاهد والأستاذان أخص بالباهلي ومن الآخذين عن الأشعري الأستاذ أبو سهل الصعلوكي وأبو بكر القفال وأبو زيد المروزي وأبو عبد الله بن خفيف الشيرازي وزاهر بن أحمد السرخسي والحافظ أبو بكر الجرجاني الاسماعيلي والشيخ أبو بكر الأَوْدَنِي والشيخ أبو محمد الطبري العراقي وأبو جعفر السلمي النقاش وغيرهم هؤلاء أصحابه وأما الذين جالسوا أصحابه وأصحاب أصحابه وهلم جرا فهم كثيرون على طبقاتهم وأما اجتهاد الشيخ في العبادة فأمر غريب.

ذكر بندار خادمه أنه مكث عشرين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء وكان يأكل من غلة قرية وقفها جده بلال بن أبي بردة على نسله قال وكانت نفقته في كل سنة سبعة عشر درهما كل شهر درهم وشيء يسير قال ابن كثير قال الأستاذ أبو اسحق الإسفرايني كنت في جنب أبي الحسن الباهلي كقطرة في البحر وسمعته يقول كنت أنا في جنب أبي الحسن الأشعري كقطرة في البحر وقال القاضي الباقلاني أحسن أحوالي أن أفهم كلام أبي الحسن الأشعري وقال ابن السبكي ومن أراد معرفة قدر الأشعري وان يمتلئ قلبه من حبه فعليه بكتاب تبيين كذب المفتري للحافظ ابن القاسم بن عساكر وهو من أجل الكتب وأعظمها فائدة وأحسنها ويقال لا يكون الفقيه شافعيا على الحقيقة حتى يحصل هذا الكتاب وكان مَشْيَخَتُنَا يأمرون الطلبة بالنظر فيه قال وقد زعم بعض الناس أن الشيخ كان مالكي المذهب وليس ذلك بصحيح إنما كان شافعيا تفقه على أبي اسحق المروزي نص على ذلك الأستاذ أبو بكر بن فورك في طبقات المتكلمين والأستاذ أبو اسحق الاسفرايني فيما نقله الشيخ أبو محمد الجويني في شرح الرسالة والمالكي هو القاضي أبو بكر الباقلاني شيخ الأشاعرة.

قلت والذى قال إنه مالكي المذهب جماعة منهم القاضي عياض فذكره في طبقاتهم في كتابه المدارك واعتمد عليه وتبعه على ذلك غير واحد ومنهم أبو عبد الله محمد بن موسى بن عماد الكلاعى اليورقي وهو من أئمة المالكية فإنه صرح في ترجمة الشيخ بأنه كان مالكي المذهب في الفروع.

وحكي أنه سمع الإمام رافع الحمال يقول ذلك هكذا نقله الذهبي قال ابن السبكي وقد وقع لي إن سبب الوهم فيه أن القاضي أبا بكر أن يقال له الأشعري لشدة قيامه في نصرة مذهب الشيخ وكان مالكيا على الصحيح الذي صرح ابن السمعاني في القواطع وغيره من النقلة الأثْبَاتِ ورافع الحمال قرأ على من قرأ على القاضي فَأَظُنُّ اليورقي سمع رافعا يقول الأشعري مالكي فتوهمه يعنى الشيخ وإنما يعني رافعٌ القاضي أبا بكر هذا ما وقع لي ولا أشك فيه.

واليورقي رجل معتزلي بعيد الدار عن بلاد العراق متأخر عن زمان أصحاب الشيخ وأصحاب أصحابه فيبعد عليه تحقيق حاله وقد تقدم كلام الشيخ أبي محمد الجويني عن الأستاذ أبي اسحق وكفى به فإنه أعرف من رافع ولا أحد في عصر الأستاذ أخبر منه بحال الشيخ إلا أن يكون الباقلاني: وهذا الذي ذكره آخره مسلم ولكن توجيهه لكلام رافع مستبعد كما لا يخفى ولم لا يكون الشيخ عارفا بالمذهبين يفتي بهما كما كان ابن دقيق العيد وغيره من جهابذة العلماء ويكون دعوى كل من الفريقين صحيحا فتأمل.

وقال ابن كثير ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال أولها حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة الحال الثاني إثبات الصفات العقلية السبعة وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وتأويل الجزئية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك والحال الثالث إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريا على منوال السلف (وقد تقدم منا أن مذهب السلف غير مذهب المبتدعة) وهي

طريقته في الإبانة التي صنفها آخرا وشرحها الباقلاني ونقلها ابن عساكر وهي التي مال إليها الباقلاني وإمام الحرمين وغيرهما من أئمة الأصحاب المتقدمين في أواخر أقوالهم والله أعلم.

واختلف في وفاته على أقوال فقال الأستاذ ابن فورك والحافظ أبو يعقوب إسحق بن إبراهيم القراب وأبو محمد بن حزام أنه مات سنة أربع وعشرين وثلاثمأة وقال غيرهم سنة ثلاثين وقيل سنة نيف وثلاثين وقيل سنة عشرين والأول أشهر قلت وصححه ابن عساكر.

وأما الإمام أبو منصور الماتريدي فهو محمد بن محمد بن محمود الحنفي المتكلم وما تريد ويقال ما تريت بالمثناة الفوقية بدل الدال في آخره محلة بسمرقند أو قرية بها ويلقب بامام الهدى وترجمه الإمام المحدث محي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفا القرشي الحنفي في الطبقات المسمى بالجواهر المضيئة والإمام مجد الدين أبو الندى إسمعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن موسى الكتاني البلبيسي القاهري الحنفي في كتاب الأنساب كل منهما على الاختصار وكذا يوجد بعض أحواله في انتساب كتب المذهب وحاصل ما ذكروه أنه كان إماما جليلا مناضلا عن الدين موطدا لعقائد أهل السنة قَطَعَ المعتزلةَ وذوي البدع في مناظراتهم وخَصَمَهم في محاوراتهم حتى أسكتهم تخرج بالامام أبي نصر العياضي وكان يقال إمام الهدى وله مصنفات منها كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب رداوائل الادلة للكعبي وكتاب بيان وهم المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يدانيه شيء من تصنيف من سبقه في ذلك الفن وله غير ذلك وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمأة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل.

وقبره بسمرقند كذا وجد بخط الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن المنير الحلبي الحنفي ووجدت في بعض المجاميع بزيادة محمد بعد محمود وبالأنصاري في نسبه فإن صح ذلك فلا ريب فيه فإنه ناصر السنة وقامع

البدعة ومحيي الشريعة كما أن كنيته تدل على ذلك أيضا ووجدت في كلام بعض الأجلاء من شيوخ الطريقة انه كان مهدي هذه الأمة في وقته ومن شيوخه الإمام أبو بكر أحمد بن اسحق بن صالح الجوزجاني صاحب الفرق والتمييز وأما شيخه المذكور أبو نصر العياضي الذي تخرج به هو أحمد بن العباس بن الحسين بن جبلة بن غالب بن جابر بن نوفل بن عياض بن يحي بن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الفقيه السمرقندي ذكره الإدريسي في تاريخ سمرقند وقال كان من أهل العلم والجهاد ولم يكن أحد يضاهيه لعلمه وورعه وجلادته وشهامته إلى أن استشهد خلف أربعين رجلا من أصحابه كانوا من أقران أبي منصور الماتريدي.

وله ولدان فقيهان فاضلان أبو بكر محمد وأبو أحمد ومن مشائخ الماتريدي نصير بن يحي البلخي ويقال نَصْرٌ مات سنة ثمان وستين ومائتين ومن مشائخ الماتريدي محمد بن مقاتل الرازي قاضي الري ترجمه الذهبي في الميزان وقال حدث عن وكيع وطبقته وقد تقدم ذكره في الباب السادس من كتاب العلم في قصة دخول حاتم الاصم عليه فأما أبو بكر الجوزجاني وأبو نصر العياضي ونصير بن يحي فكلهم تفقهوا على الامام أبي سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني وهو على الامامين أبي يوسف ومحمد بن الحسن وتفقه محمد بن مقاتل ونصير بن يحي أيضا على الإمامين أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي وأبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي وأخذ محمد بن مقاتل أيضا عن محمد بن الحسن أربعتهم عن الامام أبي حنيفة قال ابن البياضي من علمائنا وليس الماتريدي من أتباع الأشعري لكونه أول من أظهر مذهب أهل السنة فلا يخلو زمان من القائمين بنصرة الدين واظهاره كما في التبصرة النسفية وكيف لا وقد سبقه أيضا في ذلك الامام أبو محمد عبد الله بن سعيد القطان وله قواعد وكتب وأصحاب ومخالفات للحنفية لا تبلغ عشر مسائل كما في سير الظهيرية والامام أبو العباس أحمد بن أحمد بن إبراهيم القلانسي الرازي وله أيضا قواعد وكتب وأصحاب وألف

الإمام ابن فورك كتاب اختلاف الشيخين القلانسي والأشعري كما في التبصرة النسفية.

قلت أما عبد الله بن سعيد القطان فهو أبو محمد المعروف بابن كلاب بالضم والتشديد ويقال فيه عبد الله بن محمد أيضا أحد الأئمة المتكلمين.

ووفاته بعد الأربعين ومأتين فيما يظهر ذكره أبو عاصم العبادي الشافعي في طبقة أبي بكر الصيرفي وابن النجار في تاريخ بغداد وذكر بينه وبين عباد بن سليمان مناظرة وعباد بن سليمان هذا من رؤس المعتزلة وابن كلاب من أئمة السنة كان يقول إن صفات الذات ليست هي الذات ولا غيرها ثم زاد على سائر أهل السنة فذهب كعباد بن سليمان أن كلامه تعالى لا يتصف بالامر والنهي والخبر في الازل لحدوث هذه الأمور وقدم الكلام النفسي وإنما يتصف بذلك فيما لا يزال فألزمهما أئمتنا أن يكون القدر المشترك موجودا بغير واحد من خصوصياته فهذه هي مقالة ابن كلاب التي ألزمه أصحابنا وجود الجنس دون النوع وهو غير معقول وكان عباد ينسبه للكفر لعله لتلك المقالة أو لان المعتزلة بأسرهم يقولون للصفاتية أعني مثبتي الصفات لقد كفرت النصارى بثلاث وكفرتم بسبع وهو تشنيع من سفهاء المعتزلة على الصفاتية ما كفرت الصفاتية ولا أشركت وإنما وَحَّدَتْ وأثبتت صفاتَ قديمٍ واحِدٍ بخلاف النصارى فانهم أثبتوا قدماء فأني يستويان أو يتقاربان وقد ذكره والد الفخر الرازي في آخر كتاب غاية المرام في علم الكلام فقال ومن متكلمي أهل السنة في أيام المأمون عبد الله بن سعيد التميمي الذي ذم المعتزلة في مجلس المأمون وفضحهم ببيانه وهو أخو يحي ابن سعيد القطان،صاحب الجرح والتعديل.(اتحاف٢\٣ــ٦).

ثم بين سيد المرتضى الكتب المصنفة في أصول الدين فقال فمن كتب الأشاعرة كتاب الأسماء والصفات للإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي وهو أجمع كتاب رأيته في الفن وكتاب

السنة للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللآلكائي والتذكرة القشيرية للإمام أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري والمدخل الأوسط إلى علم الكلام للإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك والكافي في العقد الصافي للإمام الفقيه أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الصمد الإسكاف النيسابوري وعمدة العقائد والفوائد باثبات الشواهد للإمام يوسف بن ذو ناس الفندلائي المالكي ومعتقد أهل السنة والجماعة للإمام ركن الإسلام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني واعتقاد أهل السنة للإمام زين الإسلام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري وتحرير المطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب لمحمد بن عبد الرحمن البكي قاضي الجماعة بتونس ولمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة لإمام الحرمين وشرحه للإمام شرف الدين بن التلمساني وشرح الكبرى للشريف أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي وحاشية العلامة أبي الوفاء الحسن بن مسعود اليوسي عليه ومختصر شرح السنوسي على الجزائرية لابن تركي وهداية المريد شرح جوهرة التوحيد للبرهان اللقاني والحاشية على أم البراهين للشهاب أحمد بن محمد الغنيمي والعقيدة للإمام أبي إسحق الشيرازي صاحب التنبيه والعقيدة للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام وشرح عقيدة المصنف لبعض العلماء الفضلاء وهي صغيرة الحجم في نحو ورقة وشارحها ألفه بمكة في رابع رجب سنة خمس وعشرين وثمانمأة سماه منار سبل الهدى في مجلد ومشكوة الأنوار وكيمياء السعادة والمقصد الأسنى في معاني أسماء الله الحسنى والمعارف العقلية ولباب الحكمة الإلهية والمنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال وإلجام العوام في علم الكلام والاربعين في أصول الدين السبعة للمصنف وكتاب أسرار التنزيل للفخر الرازي ومحجة الحق ومنجاة الخلق لأبي الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني وتبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري للحافظ ابن عساكر وتأويل المتشابهات لشمس الدين ابن اللبان .

ومن كتب الماتريدية شرح عقيدة الإمام أبي جعفر الطحاوي لأبي المحاسن محمود بن أحمد بن مسعود القونوي الحنفي وشرح العقائد النسفية لمؤلفه الإمام نجم الدين عمر بن محمد النسفي
. وكتاب المسايرة للكمال بن الهمام مع شرح تلميذه ابن أبي شريف عليه وشرح الفقه الأكبر للعلامة ملا علي القاري ونظم الفرائد وجمع الفوائد للفاضل عبد الرحيم بن علي الرومي واشارات المرام من عبارات الإمام للعلامة بياض زاده جمع فيه الكتب الخمسة المنسوبة للإمام وشرحها والعمدة للإمام ناصر الحق نور الدين أبي المحامد أحمد بن محمود الصابوني البخاري وهو غير عمدة النسفي وشرح بحر الكلام للبخاري وتلخيص الأدلة للصفار وغير هؤلاء مما سيأتي التصريح بالنقل عنها في مواضع من هذا الكتاب.(اتحاف ٢/٢،٣ للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيد الشهير بمرتضى).

تنبيه: في نسبة جميع ما في كتاب الإبانة المطبوعة الآن إلى الإمام الأشعري نظر قوي صنف في هذا النظر بعض العلماء السوريين وسماه نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه إلى الإمام أبي الحسن الأشعري. وينبغي أن يتأمل في كل كتاب مطبوع الآن هكذا والله أعلم.

سِلْسِلَةُ الأَسَاتِذَة

سِلْسِلَةُ الأُساتذة لكفاية العوام من أساتذتي عَبْدُ الرَّحْمٰنِ المَنْجِيرِي(توفي ١٤٠١ ودفن بمقبرة الجامع المسجد الكبير القديم بوسط المنجيري) وتعلم من أعلام منهم يُوسُفُ الْفَضْفَرِي(ت ١٣٣٦ كان مدرسا بجامع المسجد الكبير القديم بِمَلاُبُرَمْ ودفن بمقبرة الجامع المسجد بَرِمْبَلَمْ) تعلم من أعلام منهم عَبْدُ الرَّحْمٰنِ النَّقْشَبَنْدِي التَّانُورِي (ت ١٣٢٢ ودفن بِتَانُورْ قرب المسجد الذي بناه المشهور بمسجد الشيخ) تعلم من أعلام منهم أَبُو بَكْرٍ كُويَا المشهور بِأَوْكُويَا الْبَرَنْبَغَادِي(ت ١٢٩٢ ودفن قرب

المسجد الجامع القديم الساحل بِبَرَنْبَغَادِي) وتعلم من أعلام منهم عُمَرُ الْقَاضِي الْبِلَنْكَوِيّ (ت ١٢٧٣ ودفن قرب المسجد الجامع الْبِلَنْكَوِيّ) وتعلم من أعلام منهم مُحَمَّدُ بْنُ صُوفِ الْفَنَّانِي المشهور بِعَمِّ كُتِّ الْقَاضِي (هذا القاضي بفنان مخدومي أُمًّا فقط وليس أبوه صُوفِيٌّ مخدوميا ودفن داخل حائط مقبرة المخاديم قرب جامع المسجد الكبير بِفَنَّانِ) وتعلم من أعلام منهم إِبْرَاهِيمُ الْبَاجُورِي وتعلم من أعلام منهم مُحَمَّدُ الْفَضَالِي مصنف كفاية العوام رحمه الله.

سِلْسِلَةُ شرح العقائد أجازني محمد يَس الفاداني (ت ١٤١١ أستاذ الحديث والأساتيذ بدار العلوم الدينية بمكة) بما نص عبارته أرويه عن الشيخ محمد علي المالكي عن السيد بكري عن السيد أحمد زيني دحلان عن عثمان الدمياطي عن عبد الله الشرقاوي عن أحمد الملوي عن أحمد النخلي عن عبد الله بن سعيد باقشير المكي عن السيد عمر البصري عن محمد الرملي عن القاضي زكريا الأنصاري عن عمر بن فهد عن الكمال المرشد عن حسام الدين الابيوردي عن المؤلف سعد الدين التَّفْتَزَانِي رحمه الله وكذا سلسلتي لمختصر المعاني والمطول.

سِلْسِلَةُ الإِبَانَةِ للإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله. أجازني محمد يَس الفاداني عن عبد الله الغازي عن عبد الحق الأَلَهَابَادِي عن عبد الغني المُجَدِّدِي عن محمد عابد السندي عن السيد أحمد الحَجَّام عن محمد المِزْجَاجِي عن حسن العُجَيْمِي عن الصفي أحمد العَجِل عن يحي الطبري عن الحافظ عبد العزيز بن فهد عن محمد المراغي عن عبد الرحمن الغَزِّي عن أحمد المَقْدَسِي عن محمد الحَرَّانِي عن محمد الفُرَاوِي عن إمام الحرمين الجويني عن أبي القاسم الإِسْكَافِ عن إبراهيم الشيرازي عن أبي حسين الباهلي عن المؤلف أبي الحسن الأشعري.

سِلْسِلَةُ العقيدة الطحاوية من كتب الماتريدية (١) محمد يَس الفاداني بسنده المار آنفا في كتاب الإبانة إلى يحي الطبري (١١) عن الشيخ

زكريا الأنصاري (١٢) عن الحافظ أبي نعيم المُستملي (١٣) عن أبي الطاهر الكُوَيك (١٤) عن إبراهيم البعلي (١٥) عن محمد اليُونيني (١٦) عن الحافظ محمد المديني (١٧) عن إسمعيل بن الفضل (١٨) عن منصور بن الحسين (١٩) عن الحافظ أبي بكر المقري (٢٠)عن مؤلفه أبي جعفر الطحاوي رحمه الله وكذا سلسلتي لشرح معاني الآثار للطحاوي.

سِلْسِلَةُ أُمِّ البراهين وشَرْحَيْها للسنوسي بالسند المار في كتاب الإبانة إلى حسن العجيمي (٩) عن عاشور التونسي (١٠) عن محمد التواتي (١١) عن عبد القادر بن خدَّة (١٢) عن المؤلف محمد بن يوسف السنوسي المالكي رحمه الله.

سلسلة جوهرة التوحيد وشرحيها للبرهان اللقاني. (١) محمد يّس الفاداني (٢) خليفة بن حَمَد النبهاني (٣) فالح الظاهري (٤) محمد السنوسي (٥) محمد المعداني (٦) محمد البناني (٧) حسن العجيمي (٨) أحمد المالكي الصِيْلي (٩) المؤلف إبراهيم بن إبراهيم اللقاني رحمه الله.

سِلْسِلَةُ اَلْعُلَمَاءِ اَلْمَلَيْبَارِيِّيْنَ:ـ

ومن سلسلتي ما تقدم في كفاية العوام إلى مَيّمْ كُتِّ القاضي،ومنه على ما قيل (٧) علي حسن الأول المخدوم الفناني (ت ١٢٠١ تقريبا) (٨) الشيخ أحمد الأول المخدوم الفناني (ت ١١٨١ تقريبا) (٩) خواجا أحمد المخدوم الفناني (ت ١١٦٠ تقريبا) (١٠) نور الدين المخدوم الفناني أستاذ كُنْجَايِنْ المليار المشهور باللغز (ت ١١٥٠ تقريبا) (١١) عبد العزيز الثالث المخدوم الفناني (ت ١١٢٣ تقريبا)(١٢) عبد الرحمن الثاني المخدوم الفناني (ت ١٠٩١ تقريبا) (١٣) عثمان المخدوم الفناني (ت ١٠٥٩ تقريبا) (١٤) والده عبد الرحمن المخدوم (ت١٠٢٨ تقريبا) وهو ابن الشيخ عثمان المخدوم مصنف شرح قطر الندى.قبور كل واحد من هؤلاء المخاديم داخل حائط مقبرة المخاديم قرب المسجد الجامع الكبير بِفَنَّانِي (١٥) زين الدين المخدوم صاحب فتح المعين (ت ١٠٠٠تقريبا)

(١٦)ابن حجر الهيتمي المكي صاحب تحفة المحتاج (٩٠٩ ــ ٩٧٣) (١٧) الشيخ زكريا الأنصاري صاحب شرح البهجة (٨٢٦ــ٩٢٦) (١٨) ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري (٧٧٣ــ٨٥٢) (١٩) عبد الرحيم العراقي صاحب تقريب الأسانيد (ت٨٠٦) (٢٠) العلاء علي بن إبراهيم العطار صاحب شرح العمدة (٦٥٤ــ٧٢٤) (٢١) الإمام النووي صاحب المنهاج (٦٣١ــ٦٧٩) (٢٢) سلار بن الحسن الاربلي صاحب مختصر البحر (٢٣) محمد القزويني صاحب الشامل الصغير (٢٤) عبد الغفار القزويني صاحب الحاوي الصغير (ت ٦٦٥) (٢٥) الإمام الرافعي صاحب المحرر(٥٥٧ــ٦٢٣) (٢٦) محمد بن عبد الكريم الرافعي (ت ٥٨٠) (٢٧) محمد النيسابوري صاحب شرح الوسيط(٤٦٧ــ٥٤٩) (٢٨) الغزالي صاحب البسيط والإحياء (٤٥٠ــ٥٠٥) (٢٩) إمام الحرمين صاحب نهاية المطلب (٤١٩ــ٤٧٩) (٣٠) أبو محمد الجويني صاحب مختصر مختصرالمزني (ت ٤٣٨) (٣١) أبو بكر المروزي إمام طريقة الخراسانيين (٣٢٧ــ٤١٧) (٣٢) محمد المروزي (٣٠١ــ٣٧١) (٣٣) أبو اسحق المروزي (ت ٣٤٠) (٣٤) أحمد البغدادي (٢٤٩ــ٣٠٦) (٣٥) عثمان الأنماطي (ت٢٨٨) (٣٦) الربيع المرادي(١٤٧ــ٢٧٠) (٣٧) الإمام الشافعي (٣٨) الإمام مالك (٣٩) نافع (٤٠) ابن عمر (٤١) سيدنا محمد النبي ﷺ

مِنْ سِلْسِلَةِ الشَّالِيَاتِيِّ رَحِمَهُ اللهُ

(١) حسب الله مصنف رياض البديعة (٢) شرواني صاحب حاشية التحفة (٣) إبراهيم السقا (٤) ثعيلب (٥) ملوي شيخ صاحب الاتحاف (٦) منوفي (٧) شبراملسي (٨) زيادي (٩) ابن حجر الهيتمي رحمه الله إلى آخر ماتقدم.

مِنْ سِلْسِلَةِ عَبْدِ الْبَارِي الْمُسْلِيَار وَالْكُلَّـم

والده مَمُكُتِّ الْمُسْلِيَار (٢) أُوْكُوْيَا المسليار (٣) مَمَـدْ المخدوم (٤) مَمُكُـتِّ

القاضي رحمه الله إلخ

مِنْ سِلْسِلَةِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ المُسْلِيَار بَانَايِ كُلَمْ المشهور بالعروس.

كُتِّيَامُ المسليار (٢) صِيَامُ المسليار (٣) مُحَمَّدُ المخدوم (٤) مُمَّكُتِّ القاضي رحمهم الله إلخ

مِنْ سِلْسِلَةِ كُنْج عَلَوِي المُسْلِيَار اَلَنَكُّورِي

أحمد كُتِّ المسليار المُلَّسِوي (بَانْغِلْ ت ١٣٦٥) (٢) أحمد المسليار (مَنَّارْكَاذْ) كَوُمْبَنَاكَلْ ت ١٣٥٤) (٣) كُتِّيَامُ المسليار اَلْبَلَنْكُوتِي (ت ١٣٤١) (٤) زين الدين المخدوم الأخير (ت ١٣٠٥) (٥) عمر القاضي اَلْبِلَنْكُوتِي رحمهم الله إلخ

مِنْ سِلْسِلَةِ فَرِيدْ المسليار تَاذَابُرَامْ (أَرَكَّلْ)

(١) كُنْج أَحْمَدْ كُتِّ المسليار تَاذَابُرَمْ المشهور بعينبكُوتْ أُورْ (٢) الشيخ علي بن الهمداني المشهور بِكُتِّيَالِ المسليار الكبير بَارَكْدَوَتْ (ت ١٣٧٠) (٣) مُمَّكُتِّ القاضي رحمهم الله إلخ

مِنْ سِلْسِلَةِ مَمُّ المسليار (وَدَكَنْ)

(١) الحاج عبد الله القاضي بِكَاسَرْكُوتْ (ت ١٣٣٧) (٢) إبراهيم المسليار (كِيُوُرْ) (٣) سعد المسليار (ت ١٣٠٠) (٤) أحمد المخدوم الثاني (٥) مُمَّكُتِّ القاضي رحمهم الله إلخ

مِنْ سِلْسِلَةِ صَدَقَةِ اللهِ المسليار القاضي بِوَنْدُورْ

(١)القطبي (٢) كُنْج أحمد الحاج(ت ١٣٣٨) (٣) عبد العزيز المسليار (وَلِيَالْ) مصنف مولد بدر في كتاب الموالد (ت ١٣٢٢) (٤) علي حسن كُوَيَا كُتِّ المسليار (٥) زين الدين الرملي (ت ١٣٠٩ (٦) أَوْكُوَيَا المسليار (بَرَنَنْغَاذِي) إلخ.

ثبتنا الله تعالى في عقائدهم ونفعنا بعلومهم وبركاتهم في الدارين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تَرْجَمَةُ الأَئِمَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي هٰذَا الْكِتَابِ

أبو داود (٢٠٢ ــ ٢٧٥) إمام أهل الحديث في زمانه حنبلي المذهب أصله من سجستان استقر في البصرة وتوفي فيها رحل وجمع وصنف وخرج أخذ عن الإمام أحمد بن حنبل وسمع الكثير وعده أبو اسحق الشيرازي في طبقات الفقهاء من جلة أصحاب الإمام أحمد بن حنبل له كتاب السنن معدود من الصحاح الست جمع فيه ٤٨٠٠ حديثا في الشؤن الفقهية.

ابن سعد (ت ٢٣٠) محدث حافظ مؤرخ ولد في البصرة وتوفي ببغداد صحب الواقدي المؤرخ روى عن سفيان بن عيينة وخلق كثير أشهر مؤلفاته(كتاب الطبقات الكبير).

أبو يوسف (ت ١٨٢) ولد في الكوفة وتوفي في بغداد فقيه حنفي افقه أهل عصره ولم يتقدم عليه أحد في زمانه وكان بالنهاية في العلم والحلم أول من وضع الكتب في الفقه على مذهب أبي حنيفة وأكبر أصحابه تولى القضاء في بغداد له كتاب "الخراج" "والرد على سير الأوزاعي" و"اختلاف أبي حنيفة وأبي ليلى" و"أدب القاضي"

ابن خلكان (١٢١١ــ ١٢٨٢) مؤرخ ولد في أربل تعلم في حلب ودمشق والقاهرة له "وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان" وهو معجم تاريخي كبير.

أبو السعود العمادي (٨٩٨ ــ ٩٨٢ هـ) الموافق (١٤٩٣ ــ ١٥٧٤م) فقيه حنفي من الكبار ولد بقرية قريبة من قسطنطينة له "بضاعة القاضي" في الفقه و"ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" المعروف بتفسير أبي السعود.

أحمد بن حنبل الشيباني (ولد ببغداد سنة ١٦٤ وتوفي بها سنة ٢٤١ هـ) كان إماما في الفقه والحديث والزهد والورع والعبادة رحل إلى مكة والكوفة والبصرة والمدينة واليمن والشام سمع من يحي بن سعيد القطان وسفيان بن عيينة والشافعي وغيرهم روي عنه محمد بن إسمعيل البخاري ومسلم بن الحجاج وأبو داود ومناقبه شهيرة وهو أحد المجتهدين كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث له من التصانيف تفسير القرآن وكتاب المسند يحتوي على أربعين ألفا حديث وغير ذلك.

ابن القيم الجوزية (٦٩١ ــ ٧٥١) دمشقي المولد والوفاة تخرج بابن تيمية ونشر علمه ومن تصانيفه الروح.

ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني (٢٠٩ ــ ٢٧٣) القزوين مدينة في شمال إيران الشافعي كما في عرف الشذي محدث حافظ مفسر مؤرخ أشهر مؤلفاته "السنن" وفيه ٤٣٤١ حديثا و ٣٠٠٢ مذكورة في بقية الست وهو من الكتب الستة في الحديث سمع أصحاب مالك والليث.

المغربية رحالة طاف في أنحاء العالم له "تحفة النظام في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة".

ابن حجر الهيتمي المكي (٨٩٩هـ ٩٧٤) ولد في محلة أبي الهيتم من بلاد مصر فقيه شافعي درس في الأزهر وبرع في علوم كثيرة من التفسير والحديث والكلام والفقه أصولا وفروعا والفرائض والحساب والنحو والبيان والمعاني والمنطق والتصوف. من مؤلفاته "الفتاوى الكبرى" والزواجر عن اقتراف الكبائر:" والامداد" و"تحفة المحتاج في شرح المنهاج" و"فتاوى الحديثية" و"فتح الجواد" و"فتح المبين".

ابن حجر العسقلاني: المصري الشافعي (٧٧٣ـ٨٥٢ هـ) محدث من الأئمة مؤرخ أديب شاعر ولد وتولي بالقاهرة زادت تصانيفه في الحديث والتاريخ والأدب والفقه على مائة وخمسين مصنفا منها "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" و"الإصابة في تمييز الصحابة".

ابن كثير: إسمعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ـ٧٧٤) صحب ابن تيمية وقرأ في الأصول على الاصبهاني ومن مصنفاته التاريخ المسمى بالبداية والنهاية وتفسير ابن كثير كانت له خصوصية بابن تيمية وكان يفتي برأيه توفي ببغداد كما في شذرات (٦/٢٣١). ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية.

أبو بكر الخطيب البغدادي (٣٧٢ـ٤٦٣هـ) حافظ من الأئمة الأعلام وصاحب التأليف المنتشرة في الإسلام وتفقه مذهب الشافعي على القاضي أبي الطيب الطبري قال ابن الاهدل تصانيفه قريب من مائة مصنف في اللغة دفن إلى جانب قبر بشر الحالي.

ابن قدامة: المقدس الحنبلي(٦٠٥ـ ٦٤٣) المحدث الحافظ وسمع من جده وقال الذهبي كان ثقة حافظا زكيا متيقظا صاحب عبادة تام المروءة امارا بالمعروف قوالا بالحق وألف مجلدا كبيرا في الرد على الحافظ محمد بن طاهر المقدسي وتولي ودفن بسفح قاسيون جبل مشرف على قوطة دمشق ومن مصنفاته كتاب المغني وغير ذلك.

ابن قاسم العبادي المشهور بِسِمْ المصري الأزهري الشافعي الإمام العلامة الفهامة أخذ عن اللقاني وشهاب الدين المعروف بعميرة وغيرهم (ت ٩٩٤) توفي بالمدينة عائدا من الحج من تصانيفه الآيات البينات في شرح جمع الجوامع وحاشية على تحفة ابن حجر وحاشية على مختصر التلخيص وغير ذلك.

ابن عساكر الدمشقي(١١٠٥ ـ ١١٧٥) ولد في دمشق محدث شافعي مؤرخ له تارخ الكبير.

إسمعيل البروسوي (١٠٦٤ـ١١٣٧هـ الموافق١٦٥٢ ـ ١٧٢٥م) العالم العلامة والشاعر المعروف والشيخ النحرير الكامل الجامع بين البواطن والظواهر قام في بروسيا وفيها مات له مؤلفات في العلوم الدينية والتصوف أهمها روح البيان وهو تفسير القرآن وروح المثنى وهو شرح كتاب جلال الدين الرومي وفرح الروح.

أبو حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤ـ٧٥٤) هو العالم العلامة البحر الفهامة المحقق المدقق حجة البلغاء وقدوة النحاة والادباء ولد في غرناطة وتوفي في القاهرة من تصانيفه البحر المحيط وغيرها.

أبو بكر بن السني الحافظ الدينوري.دينور مدينة في كردستان الإيراني المتوفى سنة ٣٦٤ هـ صاحب كتاب عمل اليوم والليلة ورحل وكتب الكثير وروى عن النسائي.

بخاري: أبو عبد الله محمد بن إسمعيل البخاري (١٩٤ـ٢٥٦هـ) بلده بخارى وقبره بسمرقيد شافعي المذهب كما في طبقات الشافعي لم ير في زمانه مثله من جهة حفظ الحديث واتقانه وفهم معاني كتاب الله وسنة رسوله ومن حيثية حدة ذهنه ودقة نظره ووفور فقهه وكمال زهده وغاية ورعه وكثرة اطلاعه على طرق الحديث وعلله حفظ مئات آلاف من الحديث وأخرج عنها كتابه الجامع الصحيح الذي اشتهر به أحاديثه ٧٢٧٥ وقد شرحه ابن حجر العسقلاني والقسطلاني وأبو زيد ومن كتبه الجامع الصغير، المسند الكبير، التاريخ في تراجم رجال الاسناد والحديث وغيره ومن أساتذته أحمد بن حنبل وغيره ومن تلامذته الترمذي وغيره.

بيضاوي: عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي(ت ٦٨٥) مفسر مشهور ولد في البيضاء من بلاد فارس أهم تصانيفه أنوار التنزيل وأسرار التأويل له مكانة عظيمة عند أهل السنة ومنهاج الوصول في علم الأصول وغير ذلك وقال ابن حبيب تكلم كل من الأئمة بالثناء على مصنفاته كان إماما مبرزا نظارا خيرا صالحا متعبدا.

بيهقي: أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨) ولد في البيهق مقاطعة غربي نيسابور(خراسان) ولد في خروجرد ونشأ في بيهق وتوفي بنيسابور الإمام العلامة الشافعي الحافظ صاحب التصانيف وفاق أقرانه حفظا وإتقانا وثقة وعمدة شيخ خراسان من أئمة الحديث له السنن الكبرى، والصغرى والمعارف ودلائل النبوة والترغيب والترهيب وغير ذلك وبلغت تصانيفه ألف جزء وهو أول من جمع نصوص الشافعي في عشر مجلدات وكان أشد الناس في نصر المذهب الشافعي.

بناني: عبد الرحمن بن جار الله المغربي في بلاد مروكو نزيل مصر الفقيه المالكي(ت ١١٩٨) صنف حاشية على جمع الجوامع.

بجيرمي: سليمان بن محمد البجيرمي المصري الشافعي (١١٣١ـ١٢٢١) من تصانيفه التجريد لنفع العبيد.حاشية على شرح المنهج للقاضي زكريا.حاشية على الاقناع.

تفتازاني: سعد الدين التفتازاني (١٣١٢ـ١٣٨٩م) من أئمة العربية ولد في تفتازان (خراسان) وتوفي في سمرقند لغوي له حجة في البلاغة والمنطق وما وراء الطبيعة والكلام والفقه وغيرها من العلوم له كتب مدرسية كثيرة من مؤلفاته تهذيب المنطق والمطول في البلاغة وشرح التصريف العزي ومقاصد الطالبين في الكلام.

ترمذي: أبو عيسى الترمذي (٢٠٩ــ٢٧٩هــ) ترمذ مدينة في شمـــال إيـــران إمـــام ومحـــدث كانت له رحلات واسعة في طلب الحديث (شافعي المذهب كمـــا في العـــرف الشـــذى) ولـــه كتـــاب " الجامع الصحيح من الصحاح الست أحاديثه ٤٠٥١ وغـــير ذلـــك تلميـــذ أبي عبـــد الله البخـــاري ومشاركه فيما يرويه في عدة من مشائخه سمع منـــه شيخـــه البخـــاري وغـــيره وكـــان مـــبرزا علـــى الأقران في الحفظ والإتقـــان.

خيالي الرومي الحنفي كمـــا في هديـــة العـــارفين (١٣٢/١) المتـــوفى ســـنة ٨٧٠ مـــن تأليفـــه حاشية علىشرح العقائد للقاضي الأنجي وحاشية على شرح الوقاية وحاشيـــة علـــى شـــرح العقـــائد النسفية وغير ذلك.

الخطيب الشربيني المصري الفقيه الشافعي الامام العلامة أخـــذ عـــن أحمـــد البرلســـي الملقـــب بعميرة والشهاب الرملي وانتفع به خلائـــق لا يحصـــون (ت ٩٧٧هــــ)، صنـــف الســـراج المنـــير شرح منهاج الدين للجرجاني ومغني المحتاج على المنهاج وغـــير ذلـــك.

دار قطني: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني الشـــافعي كمـــا في الإنصـــاف في بيـــان ســـبب الإختلاف للشاه ولي الله الدهلوي دار قطن من بلاد بغداد الامـــام الحـــافظ الكبـــير شـــيخ الاســـلام إليه النهاية في معرفة الحديث وعلومـــه وكـــان يدعـــى أمـــير المؤمنـــين الحـــافظ المشـــهور صـــاحب التصانيف توفي في ذي القعدة سنة ٣٨٥ هــ ببغداد ودفن قريبـــا من معـــروف الكرخـــي سمـــع مـــن البغوي وخلق كثير من تصانيفه السنن، المختلف والمؤتلـــف وغـــير ذلـــك.

دواني: المحقق الدواني، دوان قرية من كـــازروني مـــن أعمـــال شـــيراز قـــاضي القضـــاة بفـــارس جلال الدين الدواني الفقيه الشافعي كما في كشف الظنون (٢٢٤/٢) المتـــوفى ســـنة ٩٠٨ لـــه مـــن الكتب بستان القلوب، تفسير سورة الإخلاص ، حاشيـــة علـــى شمســـية في المنطـق ، حاشيـــة علـــى المطالع في الحكمة رسالة في التشبيهات الواقعة في دعاء الصلاة، شرح العقـــائد وغـــير ذلـــك.

رازي: العلامة الطبرستاني بلاد واقعة في إيـــران الأصـــل الشـــافعي المفســـر المتكلـــم صـــاحب التصانيف المشهورة(٥٤٣ــ ٦٠٦هــ) كان فريد عصره ومتكلـــم زمانـــه رزق الحـــظ في تصانيفـــه وانتشرت في الأقاليم وكان له باع طويل في الوعظ فيبكي كثـــيرا في وعظـــه ومـــن تصانيفـــه تفســـير كبير سماه مفاتيح الغيب وكتاب المحصـــول والمصـــالح في أصـــول الديـــن والمعـــالم في أصـــول الفقـــه وكتاب الملل والنحل وغير ذلـــك.

رملي: شهاب الدين الرملي من بلاد مصر فقيه شافعي بـــرع في علـــوم كثـــيرة لـــه تصـــانيف كثيرة وكان رئيس مصر (٩١٩ــ١٠٠٤) مـــن تصانيفـــه حاشيـــة علـــى شـــرح التحريـــر لشـــيخ الإسلام ومختصر حاوي الصغير ونهاية المحتاج إلى شـــرح المنـــهاج وحاشيـــة علـــى العبـــاب وشـــرح البهجة الوردية ومختصر الحاوي الصغير وشرح العقود في النحـــو وغـــير ذلـــك.

زرقاني: المصري المالكي كشف الظنون ٣١١/٢ المتـــوفى ســـنة ١١٢٢ مـــن تصانيفـــه شـــرح موطأ مالك شرح المواهب اللدنيـــة للقســـطلاني.

سندي: نور الدين محمد بن عبد الهادي ولد بتته من سند من بلاد باكستان ونشأ بها وتوفي بالمدينة(١١٣٨هـ) ودفن بالبقيع.الحنفي المذهب أخذ عن البرزنجي والملا إبراهيم الكوراني وغيرهما ودرس في الحرم واشتهر بالفضل والذكاء والصلاح وألف مؤلفات نافعة منها الحواشي الستة على الكتب الستة.

سبكي: تقي الدين السبكي(٦٨٣ـ٧٥٦هـ) كبير فقهاء الشافعية في عصره ولد في سبك من منوفية مصر وتوفي فيها المفسر الحافظ الأصولي اللغوي النحوي المقرئ البياني الجدلي الخلافي النظار البارع من أهم كتبه الفقهية الجدلية التربوية الابتهاج في شرح المنهاج شفاء السقام في زيارة خير الأنام، إحياء النفوس في صفة إلقاء الدروس.

سبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (٧٢٧ـ ٧٧١) الشافعي ولد بالقاهرة أفتى ودرس وصنف واشتغل وناب عن أبيه من تصانيفه ترشيح التوشيح، جمع الجوامع، رفع الحاجب عن مختصر بن الحاجب ، السيف المشهور في عقيدة أبي منصور، شرح المنهاج، طبقات الفقهاء الشافعية.

سيوطي: جلال الدين المصري الشافعي (٨٠٩ـ ٩١١هـ) المحقق المدقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة ولد بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب أخذ عن الجلال المحلي استقصى مؤلفاته الحافلة الكثيرة الكاملة الجامعة النافعة المتقنة المحررة المعتمدة المعتبرة تزيد عددها على خمسمائة مؤلف وشهرتها تغني عن ذكرها وقد اشتهر أكثر مصنفاته في حياته في أقطار الأرض شرقا وغربا وكان آية كبرى في سرعة التأليف.

شبرا ملسي: نور الدين أبو الضياء علي الشبرا ملسي من بلاد مصر (ت ١٠٨٧ هـ الموافق ١٦٧٦م) فقيه شافعي ولد شبراملسي وتوفي بالقاهرة وصار رئيس الأزهر له حاشية على نهاية المحتاج في الفقه الشافعي.

شيخ زاده: محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي الرومي المتوفى(٩٥١ له من الكتب تعليقه على شرح الهداية لابن مكتوم وحاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي وشرح قصيدة البردة وغير ذلك.

شهرستاني: أبو الفتح محمد عبد الكريم ابن أبي بكر الشهرستاني اسم عدة مدن في ايران أهمها شهرستان (٤٧٩ـ٥٤٨هـ/١٠٧٦ـ١١٥٣م) من أشهر مؤرخي الأديان في القرن الوسطى له الملل والنحل استعرض فيه المذاهب الدينية والفلسفية التي عرفها.

صاوي: أحمد بن محمد المصري المالكي الخلوتي (ت١٢٤١هـ) من تصانيفه حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي وحاشية على تفسير الجلالين.

طبراني: أبو القاسم سليمن الطبراني مدينة في خراسان إسمه الآن طوس (٢٦٠ـ٣٦٠هـ) كان ثقة صدوقا واسع الحفظ بصيرا بالعلل والرجال والابواب كثير التصاليف من تصانفه تفسير القرآن، دلائل النبوة ، الطوالات في الحديث، كتاب النوادر،

المعجم الكبير، والصغير، والأوسط وغـير ذلـك.

طبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الآملي الأصل البغدادي المولـد والوفـاة ولـد سـنة ٢٢٤ وتوفي سنة ٣١٠ هـ صنف من الكتـب الآداب الحميـدة والأخـلاق النفيسـة، اختـلاف الفقهاء، تاريخ الرجال، تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم، ومولـد الرسـول وانبـاؤه، مجلـدات جـامع البيان في تفسير القـرآن.

عبد القادر الجيلاني (ت٥٦١هـ) إمام كبير ولد في جيـلان مـن بـلاد بغـداد ومـن كبـار الصوفيين فتح له زاوية في بغداد أوصى بالمحبة للغريـب لـه" الفتـح الربـاني والفيصـل الرحمـاني في التصوف والغنية لطالبي طريق الحـق.

عبد القاهر بن طاهر البغدادي (٤٢٩هـ) فقيه شافعي لـه مشاركـة في علـوم كثـيرة ولـد في بغداد وعاش في نيسابور وتوفي باسفرائين درس عليه خلق كثير مـن مؤلفاتـه "التكملـة والفـرق بين الفرق والملل والنحل ونفي خلق القرآن ومناقب الامام الشـافعي وغـير ذلـك.

عبد الحكيم السيالكوتي البنجابي الباكستاني الفقيـه الحنفـي المتـوفى سـنة ١٠٦٧) لـه مـن الكتب حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي وحاشية علـى حاشيـة الخيـالي وحاشيـة علـى المطـول وغير ذلك...

عبد الغني الدهلوي الهندي الحنفي نزيل المدينة المنـورة المتـوفى سـنة ١٢٧٣ هـ) صنـف انجاح الحاجة على سنن ابن ماجـه.

عيني: بدر الدين أحمد العيني العينتـابي الاصـل والمولـد المصـري الـداري والوفـاة الحنفـي المذهب فريد عصره وحيد دهره (٧٦٣–٨٥٥) وكان فصيحا بـاللغتين العربيـة والتركيـة وبـرع في الفقه والتفسير والحديث واللغة والنحو والتصريـف والتـاريخ مـن مصنفاتـه شـرح البخـاري وشرح الهداية وغيرها توفي بالقاهرة وصلى بالجامع الأزهر ودفن بمدرسـة الـتي بقـرب داره.

غزالي: أبو حامد الغزالي الطوسي (طوس مدينة في خراسان) الشـافعي أحـد الأعـلام تلميـذ الإمام الحرمين ولاه نظام الملك تدريس مدرسته ببغداد وخـرج لـه أصحـاب وصنـف التصـانيف مع التصوف والذكاء المفرط والاستبحار في العلم وبالجملة ما رأى الرجل مثلـه ولـد بطـوس سـنة ٤٥٠ وتوفي بالطابران سنه ٥٠٥ هـ وكـان مجلسـه محـط رجـال العلمـاء ومقصـد الأئمـة والفصحاء ومن تصانيفه البسيط وهو كـالمختصر للنهايـة والوسـيط والوجـيز وكتـاب الإحيـاء والمستصفى وغير ذلـك.

قسطلاني: شهاب الديـن أبـو العبـاس أحمـد بـن محمـد القسـطلاني المصـري الشـافعي (٨٥١–٩٢٣هـ) محدث ومؤرخ ولد وتـوفي بالقـاهرة مـن تصانيفـه إرشـاد السـاري شـرح صحيح البخاري، الابتهاج بشرح صحيـح مسـلم.

قرطبي: أبو عبد الله القرطبي قرطبـة مدينـة في اسـبانيا الأندلسـي المـالكي المتـوفى سـنة ٦٧١هـ صاحب كتاب التذكرة بـأمور الآخـرة، والتفسـير الجـامع لأحكـام القـرآن الحـاكي

مذاهب السلف كلها وكان إماما من الغواصين على معاني الحديث حسن التصنيف جيد النقل.

قاضي عياض: العلامة اليحصبي السبتي المالكي السبتة مدينة في المغرب (٤٧٦ـ٥٤٤) مرتبته في المذهب المالكي كمرتبة النووي في المذهب الشافعي كان وحيد زمانه وفريد أوانه متقنا لعلوم الحديث واللغة والنحو والأدب وعالما بأيام العرب والأنساب ومن تصانيفه المفيدة الاكمال في شرح مسلم والشفائي حقوق المصطفى.

قليوبي: شهاب الدين أحمد القليوبي المصري الشافعي المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ له من التآليف الجامع في الطب، حاشية على شرح المنهاج للمحلي وغير ذلك.

كردي: محمد بن سليمان الكردي الشافعي المتوفى سنة ١١٩٤هـ بالمدينة ولد في دمشق من تصانيفه حاشية على شرح مختصر بافضل لابن حجر المكي وصلى عليه بالروضة الشريفة ودفن بالبقيع بجوار قبة العباس ﷺ كما في تعليق شرح بافضل.

مسلم بن الحجاج الشافعي كما في كشف الظنون النيسابوري من بلاد خراسان (ت ٢٦١هـ) أحد أئمة علماء الحديث إذا أطلق الشيخان في الحديث فالمراد به البخاري والمسلم ولد وتوفي في نيسابور رحل إلى العراق والحجاز أخذ عن أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه ومن كتبه الصحيح شانه كصحيح البخاري أحاديثه ٤٠٠٠ والكنى والأسماء وأوهام المحدثين قال النووي رحمه الله لا يلحقه من بعد عصره وقل من يساويه بل يدانيه من أهل وقته.

محلي: العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي نسبة إلى المحلة الكبرى من بلاد مصر الشافعي (٧٩١ـ٨٦٤) الامام العلامة اشتغل وبرع في الفنون فقها وكلاما وأصولا ونحوا ومنطقا وغيرهما كان في سلوك طريق السلف من الصلاح والورع والأمر والنهي يواجه بذلك أكابر الظلمة والحكام وألف كتبا تشد إليها الرحال في غاية الإختصار والتحرير والتنقيح وسلاسة العبارة وقد أقبل إليها الناس وتلقوها بالقبول وتداولوها منها شرح جمع الجوامع وشرح المنهاج وغير ذلك.

مرتضى الزبيدي اليمني ثم المصري الحنفي الفقيه اللغوي الصوفي الشهير بالمرتضى (١١٤٥ـ١٢٠٥هـ) من تصانيفه إتحاف السادات في شرح إحياء علوم الدين وغير ذلك.

نسائي: أحمد بن شعيب النسائي من بلاد خراسان مات بمكة سنة ٣٠٣ شافعي المذهب كما في الإنصاف في بيان سبب الإختلاف للشاه ولي الله الدهلوي أخذ الحديث عن قتيبة وغيره وأخذ عنه الطحاوي وغيره من تصانيفه سنن النسائي من كتب الصحاح الست.

نسفي: عبد الله بن أحمد أبو البركات النسفي (٧١٠هـ) فقيه حنفي أصولي مفسر مشهور بالإمام النسفي من تصانيفه مدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير.

المحتويات